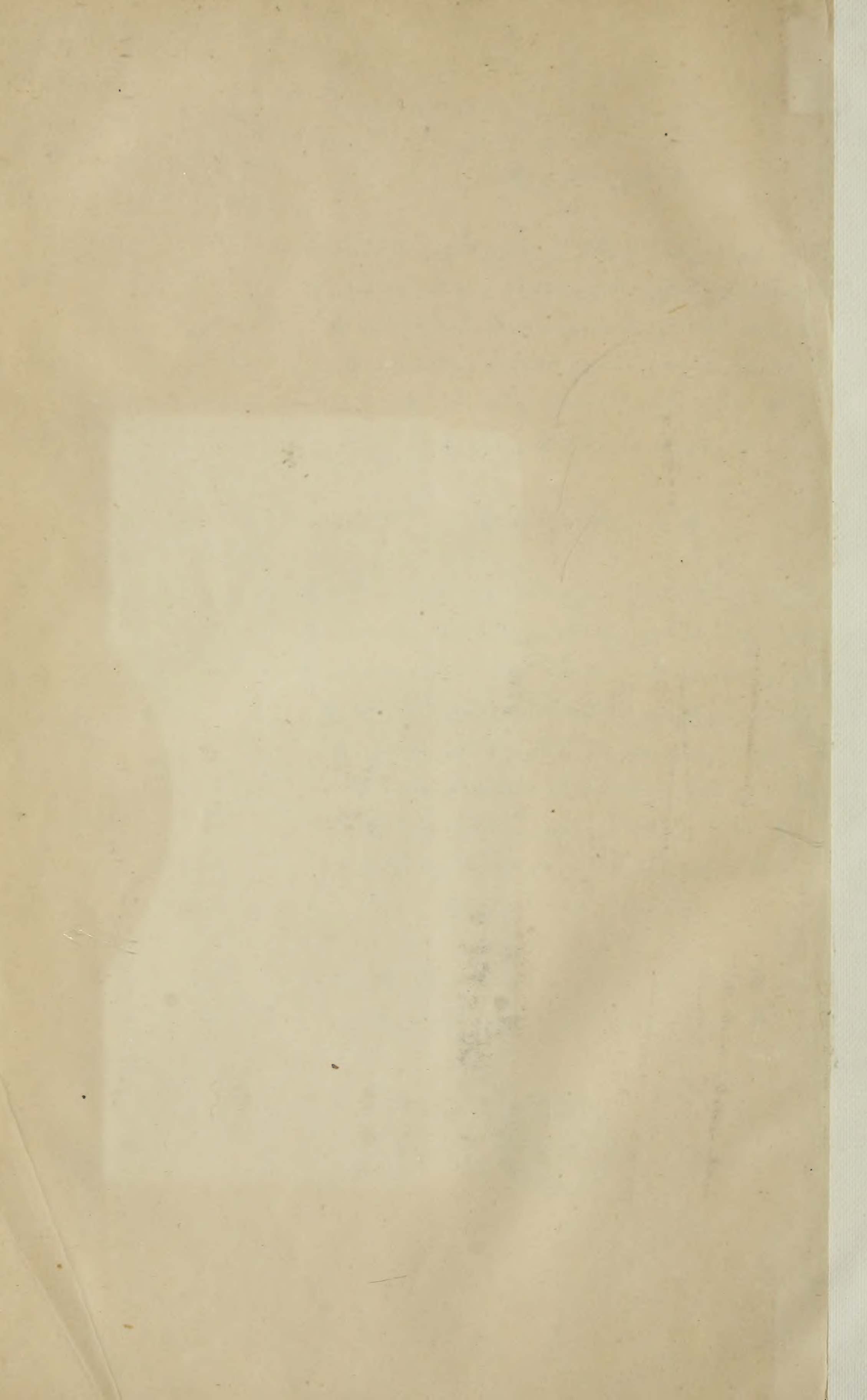


University of Toronto
Library

DO NOT
REMOVE
THE
CARD
FROM
THIS
POCKET

Acme Library Card Pocket
LOWE-MARTIN CO. LIMITED



Digitized by the Internet Archive
in 2010 with funding from
University of Toronto

http://www.archive.org/details/commentaryonkora01abda

Koran

[al-Baidāwī, ʿAbd Allah ibn ʿUmar]
[Commentary on the Koran.]
[Vol. 1]

❁ قاضى بيضاوى ❁

❁ هذا الجزء الاول من تفسير انوار التنزيل واسرار التأويل تأليف امام ❁
❁ المحققين وقدوة اجل المدققين * القاضى ناصر الدين ابو الخير عبد الله بن ❁
❁ عمر بن محمد الشيرازى البيضاوى والبيضاء قرية من اعمال ❁
❁ شيراز توفى سنة احدى وتسعين وسبعمائه * وبهامشه تفسير ❁
❁ الجلالين تأليف العلامة محمد بن احمد المحلى ❁
❁ رضى الله عنهم ونفعنا الله بهم آمين ❁

❁ شركت صحافيهٔ عثمانيه ❁

❁ شركتمزك بدايت تشكلندنبرو كتب ورسائل عربيه وتركيه غايت مصحح ❁
❁ واهون فيئاتله نشر اولنديغى كبى له الحمد اشبو بيك اوچيوز ايكى سنه سى ❁
❁ دخى (انوار التنزيل) نام تفسير شريفك تصحيحنه اهتمام ايله طبعنه موفق ❁
❁ اولنوب برنجى شعبه سى حكاكلرده (٣) نومرولو وايكنجى شعبه ❁
❁ سى صحافلر چارشوسنده (٦٨) دكانلرده اوچنجى شعبه سى ❁
❁ ازميرده كاغدجيلر ايچنده بكارلى زاده حافظ احمد طلعت ❁
❁ افنديك (١٦) نومرولى دكاننده كمرك ❁
❁ ومصارفات نقليه سى ضم ايله استانبول ❁
❁ فيئاتنه صاتلمقده در ❁

❁ وسلانيكده استانبول چارشوسنده مصطفى ❁
❁ صدقى افنديك دكاننده دخى صاتلمقده در ❁



[1887]



الحمد لله الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا * فتحدى
باقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به
قديرا * وافحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان
حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا * ثم بين للناس مانزل اليهم حسب
ماعن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا *
فكشف لهم قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن ام الكتاب * واخر
متشابهات هن رموز الخطاب * تأويلا وتفسيرا * وابرز غوامض الحقائق
* ولطائف الدقائق * ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت
* ليتفكروا فيها تفكيرا * ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها * من نصوص
الآيات والماعها * ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا * فمن كان له قلب
اوالقى السمع وهو شهيد * فهو فى الدارين حميد وسعيد * ومن لم يرفع اليه رأسه *
واطفأ نبراسه * يعش ذميما ويصلى سعيرا * فيا واجب الوجود * ويا فائض
الجود * ويا غاية كل مقصود * صل عليه صلوة توازى غناءه * وتجازى
عناءه وعلى من اعانه وقرر تبيانه تقريرا * وافض علينا من بركاتهم *
واسلك بنا مسالك كراماتهم * وسلم عليهم وعلينا تسليما كثيرا * وبعد *
فان اعظم العلوم مقدارا * وارفعها شرفا ومنارا * علم التفسير الذى
هو رئيس العلوم الدينية ورأسها * ومبنى قواعد الشرع واساسها *

تفسير الجلالين

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله حمدا موافيا لنعمه
مكافئا لمزيده * والصلاة
والسلام على سيدنا محمد وآله
وصحبه وجنوده * هذا ما
اشتدت اليه حاجة الراغبين *
فى تكملة تفسير القرآن الكريم
الذى ألفه الامام العلامة
المحقق جلال الدين * محمد بن
أحمد المحلى الشافعى رحمه
الله وتتميم مافاته وهو من أول
سورة البقرة الى آخر
الاسراء بتتمة على نمطه من
ذكر مايفهم به كلام الله تعالى
والاعتماد على أرجح الاقوال
واعراب مايحتاج اليه وتنبيه
على القراآت المختلفة المشهورة
على وجه لطيف وتعبير
وجيز وترك التطويل بذكر
أقوال غير مرضية *
وأعاريب محلها كتب
العربية * والله أسأل النفع به
فى الدنيا واحسن الجزاء
عليه فى العقبى بمنه وكرمه

لايليق لتعاطيه والتصدى للتكلم فيه * الامن برع فى العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها * وفاق فى الصناعات العربية * والفنون الادبية * بانواعها ولطال ما احدث نفسى ان اصنف فى هذا الفن كتابا يحتوى على صفوة مابلغنى من عظماء الصحابة وعلماء التابعين * ومن دونهم من السلف الصالحين * وينطوى على نكت بارعة * ولطائف رائعة * استنبطتها انا ومن قبلى من افاضل المتأخرين * واماثل المحققين * و يعرب عن وجوه القرآآت المعزية الى الائمة الثمانية المشهورين * والشواذ المروية عن القراء المعتبرين * الاان قصور بضاعتى يثبطنى عن الاقدام * و يمنعنى عن الانتصاب فى هذا المقام * حتى سنح لى بعد الاستخارة ماصمم به عزمى على الشروع فيما اردته * والاتيان بما قصدته * ناويا ان اسميه بعد ان اتممه بانوار التنزيل واسرار التأويل فهاانا الاآن اشرع و بحسن توفيقه اقول * وهو الموفق لكل خير ومعطى كل مسؤل

(سورة فاتحة الكتاب) وتسمى ام القرآن لانها مفتتحه ومبدأه فكانها اصله ومنشأه ولذلك تسمى اساسا اولانها تشتمل على مافيه من الثناء على الله سبحانه وتعالى والتعبد بامره ونهيه و بيان وعده ووعيده اوعلى جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التى هى سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها والصلاة لوجوب قراءتها اواستحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله عليه الصلاة والسلام * هى شفاء من كل داء * والسبع المثانى لانها سبع آيات بالاتفاق الاان منهم من عد التسمية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى فى الصلاة اوالانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلاة و بالمدينة حين حولت القبلة وقدصح انها مكية لقوله تعالى * ولقدآتيناك سبعا من المثانى * وهو مكى بالنص

(بسم الله الرحمن الرحيم) من الفاتحة ومن كل سورة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك رحمه الله تعالى والشافعى وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعى ولم ينص ابوحنيفة رحمه الله تعالى فيه بشئ فظن انها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها فقال مابين الدفتين كلام الله تعالى ولنا احاديث كثيرة

(فاتحة الكتاب مكية سبع آيات) (بسم الله الرحمن الرحيم) (الحمد لله) جملة خبرية قصد بها الثناء على الله بمضمونها من أنه تعالى مالك لجميع الحمد من الخلق اومستحق لاءن يحمدوه والله علم على المعبود بحق (رب العالمين) أى مالك جميع الخلق من الانس والجن والملائكة والدواب وغيرهم وكل منها يطلق عليه عالم يقال عالم الانس وعالم الجن الى غير ذلك وغلب فى جمعه بالياء والنون اولو العلم على غيرهم وهو من العلامة لانه علامة على موجده (الرحمن الرحيم) أى ذى الرحمة وهى ارادة الخير لاهله (ملك يوم الدين) أى الجزاء وهو يوم القيامة وخص بالذكر لانه لاملك ظاهرا فيه لاحد الا الله تعالى بدليل لمن الملك اليوم لله ومن قرأ مالك فمعناه مالك الامر كله فى يوم القيامة أوهو موصوف بذلك دائما كغافر الذنب فصح وقوعه صفة للمعرفة (اياك نعبد واياك نستعين) أى نخصك بالعبادة من توحيد وغيره ونطلب المعونة على العبادة

وغيرها (اهدنا الصراط المستقيم) أى ارشدنا اليه ويبدل منه (صراط الذين أنعمت عليهم) بالهداية ويبدل من الذين بصلته (غير المغضوب عليهم) وهم اليهود (ولا) وغير (الضالين) وهم النصارى ونكتة البدل افادة أن المهتدين ليسوا يهودا ولا نصارى والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا وحسبنا الله ونعم الوكيل ولاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم

﴿ سورة البقرة مدنية مائتان وست أوسبع وثمانون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) الله أعلم بمراده بذلك (ذلك) اى هذا (الكتاب) الذى يقرؤه محمد (لا ريب) شك (فيه) أنه من عندالله وجملة النفى خبر مبتدؤه ذلك والاشارة به للتعظيم (هدى) خبر ثان أى هادى (للمتقين) الصائرين الى التقوى بامتثال الاوامر واجتناب النواهى لاتقائهم بذلك النار (الذين

منها ماروى ابوهريرة رضى الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال فاتحة الكتاب سبع آيات اوليهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة رضى الله عنها قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية ومن اجلهما اختلف فى انها آية برأسها ام بمابعدها والاجماع على ان مابين الدفتين كلام الله سبحانه وتعالى والوفاق على اثباتها فى المصاحف مع المبالغة فى تجريد القرآن حتى لم تكتب آمين * والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله اقرألان الذى يتلوه مقرؤ وكذلك يضمر كل فاعل مايجعل التسمية مبدأله وذلك اولى من ان يضمر ابدألعدم مايطابقه ومايدل عليه اوابتدائى لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع كمافى قوله * بسم الله مجراها * وقوله * اياك نعبد * لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل فى التعظيم واوفق للوجود فان اسمه سبحانه وتعالى مقدم على القراءة كيف لاوقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لايتم ولايعتد به شرعا مالم يصدر باسمه تعالى لقوله عليه الصلاة والسلام * كل امرذى بال لايبدأ فيه ببسم الله فهوابتر * وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله تعالى اقرأ وهذا ومابعده مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسئل من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجركما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر تفصلة بينهما وبين لام الابتداء والاسم عنداصحابنا البصريين من الاسماء التى حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون وادخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لان من دأبهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهدله تصريفه على اسماء واسامى وسمى وسميت ومجئ سمى كهدى لغة فيه قال (والله اسماك سمى مباركا * آثرك الله به ايثاركا) والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعارله ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ماحذف صدره فى كلامهم ومن لغاته سم وسم قال « بسم الذى فى كل سورة سمه » والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار

و يتعدد تارة و يتحد اخرى والمسمى لايكون كذلك وان اريد به ذات الشئ فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى *تبارك اسم ربك * وسبح اسم ربك* المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب اوالاسم مقحم كما فى قول الشاعر « الى الحول ثم اسم السلام عليكما » وان اريد به الصفة كما هو رأى الشيخ ابى الحسن الاشعرى انقسم انقسام الصفة عنده الى ماهو نفس المسمى والى ماهو غيره والى ماليس هو ولاغيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه اوللفرق بين اليمين والتيمن ولم تكتب الالف على ماهو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل ياالله بالقطع الا انه يختص بالمعبود بالحق والاله فى اصله لكل معبود ثم غلب على المعبود بالحق واشتقاقه من اله الهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تأله واستأله وقيل من اله اذا تحير لان العقول تتحير فى معرفته اومن الهت الى فلان اى سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته اومن اله اذا فزع من امر نزل عليه وآلهه غيره اجاره اذ العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه اومن اله الفصيل اذا اولع بامه اذ العباد يولعون بالتضرع اليه فى الشدئد اومن وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة فى وجوه فقيل اله كاعاء واشاح و يرده الجمع على آلهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه سبحانه وتعالى محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع عن كل شئ مما لايليق به و يشهد له قول الشاعر (كحلفة من ابى رباح* يشهدها لاهه الكبار) وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولايوصف به ولانه لابد له من اسم تجرى عليه صفاته ولايصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه لوكان وصفا لم يكن قول لااله الاالله توحيدا مثل لااله الاالرحمن فانه لايمنع الشركة والاظهر انه وصف فى اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لايستعمل فى غيره وصار له كالعلم مثل الثريا والصعق اجرى مجراه فى اجراء الاوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار

يؤمنون)يصدقون(بالغيب) بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار (ويقيمون الصلوة) اى يأتون بها بحقوقها (ومما رزقناهم) أعطيناهم (ينفقون) فى طاعة الله (والذين يؤمنون بما أنزل اليك) أى القرآن (وما أنزل من قبلك)أى التوراة والانجيل وغيرهما (وبالآخرة هم يوقنون) يعلمون (اولئك) الموصوفون بما ذكر (على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون) الفائزون بالجنة الناجون من النار (ان الذين كفروا) كأبى جهل وأبى لهب ونحوهما (سواء عليهم أأنذرتهم) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ألفا وتسهيلها وادخال الف بين المسهلة والاخرى وتركه (أم لم تنذرهم لايؤمنون) لعلم الله منهم ذلك فلا تطمع فى ايمانهم والانذار اعلام مع تخويف (ختم الله على قلوبهم) طبع عليها واستوثق فلا يدخلها خير (وعلى سمعهم) أى مواضعه فلا ينتفعون بما يسمعونه من الحق (وعلى أبصارهم هم

امرآخر حقيقي اوغيره غير معقول للبشر فلايمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه
لودل على مجرد ذاته المخصوص لماافادظاهر قوله سبحانه وتعالى*وهوالله
فى السموات * معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هوكون احداللفظين
مشاركاللآخرفى المعنى والتركيب وهوحاصل بينه و بين الاصول المذكورة
وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال
اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ماقبله اوانضم سنة وقيل مطلقاوحذف
الفه لحن تفسدبه الصلاة ولاينعقدبه صريح اليمين وقدجاء لضرورة
الشعر « الالابارك الله فى سهيل * اذا ماالله بارك فى الرجال » والرحمن
الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم
والرحمة فى اللغةرقة القلب وانعطاف يقتضى التفضل والاحسان ومنه
الرحم لانعطافها على مافيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات
التى هى افعال دون المبادى التى تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم
لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما فى قطع وقطع وكبار وكبار
وذلك انما تؤخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول
قيل يارحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص
المؤمن وعلى الثانى قيل يارحمن الدنياو الآخرةورحيم الدنيالان النعم الاخروية
كلها جسام واماالنعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانماقدم والقياس يقتضى
الترقى من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث
انه لايوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقى البالغ فى الرحمة غايتها وذلك
لايصدق على غيره لان من عداه فهو مستفيض بلطفه وانعامه يريدبه
جزيل ثواب اوجميل ثناء او يزيح رقة الجنسية اوحب المال عن القلب
ثم انه كالواسطة فى ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها
والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التى بها يحصل
الانتفاع الى غيرذلك من خلقه لايقدر عليها احدغيره اولان الرحمن
لمادل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ماخرج
منها فيكون كالتتمة والرديف له اوللمحافظة على رؤس الآى
والاظهر انه غير مصروف وان حظر اختصاصه بالله تعالى ان يكون له
مؤنث على فعلى اوفعلانة الحاقاله بماهو الغالب فى بابه وانما خص التسمية
بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به فى مجامع الامور

غشاوة) غطاء فلايبصرون
الحق (ولهم عذاب عظيم)
قوى دائم * ونزل فى
المنافقين (ومن الناس من
يقول آمنابالله وباليوم الآخر)
أى يوم القيامة لانه آخر
الايام (وماهم بمؤمنين)
روعى فيه معنى من وفى ضمير
يقول لفظها (يخادعون الله
والذين آمنوا) باظهار خلاف
ماأبطنوه من الكفر ليدفعوا
عنهم أحكامه الدنيوية
(ومايخادعون الاأنفسهم)
لان وبال خداعهم راجع اليهم
فيفتضحون فى الدنيا باطلاع
الله نبيه على ما أبطنوه
ويعاقبون فى الآخرة
(ومايشعرون) يعلمون أن
خداعهم لانفسهم والمخادعة
هنامن واحد كعاقبت اللص
وذكر الله فيها تحسين وفى
قراءةومايخدعون (فى قلوبهم
مرض) شك ونفاق فهو
يمرض قلوبهم أى يضعفها
(فزادهم الله مرضا) بما
أنزله من القرآن لكفرهم به
(ولهم عذاب أليم) مؤلم
(بما كانوايكذبون) بالتشديد
أى نبى الله و بالتخفيف أى

هو المعبود الحقيق الذى هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها
وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق
ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره (الحمد لله) الحمد هو الثناء
على الجميل الاختيارى من نعمة اوغيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا
تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته
وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال « افادتكم
النعماء منى ثلاثة * يدى ولسانى والضمير المحجبا » فهو اعم منهما من وجه واخص
من آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها
لخفاء الاعتقاد ومافى آداب الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة
فيه فقال عليه الصلاة والسلام * الحمد رأس الشكر ماشكر الله من لم يحمده *
والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله
النصب وقد قرئ وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته دون
تجدده وحدوثه وهو من المصادر التى تنصب بافعال مضمرة لا تكاد
تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى مايعرفه كل
احد ان الحمد ماهو اوللاستغراق اذ الحمد فى الحقيقة كله له اذ مامن خير
الا وهو موليه بوسط اوبغير وسط كما قال * ومابكم من نعمة فمن الله * وفيه
اشعار بانه تعالى قادر مريد عالم اذ الحمد لايستحقه الا من كان هذا
شأنه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث
انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة (رب العالمين) الرب فى الاصل
مصدر بمعنى التربية وهى تبليغ الشئ الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة
كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم
فهو نم ثم سمى به المالك لانه يحفظ مايملكه ويربيه ولا يطلق على غيره
تعالى الا مقيدا كقوله * ارجع الى ربك * والعالم اسم لما يعلم به الصانع وهو
كل ماسواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى
مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ماتحته من الاجناس
المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل
اسم وضع لذوى العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل
الاستتباع وقيل عنى به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث
انه يشتمل على نظائر مافى العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم

فى قولهم آمنا (واذا قيل لهم)
أى لهؤلاء (لاتفسدوا فى
الارض) بالكفر والتعويق
عن الايمان (قالوا انما نحن
مصلحون) وليس مانحن
فيه بفساد قال الله تعالى ردا
عليهم (ألا) للتنبيه (انهم هم
المفسدون ولكن لايشعرون)
بذلك (واذا قيل لهم آمنوا كما
آمن الناس) أصحاب النبى
(قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء)
الجهال أى لانفعل كفعلهم
قال تعالى ردا عليهم (ألا انهم
هم السفهاء ولكن لايعلمون)
ذلك (واذا لقوا) أصله
لقيوا حذفت الضمة للاستثقال
ثم الياء لالتقائها ساكنة مع
الواو (الذين آمنوا قالوا
آمنا واذا خلوا) منهم ورجعوا
(الى شياطينهم) رؤسائهم
(قالوا انا معكم) فى الدين
(انما نحن مستهزؤن) بهم
باظهار الايمان (الله يستهزئ
بهم) يجازيهم باستهزائهم
(ويمدهم) يمهلهم (فى طغيانهم)
بتجاوزهم الحد بالكفر
(يعمهون) يترددون تحيرا
حال (أولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى) أى

بها الصانع كما يعلم بما ابدعه فى العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما
وقال تعالى * وفى انفسكم افلا تبصرون * وقرئ رب العالمين بالنصب
على المدح اوالنداء اوبالفعل الذى دل عليه الحمد وفيه دليل على
ان الممكنات كما هى مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهى مفتقرة الى المبقى
حال بقائها (الرحمن الرحيم) كرره للتعليل على ماسنذكره (مالك
يوم الدين) قرأه عاصم والكسائى ويعقوب ويعضده قوله تعالى * يوم
لاتملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله * وقرأ الباقون ملك وهو المختار
لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله * لمن الملك اليوم * ولما فيه من التعظيم والمالك
هو المتصرف فى الاعيان المملوكة كيف شاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر
والنهى فى المأمورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل
ومالكا بالنصب على المدح اوالحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه
خبر مبتدأ محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء
ومنه كماتدين تدان وبيت الحماسة (ولم يبق سوى العدوا * ن دناهم
كمادانوا) اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به
على الاتساع كقولهم ياسارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين
على طريقة * ونادى اصحاب الجنة * اوله الملك فى هذا اليوم على وجه
الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل
الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم
بالاضافة اما لتعظيمه اولتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف
على الله تعالى من كونه موجدا للعالمين ربالهم منعما عليهم بالنعم كلها
ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب
للدلالة على انه الحقيق بالحمد لااحد احق به منه بل لايستحقه على الحقيقة
سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من طريق
المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لايستأهل لان يحمد فضلا
عن ان يعبد ليكون دليلا على مابعده فالوصف الاول لبيان ماهو الموجب
للحمد وهو الايجاد والتربية والثانى والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك
مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات اووجوب عليه قضية
سوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه
مما لايقبل الشركة وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين

استبدلوها به (فماربحت تجارتهم) أى ماربحوا فيها بل خسروا لمصيرهم الى النار المؤبدة عليهم (وماكانوا مهتدين) فيما فعلوا (مثلهم) صفتهم فى نفاقهم (كمثل الذى استوقد) أوقد (نارا) فى ظلمة (فلما أضاءت) أنارت (ماحوله) فأبصر واستدفأ وأمن مما يخافه (ذهب الله بنورهم) أطفأه وجمع الضمير مراعاة لمعنى الذى (وتركهم فى ظلمات لايبصرون) ماحولهم متحيرين عن الطريق خائفين فكذلك هؤلاء آمنوا باظهار كلمة الايمان فاذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب هم (صم) عن الحق فلا يسمعونه سماع قبول (بكم) خرس عن الخير فلا يقولونه (عمى) عن طريق الهدى فلا يرونه (فهم لايرجعون) عن الضلالة (أو) مثلهم (كصيب) أى كاصحاب مطر وأصله صيوب من صاب يصوب أى ينزل (من السماء) السحاب (فيه) أى السحاب (ظلمات) متكاثفة (ورعد) هو الملك الموكل به وقيل صوته (وبرق)

(اياك نعبد واياك نستعين) ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات تعلق العلم بمعلوم معين فخوطب بذلك اى يامن هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص وللترقى من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود وكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بنى اول الكلام على ماهو مبادى حال العارف من الذكر والفكر والتأمل فى اسمائه والنظر فى آلائه والاستدلال بصنايعه على عظيم شانه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن فى الكلام والعدول من اسلوب الى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع فتعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى * حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم * وقوله والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه * وقول امرئ القيس * تطاول ليلك بالاثمد * ونام الخلى ولم ترقد * وبات وباتت له ليلة * كليلة ذى العائر الارمد * وذلك من نباء جاءنى * وخبرته عن ابى الاسود * وايا ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لامحل لها من الاعراب كالتاء فى انت والكاف فى أرأيتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لايعتمد عليه وقيل هى الضمائر واياعمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اى مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان فى غاية الصفاقة ولذلك تستعمل الا فى الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهى اما ضرورية اوغير ضرورية والضرورية مالايتأتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة فى السفر للقادر على المشى اويقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لايتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة فى المهمات

لمعان سوطه الذى يزجره به (يجعلون) أى أصحاب الصيب (أصابعهم) أى أنا ملها (فى آذانهم من) أجل (الصواعق) شدة صوت الرعد لئلا يسمعوها (حذر) خوف (الموت) من سماعها كذلك هؤلاء اذا انزل القرآن وفيه ذكر الكفر المشبه بالظلمات والوعيد عليه المشبه بالرعد والحجج البينة المشبهة بالبرق يسدون آذانهم لئلا يسمعوه فيميلوا الى الايمان وترك دينهم وهو عندهم موت (والله محيط بالكافرين) علما وقدرة فلايفوتونه (يكاد) يقرب (البرق يخطف ابصارهم) يأخذها بسرعة (كلما أضاء لهم مشوا فيه) أى فى ضوئه (واذا أظلم عليهم قاموا) وقفوا تمثيل لازعاج مافى القرآن من الحجج قلوبهم وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون ووقوفهم عما يكرهون (ولو شاء الله لذهب بسمعهم) بمعنى أسماعهم (وأبصارهم) الظاهرة كما ذهب بالباطنة (ان الله على كل شئ) شاءه (قدير) ومنه

كلها او فى اداء العبادات والضمير المستكن فى الفعلين للقارئ ومن معه
من الحفظة وحاضرى صلاة الجماعة اوله ولسائر الموحدين ادرج عبادته
فى تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب
اليهـا ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة
على الحصر ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما معنـاه نعبدك ولانعبد
غيرك وتقديم ماهومقدم فى الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغى ان يكون
نظره الى المعبود اولاوبالذات ومنـه الى العبادة لامن حيث انها عبـادة
صدرت عنه بل من حيث انهانسبة شريفة اليه ووصلة سنية بينه وبين الحق
فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق فى ملاحظة جناب القدس وغاب
عماعداه حتى انه لايلاحظ نفسه ولاحالا من احوالهـا الا من حيث انهـا
ملاحظة له ومنتسبة اليـه ولذلك فضـل ما حكى الله عن حبيبه حيث قال
لاتحزن ان الله معنا على ماحكاه عن كليمه حيث قال * ان معى ربى سيهدين*
وكرر الضميـر للتنصيص عـلى انه المستعـان به لاغيـر وقدمت العبـادة
على الاستعـانة ليتوافق رؤس الآى ويعلم منـه ان تقديم الوسيلة على
طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لمانسب المتكلم العبـادة الى نفسه
اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بمايصدر عنه فعقبه بقوله * واياك نستعين*
ليدل على ان العبـادة ايضا ممالايتم ولايستتب له الابمعونة منـه وتوفيق
وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهى
لغة بنى تميم فانهم يكسرون حروف المضـارعة سوى اليـاء اذا لم ينضم
مابعدها (اهدنا الصراط المستقيم) بيـان للمعونة المطلوبة فكأنه قال
كيف اعينكم فقـالوا اهدنا وافراد لمـا هو المقصود الاعظم والهـداية
دلالة بلطف ولذلك تستعمل فى الخـير وقوله تعـالى * فاهدوهم الى
صراط الجحيم * وارد على التهكم ومنه الهدية وهوادى الوحش لمقدماتها
والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معاملة اختار فى قوله
تعالى *واختار موسى قومه* وهداية الله تعـالى تتنوع انواعا لايحصيها عد
كما قال تعـالى * وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ولكنها تنحصر فى اجنـاس
مترتبة * الاول افاضة القوى التى بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه
كالقوة العقليـة والحواس الباطنة والمشـاعر الظـاهرة * والثـانى
نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفسـاد واليه اشار

اذهاب ماذكر (يائيها الناس)
أى أهل مكة (اعبدوا)
وحدوا (ربكم الذى خلقكم)
أنشأكم ولم تكونوا شيئا (و)
خلق (الذين من قبلكم
لعلكم تتقون) بعبادته عقابه
ولعل فى الاصل للترجى وفى
كلامه تعالى للتحقيق (الذى
جعل) خلق (لكم الارض
فراشا) حال بساطا يفترش
لاغاية فى الصلابة او الليونة فلا
يمكن الاستقرار عليها (والسماء
بناء) سقفا (وأنزل من السماء
ماء فأخرج به من) أنواع
(الثمرات رزقالكم) تأكلونه
وتعلفون به دوابكم (فلا
تجعلوا لله أندادا) شركاء
فى العبادة (وأنتم تعلمون)
أنه الخالق ولايخلقون ولايكون
الها الا من يخلق (وان كنتم
فى ريب) شك (مما نزلنا على
عبدنا) محمد من القرآن أنه
من عند الله (فأتوا بسورة
من مثله) أى المنزل ومن
للبيان أى هى مثله فى البلاغة
وحسن النظم والاخبار عن
الغيب والسورة قطعة لها
اول وآخر أقلها ثلاث آيات
(وادعوا شهداءكم) آلهتكم

حيث قال * وهديناه النجدين * وقال * فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى *
* والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله * وجعلناهم
ائمة يهدون بامرنا * وقوله * ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم * والرابع
ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هى بالوحى او الالهام
والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى
بقوله * اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده * وقوله * والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا * فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات عليه
او حصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف بالله الواصل عنى به
ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشى ابداننا
لنستضئ بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا
ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرطا لطعام
اذا ابتلعه فكأنه يسرط السابلة ولذلك سمى لقما لانه يلتقمهم والصراط
من قلب السين صادا ليطابق الطاء فى الاطباق وقد يشم الصاد صوت
الزاى ليكون اقرب الى المبدل منه وقرأ ابن كثير برواية قنبل عنه ورويس
عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش
والثابت فى الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق فى التذكير
والتأنيث والمستقيم المستوى والمراد به طريق الحق وقيل هو ملة الاسلام
(صراط الذين انعمت عليهم) بدل من الاول بدل الكل وهو فى حكم
تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص
على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه
وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكأنه من البين الذى لا خفاء فيه
ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين * وقيل الذين انعمت عليهم
الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام قبل التحريف
والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهى
فى الاصل الحالة التى يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة
وهى اللين ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال * وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها * تنحصر فى جنسين دنيوى واخروى والاول قسمان موهبى
وكسبى والموهبى قسمان روحانى كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه
من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسمانى كتخليق البدن والقوى الحالة

التى تعبدونها (من دون الله) أى غيره لتعينكم (ان كنتم صادقين) فى أن محمدا قاله من عند نفسه فافعلوا ذلك فانكم عربيون فصحاء مثله ولما عجزوا عن ذلك قال تعالى (فان لم تفعلوا) ماذكر لعجزكم (ولن تفعلوا) ذلك أبدا لظهور اعجازه اعتراض (فاتقوا) بالايمان بالله وأنه ليس من كلام البشر (النار التى وقودها الناس) الكفار (والحجارة) كأصنامهم منها يعنى انها مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه (أعدت) هيئت (للكافرين) يعذبون بها جملة مستأنفة أو حال لازمة (وبشر) أخبر (الذين آمنوا) صدقوا بالله (وعملوا الصالحات) من الفروض والنوافل (أن) أى بأن (لهم جنات) حدائق ذات شجر ومساكن (تجرى من تحتها) أى تحت أشجارها وقصورها (الانهار) أى المياه فيها والنهر الموضع الذى يجرى فيه الماء لان الماء ينهره أى يحفره واسناد الجرى

فيه والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبى تزكية النفس
عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات الفاضلة وتزيين البدن
بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثانى ان يغفر
مافرط منه ويرضى عنه ويبوأه فى اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد
الآبدين والمراد هو القسم الاخير ومايكون وصلة الى نيله من القسم
الآخر فان ماعداذلك يشترك فيه المؤمن والكافر (غير المغضوب عليهم
ولا الضالين) بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا
من الغضب والضلال او صفة له مبينة او مقيدة على معنى انهم جمعوا
بين النعمة المطلقة وهى نعمة الايمان وبين السلامة من الغضب والضلال
وذلك انما يصح باحد تأويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذلم يقصد به
معهود كالمحلى فى قوله « ولقد امر على اللئيم يسبنى » وقولهم انى لامر على الرجل
مثلك فيكرمنى اوجعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ماله ضد واحد
وهو المنعم عليه فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه
على الحال من الضمير المجرور والعامل انعمت اوباضمار اعنى اوبالاستثناء
ان فسر النعم بمايعم القبيلين والغضب ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا
اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على مامر وعليهم فى محل الرفع
لانه نائب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتأكيد مافى غير من معنى
النفى فكأنه قال لاالمغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب
كما جاز انا زيدا لاضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين
والضلال العدول عن طريق السوى عمدا اوخطأ وله عرض عريض
والتفاوت مابين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله
تعالى فيهم * من لعنه الله وغضب عليه * والضالين النصارى لقوله تعالى
* قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا * وقد روى مرفوعا ويتجه ان يقال
المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع
بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وكان المقابل له من اختل احدى
قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى
فى القاتل عمدا * وغضب الله عليه * والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله * فماذا
بعد الحق الا الضلال * وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد فى الهرب
من التقاء الساكنين (آمين) اسم للفعل الذى هو استجب وعن ابن عباس

قال

اليه مجاز (كلما رزقوا منها
أطعموا من تلك الجنات (من
ثمرة رزقا قالوا هذا الذى)
أى مثل ما (رزقنا من قبل)
أى قبله فى الجنة لتشابه ثمارها
بقرينة (وأتوا به) أى جيئوا
بالرزق (متشابها) يشبه بعضه
بعضا لونا ويختلف طعما
(ولهم فيها أزواج) من
الحور وغيرها (مطهرة)
من الحيض وكل قذر (وهم
فيها خالدون) ماكثون أبدا
لايفنون ولايخرجون * ونزل
ردا لقول اليهود لما ضرب الله
المثل بالذباب فى قوله وان
يسلبهم الذباب شيئا والعنكبوت
فى قوله كمثل العنكبوت ما أراد
الله بذكر هذه الاشياء
الخسيسة (ان الله لايستحيى
أن يضرب) يجعل (مثلا)
مفعول أول (ما) نكرة
موصوفة بما بعدها مفعول
ثان أى أى مثل كان أو زائدة
لتأكيد الخسة فما بعدها المفعول
الثانى (بعوضة) مفرد
البعوض وهو صغار البق
(فما فوقها) أى أكبر منها أى
لايترك بيانه لما فيه من الحكم
(فأما الذين آمنوا فيعلمون

قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بنى على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها قال * ويرحم الله عبدا قال آمينا * وقال امين فزاد الله مابيننا بعدا * وايس من القرأن وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه الصلاة والسلام علمنى جبرائيل آمين عند فراغى من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفى معناه قول على رضى الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر به فى الجهرية لماروى عن وآئل بن حجر انه عليه الصلاة والسلام كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن ابى حنيفة رضى الله عنه انه قال لايقوله والمشهور عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والمأموم يؤمن معه لقوله عليه الصلاة والسلام * اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه * وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى الا اخبرك بسورة لم ينزل فى التوراة والانجيل والقرأن مثلها قلت بلى يارسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثانى والقرأن العظيم الذى اوتيته وعن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبى صلى الله عليه وسلم قال * ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبى من صبيانهم فى الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمع الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

(سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) وسائر الالفاظ المتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التى ركبت منها الكلم لدخولها فى حد الاسم واعتوار مايخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو على وماروى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذى اصطلح عليه

أنه) أى المثل (الحق) الثابت الواقع موقعه (من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا) تمييز أى بهذا المثل وما استفهام انكار مبتدأ وذا بمعنى الذى بصلته خبره أى أى فائدة فيه قال تعالى فى جوابهم (يضل به) أى بهذا المثل (كثيرا) عن الحق لكفرهم به (ويهدى به كثيرا) من المؤمنين لتصديقهم به (ومايضل به الا الفاسقين) الخارجين عن طاعته (الذين) نعت (ينقضون عهد الله) ماعهده اليهم فى الكتب من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (من بعد ميثاقه) توكيده عليهم (ويقطعون ماأمر الله به أن يوصل) من الايمان بالنبى والرحم وغير ذلك وان بدل من ضمير به (ويفسدون فى الارض) بالمعاصى والتعويق عن الايمان (أولئك) الموصوفون بما ذكر (هم الخاسرون) لمصيرهم الى النار المؤبدة عليهم (كيف تكفرون) يا أهل مكة (بالله و) قد (كنتم أمواتا) نطفا فى الاصلاب (فأحيا كم)

فان تخصيص الحرف به عرف مجدد بل المعنى اللغوى ولعله سماء باسم مداوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهى مركبة صدرت بها ليكون تأديتها بالمسمى اول مايقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهى مالم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه ومعرضة له اذلم تناسب مبنى الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين ساكنين ولم يعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التى يتركب منها افتتحت السورة بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرأن وتنبيها على ان اصل المتلو عليهم كلام منظوم مماينظمون منه كلامهم فلوكان من عند غير الله لماعجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بمايدانيه وليكون اول مايقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فامامن الامى الذى لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقدراعى فى ذلك مايعجز عنه الاديب الاريب الفائق فى فنه وهوانه اورد فى هذه الفواتح اربعة عشر اسما هى نصف اسامى حروف المعجم ان لم يعد فيها الالف حرفا برأسه فى تسع وعشرين سورة بعددها اذا عدفيها الالف الاصلية مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهى مايضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقى المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة فى اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقى الرخوة عشرة يجمعها خمس على نصره ومن المطبقة التى هى الصاد والضاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقى المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهى حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهى التى يتصعد الصوت بها فى الحنك الاعلى وهى سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقى المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهى احدعشر على ماذكره سيبويه واختاره ابن جنى ويجمعها اجد طويت منها الستة الشائعة المشهورة التى يجمعها اهطمين وقدزاد بعضهم سبعة اخرى وهى اللام فى اصيلال

فى الارحام والدنيا بنفخ الروح فيكم والاستفهام للتعجيب من كفرهم مع قيام البرهان أوللتوبيخ (ثم يميتكم) عند انتهاء آجالكم (ثم يحييكم) بالبعث (ثم اليه ترجعون) تردون بعد البعث فيجازيكم باعمالكم * وقال دليلا على البعث لماأنكروه (هو الذى خلق لكم مافى الارض) أى الارض ومافيها (جميعا) لتنتفعوا به وتعتبروا (ثم استوى) بعد خلق الارض أى قصد (الى السماء فسواهن) الضمير يرجع الى السماء لانها فى معنى الجميع الآيلة اليه أى صيرها كما فى آية أخرى فقضاهن (سبع سموات وهو بكل شئ عليم) مجملا ومفصلا أفلاتعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداء وهوأعظم منكم قادر على اعادتكم (و) اذكر يامحمد (اذقال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة) يخلفنى فى تنفيذ أحكامى فيها وهوآدم (قالوا أتجعل فيها من يفسدفيها) بالمعاصى (ويسفك الدماء) يريقها بالقتل كما فعل بنو الجان وكانوا فيها فلما أفسدوا أرسل الله

والضاد والزاى فى صراط وزراط والفاء فى جدث والميم فى اعن والثاء فى ثروغ الدلو والباء فى باسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم فى مثله ولا يدغم فى المقارب وهى خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والصاد والفاء والظاء والشين والزاى والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهى الثلاثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون لما فى الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التى لاتدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهى الميم والزاى والسين والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذاقية التى يعتمد عليها بذلق اللسان وهى ستة يجمعها رب منفل والحلقية التى هى الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع فى الكلام ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد لاتتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التى تجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التى اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلاث مفردات فى ثلاث سور لانها توجد فى الاقسام الثلاثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنيات لانها تكون فى الحرف بلا حذف كبل وفى الفعل بحذف كقل وفى الاسم بغير حذف كمن وبه كدم فى تسع سور لوقوعها فى كل واحد من الاقسام الثلاثة على ثلاثة اوجه ففى الاسماء من واذ وذو وفى الافعال قل وبع وخف وفى الحروف ان ومن ومذ على لغة من جربها وثلاث ثلاثيات لمجيئها فى الاقسام الثلاثة فى ثلاث عشرة سورة تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة ثلاثة عشر عشرة منها للاسماء وثلاثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل منهما اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها فى اول القرأن لهذه الفائدة مع مافيه من اعادة التحدى وتكرير التنبيه والمبالغة والمعنى ان هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا وقيل هى اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله تعالى

عليهم الملائكة فطردوهم الى الجزائر والجبال (ونحن نسبح) متلبسين (بحمدك) أى نقول سبحان الله وبحمده (ونقدس لك) ننزهك عما لايليق بك فاللام زائدة والجملة حال أى فنحن أحق بالاستخلاف (قال) تعالى (انى أعلم مالاتعلمون) من المصلحة فى استخلاف آدم وأن ذريته فيهم المطيع والعاصى فيظهر العدل بينهم فقالوا لن يخلق ربنا خلقا أكرم عليه مناولا أعلم لسبقناله ورؤيتنا مالم يره فخلق تعالى آدم من أديم الارض أى وجهها بأن قبض منها قبضة من جميع ألوانها وعجنت بالمياه المختلفة وسواه ونفخ فيه الروح فصار حيوانا حساسا بعد أن كان جمادا (وعلم آدم الاسماء) أى أسماء المسميات (كلها) حتى القصعة والقصيعة والفسوة والفسية والمغرفة بأن ألقى فى قلبه علمها (ثم عرضهم) أى المسميات وفيه تغليب العقلاء (على الملائكة فقال) لهم تبكيتا (أنبئونى) أخبرونى (بأسماء هولاء) المسميات (ان كنتم صادقين) فى أنى

لا أخلق أعلم منكم أو أنكم أحق بالخلافة وجواب الشرط دل عليه ماقبله (قالوا سبحانك) تنزيها لك عن الاعتراض عليك (لا علم لنا الا ما علمتنا) اياه (انك أنت) تأكيد للكاف (العليم الحكيم) الذى لا يخرج شئ عن علمه وحكمته (قال) تعالى (يا آدم أنبئهم) أى الملائكة (بأسمائهم) أى المسميات فسمى كل شئ باسمه وذكر حكمته التى خلق لها (فلما أنبأهم بأسمائهم قال) تعالى لهم موبخا (ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض) ما غاب فيهما (وأعلم ما تبدون) تظهرون من قولكم أتجعل فيها الخ (وما كنتم تكتمون) تسرون من قولكم لن يخلق اكرم عليه منا ولا اعلم (و) اذكر (اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود تحية بالانحناء (فسجدوا الا ابليس) هو أبو الجن كان بين الملائكة (أبى) امتنع من السجود (واستكبر) عنه وقال أنا خير منه (وكان من الكافرين) فى علم الله (وقلنا يا آدم اسكن أنت) تأكيد للضمير المستتر ليعطف عليه (وزوجك) حواء بالمد وكان

لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بانها لولم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجى مع العربى ولم يكن القرآن باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدى به وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التى هى مستهلها على انها القابها اوغير ذلك والثانى باطل لانه اما ان يكون المراد ماوضعت له فى لغة العرب وظاهر انه ليس كذلك اوغيره وهو باطل لان القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى * بلسان عربى مبين * فلا يحمل على ماليس فى لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان تكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستئناف آخر كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات هى منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر فى قوله * قلت لها قفى فقالت لى قاف * كما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك فى سائر الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اى القرآن منزل من الله بلسان جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام اوالى مدد اقوام وآجال بحساب الجمل كما قاله ابو العالية متمسكا بما روى انه عليه الصلاة والسلام لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل فى دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندرى بايها نأخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب يلحقها بالمعربات كالمشكاة والسجيل والقسطاس اودالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله تعالى ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ماليس فى لغة العرب لان التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستكره عندهم ويؤدى الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعى تأخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم يتأخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستئناف تلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضى ذلك ان لا يكون لها معنى فى حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة فى لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على

ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادى الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة
الاترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لاتفسير وتخصيص بهذه
المعانى دون غيرها اذلامخصص لفظا ومعنى ولالحساب الجمل فتلحق بالمعربات
والحديث لادليل فيه لجواز انه عليه السلام تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها
مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء لادليل عليها
والتسمية بثلاثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة
بعلبك فامااذانثرت نثراسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية
بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة
والاسم جزؤها فلااتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما
فلادور لاختلاف الجهتين والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق للطائف
التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك فى الاعلام من واضع واحد
فانه يعود بالنقض على ماهو مقصود بالعلمية وقيل انها اسماء القرآن ولذلك اخبر
عنها بالكتاب والقرآن وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا كرم الله
وجهه كان يقول ياكهيعص ياحمعسق ولعله اراد يامنزلهما وقيل الالف
من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو اوسطها
والميم من الشفة وهو آخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغى ان يكون اول كلامه
واوسطه وآخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر استأثر الله بعلمه وقد روى عن
الخلفاء الاربعة وعن غيرهم من الصحابة مايقرب منه ولعلهم ارادوا انها
اسرار بين الله تعالى ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد
الخطاب بمالا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القرآن او السور كان لها
حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل
القسم على طريقة الله لافعلن بالنصب اوغيره كاذكر او الجر على اضمار حرف
القسم ويتأتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد
كحم فانها كهابيل والحكاية ليست الافيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره
مفصلا ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف
من هذه الحروف كان فى حيز الرفع بالابتداء او الخبر على مامر وان جعلتها
مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين فى الله لافعلن
وتكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا
منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتدأة

خلقها من ضلعه الايسر
(الجنة وكلا منها) أكلا
(رغدا) واسعا لاحجر فيه
(حيث شئتما ولاتقربا هذه
الشجرة)بالاكل منها وهى
الحنطة أو الكرم أو غيرهما
(فتكونا) فتصيرا (من
الظالمين)العاصين (فأزلهما
الشيطان) ابليس أذهبهما
وفى قراءة فأزالهما نحاهما(عنها)
أى الجنة بأن قال لهما هل
أدلكما على شجرة الخلد
وقاسمهما بالله انه لهما لمن
الناصحين فأكلامنها
(فأخرجهما مما كانا فيه)من النعيم
(وقلنا اهبطوا)الى الارض
أى أنتما بما اشتملتما عليه من
ذريتكما (بعضكم)بعض
الذرية (لبعض عدو) من
ظلم بعضهم بعضا (ولكم فى
الارض مستقر)موضع قرار
(ومتاع)ماتتمتعون به من نباتها
(الى حين) وقت انقضاء
آجالكم (فتلقى آدم من ربه
كلمات) ألهمه اياها وفى قراءة
بنصب آدم ورفع كلمات أى
جاءه وهى ربنا ظلمنا أنفسنا
الآيه فدعا بها (فتاب عليه
قبل توبته (انه هو التواب)
على عباده (الرحيم) بهم

والمفردات المعدودة وبوقف عليها وقف التمام اذاقدرت بحيث لاتحتاج
الى ما بعدها وليس شئ منها آية عند غير الكوفيين واماعندهم فالم
فى مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم وطس ويس وحم آية وحمعسق
آيتان والبواقى ليست بآيات وهذاتوقيف لامجال للقياس فيه (ذلك الكتاب)
ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحرف اوفسر بالسورة اوالقرآن
فانه لما تكلم به وتقضى اووصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا شير
اليه بمايشار به الى البعيد وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه
خبره اوصفته الذى هو هو اوالى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب
الموعود انزاله بنحو قوله تعالى * انا سنلقى عليك قولا ثقيلا * اوفى الكتب
المتقدمة وهو مصدر سمى به المفعول للمبالغة وقيل فعال بنى للمفعول كاللباس
ثم عبر به عن المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع
ومنه الكتيبة (لاريب فيه) معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث
لايرتاب العاقل بعد النظر الصحيح فى كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لاان
احدا لايرتاب فيه الاترى الى قوله تعالى * وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا *
الآية فانه ماابعد الريب عنهم بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا
فى معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها
تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولامدخل للريبة وقيل معناه لاريب
فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع
صفة للمنفى والريب فى الاصل مصدر رابنى الشئ اذا حصل فيك الريبة
وهى قلق النفس واضطرابها سمى به الشك لانه يقلق النفس ويزيل
الطمأنينة وفى الحديث * دع ما يريبك الى مالايريبك * فان الشك ريبة
والصدق طمأنينة ومنه ريب الزمان لنوائبه (هدى للمتقين) يهديهم
الى الحق والهدى فى الاصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة وقيل
الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة فى قوله تعالى * انك لعلى
هدى اوفى ضلال مبين * ولانه لايقال مهدى الالمن اهتدى الى المطلوب
واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصبه وان كانت دلالته عامة
لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال تعالى * هدى للناس اولانه
لاينتفع بالتأمل فيه الا من صقل العقل واستعمله فى تدبر الآيات والدلائل والنظر
فى المعجزات وتعرف النبوات لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لايجلب نفعا

(قلنا اهبطوا منها) من الجنة
(جميعا) كرره ليعطف عليه
(فاما) فيه ادغام نون ان
الشرطية فى ما الزائدة (يأتينكم
منى هدى) كتاب ورسول
(فمن تبع هداى) فآمن بى
وعمل بطاعتى (فلاخوف
عليهم ولاهم يحزنون) فى
الآخرة بأن يدخلوا الجنة
(والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا) كتبنا (أولئك أصحاب
النار هم فيها خالدون)
ماكثون أبدا لايفنون
ولايخرجون (يابنى اسرائيل)
أولاد يعقوب (اذكروا نعمتى
التى أنعمت عليكم) أى على
آبائكم من الانجاء من فرعون
وفلق البحر وتظليل الغمام
وغير ذلك بأن تشكروها
بطاعتى (وأوفوا بعهدى)
الذى عهدته اليكم من الايمان
بمحمد (أوف بعهدكم) الذى
عهدت اليكم من الثواب عليه
بدخول الجنة (واياى فارهبون)
خافون فى ترك الوفاء به دون
غيرى (وآمنوا بما أنزلت)
من القران (مصدقا لما معكم)
من التوراة بموافقته له فى
التوحيد والنبوة (ولاتكونوا
أول كافر به) من أهل الكتاب

مالم تكن الصحة حاصلة وعلى هذا قوله تعالى *وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الاخسارا *ولا يقدح مافيه من المجمل والمتشابه فى كونه هدى لمالم ينفك عن بيان تعيين المراد منه والمتقى اسم فاعل من قولهم وقاه والوقاية فرط الصيانة وهو فى عرف الشرع اسم لمن يقى نفسه مما يضره فى الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقى من العذاب المخلد بالتبرى من الشرك وعليه قوله تعالى *والزمهم كلمة التقوى* والثانية التجنب عن كل مايؤثم من فعل اوترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى فى الشرع والمعنى بقوله تعالى *ولوان اهل القرى آمنوا واتقوا* والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقى المطلوب بقوله *اتقوا الله حق تقاته *وقد فسر قوله هدى للمتقين ههنا على الاوجه الثلاثة واعلم ان الآية تحتمل اوجها من الاعراب ان يكون المبتدأ على انه اسم القرآن اوالسورة اومقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لايحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل فى تأليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف وذلك خبرا ثانيا اوبدلا والكتاب صفته وريب فى المشهورة مبنى لتضمنه معنى من منصوب المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها وفى قرآءة ابى شعثاء مرفوع بلا التى بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم فى قوله تعالى *لافيها غول* لانه لم يقصد تخصيص نفى الريب به من بين سائر الكتب كما قصد ثمه اوصفة وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال اوالخبر محذوف كما فى لاضير ولذلك وقف على ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لاريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدأ والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذى يستأهل ان يسمى كتابا اوصفة ومابعده خبره والجملة خبر الم اويكون الم خبر مبتدأ محذوف والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس مايركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدى ولاريب فيه جملة ثالثة تشهد على كماله بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال

لان خلفكم تبع لكم فاثمهم عليكم (ولا تشتروا) تستبدلوا (بآياتى) التى فى كتابكم من نعت محمد (ثمنا قليلا) عوضا يسيرا من الدنيا أى لاتكتموها خوف فوات ماتأخذونه من سفلتكم (واياى فاتقون) خافون فى ذلك دون غيرى (ولا تلبسوا) تخلطوا (الحق) الذى أنزل عليكم (بالباطل) الذى تفترونه (و) لا (تكتموا الحق) نعت محمد (وأنتم تعلمون) أنه حق (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) صلوا مع المصلين محمد وأصحابه * ونزل فى علمائهم وكانوا يقولون لاقربائهم المسلمين اثبتوا على دين محمد فانه حق (أتأمرون الناس بالبر) بالايمان بمحمد (وتنسون) انفسكم) تتركونها فلا تأمرونها به (وانتم تتلون الكتاب) التوراة وفيها الوعيد على مخالفة القول العمل (أفلا تعقلون) سوء فعلكم فترجعون فجملة النسيان محل الاستفهام الانكارى (واستعينوا) اطلبوا المعونة على أموركم (بالصبر) الحبس للنفس على ماتكره

ثم سجل على كماله بنفي الريب عنه اذ لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له مبتدأ جملة رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله بانه هدى للمتقين اوتستتبع كل واحدة منها ماتليها استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك اوالشبهة وما كان كذلك كان محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تأخير الظرف حذرا من ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجاز اوتفخيما لشأنه (الذين يؤمنون بالغيب) اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك مالا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل اوموضحة ان فسر بما يعم فعل الحسنات وترك السيئات لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلاة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الاترى الى قوله تعالى * ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر * وقوله عليه الصلاة والسلام * الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الاسلام * اومادحة بما تضمنه المتقون وتخصيص الايمان بالغيب واقامة الصلاة وايتاء الزكاة بالذكر اظهار لفضلها على سائر مايدخل تحت التقوى اوعلى انه مدح منصوب اومرفوع بتقدير اعني اوهم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة عبارة عن التصديق مأخوذ من الامن كان المصدق آمن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق بالشئ صار ذا امن منه ومنه ما آمنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء اومجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين

(والصلاة) أفردها بالذكر تعظيما لشأنها وفي الحديث كان صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر بادر الى الصلاة وقيل الخطاب لليهود لما عاقهم عن الايمان الشره وحب الرياسة فأمروا بالصبر وهو الصوم لانه يكسر الشهوة والصلاة لانها تورث الخشوع وتنفي الكبر (وانها) أي الصلاة (لكبيرة) ثقيلة (الا على الخاشعين) الساكنين الى الطاعة (الذين يظنون) يوقنون (أنهم ملاقو ربهم) بالبعث (وأنهم اليه راجعون) في الآخرة فيجازيهم (يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) بالشكر عليها بطاعتي (وأني فضلتكم) اي آباءكم (على العالمين) عالمي زمانهم (واتقوا) خافوا (يوما لاتجزى) فيه (نفس عن نفس شيئا) هو يوم القيامة (ولا تقبل) بالتاء والياء (منها شفاعة) اي ليس لها شفاعة فتقبل فما لنا من شافعين (ولا يؤخذ منها عدل) فداء (ولاهم ينصرون) يمنعون من عذاب الله (و) اذكروا (اذ نجيناكم) أي آباءكم والخطاب به وبما

والمعتزلة والخوارج فمن أخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن أخل بالاقرار فكافر ومن أخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل فى الكفر عند المعتزلة والذى يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه وتعالى اضاف الايمان الى القلب فقال * اولئك كتب فى قلوبهم الايمان * وقلبه مطمئن بالايمان * ولم تؤمن قلوبهم * ولما يدخل الايمان فى قلوبكم * وعطف عليه العمل الصالح فى مواضع لاتحصى وقرنه بالمعاصى فقال تعالى * وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا * ياايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى * الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم * مع مافيه من قلة التغيير لانه اقرب الى الاصل وهو متعين الارادة فى الآية اذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف فى ان مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف لانه المقصود ام لابد من اقتران الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثانى لانه تعالى ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لالعدم الاقرار للمتمكن منه والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة فى قوله تعالى * عالم الغيب والشهادة * والعرب تسمى المطمأن من الارض والخمصة التى تلى الكلية غيبا اوفيعل خفف كقيل والمراد به الخفى الذى لايدركه الحس ولايقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لادليل عليه وهو المعنى بقوله تعالى * وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الاهو * وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله وهو المراد به فى هذه الآية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين * اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن * اوعن المؤمن به لماروى ان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال والذى لااله غيره ماآمن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثانى للمصاحبة وعلى الثالث للآلة (ويقيمون الصلوة) اى يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ فى افعالها من اقام العود اذا قومه اويواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال

بعده للموجودين فى زمن نبينا أنعم على آبائهم تذكيرا لهم بنعمة الله تعالى ليؤمنوا (من آل فرعون يسومونكم) يذيقونكم (سوء العذاب) أشده والجملة حال من ضمير نجيناكم (يذبحون) بيان لما قبله (أبناءكم) المولودين (ويستحيون) يستبقون (نساءكم) لقول بعض الكهنة له ان مولودا يولد فى بنى اسرائيل يكون سببا لذهاب ملكك (وفى ذلكم) العذاب أو الانجاء (بلاء) ابتلاء أو انعام (من ربكم عظيم و) اذكروا (اذ فرقنا) فلقنا (بكم) بسببكم (البحر) حتى دخلتموه هاربين من عدوكم (فانجيناكم) من الغرق (واغرقنا آل فرعون) قومه معه (وأنتم تنظرون) الى انطباق البحر عليهم (واذ واعدنا) بألف ودونها (موسى أربعين ليلة) نعطيه عند انقضائها التوراة لتعملوا بها (ثم اتخذتم العجل) الذى صاغه لكم السامرى الها (من بعده) أى بعد ذهابه الى ميعادنا (وأنتم ظالمون)

شعر (اقامت غزالة سوق الضراب * لاهل العراقين حولا قميطا) فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذى يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه اويتشمرون لاد ائها من غير فتور ولاتو ان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد اويؤدونها عبر عن الاداء بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لاالمصلون * الذين هم عن صلاتهم ساهون * ولذلك ذكر فى سياق المدح والمقيمون الصلاة وفى معرض الذم * فويل للمصلين * والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمى الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلى يفعله فى ركوعه وسجود واشتهار هذا اللفظ فى المعنى الثانى مع عدم اشتهاره فى الاول لايقدح فى نقله عنه وانما سمى الداعى مصليا تشبيها له فى تخشعه بالراكع والساجد (ومما رزقناهم ينفقون) الرزق فى اللغة الحظ قال تعالى * وتجعلون رزقكم انكم تكذبون * والعرف خصصه بتخصيص الشئ بالحيوان للانتفاع به وتمكينه منه والمعتزلة لما استحالوا على الله تعالى ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس برزق الاترى انه تعالى اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال الطلق فان انفاق الحرام لايوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض مارزقهم الله تعالى بقوله * قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا * واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم مالم يحرم واختصاص مارزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث عمرو بن قرة * لقد رزقك الله طيبا فاخترت ماحرم الله عليه من رزقه مكان مااحل الله لك من حلاله * وبانه لولم يكن رزقا لم يكن المتغذى به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى * ومامن دابة فى الارض الاعلى الله رزقها وانفق الشئ وانفده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كل مافاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من انفاق

باتخاذه لوضعكم العبادة فى غير محلها (ثم عفونا عنكم) محونا ذنوبكم (من بعد ذلك) الاتخاذ (لعلكم تشكرون) نعمتنا عليكم (واذ آتينا موسى الكتاب) التوراة (والفرقان) عطف تفسير أى الفارق بين الحق والباطل والحلال والحرام (لعلكم تهتدون) به من الضلال (واذقال موسى لقومه) الذين عبدوا العجل (ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) الها (فتوبوا الى بارئكم) خالقكم من عبادته (فاقتلوا أنفسكم) أى ليقتل البرئ منكم المجرم (ذلكم) القتل (خير لكم عند بارئكم) فوفقكم لفعل ذلك وأرسل عليكم سحابة سوداء لئلا يبصر بعضكم بعضا فيرحمه حتى قتل منكم نحو سبعين ألفا (فتاب عليكم) قبل توبتكم (انه هو التواب الرحيم واذ قلتم) وقد خرجتم مع موسى لتعتذروا الى الله من عبادة العجل وسمعتم كلامه (ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله

مارزقهم الله صرف المال فى سبيل الخير من الفرض والنفل ومن فسره بالزكاة ذكر افضل انواعه والاصل فيه اوخصصه بها لاقترانه بماهو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به وللمحافظة على رؤس الآى وادخال من التبعضية عليه لمنع المكلف عن الاسراف المنهى عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التى آتاهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام * ان علما لايقال به ككنز لاينفق منه * واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون (والذين يؤمنون بما انزل اليك وماانزل من قبلك) هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبدالله بن سلام رضى الله تعالى عنه واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم فى جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين آمنوا عن شرك وانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما اوعلى المتقين وكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من اهل الملل ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط فى قوله « الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم » وقوله « يالهف زيابة للحارث * الصابح فالغانم فالآيب » على معنى انهم الجامعون بين الايمان بمايدركه العقل جملة والاتيان بمايصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بمالاطريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين اوطائفة منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشأنهم وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشئ من الاعلى الى الاسفل وهو انما يلحق المعانى بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا اويحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به فيبلغه الى الرسول والمراد بما انزل اليك القرآن باسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ الماضى وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على مالم يوجد وتنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى * اناسمعنا كتابا انزل من بعد موسى * فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلا حينئذ وبما انزل من قبلك التوراة والانجيل وسائر الكتب السابقة والايمان بهما جملة فرض عين وبالاول دون الثانى تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه

جهرة) عيانا (فأخذتكم الصاعقة) الصيحة فمتم (وأنتم تنظرون) ماحل بكم (ثم بعثناكم) أحييناكم (من بعد موتكم لعلكم تشكرون) نعمتنا بذلك (وظللنا عليكم الغمام) سترناكم بالسحاب الرقيق من حر الشمس فى التيه (وأنزلنا عليكم) فيه (المن والسلوى) هما الترنجبين والطير السمانى بتخفيف الميم والقصر وقلنا (كلوا من طيبات مارزقناكم) ولاتدخروا فكفروا النعمة وادخروا فقطع عنهم (وما ظلمونا) بذلك (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) لان وباله عليهم (واذقلنا) لهم بعد خروجهم من التيه (ادخلوا هذه القرية) بيت المقدس أوأريحا (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) واسعا لا حجر فيه (وادخلوا الباب) أى بابها (سجدا) منحنين (وقولوا) مسئلتنا (حطة) أى أن تحط عنا خطايانا (نغفر) وفى قراءة بالياء والتاء مبنيا للمفعول فيهما (لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين) بالطاعة ثوابا (فبدل الذين ظلموا)

علی كل احد یوجب الحرج وفساد المعاش (وبالاخرة هم یوقنون) ای یوقنون ایقانا زال معه ما كانوا علیه من ان الجنة لاید خلها الامن كان هودا اونصاری وان النار لن تمسهم الاياما معدودة * واختلافهم فی نعیم الجنة أهو من جنس نعیم الدنیا اوغیره وفی دوامه وانقطاعه وفی تقدیم الصلة وبناء یوقنون علی هم تعریض لمن عداهم من اهل الكتاب وبان اعتقادهم فی امر الآخرة غیر مطابق ولاصادر عن ایقان والیقین اتقان العلم بنفی الشك والشبهة عنه بالاستدلال ولذلك لایوصف به علم الباری تعالی ولاالعلوم الضروریة والآخرة تأنیث الآخر صفة الدار بدلیل قوله تعالی * تلك الدار الآخرة * فغلبت كالدنیا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها علی اللام وقرئ یوقنون بقلب الواو همزة لضم ماقبلها اجراء لها مجری المضمومة فی وجوه ووقتت ونظیره « لحب المؤقدان الی مؤسی * وجعدة اذ اضاء هما الوقود (اولئك علی هدی من ربهم) الجملة فی محل الرفع ان جعل احد الموصولین مفصولا عن المتقین خبرله فكأنه لما قیل هدی للمتقین قیل مابالهم خصوا بذلك فاجیب بقوله الذین یؤمنون الی آخر الآیات والافاستئناف لامحل لها فكأنه نتیجة الاحكام والصفات المتقدمة اوجواب سائل قال ماللموصوفین بهذه الصفات اختصوا بالهدی ونظیره احسنت الی زید صدیقك القدیم حقیق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهوابلغ من ان یستأنف باعادة اسم وحده لمافیه من بیان المقتضی وتلخیصه فان ترتیب الحكم علی الوصف ایذان بانه الموجب له ومعنی الاستعلاء فی علی هدی تمثیل تمكنهم من الهدی واستقرارهم علیه بحال من اعتلی الشیء وركبه وقد صرحوا به فی قولهم « امتطی الجهل وغوی * واقتعد غارب الهوی » وذلك انما یحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فیمانصب من الحجج والمواظبة علی محاسبة النفس فی العمل ونكر هدی للتعظیم فكأنه ارید به ضرب لایبلغ كنهه ولایقادر قدره ونظیره قول الهذلی

« فلا وابی الطیر المربة بالضحی * علی خالد لقد وقعت علی لحم »

وأكد تعظیمه بان الله تعالی مانحه والموفق له وقد ادغمت النون فی الراء بغنة وبغیرغنة (واولئك هم المفلحون) كرر فیه اسم الاشارة تنبیها علی ان اتصافهم بتلك الصفات یقتضی كل واحدة من الاثرتین وان كلا منهما

منهم (قولا غیر الذی قیل لهم) فقالوا حبة فی شعرة ودخلوا یزحفون علی أستاههم (فأنزلنا علی الذین ظلموا) فیه وضع الظاهر موضع المضمر مبالغة فی تقبیح شأنهم (رجزا) عذابا طاعونا (من السماء بما كانوا یفسقون) بسبب فسقهم أی خروجهم عن الطاعة فهلك منهم فی ساعة سبعون ألفا أوأقل (و) اذكر (اذ استسقی موسی) أی طلب السقیا (لقومه) وقد عطشوا فی التیه (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) وهو الذی فرلثوبه خفیف مربع كرأس الرجل رخام أو كذان فضربه (فانفجرت) انشقت وسالت (منه اثنتا عشرة عینا) بعدد الاسباط (قد علم كل أناس) سبط منهم (مشربهم) موضع شربهم فلایشركهم فیه غیرهم وقلنا لهم (كلوا واشربوا من رزق الله ولاتعثوا فی الارض مفسدین) حال مؤكدة لعاملها من عثی بكسر المثلثة أفسد (واذ قلتم یاموسی لن نصبر علی طعام) أی نوع منه (واحد) وهو المن والسلوی

كاف فى تميزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين
ههنا بخلاف قوله * اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون *
فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شئ واحد فكانت الجملة الثانية مقررة
للاولى فلا تناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة
ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه اومبتدأ والمفلحون
خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كأنه
الذى انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب ومايشاركه فى الفاء والعين
نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة
على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون فى الآخرة او الاشارة
الى مايعرفه كل واحد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم (تنبيه) تأمل كيف
نبه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بنيل مالاينا له احد من وجوه شتى بناء
الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط
الفصل لاظهار قدرهم والترغيب فى اقتفاء اثرهم وقد تشبث به الوعيدية
فى خلود الفساق من اهل القبلة فى العذاب ورد بان بالمفلحين الكاملون فى الفلاح
ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لاعدم الفلاح له رأسا (ان الذين
كفروا) لما ذكر خاصة عباده وخلاصة اوليائه بصفاتهم التى اهلتهم للهدى
والفلاح عقبهم باضدادهم العتاة المردة الذين لاينفع فيهم الهدى ولاتغنى
عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف فى قوله
تعالى * ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم * لتباينهما فى الغرض فان
الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شأنه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم
وانهماكهم فى الضلال وان من الحروف التى تشابهت الفعل فى عدد الحروف
والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدى خاصة فى دخولها
على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعى وهو نصب الجزء الاول ورفع الثانى
ايذانا بانه فرع فى العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان
مرفوعا بالخبرية وهى بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه
الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها
فى خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها تأكيد النسبة
وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة وتذكر فى معرض

(فادع لنا ربك يخرج لنا)
شيئا (مما تنبت الارض من)
للبيان (بقلها وقثائها
وفومها) حنطتها (وعدسها
وبصلها قال) لهم موسى
(أتستبدلون الذى هو
أدنى) اخس (بالذى هو
خير اهبطوا) انزلوا
(مصرا) من الامصار
(فان لكم) فيه (ماسألتم)
من النبات (وضربت)
جعلت (عليهم الذلة) الذل
والهوان (والمسكنة) أى
اثر الفقر من السكون
والخزى فهى لازمة لهم
وان كانوا أغنياء لزوم
الدرهم المضروب لسكته
(وباؤا) رجعوا (بغضب
من الله ذلك) أى الضرب
والغضب (بأنهم) أى
بسبب أنهم (كانوا يكفرون
بآيات الله ويقتلون النبيين)
كزكريا ويحيى (بغير الحق)
أى ظلما (ذلك بما عصوا
وكانوا يعتدون) يتجاوزون
الحد فى المعاصى وكرره
للتأكيد (ان الذين آمنوا)
بالانبياء من قبل (والذين
هادوا) هم اليهود

الشك مثل قوله تعالى * ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكناله فى الارض * وقال موسى يافرعون انى رسول من رب العالمين * قال المبرد قولك عبدالله قائم اخبار عن قيامه وان عبدالله قائم جواب سائل عن قيامه وان عبدالله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول امالعهد والمراد به ناس باعيانهم كابى لهب وابى جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود اوللجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما اسند اليه والكفر لغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفى الشرع انكار ماعلم بالضرورة مجيئ الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول صلى الله عليه وسلم لايجترئ عليها ظاهرا لالانها كفر فى انفسها واحتجت المعتزلة بما جاء فى القرآن بلفظ الماضى على حدوثه لاستدعائه سابقة المخبر عنه واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لايستلزم حدوث الكلام كما فى العلم (سواء عليهم انذرتهم ام تنذرهم) خبران وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى * تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم * رفع بانه خبر ان ومابعده مرتفع به على الفاعلية كأنه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه اوبانه خبر لمابعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ماوضع له امالو اطلق واريد به اللفظ اومطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم فى الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى * واذا قيل لهم آمنوا * وقوله * يوم لاينفع الصادقين صدقهم * وقولهم * (تسمع بالمعيدى خير من ان تراه) وانما عدل ههنا عن المصدر الى الفعل لمافيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتأكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص فى قولهم اللهم اغفرلنا ايتها العصابة والانذار التخويف اريد به التخويف من عذاب الله وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه اوقع فى القلب واشد تأثيرا فى النفس من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحركة لاتقلب ولانه يؤدى الى جمع

(والنصارى والصابئين) طائفة من اليهود أو النصارى (من آمن) منهم (بالله واليوم الآخر) فى زمن نبينا (وعمل صالحا) بشريعته (فلهم أجرهم) أى ثواب أعمالهم (عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) روعى فى ضمير آمن وعمل لفظ من وفيما بعده معناها (و) اذكر (اذ أخذنا ميثاقكم) عهدكم بالعمل بما فى التوراة (و) قد (رفعنا فوقكم الطور) الجبل اقتلعناه من أصله عليكم لما أبيتم قبولها وقلنا (خذوا ما آتيناكم بقوة) بجد واجتهاد (واذكروا مافيه) بالعمل به (لعلكم تتقون) النار أو المعاصى (ثم توليتم) أعرضتم (من بعد ذلك) الميثاق عن الطاعة (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) لكم بالتوبة أو تأخير العذاب (لكنتم من الخاسرين) الهالكين (ولقد) لام قسم (علمتم) عرفتم (الذين اعتدوا) تجاوزوا الحد (منكم

الساكنين على غير حده و بتوسيط الف بينهما محققتين و بتوسيطها
والثانية بين بين و بحذف الاستفهامية و بحذفها والقاء حركتها
على الساكن قبلها (لايؤمنون) جملة مفسرة لاجمال ماقبلها فيما فيه
الاستواء فلامحل لها اوحال مؤكدة او بدل منه اوخبر ان والجملة قبلها
اعتراض بماهو علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف مالايطاق
فانه سبحانه وتعالى اخبر عنهم بانهم لايؤمنون وامرهم بالايمان فلوآمنوا
انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لايؤمنون فيجتمع الضدان
والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لاتستدعى
غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشئ اوعدمه
لاينفى القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وفائدة
الانذار بعد العلم بانه لاينجع الزام الحجة وحيازة الرسو فضل الابلاغ ولذلك
قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنا سواء عليكم
أدعوتموهم امانتم صامتون وفى الآية اخبار بالغيب على ماهو به ان ازيد
بالموصول اشخاص باعيانهم فهى من المعجزات (ختم الله على قلوبهم
وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة) تعليل للحكم السابق و بيان مايقتضيه
والختم الكتم سمى به الاستيثاق من الشئ بضرب الخاتم عليه لانه كتم له
والبلوغ آخره نظرا الى انه آخر فعل يفعل فى احرازه والغشاوة فعالة
من غشاه اذا غطاه بنيت لمايشتمل على الشئ كالعصابة والعمامة ولاختم
ولاتغشية على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث فى نفوسهم هيئة تمرنهم
على استحباب الكفر والمعاصى واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم
وانهماكهم فى التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث
لاينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كأنها مستوثق منها
بالختم وابصارهم لاتجتلى الآيات المنصوبة لهم فى الانفس والآفاق
كما تجتليها اعين المستبصرين فتصير كأنها غطى عليها وحيل بينها وبين
الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية اومثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة
بها باشياء ضرب حجاب بينها و بين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن
احداث هذه الهيئة بالطبع فى قوله تعالى * اولئك الذين طبع الله على قلوبهم
وسمعهم وابصارهم * وبالاغفال فى قوله تعالى * ولاتطع من اغفلنا قلبه
عن ذكرنا * وبالاقساء فى قوله تعالى * وجعلنا قلوبهم قاسية * وهى من حيث

فى السبت) بصيد السمك وقد
نهيناهم عنه وهم أهل ايلة
(فقلنا لهم كونوا قردة
خاسئين) مبعدين فكانوها
وهلكوا بعد ثلاثة أيام
(فجعلناها) أى تلك
العقوبة (نكالا) عبرة مانعة
من ارتكاب مثل ماعملوا
(لمابين يديها وماخلفها)
أى للامم التى فى زمانها
و بعدها (وموعظة للمتقين)
الله وخصوا بالذكر
لانهم المنتفعون بها بخلاف
غيرهم (و) اذكر (اذقال
موسى لقومه) وقدقتل لهم
قتيل لايدرى قاتله وسألوه
أن يدعو الله أن يبينه لهم
فدعاه (ان الله يأمركم
أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا
هزوا) مهزوأبنا حيث
تجيبنا بمثل ذلك (قال أعوذ)
امتنع (بالله) من (ان
اكون من الجاهلين)
المستهزئين فلما علموا انه عزم
(قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
ماهى) اى ماسنها (قال)
موسى (انه) اى الله (يقول
انها بقرة لافارض) مسنة
(ولابكر) صغيرة (عوان)
نصف (بين ذلك) المذكور

ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه
ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تعالى * بل طبع الله عليها
بكفرهم * وقوله تعالى * ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم * ووردت
الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة
فيه فذكروا وجوها من التأويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق
وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي
المجبول عليه الثاني ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي
خلقها الله تعالى خالية عن الفطن او قلوب مقدرة ختم الله عليها ونظيره
سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان
ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره
عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم
لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم
سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه
بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تمادي امرهم في الغي وتناهي
انهماكهم في الضلال والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة
يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى * لم يكن الذين كفروا * الآية
السادس ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه
ويشهد له قوله تعالى * ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما
وصما * السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة
فيبغضونهم وينفرون منهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما
يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على
قلوبهم لقوله تعالى * وختم على سمعه وقلبه * وللوفاق على الوقف عليه ولانهما
لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما
الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة
جعل المانع لها من فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون
ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد
السمع للامن من اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر
لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع

من السنين (فافعلوا ما تؤمرون)
به من ذبحها (قالوا ادع
لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه
يقول انها بقرة صفراء فاقع
لونها) شديد الصفرة (تسر
الناظرين) اليها بحسنها أي
تعجبهم (قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما هي) أسائمة ام
عاملة (ان البقر) أي جنسه
المنعوت بما ذكر (تشابه علينا)
لكثرته فلم نهتد الى المقصودة
(وانا ان شاء الله لمهتدون)
اليها في الحديث لو لم يستثنوا
لما بينت لهم آخر الابد (قال
انه يقول انها بقرة لا ذلول)
غير مذللة بالعمل (تثير الارض)
تقلبها للزراعة والجملة صفة
ذلول داخلة في النفي (ولا تسقي
الحرث) الارض المهيأة
للزراعة (مسلمة) من العيوب
وآثار العمل (لا شية) لون
(فيها) غير لونها (قالوا الآن
جئت بالحق) نطقت بالبيان
التام فطلبوها فوجدوها
عند الفتى البار بأمه فاشتروها
بملء مسكها ذهبا (فذبحوها
وما كادوا يفعلون) لغلاء
ثمنها وفي الحديث لو ذبحوا
أي بقرة كانت لاجزأتهم

بصروهوادارك العين وقديطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما فى الآية العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ماهو محل العلم وقديطلق و يراد به العقل والمعرفة كما قال تعالى *ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب* وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لمافيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش و يؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة (ولهم عذاب عظيم) وعيد و بيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول عذب عن الشئ ونكل عنه اذا امسك ومنه العذب لانه يقمع العطش و يردعه ولذلك سمى نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اى عقابا يردع الجانى عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذى هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر مايجانسه قصر عنه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير فى الآية ان على ابصارهم نوع غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامى عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) لما افتتح سبحانه وتعالى بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله تعالى وواطأت فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفته رأسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول فى بيان خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بافعالهم وسجل على غيهم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم *ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار* وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس واناسى فحذفت

ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم (واذ قتلتم نفسا فادارأتم) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الدال أى تخاصمتم وتدافعتم (فيها والله مخرج) مظهر (ما كنتم تكتمون) من أمرها وهذا اعتراض وهو أول القصة (فقلنا اضربوه) أى القتيل (ببعضها) فضرب بلسانها أو عجب ذنبها فحيى وقال قتلنى فلان وفلان لابنى عمه ومات فحرما الميراث وقتلا قال تعالى (كذلك) الاحياء (يحيى الله الموتى و يريكم آياته) دلائل قدرته (لعلكم تعقلون) تدبرون فتعلمون أن القادر على احياء نفس واحدة قادر على احياء نفوس كثيرة فتؤمنون (ثم قست قلوبكم) أيها اليهود صلبت عن قبول الحق (من بعد ذلك) المذكور من احياء القتيل وماقبله من الآيات (فهى كالحجارة) فى القسوة (أو اشد قسوة) منها (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الشين (فيخرج

الهمزة حذفها فى لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لايكاد يجمع بينهما وقوله « ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا » شاذ وهو اسم جمع كرخال اذلم يثبت فعال فى ابنية الجمع مأخوذ من انس لانهم يستأنسون بامثالهم اوآنس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمى الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذلا عهد فكأنه قال ومن الناس ناس يقولون اوللعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة مراد بها ابن ابى واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا فى عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادات زادوها على الكفر لايأبى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تنوع بزيادات يختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون الآية تقسيما للقسم الثانى واختصاص الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لايدخلها غيرهم وان النار لاتمسهم الا اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم فى كفرهم لان ماقالوه لو صدر عنهم لاعلى وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفى تكرار الباء ادعاء ايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور فى النفس المعبر عنه باللفظ وللرأى والمذهب مجازا والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى مالاينتهى اوالى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة (وماهم بمؤمنين) انكار ماادعوه ونفى ماانتحلوا اثباته وكان اصله وماآمنوا ليطابق قولهم فى التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيدا اومبالغة فى التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفى الايمان عنهم فى ماضى الزمان ولذلك أكد النفى بالباء واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان فى شئ ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه جوابه والآية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية فى الثانى

منه الماء وان منها لما يهبط) ينزل من علو الى أسفل (من خشية الله) وقلوبكم لاتتأثر ولاتلين ولاتخشع (وماالله بغافل عما تعملون) وانما يؤخركم لوقتكم وفى قراءة بالتحتانية وفيه التفات عن الخطاب (أفتطمعون) أيها المؤمنون (أن يؤمنوا) أى اليهود (لكم وقد كان فريق) طائفة (منهم) أحبارهم (يسمعون كلام الله) فى التوراة (ثم يحرفونه) يغيرونه (من بعد ماعقلوه) فهموه (وهم يعلمون) أنهم مفترون والهمزة للانكار أى لاتطمعوا فلهم سابقة فى الكفر (واذا لقوا) أى منافقو اليهود (الذين آمنوا قالوا آمنا) بأن محمدا نبى وهو المبشر به فى كتابنا (واذا خلا) رجع (بعضهم الى بعض قالوا) أى رؤساؤهم الذين لم ينافقوا لمن نافق (أتحدثونهم) أى المؤمنين (بما فتح الله عليكم) أى عرفكم فى التوراة من نعت محمد (ليحاجوكم) ليخاصموكم واللام للصيرورة (به عند

فلا ينهض حجة عليهم (يخادعون الله والذين آمنوا) الخدع ان توهم غيرك خلاف ماتخفيه من المكروه لتزله عما هو فيه وعما هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى فى جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب آخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين فى العنق والمخادعة تكون من اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لايخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله من حيث انه خليفته كما قال * من يطع الرسول فقد اطاع الله * ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله * واما ان صورة صنيعهم مع الله تعالى من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم من اجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين امر الله فى اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقول او استئناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج فى زنة فاعلت للمبالغة فان الزنة لما كانت للمغالبة والفعل متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار استصحبت ذلك ويعضده قراءة من قرأ يخدعون وكأن غرضهم فى ذلك ان يدفعوا عن انفسهم مايطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم مايفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد (ومايخادعون الا انفسهم) قراءة نافع وابن كثير وابى عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم فى ذلك خدعوا انفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالامانى الفارغة وحملتهم على مخادعة من لايخفى عليه خافية وقرأ الباقون ومايخدعون لان المخادعة لاتتصور الا بين اثنين وقرئ ويخدعون من خدع ويخدعون بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشئ وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحى به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأى فى قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا تامر وتشير عليه والمراد

ربكم) فى الآخرة ويقيموا عليكم الحجة فى ترك اتباعه مع علمكم بصدقه (أفلا تعقلون) أنهم يحاجونكم اذا حدثتموهم فتنتهوا قال تعالى (أولا يعلمون) الاستفهام للتقرير والواو الداخل عليها للعطف (أن الله يعلم مايسرون ومايعلنون) مايخفون وما يظهرون من ذلك وغيره فيرعووا عن ذلك (ومنهم) أى اليهود (أميون) عوام (لايعلمون الكتاب) التوراة (الا) لكن (أمانى) أكاذيب تلقوها من روسائهم فاعتمدوها (وان) ما (هم) فى جحد نبوة النبى وغيره مما يختلقونه (الايظنون) ظنا ولاعلم لهم (فويل) شدة عذاب (للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) أى مختلقا من عندهم (ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا) من الدنيا وهم اليهود غيروا صفة النبى فى التوراة وآية الرجم وغيرهما وكتبوها على خلاف ماأنزل (فويل لهم مما كتبت أيديهم) من المختلق (وويل لهم مما يكسبون) من الرشا

الانفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وآرائهم (ومايشعرون) لايحسون بذلك لتمادى غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم فى الظهور كالمحسوس الذى لايخفى الا على مؤف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) المرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل فى افعاله ومجاز فى الاعراض النفسانية التى تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصى لانها مانعة من نيل الفضائل ومؤدية الى زوال الحياة الحقيقية الابدية والآية الكريمة تحتملهما فان قلوبهم كانت متألمة تحرقا على مافات عنهم من الرياسة وحسدا على مايرون من ثبات امر الرسول صلى الله عليه وسلم واستعلاء شانه يومافيوما وزاد الله غمهم بمازاد فى اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبى صلى الله عليه وسلم ونحوها فزادالله سبحانه وتعالى ذلك بالطبع اوبازدياد التكاليف وتكرير الوحى وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله واسنادها الى السورة فى قوله تعالى * فزادتهم رجسا * لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ماتداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله تعالى لهم بالملائكة وقذف الرعب فى قلوبهم وبزيادته تضعيفه بمازاد لرسول الله صلى الله عليه وسلم نصرة على الاعداء وتبسطا فى البلاد (ولهم عذاب اليم) اى مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله * تحية بينهم ضرب وجيع * على طريقة قولهم جدجده (بما كانوا يكذبون) قرأها عاصم وحمزة والكسائى والمعنى بسبب كذبهم او ببدله جزاء لهم وهو قولهم آمنا وقرأ الباقون يكذبون من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول عليه الصلاة والسلام بقلوبهم واذا خلوا الى شطار دينهم اومن كذب الذى هو للمبالغة اوللتكثير مثل بين الشئ وموتت البهائم اومن كذب الوحشى اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشئ على خلاف ماهو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه وماروى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما

(وقالوا) لما وعدهم النبى النار (لن تمسنا) تصيبنا (النار الا أياما معدودة) قليلة أربعين مدة عبادة آبائهم العجل ثم تزول (قل) لهم يامحمد (أتخذتم) حذفت منه همزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام (عند الله عهدا) ميثاقا منه بذلك (فلن يخلف الله عهده) به لا (أم) بل (تقولون على الله مالا تعلمون بلى) تمسكم وتخلدون فيها (من كسب سيئة) شركا (وأحاطت به خطيئته) بالافراد والجمع أى استولت عليه وأحدقت به من كل جانب بأن مات مشركا (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) روعى فيه معنى من (والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون و) اذكر (اذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل) فى التوراة وقلنا (لاتعبدون) بالتاء والياء (الا الله) خبر بمعنى النهى وقرئ لاتعبدوا (و) أحسنوا (بالوالدين احسانا) برا (وذى القربى) للقرابة

نسبة الكذب اليهم صورة ممن به (واذا قيل لهم لاتفسدوا فى الارض) عطف على يكذبون او يقول وماروى عن سلمان ان اهل هذه الآية لم يأتوا بعد فلعله اراد به ان اهلها ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لان الآية متصلة بما قبلها بالضمير الذى فيها والفساد خروج الشئ عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم فى الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالاة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدى الى فساد مافى الارض من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصى والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرائع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى او الرسول او بعض المؤمنين وقرأ الكسائى وهشام قيل باشمام الضم (قالوا انما نحن مصلحون) جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لايصح مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لان انما تفيد قصر مادخلت عليه على مابعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لمافى قلوبهم من المرض كما قال الله تعالى * أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا (الا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون) رد لما ادعوه ابلغ رد للاستئناف به وتصديره بحرفى التأكيد الا المنبهة على تحقيق ما بعدها فان همزة الاستفهام التى للانكار اذا دخلت على النفى افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك بقادر ولذلك لايكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى بها القسم واختها اما التى هى من طلائع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد مافى قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون (واذا قيل لهم آمنوا) من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع الامرين الاعراض عما لاينبغى وهو المقصود بقوله لاتفسدوا والاتيان بما ينبغى وهو المطلوب بقوله آمنوا (كما آمن الناس) فى حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها فى ربما واللام فى الناس للجنس والمراد به الكاملون فى الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل

عطف على الوالدين (واليتامى والمساكين وقولوا للناس) قولا (حسنا) من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والصدق فى شان محمد والرفق بهم وفى قراءة بضم الحاء وسكون السين مصدر وصف به مبالغة (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فقبلتم ذلك (ثم توليتم) أعرضتم عن الوفاء به فيه التفات عن الغيبة والمراد آباؤهم (الا قليلا منكم وأنتم معرضون) عنه كآبائكم (واذ أخذنا ميثاقكم) وقلنا (لاتسفكون دماءكم) تريقونها بقتل بعضكم بعضا (ولا تخرجون انفسكم من دياركم) لايخرج بعضكم بعضا من داره (ثم أقررتم) قبلتم ذلك الميثاق (وأنتم تشهدون) على أنفسكم (ثم أنتم) يا (هؤلاء تقتلون انفسكم) يقتل بعضكم بعضا (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الظاء وفى قراءة بالتخفيف على حذفها تتعاونون (عليهم بالاثم)

لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره
فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى * صم بكم عمي *ونحوه
قد جمعهما الشاعر في قوله « اذالناس ناس والزمان زمان »اوللعهد والمراد
به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه اومن آمن من اهل جلدتهم كابن
سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب
النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار
باللسان ايمان والالم يفد التقييد (قالوا انؤمن كما آمن السفهاء) الهمزة
فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس اوالجنس باسره وهم مندرجون
فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم اولتحقير شأنهم
فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موالي كصهيب وبلال اوللتجلد
وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبدالله بن سلام واشياعه
والسفه خفة وسخافة رأي يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله (الاانهم
هم السفهاء ولكن لايعلمون) رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله
الجازم على خلاف ماهو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف
المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الآيات والنذر وانما فصلت الآية
بلايعلمون والتي قبلها بلايشعرون لانه اكثر طباقالذكرالسفه ولان الوقوف
على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل ممايفتقر الى نظروتفكر واماالنفاق
وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتأمل فيما يشاهد
من اقوالهم وافعالهم (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) بيان لمعاملتهم
مع المؤمنين والكفار وماصدرت به القصة فساقه لبيان مذهبهم وتمهيد
نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة
فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيدابي بكر
رضي الله عنه وقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني
رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحبابسيد بني عدي الفاروق القوي
في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذبيدعلي
رضي الله عنه فقال مرحبابابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيدبني
هاشم ماخلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والالقاء المصادفة يقال
لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته اذاطرحته فانك بطرحه جعلته

بالمعصية (والعدوان) الظلم
(وان يأتوكم أسارى) وفي قراءة
أسرى (تفدوهم) وفي قراءة
تفادوهم تنقذوهم من الاسر
بالمال اوغيره وهو مماعهد
اليهم (وهو) أي الشأن
(محرم عليكم اخراجهم)
متصل بقوله وتخرجون
والجملة بينهما اعتراض أي
كما حرم ترك الفداء وكانت
قريظة خالفوا الاوس
والنضير الخزرج فكان كل
فريق يقاتل مع حلفائه
ويخرب ديارهم ويخرجهم
فاذا أسروا فدوهم وكانوا
اذاسئلوا لم تقاتلونهم وتفدونهم
قالوا أمرنا بالفداء فيقال
فلم تقاتلونهم فيقولون حياء
أن تستذل حلفاؤنا قال تعالى
(أفتؤمنون ببعض الكتاب)
وهو الفداء (وتكفرون
ببعض) وهو ترك القتل
والاخراج والمظاهرة (فما
جزاء من يفعل ذلك منكم
الاخزى) هوان وذل (في
الحياة الدنيا) وقد خزوا
بقتل قريظة ونفي النضير
الى الشام وضرب الجزية
(و يوم القيامة يردون الى

بحيث يلتقى (واذاخلوا الى شياطينهم) من خلوت بفلان واليه اذا انفردت
معه اومن خلاك ذم اى عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به
اذا سخرت منه وعدى بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين
ماثلوا الشيطان فى تمردهم وهو المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم
للمشاركة فى الكفر اوكبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه
نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا ابعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له
قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه
الباطل (قالوا انامعكم) اى فى الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة
الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى
احداث الايمان و بالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن
لهم باعث عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج
ادعاء الكمال فى الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف
ماقالوه مع الكفار (انمانحن مستهزؤن) تأكيد لماقبله لان المستهزئ
بالشئ المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد
عظم الكفر او استئناف فكأن الشياطين قالوا لهم لماقالوا انامعكم ان صح
ذلك فمالكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء
السخرية والاستخفاف يقال هزئت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت
واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على
مكانه وناقته تهزأ به اى تسرع وتخف (الله يستهزئ بهم) يجازيهم على
استهزائهم سمى جزاء الاستهزاء باسمه كما سمى جزاء السيئة سيئة امالمقابلة
اللفظ باللفظ اولكونه مماثلاله فى القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون
كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء
والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ امافى الدنيا فباجراء احكام
المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة فى النعمة على التمادى
فى الطغيان واما فى الآخرة فبان يفتح لهم وهم فى النار بابا الى الجنة
فيسرعون نحوه فاذاصاروا اليه سد عليهم الباب وذلك * قوله تعالى *
* فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون * وانمااستؤنف به ولم يعطف ليدل
على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين الى ان يعارضوهم
وان استهزاءهم لايؤبه به فى مقابلة مايفعل الله بهم ولعله لم يقل الله

أشد العذاب وما الله بغافل
عما يعملون) بالياء والتاء
(اولئك الذين اشتروا الحياة
الدنيا بالآخرة) بان آثروها
عليها (فلا يخفف عنهم
العذاب ولاهم ينصرون)
يمنعون منه (ولقد آتينا
موسى الكتاب) التوراة
(وقفينا من بعده بالرسل)
أى أتبعناهم رسولا فى اثر
رسول (وآتينا عيسى ابن
مريم البينات) المعجزات
كاحياء الموتى وابراء الاكمه
والابرص (وأيدناه) قويناه
(بروح القدس) من اضافة
الموصوف الى الصفة أى
الروح المقدسة جبريل
لطهارته يسير معه حيث
سار فلم تستقيموا (أفكلما
جاءكم رسول بما لاتهوى)
تحب (أنفسكم) من الحق
(استكبرتم) تكبرتم عن اتباعه
جواب كلما وهو محل الاستفهام
والمراد به التوبيخ (ففريقا)
منهم (كذبتم) كعيسى
(وفريقاتقتلون) المضارع
لحكاية الحال الماضية
أى قتلتم زكريا ويحيى
(وقالوا) للنبى استهزاء

(قلوبنا غلف) جمع أغلف
اى معشاة باغطية فلاتعى
ماتقول قال تعالى (بل)
للاضراب (لعنهم الله)
أبعدهم عن رحمته و
خذلهم عن القبول (بكفرهم)
وليس عدم قبولهم
لخلل فى قلوبهم (فقليلا
مايؤمنون) ما زائدة لتأكيد
القلة أى ايمانهم قليل جدا
(ولما جاءهم كتاب من
عند الله مصدق لما معهم)
من التوراة هو القرآن
(وكانوا من قبل) قبل مجيئه
(يستفتحون) يستنصرون
(على الذين كفروا)
يقولون اللهم انصرنا عليهم
بالنبى المبعوث آخر الزمان
(فلما جاءهم ماعرفوا)
من الحق وهو بعثة النبى
(كفروا به) حسدا وخوفا
على الرياسة وجواب لما
الاولى دل عليه جواب
الثانية (فلعنة الله على
الكافرين بئسما اشتروا)
باعوا (به أنفسهم) أى
حظها من الثواب وما نكرة
بمعنى شيئا تمييز لفاعل بئس
والمخصوص بالذم (أن يكفروا)

مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا و يتجدد
حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال * اولا يرون انهم يفتنون
فى كل عام مرة او مرتين * (و يمدهم فى طغيانهم يعمهون) من مد الجيش
وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما
بالزيت والسماد لامن المد فى العمر فانه يعدى باللام كأملى لهم و يدل عليه
قراءة كثير و يمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على
ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التى يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب
كفرهم واصرارهم وسدهم طريق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه
قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا ومكن الشيطان
من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى
المسبب مجازا واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على
الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق الغى قال
* واخوانهم يمدونهم فى الغى * وقيل اصله يمد لهم بمعنى يملى لهم ويمد
فى اعمارهم كى يتنبهوا و يطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت اللام
وعدى الفعل بنفسه كما فى قوله تعالى * واختار موسى قومه * او التقدير يمدهم
استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون فى طغيانهم والطغيان بالضم والكسر
كلقيان ولقيان تجاوز الحد فى العتو والغلو فى الكفر واصله تجاوز الشئ
عن مكانه قال * انا لما طغى الماء حملناكم * والعمه فى البصيرة كالعمى فى البصر
وهو التحير فى الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لامنار بها قال *
اعمى الهدى بالجاهلين العمه (اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى)
اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل مايطلب من الاعيان
فان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لايطلب لعينه ان يكون ثمنا
و بذله اشتراء والافاى العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر وآخذه
بايع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما فى يده محصلا به غيره
سواء كان من المعانى او الاعيان ومنه قول الشاعر « اخذت بالجمة رأسا ازعرا *
وبالثنايا الواضحات الدردرا * وبالطويل العمر عمرا جيذرا * كما اشترى المسلم
اذ تنصرا » ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشئ طمعا فى غيره والمعنى انهم
اخلوا بالهدى الذى جعل الله لهم بالفطرة التى فطر الناس عليها محصلين
الضلالة التى ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى

(فاربحت تجارتهم) ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء فى معـاملتهم اتبعه بما يشاكله تمثيلا لخسارهم ونحوه « ولما رأيت النسر عزابن داية*وعشش فى وكريه جاش له صدرى » والتجارة طلب الربح بالبيـع والشراء والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمى شفا واسناده الى التجارة وهولار بابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل اولمشـابهتها اياه من حيث انهـا سبب الربح والخسران (وما كانوا مهتـدين) لطرق التجارة فان المقصـود منهـا سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قداضـاعوا الطلبتين لان رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقـل الصرف فلما اعتقد واهذه الضـلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمـال فبقوا خاسرين آيسـين من الربح فاقدين للاصـل (مثلهم كمثل الذى استوقدنارا) لما جاء بحقيقة حالهم عقبهـا بضرب المثل زيادة فى التوضيح والتقرير فانه اوقع فى القلب واقمع للخصم الالدلانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر ماأكثرالله فى كتبه الامثـال وفشت فى كلام الانبياء والحكماء والمثل فى الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبـه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثـل مضربه بمورده ولايضرب الا مافيه غرابة ولذلك حوفظ عليـه من التغيير ثم استعير لكل حال اوقصـة اوصفة لها شان وفيها غرابة مثل قوله تعـالى * مثـل الجنـة التى وعد المتقون * وقوله تعالى * ولله المثل الاعلى * والمعنى حالهم العجيبة الشـان كحال من استوقدنارا والذى بمعنى الذين كما فى قوله تعالى * وخضتم كالذى خاضوا * ان جعل مرجع الضمير فى نورهم وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التى هى صلـته وهو وصلة الى وصف المعرفة بهـا لانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه ان لايجمع كما لم يجمـع اخواته ويسـتوى فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء باليـاء ابدا على اللغة الفصيحة التى عليهـا التنزيل ولكونه مستطـا لا بصـلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام فى اسماء الفـاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذى استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعى فى تحصيله وهو سطوع النار وار تفاع لهبهـا واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا (فلما اضاءت ماحوله)

أى كفرهم (بمـا انزل الله) من القرآن (بغيـا) مفعول له ليكفروا أى حسـدا على (ان ينزل الله) بالتخفيـف والتشـديد (من فضـله) الوحى (عـلى من يشـاء) للرسـالة (من عباده فباؤا) رجعـوا (بغضـب) من الله بكفرهم بما أنزل والتنكـير للتعظيم (على غضـب) استحقوه من قبـل بتضييـع التـوراة والكفر بعيسى (وللكافرين عذاب مهـين) ذو اهـانة (واذا قيـل لهم آمنـوا بما أنزل الله) القرآن وغيره (قالوا نؤمن بمـا انزل علينـا) أى التـوراة قال تعـالى (ويكفرون) الواو للحال (بمـا وراءه) سـواه أو بعـده من القرآن (وهـو الحـق) حال (مصـدقا) حال ثانيـة مؤكدة (لما معهم قل) لهـم (فـلم تقتلون) أى قتلتم (انبيـاء الله من قبل ان كنتم مؤمنـين) بالتـوراة وقد نهيتم فيهـا عن قتلـهم والخطاب للموجودين فى زمن نبينا بما فعل آباؤهم لرضاهم به (ولقـد جاءكم مـوسى

اى النار ماحول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان تكون مسندة
الى ما والتأنيث لان ماحوله اشياء واماكن او الى ضمير النار وما موصولة
فى معنى الامكنة نصب على الظرف او مزيدة وحوله ظرف وتأليف الحول
للدوران وقيل للعام حول لانه يدور (ذهب الله بنورهم) جواب لما
والضمير للذى وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم ولم يقل
بنارهم لانه المراد من ايقادها او استئناف اجيب به اعتراض سائل يقول
مابالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفأت ناره او بدل من جملة التمثيل
على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما
فى قوله تعالى * فلما ذهبوا به * للايجاز وأمن الالتباس واسناد الذهاب الى الله
تعالى امالان الكل بفعله اولان الاطفاء حصل بسبب خفى او امر سماوى
كريح او مطر او للمبالغة ولذلك عدى الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها
من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه
وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذى هو
مقتضى اللفظ الى النور فانه لوقيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما
فى الضوء من الزيادة وبقاء مايسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم رأسا
الاترى كيف قرر ذلك واكده بقوله (وتركهم فى ظلمات لايبصرون)
فذكر الظلمة التى هى عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها
ووصفهم بانها ظلمة خالصة لايترائى فيها شبحان وترك فى الاصل بمعنى
طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب
كقوله تعالى وتركهم فى ظلمات وقول الشاعر « فتركته جزر السباع ينشنه »
والظلمة مأخوذة من قولهم ماظلمك ان تفعل كذا اى مامنعك لانها تسد
البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة
يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم او ظلمة
الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد او ظلمة شديدة كأنها
ظلمة متراكمة ومفعول لايبصرون من قبيل المطروح المتروك فكان الفعل غير
متعد والآية مثل ضربه الله لمن آتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به
الى نعيم الابد فبقى متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الآية الاولى
ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم اضاعوا مانطقت به السنتهم
من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن آثر الضلالة

بالبينات) بالمعجزات كالعصا
واليد وفلق البحر (ثم اتخذتم
العجل) الها (من بعده)
من بعد ذهابه الى الميقات
(وأنتم ظالمون) باتخاذه
(واذ أخذنا ميثاقكم)
على العمل بما فى التوراة
(و) قد (رفعنا فوقكم
الطور) الجبل حين امتنعتم
من قبولها ليسقط عليكم
وقلنا (خذوا ما آتيناكم بقوة)
بجد واجتهاد (واسمعوا)
ماتؤمرون به سماع قبول
(قالوا سمعنا) قولك
(وعصينا) امرك (وأشربوا
فى قلوبهم العجل) أى خالط
حبه قلوبهم كما يخالط الشراب
(بكفرهم قل) لهم
(بئسما) شيئا (يأمركم به
ايمانكم) بالتوراة عبادة
العجل (ان كنتم مؤمنين)
بها كما زعمتم المعنى لستم
بمؤمنين لان الايمان لايأمر
بعبادة العجل والمراد آباؤهم
أى فكذلك أنتم لستم بمؤمنين
بالتوراة وقد كذبتم محمدا
والايمان بها لايأمر
بتكذيبه (قل) لهم (ان كانت
لكم الدار الآخرة) أى

على الهدى المجعول له بالفطرة اوارتد عن دينه بعدما آمن ومن صح له احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من انوار الارادة اومثل لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين فى المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها (صم بكم عمى) لماسدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويبصروا الآيات بابصارهم جعلوا كأنما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله « صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا » وكقوله « اصم عن الشئ الذى لا اريده * واسمع خلق الله حين اريد » واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير « لدى اسد شاكى السلاح مقذف * له لبد اظفاره لم تقلم » ومن ثمة ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام الطائى « ويصعد حتى يظن الجهول * بان له حاجة فى السماء » وههنا وان طوى ذكره بحذف المبتدأ لكنه فى حكم المنطوق به ونظيره « اسد على وفى الحروب نعامة * فتخاء تنفر من صفير الصافر » هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الآية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للموقدين فهى على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة سمى به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لاتجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة (فهم لا يرجعون) لا يعودون الى الهدى الذى باعوه وضيعوه اوعن الضلالة التى اشتروها اوفهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون ام يتأخرون والى حيث ابتدؤا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم (اوكصيب

الجنة (عند الله خالصة) خاصة (من دون الناس) كما زعمتم (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) تعلق بتمنيه الشرطان على ان الاول قيد فى الثانى أى ان صدقتم فى زعمكم أنها لكم ومن كانت له يؤثرها والموصل اليها الموت فتمنوه (ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم) من كفرهم بالنبى المستلزم لكذبهم (والله عليم بالظالمين) الكافرين فيجازيهم (ولتجدنهم) لام قسم (أحرص الناس على حياة و) أحرص (من الذين اشركوا) المنكرين للبعث عليها لعلمهم بان مصيرهم النار دون المشركين لانكارهم له (يود) يتمنى (أحدهم لو يعمر ألف سنة) لو مصدرية بمعنى أن وهى بصلتها فى تأويل مصدر مفعول يود (وما هو) أى احدهم (بمزحزحه) مبعده (من العذاب) النار (أن يعمر) فاعل مزحزحه أى تعميره (والله بصير بما يعملون) بالياء والتاء فيجازيهم وسأل ابن صوريا النبى

من السماء) عطف على الذى استوقد اى كمثل ذوى صيب لقوله يجعلون اصابعهم فى آذانهم واو فى الاصل للتساوى فى الشك ثم اتسع فيها فاطلقت للتساوى من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى * ولا تطع منهم آثما او كفورا * فانها تفيد التساوى فى جنس المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله او كصيب ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء فى صحة التشبيه بهما وانت مخير فى التمثيل بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ «واسحم دان صادق الرعد صيب» وفى الآية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء وقال * ومن بعد ارض بيننا وسماء» امد به مافى الصيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية (فيه ظلمات ورعد وبرق) ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامة مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما فى اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق مايلمع من السحاب من برق الشئ بريقا وكلاهما مصدر فى الاصل ولذلك لم يجمعهما (يجعلون اصابعهم فى آذانهم) الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان فى قوله «يسقون من ورد البريص عليهمو * بردى يصفق بالرحيق السلسل» حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى والجملة استئناف فكأنه لما ذكر مايؤذن بالشدة والهول قيل وكيف حالهم مع ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة (من الصواعق) متعلق بيجعلون اى من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لاتمر بشئ الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد تطلق على كل هائل مسموع او مشاهد ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب

عمن يأتى بالوحى من الملائكة فقال جبريل فقال هو عدونا يأتى بالعذاب ولو ... ميكائيل لآمنا لانه يأتى بالخصب والسلم فنزل (قل) لهم (من كان عدوا لجبريل) فليمت غيظا (فانه نزله) أى القرآن (على قلبك باذن) بأمر (الله مصدقا لما بين يديه) قبله من الكتب (وهدى) من الضلالة (وبشرى) بالجنة (للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل) بكسر الجيم وفتحها بلا همز وبه بياء ودونها (وميكال) عطف على الملائكة من عطف الخاص على العام وفى قراءة ميكائيل بهمز وياء وفى اخرى بلا ياء (فان الله عدو للكافرين) أوقعه موقع لهم بيانا لحالهم (ولقد أنزلنا اليك) يامحمد (آيات بينات) واضحات رد لقول ابن صوريا للنبى ماجئتنا بشئ (ومايكفر بها الا الفاسقون) كفروا بها (أو كلما عاهدوا) الله (عهدا) على الايمان بالنبى ان خرج او النبى أن لايعاونوا عليه المشركين (نبذه) طرحه (فريق منهم) بنقضه

من الصواعق لاستواء كلا البناءين فى التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاعقة وهى فى الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما فى الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة (حذر الموت) نصب على العلة كقوله * واغفر عوراء الكريم ادخاره * والموت زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله * خلق الموت والحياة * ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة (والله محيط بالكافرين) لايفوتونه كما لايفوت المحاط به المحيط لايخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لامحل لها (يكاد البرق يخطف ابصارهم) استئناف ثان كأنه جواب لمن يقول ماحالهم مع تلك الصواعق وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لعروض مانع او لفقد شرط وعسى موضوعة لرجائه فهى خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير ان يؤكد القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عسى لايحمل عليها بالحذف من خبرها لمشاركتهما فى اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم ادغمت فى الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها ويتخطف (كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا) استئناف ثالث كأنه قيل مايفعلون فى تارتى خفوق البرق وخفيته فاجيب ذلك واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه اولازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا فى مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قرأة اظلم على البناء للمفعول وقول ابى تمام « هما اظلما حالى ثمة اجليا * ظلاميهما عن وجه امرد اشيب * فانه وان كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل مايقوله بمنزلة مايرويه وانما قال مع الاضاءة كلما ومع اللام اذا لانهم حراص على المشى فكلما صادفوا منهم فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم) اى لو شاء الله ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه فى شاء واراد حتى لايكاد يذكر

جواب كلما وهو محل الاستفهام لانكارى (بل) للانتقال (أكثرهم لايؤمنون ولما جاءهم رسول من عندالله) محمد صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله) أى التوراة (وراء ظهورهم) أى لم يعملوا بما فيها من الايمان بالرسل وغيره (كأنهم لايعلمون) مافيها من أنه نبى حق أو أنها كتاب الله (واتبعوا) عطف على نبذ (ماتتلوا) اى تلت (الشياطين على عهد) (ملك سليمان) من السحر وكانت دفنته تحت كرسيه لما نزع ملكه أو كانت تسترق السمع وتضم اليه أكاذيب وتلقيه الى الكهنة فيدونونه وفشا ذلك وشاع أن الجن تعلم الغيب فجمع سليمان الكتب ودفنها فلما مات دلت الشياطين عليها الناس فاستخرجوها فوجدوا فيها السحر فقالوا انما ملككم بهذا فتعلموه ورفضوا كتب أنبيائهم قال تعالى تبرئة

الا فى الشئ المستغرب كقوله « ولو شئت ان ابكى دما لبكيته * ولو من
حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثانى ضرورة
انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء
كقوله تعالى * ولاتلقوا بايديكم الى التهلكة * وفائدة هذه الشرطية ابداء
المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام مايقتضيه والتنبيه على ان تأثير
الاسباب فى مسبباتها مشروط بمشيئة الله تعالى وان وجودها مرتبط
باسبابها واقع بقدرته وقوله (ان الله على كل شئ قدير) كالتصريح به
والتقرير له والشئ يختص بالموجود لانه فى الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى
شاء تارة وحينئذ يتناول البارى تعالى كما قال * قل اى شئ اكبر شهادة قل الله
شهيد * وبمعنى مشئ اخرى اى مشئ وجوده وماشاء الله وجوده فهو
موجود فى الجملة وعليه قوله تعالى ان الله على كل شئ قدير * الله خالق
كل شئ * فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشئ مايصح
ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن اومايصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع
ايضا لزمهم التخصيص بالممكن فى الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن
من ايجاد الشئ وقيل صفة تقتضى التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن
من الفعل وقدرة الله تعالى عبارة عن نفى العجز والقادر هو الذى ان شاء فعل
وان لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لمايشاء ولذلك قلما يوصف به غير البارى
تعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته اوعلى
مقدار ماتقتضيه مشيئته وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه
مقدوران وان مقدور العبد مقدور لله تعالى لانه شئ وكل شئ مقدور لله تعالى
والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان يشبه كيفية منتزعة
من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى
مثلها كقوله تعالى * مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها * الآية فانه تشبيه
حال اليهود فى جهلهم بمامعهم من التوراة بحال الحمار فى جهله بما يحمل
من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما
يكابده بحال من انطفأت ناره بعد ايقادها فى ظلمة او بحال من اخذته السماء فى ليلة
مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما
من قبيل التمثيل المفرد وهو ان تأخذ اشياء فرادى تشبهها بامثالها
كقوله تعالى * ومايستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل

لسليمان وردا على اليهود
فى قولهم انظروا الى محمد يذكر
سليمان فى الانبياء وما كان
الا ساحرا (وما كفر سليمان)
أى لم يعمل السحر لانه كفر
(ولكن) بالتشديد والتخفيف
(الشياطين كفروا يعلمون
الناس السحر) الجملة حال
من ضمير كفروا (و) يعلمونهم
(ماأنزل على الملكين) اى
ألهماه من السحر وقرئ
بكسر اللام الكائنين
(ببابل) بلد فى سواد
العراق (هاروت وماروت)
بدل أو عطف بيان للملكين
قال ابن عباس هما ساحران
كانا يعلمان السحر وقيل
ملكان أنزلا لتعليمه ابتلاء
من الله للناس (وما يعلمان
من) زائدة (أحد حتى
يقولا) له نصحا (انما نحن
فتنة) بلية من الله للناس
ليمتحنهم بتعليمه فمن تعلمه
كفر ومن تركه فهو مؤمن
(فلا تكفر) بتعلمه فان أبى
الا التعليم علماه (فيتعلمون
منهما مايفرقون به بين
المرء وزوجه) بأن يبغض

ولا الحرور وقول امرء القيس « كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى » بان يشبه فى الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهار هم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ماحول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وبافشاء حالهم وابقائهم فى الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفى الثانى انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا فى نفسه لكنه لما وجد فى هذه الصورة عاد نفعه ضررا ونفاقهم حذرا من نكايات المؤمنين ومايطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع فى الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لايرد من قدر الله تعالى شيئا ولايخلص مما يريدبهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما يأتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفى وفتر لمعانه بقوا متقيدين لاحراك بهم وقيل شبه الايمان والقرآن وسائر ماأوتى الانسان من المعارف التى هى سبب الحياة الابدية بالصيب الذى به حياة الارض وما ارتبكت بها من شبه الطائفة المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وشبه مافيها من الوعد والوعيد بالرعد ومافيها من الآيات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لاخلاص لهم منها وهو معنى قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه اورفد يطمح اليه ابصارهم بمشيهم فى مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم فى الامر حين تعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله تعالى ولوشاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة ولوشاء الله لجعلهم بالحالة التى يجعلونها فانه على مايشاء قدير (ياايها الناس اعبدوا ربكم) لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبر الكلفة

كلا الى آخر (وماهم) أى السحرة (بضارين به) بالسحر (من) زائدة (أحد الا باذن الله) بارادته (ويتعلمون مايضرهم) فى الآخرة (ولا ينفعهم) وهو السحر (ولقد) لام قسم (علموا) أى اليهود (لمن) لام ابتداء معلقة لما قبلها ومن موصولة (اشتراه) اختاره أو استبدله بكتاب الله (ماله فى الآخرة من خلاق) نصيب فى الجنة (ولبئس ما) شيئا (شروا) باعوا (به انفسهم) أى الشارين أى حظها من الآخرة ان تعلموه حيث أوجب لهم النار (لوكانوا يعلمون) حقيقة مايصيرون اليه من العذاب ما تعلموه (ولو أنهم) أى اليهود (آمنوا) بالنبى والقرآن (واتقوا) عقاب الله بترك معاصيه كالسحر وجواب لو محذوف أى لاثيبوا دل عليه (لمثوبة) ثواب وهو مبتدأ واللام فيه للقسم (من عند الله خير) خبره مما شروا به أنفسهم

العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعى يارب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد اولغفلته وسوء فهمه اوللاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل واى جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفى التعريف فانهما كمثلين واعطى حكم المنادى واجرى عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود واقحمت بينهما هاء التنبيه تأكيدا وتعويضا عما يستحقه اى من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة فى القرآن لاستقلاله باوجه من التأكيد وكل ما نادى الله له عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا اليها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالآكد الابلغ والجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتأكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى ﴿فسجد الملائكة كلهم اجمعون﴾ واستدلال الصحابة بعمومها شايعا وذائعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه الصلاة والسلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روى عن علقمة والحسن ان كل شئ نزل فيه ياايها الناس فمكى وياايها الذين آمنوا فمدنى ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المأمور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشئ وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلاة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هى الربية (الذى خلقكم) صفة جرت عليه تعالى للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان اختص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب الحقيقى والآلهة التى يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشئ على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالقياس (والذين من قبلكم) متناول كل ما يتقدم الانسان بالذات او بالزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب فى خلقكم والجملة اخرجت مخرج

(لوكانوا يعلمون) أنه خير لما آثروه عليه (ياأيها الذين آمنوا لا تقولوا) للنبى (راعنا) أمر من المراعاة وكانوا يقولون له ذلك وهى بلغة اليهود سب من الرعونة فسروا بذلك وخاطبوا بها النبى فنهى المؤمنون عنها (وقولوا) بدلها (انظرنا) أى انظر الينا (واسمعوا) ما تؤمرون به سماع قبول (وللكافرين عذاب أليم) مؤلم هو النار (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين) من العرب عطف على أهل الكتاب ومن للبيان (ان ينزل عليكم من) زائدة (خير) وحى (من ربكم) حسدا لكم (والله يختص برحمته) نبوته (من يشاء والله ذو الفضل العظيم) ولما طعن الكفار فى النسخ وقالوا ان محمدا يأمر أصحابه اليوم بأمر وينهى عنه غدا نزل (ما) شرطية (ننسخ من آية) أى نزل حكمها اما مع لفظها أولا وفى قراءة بضم النون من أنسخ أى نأمرك

المقر رعندهم اما لاعترافهم به كما قال ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ﴾ او لتمكنهم من العلم به
بادنى نظر وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثانى بين الاول وصلته
تأكيدا كما اقحم جرير فى قوله « يا تيم تيم عدى لا ابا لكمو » تيما الثانى بين الاول
وما اضيف اليه (لعلكم تتقون) حال من الضمير فى اعبدوا كأنه قال
اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا فى سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح
المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين
وهو التبرى من كل شئ سوى الله تعالى الى الله وان العابد ينبغى
ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى ﴿ يدعون ربهم خوفا
وطمعا ﴾ ﴿ يرجون رحمته ويخافون عذابه ﴾ او من مفعول خلقكم
والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم فى صورة من يرجى منه
التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعى اليه وغلب المخاطبين
على الغائبين فى اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق اى
خلقكم لكى تتقوا كما قال ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ وهو ضعيف
اذ لم يثبت فى اللغة مثله والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم
بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر فى صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد
لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه
من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل (الذى جعل لكم الارض
فراشا) صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره فلا تجعلوا
وجعل من الافعال العامة يجئ على ثلاثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى
كقوله « فقد جعلت قلوص بنى سهيل ✻ من الاكوار مرتعها قريب »
وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى ﴿ وجعل الظلمات والنور ﴾
وبمعنى صير ويتعدى الى مفعولين كقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا
والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول والعقد اخرى ومعنى جعلها فراشا
ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما فى طبعه من الاحاطة بها
وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيأة لان يقعدوا
وينا موا عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعى كونها مسطحة لان
كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تأبى الافتراش عليها
(والسماء بناء) قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد

أو جبريل بنسخها (أو ننسأها)
نؤخرها فلا نزل حكمها
ونرفع تلاوتها أو نؤخرها
فى اللوح المحفوظ وفى
قراءة بلا همز من النسيان
أى ننسكها أى نمحها من
قلبك وجواب الشرط (نأت
بخير منها) أنفع للعباد فى
السهولة أو كثرة الاجر
(أو مثلها) فى التكليف
والثواب (ألم تعلم أن الله
على كل شئ قدير) ومنه
النسخ والتبديل والاستفهام
للتقرير (ألم تعلم أن الله له
ملك السموات والارض)
يفعل فيهما ما يشاء (وما لكم
من دون الله) أى غيره
(من) زائدة (ولى) يحفظكم
(ولا نصير) يمنع عذابه
عنكم ان أتاكم * ونزل لما
سأله أهل مكة أن يوسعها
ويجعل الصفا ذهبا (أم)
بل أ (تريدون أن تسألوا
رسولكم كما سئل موسى)
أى سأله قومه (من قبل)
من قولهم أرنا الله جهرة
وغير ذلك (ومن يتبدل
الكفر بالايمان) أى يأخذه
بدله بترك النظر فى الآيات

والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني
بيتا كان او قبة اوخباء ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا
عليها خباء جديدا (وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم)
عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله تعالى ومشيئته ولكن جعل الماء
الممزوج بالتراب سببا فى اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى
عادته بافاضات صورها وكيفياتها على المادة الممزوجة منهما اوابدع
فى الماء قوة فاعلة وفى الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو
قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب
والمواد ولكن له فى انشائها مدرجا من حال الى حال صنعا وحكما يجدد
فيها لاولى الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس فى ايجادها دفعة
ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك
فان المطر يبتدئ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على مادلت عليه
الظواهر اومن اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى
جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى
﴿فاخرجنا به ثمرات﴾ واكتناف المنكرين له اعنى ماء ورزقا كأنه قال وانزلنا
من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا
الواقع اذلم ينزل من السماء الماء كله ولااخرج بالمطر كل الثمرات ولاجعل
كل المرزوق ثمارا اوللتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت
من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرات
جماعة الثمرة التى فى قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من قرأ من الثمرة على
التوحيد اولان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله ﴿تعالى كم تركوا
من جنات﴾ وقوله ﴿ثلاثة قروء﴾ اولانها لما كانت محلاة باللام خرجت
عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعوله ان اريد به المصدر
كأنه قال رزقا اياكم (فلا تجعلوا لله اندادا) متعلق باعبدوا على انه نهى
معطوف عليه او نفى منصوب باضمار ان جوابا له او بلعل على ان نصب
تجعلوا انصب فاطلع فى قوله تعالى لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات
فاطلع * الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها فى انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا
فلا تجعلوا لله انداد او بالذى جعل لكم ان استأنفت به على انه نهى
وقع خبرا على تأويل مقول فيه لاتجعلوا والفاء للسببية ادخلت عليه

البينات واقتراح غيرها
(فقد ضل سواء السبيل)
أخطأ الطريق الحق
والسواء فى الاصل الوسط
(ود كثير من أهل الكتاب لو)
مصدرية (يردونكم من بعد
ايمانكم كفارا حسدا)
مفعول له كائنا (من عند
أنفسهم) أى حملتهم عليه
أنفسهم الخبيثة (من بعد
ماتبين لهم) فى التوراة
(الحق) فى شأن النبى
(فاعفوا) عنهم أى اتركوهم
(واصفحوا) أعرضوا فلا
تجازوهم (حتى يأتى الله
بأمره) فيهم من القتال
(ان الله على كل شئ
قدير واقيموا الصلاة وآتوا
الزكاة وماتقدموا لانفسكم
من خير) طاعة كصلة
وصدقة (تجدوه) أى ثوابه
(عند الله ان الله بما تعملون
بصير) فيجازيكم به (وقالوا
لن يدخل الجنة الا من كان
هودا) جمع هائد (اونصارى)
قال ذلك يهود المدينة
ونصارى نجران لما تناظروا
بين يدى النبى صلى الله
عليه وسلم أى قال اليهود

لتضمن المبتدأ معنى الشرط والمعنى ان من حفكم بهذه النعم الجسام والآيات العظام ينبغى ان لا يشرك به والند المثل المنادى قال جريرا « أتيما تجعلون الى ندا * وماتيم لذى حسب نديد » من ند ندودا اذانفر وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل فى الذات كاخص المساوى بالمماثل فى القدر وتسمية مايعبده المشركون من دون الله اندادا ومازعموا انها تساوى به فى ذاته وصفاته ولانها تخالفه فى افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالها حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على أن تدفع عنهم بأس الله وتمنحهم مالم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل « اربا واحدا ام الف رب * ادين اذا تقسمت الامور » « تركت اللات والعزى جميعا * كذلك يفعل الرجل البصير »

(وانتم تعلمون) حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح اى وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الرأى فلو تأملتم ادنى تأمل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات منفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات اومنوى وهو انها لا تماثله ولا تقدر على مثل مايفعله كقوله تعالى * هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ * وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء فى التكليف واعلم ان مضمون الآيتين هو الامر بعبادة الله والنهى عن الاشراك به تعالى والاشارة الى ماهو العلة والمقتضى وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعار ابانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه تعالى خالقهم وخالق اصولهم ومايحتاجون اليه فى معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من المأكول والمشروب ثم لما كانت هذه الامور التى لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته تعالى رتب تعالى عليها النهى عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الآية الاخيرة مع مادل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وماافاض تعالى عليه من المعانى والصفات على طريقة التمثيل * فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء ومااافاض تعالى عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى

ان يدخلها الا اليهود وقال النصارى لن يدخلها الا النصارى (تلك) القولة (أمانيهم) شهواتهم الباطلة (قل) لهم (هاتوا برهانكم) حجتكم على ذلك (ان كنتم صادقين) فيه (بلى) يدخل الجنة غيرهم (من أسلم وجهه لله) أى انقاد لامره وخص الوجه لانه أشرف الاعضاء فغيره أولى (وهو محسن) موحد (فله أجره عند ربه) أى ثواب عمله الجنة (ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون) فى الآخرة (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ) معتد به وكفرت بعيسى (وقالت النصارى ليست اليهود على شئ) معتد به وكفرت بموسى (وهم) أى الفريقان (يتلون الكتاب) المنزل عليهم وفى كتاب اليهود تصديق عيسى وفى كتاب النصارى تصديق موسى والجملة حال (كذلك) كما قال هؤلاء (قال الذين لا يعلمون) اى المشركون

النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة) لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن المعجز بفصاحته التى بذت فصاحة كل منطيق وافحامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم فى المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارضة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ما نرى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم فقال * وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة * فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف العبد الى نفسه تعالى تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه تعالى وقرئ عبادنا يريد محمدا صلى الله عليه وسلم وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التى اقلها ثلاث آيات وهى ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التى هى الرتبة قال * ولرهط حراب وقد سورة * فى المجد ليس غرابها بمطار * لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ او لها مراتب فى الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التى هى البقية والقطعة من الشئ والحكمة فى تقطيع القرآن سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك عنه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ من القرآن حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غيرها من الفوائد (من مثله) صفة سورة اى بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اى بسورة مماثلة للقرآن العظيم فى البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اى بسورة كائنة ممن هو على حاله عليه الصلاة والسلام من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم

من العرب وغيرهم (مثل قولهم) بيان لمعنى ذلك أى قالوا لكل ذى دين ليسوا على شئ (فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين فيدخل المحق الجنة والمبطل النار (ومن أظلم) أى لا أحد أظلم (ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) بالصلاة والتسبيح (وسعى فى خرابها) بالهدم أو التعطيل نزلت اخبارا عن الروم الذين خربوا بيت المقدس اوفى المشركين لما صدوا النبى صلى الله عليه وسلم عام الحديبية عن البيت (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين) خبر بمعنى الامر أى أخيفوهم بالجهاد فلا يدخلها أحد آمنا (لهم فى الدنيا خزى) هوان بالقتل والسبى والجزية (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) هو النار * ونزل لما طعن اليهود فى نسخ القبلة أوفى صلاة النافلة على الراحلة فى السفر حيثما

او صلة فأتوا والضمير للعبد صلى الله عليه وسلم والرد الى المنزل اوجد لانه المطابق لقوله تعالى * فأتوا بسورة مثله * ولسائر آيات التحدى ولان الكلام فيه لافى المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان يأتوا بمثل ماأتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ فى التحدى من ان يقال لهم ليأت بنحو ماأتى به هذا آخر مثله ولانه معجز فى نفسه لابالنسبة اليه لقوله تعالى * قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله * ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله تعالى (وادعوا شهداءكم من دون الله) فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او الامام وكأنه سمى به لانه يحضر النوادى وتبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول فى سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشئ ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اى خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اى فى الشرف ومنه الشئ الدون ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حد الى حد وتخطى امر الى آخر قال تعالى * لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين * اى لايتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية « يانفس مالك دون الله من واق » اى اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا الى المعارضة من حضركم اورجوتم معونته من انسكم وجنكم وآلهتكم غير الله سبحانه وتعالى فانه لايقدر على ان يأتى بمثله الا الله اووادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما آتيتم به مثله ولاتستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او بشهدائكم والمعنى ادعوا الذين اتخذتموهم من دونه اولياء اوآلهة وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيامة او الذين يشهدون لكم بين يدى الله على زعمكم من قول الاعشى « تريك القذى من دونها وهى دونه » ليعينوكم وفى امرهم ان يستظهروا بالجماد فى معارضة القرآن العزيز غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله اى من دون اوليائه يعنى فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما آتيتم به مثله فان العاقل لايرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله

توجهت (ولله المشرق والمغرب) أى الارض كلها لانهما ناحيتاها (فأينما تولوا) وجوهكم فى الصلاة بامره (فثم) هناك (وجه الله) قبلته التى رضيها (ان الله واسع) يسع فضله كل شئ (عليم) بتدبير خلقه (وقالوا) بواو ودونها أى اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله (اتخذ الله ولدا) قال تعالى (سبحانه) تنزيها له عنه (بل له مافى السموات والارض) ملكا وخلقا وعبيدا والملكية تنافى الولادة وعبر بما تغليبا لما لايعقل (كل له قانتون) مطيعون كل بما يراد منه وفيه تغليب العاقل (بديع السموات والارض) موجدهما لاعلى مثال سبق (واذا قضى) أراد (أمرا) أى ايجاده (فانما يقول له كن فيكون) أى فهو يكون وفى قراءة بالنصب جوابا للامر (وقال الذين لايعلمون) أى كفار مكة للنبى صلى الله عليه وسلم

(ان كنتم صادقين) انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ماقبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبرانه كذلك عن دلالة اوامارة لانه تعالى كذب المنافقين فى قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم يشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ماكانوا عالمين به (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة) لمابين لهم مايتعرفون به امر الرسول صلى الله عليه وسلم وماجاء به وميز لهم الحق من الباطل رتب عليه ماهو كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم فى معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بمايساويه اويدانيه ظهرانه معجز والتصديق به واجب فآمنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذى يعم الاتيان به وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكنى عنه وتهويلا لشان العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية بان التى للشك والحال يقتضى اذا الذى للوجوب فان القائل سبحانه وتعالى لم يكن شاكا فى عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم اوخطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التأمل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع وكأنه قال تعالى فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا فى نفى المستقبل غيرانه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل فى احدى الروايتين عنه وفى الرواية الاخرى اصله لاان وعند الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ماتوقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول « وقدت النار وقودا عاليا » والاسم بالضم ولعله مصدر سمى به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد به المصدر فعلى حذف مضاف اى وقودها احتراق الناس والحجارة وهى جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التى نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا فى شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار بمكانتها ويدل عليه قوله تعالى * انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم * عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكافرون بما كنزوه اوبنقيض

(لولا) هلا (يكلمنا الله) أنك رسوله (أو تأتينا آية) مما اقترحناه على صدقك (كذلك) كما قال هؤلاء (قال الذين من قبلهم) من كفار الامم الماضية لانبيائهم (مثل قولهم) من التعنت وطلب الآيات (تشابهت قلوبهم) فى الكفر والعناد فيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (قد بينا الآيات لقوم يوقنون) يعلمون أنها آيات فيؤمنون فاقتراح آية معها تعنت (انا أرسلناك) يا محمد (بالحق) بالهدى (بشيرا) من أجاب اليه بالجنة (ونذيرا) من لم يجب اليه بالنار (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) النار أى الكفار ما لهم لم يؤمنوا انما عليك البلاغ وفى قراءة بجزم تسأل نهيا (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) دينهم (قل ان هدى الله) أى الاسلام (هو الهدى) وماعداه ضلال (ولئن) لام قسم (اتبعت أهواءهم) التى يدعونك اليها فرضا

ما كانوا يتوقعون زيادة فى تحسرهم وقيل الذهب والفضة التى كانوا يكنزونها ويغترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شأنها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لايتقد به غيرها والكبريت يتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فلعله اراد به ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الآية مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى فى سورة التحريم * نارا وقودها الناس والحجارة * وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فانها يجب ان تكون قصة معلومة (اعدت للكافرين) هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استئناف أو حال باضمار قد من النار لا الضمير الذى فى وقودها وان جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفى الآيتين مايدل على النبوة من وجوه الاول مافيهما من التحدى والتحريض على الجد وبذل الوسع فى المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القرآن العزيز ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة والتجأوا الى جلاء الوطن وبذل المهج والثانى انهما تتضمنان الاخبار عن الغيب على ماهو به فانهم لوعارضوه بشئ لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه أكثر من الذابين عنه فى كل عصر والثالث انه صلى الله عليه وسلم لوشك فى امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله تعالى * اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة معدة الآن لهم (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات) عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن العظيم ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ماجرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ماينجى وتثبيطا عن اقتراف مايردى لاعطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له مايشاكله من امر اونهى فيعطف عليه اوعلى فاتقوا لانهم اذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدى ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك

(بعد الذى جاءك من العلم) الوحى من الله (مالك من الله من ولى) يحفظك (ولا نصير) يمنعك منه (الذين آتيناهم الكتاب) مبتدأ (يتلونه حق تلاوته) أى يقرؤنه كما أنزل والجملة حال وحق نصب على المصدر والخبر (أولئك يؤمنون به) نزلت فى جماعة قدموا من الحبشة وأسلموا (ومن يكفر به) أى بالكتاب المؤتى بان يحرفه (فاولئك هم الخاسرون) لمصيرهم الى النار المؤبدة عليهم (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين) تقدم مثله (واتقوا) خافوا (يوما لاتجزى) تغنى (نفس عن نفس) فيه (شيئا ولا يقبل منها عدل) فداء (ولاتنفعها شفاعة ولاهم ينصرون) يمنعون من عذاب الله (و) اذكر (اذ ابتلى) اختبر (ابراهيم) وفى قراءة ابرهام (ربه بكلمات) بأوامر ونواه كلفه بها قيل هى مناسك الحج

يستدعى ان يخوف هؤلاء و يبشر هؤلاء وانما امر الرسول صلى الله عليه وسلم اوعالم كل عصر اوكل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشأنهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا و يهنأوا بما اعدلهم وقرئ و بشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استئنافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور فى البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هى الخبر الاول حتى لوقال الرجل لعبيده من بشرنى بقدوم ولدى فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولوقال من اخبرنى عتقوا جميعا واما قوله تعالى * فبشرهم بعذاب اليم * فعلى التهكم اوعلى طريقة قوله « تحية بينهم ضرب وجيع » والصالحات جمع صالحة وهى من الصفات الغالبة التى تجرى مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة « كيف الهجاء وماتنفك صالحة * من آل لأم بظهر الغيب تأتينى » وهى من الاعمال ماسوغه الشرع وحسنه وتأنيثها على تأويل الخصلة اوالخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليها اشعارا بان السبب فى استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذى هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبناء عليه ولاغناء باس لابناء عليه ولذلك قلما ذكرا منفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذالاصل ان الشئ لايعطف على نفسه ولاعلى ماهو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه اومجرور باضماره مثل الله لأفعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذاستره ومدار التركيب على الستر سمى به الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كأنه يستر ماتحته سترة واحدة قال ابن زهير « كان عينى فى غربى مقتلة * من النواضح تسقى سحقا جنة » اى نخلاطوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لمافيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر فى الدنيا ماعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال سبحانه وتعالى * فلاتعلم نفس مااخفى لهم من قرة اعين * وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ماذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفى كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام فى لهم تدل على استحقاقهم اياها لاجل ماترتب عليه من الايمان

وقيل المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفرق الرأس وقلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء (فاتمهن) أداهن تامات (قال) تعالى له (انى جاعلك للناس اماما) قدوة فى الدين (قال ومن ذريتى) أولادى اجعل أئمة (قال لاينال عهدى) بالامامة (الظالمين) الكافرين منهم دل على انه ينال غير الظالم (واذجعلنا البيت) الكعبة (مثابة للناس) مرجعا يثوبون اليه من كل جانب (وأمنا) مأمنا لهم من الظلم والاغارات الواقعة فى غيره كان الرجل يلقى قاتل أبيه فيه فلا يهيجه (واتخذوا) أيها الناس (من مقام ابراهيم) هو الحجر الذى قام عليه عند بناء البيت (مصلى) مكان صلاة تصلوا خلفه ركعتى الطواف وفى قراءة بفتح الخاء خبر (وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل) أمرنا هما (أن) أى بان (طهرا بيتى) من

والعمل الصالح لالذاته فانه لايكافئ النعم السابقة فضلا عن ان يقتضى ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده تعالى ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى * ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم * وقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم * لئن اشركت ليحبطن عملك * واشباه ذلك ولعله سبحانه وتعالى لم يقيد ههنا استغناء بها (تجرى من تحتها الانهار) اى من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق انهار الجنة تجرى فى غير اخدود واللام فى الانهار للجنس كما فى قولك لفلان بستان فيه الماء الجارى او للعهد والمعهود هى الانهار المذكورة فى قوله تعالى * انهار من ماء غير آسن * الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار والمجاز اوالمجارى انفسها واسناد الجرى اليها مجاز كما فى قوله تعالى * واخرجت الارض اثقالها * (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا) صفة ثانية لجنات اوخبر مبتدأ محذوف اوجملة مستأنفة كأنه لما قيل ان لهم جنات وقع فى خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا او اجناس اخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال وتقدير الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فيها فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن فى الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما فى قولك رأيت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع مارزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لاينقطع فانك لاتعنى به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه والمعنى هذا مثل الذى ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته حسا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة (من قبل) اى من قبل هذا فى الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس الدنيا لتميل النفس اليه اول مارأت فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غيره وتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لايكون الا كذلك اوفى الجنة لان طعامها متشابه

الاوثان (للطائفين) المقيمين فيه (والركع السجود) جمع راكع وساجد المصلين (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا) المكان (بلدا آمنا) ذا أمن وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرما لايسفك فيه دم انسان ولايظلم فيه أحد ولايصاد صيده ولايختلى خلاه (وارزق أهله من الثمرات) وقد فعل بنقل الطائف من الشام اليه وكان أقفر لازرع فيه ولاماء (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) بدل من أهله وخصهم بالدعاء لهم موافقة لقوله لاينال عهدى الظالمين (قال) تعالى (و) أرزق (من كفر فامتعه) بالتشديد والتخفيف فى الدنيا بالرزق (قليلا) مدة حياته (ثم أضطره) ألجئه فى الآخرة (الى عذاب النار) فلا يجد عنها محيصا (وبئس المصير) المرجع هى (و) اذكر (اذ يرفع ابراهيم القواعد) الاسس أو الجدر (من البيت) يبنيه متعلق بيرفع (واسمعيل)

في الصورة كما حكى عن الحسن رضى الله تعالى عنه ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف اوكما روى انه عليه الصلاة والسلام قال * والذى نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هى واصلة الى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها فلعلهم اذا رأوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعى لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتعجبهم بما وجدوا من التفاوت العظيم فى اللذة والتشابه البليغ فى الصورة (واتوا به متشابها) اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى مارزقوا فى الدارين فانه مدلول عليه بقوله عز من قائل هذا الذى رزقنا من قبل ونظيره قوله عزوجل * ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما * اى بجنس الغنى والفقير وعلى الثانى الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل فى الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ليس فى الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل فى الصورة التى هى مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف فى اطلاق التشابه هذا وان للآية الكريمة محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة فى مقابلة مارزقوا فى الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة فى اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذى رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما فى الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا فى الوعد نظير قوله * ذوقوا ما كنتم تعملون * فى الوعيد (ولهم فيها ازواج مطهرة) مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل فى الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال « واذا العذارى بالدخان تقنعت * واستعجلت نصب القدور فملت » فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومتطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله عزوجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو فى الاصل لماله قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذى ودفع

عطف على ابراهيم يقولان (ربنا تقبل منا) بناءنا (انك أنت السميع) للقول (العليم) بالفعل (ربنا واجعلنا مسلمين) منقادين (لك و) اجعل (من ذريتنا) أولادنا (أمة) جماعة (مسلمة لك) ومن للتبعيض وأتى به لتقدم قوله لا ينال عهدى الظالمين (وأرنا) علمنا (مناسكنا) شرائع عبادتنا أو حجنا (وتب علينا انك أنت التواب الرحيم) سألاه التوبة مع عصمتهما تواضعا وتعليما لذريتهما (ربنا وابعث فيهم) أى أهل البيت (رسولا منهم) من أنفسهم وقد أجاب الله دعاءه بمحمد صلى الله عليه وسلم (يتلو عليهم آياتك) القرآن (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) أى مافيه من الاحكام (ويزكيهم) يطهرهم من الشرك (انك انت العزيز) الغالب (الحكيم) فى صنعه (ومن) أى لا (يرغب عن ملة ابراهيم) فيتركها (الامن

ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر احوالها انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع مايلزمها وتفيد عين فائدتها (وهم فيها خالدون) دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام اولم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله مادام حيا خلد ولوكان وضعه للدوام كان التقييد بالتأبيد في قوله تعالى ※ خالدين فيها ابدا * لغوا واستعماله حيث لادوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا اومجازا والاصل ينفيهما بخلاف مالو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى ※ وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد * لكن المراد منه الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن فان قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت انه تعالى يعيدها بحيث لاتعتورها الاستحالة بان يجعل اجزائها مثلا متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لايقوى شئ منها على احالة الآخر متعانقة متلازمة لاينفك بعضها عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على مانجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على مادل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الدوام والثبات فان كل نعم جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية عن شوائب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما اعدلهم في الآخرة بابهى مايستلذبه منها واز ال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور (ان الله لايستحيي ان يضرب مثلا مابعوضة) لما كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وماهو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التي يتعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة

سفه نفسه) جهل أنها مخلوقة لله يجب عليها عبادته اواستخف بها وامتهنها (ولقد اصطفيناه) اخترناه (في الدنيا) بالرسالة والخلة (وانه في الآخرة لمن الصالحين) الذين لهم الدرجات العلى واذكر (اذ قال له ربه أسلم) انقد لله وأخلص له دينك (قال أسلمت لرب العالمين ووصى) وفي قراءة أوصى (بها بالملة (ابراهيم بنيه و يعقوب) بنيه قال (يابني ان الله اصطفى لكم الدين) دين الاسلام (فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) نهى عن ترك الاسلام وأمر بالثبات عليه الى مصادفة الموت ولما قال اليهود للنبي ألست تعلم ان يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية نزل (أم كنتم شهداء) حضورا (اذ حضر يعقوب الموت اذ) بدل من اذ قبله (قال لبنيه ماتعبدون من بعدي) بعد موتي (قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق) عد اسمعيل من الآباء تغليب ولان

من الوهم لان من طبعه الميل الى الحسن وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في كلام العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لاماقالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى مايدل على ان المتحدى به وحى منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور امره شرع في جواب ماطعنوا به فقال تعالى ان الله لايستحيى اى لايترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيى ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التى هى الجراءة على القبايح وعدم المبالاة بها والخجل الذى هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحياة فانه انكسار يعترى القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل حيى الرجل كما يقال نسى وحشى اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به البارى تعالى كما جاء في الحديث * ان الله يستحيى من ذى الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حى كريم يستحيى اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف ابلا شعر « اذا مااستحين الماء يعرض نفسه * كرعن بسبت في اناء من الورد » وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل الآية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعماله من ضرب الخاتم واصله وقع شئ على آخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطنى كتابا ما اى كتاب كان اومزيدة للتأكيد كالتى في قوله تعالى * فبما رحمة من الله * ولانعنى بالمزيد اللغو الضايع فان القرآن كله هدى وبيان بل مالم يوضع لمعنى يراد منه وانما

السم بمنزلة الاب (الها واحدا) بدل من الهك (ونحن له مسلمون) وأم بمعنى همزة الانكار أى لم تحضروه وقت موته فكيف تنسبون اليه مالايليق به (تلك) مبتدأ والاشارة الى ابراهيم ويعقوب وبنيهما وأنث لتأنيث خبره (أمة قدخلت) سلفت (لها ما كسبت) من العمل أى جزاؤه استئناف (ولكم) الخطاب لليهود (ماكسبتم ولاتسئلون عماكانوا يعملون) كما لايسئلون عن عملكم والجملة تأكيد لما قبلها (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا) أو للتفصيل وقائل الاول يهود المدينة والثانى نصارى نجران (قل) لهم (بل) نتبع (ملة ابراهيم حنيفا) حال من ابراهيم مائلا عن الاديان كلها الى الدين القيم (وما كان من المشركين قولوا) خطاب للمؤمنين (آمنا بالله وما أنزل الينا) من القرآن (وما أنزل الى ابراهيم) من الصحف العشر (واسمعيل

وضعت لان تذكر مع غيرها فيفيدله وثاقة وقوة وهو زيادة فى الهدى غير
قادح فيه و بعوضة عطف بيان لمثلا اومفعول ليضرب ومثلا حال
تقدمت عليه لانه نكرة اوهما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع
على انه خبر مبتدأ وعلى هذا يحتمل ماوجوها اخر ان تكون موصولة
وحذف صدر صلتها كما حذف فى قوله * تماما على الذى احسن * وموصوفة
بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هى
المبدأ كأنه لمارد استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة
فمافوقها حتى لايضرب به المثل بل له ان يمثل بماهو احقر من ذلك ونظيره
فلان لايبالى بمايهب ماديناروديناران والبعوض فعول من البعض وهو
القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش (فما فوقها)
عطف على بعوضة اوما ان جعل اسما ومعناه ومازاد عليها فى الجثة
كالذباب والعنكبوت كأنه قصد به رد مااستنكروه والمعنى انه لايستحيى
ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه او فى المعنى الذى جعلت فيه
مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه الصلاة والسلام ضربه مثلا
للدنيا ونظيره فى الاحتمالين ماروى ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط
فقالت عائشة رضى الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال * مامن
مسلم يشاك شوكة فمافوقها الاكتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه
يحتمل مايجاوز الشوكة فى الالم كالخرور اومازاد عليها فى القلة كنخبة النملة
لقوله عليه الصلاة والسلام * مااصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى
نخبة النملة (فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم) اما حرف تفصيل
يفصل ما اجمل ويؤكد مابه صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء
قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهمايكن من شئ فزيد ذاهب اى هو ذاهب
لامحالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن
كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوا الخبر وعوضوا المبتدأ عن الشرط
لفظا وفى تصدير الجملتين به احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ
للكافرين على قولهم والضمير فى انه للمثل اولان يضرب والحق الثابت
الذى لايسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال
الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق اى محكم النسج
(واما الذين كفروا فيقولون) كان من حقه واما الذين كفروا فلايعلمون

واسحق ويعقوب والاسباط)
أولاده (وماأوتى موسى)
من التوراة (وعيسى) من
الانجيل (وماأوتى النبيون
من ربهم)من الكتب والآيات
(لانفرق بين أحد منهم)
فنؤمن ببعض ونكفر ببعض
كاليهود والنصارى
(ونحن له مسلمون فان آمنوا)
اى اليهود والنصارى (بمثل)
مثل زائد (ماآمنتم به فقد
اهتدوا وان تولوا) عن
الايمان به (فانما هم فى شقاق)
خلاف معكم (فسيكفيكهم الله)
يامحمد شقاقهم (وهو السميع)
لاقوالهم (العليم)بأحوالهم
وقد كفاه اياهم بقتل
قريظة ونفى النضير وضرب
الجزية عليهم (صبغة الله)
مصدر مؤكد لآمنا ونصبه
بفعل مقدر أى صبغنا الله
والمراد بها دينه الذى فطر
الناس عليه لظهور أثره على
صاحبه كالصبغ فى الثواب
(ومن) أى لاأحد (احسن
من الله صبغة) تمييز (ونحن له
عابدون) قال اليهود
للمسلمين نحن أهل الكتاب

الاول وقبلتنا أقدم ولم تكن الانبياء من العرب ولو كان محمد نبيا لكان منا فنزل (قل) لهم (أتحاجوننا) تخاصموننا (فى الله) أن اصطفى نبيا من العرب (وهو ربنا وربكم) فله أن يصطفى من عباده من يشاء (ولنا أعمالنا) نجازى بها (ولكم أعمالكم) تجازون بها فلا يبعد أن يكون أعمالنا مايستحق به الاكرام (ونحن له مخلصون) الدين والعمل دونكم فنحن أولى بالاصطفاء والهمزة للانكار والجمل الثلاث أحوال (أم) بل (يقولون) بالياء والتاء (ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى قل) لهم (أأنتم أعلم أم الله) أى الله أعلم وقد برأ منهما ابراهيم بقوله ماكان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا والمذكورون معه تبع له (ومن أظلم ممن كتم) أخفى الناس (شهادة عنده) كائنة (من الله) أى لا أحد أظلم منه وهم اليهود كتموا شهادة الله

ليطابق قرينة و يقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه (ماذا اراد الله بهذا مثلا) يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذى ومابعده صلته والمجموع خبر ما وان يكون مامع ذا اسما واحدا بمعنى اى شئ منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن فى جوابه الرفع على الاول والنصب على الثانى ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه و يقال للقوة التى هى مبدأ النزوع والاول مع الفعل والثانى قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف البارى تعالى به ولذلك اختلف فى معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولامكره ولافعال غيره امره بها فعلى هذا لم تكن المعاصى بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه اومعنى يوجب هذا الترجيح وهى اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفى هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز او الحال كقوله * هذه ناقة الله لكم آية (يضل به كثيرا و يهدى به كثيرا) جواب ماذا اى اضلال كثير واهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى و بيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم لابالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال تعالى * وقليل من عبادى الشكور * و يحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال « قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا » وقال « ان الكرام كثير فى البلاد وان * قلوا كما غيرهم قل وان كثروا » (ومايضل به الا الفاسقين) اى الخارجين عن حد الايمان كقوله تعالى * ان المنافقين هم الفاسقون * من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة « فواسقا عن قصدها جوائرا » والفاسق فى الشرع الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلاث الاولى التغابى وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها

والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس الكفر ومادام هو فى درجة التغابى او الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذى هو مسمى الايمان لقوله تعالى * وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا * والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق و الاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتى المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما فى بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذى اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم على الباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ يضل على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع (الذين ينقضون عهد الله) صفة للفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب واصله فى طاقات الحبل واستعماله فى ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ماهو من روادفه وهو ان العهد حبل فى ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد فى شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى * واشهدهم على انفسهم * او المأخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله * واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب * ونظائره وقيل عهود الله تعالى ثلاثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه (من بعد ميثاقه) الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهى الاحكام والمراد به ماوثق الله به عهده من الآيات والكتب او ماوثقوه به

فى التوراة لابراهيم بالحنيفية (وما الله بغافل عما تعملون) تهديد لهم (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) تقدم مثله (سيقول السفهاء) الجهال (من الناس) اليهود والمشركين (ماولاهم) أى شئ صرفهم النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (عن قبلتهم التى كانوا عليها) على استقبالها فى الصلاة وهى بيت المقدس والاتيان بالسين الدالة على الاستقبال من الاخبار بالغيب (قل لله المشرق والمغرب) أى الجهات كلها فيأمر بالتوجه الى أى جهة شاء لا اعتراض عليه (يهدى من يشاء) هدايته (الى صراط) طريق (مستقيم) دين الاسلام أى ومنهم أنتم دل على هذا (وكذلك) كما هديناكم اليه (جعلناكم) يا امة محمد (امة وسطا) خيارا عدولا (لتكونوا شهداء على الناس) يوم القيامة ان رسلهم بلغتهم (ويكون الرسول عليكم شهيدا) أنه بلغكم (وما جعلنا) صيرنا

من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق (ويقطعون ما امر الله به ان يوصل) يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب فى التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر مافيه رفض خير اوتعاطى شرفانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصود بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمى الامر الذى هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شأن وهو الطلب والقصد يقال شأنت شأنه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثانى احسن لفظا ومعنى (ويفسدون فى الارض) بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التى بها نظام العالم وصلاحه (اولئك هم الخاسرون) الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتباس مايفيدهم الحياة الابدية واستبدال الانكار والطعن فى الايات بالايمان بها والنظر فى حقايقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب (كيف تكفرون بالله) استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التى يقع عليها على الطريق البرهانى لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى فى انكار الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريق الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبرونى على اى حال تكفرون (وكنتم امواتا) اى اجساما لا حياة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة (فاحياكم) بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقى (ثم يميتكم) عند تقضى آجالكم (ثم يحييكم) بالنشور يوم نفخ الصور اوللسؤال فى القبور (ثم اليه ترجعون) بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم اوتنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالتكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم

(القبلة) لك الآن الجهة (التى كنت عليها) أولا وهى الكعبة وكان صلى الله عليه وسلم يصلى اليها فلما هاجر أمر باستقبال بيت المقدس تألفا لليهود فصلى اليه ستة أوسبعة عشر شهرا ثم حول (الا لنعلم) علم ظهور (من يتبع الرسول) فيصدقه (ممن ينقلب على عقبيه) اى يرجع الى الكفر شكا فى الدين وظنا ان النبى صلى الله عليه وسلم فى حيرة من امره وقد ارتد لذلك جماعة (وان) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اى وانها (كانت) اى التولية اليها (لكبيرة) شاقة على الناس (الا على الذين هدى الله) منهم (وما كان الله ليضيع ايمانكم) اى صلاتكم الى بيت المقدس بل يثيبكم عليه لان سبب نزولها السؤال عمن مات قبل التحويل (ان الله بالناس) المؤمنين (لرؤف رحيم) فى عدم اضاعة اعمالهم والرأفة شدة الرحمة وقدم الابلغ للفاصلة (قد) للتحقيق (نرى تقلب)

من الدلائل منزل منزلة عليهم فى ازاحة العذر سيما وفى الآية تنبيه على مايدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر على احيائهم اولا قدر على ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته او الخطاب مع القبيلين فانه سبحانه لمابين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحياة الثانية التى هى الحياة الحقيقية كما قال الله تعالى * وان الدار الآخرة لهى الحيوان * كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لايصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحياة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لاعين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحياة حقيقة فى القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمى الحيوان حيوانا مجازا فى القوة النامية لانها من طلائعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمال لها وغايتها والموت بازائها يقال على مايقابلها فى كل مرتبة قال تعالى * قل الله يحييكم ثم يميتكم * وقال * اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها * وقال * اومن كان ميتا فاحييناه وجعلناله نورا يمشى به فى الناس * واذا وصف بها البارى تعالى اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضى ذلك على الاستعارة وقرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء فى جميع القرآن (هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا) بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم فى دنياكم باستنفاعكم بها فى مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لمايلائمها من لذات الآخرة وآلامها لا على وجه الغرض فان

تصرف (وجهك فى) جهة (السماء) متطلعا الى الوحى ومتشوقا للامر باستقبال الكعبة وكان يود ذلك لانها قبلة ابراهيم ولانه أدعى الى اسلام العرب (فلنولينك) نحولنك (قبلة ترضاها) تحبها (فول وجهك) استقبل فى الصلاة (شطر) نحو (المسجد الحرام) أى الكعبة (وحيثما كنتم) خطاب للامة (فولوا وجوهكم) فى الصلاة (شطره وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه) أى التولى الى الكعبة (الحق) الثابت (من ربهم) لما فى كتبهم من نعت النبى صلى الله عليه وسلم من أنه يتحول اليها (وماالله بغافل عما تعملون) بالتاء ايها المؤمنون من امتثال أمره وبالياء أى اليهود من انكار أمر القبلة (ولئن) لام قسم (أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية) على صدقك فى أمر القبلة (ماتبعوا) أى

يتبعون (قبلتك) عنادا (وماأنت بتابع قبلتهم) قطع لطمعه فى اسلامهم وطمعهم فى عوده اليها (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) أى اليهود قبلة النصارى وبالعكس (ولئن اتبعت أهواءهم) التى يدعونك اليها (من بعد ماجاءك من العلم) الوحى (انك اذا) ان اتبعتهم فرضا (لمن الظالمين الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) أى محمدا (كما يعرفون ابناءهم) بنعته فى كتبهم قال ابن سلام لقد عرفته حين رأيته كما اعرف ابنى ومعرفتى لمحمد أشد (وان فريقا منهم ليكتمون الحق) نعته (وهم يعلمون) هذا الذى أنت عليه (الحق) كائنا (من ربك فلا تكونن من الممترين) الشاكين فيه أى من هذا النوع فهو أبلغ من لا تمتر (ولكل) من الامم (وجهة) قبلة (هو موليها) وجهه فى صلاته وفى قرأة مولاها (فاستبقوا الخيرات) بادروا الى الطاعات وقبولها (أينما

الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضى اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لاان كل واحد لكل واحد ومايعم كل مافى الارض لاالارض الااذا اريد بهاجهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثانى (ثم استوى الى السماء) قصدا ليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصد امستويا من غيران يلوى على شئ واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لمافيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى اى استولى وملك قال « قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق » والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المترتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية اوجهات العلو وثم لعله لتفاوت مابين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله تعالى * ثم كان من الذين امنوا * لاللتراخى فى الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى * والارض بعد ذلك دحاها * فانه يدل على تأخر دحو الارض المتقدم على خلق مافيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان تستأنف بدحاها مقدرا لنصب الارض فعلا آخر دل عليه أأنتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر (فسواهن) عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع اوهو فى معنى الجمع والافبهم يفسره مابعده كقولهم ربه رجلا (سبع سموات) بدل اوتمييز اوتفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيماذكروه شكوك وان صح فليس فى الآية نفى الزائد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسى لم يبق خلاف (وهو بكل شئ عليم) فيه تعليل كأنه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ماخلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لايتصور الامن عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج فى صدورهم من ان الابدان بعد ماتبددت وتفتتت اجزاؤها واتصلت بمايشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث

لايشذشئ منهـا ولاينضم اليهـا مالم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره
قوله تعـالى * وهو بكل خلق عليم * واعلم ان صحـة الحشر مبنيـة على
ثلاث مقـدمات وقدبرهن عليهـا فى هـاتين الآيتـين امالاولى فهـو
ان مواد الابدان قابلة للجمع والحياة واشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم
امواتا فاحيـاكم ثم يميتكم فان تعـاقب الافتراق والاجتماع والموت والحيـاة
عليها يدل على انها قابلة لها بذاتهـا ومابالذات يأبى ان يزول ويتغير واما
الثانية والثـالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها واشار
الى وجه اثباتهما بانه تعـالى قادر على ابدائهم وابداء ماهو اعظم خلقـا
واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم وانه تعالى خلق ماخلق
خلقـا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسـد
حاجاتهم وذلك دليل على تناهى علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته
وقدسـكن نافع وابوعمرو والكسـائى الهـاء من نحو فهو وهو تشبيهـا له
بعضد (واذقال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة) تعـداد لنعمة
ثالثة تعم النـاس كلهم فان خلق آدم واكرامه وتفضيـله على ملائكته بان
امرهم بالسجود انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبـة ماضيـة وقع
فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيـه اخرى ولذلك يجب
اضـافتهما الى الجمل كحيث فى المكان وبنيتا تشبيهـا لهما بالموصـولات
واستعملتا للتعليل والمجـازات ومحلهما النصب ابدا بالظرفيـة فانهمـا
من الظروف الغير المتصرفة لماذكرناه واماقوله تعالى * واذكر اخاعاد اذ انذر
قومه * ونحوه فعلى تأويل اذكر الحادث اذكان كذا فحذف الحـادث واقيم
الظرف مقـامه وعامله فى الآية قالوا او اذكر على التـأويل المذكور لانه
جاء معمـولاله صريحـا فى القرآن كثيرا اومضمر دل عليـه مضمون
الآية المتقدمة مثـل وبدأ خلقكم اذقال وعلى هـذا فالجملة معطـوفة على
خلق لكم داخلة فى حكم الصـلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملأك
على الاصل كالشمائل جمع شمأل والتاء لتأنيث الجمع وهو مقلوب مألك من الالوكة
وهى الرسالة لانهم وسـائط بين الله وبين النـاس فهم رسل الله اوكالرسل
اليهم واختلف العقـلاء فى حقيقتهم بعـد اتفاقهم على انهـا ذوات
موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسـام لطيفـة قادرة
على التشكل باشـكال مختلفة مستـدلين بان الرسـل كانوا يرونهم كذلك

تكونوا يأت بكم الله جميعا)
يجمعكم يوم القيامة فيجازيكم
بأعمـالكم (ان الله على
كل شئ قـدير ومن حيث
خرجت) لسفر (فـول
وجهك شطر المسجد الحرام
وانه للحق من ربك وماالله
بغـافل عما تعملون) بالتاء
واليـاء تقدم مثـله وكرره
لبيان تساوى حكم السـفر
وغيره (ومن حيث خرجت
فول وجهك شـطر المسجد
الحرام وحيثمـا كنتم فولوا
وجوهكم شـطره) كرره
للتـأكيـد (لئـلا يكون
للنـاس) اليهود أو المشركين
(عليكم حجة) أى مجادلة
فى التولى الى غيره أى لتنتفى
مجـادلتهم لكم من قـول
اليهود يجحد ديننـا ويتبع
قبلتنا وقول المشركين يدعى
ملة ابراهيم ويخـالف قبلته
(الاالذين ظلموا منـهم)
بالعناد فانهم يقولون ماتحول
اليهـا الاميـلا الى دين آبائه
والاستثناء متصـل والمعنى
لايكون لاحد عليكم كلام
الا كـلام هـؤلاء (فلا
تخشوهم) تخافوا جدالهم

وقالت طائفة من النصارى هى النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان
وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة فى الحقيقة منقسمة
الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق فى معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال
بغيره كما وصفهم فى محكم تنزيله فقال * يسبحون الليل والنهار لايفترون * وهم
العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على
ماسبق به القضاء وجرى به القلم الالهى لايعصون الله ماامرهم ويفعلون
مايؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل
اثبته فى كتاب الطوالع والمقول له الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص
وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه فى محاربة الجن فانه
تعالى اسكنهم فى الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس فى جند
من الملائكة فدمرهم وفرقهم فى الجزائر والجبال وجاعل من جعل
الذى له مفعولان وهما فى الارض خليفة اعمل فيهما لانه بمعنى المستقبل
ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره
وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عليه الصلاة والسلام
لانه كان خليفة الله فى ارضه وكذلك كل نبى استخلفهم الله فى عمارة الارض
وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لالحاجة له تعالى
الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقى امره بغير
وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال الله تعالى * ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا * الاترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث
يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى
رتبة كلمه بلاواسطة كما كلم موسى عليه السلام فى الميقات ومحمدا صلى الله
عليه وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك فى الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول
الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل البارى تعالى بحكمته بينهما
الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطى ذلك اوخليفة من سكن
الارض قبله اوهو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم
بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغنى بذكر
ابى القبيلة فى قولهم مضر وهاشم اوعلى تأويل من يخلفكم اوخلفا
يخلفكم وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شأن المجعول
بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله

فى التولى اليها (واخشونى) بامتثال أمرى (ولاتم) عطف على لئلا يكون (نعمتى عليكم) بالهداية الى معالم دينكم (ولعلكم تهتدون) الى الحق (كما ارسلنا) متعلق بأتم أى اتماما كاتمامها بارسالنا (فيكم رسولا منكم) محمدا صلى الله عليه وسلم (يتلو عليكم آياتنا) القرآن (ويزكيكم) يطهركم من الشرك (ويعلمكم الكتاب) القرآن (والحكمة) مافيه من الاحكام (ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون فاذكرونى) بالصلاة والتسبيح ونحوه (أذكركم) قيل معناه اجازيكم وفى الحديث عن الله من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير من ملئه (واشكروا لى) نعمتى بالطاعة (ولاتكفرون) بالمعصية (ياأيها الذين آمنوا استعينوا) على الآخرة (بالصبر) على الطاعة والبلاء (والصلاة) خصها

الراجع على مافيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضى ايجاد مايغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك (قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها اويستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفى عليهم من الحكمة التى بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج فى صدره وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن فى بنى آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى * بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون * وانما عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى او تلق من اللوح او استنباط مما ركز فى عقولهم ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الآخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب فالسفك يقال فى الدم والدمع والسبك فى الجواهر المذابة والسفح فى الصب من اعلى والشن فى الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا محذوفا اى يسفك الدماء فيهم (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج القديم والمعنى اتستخلف عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ماهو متوقع منهم على الملائكة المعصومين فى الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكأنهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة فى استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لايقتضى الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم مايتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد مايقصر عنه الآحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذى هو المقصود

بالذكر لتكررها وعظمها (ان الله مع الصابرين) بالعون (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله) هم (أحياء) أرواحهم فى حواصل طيور خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت لحديث بذلك (ولكن لاتشعرون) يعلمون ماهم فيه (ولنبلونكم بشئ من الخوف) العدو (والجوع) القحط (ونقص من الاموال) بالهلاك (والانفس) بالقتل والموت والامراض (والثمرات) بالجوائح أى لنختبرنكم أتصبرون أم لا (وبشر الصابرين) على البلاء بالجنة هم (الذين اذا أصابتهم مصيبة) بلاء (قالوا انا لله) ملكا وعبيدا يفعل بنا مايشاء (وانا اليه راجعون) فى الآخرة فيجازينا فى الحديث من استرجع عند المصيبة آجره الله فيها وأخلف عليه خيرا وفيه أن مصباحا لنبى صلى الله عليه وسلم طفئ فاسترجع فقالت عائشة انما هذا مصباح فقال كل ماساء المؤمن فهو مصيبة رواه أبو داود فى مراسيله

من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا بقوله (قال انى اعلم مالا تعلمون)
والتسبيح تبعيدالله تعالى عن السوء والنقصان وكذلك التقديس
من سبح الارض والماء وقدس فى الارض اذاذهب فيها وابعد ويقال
قدس اذاطهر لان مطهر الشئ مبعدله عن الاقذار وبحمدك فى موضع
الحال اى ملتبسين بحمدك على ماالهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك
تداركوا به ماأوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا
عن الذنوب لاجلك كأنهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح
وسفك الدماء الذى هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام
وقيل نقدسك واللام مزيدة (وعلم آدم الاسماء كلها) اما بخلق علم
ضرورى بها فيه اوالقاء فى روعه ولايفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل
والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم
اعجمى كآزروشالخ واشتقاقه من الادمة اوالادمة بالفتح بمعنى الاسوة
اومن اديم الارض * لماروى عنه عليه الصلاة والسلام انه تعالى قبض
قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتى بنوه
اخيافا اومن الادم والادمة بمعنى الألفة تعسف كاشتقاق ادريس
من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق
مايكون علامة للشئ ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات
والافعال واستعماله عرفا فى اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا اومفردا
مخبرا عنه اوخبرا اورابطة بينهما واصطلاحا فى المفرد الدال على معنى
فى نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد فى الآية اماالاول اوالثانى
وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم
بالمعانى والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعد
لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات
والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول
العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها (ثم عرضهم على الملائكة)
الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذالتقدير اسماء المسميات فحذف
المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى
* واشتعل الرأس شيبا * لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلايكون
المعروض نفس الاسماء سيما ان اريدبه الالفاظ والمرادبه ذوات الاشياء

اومدلولات

(أولئك عليهم صلوات)
مغفرة (من ربهم ورحمة)
نعمة (وأولئك هم المهتدون)
الى الصواب (ان الصفا
والمروة) جبلان بمكة
(من شعائر الله) أعلام
دينه جمع شعيرة (فمن حج
البيت أواعتمر) أى تلبس
بالحج اوالعمرة وأصلهما
القصد والزيارة (فلاجناح)
اثم (عليه أن يطوف) فيه
ادغام التاء فى الاصل فى الطاء
(بهما) بأن يسعى بينهما
سبعا نزلت لما كره المسلمون
ذلك لان أهل الجاهلية
كانوايطوفون بهما وعليهما
صنمان يمسحونهما وعن ابن
عباس ان السعى غير فرض
لما أفاده رفع الاثم من التخيير
وقال الشافعى وغيره ركن
وبين صلى الله عليه وسلم
فرضيته بقوله ان الله كتب
عليكم السعى رواه البيهقى
وغيره وقال ابدؤا بما بدأ الله به
يعنى الصفا رواه مسلم
(ومن تطوع) وفى قراءة
بالتحتية وتشديد الطاء
مجزوما وفيه ادغام التاء
فيها (خيرا) أى بخير

او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب مااشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها (فقال انبئونى باسماء هؤلاء) تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجرى مجرى كل واحد منهما (ان كنتم صادقين) فى زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لايليق بالحكيم وهو وان لم يصرح به لكنه لازم مقالتهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بغرض مايلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعترى الانشاآت (قالوا سبحانك لاعلم لنا الا ما علمتنا) اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ماخفى عليهم من فضل الانسان والحكمة فى خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم مااعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولايكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجرى علما على التسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ فى قوله «سبحان من علقمة الفاخر» وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس سبحانك انى كنت من الظالمين (انك انت العليم) الذى لايخفى عليه خافية (الحكيم) المحكم لمبدعاته الذى لايفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تأكيد للكاف كما فى قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه مالا يسوغ فى المتبوع ولذلك جاز ياهذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره مابعده والجملة خبر ان (قال يا آدم انبئهم باسمائهم) اى اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما (فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض واعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون) استحضار لقوله اعلم مالاتعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ماخفى عليهم من امور السموات والارض وماظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم مالايعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين

أى عمل مالم يجب عليه من طواف وغيره (فان الله شاكر) لعمله بالاثابة عليه (عليم) به * ونزل فى اليهود (ان الذين يكتمون) الناس (ما انزلنا من البينات والهدى) كآية الرجم ونعت محمد صلى الله عليه وسلم (من بعد مابيناه للناس فى الكتاب) التوراة (أولئك يلعنهم الله) يبعدهم من رحمته (ويلعنهم اللاعنون) الملائكة والمؤمنون أو كل شئ بالدعاء عليهم باللعنة (الا الذين تابوا) رجعوا عن ذلك (واصلحوا) عملهم (وبينوا) ماكتموا (فأولئك أتوب عليهم) أقبل توبتهم (وأنا التواب الرحيم) بالمؤمنين (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار) حال (أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) أى هم مستحقون ذلك فى الدنيا والآخرة والناس قيل عام وقيل المؤمنون (خالدين فيها) أى اللعنة أو النار المدلول بها عليها (لايخفف عنهم العذاب) طرفة عين (ولاهم ينظرون) يمهلون لتوبة أو معذرة *

ونزل لما قالوا صف لنا ربك (والهكم) المستحق للعبادة منكم (اله واحد) لانظير له فى ذاته ولاصفاته (لااله الاهو) هو (الرحمن الرحيم) وطلبوا آية على ذلك فنزل (ان فى خلق السموات والارض) ومافيهما من العجائب (واختلاف الليل والنهار) بالذهاب والمجئ والزيادة والنقصان (والفلك) السفن (التى تجرى فى البحر) ولاترسب موقرة (بماينفع الناس) من التجارات والحمل (وما انزل الله من السماء من ماء) مطر (فأحيى به الارض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (وبث) فرق ونشربه (فيها من كل دابة) لانهم ينمون بالخصب الكائن عنه (وتصريف الرياح) تقليبها جنوبا وشمالا حارة وباردة (والسحاب) الغيم (المسخر) المذلل بامر الله تعالى يسير الى حيث شاء الله (بين السماء والارض) بلاعلاقة (لآيات) دالات على وحدانيته) تعالى (لقوم يعقلون) يتدبرون (ومن الناس

لان يبين لهم وقيل ماتبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وماكنتم تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لايخلق خلقا افضل منهم وقيل ماظهروا من الطاعة واسرابليس منهم من المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط فى الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص اوعموم وتعليمها ظاهر فى القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعى سابقة وضع والاصل ينفى ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله سبحانه وتعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك فى الطبقة العليا منهم وحملوا عليه قوله تعالى « ومامنا الاله مقام معلوم » وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى « هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون » وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها (واذقلنا للملائكة اسجدوا لآدم) لما انبأهم باسماء وعلمهم مالم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوى خلقه لقوله تعالى * فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين * امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهى نعمة رابعة عدها عليهم والسجود فى الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر « ترى الاكم فيها سجدا للحوافر » وقال « وقلن له اسجد لليلى فاسجدا » يعنى البعير اذا طأطأ رأسه وفى الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به اماالمعنى الشرعى فالمسجود له فى الحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشأنه اوسببا لوجوبه فكأنه تعالى لما خلقه بحيث يكون نموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لمافى العالم الروحانى والجسمانى وذريعة للملائكة الى استيفاء ماقدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ماتباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم

بالسجود تذللا لما رأوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما انعم عليهم
بواسطته فاللام فيه كاللام فى قول حسان رضى الله تعالى عنه « أليس
اول من صلى لقبلتكم * واعرف الناس بالقرآن والسنن » او فى قوله
تعالى * اقم الصلاة لدلوك الشمس * واما المعنى اللغوى وهو التواضع لآدم
تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعى
فى تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام فى ان المأمورين
بالسجود الملائكة كلهم او طائفة منهم ما سبق (فسجدوا الا ابليس ابى
واستكبر) امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة فى عبادة ربه
او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء
امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار
طلب ذلك بالتشبع (وكان من الكافرين) اى فى علم الله او صار منهم
باستقباحه امر الله تعالى اياه بالسجود لآدم اعتقادا بانه افضل منه
والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به
قوله انا خير منه جوابا لقوله * ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى استكبرت
ام كنت من العالين * لا بترك الواجب وحده والآية تدل على ان آدم افضل
من الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة
والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى
* الا ابليس كان من الجن * لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة
نوعا ولان ابن عباس روى ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن
ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا
نشأ بين اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن
ايضا كانوا مأمورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم
فانه اذا علم ان الاكابر مأمورون بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر
ايضا مأمورون به والضمير فى فسجدوا راجع الى القبيلين فكأنه قال فسجد
المأمورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان
الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم
العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم
بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن يشملهما
وكان ابليس من هذا الصنف كما قال ابن عباس ولذلك صح عليه

من يتخذ من دون الله) أى غيره
(أندادا) أصناما (يحبونهم)
بالتعظيم والخضوع (كحب الله)
أى كحبهم له (والذين آمنوا
أشد حبا لله) من حبهم للانداد
لانهم لا يعدلون عنه بحال
ما والكفار يعدلون فى الشدة
الى الله (ولو ترى) تبصر يا
محمد (الذين ظلموا) باتخاذ
الانداد (اذ يرون) البناء
للفاعل والمفعول يبصرون
(العذاب) لرأيت أمرا
عظيما واذ بمعنى اذا (أن)
أى لان (القوة) القدرة
والغلبة (لله جميعا) حال
(وأن الله شديد العذاب)
وفى قراءة يرى بالتحتانية
والفاعل ضمير السامع وقيل
الذين ظلموا فهى بمعنى يعلم وأن
وما بعدها سدت مسد المفعولين
وجواب لو محذوف والمعنى
لو علموا فى الدنيا شدة عذاب الله
وأن القدرة لله وحده وقت
معاينتهم له وهو يوم القيامة
لما اتخذوا من دونه أندادا
(اذ) بدل من اذ قبله (تبرأ
الذين اتبعوا) أى الرؤساء
(من الذين اتبعوا) أى انكروا
اضلالهم (و) قد (رأوا العذاب

التغير عن حاله والهبوط من محله كما اشار اليه بقوله عزوعلا * الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه * لايقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لماروت عائشة رضى الله عنها انه عليه السلام قال خلقت الملائكة من النور وخلق الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لماذكرت فان المراد بالنور الجوهر المضيئ والنار كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب مايصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولاتزال تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عندالله تعالى ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار وانه قديفضى بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار لامره وترك الخوض فى سره وان الامر للوجوب وان الذى علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هوالكافر على الحقيقة اذالعبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا ابى الحسن الاشعرى رحمه الله (وقلنا ياآدم اسكن انت وزوجك الجنة) السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تأكيد اكدبه المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولامعهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انه بستان كان بارض فلسطين اوبين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لآدم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما فى قوله تعالى * اهبطوا مصرا (وكلا منها رغدا) واسعا رافها صفة مصدر محذوف (حيث شئتما) اى مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر فى التناول من الشجرة المنهى عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر (ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) فيه مبالغات تعليق النهى بالقرب الذى هو من مقدمات التناول مبالغة فى تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشئ يورث داعية وميلا يأخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كماروى حبك الشئ يعمى ويصم فينبغى ان لايحوما حول ماحرم الله عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا

وتقطعت) عطف على تبرأ (بهم) عنهم (الاسباب) الوصل التى كانت بينهم فى الدنيا من الارحام والمودة (وقال الذين اتبعوا لوأن لنا كرة) رجعة الى الدنيا (فنتبرأ منهم) أى المتبوعين (كما تبرؤا منا) اليوم ولو للتمنى ونتبرأ جوابه (كذلك) اى كما اراهم شدة عذابه وتبرؤ بعضهم من بعض (يريهم الله أعمالهم) السيئة (حسرات) حال ندامات (عليهم وماهم بخارجين من النار) بعدد خولها * ونزل فيمن حرم السوائب ونحوها (ياأيها الناس كلوامما فى الارض حلالا) حال (طيبا) صفة مؤكدة أومستلذا (ولاتتبعوا خطوات) طرق (الشيطان) أى تزيينه (انه لكم عدومبين) بين العداوة (انمايأمركم بالسوء) الاثم (والفحشاء) القبيح شرعا (وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) من تحريم مالم يحرم وغيره (واذا

لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصى اوبنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهى اوالجواب له والشجرة هى الحنطة اوالكرمة اوالتينة اوشجرة من اكل منها احدث والاولى ان لاتعين من غير قاطع كما لاتعين فى الآية لعدم توقف ماهوالمقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذى بالياء (فازلهما الشيطان عنها) اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظير عن هذه فى قوله تعالى * ومافعلته عن امرى * اوازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قرأة حمزة فازالهما وهما متقاربان فى المعنى غير ان زل يقتضى عثرة مع الزوال وازلاله قوله * هل ادلك على شجرة الخلد وملك لايبلى * وقوله مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين * ومقاسمته اياهما بقوله انى لكما لمن الناصحين واختلف فى انه تمثل لهما فقاولهما بذلك اوالقاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعد ماقيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عندالباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل فى فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عندالله تعالى (فاخرجهما مما كانا فيه) اى من الكرامة والنعيم (وقلنا اهبطوا) خطاب لآدم وحواء لقوله تعالى * قال اهبطا منها جميعا * وجمع الضمير لانهما اصلا الانس فكأنهما الانس كلهم اوهما وابليس اخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة اودخلها مسارقة اومن السماء (بعضكم لبعض عدو) حال استغنى فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغى بعضكم على بعض بتضليله (ولكم فى الارض مستقر) موضع استقرار او استقرار (ومتاع) اى تمتع (الى حين) يريد به وقت الموت او القيامة (فتلقى آدم من ربه كلمات) استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته وهى قوله تعالى * ربنا ظلمنا انفسنا * الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لااله الا انت ظلمت نفسى فاغفرلى انه لايغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال يارب

قيل لهم) أى الكفار (اتبعوا ما أنزل الله) من التوحيد وتحليل الطيبات (قالوا) لا (بل نتبع ما ألفينا) وجدنا (عليه آباءنا) من عبادة الاصنام وتحريم السوائب والبحائر قال تعالى (أ) يتبعونهم (ولوكان آباؤهم لايعقلون شيئا) من أمر الدين (ولايهتدون) الى حق والهمزة للانكار (ومثل) صفة (الذين كفروا) ومن يدعوهم الى الهدى (كمثل الذى ينعق) يصوت (بما لايسمع الا دعاء ونداء) اى صوتا ولايفهم معناه أى هم فى سماع الموعظة وعدم تدبرها كالبهائم تسمع صوت راعيها ولا تفهمه هم (صم بكم عمى فهم لايعقلون) الموعظة (ياأيها الذين امنوا كلوا من طيبات) حلالات (مارزقناكم واشكروا لله) على ما احل لكم (ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة) أى أكلها اذ الكلام فيه وكذا ما بعدها وهى ما

الم تخلقنى بيدك قال بلى قال يارب الم تنفخ فى الروح من روحك قال بلى قال
الم تسكنى جنتك قال بلى قال يارب ان تبت واصلحت اراجعى انت الى الجنة
قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التأثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر
كالكلام والجرحة والحركة (فتاب عليه) رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما
رتبه بالفاء على تلقى الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم
عليه والعزم على ان لايعود اليه واكتفى بذكر آدم لان حواء كانت تبعا له
فى الحكم ولذلك طوى ذكر النساء فى اكثر القرآن والسنن (انه هو التواب)
الرجاع على عباده بالمغفرة او الذى يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة
الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها
البارى تعالى اريد بها الرجوع عن العقوبة الى المغفرة (الرحيم) المبالغ
فى الرحمة وفى الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو (قلنا اهبطوا
منها جميعا) كرر للتأكيد او لاختلاف المقصود فان الاول دل على
ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثانى اشعر بانهم
اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على
ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان تعوقه
عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسى ولم نجد له عزما
وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة
الى السماء الدنيا والثانى منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال فى اللفظ
تأكيد فى المعنى كأنه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لايستدعى اجتماعهم
على الهبوط فى زمان واحد كقولك جاؤا جميعا (فاما يأتينكم منى هدى
فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) الشرط الثانى مع جوابه
جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن تأكيد الفعل
بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان يأتينكم منى هدى بانزال
او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جيئ بحرف الشك واتيان الهدى
كائن لامحالة لانه محتمل فى نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر
لانه اراد بالثانى اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل اى فمن
تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا عن ان يحل
بهم مكروه ولاهم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على
المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على

لم يذك شرعا وألحق بها بالسنة
ما أبين من حى وخص منها
السمك والجراد (والدم)
أى المسفوح كما فى الانعام
(ولحم الخنزير) خص
اللحم لانه معظم المقصود
وغيره تبع له (وما أهل به لغير الله)
أى ذبح على اسم غيره
والاهلال رفع الصوت
وكانوا يرفعونه عند الذبح
لآلهتهم (فمن اضطر) أى
الجأته الضرورة الى أكل
شئ مما ذكر فاكله (غير باغ)
خارج على المسلمين (ولا عاد)
متعد عليهم بقطع الطريق
(فلا اثم عليه) فى أكله
(ان الله غفور) لاوليائه
(رحيم) بأهل طاعته حيث
وسع لهم فى ذلك وخرج
الباغى والعادى ويلحق
بهما كل عاص بسفره
كالآبق والمكاس فلا يحل
لهم اكل شئ من ذلك مالم
يتوبوا وعليه الشافعى
(ان الذين يكتمون ما انزل
الله من الكتاب) المشتمل
على نعت محمد وهم اليهود
(ويشترون به ثمنا قليلا)
من الدنيا يأخذونه بدله من

آكدوجه وابلغه وقرئ هدى على لغة هذيل ولاخوف بالفتح (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) عطف على فمن تبع الى آخره قسيم له كأنه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا بآياته او كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور والآية فى الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من اى لانها تبين ايا من اى او من اوى اليه واصلها اية او اوية كثمرة فابدلت عينها الفا على غير قياس او اياية او اوية كرمكة فأعلت او آئية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد بآياتنا الآيات المنزلة او مايعمها والمعقولة تنبيه وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من وجوه الاول ان آدم صلوات الله عليه كان نبيا وارتكب المنهى عنه والمرتكب له عاص والثانى انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى * الا لعنة الله على الظالمين * والثالث انه تعالى اسند اليه العصيان والغى فقال * وعصى آدم ربه فغوى * والرابع انه تعالى لقنه التوبة وهى الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله تعالى اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لولم يذنب لم يجر عليه ماجرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعى مطالب بالبيان والثانى ان النهى للتنزيه وانما سمى ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى له واما اسناد الغى والعصيان اليه فسيأتى الجواب عنه فى موضعه ان شاء الله تعالى وانما امر بالتوبة تلافيا لمافات عنه وجرى عليه ماجرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه والثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى * فنسى ولم نجد له عزما * ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال عليه الصلاة والسلام * اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل او ادى فعله الى ماجرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة كتناول السم على الجاهل بشانه لايقال انه باطل لقوله تعالى * مانهاكما ربكما * وقاسمهما * الآيتين لانه ليس فيهما مايدل على ان تناوله حين ماقاله ابليس فلعل مقاله اورث فيه

سفلتهم فلا يظهرونه خوف فوته عليهم (أولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار) لانها مآله (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) غضبا عليهم (ولا يزكيهم) يطهرهم من دنس الذنوب (ولهم عذاب اليم) مؤلم هو النار (اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أخذوها بدله فى الدنيا (والعذاب بالمغفرة) المعدة لهم فى الآخرة لو لم يكتموا (فما أصبرهم على النار) أى ما أشد صبرهم وهو تعجيب للمؤمنين من ارتكابهم موجباتها من غير مبالاة والا فأى صبر لهم (ذلك) الذى ذكر من أكلهم النار ومابعده (بان) بسبب أن (الله نزل الكتاب بالحق) متعلق بنزل فاختلفوا فيه حيث آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه بكتمه (وان الذين اختلفوا فى الكتاب) بذلك وهم اليهود وقيل المشركون فى القرآن حيث قال بعضهم شعر وبعضهم سحر وبعضهم كهانة (لفى شقاق) خلاف (بعيد) عن

ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسى ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه والرابع انه عليه السلام اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطأ فيه فانه ظن ان النهى للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روى انه عليه الصلاة والسلام اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتى حل لاناثها وانما جرى عليه ماجرى تفظيعا لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها فى جهة عالية والتوبة مقبولة وان متبع الهدى مأمون العاقبة وان عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد وان غيره لايخلد فيه لمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه وتعالى لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتأكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لاشريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ماهو مثبت فى الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وماهو اعظم من ذلك تدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله تعالى عليهم ويوفوا بعهوده فى اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ومانزل عليه فقال (يابنى اسرائيل) اى اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت الفكر واسرآئيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائيل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة ياء (اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم) اى بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ماانعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ماانعم الله به عليه حمله حب النعمة على الرضى والشكر وقيل اراد بها ماانعم الله به على آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ اذكروا والاصل افتعلوا ونعمتى باسكان الياء وقفا واسقاطها درجا وهو مذهب

الحق (ليس البر أن تولوا وجوهكم) فى الصلاة (قبل المشرق والمغرب) نزل ردا على اليهود والنصارى حيث زعموا ذلك (ولكن البر) أى ذا البر وقرئ بفتح الباء أى البار (من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب) أى الكتب (والنبيين وآتى المال على مع(حبه)له(ذوى القربى) القرابة(واليتامى والمساكين وابن السبيل) المسافر (والسائلين) الطالبين(وفى) فك(الرقاب)المكاتبين والاسرى (واقام الصلاة وآتى الزكاة) المفروضة وماقبله فى التطوع (والموفون بعهدهم اذا عاهدوا) الله أو الناس (والصابرين) نصب على المدح (فى البأساء) شدة الفقر (والضراء) المرض (وحين البأس) وقت شدة القتال فى سبيل الله (أولئك) الموصوفون بماذكره (الذين صدقوا) فى ايمانهم أو ادعاء البر (وأولئك هم المتقون)

من لايحرك الياء المكسور ماقبلها (واوفوا بعهدى) بالايمان والطاعة (اوف بعهدكم) بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثانى الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعدلهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتى الشهادة ومن الله تعالى حقن الدم والمال وآخرها منا الاستغراق فى بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم وماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اوفوا بعهدى فى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم اوف بعهدكم فى رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب واوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتمونى من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين فى سورة المائدة فى قوله تعالى * ولقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل * الى قوله * ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار * وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة (واياى فارهبون) فيما تأتون وتذرون وخصوصا فى نقض العهود وهو آكد فى افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كأنه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغى ان لايخاف احدا الا الله تعالى (وآمنوا بما انزلت مصدقا لمامعكم) افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسبما نعت فيها اومطابق لها فى القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهى عن المعاصى والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار فى المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم فى ايام المتأخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام * لوكان

الله (ياايها الذين آمنوا كتب) فرض (عليكم القصاص) المماثلة (فى القتلى) وصفا وفعلا (الحر) يقتل (بالحر) ولايقتل بالعبد (والعبد بالعبد والانثى بالانثى) وبينت السنة أن الذكر يقتل بها وأنه تعتبر المماثلة فى الدين فلا يقتل مسلم ولو عبدا بكافر ولو حرا (فمن عفى له) من القاتلين (من) دم (أخيه) المقتول (شئ) بأن ترك القصاص منه وتنكير شئ يفيد سقوط القصاص بالعفو عن بعضه ومن بعض الورثة وفى ذكر أخيه تعطف داع الى العفو وايذان بأن القتل لايقطع أخوة الايمان ومن مبتدأ شرطية أوموصولة والخبر (فاتباع) أى فعلى العافى اتباع للقاتل (بالمعروف) بأن يطالبه بالدية بلا عنف وترتيب الاتباع على العفو يفيد أن الواجب أحدهما وهو أحد قولى الشافعى والثانى الواجب القصاص والدية بدل عنه فلوعفا ولم يسمها

موسى حيا لما وسعه الا اتباعى تنبيه على ان اتباعهما لاينا فى الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله (ولاتكونوا اول كافر به) بان الواجب ان يكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا اهل النظر فى معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافر به وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق اوفوج اوبتأويل لايكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم فى الكفر وقد سبقهم مشركوا العرب قلت المراد به التعريض لاالدلالة على مانطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل اوولاتكونوا اول كافر من اهل الكتاب اوممن كفر بمامعه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بمايصدقه اومثل من كفر من مشركى مكة واول افعل لافعل له وقيل اصله اوأل من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسى اوأ أول من آل فقلبت همزته واوا ودغمت (ولاتشتروا باياتى ثمنا قليلا) ولاتستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى مايفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل وكان لهم رياسة فى قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لواتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها عليه وقيل كانوا يأخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه (واياى فاتقون) بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ماهو كالمبادى لمافى الآية الثانية فصلت بالرهبة التى هى مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لماعم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التى هى مبدأ السلوك والخطاب بالثانية لماخص اهل العلم امرهم بالتقوى التى هى منتهاه (ولاتلبسوا الحق بالباطل) عطف على ماقبله واللبس الخلط وقديلزمه جعل الشئ مشتبها بغيره والمعنى لاتخلطوا الحق المنزل عليكم بالباطل الذى تخترعونه وتكتمونه حتى لايميز بينهما اوولاتجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذى تكتمونه فى خلاله اوتذكرونه فى تأويله (وتكتموا الحق) جزم داخل تحت حكم النهى كأنهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه اونصب باضمار ان على ان الواو للجمع اى لاتجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه فى مصحف ابن مسعود وتكتمون اى وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لمايصحبه من كتمان الحق (وانتم تعلمون) عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه

فلا شئ ورجح (و) على القاتل (أداء) للدية (اليه) أى العافى وهو الوارث (باحسان) بلا مطل ولابخس (ذلك) الحكم المذكور من جواز القصاص والعفو عنه على الدية (تخفيف) تسهيل (من ربكم) عليكم (ورحمة) بكم حيث وسع فى ذلك ولم يحتم واحدا منهما كما حتم على اليهود القصاص وعلى النصارى الدية (فمن اعتدى) ظلم القاتل بان قتله (بعد ذلك) أى العفو (فله عذاب أليم) مؤلم فى الآخرة بالنار اوفى الدنيا بالقتل (ولكم فى القصاص حياة) أبقاء عظيم (ياأولى الالباب) ذوى العقول لان القاتل اذا علم أنه يقتل ارتدع فاحيا نفسه ومن أراد قتله فشرع (لعلكم تتقون) القتل مخافة القود (كتب) فرض (عليكم اذا حضر أحدكم الموت) أى اسبابه (ان ترك خيرا) مالا (الوصية) مرفوع بكتب ومتعلق اذا ان كانت ظرفية ودال على

اقبح اذا الجاهل قد يعذر (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) يعنى صـلاة المسلمين
وزكاتهم فان غيرهما كلاصـلاة ولازكاة امرهم بفروع الاسـلام بعـد
ما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بهـا والزكاة من زكا
الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة فى المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم
اومن الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخـل
(واركعوا مع الراكعين) اى فى جماعتهم فان صـلاة الجماعة تفضل صلاة
الفذ بسـبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلاة
بالركوع احـترازا عن صلاة اليهود وقيـل الركوع الخضوع والانقيـاد
لما يلزمهم الشـارح قال الاضبط السـعدى » لاتذل الضعيف علك ان تر *
كع يوما والدهر قد رفعه (اتأمرون الناس بالبر) تقرير مع توبيخ وتعجيب
والبر التوسع فى الخير من البر وهو الفضاء الواسـع يتناول كل خير ولذلك
قيل البر ثلاثة بر فى عبادة الله تعالى وبر فى مراعات الاقارب وبر فى معاملة
الاجانب (وتنسون انفسكم) وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس
رضى الله عنهمـا انهـا نزلت فى احبـار المدينـة كانوا يأمرون سرا من
نصحوه باتبـاع محمد صلى الله عليه وسـلم ولايتبعونه وقيل كانوا يأمرون
بالصدقة ولايتصدقون (وانتم تتلون الكتاب) تبكيت كقوله وانتم تعلمون
اى تتلون التوراة وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل
(افلا تعقلون) قبح صنيعكم فيصدكم عنه اوافلا عقـل لكم يمنعكم عمـا
تعلمون وخامة عاقبته والعقل فى الاصل الحبس سمى به الادراك الانسـانى
لانه يحبسـه عما يقبح ويعقله على مايحسن ثم القوة التى بها النفس تدرك هذا
الادراك والآية ناعية من يعظ غيره ولايتعظ بنفسـه سـوء صنيعه وخبث
نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع اوالاحمق الخالى عن العقل فان الجامع
بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبـال
عليها بالتكميل ليقوم فيقيم غيره لامنع الفاسـق عن الوعظ فان الاخـلال
باحد الامرين المأمور بهما لايوجب الاخلال بالآخر (واسـتعينوا بالصبر
والصلاة) متصـل بماقبـله كأنهم لمـا امروا بماشـق عليهم لمـافيـه من
الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عوجلوا بذلك والمعنى اسـتعينوا
على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله اوبالصـوم الذى هو
صبر عن المفطرات لمافيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلاة

جوابها ان كانت شرطية
وجواب ان أى فليوص
(للـو الـدين والاقربين
بالمعروف) بالعدل بأن لايزيد
على الثلث ولايفضـل الغنى
(حقا) مصـدر مؤكد
لمضمون الجملة قبله (على المتقين
الله وهذا منسـوخ بآية الميراث
وبحديث لاوصيـة لوارث
رواه الترمذى (فمن بدله
أى الايصاء من شاهد ووصى
(بعـد ما سمعـه) علمه
(فانمـا اثمـه) أى
الايصـاء المبدل (على الذين
يبدلونه) فيه اقامة الظـاهر
مقـام المضمر (ان الله سميـع)
لقـول المـوصى (عـليم)
بفعـل الـوصى فمجاز
عليـه (فمن خاف من
موص) مخففا ومثقلا (جنفا)
ميلا عن الحق خطأ (اواثما)
بان تعمـد ذلك بالزيادة
على الثلث اوتخصيص غنى
مثـلا (فاصلح بينـهم)
بين الموصى والموصى له بالامر
بالعدل (فلا اثم عليـه) فى
ذلك (ان الله غفور رحيم
ياأيها الذين آمـنوا كتب)
فرض (عليكم الصيـام كما
كتب على الذين من قبلكم)

والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة
وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار
الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق
وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا
الى تحصيل المآرب وجبر المصائب * روى انه عليه الصلاة والسلام
اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ويجوز ان يراد بها الدعاء (وانها) اى
وان الاستعانة بهما او الصلاة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شأنها
واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها (لكبيرة) لثقيلة
شاقة كقوله تعالى * كبر على المشركين ماتدعوهم اليه (الا على الخاشعين)
اى المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع
اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب
(الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون) اى يتوقعون
لقاء الله تعالى ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله فيجازيهم
ويؤيده ان فى مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم فى الرجحان
اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال اوس بن حجر شعر « فارسلته مستيقن
الظن انه * مخالط مابين الشراسيف جائف » وانما لم تثقل عليهم ثقلها
على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة فى مقابلتها ما يستحقر
لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثمة قال عليه الصلاة والسلام
* وجعلت قرة عينى فى الصلاة (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت
عليكم) كرره للتأكيد وتذكير التفضيل الذى هو اجل النعم خصوصا
وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها (وانى
فضلتكم) عطف على نعمتى (على العالمين) اى عالمى زمانهم يريد به
تفضيل آبائهم الذين كانوا فى عصر موسى عليه الصلاة والسلام وبعده
قبل ان يغيروا بما منحهم الله تعالى من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم
انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو
ضعيف (واتقوا يوما) اى مافيه من الحساب والعذاب (لا تجزى نفس
عن نفس شيئا) لاتقضى عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون
نصبه على المصدر وقرئ لاتجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين
ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلى

من الاثم (لعلكم تتقون) المعاصى فانه يكسر الشهوة التى هى مبدؤها (اياما) نصب بالصيام او بصوموا مقدرا (معدودات) اى قلائل او موقتات بعدد معلوم وهى رمضان كما سيأتى وقلله تسهيلا على المكلفين (فمن كان منكم) حين شهوده (مريضا او على سفر) اى مسافر سفر القصر واجهده الصوم فى الحالين فافطر (فعدة) فعليه عدة ماافطر (من ايام اخر) يصومها بدله (وعلى الذين) لا (يطيقونه) لكبر او مرض لا يرجى برؤه (فدية) هى (طعام مسكين) قدر ما يأكله فى يومه وهو مد من غالب قوت البلد لكل يوم وفى قراءة باضافة فدية وهى للبيان وقيل لا غير مقدرة وكانوا مخيرين فى صدر الاسلام بين الصوم والفدية ثم نسخ بتعيين الصوم بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه قال ابن عباس الا الحامل والمرضع اذا افطرتا خوفا على الولد

والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف تقديره لاتجزى فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجرى مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله اومال اصابوا (ولاتقبل منها شفاعة ولايؤخذ منها عدل) اى من النفس الثانية العاصية اومن الاولى وكأنه اريد بالآية نفى ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثانى اما ان يكون مجانا اوغيره والاول ان يشفع له والثانى اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزى عنه اوبغيره وهو ان يعطى عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمى به الفدية لانها سويت بالمفدى وقرأ ابن كثير وابو عمرو ولاتقبل بالتاء (ولاهم ينصرون) يمنعون من عقاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية والمنكرة الواقعة فى سياق النفى من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد او الاناسى والنصرة اخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفى الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للآيات والاحاديث الواردة فى الشفاعة ويؤيده الخطاب معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان آبائهم تشفع لهم (واذ نجيناكم من آل فرعون) تفصيل لما اجمله فى قوله اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وعطف على نعمتى عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم ونجيتكم واصل آل اهل لان تصغير اهيل وخص بالاضافة الى اولى الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكى الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتجبر وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة (يسومونكم) يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب فى طلب الشئ (سوء العذاب) افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير فى نجيناكم اومن آل فرعون اومنهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما (يذبحون ابناءكم و يستحيون نساءكم) بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون

فانها باقية بلا نسخ فى حقهما (فمن تطوع خيرا) بالزيادة على القدر المذكور فى الفدية (فهو) اى التطوع (خير له وان تصوموا) مبتدأ خبره (خير لكم) من الافطار والفدية (ان كنتم تعلمون) انه خير لكم فافعلوه تلك الايام (شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن) من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا فى ليلة القدر منه (هدى) حال هاديا من الضلالة (للناس وبينات) آيات واضحات (من الهدى) بما يهدى الى الحق من الاحكام (و) من (الفرقان) مما يفرق بين الحق والباطل (فمن شهد) حضر (منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من ايام أخر) تقدم مثله وكرر لئلا يتوهم نسخه بتعميم من شهد (يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر) ولذا اباح لكم الفطر فى المرض والسفر ولكون ذلك فى معنى العلة ايضا للامر بالصوم عطف عليه (ولتكملوا) بالتخفيف

رأى فى المنام او قاله الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم
من قدر الله شيئا (وفى ذلكم بلاء) محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة
ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله تعالى عباده
تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما و يجوز ان يشار بذلكم الى الجملة
و يراد به الامتحان الشائع بينهما (من ربكم) بتسليطهم عليكم او ببعث
موسى عليه السلام وتوفيقه لتخليصكم او بهما (عظيم) صفة بلاء
وفى الآية تنبيه على ان مايصيب العبد من خير اوشر اختبار من الله تعالى
فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين
(واذ فرقنا بكم البحر) فلقناه وفصلنا بين بعضه و بعض حتى حصلت
فيه مسالك لسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله « تدوس
بنا الجماجم والتريبا » وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثنى
عشر بعدد الاسباط (فانجيناكم واغرقنا آل فرعون) اراد به فرعون
وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روى
ان الحسن رضى الله تعالى عنه كان يقول اللهم صل على آل محمد اى شخصه
واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه (وانتم تنظرون) ذلك او غرقهم واطباق
البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التى قذفها
البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روى انه تعالى امر موسى
عليه السلام ان يسرى ببنى اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده
وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر
فضرب به فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا ياموسى نخاف
ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيها كوى فتراأوا وتسامعوا حتى عبروا
البحر ثم لما وصل اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم
عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به على
بنى اسرائيل ومن الآيات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق
موسى عليه الصلاة والسلام ثم انهم بعد ذلك اتخذوا العجل وقالوا
* لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة * ونحو ذلك فهم بمعزل فى الفطنة
والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة محمد صلى الله عليه وسلم
مع ان ماتواتر معجزاته امور نظرية دقيقة يدركها الاذكياء واخباره
عليه الصلاة والسلام عنها من جملة معجزاته على مامر تقريره (واذ واعدنا

والتشديد (العدة) اى
عدة صوم رمضان
(ولتكبروا الله) عند اكمالها
(على ماهداكم) ارشدكم
لمعالم دينه (ولعلكم تشكرون)
الله على ذلك وسأل جماعة النبى
صلى الله عليه وسلم اقريب
ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه
فنزل (واذا سألك عبادى
عنى فانى قريب) منهم بعلمى
فاخبرهم بذلك (اجيب
دعوة الداع اذا دعان)
بانالته ماسأل (فليستجيبوا لى)
دعائى بالطاعة (وليؤمنوا)
يداوموا على الايمان (بى
لعلهم يرشدون) يهتدون
(احل لكم ليلة الصيام
الرفث) بمعنى الافضاء (الى
نسائكم) بالجماع نزل نسخا
لما كان فى صدر الاسلام من
تحريمه وتحريم الاكل
والشرب بعد العشاء (هن
لباس لكم وانتم لباس لهن)
كناية عن تعانقهما او احتياج
كل منهما الى صاحبه (علم الله
انكم كنتم تختانون) تخونون
(انفسكم) بالجماع ليلة
الصيام وقع ذلك لعمار
وغيره واعتذروا الى النبى

موسى اربعين ليلة) لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى
ان يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة وعبر عنها
بالليالى لانها غرر الشهور وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة
والكسائى واعدنا لانه تعالى وعده الوحى ووعده موسى عليه السلام
المجئ للميقات الى الطور (ثم اتخذتم العجل) الها ومعبودا (من بعده)
من بعد موسى عليه السلام او مضيه (وانتم ظالمون) باشراككم (ثم عفونا
عنكم) حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس (من بعد ذلك) اى
الاتخاذ (لعلكم تشكرون) لكى تشكروا عفوه (واذ آتينا موسى الكتاب
والفرقان) يعنى التوراة الجامع بين كونه كتابا منزلا وحجة يفرق بين الحق
والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل فى الدعوى
او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر
الذى فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى * يوم الفرقان * يريد به يوم بدر (لعلكم
تهتدون) لكى تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر فى الآيات (واذ قال موسى
لقومه ياقوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم) فاعزموا
على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريئا من التفاوت ومميزا بعضكم
عن بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشئ عن
غيره اما على سبيل التفصى كقولهم برئ المريض من مرضه والمديون
من دينه او الانشاء كقولهم برأ الله آدم من الطين او فتوبوا (فاقتلوا
انفسكم) تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه
لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا
وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روى ان الرجل كان يرى بعضه
وقريبه فلم يقدر لمضى لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء
لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشى حتى دعا موسى وهرون
فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى
للتسبيب والثانية للتعقيب (ذلكم خير لكم عند بارئكم) من حيث انه طهرة
من الشرك ووصلة الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية (فتاب
عليكم) متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عليه السلام لهم
تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم او عطف على محذوف ان جعلته
خطابا من الله تعالى لهم على طريق الالتفات كأنه قال ففعلتم ما امرتم به

صلى الله عليه وسلم (فتاب عليكم) قبل توبتكم (وعفا عنكم فالآن) اذ أحل لكم (باشروهن) جامعوهن (وابتغوا) اطلبوا (ما كتب الله لكم) اى اباحه من الجماع او قدره من الولد (وكلوا واشربوا) الليل كله (حتى يتبين) يظهر (لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر) أى الصادق بيان للخيط الابيض وبيان الاسود محذوف أى من الليل شبه ما يبدو من البياض وما يمتد معه من الغبش بخيطين أبيض وأسود فى الامتداد (ثم أتموا الصيام) من الفجر (الى الليل) أى الى دخوله بغروب الشمس (ولا تباشروهن) أى نساءكم (وأنتم عاكفون) مقيمون بنية الاعتكاف (فى المساجد) متعلق بعاكفون نهى لمن كان يخرج وهو معتكف فيجامع امرأته ويعود (تلك) الاحكام المذكورة (حدود الله) حدها لعباده ليقفوا عندها (فلا تقربوها) أبلغ

فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التى هى مثل فى الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب (انه هو التواب الرحيم) الذى يكثر توفيق التوبة اوقبولها من المذنبين ويبالغ فى الانعام عليهم (واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك) لاجل قولك اولن نقرلك (حتى نرى الله جهرة) عيانا وهى فى الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية او الحال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة اوجمع جاهر كالكتبة فيكون حالا من الفاعل قطعا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به ان الله الذى اعطاك التوراة وكلمك اوانك نبى (فاخذتكم الصاعقة) لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام فى الجهات والاحياز المقابلة للرائى وهى محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين فى الآخرة والافراد من الانبياء فى بعض الاحوال فى الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة (وانتم تنظرون) مااصابكم بنفسه اوباثره (ثم بعثناكم من بعد موتكم) بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون عن اغماء اونوم كقوله تعالى * من بعثنا (لعلكم تشكرون) نعمة البعث اوما كفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة (وظللنا عليكم الغمام) سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا فى التيه (وانزلنا عليكم المن والسلوى) الترنجبين والسمانى قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع وتبعث الجنوب عليهم السمانى وينزل بالليل عمود نار يسيرون فى ضوئه وكانت ثيابهم لاتتسخ ولاتبلى (كلوا من طيبات مارزقناكم) على ارادة القول (وماظلمونا) فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم وماظلمونا (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بالكفران لانه لايتخطاهم ضرره (واذ قلنا ادخلوا هذه القرية) يعنى بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) واسعا ونصبه على المصدر اوالحال من الواو (وادخلوا الباب) اى باب

من لا تعتوها المعبر به فى آية اخرى (كذلك) كما بين لكم ماذكر (يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) محارمه (ولا تأكلوا اموالكم بينكم) اى لايأكل بعضكم مال بعض (بالباطل) الحرام شرعا كالسرقة والغصب (و) لا (تدلوا) تلقوا (بها) اى بحكومتها او بالاموال رشوة (الى الحكام لتأكلوا) بالتحاكم (فريقا) طائفة (من أموال الناس) ملتبسين (بالاثم وانتم تعلمون) انكم مبطلون (يسألونك) يامحمد (عن الاهلة) جمع هلال لم تبدو دقيقة ثم تزيد حتى تمتلئ نورا ثم تعود كما بدت ولا تكون على حالة واحدة كالشمس (قل) لهم (هى مواقيت) جمع ميقات (للناس) يعلمون بها أوقات زرعهم ومتاجرهم وعدد نسائهم وصيامهم وافطارهم (والحج) عطف على الناس أى يعلم بها وقته فلو استمرت على حالة لم يعرف ذلك (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) فى الاحرام

القرية او القبة التى كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى عليه الصلاة والسلام (سجدا) متطامنين مخبتين اوساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه (وقولوا حطة) اى مسألتنا او امرك حطة وهى فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة اوعلى انه مفعول قولوا اى قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اى ان نحط فى هذه القرية ونقيم بها (نغفر لكم خطاياكم) بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا اصله خطائى كخضائع فعند سيبويه انه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الالفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر (وسنزيد المحسنين) ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيئ وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لامحالة (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم) بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا (فانزلنا على الذين ظلموا) كرره مبالغة فى تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه اوعلى انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها (رجزا من السماء بما كانوا يفسقون) عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز فى الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روى انه مات به فى ساعة اربعة وعشرون الفا (واذ استسقى موسى لقومه) لما عطشوا فى التيه (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) اللام فيه للعهد على ماروى انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكان ينبع من كل وجه ثلاث اعين تسيل كل عين فى جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثناعشر ميلا اوحجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب عليه السلام فاعطاه اياه مع العصا اوالحجر الذى فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل عليه السلام بحمله اوللجنس وهذا اظهر فى الحجة قيل لم يأمره بان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو أفضينا الى الارض لاحجارة بها حمل حجرا

بأن تنقبوا فيها نقبا تدخلون منه وتخرجون وتتركوا الباب وكانوا يفعلون ذلك ويزعمونه برا (ولكن البر) أى ذا البر (من اتقى) الله بترك مخالفته (وأتوا البيوت من ابوابها) فى الاحرام كغيره (واتقوا الله لعلكم تفلحون) تفوزون * ولما صد صلى الله عليه وسلم عن البيت عام الحديبية وصالح الكفار على ان يعود العام القابل ويخلوا له مكة ثلاثة أيام وتجهز لعمرة القضاء وخافوا أن لاتفى قريش ويقاتلوهم وكره المسلمون قتالهم فى الحرم والاحرام والشهر الحرام نزل (وقاتلوا فى سبيل الله) اى لاعلاء دينه (الذين يقاتلونكم) من الكفار (ولاتعتدوا) عليهم بالابتداء بالقتال (ان الله لايحب المعتدين) المتجاوزين ما حد لهم وهذا منسوخ بآية براءة اوبقوله (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) وجدتموهم (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أى مكة وقد فعل بهم ذلك عام الفتح

في مخلاته وكان يضرب به بعصاه اذا نزل فينفجر و يضرب به بها اذا ارتحل
فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه لاتقرع
الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا
في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى عليه السلام من آس الجنة
ولها شعبتان تتقدان في الظلمة (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) متعلق
بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت اوفضرب فانفجرت كما مر
في قوله تعالى * فتاب عليكم * وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما
لغتان فيه (قد علم كل اناس) سبط (مشربهم) عينهم التي يشربون
منها (كلوا واشربوا) على تقدير القول (من رزق الله) يريد به مارزقهم الله
من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل ماينبت به
(ولا تعثوا في الارض مفسدين) ولا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه
وان غلب في الفساد قد يكون منه ماليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي
بفعله ومنه مايتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر عليه السلام الغلام
وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر
امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه
لما امكن ان يكون من الاحجار مايحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد
لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض
او لجذب الهواء من الجوانب وتصييره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك
(واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد) يريد به مارزقوا في التيه
من المن والسلوى وبوحدته انه لايختلف ولا يتبدل كقولهم طعام
مائدة الامير واحد يريدون انه لاتتغير الوانه ولذلك اجموا او ضرب واحد
لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم
واشتهوا ماالفوه (فادع لنا ربك) سله لنا بدعائك اياه (يخرج لنا)
يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة
(مما تنبت الارض) من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل ومن
للتبعيض (من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها) تفسير
و بيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ماانبتته الارض
من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه
فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ وقثائها بالضم وهو لغة فيه (قال) اي الله

(والفتنة) الشرك منهم
(أشد) اعظم (من القتل)
لهم في الحرم او الاحرام الذي
استعظمتموه (ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام) اي
في الحرم (حتى يقاتلوكم فيه
فان قاتلوكم) فيه (فاقتلوهم)
فيه وفي قراءة بلا ألف
في الافعال الثلاثة (كذلك)
القتل والاخراج (جزاء
الكافرين فان انتهوا) عن
الكفر وأسلموا (فان الله
غفور) لهم (رحيم) بهم
(وقاتلوهم حتى لاتكون)
توجد (فتنة) شرك (ويكون
الدين) العبادة (لله) وحده
لايعبد سواه (فان انتهوا)
عن الشرك فلا تعتدوا
عليهم دل على هذا (فلا
عدوان) اعتداء بقتل أو غيره
(الا على الظالمين) ومن انتهى
فليس بظالم فلا عدوان عليه (الشهر
الحرام) المحرم مقابل (بالشهر
الحرام) فكما قاتلوكم فيه فاقتلوهم
في مثله رد لاستعظام المسلمين
ذلك (والحرمات) جمع حرمة
مايجب احترامه (قصاص)

او موسى عليه السلام (اتستبدلون الذى هو ادنى) اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب فى المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمم وقرئ ادنأ من الدناءة (بالذى هو خير) يريد به المن والسلوى فانه خير فى اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعى (اهبطوا مصرا) انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادى اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او على تأويل البلد ويؤيده انه غير منون فى مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرائيم فعرب (فان لكم ماسألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة) احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود فى غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان تضاعف جزيتهم (وباؤا بغضب من الله) رجعوا به او صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة (ذلك) اشارة الى ماسبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب (بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق) بسبب كفرهم بالمعجزات التى من جملتها ماعد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والفرقان وآية الرجم والتى فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا اشعياء وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذلم يروا منهم مايعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) اى جرهم العصيان والتمادى والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدى الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحرى كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصى واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تأويل ماذكر او تقدم للاختصار ونظيره فى الضمير قول رؤبة يصف بقرة شعر «فيها خطوط من سواد وبلق * كأنه فى الجلد توليع البهق » والذى حسن

أى يقتص بمثلها اذا انتهكت (فمن اعتدى عليكم) بالقتال فى الحرم أو الاحرام او الشهر الحرام (فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم) سمى مقابلته اعتداء لشبهها بالمقابل به فى الصورة (واتقوا الله) فى الانتصار وترك الاعتداء (واعلموا أن الله مع المتقين) بالعون والنصر (وأنفقوا فى سبيل الله) طاعته الجهاد وغيره (ولا تلقوا بايديكم) أى انفسكم والباء زائدة (الى التهلكة) الهلاك بالامساك عن النفقة فى الجهاد أو تركه لانه يقوى العدو عليكم (وأحسنوا) بالنفقة وغيرها (ان الله يحب المحسنين) أى يثيبهم (وأتموا الحج والعمرة لله) ادوهما بحقوقهما (فان احصرتم) منعتم عن اتمامهما بعدو (فما استيسر) تيسر (من الهدى) عليكم وهو شاة (ولا تحلقوا رؤسكم) أى لاتتحللوا (حتى يبلغ الهدى) المذكور (محله) حيث يحل ذبحه وهو مكان الاحصار عند

ذلك ان تثنية المضمرات المبهمات وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذى بمعنى الجمع (ان الذين آمنوا) بالسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد صلى الله عليه وسلم المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم فى سلك الكفرة (والذين هادوا) تهودوا يقال هادوتهود اذا دخل فى اليهودية و يهود اما عربى من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهوذا وكأنهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام (والنصارى) جمع نصران كالندامى والباء فى نصرانى للمبالغة كما فى احمرى سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عليه السلام اولانهم كانوا معه فى قرية يقال لها نصران اوناصرة فسموا باسمها اومن اسمها (والصابئين) قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء امالانه خفف الهمزة وابدلها ياء اولانه من صبا اذا مال لانهم مالوا عن سائر الاديان الى دينهم اومن الحق الى الباطل (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) من كان منهم فى دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل فى الاسلام دخولا صادقا (فلهم اجرهم عند ربهم) الذى وعدلهم على ايمانهم وعملهم (ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم والفاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها فى خبر ان من حيث انها لاتدخل الشرطية ورد بقوله تعالى * ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم (واذ اخذنا ميثاقكم) باتباع موسى والعمل بالتوراة (ورفعنا فوقكم الطور) حتى اعطيتم الميثاق روى ان موسى عليه الصلاة السلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا مافيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فأمر جبريل عليه السلام بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا (خذوا) على ارادة القول (ما آتيناكم) من الكتاب (بقوة) بجد وعزيمة (واذكروا ما فيه) ادرسوه ولاتنسوه اوتفكروا فيه فانه ذكر بالقلب اواعملوا به (لعلكم تتقون)

الشافعى فيذبح فيه بنية التحلل ويفرق على مساكينه ويحلق وبه يحصل التحلل (فمن كان منكم مريضا أوبه أذى من رأسه) كقمل وصداع فحلق فى الاحرام (ففدية) عليه (من صيام) لثلاثة أيام (أوصدقة) بثلاثة آصع من غالب قوت البلد على ستة مساكين (أونسك) أى ذبح شاة وأو للتخيير وألحق به من حلق لغير عذر لانه أولى بالكفارة وكذا من استمتع بغير الحلق كالطيب واللبس والدهن لعذر أوغيره (فاذا أمنتم) العدو بأن ذهب أولم يكن (فمن تمتع) استمتع (بالعمرة) أى بسبب فراغه منها بمحظورات الاحرام (الى الحج) أى الى الاحرام به بأن يكون أحرم بها فى اشهره (فما استيسر) تيسر (من الهدى) عليه وهو شاة يذبحها بعد الاحرام به والا فضل يوم النحر (فمن لم يجد) الهدى لفقده اوفقد ثمنه (فصيام) أى فعليه صيام (ثلاثة أيام فى الحج) أى فى حال الاحرام به

لكى تتقوا المعاصى اورجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزله ان يتعلق بالقول المحذوف اى قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا (ثم توليتم من بعد ذلك) اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه (لكنتم من الخاسرين) المغبونين بالانهماك فى المعاصى اوبالخبط والضلال فى فترة من الرسل ولو فى الاصل لامتناع الشئ لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشئ لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت) اللام موطئة للقسم والسبت مصدر قولك سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع امر وابان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم فى زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت فى البحر الاحضر هناك واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفر واحياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطا دونها يوم الاحد (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد مامسخت صورتهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار فى قوله * كمثل الحمار يحمل اسفارا * وقوله كونوا ليس بأمر اذلا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة (فجعلناها) اى المسخة اوالعقوبة (نكالا) عبرة تنكل المعتبر بها اى تمنعه ومنه النكل للقيد (لمابين يديها وماخلفها) لما قبلها ومابعدها من الامم اذ ذكرت حالهم فى زبر الاولين واشتهرت قصتهم فى الآخرين اولمعاصريهم ومن بعدهم اولما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها اولاهل تلك القرية وماحواليها اولاجل ماتقدم عليها من ذنوبهم وماتأخرمنها (وموعظة للمتقين) من قومهم اولكل متق سمعها (واذقال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة) اول هذه القصة قوله تعالى واذقتلتم نفسا فادار أتم فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلاله

فيجب حينئذ أن يحرم قبل السابع من ذى الحجة والافضل قبل السادس لكراهة صوم يوم عرفة ولايجوز صومها أيام التشريق على أصح قولى الشا فعى (وسبعة اذا رجعتم) الى وطنكم مكة وغيرها قيل اذا فرغتم من اعمال الحج وفيه التفات عن الغيبة (تلك عشرة كاملة) جملة تأكيد لما قبلها (ذلك) الحكم المذكور من وجوب الهدى أو الصيام على من تمتع (لمن لم يكن أهله حاضر المسجد الحرام) بان لم يكونوا على دون مرحلتين من الحرم عند الشافعى فان كان فلادم عليه ولاصيام وان تمتع وفى ذكر الاهل اشعار باشتراط الاستيطان فلواقام قبل أشهر الحج ولم يستوطن وتمتع فعليه ذلك وهو أحد وجهين عند الشافعى والثانى لاوالاهل كناية عن النفس وألحق بالمتمتع فيما ذكر بالسنة القارن وهو من أحرم بالعمرة والحج معا اويدخل الحج عليها قبل الطواف (واتقوا الله)

بنوع آخر من مسا ويهم الاستهزاء بالامر والاستقصاء فى السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنوا اخيه طمعا فى ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله (قالوا اتتخذنا هزؤا) اى مكان هزؤ اواهله هزؤا ومهزوأ بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء استبعاد الماقاله واستخفافابه وقرأ حمزة واسماعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا (قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين) لان الهزؤ فى مثل ذلك جهل وسفه نفى به عن نفسه مارمى به على طريقة البرهان واخرج ذلك فى صورة الاستعاذة استفظاعاله (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) اى ما حالها وصفتها وكان من حقه ان يقولوا اى بقرة هى اوكيف هى لان مايسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لمارأوا ماامروا به على حال لم يوجد بها شئ من جنسه اجروه مجرى مالم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله (قال انه يقول انها بقرة لافارض ولابكر) لامسنة ولافتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كأنها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة (عوان) نصف قال شعر « نواعم بين ابكار وعون » (بين ذلك) اى بين ماذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لايضاف الاالى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بهابقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأى الثانى ظاهر اللفظ والمروى عنه عليه الصلوة السلام لو ذبحوا اى بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادى وزجرهم عن المراجعة بقوله (فافعلوا ماتؤمرون) ماتؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قولهم امرتك الخير فافعل ماامرت به اوامركم بمعنى مأموركم (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) الفقوع نصوع الصفرة ولذلك يؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفى اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسة بها فضل تأكيد كأنه قيل

فيما يأمركم به وينهاكم عنه (واعلموا ان الله شديد العقاب) لمن خالفه (الحج) وقته (اشهر معلومات) شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذى الحجة وقيل كله (فمن فرض) على نفسه (فيهن الحج) بالاحرام به (فلا رفث) جماع فيه (ولافسوق) معاص (ولاجدال) خصام (فى الحج) وفى قراءة بفتح الاولين والمراد فى الثلاثة النهى (وماتفعلوا من خير) كصدقة (يعلمه الله) فيجازيكم به * ونزل فى اهل اليمن وكانوا يحجون بلازاد فيكونون كلا على الناس (وتزودوا) مايبلغكم لسفركم (فان خير الزاد التقوى) مايتقى به سؤال الناس وغيره (واتقون ياأولى الالباب) ذوى العقول (ليس عليكم جناح) فى (أن تبتغوا) تطلبوا (فضلا) رزقا (من ربكم) بالتجارة فى الحج نزل ردا لكراهتهم ذلك (فاذا أفضتم) دفعتم (من عرفات) بعد الوقوف بها (فاذكروا الله) بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية

صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى * جمالات صفر * قال الاعشى « تلك خيلى منه وتلك ركابى * هن صفر اولادها كالزبيب » ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته اولان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لاتؤكد بالفقوع (تسر الناظرين) اى تعجبهم والسرور اصله لذة فى القلب عند حصول نفع او توقعه من السر (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) تكرير للسؤال واستكشاف زائد وقوله (ان البقر تشابه علينا) اعتذار عنه اى ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها فى الشين على التذكير والتأنيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومتشبهة (وانا ان شاء الله لمهتدون) الى المراد ذبحها اوالى القاتل وفى الحديث لولم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله سبحانه وتعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة والالم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق (قال انه يقول انها بقرة لاذلول تثير الارض ولاتسقى الحرث) اى لم تذلل للكراب وسقى الحروث ولاذلول صفة بقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتأكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كأنه قيل لاذلول مثيرة وساقية وقرئ لاذلول بالفتح اى حيث هى كقولك مررت برجل لابخيل ولاجبان اى حيث هو وتسقى من اسقى (مسلمة) سلمها الله تعالى من العيوب اواهلها من العمل اوأخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص (لاشية فيها) لالون فيها يخالف لون جلدها وهى فى الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخره (قالوا الآن جئت بالحق) اى بحقيقة وصف البقرة وحققته لنا وقرىء آلان بالمد على الاستفهام ولان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام (فذبحوها) فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها (وماكادوا يفعلون) لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم اولخوف الفضيحة فى ظهور القاتل اولغلاء ثمنها اذروى ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيظة وقال اللهم انى استودعتكها لابنى حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك

والتهليل والدعاء (عند المشعر الحرام) هو جبل آخر المزدلفة يقال له قزح وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم وقف به يذكر الله ويدعو حتى اسفر جدا رواه مسلم (واذكروه كما هداكم) لمعالم دينه ومناسك حجه والكاف للتعليل (وان) مخففة (كنتم من قبله) قبل هداه (لمن الضالين ثم افيضوا) ياقريش (من حيث افاض الناس) اى من عرفة بان تقفوا بها معهم وكانوا يقفون بالمزدلفة ترفعا عن الوقوف معهم وثم للترتيب فى الذكر (واستغفروا الله) من ذنوبكم (ان الله غفور) للمؤمنين (رحيم) بهم (فاذا قضيتم) اديتم (مناسككم) عبادات حجكم بأن رميتم جمرة العقبة وطفتم واستقررتم بمنى (فاذكروا الله) بالتكبير والثناء (كذكركم آباءكم) كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حجكم بالمفاخرة (اواشد ذكرا) من ذكركم اياهم ونصب اشد على الحال من ذكر المنصوب باذكروا اذلو تأخر عنه لكان

الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة
اذذاك بثلاثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا
دخل عليه النفى قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر
الافعال ولا ينافى قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما
اذ المعنى انهم ماقاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم
ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل (واذ قتلتم نفسا) خطابا للجمع لوجود
القتل فيهم (فادارأتم فيها) اختصمتم فى شأنها اذ المتخاصمان يدفع
بعضهما بعضا اوتدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه الى صاحبه
واصله تدارأتم فادغمت التاء فى الدال واجتلبت لها همزة الوصل (والله
مخرج ما كنتم تكتمون) مظهره لامحالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل
كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية (فقلنا اضربوه) عطف
على ادارأتم ومابينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تأويل
الشخص اوالقتيل (ببعضها) اى بعض كان وقيل باصغريها وقيل
بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب (كذلك يحيى
الله الموتى) يدل على ماحذف وهو فضربوه فحيى والخطاب مع من
حضر حيوة القتيل اونزول الآية (ويريكم آياته) دلائله على كمال قدرته
(لعلكم تعقلون) لكى يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس
قدر على احياء الانفس كلها اوتعملون على قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه
ابتداء وشرط فيه ماشرط لمافيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم
والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب
ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالى بثمنه كما روى عن
عمر رضى الله تعالى عنه انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلاثمائة دينار وان المؤثر
فى الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لااثر لها وان من اراد ان يعرف
اعدى عدوه الساعى فى اماتته الموت الحقيقى فطريقه ان يذبح بقرة نفسه
التى هى القوة الشهوية حين زال عنها شرة الصبى ولم يلحقها ضعف
الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة فى طلب الدنيا مسلمة عن
دنسها لاسمة بها من مقابحها بحيث يصل اثره الى نفسه فتحيى حيوة
طيبة وتعرب عما به تنكشف الحال ويرتفع مابين العقل والوهم من التدارئ
والنزاع (ثم قست قلوبكم) القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما فى

صفة له (فمن الناس من
يقول ربنا آتنا) نصيبنا
(فى الدنيا) فيؤتاه فيها
(وماله فى الآخرة من خلاق)
نصيب (ومنهم من يقول
ربنا آتنا فى الدنيا حسنة) نعمة
(وفى الآخرة حسنة) هى
الجنة (وقنا عذاب النار)
بعدم دخولها وهذا بيان
لما كان عليه المشركون
ولحال المؤمنين والقصد به
الحث على طلب خير الدارين
كما وعد بالثواب عليه بقوله
(أولئك لهم نصيب) ثواب
(من) اجل (ما كسبوا)
عملوا من الحج والدعاء (والله
سريع الحساب) يحاسب
الخلق كلهم فى قدر نصف
نهار من ايام الدنيا لحديث
بذلك (واذكروا الله)
بالتكبير عند رمى الجمرات
(فى ايام معدودات) اى ايام
التشريق الثلاثة (فمن تعجل)
اى استعجل بالنفر من منى (فى
يومين) اى فى ثانى ايام
التشريق بعد رمى جماره
(فلا اثم عليه) بالتعجيل
(ومن تأخر) بها حتى بات
ليلة الثالث ورمى جماره
(فلا اثم عليه) بذلك اى هم

الحجر وقساوة القلب مثل فى نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة (من بعد
ذلك) يعنى احياء القتيل اوجميع ماعدد من الآيات فانها مماتوجب لين
القلب (فهى كالحجارة) فى قسوتها (او اشد قسوة) منها والمعنى انها
فى القساوة مثل الحجارة اوازيد عليها اوانها مثلها اومثل ماهو اشد منها
قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الجر
بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما فى اشد من المبالغة
والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واوللتخيير اوللترديد
بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة اوبماهو اقسى منها (وان من الحجارة
لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من
خشية الله) تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتأثر وتنفعل فان منها ماتتشقق
فينبع منه الماء وتتفجر منه الانهار ومنها ماتتردى من اعلى الجبل انقيادا
لما اراد الله تعالى به وقلوب هؤلاء لاتتأثر ولاتنفعل عن امره تعالى والتفجر التفتح
بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة
وتلزمها اللام الفارقة بينها وبين ان النافية ويهبط بالضم (وما الله بغافل
عما تعملون) وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابوبكر
بالتاء ضما الى مابعده والباقون بالياء (افتطمعون) الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين (ان يؤمنوا لكم) ان يصدقوكم اويؤمنوا لاجل
دعوتكم يعنى اليهود (وقد كان فريق منهم) طائفة من اسلافهم (يسمعون
كلام الله) يعنى التورية (ثم يحرفونه) كنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية
الرجم اوتأويله فيفسرونه بمايشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا
كلام الله تعالى حين كلم موسى عليه السلام بالطور ثم قالوا سمعنا الله تعالى يقول
فى آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا
(من بعد ماعقلوه) اى فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة (وهم
يعلمون) انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان احبار هؤلاء ومقدميهم
كانوا على هذه الحالة فاطمعك بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا
فلهم سابقة فى ذلك (واذا لقوا الذين آمنوا) يعنى منافقيهم (قالوا آمنا)
بانكم على الحق وان رسولكم هو المبشر به فى التورية (واذا خلا بعضهم
الى بعض قالوا) اى الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق (اتحدثونهم
بما فتح الله عليكم) بما بين لكم فى التورية من نعت محمد صلى الله

مخيرون فى ذلك ونفى الاثم
(لمن اتقى) الله فى حجه لانه
الحاج فى الحقيقة (واتقوا
الله واعلموا انكم اليه
تحشرون) فى الآخرة
فيجازيكم باعمالكم (ومن
الناس من يعجبك قوله فى
الحيوة الدنيا) ولايعجبك
فى الآخرة لمخالفته لاعتقاده
(ويشهد الله على مافى قلبه)
انه موافق لقوله (وهو ألد
الخصام) شديد الخصومة
لك ولاتباعك لعداوته لك
وهو الاخنس بن شريق
كان منافقا حلو الكلام للنبى
صلى الله عليه وسلم يحلف
انه مؤمن به ومحب له فيدنى
مجلسه فاكذبه الله فى ذلك
ومر بزرع وحمر لبعض
المسلمين فاحرقه وعقرها
ليلا كما قال تعالى (واذا تولى)
انصرف عنك (سعى)
مشى (فى الارض ليفسد فيها
ويهلك الحرث والنسل) من
جملة الفساد (والله لايحب
الفساد) اى لايرضى به
(واذا قيل له اتق الله) فى
فعلك (اخذته العزة) حملته
الانفة والحمية على العمل
(بالاثم) الذى امر باتقائه

عليه وسلم اوالذين نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب فى اليهودية ومنعالهم
عن ابداء ماوجدوا فى كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول
تقريع وعلى الثانى انكار ونهى (ليحاجوكم به عند ربكم) ليحجوا عليكم
بما انزل ربكم فى كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال
عند الله كذا ويراد به انه فى كتابه وحكمه وقيل عند ذكر
ربكم او بما عند ربكم او بين يدى رسول ربكم وقيل عند ربكم فى القيامة
وفيه نظر اذ الاخفاء لايدفعها (افلا تعقلون) امامن تمام كلام اللائمين
وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم به فيحجونكم اوخطاب من الله تعالى
للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم
فى ايمانهم (اولا يعلمون) يعنى هؤلاء المنافقين او اللائمين اوكليهما اواياهم
والمحرفين (ان الله يعلم مايسرون ومايعلنون) ومن جملتها اسرارهم الكفر
واعلانهم الايمان واخفاء مافتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم
عن مواضعه ومعانيه (ومنهم اميون لايعلمون الكتاب) جهلة لايعرفون
الكتابة فيطالعوا ويتحققوا مافيها اوالتورية (الاامانى) استثناء
منقطع والامانى جمع امنية وهى فى الاصل مايقدره الانسان فى نفسه
من منى اذا قدر ولذلك تطلق على الكذب وعلى مايتمنى ومايقرأ والمعنى
ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين اومواعيد فارغة
سمعوها منهم من ان الجنة لايدخلها الامن كان هودا وان النار لن تمسهم
الاايامامعدودة وقيل الا مايقرؤن قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره
من قوله « تمنى كتاب الله اول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل » وهو
لايناسب وصفهم بانهم اميون (وان هم الايظنون) ماهم الاقوم يظنون
لاعلم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على رأى واعتقاد من غير قاطع
وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزايغ عن الحق لشبهة (فويل)
اى تحسر وهلك ومن قال انه واد او جبل فى جهنم فمعناه ان فيهاموضعا
يتبوأ فيها من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو فى الاصل مصدر
لافعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء (للذين يكتبون الكتاب) يعنى
المحرف ولعله اراد به ماكتبوه من التأويلات الزايغة (بايديهم) تأكيد
كقولك كتبته بيمينى (ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا)
كى يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى
مااستوجبوه من العقاب الدائم (فويل لهم مما كتبت ايديهم) يعنى المحرف

(فحسبه) كافيه (جهنم
ولبئس المهاد) الفراش هى
(ومن الناس من يشرى)
يبيع (نفسه) اى يبذلها فى
طاعة الله (ابتغاء) طلب
(مرضاة الله) رضاه وهو
صهيب لما آذاه المشركون
هاجر الى المدينة وترك
لهم ماله (والله رؤف بالعباد)
حيث ارشدهم لما فيه رضاه
* ونزل فى عبد الله بن سلام
واصحابه لما عظموا السبت
وكرهوا الابل بعد الاسلام
(ياايها الذين امنوا ادخلوا فى
السلم) بفتح السين وكسرها
الاسلام (كافة) حال من
السلم أى فى جميع شرائعه
(ولا تتبعوا خطوات) طرق
(الشيطان) أى تزيينه
بالتفريق (انه لكم عدو
مبين) بين العداوة (فان
زللتم) ملتم عن الدخول
فى جميعه (من بعد ماجاءتكم
البينات) الحجج الظاهرة على
انه حق (فاعلموا ان الله
عزيز) لايعجزه شئ عن
انتقامه منكم (حكيم) فى
صنعه (هل) ما (ينظرون)
ينتظر التاركون الدخول
فيه (الا أن ياتيهم الله) أى

(وويل لهم مما يكسبون) يريد الرشى (وقالوا لن تمسنا النار) المس ايصال
الشئ بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال المسه
فلا اجده (الا اياما معدودة) محصورة قليلة روى ان بعضهم قالوا نعذب
بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف
سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما (قل أتخذتم عند الله عهدا)
خبرا او وعدا بما تزعمون وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون
بادغامه (فلن يخلف الله عهده) جواب شرط مقدر اى ان اتخذتم عند الله
عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف فى خبره محال
(ام تقولون على الله مالا تعلمون) ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اى
الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل
اتقولون على التقرير والتقريع (بلى) اثبات لما نفوه من مساس النار لهم
زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان
قولهم ويختص بجواب النفى (من كسب سيئة) قبيحة والفرق بينها وبين
الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض
لانها من الخطأ والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله
فبشرهم بعذاب اليم (واحاطت به خطيئته) اى استولت عليه وشملت
جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شئ من جوانبه وهذا
انما يصح فى شان الكافر لان غيره وان لم يكن سوى تصديق قلبه واقرار
لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان
من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب
ما هو اكبر منه حتى تستولى عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه
مائلا الى المعاصى مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه
عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال الله تعالى * ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوءى
ان كذبوا بآيات الله * وقرأ نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على
القلب والادغام فيهما (فاولئك اصحاب النار) ملازموها فى الآخرة كما انهم
ملازمون اسبابها فى الدنيا (هم فيها خالدون) دائمون او لابثون لبثا
طويلا والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التى
قبلها (والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون)
جرت عادته سبحانه وتعالى على ان يشفع وعده بوعيده لترجى رحمته

أمره كقوله أو يأتى أمر ربك
أى عذابه (فى ظلل) جمع
ظلة (من الغمام) السحاب
(والملائكة وقضى الامر)
تم أمر هلاكهم (والى الله
ترجع الامور) بالبناء
للمفعول والفاعل فى الآخرة
فيجازى (سل) يا محمد (بنى
اسرائيل) تبكيتا (كم آتيناهم)
كم استفهامية معلقة سل عن
المفعول الثانى وهى ثانى
مفعولى آتينا ومميزها
(من آية بينة) ظاهرة
كفلق البحر وانزال
المن والسلوى فبدلوها
كفرا (ومن يبدل نعمة الله)
أى ما أنعم به عليه من الآيات
لانها سبب الهداية (من
بعد ما جاءته) كفرا (فان
الله شديد العقاب) له
(زين للذين كفروا) من
أهل مكة (الحياة الدنيا)
بالتمويه فاحبوها (و) هم
(يسخرون من الذين آمنوا)
لفقرهم كبلال وعمار وصهيب
أى يستهزؤن بهم ويتعالون
عليهم بالمال (والذين اتقوا)
الشرك وهم هؤلاء (فوقهم
يوم القيامة (والله يرزق
من يشاء بغير حساب) أى

ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه
(واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لاتعبدون الاالله) اخبار فى معنى النهى
كقوله لايضار كاتب ولاشهيد وهو ابلغ من صريح النهى لمافيه من ايهام
ان المنهى سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لاتعبدوا وعطف
قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره ان لاتعبدوا فلما حذف
ان رفع كقوله «الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى» ويدل عليه قراءة ان لاتعبدوا
فيكون بدلا من الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل
عليه المعنى كأنه قال حلفناهم لاتعبدون وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو عاصم
ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب (وبالوالدين
احسانا) متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او احسنوا (وذى القربى واليتامى
والمساكين) عطف على الوالدين واليتامى جمع يتيم كندامى جمع نديم وهو
قليل ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر اسكنه (وقولوا للناس حسنا) اى
قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب حسنا بفتحتى الحاء
والسين والباقون حسنا بضم الحاء وسكون السين وقرئ حسنا بضمتين وهو لغة
اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به مافيه تخلق وارشاد
(واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) يريد بهما مافرض عليهم فى ملتهم (ثم توليتم)
على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم فى عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب اى اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه
(الاقليلا منكم) يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم
منهم (وانتم معرضون) قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة
واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض (واذ اخذنا
ميثاقكم لاتسفكون دمائكم ولاتخرجون انفسكم من دياركم) على نحو
ماسبق والمراد به ان لايتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن
وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا اودينا اولانه يوجبه
قصاصا وقيل معناه لاترتكبوا مايبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم
اولاتفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل فى الحقيقة
ولاتقترفوا ماتمنعون به عن الجنة التى هى داركم فانه الجلاء الحقيقى
(ثم اقررتم) بالميثاق واعترفتم بلزومه (وانتم تشهدون) توكيد كقولك

رزقا واسعا فى الآخرة والدنيا
بأن يملك المسخور منهم
أموال الساخرين ورقابهم
(كان الناس أمة واحدة)
على الايمان فاختلفوا بأن آمن
بعض وكفر بعض (فبعث
الله النبيين) اليهم (مبشرين)
من آمن بالجنة (ومنذرين)
من كفر بالنار (وأنزل معهم
الكتاب) بمعنى الكتب
(بالحق) متعلق بأنزل (ليحكم)
به (بين الناس فيما اختلفوا
فيه) من الدين (وما اختلف
فيه) أى الدين (الا الذين
أوتوه) أى الكتاب فآمن
بعض وكفر بعض (من بعد
ماجاءتهم البينات) الحجج
الظاهرة على التوحيد ومن
متعلقة باختلف وهى وما
بعدها مقدم على الاستثناء
فى المعنى (بغيا) من الكافرين
(بينهم فهدى الله الذين
آمنوا لما اختلفوا فيه من)
للبيان (الحق باذنه) بارادته
(والله يهدى من يشاء)
هدايته (الى صراط مستقيم)
طريق الحق * ونزل فى جهد
اصاب المسلمين (أم) بل أ
(حسبتم أن تدخلوا الجنة
ولما) لم (يأتكم مثل) شبه

اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا (ثم انتم هؤلاء) استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذاك الرجل الذى فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما يحكى عنهم غيبا وقوله تعالى (تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) اما حال والعامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تأكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذى والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون على التكثير (تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان) حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بحذف احدى التاءين وقرئ باظهارهما وتظهرون بمعنى تتظهرون (وان يأتوكم اسارى تفادوهم) روى ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه فى القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى تفدوه وقيل معناه يأتوكم اسارى فى ايدى الشياطين تتصدون لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقرأ حمزة اسرى وهو جمع اسير كجريح وجرحى واسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم (وهو محرم عليكم اخراجهم) متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشأن او مبهم ويفسره اخراجهم اوراجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم بدل او بيان (أفتؤمنون ببعض الكتاب) يعنى الفداء (وتكفرون ببعض) يعنى حرمة المقاتلة والاجلاء (فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاخزى فى الحيوة الدنيا) كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزى ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل فى كل منهما (ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب) لان عصيانهم اشد (وما الله بغافل عما تعملون) تأكيد للوعيد اى الله سبحانه وتعالى بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرأ عاصم فى رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع وعاصم فى رواية ابى بكر ويعقوب

ما أتى (الذين خلوا من قبلكم) من المؤمنين من المحن فتصبروا كما صبروا (مستهم) جملة مستأنفة مبينة ما قبلها (البأساء) شدة الفقر (والضراء) المرض (وزلزلوا) أزعجوا بانواع البلاء (حتى يقول) بالنصب والرفع أى قال (الرسول والذين آمنوا معه) استبطاء للنصر لتناهى الشدة عليهم (متى) يأتى (نصر الله) الذى وعدناه فاجيبوا من قبل الله (ألا ان نصر الله قريب) اتيانه (يسئلونك) يا محمد (ماذا ينفقون) أى الذى ينفقونه والسائل عمرو بن الجموح وكان شيخا ذا مال فسأل النبى صلى الله عليه وسلم عما ينفق وعلى من ينفق (قل) لهم (ما أنفقتم من خير) بيان لما شامل للقليل والكثير وفيه بيان المنفق الذى هو أحد شقى السؤال وأجاب عن المصرف الذى هو الشق الآخر بقوله (فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) أى هم أولى به (وما تفعلوا من خير) انفاق أو غيره (فان

يعملون على ان الضمير لمن (اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة)
آثروا الحيو الدنيا على الآخرة (فلا يخفف عنهم العذاب) بنقص الجزية
فى الدنيا والتعذيب فى الآخرة (ولاهم ينصرون) بدفعهما عنهم
(ولقد آتينا موسى الكتاب) التورية (وقفينا من بعده بالرسل) اى ارسلنا
على اثره الرسل كقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه
وقفاه به اذا اتبعه من القفاء نحو ذنبه من الذنب (واتينا عيسى بن مريم البينات)
المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات
او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية
من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة « قلت لزير لم تصله مريمه » ووزنه
مفعل اذ لم يثبت فعيل (وايدناه) قويناه وقرئ آيدناه بالمد (بروح القدس)
بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق اراد به جبريل اوروح
عيسى عليهما السلاة ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته
على الله تعالى ولذلك اضافها الى نفسه تعالى اولانه لم تضمه الاصلاب
ولا الارحام الطوامث او الانجيل او اسم الله الاعظم الذى كان يحيى
به الموتى وقرأ ابن كثير القدس بالاسكان فى جميع القرآن (افكلما جاءكم
رسول بما لا تهوى انفسكم) بما لا تحبه يقال هوى بالكسر هوى اذا احب
وهوى بالفتح هويا بالضم اذا سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به
توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيبا من شأنهم ويحتمل ان يكون
استئنافا والفاء للعطف على مقدر (استكبرتم) عن الايمان واتباع الرسل
(ففريقا كذبتم) كموسى وعيسى عليهما السلام والفاء للسببية او للتفصيل
(وفريقا تقتلون) كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال
الماضية استحضارا لها فى النفوس فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل
او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم تحومون حول قتل محمد صلى الله عليه
وسلم لولا انى اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة (وقالوا قلوبنا
غلف) مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار
من الاغلف الذى لم يختتن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى
انها اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعى ما تقول او نحن مستغنون
بما فيها عن غيره (بل لعنهم الله بكفرهم) رد لما قالوا والمعنى انها خلقت
على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل

الله به عليم) فيجازى عليه
(كتب) فرض (عليكم القتال)
للكفار (وهو كره) مكروه
لكم) طبعا لمشقته (وعسى
أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم
وعسى أن تحبوا شيئا وهو
شر لكم) لميل النفس الى
الشهوات الموجبة لهلاكها
ونفورها عن التكليفات
الموجبة لسعادتها فلعل لكم
فى القتال وان كرهتموه خيرا
لان فيه اما الظفر والغنيمة
أو الشهادة والاجر وفى تركه
وان أحببتموه شرا لان فيه
الذل والفقر وحرمان الاجر
(والله يعلم) ماهو خير لكم
(وأنتم لا تعلمون) ذلك
فبادروا الى ما يأمركم به
وأرسل النبى صلى الله وسلم
أول سراياه وعليها عبد الله
بن جحش فقاتلوا المشركين
وقتلوا ابن الحضرمى آخر
يوم من جمادى الآخرة
والتبس عليهم برجب فعيرهم
الكفار باستحلاله فنزل
(يسئلونك عن الشهر الحرام)
المحرم (قتال فيه) بدل
اشتمال (قل) لهم (قتال
فيه كبير) عظيم وزرا مبتدأ
وخبر (وصد) مبتدأ منع

استعداد هم او نبا لم تأب قبول ماتقوله لخلل فيه بل لان الله تعالى خذلهم
بكفرهم كما قال تعالى * فاصمهم واعمى ابصار هم * اوهم كفرة ملعونون
فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك (فقليلا مايؤمنون) فايمانا قليلا
يؤمنون وما مزيدة للمبالغة فى التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل
اراد بالقلة العدم (ولما جاءهم كتاب من عند الله) يعنى القرآن (مصدق
لما معهم) من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصيصه
بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية (وكانوا
من قبل يستفتحون على الذين كفروا) اى يستنصرون على المشركين
ويقولون اللهم انصرنا بنبى آخر الزمان المنعوت فى التورية او يفتحون
عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث فيهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة
والاشعار بان الفاعل يسئل ذلك من نفسه (فلما جاءهم ماعرفوا) من الحق
(كفروا به) حسدا اوخوفا على الرياسة (فلعنة الله على الكافرين)
اى عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فتكون اللام
للعهد ويجوز ان تكون للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا لان الكلام
فيهم (بئس ما اشتروا به انفسهم) مانكرة بمعنى شئ مميزة لفاعل بئس
المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا اواشتروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا
انهم خلصوا انفسهم من العقاب بمافعلوا (ان يكفروا بما انزل الله)
هو المخصوص بالذم (بغيا) طلبا لماليس لهم وحسدا وهو علة ان يكفروا
دون اشتروا للفصل (ان ينزل الله) لان ينزل اوعلى ان ينزل اى حسدوه على
ان ينزل الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو وسهيل ويعقوب بالتخفيف (من فضله)
يعنى الوحى (على من يشاء من عباده) على من اختاره للرسالة (فباؤا
بغضب على غضب) للكفر والحسد على من هوا فضل الخلق وقيل
لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد عيسى عليه السلام او بعد
قولهم عزيز ابن الله (وللكافرين عذاب مهين) يراد به اذلالهم بخلاف
عذاب العاصى فانه طهرة لذنوبه (واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله) يعم
الكتب المنزلة بامرها (قالوا نؤمن بما انزل علينا) اى بالتورية (ويكفرون
بما وراءه) حال من الضمير فى قالوا ووراء فى الاصل مصدر جعل ظرفا
ويضاف الى الفاعل فيراد به مايتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به
مايواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد (وهو الحق) الضمير

للناس (عن سبيل الله)
دينه (وكفر به) بالله (و)
صد عن (المسجد الحرام)
أى مكة (واخراج أهله منه)
وهم النبى صلى الله عليه
وسلم والمؤمنون وخبر
المبتدأ (أكبر) أعظم وزرا
(عند الله) من القتال فيه
(والفتنة) الشرك منكم
(أكبر من القتل) لكم فيه
(ولا يزالون) أى الكفار
(يقاتلونكم) أيها المؤمنون
(حتى) كى (يردوكم عن دينكم)
الى الكفر (ان استطاعوا و
من يرتدد منكم عن دينه فيمت
وهو كافر فأولئك حبطت)
بطلت (أعمالهم) الصالحة
(فى الدنيا والآخرة) فلا
اعتداد بها ولاثواب عليها
والتقييد بالموت عليه يفيد أنه
لو رجع الى الاسلام لم يبطل
عمله فيثاب عليه ولا يعيده
كالحج مثلا وعليه والشافعى
(وأولئك أصحاب النار هم
فيها خالدون) ولما ظن
السرية أنهم ان سلموا من
الاثم فلا يحصل لهم أجر نزل
(ان الذين آمنوا والذين
هاجروا) فارقوا أوطانهم
(وجاهدوا فى سبيل الله)

لاعلاديه (أولئك يرجون
رحمت الله) ثوابه (والله
غفور) للمؤمنين (رحيم)
بهم (يسـئلونك عن الخمر
والميسر) القمار ماحكمهما
(قل) لهم (فيهمـا) أى
فى تعاطيهما (اثم كبير) عظيم
وفى قرأة بالمثلثة لما يحصل
بسببهما من المخاصمة والمشاتمة
وقول الفحش (ومنـافع
للنـاس) باللذة والفرح فى
الخمر واصابة المال بلا كد فى
الميسر (واثمهما) أى
ماينشـأ عنهما من المفـاسد
(أكبر) أعظم (من نفعهما)
ولما نزلت شربها قوم وامتنع
آخرون الى أن حرمتها آية
المـائدة (ويسـئلونك ماذا
ينفقون) أى ماقدره (قل)
أنفقوا (العفو) أى الفاضل
عن الحـاجة ولاتنفقوا ما
تحتـاجون اليـه وتضيعوا
انفسـكم وفى قراءة بالرفع
بتقدير هو (كذلك) أى
كما بين لكم ماذكر (يبين
الله لكم الآيات لعلكـم
تتفكرون فى) أمر (الدنيـا
والآخرة) فتأخذون بالاصلح
لكم فيهما (ويسئلونك عن
اليتـامى) وما يلقونه من

لمـا وراءه والمراد به القرآن (مصدقا لما معهم) حال مؤكدة تتضمن
رد مقالتهم فانهم لمـا كفر وابمـا يوافق التورية فقد كفر وابهـا
(قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) اعتراض عليهم بقتل
الانبياء مع ادعاء الايمان بالتورية والتورية لاتسوغه وانما اسنده اليهم لانه
فعل آبائهم وانهم راضون به عازمون عليـه وقرأنافع وحده انبيـاء الله
مهموزا فى جميع القرءآن (ولقـدجاءكم موسى بالبينـات) يعنى الآيات
التسع المذكورة فى قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات (ثم اتخذتم
العجل) اى الها (من بعده) بعد مجئ موسى او بعد ذهابه الى الطور
(وانتم ظالمون) حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات
الله تعالى او اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظـلم ومسـاق الآية ايضا
لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول
طريقة اسـلافهم مع موسى عليهما السلام لالتكرير القصة وكذا مابعدها
(واذا خذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ماآتيناكم بقوة واسمعوا)
اى قلنالهم خذوا ماامرتم به فى التورية بجد وعزيمة واسمعوا اسماع طاعة
(قـالوا سمعنا) قولك (وعصينـا) امرك (واشربوا فى قلوبهم العجل)
تداخلهم حبه ورسخ فى قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ
الثوب والشراب اعماق البدن وفى قلوبهم بيـان لمكان الاشراب كقوله
تعالى انما يأكلون فى بطونهم نارا (بكفرهم) بسبب كفرهم وذلك لانهم
كانوا مجسمة اوحلوليـة ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن فى قلوبهم ماسول
لهم السامرى (قل بئس مايأمركم به ايمانكم) اى بالتورية والمخصوص
بالذم محذوف نحو هذا الامر اومايعمه وغيره من قبائحهم المعدودة فى الآيات
الثلاث الزاما عليهم (ان كنتم مؤمنين) تقرير للقدح فى دعواهم الايمان
بالتورية وتقديره ان كنتم مؤمنين بها ما امركم بهذه القبـائح ولارخص
لكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئس ما أمركم به ايمانكم
بهـا لان المؤمن ينبغى ان لا يتعاطى الا مايقتضيـه ايمـانه لكن الايمـان
بهـا لا يأمر به فاذن لستم بمؤمنين (قل ان كانت لكم الـدار الآخرة
عند الله خالصـة) خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنـة الا من كان هودا
ونصبها على الحال من الدار (من دون النـاس) سائرهم او المسلمين واللام
للعهد (فتمنوا الموت ان كنتم صـادقين) لان من ايقن انه من اهل الجنـة

اشتياقها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال على
رضى الله تعالى عنه لاابالى سقطت على الموت او سقط الموت على * وقال
عمار بصفين * الآن الاقى الاحبة * محمدا ثم حزبه * وقال حذيفة حين احتضر
* وجاء حبيب على فاقة * فلاافلح اليوم من قد ندم * اى على التمنى سيما اذا علم
انها سالمة له لايشركه فيها غيره (ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم)
من موجبات النار كالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وتحريف
التورية ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة
صنائعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة وعن القدرة اخرى
وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا الموت لنقل واشتهر
فان التمنى ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت لى كذا ولو كان
بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص
كل انسان بريقه فمات مكانه ومابقى على وجه الارض يهودى (والله عليم
بالظالمين) تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون فى دعوى ماليس لهم
ونفيه عمن هو لهم (ولتجدنهم احرص الناس على حيوة) من وجد بعقله
الجارى مجرى علم ومفعولاه هم واحرص الناس وتنكير حيوة لانه اريد بها
فرد من افرادها وهى الحيوة المتطاولة وقرئ باللام (ومن الذين اشركوا)
محمول على المعنى فكأنه قال احرص من الناس على الحيوة ومن الذين
اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذلم يعرفوا الاالحيوة
العاجلة والزيادة فى التوبيخ والتقريع فانهم لما زاد حرصهم وهم مقرون
بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار
ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه
وان يكون خبر مبتدأ محذوف صفته (يود احدهم) على انه اريد بالذين
اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اى ومنهم ناس يود احدهم وهو
على الاولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف (لو يعمر الف سنة)
حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجرى على الغيبة
لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن (وماهو بمزحزحه من العذاب
ان يعمر) الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اى وما احدهم
بمن يزحزحه من النار تعميره اولما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم
وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم

الحرج فى شأنهم فان واكلوهم
يأثموا وان عزلوا مالهم من
أموالهم وصنعوا لهم طعاما
وحدهم فحرج (قل اصلاح
لهم) فى أموالهم بتنميتها
ومداخلتكم (خير) من
ترك ذلك (وان تخالطوهم)
أى تخلطوا نفقتكم بنفقتهم
(فاخوانكم) أى فهم
اخوانكم فى الدين ومن شأن
الاخ أن يخالط أخاه أى فالكم
ذلك (والله يعلم المفسد)
لاموالهم بمخالطته (من
المصلح) بها فيجازى كلا منهما
(ولو شاء الله لأعنتكم)
لضيق عليكم بتحريم المخالطة
(ان الله عزيز) غالب على
أمره (حكيم) فى صنعه
(ولاتنكحوا) تتزوجوا
أيها المسلمون (المشركات)
أى الكافرات (حتى يؤمن
ولأمة مؤمنة خير من مشركة)
حرة لان سبب نزولها العيب
على من تزوج امة وترغيبه
فى نكاح حرة مشركة
(ولو أعجبتكم) لجمالها
ومالها وهذا مخصوص بغير
الكتابيات بآية والمحصنات
من الذين أوتوا الكتاب
(ولاتنكحوا) تزوجوا

(المشركين) أى الكفار المؤمنات (حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولواعجبكم) لماله وجماله أولئك) أى أهل الشرك (يدعون الى النار) بدعائهم الى العمل الموجب لها فلا تليق مناكحتهم (والله يدعو) على لسان رسله (الى الجنة والمغفرة) أى العمل الموجب لهما (باذنه) بارادته فتجب اجابته بتزويج أوليائه (و يبين آياته للناس لعلهم يتذكرون) يتعظون (و يسئلونك عن المحيض) أى الحيض أومكانه ماذايفعل بالنساء فيه (قل هو أذى) قذر أومحله (فاعتزلوا النساء) اتركوا وطأهن (فى المحيض) اى وقته أومكانه (ولاتقربوهن) بالجماع (حتى يطهرن) بسكون الطاء وتشديدها والهاء وفيه ادغام التاء فى الاصل فى الطاء أى يغتسلن بعد انقطاعه (فاذا تطهرن فأتوهن) بالجماع (من حيث أمركم الله) بتجنبه فى الحيض وهو القبل ولا تعدوه الى غيره (ان الله يحب) يثيب و يكرم

سانيته وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم (قل من كان عدوا لجبريل) نزل فى عبدالله بن صوريا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلايسلطكم عليه والافبم تقتلونه وقيل دخل عمر رضى الله تعالى عنه مدراس اليهود يوما فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال ومامنزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره و بينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله ثم رجع عمر فوجد جبريل قدسبقه بالوحى فقال عليه السلام لقدوافقك ربك ياعمر وفى جبريل ثمانى لغات وقرئ بهن اربع فى المشهور جبرئيل كسلسبيل قرأه حمزة والكسائى وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قرأه ابن كثير وجبرئل كجحمرش قرأه عاصم برواية ابى بكر وجبريل كقنديل قرأه الباقون واربع فى الشواذ جبريل وجبرائيل كجبراعيل وجبرائل وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبدالله (فانه نزله) البارز الاول لجبريل والثانى للقرآن واضماره غيرمذكور يدل على فخامة شأنه كأنه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره (على قلبك) فانه القابل الاول للوحى ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبى لكنه جاء على حكاية كلام الله كأنه قال قل ماتكلمت به (باذن الله) بامره اوتيسيره حال من فاعل نزل (مصدقا لما بين يديه وهدى و بشرى للمؤمنين) احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى ان من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف اوكفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحى لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه اومن عاداه فالسبب فى عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا اوفهو عدولى وانا عدوه كما قال

(من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين) اراد بعداوة الله مخالفته عنادا اومعاداة المقربين من عباده وصدر

الكلام بذكره تفخيما لشأنهم كقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه
وافرد الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر والتنبيه على ان
معاداة الواحد والكل سواء فى الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى
وان من عادى احدهم فكأنه عادى الجميع اذ الموجب لعداوتهم ومحبتهم
على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع
المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل
كفر وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص
ميكال كميعاد والباقون ميكائيل بالهمزة والياء بعدها وقرئ ميكئل كميكعل
وميكئيل وميكيئل (ولقد انزلنا اليك آيات بينات ومايكفر بها الاالفاسقون)
اى المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل فى نوع من المعاصى دل
على اعظمه كأنه متجاوز عن حده نزل فى ابن صوريا حين قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ماجئتنا بشئ نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك
(اوكلما عاهدوا عهدا) الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف
تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على ان التقدير
الا الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا (نبذه فريق منهم)
نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم
لم ينقض (بل اكثرهم لايؤمنون) رد لما يتوهم من ان الفريق هم الاقلون
او ان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء (ولما جاءهم رسول من عند الله
مصدق لما معهم) كعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (نبذ فريق من الذين
اوتوا الكتاب كتاب الله) يعنى التورية لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر
بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالآيات
وقيل مامع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو القرآن (وراء ظهورهم)
مثل لاعراضهم عنه رأسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم
الالتفات اليه (كأنهم لايعلمون) انه كتاب الله يعنى ان علمهم به رصين
ولكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل بالآيتين على ان جل اليهود
اربع فرق فرقة آمنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمنى اهل الكتاب
وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لايؤمنون وفرقة جاهروا
بنبذ عهودها وتخطى حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله
نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم

(التوابين) من الذنوب
(ويحب المتطهرين) من
الاقذار (نساؤكم حرث
لكم) أى محل زرعكم الولد
(فأتوا حرثكم) أى محله
وهو القبل (أنى) كيف
(شئتم) من قيام وقعود
واضطجاع واقبال وادبار نزل
ردا لقول اليهود من أتى
امرأته فى قبلها من جهة
دبرها جاء الولد أحول
(وقدموا لانفسكم) العمل
الصالح كالتسمية عند الجماع
(واتقوا الله) فى أمره ونهيه
(واعلموا أنكم ملاقوه)
بالبعث فيجازيكم بأعمالكم
(وبشر المؤمنين) الذين اتقوه
بالجنة (ولا تجعلوا الله) أى
الحلف به (عرضة) علة
مانعة (لأيمانكم) أى نصبا لها
بأن تكثروا الحلف به (أن)
لا (تبروا وتتقوا) فتكره اليمين
على ذلك ويسن فيه الحنث
ويكفر بخلافها على فعل
البر ونحوه فهى طاعة
(وتصلحوا بين الناس)
المعنى لاتمتنعوا من فعل ما ذكر
من البر ونحوه اذا حلفتم
عليه بل ائتوه وكفروا لان
سبب نزولها الامتناع من

الا اكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا
وعنادا وهم المجاهلون (واتبعوا ماتتلو الشياطين) عطف على نبذ اى
نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التى تقرأوها او تتبعها الشياطين
من الجن او الانس او منهما (على ملك سليمان) اى عهده وتتلو حكاية
حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ماسمعوا اكاذيب ويلقونها
الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك فى عهد سليمان
عليه السلام حتى قيل ان الجن يعلمون الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم
وانه تسخر به الجن والانس والريح له (وما كفر سليمان) تكذيب لمن زعم
ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان
معصوما عنه (ولكن الشياطين كفروا) باستعماله وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائى ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين (يعلمون الناس السحر)
اغواء واضلالا والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر مايستعان فى تحصيله
بالتقرب الى الشيطان بما لا يستقل به الانسان وذلك لايستتب الالمن
يناسبه فى الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط فى التضام والتعاون
وبهذا تميز الساحر عن النبى والولى واما مايتعجب منه كما يفعله اصحاب
الحيل بمعونة الآلات والادوية او يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم
وتسميته سحرا على التجوز اولما فيه من الدقة لانه فى الاصل لما خفى سببه
(وما انزل على الملكين) عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف
لتغاير الاعتبار او المراد به نوع اقوى منه اوعلى ماتتلو وهما ملكان انزلا
لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روى
انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها
زهرة فحملتهما على المعاصى والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت
منهما فمحكى عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لايخفى على
ذوى البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده
قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفى معطوف على ما كفر
تكذيب لليهود فى هذه القصة (ببابل) ظرف او حال من الملكين او الضمير
فى انزل والمشهور انه بلد من سواد الكوفة (هاروت وماروت) عطف بيان
للملكين ومنع صرفهما للعلمية والعجمة ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر
لانصرفا ومن جعل مانافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض ومابينهما

ذلك (والله سميع) لاقوالكم
(عليم) بأحوالكم
(لايؤاخذكم الله باللغو) الكائن
(فى أيمانكم) وهو مايسبق
اليه اللسان من غير قصد
الحلف نحو لاوالله وبلى والله
فلااثم فيه ولا كفارة (ولكن
يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم)
أى قصدته من الايمان اذا
حنثتم (والله غفور) لما كان
من اللغو (حليم) بتأخير
العقوبة عن مستحقها
(للذين يؤلون من نسائهم)
أى يحلفون أن لايجامعوهن
(تربص) انتظار (أربعة
اشهر فان فاؤا) رجعوا فيها
أو بعدها عن اليمين الى الوطء
(فان الله غفور) لهم ماأتوه
من ضرر المرأة بالحلف
(رحيم) بهم (وان عزموا
الطلاق) أى عليه بان لم
يفيؤا فليوقعوه (فان الله سميع)
لقولهم (عليم) بعزمهم
المعنى ليس لهم بعد تربص
ماذكر الا الفيئة أو الطلاق
(والمطلقات يتربصن) أى
لينتظرن (بانفسهن) عن
النكاح (ثلاثة قروء) تمضى
من حين الطلاق جمع قرء
بفتح القاف وهو الطهر

اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت (وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر) فمعناه على الاول ومايعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر ومالا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثانى مايعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا (فيتعلمون منهما) الضمير لما دل عليه من احد (مايفرقون به بين المرء وزوجه) اى من السحر مايكون سبب تفريقهما (وماهم بضارين به من احد الا باذن الله) لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وبجعله وقرئ بضارى على الاضافة الى احد وجعل الجار جزأ منه والفصل بالظرف (ويتعلمون مايضرهم) لانهم يقصدون به العمل اولان العلم يجر الى العمل غالبا (ولاينفعهم) اذ مجرد العلم به غير مقصود ولانافع فى الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى (ولقد علموا) اى اليهود (لمن اشتراه) اى استبدل ماتتلو الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل (ماله فى الآخرة من خلاق) نصيب (ولبئس ماشروا به انفسهم) يحتمل المعنيين على مامر (لو كانوا يعلمون) يتفكرون فيه اويعلمون قبحه على اليقين او حقيقة مايتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمى العقل الغريزى او العلم الاجمالى بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم (ولو انهم آمنوا) بالرسول والكتاب (واتقوا) بترك المعاصى كنبذ كتاب الله واتباع السحر (لمثوبة من عند الله خير) جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقى جملة اسمية لتدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشئ من الثواب خير وقيل لو للتمنى ولمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمى الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه (لو كانوا يعلمون) ان ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم (ياايها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا) الرعى حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون للرسول عليه السلام

او الحيض قولان وهذا فى المدخول بهن أما غيرهن فلاعدة عليهن لقوله فمالكم عليهن من عدة وفى غير الآيسة والصغيرة فعدتهن ثلاثة اشهر والحوامل فعدتهن أن يضعن حملهن كما فى سورة الطلاق و الاماء فعدتهن قرآن بالسنة (ولايحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن) من الولد اوالحيض (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن) أزواجهن (أحق بردهن) بمراجعتهن ولو أبين (فى ذلك) أى فى زمن التربص (ان أرادوا اصلاحا) بينهما لاضرار المرأة وهو تحريض على قصده لاشرط لجواز الرجعة وهذا فى الطلاق الرجعى و أحق لاتفضيل فيه اذ لاحق لغيرهم فى نكاحهن فى العدة (ولهن) على الازواج (مثل الذى) لهم (عليهن) من الحقوق (بالمعروف) شرعا من حسن العشرة وترك الضرار ونحو ذلك (وللرجال عليهن درجة) فضيلة فى الحق من وجوب طاعتهن لهم

راعنا اى راقبنا وتأن بنا فيما تلقينا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن اوسبه بالكلمة العبرانية التى كانوا يتسابون بها وهى راعينا فنهى المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اى امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير راعنا بالتنوين اى قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب (واسمعوا) واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه (وللكافرين عذاب اليم) يعنى الذين تهاونوا بالرسول عليه السلام وسبوه (ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين) نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين و يزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشئ مع تمنيه ولذلك يستعمل فى كل منهما ومن للتبيين كما فى قوله تعالى * لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين * (ان ينزل عليكم من خير من ربكم) مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحى والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شئ منه و بالعلم والنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك (والله يختص برحمته من يشاء) يستنبئه ويعلمه الحكمة و ينصره لا يجب عليه شئ وليس لاحد عليه حق (والله ذو الفضل العظيم) اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته (ما ننسخ من آية او ننسها) نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه و يأمر بخلافه والنسخ فى اللغة ازالة الصورة عن الشئ واثباتها فى غيره كنسخ الظل للشمس والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرأ ابن عامر ما ننسخ من انسخ اى نأمرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننسأها اى نؤخرها من النسأ وقرئ ننسها اى ننس احدا

لما ساقوه من المهر والانفاق (والله عزيز) فى ملكه (حكيم) فيما دبره لخلقه (الطلاق) أى التطليق الذى يراجع بعده (مرتان) أى اثنتان (فامساك) أى فعليكم امساكهن بعده بان تراجعوهن (بمعروف) من غير ضرار (أو تسريح) أى ارسال لهن (باحسان ولا يحل لكم) أيها الازواج (أن تأخذوا مما آتيتموهن) من المهور (شيئا) اذا طلقتموهن (الا أن يخافا) أى الزوجان (أن لا يقيما حدود الله) أى لا يأتيا بما حده لهما من الحقوق وفى قراءة يخافا بالبناء للمفعول فان لا يقيما بدل اشتمال من الضمير فيه وقرئ بالفوقانية فى الفعلين (فان خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به) نفسها من المال ليطلقها أى لا حرج على الزوج فى أخذه ولا على الزوجة فى بذله (تلك) الاحكام المذكورة (حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون فان طلقها) الزوج بعد الثنتين (فلا تحل له من

اياها وتنسها اى انت وتنسها على البناء للمفعول وقرأ عبد الله ماننسك من آية او ننسخها وقرأ حذيفة ماننسخ من آية وننسكها باظهار المفعولين (نأت بخير منها او مثلها) اى بما هو خير للعباد فى النفع والثواب او مثلها فى الثواب وقرأ ابو عمرو بقلب الهمزة الفا (ألم تعلم ان الله على كل شئ قدير) فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير منه والآية دلت على جواز النسخ وتأخير الانزال اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وذلك لان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع فى عصر قد يضر فى غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتى به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم او الاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مما اتى به الله تعالى وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك فى اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن فان التغير والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديمة (ألم تعلم) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدأ علمهم (ان الله له ملك السموات والارض) يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شئ قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف (وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير) وانما هو الذى يملك اموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق بين الولى والنصير ان الولى قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور فيكون بينهما عموم من وجه (ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) ام معادلة للهمزة فى ألم تعلم اى ألم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يأمر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى عليه السلام او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت فى اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل فى المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه (ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) ومن ترك الثقة بالآيات البينات وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع فى الكفر بعد الايمان ومعنى الآية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدى بكم الضلال الى البعد

بعد) بعد الطلقة الثالثة (حتى تنكح) تتزوج (زوجا غيره) ويطأها كما فى الحديث رواه الشيخان (فان طلقها) أى الزوج الثانى (فلا جناح عليهما) أى الزوجة والزوج الاول (ان يتراجعا) الى النكاح بعد انقضاء العدة (ان ظنا أن يقيما حدود الله وتلك) المذكورات (حدود الله يبينها لقوم يعلمون) يتدبرون (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) قاربن انقضاء عدتهن (فأمسكوهن) بأن تراجعوهن (بمعروف) من غير ضرار (أو سرحوهن بمعروف) اتركوهن حتى تنقضى عدتهن (ولا تمسكوهن) بالرجعة (ضرارا) مفعول له (لتعتدوا) عليهن بالالجاء الى الافتداء والتطليق وتطويل الحبس (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) بتعريضها الى عذاب الله (ولا تتخذوا آيات الله هزؤا) مهزوءا بها بمخالفتها (واذكروا نعمت الله عليكم) بالاسلام (وما أنزل عليكم من الكتاب) القرآن (والحكمة) ما فيه من الاحكام (يعظكم به) بأن تشكروها

عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل (ود كثير من اهل الكتاب) يعنى احبارهم (لو يردونكم) ان يردوكم فان لو تنوب عن ان فى المعنى دون اللفظ (من بعد ايمانكم كفارا) مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين (حسدا) علة ود (من عند انفسهم) يجوز ان يتعلق بود اى تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا اى حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم (من بعد ماتبين لهم الحق) بالمعجزات والنعوت المذكورة فى التورية (فاعفوا واصفحوا) العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه (حتى يأتى الله بامره) الذى هو الاذن فى قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بنى النضير وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه منسوخ بآية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق (ان الله على كل شئ قدير) فيقدر على الانتقام منهم (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) عطف على فاعفوا كأنه امرهم بالصبر والمخالفة والالتجأ الى الله تعالى بالعبادة والبر (وما تقدموا لانفسكم من خير) كصلوة وصدقة وقرئ تقدموا من أقدم (تجدوه عند الله) اى ثوابه (ان الله بما تعملون بصير) لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا (وقالوا) عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى (لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى) لف بين قولى الفريقين كما فى قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد الاسم المضمر فى كان وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى (تلك امانيهم) اشارة الى الامانى المذكورة وهى ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما فى الآية على حذف المضاف اى امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمنى كالاضحوكة والاعجوبة (قل هاتوا برهانكم) على اختصاصكم بدخول الجنة (ان كنتم صادقين) فى دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت (بلى) اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة (من اسلم وجهه لله) اخلص له نفسه أو قصده واصله العضو (وهو محسن) فى عمله (فله اجره) الذى وعده على عمله (عند ربه) ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها حينئذ لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم

بالعمل به (واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شئ عليم) لا يخفى عليه شئ (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) انقضت عدتهن (فلا تعضلوهن) خطاب للاولياء أى تمنعوهن من (أن ينكحن أزواجهن) المطلقين لهن لان سبب نزولها أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها فاراد أن يراجعها فمنعها معقل بن يسار كما رواه الحاكم (اذا تراضوا) أى الازواج والنساء (بينهم بالمعروف) شرعا (ذلك) النهى عن العضل (يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) لانه المنتفع به (ذلكم) أى ترك العضل (أزكى) خير (لكم وأطهر) لكم ولهم لما يخشى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة بينهما (والله يعلم) ما فيه المصلحة (وأنتم لا تعلمون) ذلك فاتبعوا أمره (والوالدات يرضعن) أى ليرضعن (أولادهن حولين) عامين (كاملين) صفة مؤكدة ذلك (لمن أراد أن يتم الرضاعة) ولا زيادة عليه (وعلى المولود له) أى

فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)
فى الآخرة (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى
ليست اليهود على شئ) اى على امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم
وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاهم احبار اليهود
فتناظروا وتقاولوا بذلك (وهم يتلون الكتاب) الواو للحال والكتاب
للجنس اى قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب (كذلك) اى مثل ذلك
(قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على
المكابرة والتشبيه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين
بعد النسخ ليس بشئ قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال
دين الآخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان مالم ينسخ منهما حق
وجب القبول والعمل به (فالله يحكم بينهم) بين الفريقين (يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون) بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل
حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار (ومن اظلم ممن منع مساجد الله)
عام لكل من خرب مسجدا اوسعى فى تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل
فى الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله اوالمشركين لما
منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية
(ان يذكر فيها اسمه) ثانى مفعولى منع (وسعى فى خرابها) بالهدم
اوالتعطيل (اولئك) اى المانعون (ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين)
ما كان ينبغى لهم ان يدخلوها الا بخشية وخشوع فضلا عن ان يجترؤا
على تخريبها اوما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين
ان يبطشوا بهم فضلا عن ان يمنعوهم منها اوما كان لهم فى علم الله وقضائه
فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز
وعده وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول فى المسجد واختلف الائمة
فيه فجوز ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعى بين المسجد الحرام وغيره
رحمهم الله تعالى (لهم فى الدنيا خزى) قتل وسبى اوذلة بضرب الجزية
(ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) بكفرهم وظلمهم (ولله المشرق والمغرب)
يريد بهما ناحيتى الارض اى له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان
فان منعتم ان تصلوا فى المسجد الحرام والاقصى فقد جعلت لكم الارض
مسجدا (فاينما تولوا) ففى اى مكان فعلتم التولية شطر القبلة (فثم وجه الله)

الاب (رزقهن) اطعام
الوالدات (وكسوتهن) على
الارضاع اذا كن مطلقات
(بالمعروف) بقدر طاقته
(لا تكلف نفس الا وسعها)
طاقتها (لا تضار والدة
بولدها) بسببه بان تكره على
ارضاعه اذا امتنعت (ولا
يضار (مولود له بولده) أى
بسببه بأن يكلف فوق طاقته
واضافة الولد الى كل منهما
فى الموضعين للاستعطاف
(وعلى الوارث) أى وارث
الاب وهو الصبى أى على
وليه فى ماله (مثل ذلك)
الذى على الاب للوالدة من
الرزق والكسوة (فان أرادا)
أى الوالدان (فصالا)
فطاما له قبل الحولين صادرا
عن تراض) اتفاق (منهما
وتشاور) بينهما لتظهر مصلحة
الصبى فيه (فلا جناح عليهما)
فى ذلك (وان أردتم) خطاب
للآباء (أن تسترضعوا أولادكم)
مراضع غير الوالدات (فلا
عليكم) فيه (اذا سلمتم) اليهن
(ما آتيتم) أى أردتم ايتاءه
لهن من الاجر (بالمعروف)
بالجميل كطيب النفس

اى جهته التى امر بها فان امكان التولية لايختص بمسجد اومكان او فى ذاته اى هو عالم مطلع بمايفعل فيه (ان الله واسع) باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده (عليم) بمصالحهم واعمالهم فى الاماكن كلها وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انها نزلت فى صلاة المسافر على الراحلة وقيل فى قوم عميت عليهم القبلة فصلوا على انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطأهم وعلى هذا لواخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هى توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون فى حيز وجهة (وقالوا اتخذ الله ولدا) نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركوا العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود اومنع اومفهوم قوله تعالى ومن اظلم وقرأ ابن عامر بغير واو (سبحانه) تنزيه له عن ذلك فانه يقتضى التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الاترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية مادام العالم لم تتخذ مايكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا اوطبعا (بل له مافى السموات والارض) رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه تعالى خالق مافى السموات والارض الذى من جملته الملائكة وعزير والمسيح (كل له قانتون) منقادون لايمتنعون على مشيئته وتكوينه وكل ماكان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلايكون له ولدا لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء الذى لغير اولى العلم وقال قانتون على تغليب اولى العلم تحقيرا لشأنهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اى كل مافيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والآية مشعرة على فساد ماقالوه من ثلاثة اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضى تنافيهما (بديع السموات والارض) مبدعهما ونظيره السميع فى قوله * امن ريحانة الداعى السميع * يؤرقنى واصحابى هجوع * او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه وتعالى مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلايكون والدا والابداع اختراع الشئ لاعن شئ دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذى هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذى

(واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير) لايخفى عليه شئ منه (والذين يتوفون) يموتون (منكم ويذرون) يتركون (ازواجا يتربصن) أى ليتربصن (بانفسهن) بعدهم عن النكاح (أربعة أشهر وعشرا) من الليالى وهذا فى غير الحوامل فعدتهن أن يضعن حملهن بآية الطلاق والامة على النصف من ذلك بالسنة (فاذا بلغن أجلهن) انقضت مدة تربصن (فلا جناح عليكم) أيها الاولياء (فيما فعلن فى أنفسهن) من التزين والتعرض للخطاب (بالمعروف) شرعا (والله بما تعملون خبير) عالم بباطنه كظاهره (ولاجناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء) المتوفى عنهن أزواجهن فى العدة كقول انسان مثلا انك لجميلة ومن يجد مثلك ورب راغب فيك (أو اكننتم) أضمرتم (فى انفسكم) من قصد نكاحهن (علم الله أنكم ستذكرونهن)

يكون بتغير وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح (واذا قضى امرا) اى ارادا شيئا واصل القضاء اتمام الشئ قولا كقوله تعالى وقضى ربك اوفعلا كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشئ من حيث انه يوجبه (فانما يقول له كن فيكون) من كان التامة اى احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وهو ان ايجاد الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغنى عن ذلك وقرأ ابن عامر فيكون بفتح النون واعلم ان السبب فى هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه وتعالى هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد (وقال الذين لايعلمون) اى جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب (لولا يكلمنا الله) هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة او يوحى الينا بانك رسوله (اوتأتينا آية) حجة على صدقك والاول استكبار والثانى جحود بان ما اتاهم آيات الله استهانة به وعنادا (كذلك قال الذين من قبلهم) من الامم الماضية (مثل قولهم) فقالوا أرنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء (تشابهت قلوبهم) قلوب هؤلاء ومن قبلهم فى العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين (قد بينا الآيات لقوم يوقنون) اى يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ماقالوا ذلك لخفاء فى الآيات اولطلب مزيد اليقين وانما قالوه عتوا وعنادا (انا ارسلناك بالحق) ملتبسا مؤيدا به (بشيرا ونذيرا) فلا عليك ان اصروا او كابروا (ولا تسأل عن اصحاب الجحيم) مالهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرأ نافع ويعقوب ولا تسأل على انه نهى للرسول صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال ابويه اوتعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا تقدر ان تخبر عنها او السامع لايصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج من النار (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) مبالغة فى اقناط الرسول صلى الله عليه وسلم

بالخطبة ولاتصبرون عنهن فاباح لكم التعريض (ولكن لاتواعدوهن سرا) أى نكاحا (الا) لكن (أن تقولوا قولا معروفا) أى ماعرف شرعا من التعريض فلكم ذلك (ولا تعزموا عقدة النكاح) أى على عقده (حتى يبلغ الكتاب) أى المكتوب من العدة (أجله) بان ينتهى (واعلموا أن الله يعلم مافى أنفسكم) العزم وغيره (فاحذروه) أن يعاقبكم اذا عزمتم (واعلموا ان الله غفور) لمن يحذره (حليم) بتأخير العقوبة عن مستحقها (لاجناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن) وفى قرأة تماسوهن أى تجامعوهن (أو) لم (تفرضوا لهن فريضة) مهرا وما مصدرية ظرفية أى تبعة عليكم فى الطلاق زمن عدم المسيس والفرض باثم ولا مهر فطلقوهن (ومتعوهن) أعطوهن مايتمتعن به (على الموسع) الغنى منكم (قدره وعلى المقتر) الضيق الرزق

عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا امثل ذلك فحكى الله تعالى عنهم ولذلك قال (قل) تعليما للجواب (ان هدى الله هو الهدى) اى هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ماتدعون اليه (ولئن اتبعت اهواءهم) آراءهم الزائغة والملة ماشرعه الله تعالى لعباده على لسان انبيائه من املت الكتاب اذا امليته والهوى رأى يتبع الشهوة (بعد الذى جاءك من العلم) اى من الوحى او الدين المعلوم صحته (مالك من الله من ولى ولا نصير) يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن (الذين آتيناهم الكتاب) يريد به مؤمنى اهل الكتاب (يتلونه حق تلاوته) بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر فى معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر مابعده اوخبر على ان المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب (اولئك يؤمنون به) بكتابهم دون المحرفين (ومن يكفر به) بالتحريف والكفر بمايصدقه (فاولئك هم الخاسرون) حيث اشتروا الكفر بالايمان (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا ولايقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولاهم ينصرون) لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر من اضاعتها والخوف من الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة فى النصح وايذانا بانه فذلكة القضية والمقصود من القصة (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات) كلفه باوامر ونواه والابتلاء فى الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تأخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات قدتطلق على المعانى فلذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة فى قوله تعالى التائبون العابدون الآية وقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الى آخر الآيتين وقوله قدافلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت بها فى قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التى هى من سننه وبمناسك الحج وبالكواكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنته الآيات التى بعدها وقرئ ابراهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل أرنى كيف تحيى الموتى واجعل هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه وقرأ ابن عامر ابراهام بالالف فى جميع

(قدره) يفيد أنه لانظر الى قدر الزوجة (متاعا) تمتيعا (بالمعروف) شرعا صفة متاعا (حقا) صفة ثانية أومصدر مؤكد (على المحسنين) المطيعين (وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقدفرضتم لهن فريضة فنصف مافرضتم) يجب لهن ويرجع لكم النصف (الا) لكن (أن يعفون) أى الزوجات فيتركنه (أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح) وهو الزوج فيترك لها الكل وعن ابن عباس الولى اذا كانت محجورة فلا حرج فى ذلك (وأن تعفوا) مبتدأ خبره (أقرب للتقوى ولاتنسوا الفضل بينكم) أى أن يتفضل بعضكم على بعض (ان الله بماتعملون بصير) فيجازيكم به (حافظوا على الصلوت) الخمس بأدائها (والصلاة الوسطى) هى العصر أوالصبح أوالظهر أوغيرها أقوال وأفردها بالذكر لفضلها (وقوموا لله) فى الصلاة (قانتين) قيل مطيعين لقوله صلى الله عليه

مافى هذه السورة (فاتمهن) فاداهن كملا وقام بهن حق القيام لقوله تعالى * وابراهيم الذى وفى * وفى القراءة الاخيرة الضمير لربه اى اعطاه جميع مادعاه (قال انى جاعلك للناس اماما) استئناف ان اضمرت ناصب اذ كأنه قيل فاذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فتكون الكلمات ماذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ماقبلها وجاعل من جعل الذى له معفولان والامام اسم لمن يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذلم يبعث بعده نبى الاكان من ذريته مأمور اباتباعه (قال ومن ذريتى) عطف على الكاف اى وبعض ذريتى كما تقول وزيدا فى جواب سأكرمك والذرية نسل الرجل فعلية اوفعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كما فى تقضيت من الذر بمعنى التفريق اوفعولة اوفعيلة قلبت همزتها ياء من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتى بالكسر وهى لغة (قال لاينال عهدى الظالمين) اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قديكون من ذريته ظلمة وانهم لاينالون الامامة لانها امانة من الله تعالى وعهد والظالم لايصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لايصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل مانالك فقد نلته (واذجعلنا البيت) اى الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا (مثابة للناس) مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار وامثالهم اوموضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات اى لانه مثابة كل واحد (وامنا) وموضع امن لايتعرض لاهله كقوله تعالى * حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم * اويأمن حاجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ماقبله اويؤاخذ الجانى الملتجئ اليه حتى يخرج وهو مذهب ابى حنيفة رضى الله عنه (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) على ارادة القول اوعطف على المقدر عاملا لا ذا واعتراض معطوف على مضمر تقديره ثوبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم وهو امر استحباب ومقام ابراهيم هو الحجر الذى فيه اثر قدميه اوالموضع الذى كان فيه الحجر حين قام عليه ودعا الناس الى الحج اورفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روى انه عليه الصلاة والسلام اخذ بيد عمر رضى الله تعالى عنه وقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر أفلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت

وسلم كل قنوت فى القرآن فهو طاعة رواه أحمد وغيره وقيل ساكتين لحديث زيد بن أرقم كنا نتكلم فى الصلاة حتى نزلت فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام رواه الشيخان (فان خفتم) من عدو أوسيل أوسبع (فرجالا) جمع راجل أى مشاة صلوا (أوركبانا) جمع راكب أى كيف أمكن مستقبلى القبلة أوغيرها ويومئ بالركوع والسجود (فاذا أمنتم) من الخوف (فاذكروا الله) أى صلوا (كما علمكم مالم تكونوا تعلمون) قبل تعليمه من فرائضها وحقوقها والكاف بمعنى مثل ومامصدرية أوموصولة (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا) فليوصوا (وصية) وفى قراءة بالرفع أى عليهم (لازواجهم) ويعطوهن (متاعا) مايتمتعن به من النفقة والكسوة (الى) تمام (الحول) من موتهم الواجب عليهن تربصه (غير اخراج) حال أى غير مخرجات من مساكنهن (فان

وقيل المراد به الامر بركعتى الطواف لما روى جابر انه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعى رحمه الله تعالى فى وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضى عطفا على جعلنا اى واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعنى الكعبة قبلة يصلون اليها (وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل) امرناهما (ان طهرا بيتى) بان طهرا بيتى ويجوز ان تكون ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس ومالايليق به او اخلصاه (للطائفين) حوله (والعاكفين) المقيمين عنده او المعتكفين فيه (والركع السجود) اى المصلين جمع راكع وساجد (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا) يريد البلد او المكان (بلدا آمنا) ذا امن كقوله فى عيشة راضية اوآمنا اهله كقولك ليل نائم (وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر) ابدل من آمن من اهله بدل البعض للتخصيص (قال ومن كفر) عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر قاس ابراهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم فى الدين اومبتدأ متضمن معنى الشرط (فامتعه قليلا) خبره والكفر وان لم يكن سبب التمتع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه (ثم اضطره الى عذاب النار) اى الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه مامتعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابراهيم وفى قال ضميره وقرأ ابن عامر فامتعه من أمتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها مايجاورها دون العكس (وبئس المصير) المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت) حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهى الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء

خرجن) بانفسهن (فلا جناح عليكم) ياأولياء الميت (فيما فعلن فى أنفسهن من معروف) شرعا كالتزين وترك الاحداد وقطع النفقة عنها (والله عزيز) فى ملكه (حكيم) فى صنعه والوصية المذكورة منسوخة بآية الميراث وتربص الحول بآية أربعة أشهر وعشرا السابقة المتأخرة فى النزول والسكنى ثابتة لها عند الشافعى رحمه الله (وللمطلقات متاع) يعطينه (بالمعروف) بقدر الامكان (حقا) نصب بفعله المقدر (على المتقين) الله تعالى كرره ليعم الممسوسة أيضا اذ الآية السابقة فى غيرها (كذلك) كما بين لكم ماذكر (يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون) تتدبرون (ألم تر) استفهام تعجيب وتشويق الى استماع مابعده أى ينته علمك (الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف) أربعة أوثمانية أوعشرة أوثلاثون أوأربعون اوسبعون ألفا (حذر الموت) مفعول له وهم قوم من بنى اسرائيل وقع الطاعون

فان كل ساف قاعدة مايوضع فوقه وبرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفى ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشأنها (واسماعيل) كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل فى البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان فى طرفين او على التناوب (ربنا تقبل منا) اى يقولان ربنا تقبل منا وقد قرئ به والجملة حال منهما (انك انت السميع) لدعائنا (العليم) بنياتنا (ربنا واجعلنا مسلمين لك) مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة فى الاخلاص والاذعان والثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجرأوان التثنية من مراتب الجمع (ومن ذريتنا امة مسلمة لك) اى واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما اعلما ان فى ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لاتقتضى الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلى على الله تعالى فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمق لخربت الدنيا وقيل ارادا بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان تكون من للتبيين كقوله تعالى * وعد الله الذين آمنوا منكم * قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما فى قوله تعالى * خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن (وأرنا) من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين (مناسكنا) متعبداتنا فى الحج او مذابحنا والنسك فى الاصل غاية العبادة وشاع فى الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ ابن كثير ويعقوب والسوسى عن ابى عمرو أرنا قياسا على فخذ فى فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرأ الدورى عن ابى عمرو بالاختلاس (وتب علينا) استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما (انك انت التواب الرحيم) لمن تاب (ربنا وابعث فيهم) فى الامة المسلمة (رسولا منهم) ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما كما قال انا دعوة ابى ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امى (يتلو عليهم آياتك) يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة (ويعلمهم الكتاب) القرءان (والحكمة) ما تكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام (ويزكيهم) عن الشرك والمعاصى (انك انت العزيز) الذى لايقهر ولايغلب على مايريد

بلادهم ففروا (فقال لهم الله موتوا) فماتوا (ثم أحياهم) بعد ثمانية أيام أو أكثر بدعاء نبيهم حزقيل بكسر المهملة والقاف وسكون الزاى فعاشوا دهرا عليهم أثر الموت لايلبسون ثوبا الا عاد كالكفن واستمرت فى أسباطهم (ان الله لذو فضل على الناس) ومنه احياء هؤلاء (ولكن أكثر الناس) وهم الكفار (لايشكرون) والقصد من ذكر خبر هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال ولذا عطف عليه (وقاتلوا فى سبيل الله) أى لاعلاء دينه (واعلموا أن الله سميع) لأقوالكم (عليم) بأحوالكم فمجازيكم (من ذا الذى يقرض الله) بانفاق ماله فى سبيل الله (قرضا حسنا) بان ينفقه لله عزوجل عن طيب قلب (فيضاعفه) وفى قراءة فيضعفه بالتشديد (له أضعافا كثيرة) من عشر الى أكثر من سبعمائة كما سيأتى (والله يقبض) يمسك الرزق عمن يشاء ابتلاء (ويبسط) يوسعه لمن يشاء

(الحكيم) المحكم له (ومن يرغب عن ملة ابراهيم) استبعاد وانكار لان يكون احد
يرغب عن ملته الواضحة الغراء اى لا يرغب احد عن ملته (الا من سفه نفسه)
الا من استمهنها واذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد
وبالضم لازم ويشهد له ما جاء فى الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل
اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه وقول جرير

« ونأخذ بعده بذناب عيش * اجب الظهر ليس له سنام »

او سفه فى نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى فى محل الرفع على
المختار بدلا من الضمير فى يرغب لانه فى معنى النفى (ولقد اصطفيناه فى الدنيا
وانه فى الآخرة لمن الصالحين) حجة وبيان لذلك فان من كان
صفوة العباد فى الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيامة كان
حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل
والاعراض عن النظر (اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين) ظرف
لاصطفيناه وتعليل له او منصوب باضمار اذكر كأنه قيل اذكر ذلك الوقت
لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة
الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلائله المؤدية الى
المعرفة الداعية الى الاسلام روى انها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابنى
اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر (ووصى بها
ابراهيم بنيه) التوصية هى التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها
الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصى يصل فعله
بفعل الوصى والضمير فى بها للملة او لقوله اسلمت على تأويل الكلمة او الجملة
وقرأ نافع وابن عامر واوصى والاول ابلغ (ويعقوب) عطف على ابراهيم
اى وصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابراهيم
(يا بنى) على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين
لانه نوع منه ونظيره « رجلان من ضبة اخبرانا * انا رأينا رجلا عريانا »
بالكسر وبنو ابراهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان
وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبين وشمعون ولاوى
ويهودا ويشسوخور وزبولن وزوانى وتفتونى وكودا واوشير وبنيامين
ويوسف (ان الله اصطفى لكم الدين) دين الاسلام الذى هو صفوة الاديان
لقوله (فلا تموتن الا وانتم مسلمون) ظاهره النهى عن الموت على خلاف حال

امتحانا (واليه ترجعون)
فى الآخرة بالبعث فيجازيكم
بأعمالكم (ألم تر الى الملأ)
الجماعة (من بنى اسرائيل
من بعد) موت (موسى)
اى الى قصتهم وخبرهم
(اذ قالوا لنبى لهم) هو
شمويل (ابعث) أقم (لنا
ملكا نقاتل) معه (فى سبيل
الله) تنتظم به كلمتنا ونرجع
اليه (قال) النبى لهم
(هل عسيتم) بالفتح والكسر
(ان كتب عليكم القتال أن
لا تقاتلوا) خبر عسى
والاستفهام لتقرير التوقع
بها (قالوا ومالنا أن لا نقاتل
فى سبيل الله وقد أخرجنا من
ديارنا وأبنائنا) بسبيهم
وقتلهم وقد فعل بهم ذلك
قوم جالوت أى لا مانع لنا منه مع
وجود مقتضيه قال تعالى
(فلما كتب عليهم القتال
تولوا) عنه وجبنوا (الا قليلا
منهم) وهم الذين عبروا
النهر مع طالوت كما سيأتى
(والله عليم بالظالمين) فمجازيهم
وسال النبى ربه ارسال ملك
فاجابه الى ارسال طالوت
(وقال لهم نبيهم ان الله
قد بعث لكم طالوت ملكا

الاسلام والمقصود هو النهى عن ان يكونوا على خلاف تلك الحال
اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لاتصل الا وانت خاشع
وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لاخير فيه وان من
حقه ان لايحل بهم ونظيره فى الامر مت وانت شهيد وروى ان اليهود
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه
باليهودية يوم مات فنزلت (ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت)
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اى ماكنتم حاضرين اذ حضر
يعقوب الموت وقال لبنيه ماقال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف
تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى
ماشهدتم ذلك وانما علمتموه بالوحى وقرئ حضر بالكسر (اذ قال لبنيه)
بدل من اذ حضر (ماتعبدون من بعدى) اى شئ تعبدونه اراد به
تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما
ومايسأل به عن كل شئ مالم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل
عن تعينه وان سئل عن وصفه قيل مازيد أفقيه ام طبيب (قالوا نعبد
آلهك وآله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق) المتفق على وجوده تعالى
والوهيته ووجوب عبادته وعد اسماعيل من آبائه تغليبا للاب والجد
اولانه كالاب لقوله عليه السلام عم الرجل صنو أبيه كما قال عليه الصلاة
والسلام فى العباس رضى الله عنه هذا بقية آبائى وقرئ اله ابيك على انه
جمع بالواو والنون كما قال « ولما تبين اصواتنا * بكين وفديننا بالابينا » او مفرد
وابراهيم وحده عطف بيان (الها واحدا) بدل من آبائك كقوله
بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفى التوهم الناشئ
من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتأكيد اونصب على
الاختصاص (ونحن له مسلمون) حال من فاعل نعبد اومفعوله
اومنهما ويحتمل ان يكون اعتراضا (تلك امة قد خلت) يعنى ابراهيم
ويعقوب وبنيهما والامة الاصل المقصود وسمى بها الجماعة لان الفرق
تؤمها (لها ماكسبت ولكم ماكسبتم) لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم
اليهم لايوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال
عليه الصلاة والسلام لايأتينى الناس باعمالهم وتأتونى بانسابكم
(ولا تسألون عما كانوا يعملون) ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لاتثابون

قالوا أنى) كيف (يكون له
الملك علينا ونحن أحق بالملك
منه) لانه ليس من سبط
المملكة ولا النبوة وكان دباغا
أوراعيا (ولم يؤت سعة من
المال) يستعين بها على اقامة
الملك (قال) النبى لهم (ان
الله اصطفاه) اختاره للملك
(عليكم وزاده بسطة) سعة
(فى العلم والجسم) وكان أعلم
بنى اسرائيل يومئذ وأجملهم
وأتمهم خلقا (والله يؤتى
ملكه من يشاء) ايتاءه
لااعتراض عليه (والله
واسع) فضله (عليم) بمن
هو أهل له (وقال لهم نبيهم)
لما طلبوا منه آية على ملكه
(ان آية ملكه أن يأتيكم
التابوت) الصندوق كان
فيه صور الانبياء أنزله الله
على آدم واستمر اليهم فغلبتهم
العمالقة عليه واخذوه وكانوا
يستفتحون به على عدوهم
ويقدمونه فى القتال ويسكنون
اليه كما قال تعالى (فيه سكينة)
طمانينة لقلوبكم (من ربكم
وبقية مما ترك آل موسى وآل
هرون) أى تركاه هما وهى
نعلا موسى وعصاه وعمامة
هرون وقفيز من المن الذى

بحسناتهم (وقالوا كونوا هودا اونصارى) الضمير الغائب لاهل الكتاب
واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا
وقالت النصارى كونوا نصارى (تهتدوا) جواب الامر (قل بل ملة
ابراهيم) اى بل نكون ملة ابراهيم اى اهل ملته اوبل نتبع ملة ابراهيم وقرئ
بالرفع اى ملته ملتنا اوعكسه اونحن ملته بمعنى نحن اهل ملته (حنيفا) مائلا
عن الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه كقوله * ونزعنا
مافى صدورهم من غل اخوانا * (وما كان من المشركين) تعريض باهل
الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون (قولوا آمنا بالله)
الخطاب للمؤمنين لقوله تعالى * فان آمنوا بمثل ما آمنتم به * (وما انزل الينا)
القرآن قدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا اوسبب للايمان بغيره (وما انزل
الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط) الصحف وهى وان
نزلت الى ابراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها
فهى ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو
الحافد يريد به حفدة يعقوب اوابناءه وذريتهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق
(وما اوتى موسى وعيسى) التورية والانجيل افردهما بالذكر بحكم ابلغ
لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع
فيهما (وما اوتى النبيون) جملة المذكورون منهم وغير المذكورين
(من ربهم) منزلا عليهم من ربهم (لانفرق بين احد منهم) كاليهود
فنؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه فى سياق النفى عام فساغ
ان يضاف اليه بين (ونحن له) اى لله (مسلمون) مذعنون مخلصون
(فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) من باب التعجيز والتبكيت كقوله
تعالى * فأتوا بسورة من مثله * اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين
الاسلام وقيل الباء للآلة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق
يهدى الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لاتأبى تعدد الطرق
اومزيدة للتأكيد كقوله تعالى * جزاء سيئة بمثلها * والمعنى فان آمنوا بالله
ايمانا مثل ايمانكم به اوالمثل مقحم كما فى قوله * وشهد شاهد من بنى اسرائيل
على مثله * اى عليه وتشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به اوبالذى آمنتم به
(وان تولوا فانما هم فى شقاق) اى ان اعرضوا عن الايمان اوعما تقولون لهم
فما هم الا فى شقاق الحق وهى المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين

كان ينزل عليهم ورضاض
من الالواح (تحمله الملائكة)
حال من فاعل يأتيكم (ان فى
ذلك لآية لكم) على ملكه
(ان كنتم مؤمنين) فحملته
الملائكة بين السماء والارض
وهم ينظرون اليه حتى
وضعته عند طالوت فاقروا
بملكه وتسارعوا الى الجهاد
فاختار من شبابهم سبعين ألفا
(فلما فصل) خرج (طالوت
بالجنود) من بيت المقدس
وكان حرا شديدا وطلبوا منه
الماء (قال ان الله مبتليكم)
مختبركم (بنهر) ليظهر
المطيع منكم والعاصى وهو
بين الاردن وفلسطين (فمن
شرب منه) أى من مائه
(فليس منى) أى من أتباعى
(ومن لم يطعمه) يذقه (فانه
منى الا من اغترف غرفة)
بالفتح والضم (بيده) فاكتفى
بها ولم يزد عليها فانه منى
(فشربوا منه) لما وافوه
بكثرة (الا قليلا منهم)
فاقتصروا على الغرفة روى
أنها كفتهم لشربهم ودوابهم
وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر
رجلا (فلما جاوزه هو والذين
آمنوا معه) وهم الذين

فى شق غير شق الآخر (فسيكفيكهم الله) تسلية وتسكين للمؤمنين ووعدلهم بالحفظ والنصر على من ناواهم (وهو السميع العليم) امامن تمام الوعد يعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لامحالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع مايبدون ويعلم مايخفون وهو معاقبهم عليه (صبغة الله) اى صبغنا الله صبغته وهى فطرة الله تعالى التى فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ اوهدانا الله هدايته وارشدنا حجته اوطهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل فى قلوبهم تداخل الصبغ الثوب اوللمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم فى ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابراهيم عليه السلام (ومن احسن من الله صبغة) لاصبغة احسن من صبغته (ونحن له عابدون) تعريض لهم اى لانشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضى دخول قوله صبغة فى مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء اوالبدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا واتبعوا ملة ابرهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى لايلزم فك النظم وسوء الترتيب (قل اتحاجوننا) أتجادلوننا (فى الله) فى شأنه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روى ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت (وهو ربنا وربكم) لااختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده (ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم) فلايبعد ان يكرمنا باعمالنا كأنه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما بفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على مستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلى بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله فى اعطائها فلنا ايضا اعمال (ونحن له مخلصون) اى موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم (ام يقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا اونصارى) ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص بالتاء يحتمل ان تكون معادلة للهمزة فى اتحاجوننا بمعنى اى الامرين تأتون المحاجة اوادعاء اليهودية اوالنصرانية على الانبياء (قل أانتم اعلم)

اقتصروا على الغرفة (قالوا) أى الذين شربوا (لاطاقة) قوة (لنا اليوم بجالوت وجنوده) أى بقتالهم وجبنوا ولم يجاوزوه (قال الذين يظنون) يوقنون (أنهم ملاقوا الله) بالبعث وهم الذين جاوزوه (كم) خبرية بمعنى كثير (من فئة) جماعة (قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) بارادته (والله مع الصابرين) بالعون والنصر (ولما برزوا لجالوت وجنوده) أى ظهروا لقتالهم وتصافوا (قالوا ربنا أفرغ) اصبب (علينا صبرا وثبت أقدامنا) بتقوية قلوبنا على الجهاد (وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم) كسروهم (باذن الله) بارادته (وقتل داود) وكان فى عسكر طالوت (جالوت وآتاه) أى داود (الله الملك) فى بنى اسرائيل (والحكمة) النبوة بعد موت شمويل وطالوت ولم يجتمعا لاحد قبله (وعلمه مما يشاء) كصنعة الدروع ومنطق الطير (ولولا دفع الله الناس بعضهم)

امالله) وقد نفى الامرين عن ابراهيم بقوله * ما كان ابراهيم يهوديا ولانصرانيا * واحتج عليه بقوله*ومانزلت التورية والانجيل الامن بعده* وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه فى الدين وفاقا (ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) يعنى شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية والمعنى لاحد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة اومنا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد عليه الصلاة والسلام بالنبوة فى كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما فى قوله تعالى * براءة من الله ورسوله (وماالله بغافل عما تعملون) وعيد لهم وقرئ بالياء (تلك امة قدخلت لهاما كسبت ولكم ماكسبتم ولاتسألون عما كانوا يعملون) تكرير للمبالغة فى التحذير والزجر عما استحكم فى الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفى الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة فى الاول الانبياء وفى الثانى اسلاف اليهود والنصارى (سيقول السفهاء من الناس) الذين خفت احلامهم واستمهنوا بالتقليد والاعراض عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار له توطين النفس واعداد الجواب (ماولاهم) ماصرفهم (عن قبلتهم التى كانوا عليها) يعنى بيت المقدس والقبلة فى الاصل الحال التى عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلاة (قل لله المشرق والمغرب) لايختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لابخصوص المكان (يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) وهو ماترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى (وكذلك) اشارة الى مفهوم الآية المتقدمة اى كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم اوجعلنا قبلتكم افضل القبل (جعلناكم امة وسطا) اى خيارا اوعدولا مزكين بالعلم والعمل وهو فى الاصل اسم المكان الذى يستوى اليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفى افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التى يوصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذلو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم (لتكونوا شهداء

بدل بعض من الناس (ببعض لفسدت الارض) بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخريب المساجد (ولكن الله ذوفضل على العالمين) فدفع بعضهم ببعض (تلك) هذه الآيات (آيات الله نتلوها نقصها (عليك) يامحمد (بالحق) بالصدق (وانك لمن المرسلين) التأكيد بان وغيرها رد لقول الكفار له لست مرسلا (تلك) مبتدأ (الرسل) صفة والخبر (فضلنا بعضهم على بعض) بتخصيصه بمنقبة ليست لغيره (منهم من كلم الله) كموسى (ورفع بعضهم) أى محمدا صلى الله عليه وسلم (درجات) على غيره بعموم الدعوة وختم النبوة وتفضيل أمته على سائر الامم والمعجزات المتكاثرة والخصائص العديدة (وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) جبريل يسير معه حيث سار (ولوشاء الله) هدى الناس جميعا (مااقتتل الذين من بعدهم) بعد الرسل أى اممهم (من بعد ماجاءتهم البينات) لاختلافهم وتضليل

على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا) علة للجعل اى لتعلموا بالتأمل
فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى مابخل على احد
وماظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا
حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات فتشهدون
بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روى ان الامم يوم القيامة
يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة
للحجة على المنكرين فتؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول
الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى فى كتابه الناطق
على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال
امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول
عليه السلام كالرقيب المهيمن على امته عدى بعلى وقدمت الصلة
للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم (وما جعلنا القبلة
التى كنت عليها) اى الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة فانه عليه
السلام كان يصلى اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلاة الى الصخرة تألفا
لليهود او الصخرة لقول ابن عباس رضى الله عنهما كانت قبلته بمكة بيت
المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل
الناسخ وعلى الثانى المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وماجعلنا
قبلتك بيت المقدس (الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه)
الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبع فى الصلاة اليها ممن يرتد عن دينك
الفا لقبلة آبائه اولنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لايتبعه وماكان لعارض
يزول بزواله وعلى الاول معناه ماردد ناك الى التى كنت عليها الا لنعلم الثابت على
الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون
علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق
الحالى الذى هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله
والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه اولتميز الثابت من المتزلزل
كقوله تعالى * ليميز الله الخبيث من الطيب * فوضع التمييز المسبب عنه
ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة اومعلق لما فى من
من معنى الاستفهام اومفعوله الثانى ممن ينقلب اى لنعلم من يتبع الرسول مميزا
ممن ينقلب (وان كانت لكبيرة) ان هى المخففة من الثقيلة واللام هى

بعضهم بعضا (ولكن
اختلفوا) لمشيئة ذلك (فمنهم
من آمن) ثبت على ايمانه
(ومنهم من كفر) كالنصارى
بعد المسيح (ولو شاء الله
ما اقتتلوا) تأكيد (ولكن الله
يفعل مايريد) من توفيق
من شاء وخذلان من شاء
(ياأيها الذين آمنوا أنفقوا
مما رزقناكم) زكاته (من قبل
أن يأتى يوم لابيع) فداء
(فيه ولا خلة) صداقة
تنفع (ولا شفاعة) بغير اذنه
وهو يوم القيامة وفى قراءة
برفع الثلاثة (والكافرون)
بالله أو بما فرض عليهم
(هم الظالمون) لوضعهم
أمر الله فى غير محله (الله لا اله)
أى لا معبود بحق فى الوجود
(الا هو الحى) الدائم البقاء
(القيوم) البالغ فى القيام
بتدبير خلقه (لا تأخذه سنة)
نعاس (ولا نوم له مافى السموات
ومافى الارض) ملكا وخلقا
وعبيدا (من ذا الذى)
أى لا أحد (يشفع عنده
الا باذنه) له فيها (يعلم مابين
أيديهم) أى الخلق (وماخلفهم)
أى من أمر الدنيا والآخرة
(ولا يحيطون بشئ من علمه)

الفاصلة وقال الكوفيون ان هى النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه
قوله تعالى وما جعلنا القبلة التى كنت عليها من الجعلة او الردة او التحويلة
او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فتكون كان زائدة (الا على الذين هدى الله)
الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع (وما كان الله ليضيع
ايمانكم) اى ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلاتكم
اليها لما روى انه عليه السلام لما توجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يارسول الله
قبل التحويل من اخواننا فنزلت (ان الله بالناس لرؤف رحيم) فلا يضيع اجورهم
ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ محافظة على الفواصل
وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص لرؤف بالمد والباقون بالقصر (قد نرى) ربما
نرى (تقلب وجهك فى السماء) تردد وجهك فى جهة السماء تطلعا للوحى
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع فى روعه ويتوقع من ربه ان يحوله
الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان
ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال أدبه حيث انتظر ولم يسأل
(فلنولينك قبلة) فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته
واليا له او فلنجعلنك تلى جهتها (ترضاها) تحبها وتتشوق اليها لمقاصد
دينية وافقت مشيئة الله وحكمته (فول وجهك) اصرف وجهك
(شطر المسجد الحرام) نحوه وقيل الشطر فى الاصل لما انفصل
عن الشئ من شطر اذا انفصل ودار شطور اى منفصلة عن الدور
ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اى محرم فيه القتال
او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه
عليه الصلاة والسلام كان فى المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة
فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روى انه عليه الصلاة
والسلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى
الكعبة فى رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه
فى مسجد بنى سلمة ركعتين من الظهر فتحول فى الصلاة واستقبل الميزاب
وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمى المسجد مسجد القبلتين (وحيث
ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) خص الرسول بالخطاب تعظيما له وايجابا
لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتأكيدا لامر القبلة وتحضيضا للامة
على المتابعة (وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم) جملة

أى لا يعلمون شيئا من معلوماته
(الا بما شاء) أن يعلمهم به منها
باخبار الرسل (وسع كرسيه
السموات والارض) قيل
أحاط علمه بهما وقيل ملكه
وقيل الكرسى نفسه مشتمل
عليهما لعظمته لحديث
ما السموات السبع فى الكرسى
الا كدراهم سبعة ألقيت فى
ترس (ولا يؤده) يثقله
(حفظهما) أى السموات
والارض (وهو العلى)
فوق خلقه بالقهر (العظيم)
الكبير (لا اكراه فى الدين)
على الدخول فيه (قد تبين
الرشد من الغى) أى ظهر
بالآيات البينات أن الايمان
رشد والكفر غى نزلت فيمن
كان له من الانصار أولاد اراد ان
يكرههم على الاسلام (فمن
يكفر بالطاغوت) الشيطان
أو الاصنام وهو يطلق على
المفرد والجمع (ويؤمن بالله
فقد استمسك) تمسك (بالعروة
الوثقى) بالعقد المحكم
(لا انفصام) انقطاع
(لها والله سميع) لما يقال
(عليم) بما يفعل (الله ولى)
ناصر (الذين آمنوا يخرجهم
من الظلمات) الكفر (الى

لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا تتضمن كتبهم انه صلى الله عليه وسلم يصلى الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه (وما الله بغافل عما يعملون) وعدو وعيد للفريقين وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بالتاء (ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية) برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم (ماتبعوا قبلتك) جواب القسم المضمر والقسم وجوابه سادمسد جواب الشرط والمعنى ماتركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا (وماانت بتابع قبلتهم) قطع لاطماعهم فانهم قالوا لوثبت على قبلتنا لكنا نرجوان تكون صاحبنا الذى ننتظره تغريرا له وطمعا فى رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق (ومابعضهم بتابع قبلة بعض) فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لايرجى توافقهم كالايرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه (ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ماجاءك من العلم) على سبيل الفرض والتقدير اى ولئن اتبعتهم مثلا بعد مابان لك الحق وجاءك فيه الوحى (انك اذا لمن الظالمين) اكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء (الذين آتيناهم الكتاب) يعنى علماءهم (يعرفونه) الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القرآن او التحويل (كما يعرفون ابناءهم) يشهد للاول اى يعرفون باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لايلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر رضى الله تعالى عنه انه سأل عبدالله بن سلام رضى الله تعالى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به منى بابنى قال ولم قال لانى لست اشك فى محمد انه نبى فاما ولدى فلعل والدته قد خانت فقبل رأسه (وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن (الحق من ربك) كلام مستأنف والحق اما مبتدأ خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ماعليه الرسول صلى الله عليه وسلم او الحق الذى يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ماثبت انه من الله تعالى كالذى انت عليه لامالم يثبت كالذى عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدأ محذوف اى هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبرى وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون (فلا تكونن

النور) الايمان (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات) ذكر الاخراج اما فى مقابلة قوله يخرجهم من الظلمات أو فى كل من آمن بالنبى قبل بعثته من اليهود ثم كفر به (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ألم تر الى الذى حاج) جادل (ابراهيم فى ربه) ل (أن آتاه الله الملك) أى حمله بطره بنعمة الله على ذلك وهو نمرود (اذ) بدل من حاج (قال ابراهيم) لما قال له من ربك الذى تدعونا اليه (ربى الذى يحيى ويميت) اى يخلق الحياة والموت فى الاجساد (قال أنا أحيى وأميت) بالقتل والعفو عنه ودعا برجلين فقتل أحدهما وترك الآخر فلما رآه غبيا (قال ابراهيم) منتقلا الى حجة أوضح (فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها) أنت (من المغرب فبهت الذى كفر) تحير ودهش والله لايهدى القوم الظالمين) بالكفر الى محجة الاحتجاج (أو) رأيت (كالذى) الكاف زائدة (مر على قرية) هى بيت المقدس راكبا على

من الممترين) الشاكين فى انه من ربك اوفى كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لايشك فيه ناظر اوامر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ (ولكل وجهة) ولكل امة قبلة والتنوين بدل الاضافة اولكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة (هو موليها) احد المفعولين محذوف اى هو موليها وجهه اوالله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتأكيد جبرا لضعف العامل وقرأ ابن عامر هو مولاها اى هو مولى تلك الجهة اى قد وليها (فاستبقوا الخيرات) من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين اوالفاضلات من الجهات وهى المسامتة للكعبة (اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا) اى فى اى موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومفترقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء اواينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم اواينما تكونوا من الجهات المتقابلة يأت بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم كأنها الى جهة واحدة (ان الله على كل شئ قدير) فيقدر على الامامة والاحياء والجمع (ومن حيث خرجت) ومن اى مكان خرجت للسفر (فول وجهك شطر المسجد الحرام) اذا صليت (وانه) وان هذا الامر للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون) وقرأ ابو عمرو بالياء (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلاث علل تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم بابتغاء مرضاته وجرى العادة الالهية على ان يولى كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على مانبينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شأن والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحرى ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى (لئلا يكون للناس عليكم حجة) علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت فى التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا فى قبلتنا والمشركين بانه يدعى ملة ابراهيم ويخالف قبلته (الا الذين ظلموا منهم) استثناء من الناس

حمار ومعه سلة تين وقدح عصير وهو عزير (وهى خاوية) ساقطة (على عروشها) سقوفها لما خربها بختنصر (قال أنى) كيف (يحيى هذه الله بعد موتها) استعظاما لقدرته تعالى (فأماته الله) وألبثه (مائة عام ثم بعثه) أحياه ليريه كيفية ذلك (قال) تعالى له (كم لبثت) مكثت هنا (قال لبثت يوما أو بعض يوم) لانه نام أول النهار فقبض وأحيى عند الغروب فظن أنه يوم النوم (قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك) التين (وشرابك) العصير (لم يتسنه) يتغير مع طول الزمان والهاء قيل أصل من سانهت وقيل للسكت من سانيت وفى قراءة بحذفها (وانظر الى حمارك) كيف هو فرآه ميتا وعظامه بيض تلوح فعلنا ذلك لتعلم (ولنجعلك آية) على البعث (للناس وانظر الى العظام) من حمارك (كيف ننشرها) نحييها بضم النون وقرئ بفتحها من أنشر ونشر لغتان وفى قراءة بضمها والزاى نحركها ونرفعها (ثم نكسوها لحما)

اى لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم فانهم يقولون ماتحول الى الكعبة الاميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بداله فرجع قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم لانهم يسوقون مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة فى نفى الحجة رأسا كقوله « ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب » للعلم بان الظالم لاحجة له وقرئ الا الذين ظلموا منهم على انه استئناف بحرف التنبيه (فلا تخشوهم) فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم (واخشونى) فلا تخالفوا ما امرتكم به مصلحة لكم (ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون) علة محذوف اى وامرتكم لاتمام النعمة عليكم وارادتى اهتداءكم او عطف على علة مقدرة مثل واخشونى لاحفظكم منهم ولاتم نعمتى عليكم اولئلا يكون وفى الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن على رضى الله تعالى عنه تمام النعمة الموت على الاسلام (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم) متصل بماقبله اى ولاتم نعمتى عليكم فى امر القبلة اوفى الآخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده اى كما ذكرتكم بالارسال فاذكرونى (يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم) يحملكم على ماتصيرون به ازكياء قدمه باعتبار القصد واخره فى دعوة ابراهيم عليه السلام باعتبار الفعل (ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) بالفكر والنظر اذ لاطريق الى معرفته سوى الوحى وكرر الفعل ليدل على انه جنس آخر (فاذكرونى) بالطاعة (اذكركم) بالثواب (واشكروا لى) ما انعمت به عليكم (ولاتكفرون) بجحد النعم وعصيان الامر (ياايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر) عن المعاصى وحظوظ النفس (والصلوة) هى ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين (ان الله مع الصابرين) بالنصرة واجابة الدعوة (ولاتقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات) اى هم اموات (بل احياء) بل هم احياء (ولكن لاتشعرون) ماحالهم وهو تنبيه على ان حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس مايحس به من الحيوانات وانما هى امر لايدرك بالعقل بل بالوحى وعن الحسن ان الشهداء احياء عند ربهم تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والآية نزلت فى شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به

فنظر اليها وقد تركبت وكسيت لحما ونفخ فيه الروح ونهق (فلما تبين له) ذلك بالمشاهدة (قال أعلم) علم مشاهدة (أن الله على كل شئ قدير) وفى قرءة اعلم أمر من الله (و) اذكر (اذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال) تعالى له (أولم تؤمن) بقدرتى على الاحياء سأله مع علمه بايمانه بذلك ليجيبه بما سال فيعلم السامعون غرضه (قال بلى آمنت (ولكن) سألتك (ليطمئن) يسكن (قلبى) بالمعاينة المضمومة الى الاستدلال (قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك) بكسر الصاد وضمها أملهن اليك وقطعهن واخلط لحمهن وريشهن (ثم اجعل على كل جبل) من جبال أرضك (منهن جزأ ثم ادعهن) اليك (يأتينك سعيا) سريعا (واعلم أن الله عزيز) لايعجزه شئ (حكيم) فى صنعه فأخذ طاوسا ونسرا وغرابا وديكا فعل بهن ماذكر وأمسك رؤسهن عنده ودعاهن فتطايرت الاجزاء الى بعضها

من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله ومزيد البهجة والكرامة (ولنبلونكم) ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء (بشئ من الخوف والجوع) اى بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ماوقاهم منه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لاتفارقهم او بالنسبة الى مايصيب به معانديهم فى الآخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم (ونقص من الاموال والانفس والثمرات) عطف على شئ اوالخوف وعن الشافعى رضى الله تعالى عنه الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الصدقات والزكوات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذامات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم روح ولد عبدى فيقولون نعم فيقول الله اقبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد (وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون) الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولمن تأتى منا البشارة والمصيبة تعم مايصيب الانسان من مكروه لقوله عليه الصلاة والسلام كل شئ يؤذى المؤمن فهوله مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل به وبالقلب بان يتصور ماخلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف مااسترده منه فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه (اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) الصلاة فى الاصل الدعاء ومن الله تعالى التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبى صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه (واولئك هم المهتدون) للحق والصواب حيث استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى (ان الصفا والمروة) هما علمان للجبلين بمكة (من شعائر الله) من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهى العلامة (فمن حج البيت او اعتمر) الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين (فلا جناح عليه ان يطوف

حتى تكاملت ثم أقبلت الى رؤسها (مثل) صفة نفقات (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله) أى طاعته (كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة) فكذلك نفقاتهم تضاعف لسبعمائة ضعف (والله يضاعف) أكثر من ذلك (لمن يشاء والله واسع) فضله (عليم) بمن يستحق المضاعفة (الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا) على المنفق عليه بقولهم مثلا قد أحسنت اليه وجبرت حاله (ولا أذى) له بذكر ذلك الى من لا يحب وقوفه عليه ونحوه (لهم أجرهم) ثواب انفاقهم (عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فى الآخرة (قول معروف) كلام حسن ورد على السائل جميل (ومغفرة) له فى الحاجه (خير من صدقة يتبعها أذى) بالمن وتعييرله بالسؤال (والله غنى) عن صدقة العباد (حليم) بتأخير العقوبة عن المان والمؤذى (ياأيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم) أى أجورها

بهما) كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية
اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون
ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع فى الحج والعمرة
وانما الخلاف فى وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس رضى الله
عنهم لقوله فلا جناح عليه فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفى الجناح
يدل على الجواز الداخل فى معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابى حنيفة رحمه الله
تعالى انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعى رحمهما الله انه ركن لقوله عليه
والصلاة والسلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعى (ومن تطوع خيرا) اى فعل
طاعة فرضا كان او نفلا اوزاد على مافرض الله عليه من حج او عمرة او طواف
اوتطوع بالسعى ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر
محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى
اوفعل وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب تطوع واصله يتطوع فادغم مثل
يطوف (فان الله شاكر عليم) مثيب على الطاعة لاتخفى عليه (ان الذين
يكتمون) كاحبار اليهود (ماانزلنا من البينات) كالآيات الشاهدة على
امر محمد صلى الله عليه وسلم (والهدى) ومايهدى الى وجوب اتباعه
والايمان به (من بعد مابيناه للناس) لخصناه (فى الكتاب) فى التورية
(اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) اى الذين يتأتى منهم
اللعن عليهم من الملائكة والثقلين (الا الذين تابوا) عن الكتمان وسائر
مايجب ان يتاب عنه (واصلحوا) ماافسدوا بالتدارك (وبينوا) مابينه الله
فى كتابهم لتتم توبتهم وقيل مااحدثوه من التوبة ليمحوا به سمة الكفر عن
انفسهم ويقتدى بهم احزابهم (فاولئك اتوب عليهم) بالقبول والمغفرة
(وانا التواب الرحيم) المبالغ فى قبول التوبة وافاضة الرحمة (ان الذين
كفروا وماتوا وهم كفار) اى ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات
(اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) استقر عليهم اللعن
من الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم
امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه
فاعل فى المعنى كقولك اعجبنى ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو
ويلعنها الملائكة (خالدين فيها) اى فى اللعنة او النار واضمارها قبل الذكر
تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها (لايخفف عنهم العذاب
ولاهم ينظرون) اى لايمهلون اولاينظرون ليعتذروا اولاينظر اليهم

بالمن والأذى) ابطالا
(كالذى) أى كابطال نفقة
الذى (ينفق ماله رئاء الناس)
مرائيا لهم (ولايؤمن بالله
واليوم الآخر) وهو المنافق
(فمثله كمثل صفوان) حجر
أملس (عليه تراب فأصابه
وابل) مطر شديد (فتركه
صلدا) صلبا أملس لاشئ
عليه (لايقدرون) استئناف
لبيان مثل المنافق المنفق رئاء
الناس وجمع الضمير باعتبار
معنى الذى (على شئ
مما كسبوا) عملوا أى
لايجدون له ثوابا فى الآخرة
كما لايوجد على الصفوان شئ
من التراب الذى كان عليه
لاذهاب المطر له (والله
لايهدى القوم الكافرين
ومثل) نفقات (الذين
ينفقون أموالهم ابتغاء) طلب
(مرضاة الله وتثبيتا
من أنفسهم) أى تحقيقا للثواب
عليه بخلاف المنافقين الذين
لايرجونه لانكارهم له ومن
ابتدائية (كمثل جنة)
بستان (بربوة) بضم الراء
وفتحها مكان مرتفع مستو
(أصابها وابل فآتت)
أعطت (أكلها) بضم

نظر رحمة (والهكم اله واحد) خطاب عام اى المستحق منكم العبادة واحد لاشريك له يصح ان يعبد ويسمى الها (لا اله الا هو) تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان فى الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة (الرحمن الرحيم) كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وماسواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران آخران لقوله الهكم اولمبتدأ محذوف وقيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فائت بآية نعرف بها صدقك فنزلت (ان فى خلق السموات والارض) انما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين (واختلاف الليل والنهار) تعاقبهما كقوله تعالى جعل الليل والنهار خلفة (والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس) اى بنفعهم اوبالذى ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر فى غالب الامر وتأنيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين (وما انزل الله من السماء من ماء) من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو (فاحيى به الارض بعد موتها) بالنبات (وبث فيها من كل دابة) عطف على انزل كأنه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات فى الارض اوعلى احيى فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحياة والبث النشر والتفريق (وتصريف الرياح) فى مهابها واحوالها وقرأ حمزة والكسائى على الافراد (والسحاب المسخر) المذلل (بين السماء والارض) لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضى احدهما حتى يأتى امر الله تعالى وقيل مسخر للرياح تقلبه فى الجو بمشيئة الله واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا (لآيات لقوم يعقلون) يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اى لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الآيات على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا تتحرك السموات او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس

الكاف وسكونها ثمرها (ضعفين) مثلى ما يثمر غيرها (فان لم يصبها وابل فطل) مطر خفيف يصيبها ويكفيها لارتفاعها المعنى تثمرو تزكو كثر المطر أم قل فكذلك نفقات من ذكر تزكو عند الله كثرت أم قلت (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم به (أيود) أيحب (أحدكم أن تكون له جنة) بستان (من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها) ثمر (من كل الثمرات و) قد (أصابه الكبر) فضعف من الكبر عن الكسب (وله ذرية ضعفاء) أولاد صغار لا يقدرون عليه (فاصابها اعصار) ريح شديدة (فيه نار فاحترقت) ففقدها أحوج ما كان اليها وبقى هو وأولاده عجزة متحيرين لا حيلة لهم وهذا تمثيل لنفقة المرائى والمان فى ذهابها وعدم نفعها أحوج ما يكون اليها فى الآخرة والاستفهام بمعنى النفى وعن ابن عباس هو لرجل عمل بالطاعات ثم بعث له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أحرق أعماله (كذلك)

كابين ماذكر (يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) فتعتبرون (ياايها الذين آمنوا أنفقوا) أى زكوا (من طيبات) جياد (ما كسبتم) من المال (ومن) طيبات (ما أخرجنا لكم من الارض) من الحبوب والثمار (ولا تيمموا) تقصدوا (الخبيث) الردئ (منه) أى من المذكور (تنفقون) به فى الزكاة حال من ضمير تيمموا (ولستم بآخذيه) أى الخبيث لو أعطيتموه فى حقوقكم (الأأن تغمضوا فيه) بالتساهل وغض البصر فكيف تؤدون منه حق الله (واعلموا أن الله غنى) عن نفقاتكم (حميد) محمود على كل حال (الشيطان يعدكم الفقر) يخوفكم به ان تصدقتم فتمسكوا (و يأمركم بالفحشاء) البخل ومنع الزكاة (والله يعدكم) على الانفاق (مغفرة منه) لذنوبكم (وفضلا) رزقا خلفا منه (والله واسع) فضله (عليم) بالمنفق (يؤتى الحكمة) أى العلم النافع المؤدى الى العمل (من يشاء

حركاتها او بحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لايكون لها اوج وحضيض اصلا اوعلى هذا الوجه لبساطتها وتساوى اجزائها فلابدلها من موجد قادر حكيم يوجدها على ماتستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته متعاليا عن معارضة غيره اذلوكان معه اله يقدر على مايقدر عليه الآخر فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر المنافى لالهيته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله تعالى* لوكان فيهما آلهة الاالله لفسدتا * والآية تنبه على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث والنظر فيه (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا) من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله تعالى* اذتبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا * ولعل المراد اعم منهما وهو مايشغله عن الله (يحبونهم) يعظمونهم ويطيعونهم (كحب الله) كتعظيمه والميل الى طاعته اى يسوون بينه وبينهم فى المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبدلله تعالى ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله فى الطاعة وصونه عن المعاصى (والذين آمنوا اشدحبالله) لانه لاينقطع محبتهم لله تعالى بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله تعالى عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره (ولو يرى الذين ظلموا) ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد (اذيرون العذاب) اذعاينوه يوم القيامة واجرى المستقبل مجرى الماضى لتحققه كقوله تعالى * ونادى اصحاب الجنة* (ان القوة لله جميعا) سادمسدمفعولى يرى وجواب لومحذوف اى لويعلمون ان القوة لله جميعا اذعاينوا العذاب لندموا اشدالندم وقيل هومتعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا اندادهم لاتنفع لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولايضرغيره وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولوترى على انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى ولوترى ذلك لرأيت امرا عظيما وابن عامر اذيرون على البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا (وان الله شديد العذاب) على الاستئناف او اضمار القول (اذتبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا) بدل من اذيرون اى اذتبرأ المتبوعون من الاتباع

وقرئ بالعكس اى تبرأ الاتباع من الرؤساء (ورأوا العذاب) اى رائين له
والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ (وتقطعت بهم الاسباب)
يحتمل العطف على تبرأ او رأوا اوالحال والاول اظهر واسباب الوصل
التى كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض الداعية
الى ذلك واصل السبب الحبل الذى يرتقى به الشجر وقرئ وتقطعت على
البناء للمفعول (وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا)
لو للتمنى ولذلك أجيب بالفاء اى ياليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم (كذلك
مثل ذلك الاراء الفظيعة (يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم) ندامات
وهى ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فحال (وماهم بخارجين
من النار) اصله وما يخرجون فعدل عنه الى هذه العبارة للمبالغة فى الخلود
والاقناط من الخلاص والرجوع الى الدنيا (ياايها الناس كلوا مما فى الارض
حلالا) نزلت فى قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا
مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف اوحال مما فى الارض ومن للتبعيض
اذ لايؤكل كل مافى الارض (طيبا) يستطيبه الشرع اوالشهوة المستقيمة
اذ الحلال دل على الاول (ولاتتبعوا خطوات الشيطان) لاتقتدوا به فى اتباع
الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والبزى
وابو بكر حيث وقع بتسكين الطاء وهما لغتان فى جمع خطوة وهى مابين
قدمى الخاطى وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كأنها عليها
وبفتحتين على انها جمع خطوة وهى المرة من الخطو (انه لكم عدو مبين)
ظاهر العداوة عند ذوى البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه
وليا فى قوله تعالى* اولياؤهم الطاغوت* (انما يأمركم بالسوء والفحشاء) بيان
لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم
على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء والفحشاء ماانكره العقل
واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصف فانه سوء لاغتمام العاقل به
وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء مايجاوز الحد فى القبح
من الكبائر وقيل الاول مالاحد فيه والثانى ماشرع فيه الحد (وان تقولوا
على الله مالا تعلمون) كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات
وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن
مستند الى مدرك شرعى فوجوبه قطعى والظن فى طريقه كما بيناه فى الكتب

ومن يؤتى الحكمة فقد أوتى
خيرا كثيرا) لمصيره الى
السعادة الابدية (ومايذكر)
فيه ادغام التاء فى الاصل
فى الذال يتعظ (الاأولوا
الالباب) أصحاب العقول
(وما أنفقتم من نفقة)
أديتم من زكاة أوصدقة
(أونذرتم من نذر) فوفيتم به
(فان الله يعلمه) فيجازيكم
عليه (وماللظالمين) بمنع
الزكاة والنذر أووضع
الانفاق فى غير محله من معاصى
الله (من أنصار) مانعين
لهم من عذابه (ان تبدوا)
تظهروا (الصدقات) أى
النوافل (فنعماهى) اى نعم
شيا ابداؤها (وان تخفوها)
تسروها (وتؤتوها
الفقراء فهو خير لكم)
من ابدائها وايتائها الاغنياء
أما صدقة الفرض فالافضل
اظهارها ليقتدى به ولئلا يتهم
وايتاؤها الفقراء متعين
(ويكفر) بالياء وبالنون
مجزوما بالعطف على محل
فهو ومرفوعا على الاستئناف
(عنكم من) بعض (سيئاتكم
والله بما تعملون خبير) عالم
بباطنه كظاهره لايخفى عليه

الاصولية (واذا قيل لهم اتبعوا ماانزل الله) الضمير للناس وعدل عن الخطاب معهم للنداء على ضلالتهم كأنه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمق ماذايجيبون (قالوابل نتبع ماألفينا عليه آباءنا) ماوجدناهم عليه نزلت فى المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ماانزل الله من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد وقيل فى طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا نتبع ماوجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيعم ماانزل الله التورية لانها ايضا تدعوا الى الاسلام (اولوكان آباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون) الواو للحال او العطف والهمزة للرد والتعجيب وجواب لو محذوف اى لوكان آباؤهم جهلة لايتفكرون فى امر الدين ولايهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما اتباع الغير فى الدين اذا علم بدليل ماانه محق كالانبياء والمجتهدين فى الاحكام فهو الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله (ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بمالايسمع الا دعاء ونداء) على حذف مضاف تقديره ومثل داعى الذين كفروا كمثل الذى ينعق اومثل الذين كفروا كمثل بهائم الذى ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم فى التقليد لايلقون أذهانهم الى مايتلى عليهم ولايتأملون فيما تقرر معهم فهم فى ذلك كالبهائم التى ينعق عليها فتسمع الصوت ولاتعرف مغزاه وتحس النداء ولاتفهم معناه وقيل هو تمثيلهم فى اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التى تسمع الصوت ولاتفهم ماتحته اوتمثيلهم فى دعائهم الاصنام بالناعق فى نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغنى عن الاضمار ولكن لايساعده قوله الادعاء ونداء لان الاصنام لاتسمع الاان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب (صم بكم عمى) رفع على الذم (فهم لايعقلون) اى بالفعل للاخلال بالنظر (ياايها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم) لماوسع الامر على الناس كافة واباح لهم مافى الارض سوى ماحرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا الطيبات مارزقوا ويقوموا بحقوقها فقال (واشكروا لله) على مارزقكم واحل لكم (ان كنتم اياه تعبدون) ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون مولى النعم فان عبادته تعالى لاتتم لاباالشكر فان المعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه وهو عدم عند عدمه وعن النبى صلى الله

شئ منه ولما منع صلى الله عليه وسلم من التصدق على المشركين ليسلموا نزل (ليس عليك هداهم) أى الناس الى الدخول فى الاسلام انما عليك البلاغ (ولكن الله يهدى من يشاء) هدايته الى الدخول فيه (وماتنفقوا من خير) مال (فلأ نفسكم) لان ثوابه لها (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) أى ثوابه لاغيره من أغراض الدنيا خبر بمعنى النهى (وماتنفقوا من خير يوف اليكم) جزاؤه (وأنتم لاتظلمون) تنقصون منه شيئا والجملتان تأكيد للاولى (للفقراء) خبر مبتدا محذوف أى الصدقات (الذين أحصروا فى سبيل الله) أى حبسوا أنفسهم على الجهاد نزلت فى أهل الصفة وهم أر بعمائة من المهاجرين أرصدوا لتعلم القرآن والخروج مع السرايا (لايستطيعون ضربا) سفرا (فى الارض) للتجارة والمعاش لشغلهم عنه بالجهاد (يحسبهم الجاهل) بحالهم (أغنياء من التعفف) أى

عليه وسلم يقول الله تعالى انى والانس والجن فى نبأ عظيم اخلق ويعبد غيرى وارزق ويشكر غيرى (انما حرم عليكم الميتة) اكلها والانتفاع بها وهى التى ماتت من غير ذكاة والحديث الحق بها ماابين من حى والسمك والجراد اخرجهما العرف عنها اواستثنى الشرع والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الاماخصه الدليل كالتصرف فى المدبوغ (والدم ولحم الخنزير) انماخص اللحم بالذكر لانه معظم مايؤكل من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له (وما اهل به لغير الله) اى رفع الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال يقال اهل الهلال واهللته لكن لماجرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير اذارؤى سمى ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره (فمن اضطر غير باغ) بالاستئثار على مضطر آخر وقرأ عاصم وابوعمرو وحمزة بكسر النون (ولاعاد) سد الرمق اوالجوعة وقيل غير باغ على الوالى ولاعاد بقطع الطريق فعلى هذا لايباح للعاصى بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعى وقول احمد رحمهما الله تعالى (فلااثم عليه) فى تناوله (ان الله غفور) لمافعل (رحيم) بالرخصة فيه فان قيل انماتفيد قصر الحكم على ماذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ماذكر مما استحلوه لامطلقا اوقصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء مالم تضطروا اليها (ان الذين يكتمون ماانزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا) عوضا حقيرا (اولئك ماياكلون فى بطونهم الا النار) امافى الحال لانهم اكلوا مايتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار كقوله « اكلت دما ان لم ارعك بضرة * بعيدة مهوى القرط طيبة النشر » يعنى الدية اوفى المآل اى لاياكلون يوم القيامة الاالنار ومعنى فى بطونهم ملئ بطونهم يقال اكل فى بطنه واكل فى بعض بطنه كقوله « كلوا فى بعض بطنكمو تعفوا » (ولايكلمهم الله يوم القيامة) عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم فى الكرامة والزلفى من الله (ولايزكيهم) ولايثنى (ولهم عذاب اليم) مؤلم (اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) فى الدنيا (والعذاب بالمغفرة) فى الآخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية (فما اصبرهم على النار) تعجب من حالهم فى الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة ومامانة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها

لتعففهم عن السؤال وتركه (تعرفهم) يامخاطبا (بسيماهم) علامتهم من التواضع وأثرا لجهد (لايسئلون الناس) شيئا فيلحفون (الحافا) أى لاسؤال لهم أصلا فلايقع منهم الحاف وهو الالحاح (وماتنفقوا من خير فان الله به عليم) فمجاز عليه (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون الذين يأكلون الربوا) اى يأخذونه وهو الزيادة فى المعاملة بالنقود والمطعومات فى القدر أو الاجل (لايقومون) من قبورهم (الا) قياما (كما يقوم الذى يتخبطه) يصرعه (الشيطان من المس) الجنون بهم متعلق بيقومون (ذلك) الذى نزل بهم (بانهم) بسبب أنهم (قالوا انما البيع مثل الربوا) فى الجواز وهذا من عكس التشبيه مبالغة فقال تعالى رداعليهم (وأحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه) بلغه (موعظة) وعظ (من ربه

كتخصيص قولهم « شراهر ذاناب » اواستفهامية ومابعدها الخبر اوموصولة ومابعدها صلة والخبر محذوف (ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق) اى ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب او الكتمان (وان الذين اختلفوا فى الكتاب) اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله تعالى وكفرهم ببعض اوللعهد والاشارة امالى التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم فى تأويلها اوخلفوا خلاف ما انزل الله تعالى مكانه اى حرفوا مافيها واما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر واساطير الاولين (لفى شقاق بعيد) لفى خلاف بعيد عن الحق (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) البر كل فعل مرضى والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض فى امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله تعالى عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بيناه واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اى ليس البر مقصورا بامر القبلة اوليس البر العظيم الذى يحسن ان تذهلوا بشأنه عن غيره امرها وقرأ حمزة وحفص البر بالنصب (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين) اى ولكن البر الذى ينبغى ان يهتم به بر من آمن بالله اولكن ذا البر من آمن ويؤيده قراءة من قرأ ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القرآن وقرأ نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر (وآتى المال على حبه) اى على حب المال كما قال عليه السلام لما سئل اى الصدقة افضل قال ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور فى موضع الحال (ذوى القربى واليتامى) يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوى القربى لان ايتاءهم افضل كما قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوى رحمك اثنتان صدقة وصلة (والمساكين) جمع المسكين وهو الذى اسكنته الخلة واصله دائم السكون كالمسكير للدائم السكر (وابن السبيل) المسافر سمى به لملازمته السبيل كما سمى القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به (والسائلين) الذين الجأهم الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرسه (وفى الرقاب) وفى تخليصها بمعاونة المكاتبين اوفك الاسارى اوابتياع الرقاب لعتقها (واقام الصلوة)

فانتهى) عن أكله (فله ماسلف) قبل النهى اى لايسترد منه (وأمره) فى العفو عنه (الى الله ومن عاد) الى أكله مشبها له بالبيع فى الحل (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربوا) ينقصه ويذهب بركته (ويربى الصدقات) يزيدها وينميها ويضاعف ثوابها (والله لايحب كل كفار) بتحليل الربا (أثيم) فاجر بأكله أى يعاقبه (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة واتوا الزكوة لهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا) اتركوا (مابقى من الربوا ان كنتم مؤمنين) صادقين فى ايمانكم فان من شان المؤمن امتثال أمر الله تعالى نزلت لما طالب بعض الصحابة بعد النهى بربا كان له قبل (فان لم تفعلوا) ماأمرتم به (فأذنوا) اعلموا (بحرب من الله ورسوله) لكم فيه تهديد شديد لهم ولما نزلت قالوا لايدلنا بحربه (وان تبتم)

المفروضة (وآتى الزكوة) يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله وآتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها ومن الثانى اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا كانت فى المال سوى الزكوة وفى الحديث نسخت الزكوة كل صدقة (والموفون بعهدهم اذا عاهدوا) عطف على من آمن (والصابرين فى البأساء والضراء) نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهرى البأساء فى الاموال كالفقر والضراء فى الانفس كالمرض (وحين البأس) وقت مجاهدة العدو (اولئك الذين صدقوا) فى الدين واتباع الحق وطلب البر (واولئك هم المتقون) عن الكفر وسائر الرذائل والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة فى ثلاثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من آمن بالله الى والنبيين والى الثانى بقوله وآتى المال الى وفى الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوت الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته الخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عليه السلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى) كان فى الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت وامرهم ان يتباوأوا ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعى رضى الله تعالى عنهما قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما روى على رضى الله تعالى عنه ان رجلا قتل عبده فجلده الرسول صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ولم يقده به وروى عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذى عهد ولا حر بعبد ولان ابابكر وعمر رضى الله تعالى عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما فى التورية

وجعتم عنه (فلكم رؤس) أصول (أموالكم لا تظلمون) بزيادة (ولا تظلمون) بنقص (وان كان) وقع غريم (ذوعسرة فنظرة) له أى عليكم تأخيره (الى ميسرة) بفتح السين وضمها أى وقت يسر (وأن تصدقوا) بالتشديد على ادغام التاء فى الاصل فى الصاد وبالتخفيف على حذفها أى تصدقوا على المعسر بالابراء (خير لكم ان كنتم تعلمون) أنه خير فافعلوه فى الحديث من أنظر معسرا او وضع عنه أظله الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله رواه مسلم (واتقوا يوما ترجعون) بالبناء للمفعول تردون وللفاعل تصيرون (فيه الى الله) هو يوم القيامة (ثم توفى) فيه (كل نفس) جزاء (ما كسبت) عملت من خير وشر (وهم لا يظلمون) بنقص حسنة أو زيادة سيئة (يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم) تعاملتم (بدين) كسلم وقرض (الى أجل مسمى) معلوم (فاكتبوه) استيثاقا ودفعا

فلا ينسخ مافى القرآن واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذا كل فعل جاء فى القرآن (فمن عفى له من اخيه شئ) اى شئ من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام فى اسقاط القصاص وقيل عفى بمعنى ترك وشئ مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا الشئ بمعنى تركه بل اعفاه وعفا يعدى بعن الى الجانى والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا عدى به الى الذنب عدى الى الجانى باللام وعليه مافى الآية كأنه قيل فمن عفى له عن جنايته من جهة اخيه يعنى ولى الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه (فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان) اى فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية العافى بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها بالاحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والالما رتب الامر بادائها على مطلق العفو وللشافعى رضى الله تعالى عنه فى المسئلة قولان (ذلك) اى الحكم المذكور فى العفو والدية (تخفيف من ربكم ورحمة) لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخيرت هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم (فمن اعتدى بعد ذلك) فقتل بعد العفو او اخذ الدية (فله عذاب اليم) فى الآخرة وقيل فى الدنيا بان يقتل لامحالة لقوله عليه السلام لا اعافى احدا قتل بعد اخذه الدية (ولكم فى القصاص حيوة) كلام فى غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشئ محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان فى هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن الفعل فيكون سبب حيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحياتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثانى تخصيص وقيل المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه فى الدنيا لم يؤاخذ به فى الآخرة ولكم فى القصاص يحتمل ان يكونان خبرين

للنزاع (وليكتب) كتاب الدين (بينكم كاتب بالعدل) بالحق فى كتابته لا يزيد فى المال والاجل ولا ينقص (ولا يأب) يمتنع (كاتب) من (أن يكتب) اذا دعى اليها (كما علمه الله) فضله اى بالكتابة فلا يبخل بها والكاف متعلقة بيأب (فليكتب) تأكيد (وليملل) يمل الكاتب (الذى عليه الحق) الدين لانه المشهود عليه فيقر ليعلم ماعليه (وليتق الله ربه) فى املائه (ولا يبخس) ينقص (منه) أى الحق (شيئا فان كان الذى عليه الحق سفيها) مبذرا (أو ضعيفا) عن الاملاء لصغر أو كبر (أو لا يستطيع أن يمل هو) لخرس أو جهل باللغة أو نحو ذلك (فليملل وليه) متولى أمره من والد ووصى وقيم ومترجم (بالعدل واستشهدوا) أشهدوا على الدين (شهيدين) شاهدين (من رجالكم) أى بالغى المسلمين الاحرار (فان لم يكونا) أى الشهيد ان (رجلين فرجل وامرأتان) يشهدون (ممن ترضون من الشهداء) لدينه وعدالته

حيوة وان يكون احدهما خبرا والآخر صلة له او حالا من الضمير المستكن
فيه وقرئ في القصص اى فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة وفي القرآن
حيوة للقلوب (ياأولى الالباب) ذوى العقول الكاملة ناداهم للتأمل في حكمة
القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس (لعلكم تتقون) في المحافظة
على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفوا عن القتل
(كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت) اى حضر اسبابه وظهرت اماراته
(ان ترك خيرا) اى مالا وقيل مالا كثيرا لما روى عن على رضى الله تعالى
عنه ان مولى له اراد ان يوصى وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى
ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رجلا
اراد ان يوصى فسألته كم مالك فقال ثلاثة آلاف فقالت كم عيالك قال اربعة
قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا فان هذا الشئ يسير فاتركه لعيالك
(الوصية للوالدين والاقربين) مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل
او على تأويل ان يوصى او الايصاء ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله
والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدأ خبره
للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله « من يفعل الحسنات
الله يشكرها » ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء
الاسلام فنسخ بآية المواريث وبقوله عليه الصلاة والسلام ان الله اعطى
كل ذى حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه نظر لان آية المواريث لا تعارضه
بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الآحاد
وتلقى الامة له بالقبول لا يلحقه بالتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية
بما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله او بايصاء
المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله عليهم (بالمعروف) بالعدل فلا يفضل
الغنى ولا يتجاوز الثلث (حقا على المتقين) مصدر مؤكد اى حق ذلك
حقا (فمن بدله) غيره من الاوصياء والشهود (بعدما سمعه) اى وصل
اليه وتحقق عنده (فانما اثمه على الذين يبدلونه) فما اثم الايصاء المغير
او التبديل الا على مبدله لانه هو الذى خان وخالف الشرع (ان الله سميع
عليم) وعيد للمبدل بغير حق (فمن خاف من موص) اى توقع وعلم
من قولهم اخاف ان ترسل السماء وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وابوبكر
موص مشددا (جنفا) ميلا بالخطأ في الوصية (او اثما) تعمدا للحيف

وتعدد النساء لاجل (أن تضل)
تنسى (احداهما) الشهادة
لنقص عقلهن وضبطهن
(فتذكر) بالتخفيف والتشديد
(احداهما) الذاكرة
(الاخرى) الناسية وجملة
الاذكار محل العلة أى لتذكر ان
ضلت ودخلت على الضلال
لانه سببه وفي قراءة بكسر ان
شرطية ورفع تذكر استئناف
جوابه (ولا يأب الشهداء
اذا ما) زائدة (دعوا) الى
تحمل الشهادة وأدائها
(ولا تسأموا) تملوا من (أن
تكتبوه) أى ما شهدتم عليه
من الحق لكثرة وقوع ذلك
(صغيرا) كان (أو كبيرا)
قليلا أو كثيرا (الى أجله)
وقت حلوله حال من الهاء
في تكتبوه (ذلكم) أى الكتب
(أقسط) أعدل (عند الله
وأقوم للشهادة) أى أعون
عن اقامتها انه يذكرها
(وأدنى) أقرب الى (أن
لا ترتابوا) تشكوا في قدر
الحق والاجل (الا أن تكون)
تقع (تجارة حاضرة) وفي
قراءة بالنصب فتكون ناقصة
واسمها ضمير التجارة (تديرونها
بينكم) أى تقبضونها

(فاصلح بينهم) بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع (فلا اثم عليه)
فى هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول (ان الله غفور رحيم)
وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس مايؤثم
(يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم)
يعنى الانبياء والامم من لدن آدم عليه السلام وفيه توكيد للحكم وترغيب
على الفعل وتطييب على النفس والصوم فى اللغة الامساك عما تنازع اليه
النفس وفى الشرع الامساك عن المفطرات بياض النهار فانها معظم
ماتشتهيه الانفس (لعلكم تتقون) المعاصى فان الصوم يكسر الشهوة
التى هى مبدأها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء
او الاخلال بادائه لاصالته وقدمه (اياما معدودات) موقتات بعدد
معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا
ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة
الصيام عليه والمراد بها رمضان او ماوجب صومه قبل وجوبه ونسخ به
وهو عاشوراء وثلاثة ايام من كل شهر او بكما كتب على الظرفية او على
انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم
فى عدد الايام لما روى ان رمضان كتب على النصارى فوقع فى برد او حر
شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا
ذلك لموتان اصابهم (فمن كان منكم مريضا) مرضا يضره الصوم
ويعسر معه (او على سفر) او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر
اثناء اليوم لم يفطر (فعدة من ايام اخر) اى فعليه صوم عدة ايام المرض
او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها
وقرئ بالنصب اى فليصم عدة وهذا سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه
ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة رضى الله تعالى عنه (وعلى الذين يطيقونه)
وعلى المطيقين للصيام ان افطروا (فدية طعام مسكين) نصف صاع
من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص
لهم فى ذلك اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه
ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان باضافة الفدية الى الطعام
وجمع المساكين وقرأ ابن عامر برواية هشام مساكين بغير اضافة الفدية
الى الطعام والباقون بغير اضافة وتوحيد مسكين وقرئ يطوقونه اى يكلفونه

ولأجل فيها (فليس عليكم جناح) فى (أن لاتكتبوها) والمراد بها المتجر فيه (واشهدوا اذا تبايعتم) عليه فانه أدفع للاختلاف وهذا وماقبله أمر ندب (ولا يضار كاتب ولا شهيد) صاحب الحق ومن عليه بتحريف أو امتناع من الشهادة أو الكتابة أو لا يضرهما صاحب الحق بتكليفهما مالا يليق فى الكتابة والشهادة (وان تفعلوا) مانهيتم عنه (فانه فسوق) خروج عن الطاعة لاحق (بكم واتقوا الله) فى أمره ونهيه (ويعلمكم الله) مصالح أموركم حال مقدرة أو مستأنف (والله بكل شئ عليم وان كنتم على سفر) أى مسافرين وتداينتم (ولم تجدوا كاتبا فرهن) وفى قراءة فرهان جمع رهن (مقبوضة) تستوثقون بها وبينت السنة جواز الرهن فى الحضر ووجود الكاتب فالتقييد بما ذكر لان التوثيق فيه أشد وأفاد قوله مقبوضة اشتراط القبض فى الرهن والاكتفاء به من المرتهن ووكيله (فان أمن بعضكم

بعضا) أى الدائن المدين على حقه فلم يرتهن (فليؤد الذى اؤتمن) أى المدين (أمانته) دينه (وليتق الله ربه) فى أدائه (ولا تكتموا الشهادة) اذا دعيتم لاقامتها (ومن يكتمها فانه آثم قلبه) خص بالذكر لانه محل الشهادة ولانه اذا أثم تبعه غيره فيعاقب عليه معاقبة الآثمين (والله بما تعملون عليم) لا يخفى عليه شئ منه (لله ما فى السموات ومافى الارض وان تبدوا) تظهروا (مافى أنفسكم) من السوء والعزم عليه (أو تخفوه) تسروه (يحاسبكم) يخبركم (به الله) يوم القيامة (فيغفر لمن يشاء) المغفرة له (ويعذب من يشاء) تعذيبه والفعلان بالجزم عطف على جواب الشرط والرفع أى فهو (والله على كل شئ قدير) ومنه محاسبتكم وجزاؤكم (آمن) صدق (الرسول) محمد (بما أنزل اليه من ربه) من القرآن (والمؤمنون) عطف عليه (كل) تنوينه عوض من المضاف اليه (آمن بالله وملائكته وكتبه) بالجمع والافراد (ورسله)

او يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة أو القلادة و يتطوقونه اى يتكلفونه او يتقلدونه و يطوقونه بالادغام و يطيقونه ويتطيقونه على ان اصلهما يطيوقونه و يتطيوقونه من فيعل وتفعيل بمعنى يتطيقونه وعلى هذه القرآت يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم و يجهده وهم الشيوخ والعجائز فى الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة اى يصومونه جهدهم وطاقتهم (فمن تطوع خيرا) فزاد فى الفدية (فهو) فالتطوع اوالخير (خير له وان تصوموا) ايها المطيقون اوالمطوقون وجهدتم طاقتكم اوالمرخصون فى الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر (خير لكم) من الفدية اوتطوع الخير اومنهما ومن التأخير للقضاء (ان كنتم تعلمون) مافى الصوم من الفضيلة و براءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ماقبله اى اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك (شهر رمضان) مبتدأ خبره مابعده اوخبر مبتدأ محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اى كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا اوعلى انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف او بدل من اياما معدودات والشهر من الشهرة ورمضان مصدر رمض اى احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية فى ابن داية علما للغراب للعلمية والتأنيث وقوله عليه الصلاة والسلام من صام رمضان فعلى حذف المضاف لأمن الالتباس وانما سموه بذلك امالا رتماضهم فيه من حر الجوع والعطش اولارتماض الذنوب فيه اولوقوعه ايام رمض الحر حيث مانقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة (الذى انزل فيه القرآن) اى ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر اوانزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض اوانزل فى شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبى صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم عليه السلام اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدأ اوصفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه (هدى للناس وبينات

من الهدى والفرقان) حالان من القرآن اى انزل وهو هداية للناس باعجازه
وآيات واضحات مما يهدى الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم
والاحكام (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فمن حضر فى الشهر ولم يكن
مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر
موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب
الضمير الثانى على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على
انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اى صلاتها فيكون (ومن كان
مريضا اوعلى سفر فعدة من ايام اخر) مخصصا له لان المسافر والمريض
ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك اولئلا يتوهم نسخه لما نسخ قرينه
(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) اى يريد ان ييسر عليكم
ولا يعسر فلذلك اباح الفطر فى السفر والمرض (ولتكملوا العدة ولتكبروا
الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون) علل لفعل محذوف دل عليه ماسبق
اى وشرع جملة ماذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء
ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى آخره على سبيل اللف
فان قوله ولتكملوا العدة علة الامر بمراعاة العدد ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء
وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير اولافعال كل لفعله
اومعطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم اولتعلموا ماتعملون ولتكملوا
العدة ويجوز ان يعطف على اليسر أى ويريد بكم لتكملوا كقوله تعالى يريدون
ليطفئوا والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدى بعلى
وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر والخبر اى
الذى هداكم اليه وعن عاصم برواية ابى بكر ولتكملوا بالتشديد (واذا
سألك عبادى عنى فانى قريب) اى فقل لهم انى قريب وهو تمثيل لكمال
علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه
منهم روى ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا
فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت (اجيب دعوة الداعى اذا دعانى) تقرير
للقرب ووعد للداعى بالاجابة (فليستجيبوا لى) اذا دعوتهم للايمان
والطاعة كما اجيبهم اذا دعونى لمهماتهم (وليؤمنوا بى) امر بالثبات
والمداومة عليه (لعلهم يرشدون) راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق
وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر

يقولون (لانفرق بين احد
من رسله) فنؤمن ببعض
ونكفر ببعض كما فعل اليهود
والنصارى (وقالوا سمعنا)
اى ماامرنا به سماع قبول
(واطعنا) نسألك (غفرانك
ربنا واليك المصير) المرجع
بالبعث * ولما نزلت الآية
قبلها شكا المؤمنون من
الوسوسة وشق عليهم
المحاسبة بها فنزل (لايكلف
الله نفسا الاوسعها) أى
ماتسعه قدرتها (لها ما كسبت)
من الخير أى ثوابه (وعليها
ما اكتسبت) من الشر اى
وزره ولايؤاخذ أحد بذنب
احد ولا بما لم يكسبه مما
وسوست به نفسه وقولوا (ربنا
لاتؤاخذنا) بالعقاب (ان
نسينا اواخطأنا) تركنا
الصواب لاعن عمد كما آخذت
به من قبلنا وقد رفع الله ذلك
عن هذه الامة كما ورد فى الحديث
فسؤاله اعتراف بنعمة الله
(ربنا ولاتحمل علينا اصرا)
امرا يثقل علينا حمله (كما حملته
على الذين من قبلنا) اى بنى
اسرائيل من قتل النفس
فى التوبة واخراج ربع المال
فى الزكاة وقرض موضع

ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على انه تعالى خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيداله وحثا عليه ثم بين احكام الصوم فقال (احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) روى ان المسلمين كانوا اذا امسوا احل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء الآخرة او يرقدوا ثم ان عمر رضي الله تعالى عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لايكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدى بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره ههنا لتقبيح ماارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث (هن لباس لكم وانتم لباس لهن) استئناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدي * اذا ما الضجيع ثنى عطفها * تثنت فكانت عليه لباسا * اولان كل واحد منهما يستر حال صاحبه ويمنعه عن الفجور (علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم) تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب (فتاب عليكم) لما تبتم مما اقترفتموه (وعفا عنكم) ومحا عنكم اثره (فالآن باشروهن) لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى به عن الجماع (وابتغوا ما كتب الله لكم) واطلبوا ماقدره لكم واثبته في اللوح المحفوظ من الولد والمعنى ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لاقضاء الوطر وقيل النهي عن العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر) شبه اول مايبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان تكون من للتبعيض فان مايبدو بعض الفجر وماروى انها نزلت

النجاسة (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة) قوة (لنا به) من التكاليف والبلاء (واعف عنا) امح ذنوبنا (واغفر لنا وارحمنا) في الرحمة زيادة على المغفرة (انت مولانا) سيدنا ومتولي امورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) باقامة الحجة والغلبة في قتالهم فان من شأن المولى ان ينصر مواليه على الاعداء وفي الحديث لما نزلت هذه الآية فقرأها صلى الله عليه وسلم قيل له عقب كل كلمة قد فعلت

(سورة آل عمران مدنية مائتان)

(او الآية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) الله اعلم بمراده بذلك (الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك) يا محمد (الكتاب) القرآن ملتبسا (بالحق) بالصدق في اخباره (مصدقا لما بين يديه) قبله من الكتب (وانزل التوراة والانجيل من قبل) اي قبل تنزيله (هدى) حال بمعنى هادين من الضلالة (للناس) ممن تبعهما وعبر فيهما بأنزل وفي القرآن بنزل المقتضي للتكرير لانهما انزلا دفعة واحدة بخلافه (وانزل

ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين اسود وابيض ولا يزالون يأكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما فى ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفى تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تأخير الغسل اليه وصحة صوم الصبح جنبا (ثم اتموا الصيام الى الليل) بيان آخر وقته واخراج الليل عنه ونفى صوم الوصال (ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد) معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث فى المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطئ وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون فى المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطئ يحرم فيه ويفسده لان النهى فى العبادات يوجب الفساد (تلك حدود الله) اى الاحكام التى ذكرت (فلا تقربوها) نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يدانى الباطل فضلا عن ان يتخطى عنه كما قال عليه الصلاة والسلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه (كذلك) مثل ذلك التبيين (يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) مخالفة الاوامر والنواهى (ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل) اى ولا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذى لم يبحه الله تعالى و بين نصب على الظرف او الحال من الاموال (وتدلوا بها الى الحكام) عطف على المنهى او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اى ولا تلقوا حكومتها الى الحكام (لتأكلوا) بالتحاكم (فريقا) طائفة (من اموال الناس بالاثم) بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم (وانتم تعلمون) انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روى ان عبدان الحضرمى ادعى على امرئ القيس الكندى قطعة من ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرئ القيس فهم به فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يشترون بعهد الله و ايمانهم ثمنا قليلا الآية فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهى دليل على ان حكم القاضى لا ينفذ باطنا

الفرقان) بمعنى الكتب الفارقة بين الحق والباطل وذكره بعد ذكر الثلاثة ليعم ما عداها (ان الذين كفروا بآيات الله) القرآن وغيره (لهم عذاب شديد والله عزيز) غالب على أمره فلا يمنعه شئ من انجاز وعده و وعيده (ذو انتقام) عقوبة شديدة ممن عصاه لا يقدر على مثلها أحد (ان الله لا يخفى عليه شئ) كائن (فى الارض ولا فى السماء) لعلمه بما يقع فى العالم من كلى وجزئى وخصهما بالذكر لان الحس لا يتجاوزهما (هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء) من ذكورة وأنوثة وبياض وسواد وغير ذلك (لا اله الا هو العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات) واضحات الدلالة (هن أم الكتاب) أصله المعتمد عليه فى الاحكام (وأخر متشابهات) لا تفهم معانيها كأوائل السور

و يؤ يده قوله عليه السلام انما انا بشر وانتم تختصمون الى ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشئ من حق اخيه فانما اقضى له قطعة من النار فليحملها او يذرها (يسألونك عن الاهلة) سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوى ثم لايزال ينقص حتى يعود كما بدأ (قل هى مواقيت للناس والحج) اى انهم سألوا عن الحكمة فى اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله ان يجيب بان الحكمة الظاهرة فى ذلك ان تكون معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات الموقتة يعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه و بين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر (وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى) كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب اوفرجة وراءه و يعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر وانما البر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين اوانه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم فى الحج ذكره للاستطراد اوانهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم و يختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا امثال ذلك و يهتموا بالعلم بها اوان المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال بتمثيل حالهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البر بان تعكسوا فى مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك ولم يجترئ على مثله (وأتوا البيوت من ابوابها) اذ ليس فى العدول بر فباشروا الامور من وجوهها (واتقوا الله) فى تغيير احكامه والاعتراض على افعاله (لعلكم تفلحون) لكى تظفروا بالهدى والبر (وقاتلوا فى سبيل الله) جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه (الذين يقاتلونكم) قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده و يؤيد الاول ماروى

وجعله كله محكما فى قوله أحكمت آياته بمعنى أنه ليس فيه عيب ومتشابها فى قوله كتابا متشابها بمعنى أنه يشبه بعضه بعضا فى الحسن والصدق (فأما الذين فى قلوبهم زيغ) ميل عن الحق (فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء) طلب (الفتنة) لجهالهم بوقوعهم فى الشبهات واللبس (وابتغاء تأويله) تفسيره (ومايعلم تأويله) تفسيره (الا الله) وحده (والراسخون) الثابتون المتمكنون (فى العلم مبتدأ خبره (يقولون آمنا به) أى بالمتشابه أنه من عند الله ولا نعلم معناه (كل) من المحكم والمتشابه (من عند ربنا ومايذكر) بادغام التاء فى الاصل فى الذال أى يتعظ (الا اولوا الالباب) أصحاب العقول ويقولون أيضا اذا رأوا من يتبعه (ربنا لاتزغ قلوبنا) تملها عن الحق بابتغاء تأويله الذى لا يليق بنا

ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة شرفها الله ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يوفوا لهم و يقاتلوهم فى الحرم او الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت (ولا تعتدوا) بابتداء القتال او بقتال المعاهد او المفاجاة به من غير دعوة او المثلة او قتل من نهيتم عن قتله (ان الله لا يحب المعتدين) لا يريد بهم الخير (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) حيث وجدتموهم فى حل او حرم واصل الثقف الحذف ادراك الشئ علما كان او عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال « فاما تثقفونى فاقتلونى * فمن اثقف فليس الى الخلود » (واخرجوهم من حيث اخرجوكم) اى من مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح (والفتنة اشد من القتل) اى المحنة التى يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم فى الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) اى لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام (فان قاتلوكم فاقتلوهم) فلا تبالوا بقتالهم ثم فانهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائى ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فيه فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنوا اسد (كذلك جزاء الكافرين) مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل مافعلوا (فان انتهوا) عن القتال والكفر (فان الله غفور رحيم) يغفر لهم ماقد سلف (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) شرك (ويكون الدين لله) خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب (فان انتهوا) عن الشرك (فلا عدوان الا على الظالمين) اى فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمى جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين و ينعكس الامر عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء (الشهر الحرام بالشهر الحرام) قاتلهم المشركون عام حديبية فى ذى القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم فيه لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به (والحرمات قصاص) احتجاج عليه اى كل حرمة وهو مايجب ان يحافظ عليها يجرى فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة

كما أزغت قلوب أولئك (بعد اذ هديتنا) أرشدتنا اليه (وهب لنا من لدنك) من عندك (رحمة) تثبيتا (انك أنت الوهاب) يا (ربنا انك جامع الناس) تجمعهم (ليوم) أى فى يوم (لا ريب) شك (فيه) هو يوم القيامة فتجازيهم باعمالهم كما وعدت بذلك (ان الله لا يخلف الميعاد) موعده البعث فيه التفات عن الخطاب و يحتمل أن يكون من كلامه تعالى والغرض من الدعاء بذلك بيان أن همهم امر الآخرة ولذلك سألوا الثبات على الهداية لينالوا ثوابها روى الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات الى آخرها وقال فاذا رأيت الذين يتبعون ماتشابه منه فاولئك الذين سمى الله فاحذروهم وروى الطبرانى فى الكبير عن أبى موسى الاشعرى أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ماأخاف على أمتى الا ثلاث

خلال وذكر منها أن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله وليس يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الالباب الحديث (ان الذين كفروا لن تغني) تدفع (عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) أي عذابه (شيئا وأولئك هم وقود النار) بفتح الواو ما توقد به دأبهم (كدأب) كعادة (آل فرعون والذين من قبلهم) من الامم كعاد وثمود (كذبوا بآياتنا فأخذهم الله) أهلكهم (بذنوبهم) والجملة مفسرة لما قبلها (والله شديد العقاب) ونزل لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم اليهود بالاسلام مرجعه من بدر فقالوا له لا يغرنك أن قتلت نفرا من قريش أغمارا لا يعرفون القتال (قل) يا محمد (للذين كفروا) من اليهود (ستغلبون) بالتاء والياء في الدنيا بالقتل والاسر وضرب الجزية وقد وقع ذلك (وتحشرون) بالوجهين في الآخرة (الى جهنم)

واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) وهو فذلكة التقرير (واتقوا الله) في الانتصار ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم (واعلموا ان الله مع المتقين) فيحرسهم ويصلح شأنهم (وانفقوا في سبيل الله) ولا تمسكوا كل امساك (ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة) بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك يقوي العدو ويسلطهم على اهلاككم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهلينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة والتسرة اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول (واحسنوا) اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج (ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله) ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله تعالى وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة لله وما روي جابر رضي الله تعالى عنه انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك معارض بما روي ان رجلا قال لعمر رضي الله تعالى عنه اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدانهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي او ان تكون النفقة حلالا (فان احصرتم) منعتم يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه من المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي رحمهما الله تعالى لقوله تعالى فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى لما روي عنه عليه الصلاة والسلام من كسر او عرج

فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مأول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه الصلاة والسلام لضباعة بنت الزبير حجى واشترطى وقولى اللهم محلى حيث حبستنى (فما استيسر من الهدى) فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر اوفاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدى ما تيسر عليه من بدنة او بقرة اوشاة حيث احصر عند الاكثر لانه عليه الصلاة والسلام ذبح عام الحديبية بها وهى من الحل وعند ابى حنيفة رحمه الله تعالى يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم امار فاذ اجاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله) اى لا تحلقوا حتى تعلموا ان الهدى المبعوث الى الحرم بلغ محله اى مكانه الذى يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدى محله على ذبحه حيث يحل الذبح فيه حلا كان اوحرما واقتصاره على الهدى دليل على عدم القضاء وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان والهدى جمع هدية كجدى وجدية وقرئ من الهدى جمع هدية كمطى فى مطية (فمن كان منكم مريضا) مرضا يحوجه الى الحلق (او به اذى من رأسه) كجراحة وقمل (ففدية) فعليه فدية ان حلق (من صيام او صدقة او نسك) بيان لجنس الفدية واما قدرها فقدروى انه عليه الصلاة والسلام قال لكعب بن عجرة لعلك آذاك هوامك قال نعم يارسول الله قال احلق وصم ثلاثة ايام اوتصدق بفرق على ستة مساكين اوانسك شاة والفرق ثلاثة اصوع (فاذا امنتم) الاحصار اوكنتم فى حال امن وسعة (فمن تمتع بالعمرة الى الحج) فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج فى اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحه محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج (فما استيسر من الهدى) فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا يأكل منه وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى انه دم نسك فهو كالاضحية (فمن لم يجد) اى الهدى (فصيام ثلاثة ايام فى الحج) فى ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال بو حنيفة رحمه الله فى اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذى الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند الاكثرين (وسبعة اذا رجعتم) الى اهليكم وهو احد قولى الشافعى رضى الله تعالى عنه اونفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثانى ومذهب ابى حنيفة رحمه الله تعالى وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام (تلك عشرة) فذلكة الحساب

فيدخلونها (وبئس المهاد) الفراش هى (قد كان لكم آية) عبرة وذكر الفعل للفصل (فى فئتين) فرقتين (التقتا) يوم بدر للقتال (فئة تقاتل فى سبيل الله) أى طاعته وهم النبى وأصحابه وكانو اثلثمائة وثلاثة عشر رجلا معهم فرسان وست أدرع وثمانية سيوف وأكثرهم رجالة (وأخرى كافرة يرونهم) أى الكفار (مثليهم) أى المسلمين أى أكثر منهم وكانوا نحو ألف (رأى العين) أى رؤية ظاهرة معاينة وقد نصرهم الله مع قلتهم (والله يؤيد) يقوى (بنصره من يشاء) نصره (ان فى ذلك) المذكور (لعبرة لاولى الابصار) لذوى البصائر أفلا تعتبرون بذلك فتؤمنون (زين للناس حب الشهوات) ما تشتهيه النفس وتدعو اليه زينها الله ابتلاء أو الشيطان (من النساء والبنين والقناطير) الاموال الكثيرة (المقنطرة) المجمعة (من الذهب والفضة والخيل المسومة) الحسان (والانعام) أى الابل والبقر والغنم

وفائدتها ان لايتوهم متوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما (كاملة) صفة مؤكدة تفيد المبالغة فى محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذبه تنتهى الآحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدى (ذلك) اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى اذلامتعة ولاقران لحاضرى المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك اى التمتع منهم فعليه دم جناية (لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام) وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا فان من كان على اقل فهو مقيم الحرم او فى حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاووس وغير المكى عند مالك (واتقوا الله) فى المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا فى الحج (واعلموا ان الله شديد العقاب) لمن لم يتقه كى يصدكم العلم به عن العصيان (الحج اشهر) اى وقته كقولك البرد شهران (معلومات) معروفات وهى شوال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى عليه وذا الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف على ان المراد بوقته وقت احرامه ووقت اعماله ومناسكه اومالايحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة فى بقية ذى الحجة وابو حنيفة رحمه الله وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمى شهرين وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على مافوق الواحد (فمن فرض فيهن الحج) فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا او بالتلبية اوسوق الهدى عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى وهو دليل على ماذهب اليه الشافعى رحمه الله تعالى وان من احرم الحج لزمه الاتمام (فلا رفث) فلاجماع او فلافحش من الكلام (ولافسوق) ولاخروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات (ولاجدال) ولامراء مع الخدم والرفقة (فى الحج) فى ايامه نفى الثلاثة على قصد النهى للمبالغة وللدلالة على انها حقيقة بان لاتكون وما كانت منها مستقبحة فى انفسها ففى الحج اقبح كلبس الحرير فى الصلاة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لايكونن رفث ولافسوق والثالث بالفتح

(والحرث) الزرع (ذلك) المذكور (متاع الحيوة الدنيا) يتمتع به فيها ثم يفنى (والله عنده حسن المآب) المرجع وهو الجنة فينبغى الرغبة فيه دون غيره (قل) يامحمد لقومك (ءأنبئكم) أخبركم (بخير من ذلكم) المذكور من الشهوات استفهام تقرير (للذين اتقوا) الشرك (عند ربهم) خبر مبتدؤه (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين) أى مقدرين الخلود (فيها) اذا دخلوها (وأزواج مطهرة) من الحيض وغيره مما يستقذر (ورضوان) بكسر أوله وضمه لغتان أى رضا كثير (من الله والله بصير) عالم (بالعباد) فيجازى كلا منهم بعمله (الذين) نعت أو بدل من الذين قبله (يقولون) يا (ربنا اننا آمنا) صدقنا بك وبرسولك (فاغفرلنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين) على الطاعة وعن المعصية نعت (والصادقين) فى الايمان (والقانتين) المطيعين لله (والمنفقين) المصدقين (والمستغفرين) بان يقولوا

على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف فى الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة (وماتفعلوا من خير يعلمه الله) حث على الخير عقيب النهى عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت فى اهل اليمن كانوا يحجون ولايتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام فى السؤال والتثقيل على الناس (واتقون ياأولى الالباب) فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله تعالى فيتبرأوا من كل شئ سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولى الالباب بهذا الخطاب (ليس عليكم جناح ان تبتغوا) اى فى ان تبتغوا اى تطلبوا (فضلا من ربكم) عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذوالمجاز اسواقهم فى الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت (فاذا افضتم من عرفات) دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف فى دفعت من البصرة وعرفات جمع سمى به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتأنيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لاتنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك اولان التأنيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهى ليست تاء تأنيث وانما هى مع الالف التى قبلها علامة جمع المؤنث اوبتاء مقدرة كما فى سعاد ولايصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمى الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه الصلاة والسلام فلما ابصره عرفه اولان جبريل عليه السلام كان يدور به فى المشاعر فلما اراه قال عرفت اولان آدم وحواء التقيا فيه فتعارفا اولان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة فى ذلك وهى من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان الافاضة لاتكون الابعده وهى مأمور بها بقوله ثم افيضوا ومقدمة للذكر المأمور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب بل مستحب وعلى تقدير انه واجب فهو واجب مقيد لاواجب مطلق حتى يجب مقدمته

اللهم اغفرلنا (بالاسحار) أواخر الليل خصت بالذكر لانها وقت الغفلة ولذة النوم (شهد الله) بين لخلقه بالدلائل والآيات (أنه لااله) أى لامعبود فى الوجود بحق (الاهو و) شهد بذلك (الملائكة) بالاقرار (وأولوا العلم) من الانبياء والمؤمنين بالاعتقاد واللفظ (قائما) بتدبير مصنوعاته ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الجملة أى تفرد (بالقسط) بالعدل (لااله الاهو) كرره تأكيدا (العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه (ان الدين) المرضى (عندالله) هو (الاسلام) أى الشرع المبعوث به الرسل المبنى على التوحيد وفى قراءة بفتح ان بدل من انه الخ بدل اشتمال (وما اختلف الذين اوتوا الكتاب) اليهود والنصارى فى الدين بان وحد بعض وكفر بعض (الامن بعد ماجاءهم العلم) بالتوحيد (بغيا) من الكافرين (بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) أى المجازات له (فان حاجوك)

والامر به غير مطلق (فاذكروا الله) بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلاة العشائين (عند المشعر الحرام) جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل مابين مأزمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ماروى جابر انه عليه الصلاة والسلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفروانما سمى مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام ممايليه ويقرب منه فانه افضل والافالمزدلفة كلها موقف الاوادى محسر (واذكروه كما هداكم) كما علمكم اواذكروه ذكراحسنا كما هداكم هداية حسنة المناسك وغيرها ومامصدرية او كافة (وان كنتم من قبله) اى الهدى (لمن الضالين) اى الجاهلين بالايمان والطاعة وانهى المخففة من الثقيلة واللام الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله تعالى * وان نظنك لمن الكاذبين* (ثم افيضوا من حيث افاض الناس) اى من عرفة لامن المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت مابين الافاضتين كما فى قولك احسن الناس ثم لاتحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اى الناسى يريد آدم من قوله سبحانه وتعالى فنسى والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه (واستغفروا الله) من جاهليتكم فى تغيير المناسك ونحوه (ان الله غفور رحيم) يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه (فاذا قضيتم مناسككم) فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها (فاذكروا الله كذكر آبائكم) فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم فى المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم (اواشد ذكرا) امامجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كذكركم آبائكم اوكذكر اشد منه وابلغ اوعلى ماضيف اليه بمعنى اوكذكر قوم اشد منكم ذكرا وامامنصوب بالعطف على آبائكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى اوكذكركم اشد مذكورا من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره اوكونوا اشدذكرا لله منكم لآبائكم (فمن الناس من يقول) تفصيل للذاكرين الى مقل لايطلب بذكرالله الاالدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد الحث على الاكثار

خاصمك الكفار يامحمد فى الدين (فقل) لهم (أسلمت وجهى لله) انقدت له أنا (ومن اتبعنى) وخص الوجه بالذكر لشرفه فغيره أولى (وقل للذين اوتوا الكتاب) اليهود والنصارى (والاميين) مشركى العرب (اسلمتم) اى اسلموا (فان اسلموا فقد اهتدوا) من الضلال (وان تولوا) عن الاسلام (فانما عليك البلاغ) التبليغ للرسالة (والله بصير بالعباد) فيجازيهم باعمالهم وهذا قبل الامر بالقتال (ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون) وفى قراءة يقاتلون (النبيين بغيرحق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط) بالعدل (من الناس) وهم اليهود روى أنهم قتلوا ثلاثة واربعين نبيا فنهاهم مائة وسبعون من عبادهم فقتلوهم من يومهم (فبشرهم) أعلمهم (بعذاب اليم) مؤلم وذكر البشارة تهكم بهم ودخلت الفاء فى خبر ان لشبه اسمها الموصول بالشرط (أولئك الذين حبطت) بطلت (اعمالهم) ماعملوا من خير كصدقة

والارشاد اليه (ربنا آتنا فى الدنيا) اجعل ايتاءنا ومنحتنا فى الدنيا (وماله فى الآخر من خلاق) اى نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق (ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة) يعنى الصحة والكفاف وتوفيق الخير (وفى الآخرة حسنة) يعنى الثواب والرحمة (وقنا عذاب النار) بالعفو والمغفرة وقول على رضى الله تعالى عنه الحسنة فى الدنيا المرأة الصالحة وفى الآخرة الحوراء وعذاب النار المرأة السوء وقول الحسن الحسنة فى الدنيا العلم والعبادة وفى الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار امثلة للمراد بها (اولئك) اشارة الى الفريق الثانى وقيل اليهما (لهم نصيب مما كسبوا) اى من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا اومما دعوا به نعطيهم منه ماقدرناه فسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال (والله سريع الحساب) يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم فى مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى فى مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات (واذكروا الله فى ايام معدودات) كبروه ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمى الجمار وغيرها فى ايام التشريق (فمن تعجل) فمن استعجل النفر (فى يومين) يوم القر والذى بعده اى فمن نفر فى ثانى ايام التشريق بعد رمى الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عند ابى حنيفة (فلا اثم عليه) باستعجاله (ومن تأخر فلا اثم عليه) ومن تأخر النفر حتى رمى فى اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفى الاثم بالتعجيل والتأخير التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتأخر (لمن اتقى) اى الذى ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لايتضرر بترك ما يهمه منهما (واتقوا الله) فى مجامع اموركم لتعبأ بكم (واعلموا انكم اليه تحشرون) للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق (ومن الناس من يعجبك قوله) يروقك ويعظم فى نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله بسبب المتعجب منه (فى الحيوة الدنيا) متعلق بالقول اى مايقوله فى امور الدنيا واسباب المعاش او فى معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان او بيعجبك اى يعجبك قوله فى الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك فى الآخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لايؤذن له

وصلة رحم (فى الدنيا والآخرة) فلا اعتداد بها لعدم شرطها (ومالهم من ناصرين) مانعين من العذاب (ألم تر) تنظر (الى الذين أوتوا نصيبا) حظا (من الكتاب) التوراة (يدعون) حال (الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون) عن قبول حكمه نزل فى اليهود زنى منهم اثنان فتحاكموا الى النبى صلى الله عليه وسلم فحكم عليهما بالرجم فابوا فجيء بالتوراة فوجد فيها فرجما فغضبوا (ذلك) التولى والاعراض (بانهم قالوا) أى بسبب قولهم (لن تمسنا النار الا اياما معدودات) أربعين يوما مدة عبادة آبائهم العجل ثم تزول عنهم (وغرهم فى دينهم) متعلق بقوله (ماكانوا يفترون) من قولهم ذلك (فكيف) حالهم (اذا جمعناهم ليوم) أى فى يوم (لاريب) شك (فيه) هو يوم القيامة (ووفيت كل نفس) من اهل الكتاب وغيرهم جزاء (ماكسبت) عملت من خير

فى الكلام (و يشهد الله على ما فى قلبه) يحلف و يستشهد الله على ان ما فى قلبه موافق لكلامه (وهو الد الخصام) شديد العداوة والجدل للمسلمين والخصام المخاصمة و يجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت فى الاخنس بن شريق الثقفى وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويدعى الاسلام وقيل فى المنافقين كلهم (واذا تولى) ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا (سعى فى الارض ليفسد فيها و يهلك الحرث والنسل) كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم اوكما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل (والله لايحب الفساد) لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه (واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم) حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذى يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه (فحسبه جهنم) كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب وهى فى الاصل مرادف للنار وقيل معرب (ولبئس المهاد) جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب (ومن الناس من يشرى نفسه) يبيعها اى يبذلها فى الجهاد او يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر حتى يقتل (ابتغاء مرضاة الله) طلبا لرضاه وقيل انها نزلت فى صهيب بن سنان الرومى اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال انى شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلونى وما انا عليه وخذوا مالى فقبلوه منه واتى المدينة (والله رؤف بالعباد) حيث ارشدهم الى مثل هذا الشراء وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء (يا ايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة) السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق فى الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائى وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء عن التفرق حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال * السلم تأخذ منها ما رضيت به * والحرب يكفيك من انفاسها جرع * والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا و باطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا فى الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمنى اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او

وشر (وهم) أى الناس (لايظلمون) بنقص حسنة أوزيادة سيئة * ونزل لما وعد صلى الله عليه وسلم أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون هيهات (قل اللهم) ياالله (مالك الملك تؤتى تعطى (الملك من تشاء) من خلقك (وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء) بايتائه (وتذل من تشاء) بنزعه منه (بيدك) بقدرتك (الخير) أى والشر (انك على كل شئ قدير تولج) تدخل (الليل فى النهار وتولج النهار) تدخله (فى الليل) فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر (وتخرج الحى من الميت) كالانسان والطائر من النطفة والبيضة (وتخرج الميت) كالنطفة والبيضة (من الحى وترزق من تشاء بغير حساب) أى رزقا واسعا (لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء) يوالونهم (من دون) أى غير (المؤمنين ومن يفعل ذلك) أى يواليهم (فليس من) دين (الله فى شئ الا أن تتقوا منهم تقاة) مصدر تقيته أى تخافوا مخافة فلكم موالاتهم

فى شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب اوفى شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشئ والخطاب للمسلمين (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) بالتفرق والتفريق (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (فان زللتم) عن الدخول فى السلم (من بعد ما جاءتكم البينات) الآيات والحجج الشاهدة على انه الحق (فاعلموا ان الله عزيز) لايعجزه الانتقام (حكيم) لاينتقم الابالحق (هل ينظرون) استفهام فى معنى النفى ولذلك جاء بعده (الاان يأتيهم الله) اى يأتيهم امره او بأسه كقوله تعالى او يأتى امرربك فجاءهم بأسنا اويأتيهم الله بأسه فحذف المأتى به للدلالة عليه بقوله تعالى ان الله عزيز حكيم (فى ظلل) جمع ظلة كقلة وقلل وهى مااظلك وقرئ ظلال كقلال (من الغمام) السحاب الابيض وانما يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لايحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير (والملائكة) فانهم الواسطة فى اتيان امره اوالآتون على الحقيقة بأسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل اوالغمام (وقضى الامر) اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضى موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة (والى الله ترجع الامور) قرأه ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على البناء للمفعول على انه من الرجع وقرأ ايضا بالتذكير وبناء المفعول (سل بنى اسرائيل) امر للرسول صلى الله عليه وسلم اولكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم (كم آتيناهم من آية بينة) معجزة ظاهرة اوآية فى الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدى الانبياء وكم خبرية اواستفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية اوالرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر الى المبتدأ وآية مميزها ومن للفصل (ومن يبدل نعمة الله) اى آيات الله فانها سبب الهدى الذى هو اجل النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتأويل الزائغ (من بعد ما جاءته) من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل (فان الله شديد العقاب) فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب

باللسان دون القلب وهذا قبل عزة الاسلام ويجرى فيمن فى بلد ليس قويا فيها (ويحذركم) يخوفكم (الله نفسه) ان يغضب عليكم ان واليتموهم (والى الله المصير) المرجع فيجازيكم (قل) لهم (ان تخفوا ما فى صدوركم) من موالاتهم (أوتبدوه) تظهروه (يعلمه الله و) هو (يعلم ما فى السموات وما فى الارض والله على كل شئ قدير) ومنه تعذيب من والاهم اذكر (يوم تجد كل نفس ما عملت) به (من خير محضرا وما عملت) به (من سوء) مبتدأ خبره (تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) غاية فى نهاية البعد فلا يصل اليها (ويحذركم الله نفسه) كرر للتأكيد (والله رؤف بالعباد) * ونزل لما قالوا مانعبد الاصنام الاحبا لله ليقربونا اليه (قل) لهم يا محمد (ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) بمعنى أنه يثيبكم (ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور) لمن اتبعنى ماسلف منه قبل ذلك (رحيم) به (قل) لهم (أطيعوا الله

اشد جريمة (زين للذين كفروا الحيوة الدنيا) حسنت فى اعينهم واشربت محبتها فى قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شئ الا وهو فاعله و يدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق الله فيها من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض (ويسخرون من الذين آمنوا) يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب اى يسترذلونهم و يستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا مبدأ السخرية منهم (والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة) لانهم فى عليين وهم فى اسفل السافلين اولانهم فى كرامة وهم فى مذلة اولانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم فى الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاء هم للتقوى (والله يرزق من يشاء) فى الدارين (بغير حساب) بغير تقدير فيوسع فى الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى (كان الناس امة واحدة) متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس اونوح او بعد الطوفان اومتفقين على الجهالة والكفر فى فترة ادريس اونوح (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) اى اختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذى علمته من عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منها ثلاثمائة عشرون والمذكور فى القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون (وانزل معهم الكتاب) يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن معهم كتاب يخصهم وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم (بالحق) حال من الكتاب اى ملتبسا بالحق شاهدا به (ليحكم بين الناس) اى الله اوالنبى المبعوث او كتابه (فيما اختلفوا فيه) فى الحق الذى اختلفوا فيه اوفيما التبس عليهم (وما اختلف فيه) فى الحق اوالكتاب (الا الذين اوتوه) اى الكتاب المنزل لازالة الخلاف اى عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه (من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم) حسدا بينهم اوظلما لحرصهم على الدنيا (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه) اى للحق الذى اختلف فيه من اختلف (من الحق) بيان لما اختلفوا فيه

﴿ باذنه ﴾

والرسول) فيما يأمركم به من التوحيد (فان تولوا) أعرضوا عن الطاعة (فان الله لايحب الكافرين) فيه اقامة الظاهر مقام الضمير أى لايحبهم بمعنى أنه يعاقبهم (ان الله اصطفى) اختار (آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران) بمعنى أنفسهما (على العالمين) بجعل الانبياء من نسلهم (ذرية بعضها من) ولد (بعض) منهم (والله سميع عليم) اذكر (اذ قالت امرأت عمران)حنة لما أسنت واشتاقت للولد فدعت الله وأحست بالحمل يارب (انى نذرت) أن أجعل (لك ما فى بطنى محررا) عتيقا خالصا من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس (فتقبل منى انك انت السميع) للدعاء (العليم) بالنيات وهلك عمران وهى حامل (فلما وضعتها) ولدتها جارية وكانت ترجو أن يكون غلاما اذلم يكن يحرر الا الغلمان (قالت) معتذرة يا (رب انى وضعتها أنثى والله أعلم) أى عالم (بما وضعت) جملة

باذنه بامره او بارادته ولطفه (والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم)
لا يضل سالكه (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة) خاطب به النبى صلى الله عليه
وسلم والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء الآيات
تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار
(ولما يأتكم) ولم يأتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعل مقابل
قد (مثل الذين خلوا من قبلكم) حالهم التى هى مثل فى الشدة (مستهم
البأساء والضراء) بيان له على الاستئناف (وزلزلوا) وازعجوا ازعاجا
شديدا بما اصابهم من الشدائد (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه)
لتناهى الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرأ نافع يقول
بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه
متى نصر الله) استبطاء له لتأخره (الا ان نصر الله قريب) استئناف على
ارادة القول اى فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه
اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده رفض الهوى واللذات
ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه الصلاة والسلام حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات (يسألونك ماذا ينفقون) عن ابن عباس رضى الله
عنهما ان عمرو بن الجموح الانصارى كان شيخا هما ذا مال عظيم فقال يا رسول الله
ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت (قل ما انفقتم من خير فللوالدين
والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) سئل عن المنفق فاجيب ببيان
المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان فى سؤال عمرو
وان لم يكن مذكورا فى الآية واقتصر فى بيان المنفق على ما تضمنه قوله
ما انفقتم من خير (وما تفعلوا من خير) فى معنى الشرط (فان الله به عليم)
جوابه اى ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفى ثوابه وليس فى الآية
ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به (كتب عليكم القتال وهو كره لكم)
شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول
كالخبز وقرأ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على
المجاز كأنهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله تعالى حملته امه
كرها ووضعته كرها (وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم) وهو جميع
ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم (وعسى
ان تحبوا شيئا وهو شر لكم) وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه
وتهواه وهو يفضى بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت

اعتراض من كلامه تعالى
وفى قراءة بضم التاء (وليس
الذكر) الذى طلبت
(كالانثى) التى وهبت لانه
يقصد للخدمة وهى لا تصلح
لها لضعفها وعورتها وما
يعتريها من الحيض ونحوه
(وانى سميتها مريم وانى
أعيذها بك وذريتها)
أولادها (من الشيطان
الرجيم) المطرود فى الحديث
ما من مولود يولد الا مسه
الشيطان حين يولد فيستهل
صارخا الا مريم وابنها رواه
الشيخان (فتقبلها ربها)
أى قبل مريم من أمها
(بقبول حسن وأنبتها نباتا
حسنا) أنشأها بخلق حسن
فكانت تنبت فى اليوم كما ينبت
المولود فى العام وأتت بها
أمها الاحبار سدنة بيت المقدس
فقالت دونكم هذه النذيرة
فتنافسوا فيها لانها بنت
امامهم فقال زكريا أنا أحق
بها لان خالتها عندى فقالوا
لا حتى نقترع فانطلقوا وهم
تسعة وعشرون الى نهر الاردن
وألقوا أقلامهم على ان من
ثبت قلمه فى الماء وصعد فهو
أولى بها فثبت قلم زكريا

ينعكس الامر عليها (والله يعلم) ماهو خير لكم (وانتم لاتعلمون) ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم تعرف عينها (يسألونك عن الشهر الحرام) روى انه عليه الصلاة والسلام بعث عبدالله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عير القريش فيهم عمرو بن عبدالله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا مانبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وهو اول غنيمة في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية (قتال فيه) بدل اشتمال من الشهر الحرام وقرئ عن قتال بتكرير العامل (قل قتال فيه كبير) اى ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع دلالة الآية على حرمة القتال فيه مطلقا فان قتالا فيه نكرة في حيز مثبت فلا تعم (وصد) صرف ومنع (عن سبيل الله) اى الاسلام اوما يوصل العبد الى الله من الطاعات (وكفر به) اى بالله (والمسجد الحرام) على ارادة المضاف اى وصد المسجد الحرام كقول ابى دواد * أكل امرئ تحسبين امرأ * ونار توقد بالليل نارا * ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على صد مانع منه اذلا يقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء في به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار (واخراج اهله منه) اهل المسجد وهم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون (اكبر عند الله) مما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش وافعل من يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (والفتنة اكبر من القتل) اى ما ترتكبونه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمى (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم) اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل

فاخذها وبنى لها غرفة في المسجد بسلم لايصعد اليها غيره وكان يأتيها باكلها وشربها ودهنها فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء كما قال تعالى (وكفلها زكريا) ضمها اليه وفى قراءة بالتشديد ونصب زكريا ممدودا ومقصورا والفاعل الله (كلما دخل عليها زكريا المحراب) الغرفة وهى أشرف المجالس (وجد عندها رزقا قال يامريم أنى) من أين (لك هذا قالت) وهى صغيرة (هو من عندالله) يأتينى به من الجنة (ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) رزقا واسعا بلا تبعة (هنالك) أى لما رأى زكريا ذلك وعلم أن القادر على الاتيان بالشئ في غير حينه قادر على الاتيان بالولد على الكبر وكان أهل بيته انقرضوا (دعا زكريا ربه) لما دخل المحراب للصلاة جوف الليل (قال رب هب لى من لدنك) من عندك (ذرية طيبة) ولدا صالحا (انك سميع) مجيب (الدعاء فنادته الملائكة) أى جبريل

كقولك اعبدالله حتى ادخل الجنة لقوله (ان استطاعوا) وهو استبعاد لاستطا عتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بى فلا تبق على وايذان بانهم لايردونهم (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم) قيد الردة بالموت عليها فى احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعى والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهى لغة فيه (فى الدنيا) لبطلان ماتخيلوه وفوات ماللاسلام من الفوائد الدنيوية (والآخرة) بسقوط الثواب (واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) كسائر الكفرة (ان الذين آمنوا) نزلت ايضا فى اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر (والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله) كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كأنهما مستقلان فى تحقيق الرجاء (اولئك يرجون رحمة الله) ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع فى الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم (والله غفور) لما فعلوه خطأ وقلة احتياط (رحيم) باجزال الاجر والثواب (يسألونك عن الخمر والميسر) روى انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا فى نفر من الصحابة قالوا افتنا يارسول الله فى الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن ابن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فأم احدهم فقرأ اعبد ماتعبدون فنزلت لاتقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان ابن مالك سعد بن ابى وقاص فى نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصارى بلحى بعير فشجه فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضى الله عنه بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر رضى الله عنه انتهينا يارب والخمر فى الاصل مصدر خمره اذا ستره سمى بها نقيع العنب والتمر اذا اشتد وغلا كأنه يخمر العقل كما سمى سكرا لانه يسكره اى يحجزه وهى حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة عصير الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه مادون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمى به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره والمعنى يسألونك عن تعاطيهما لقوله تعالى (قل فيهما) اى فى تعاطيهما (اثم كبير) من حيث انه يؤدى

(وهو قائم يصلى فى المحراب) أى المسجد (أن) أى بأن وفى قراءة بالكسر بتقدير القول (الله يبشرك) مثقلا ومخففا (بيحيى مصدقا بكلمة) كائنة (من الله) أى بعيسى انه روح الله وسمى كلمة لانه خلق بكلمة كن (وسيدا) متبوعا (وحصورا) ممنوعا من النساء (ونبيا من الصالحين) روى انه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها (قال رب أنى) كيف (يكون لى غلام) ولد (وقد بلغنى الكبر) أى بلغت نهاية السن مائة وعشرين سنة (وامرأتى عاقر) بلغت ثمانيا وتسعين سنة (قال) الامر (كذلك) من خلق الله غلاما منكما (الله يفعل مايشاء) لايعجزه عنه شئ ولاظهار هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بها ولما تاقت نفسه الى سرعة المبشر به (قال رب اجعل لى آية) أى علامة على حمل امرأتى (قال آيتك) عليه (أن لاتكلم الناس) أى تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله تعالى (ثلاثة ايام) أى بلياليها (الارمزا)

الى الاتنكاب عن المأمور به ارتكاب المحظور وقرأ حمزة والكسائى كثير بالثاء (ومنافع للنـاس) من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفى الخمر خصوصـا تشجيـع الجبـان وتوفـير المروة وتقوية الطبيعـة (واثمهما اكبر من نفعهمـا) اى المفاسد التى تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل انهـا المحرمة للخمر فان المفسد اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعـل والاظهر انه ليس كذلك لما مر من ابطال مذهب المعتزلة (و يسألونك ماذا ينفقون) قيـل سـائله ايضا عمرو بن الجموح سأل اولا عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية الانفاق (قل العفو) العفو نقيض الجهد ومنه يقـال للارض السـهلة وهو ان ينفق ماتيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال « خذى العفو منى تستديمى مودتى * ولا تنطقى فى سورتى حين اغضب » وروى ان رجلا اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ببيضة من ذهب اصـابها فى بعض المغانم فقال خذها منى صدقة فاعرض عليه السـلام عنه حتى كرر مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفها حذفا لو اصابه لشجـه ثم قال يأتى احدكم بماله كله يتصدق به و يجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى وقرأ ابو عمرو برفع الواو (كذلك يبين الله لكم الآيات) اى مثل مابين ان العفو اصلح من الجهد او ماذكر من الاحكام والكاف فى موضع النصب صفة لمصدر محذوف اى تبيينـا مثل هذا التبيين وانما وحد العـلامة والمخاطب به جمع على تأويل القبيـل والجمع (لعلكم تتفكرون) فى الدلائل والاحكام (فى الدنيـا والآخرة) فى امور الدارين فتأخذون بالاصلح والانفع منهما وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم (و يسألونك عن اليتـامى) لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما الآية اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر ذلك لرسـول الله صلى الله عليه وسـلم فنزلت (قل اصلاح لهم خير) اى مـداخلتهم لاصلاحهم واصـلاح اموالهم خير من مجانبتهم (وان تخالطوهم فاخوانكم) حث على المخالطة اى انهم اخوانكم فى الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيـل المراد بالمخالطة المصـاهرة (والله يعلم المفسـد من المصلح) وعيد ووعد لمن خالطهم لافسـاد واصـلاح اى يعلم امره فيجازيه عليه (ولو شاء الله لاعنتكم) اى ولو شـاء الله اعناتكم لاعنتكم اى كلفكم مايشـق عليكم من العنت وهى المشـقة ولم يجوز لكم مداخلتهم

اشـارة (واذكر ربك كثيرا وسبح) صـل (بالعشى والابكار) أواخر النهـار وأوائله (و) اذكر (اذ قالت الملائكة) أى جبريل (يامريم ان الله اصطفاك) اختـارك (وطهرك) من مسيس الرجال (واصطفاك على نساء العالمين) أى أهل زمانك (يامريم اقنتى لربك) أطيعيه (واسجدى واركعى مع الراكعـين) أى صلى مع المصـلين (ذلك) المذكور من أمر زكريا ومريم (من أنباء الغيب) أخبـار ماغاب عنك (نوحيه اليك) يامحمد (وماكنت لديهم اذ يلقون اقلامهم) فى المـاء يقترعـون ليظهر لهم (أيهم يكفل) يربى (مريم وما كنـت لـديهم اذ يختصمون) فى كفالتهـا فتعرف ذلك فتخبر به وانمـا عرفته من جهة الوحى اذكر (اذ قالت الملائكـة) أى جـبريل (يامريم ان الله يبشرك بكلمة منـه) أى ولد (اسمه المسيح عيسى ابن مريم) خاطبها بنسـبته اليها تنبيهـا على أنها تلده بلا أب اذ عادة الرجـل نسبتهم الى آبائهم (وجيهـا) ذا جاه (فى الدنيـا) بالنبـوة

(ان الله عزيز) غالب يقدر على الاعنات (حكيم) يحكم مايقتضيه الحكمة ويتسع له الطاقة (ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن) اى ولاتتزوجوهن وقرئ بالضم اى لاتزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله تعالى سبحانه عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روى انه عليه السلام بعث مرثد الغنوى الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فأتته عناق وكان يهويها فى الجاهلية فقالت الاتخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بى فقال نعم ولكن استأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فنزلت (ولامة مؤمنة خير من مشركة) اى ولامرأة مؤمنة حرة كانت اومملوكة فان الناس كلهم عبيد الله واماؤه (ولو اعجبتكم) بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير (ولاتنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) ولاتزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه (ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم) تعليل للنهى عن مواصلتهم وترغيب فى مواصلة المؤمنين (اولئك) اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات (يدعون الى النار) اى الكفر المؤدى الى النار فلايليق موالاتهم ومصاهرتهم (والله يدعو) اى اولياؤه يعنى المؤمنين حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه تفخيما لشأنهم (الى الجنة والمغفرة) اى الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة (باذنه) بتوفيق الله تعالى وتيسيره اوبقضائه وارادته (ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون) لكى يتذكروا اوليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز فى العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى (ويسألونك عن المحيض) روى ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سأل ابوالدحداح فى نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجئ والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسألونك بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لان السؤالات الاول كانت فى اوقات متفرقة والثلاثة الاخيرة كانت فى وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع (قل هو اذى) اى الحيض شئ مستقذر مؤذ من يقربه نفرة منه (فاعتزلوا النساء فى المحيض) فاجتنبوا

(والآخرة) بالشفاعة والدرجات العلا (ومن المقربين) عندالله (ويكلم الناس فى المهد) أى طفلا قبل وقت الكلام (وكهلا ومن الصالحين قالت رب أنى) كيف (يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر) بتزوج ولاغيره (قال) الامر (كذلك) من خلق ولد منك بلا أب (الله يخلق مايشاء اذا قضى أمرا) أراد خلقه (فانما يقول له كن فيكون) أى فهو يكون (ونعلمه) بالنون والياء (الكتاب) الخط (والحكمة والتوراة والانجيل و) نجعله (رسولا الى بنى اسرائيل) فى الصبا أو بعد البلوغ فنفخ جبريل فى جيب درعها فحملت وكان من أمرها ماذكر فى سورة مريم فلما بعثه الله الى بنى اسرائيل قال لهم انى رسول الله اليكم (أنى) أى بأنى (قدجئتكم بآية) علامة على صدقى (من ربكم) هى (أنى) وفى قراءة بالكسر استئنافا (أخلق) أصور (لكم من الطين كهيئة الطير) مثل صورته فالكاف اسم مفعول (فأنفخ فيه)

مجامعتهن لقوله عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة (ولا تقربوهن حتى يطهرن) تأكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائى وعاصم فى رواية ابن عباس يطهرن اى يتطهرن بمعنى يغتسلن التزاما قوله (فاذا تطهرن فأتوهن) فانه يقتضى تأخير جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل (من حيث امركم الله) اى المأتى الذى امركم الله به وحلله لكم (ان الله يحب التوابين) من الذنوب (ويحب المتطهرين) اى المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان فى غير المأتى (نسائكم حرث لكم) مواضع حرث لكم شبهن بها تشبيها لما يلقى فى ارحامهن من النطف بالبذور (فأتوا حرثكم) اى فأتوهن كما يأتون المحارث وهو كالبيان لقوله فأتوهن من حيث امركم الله (انى شئتم) من اى جهة شئتم روى ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها فى قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (وقدموا لانفسكم) مايدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطئ (واتقوا الله) بالاجتناب عن معاصيه (واعلموا انكم ملاقوه) فتزودوا مالا تفتضحون به (وبشر المؤمنين) الكاملين فى الايمان بالكرامة والنعيم الدائم امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم (ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) نزلت فى الصديق رضى الله تعالى عنه لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة رضى الله عنها اوفى عبد الله بن رواحة حلف ان لا يتكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه و بين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما يعرض دون الشئ وللمعرض للامر ومعنى الآية على الاول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عليه السلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير

الضمير للكاف (فيكون طيرا) وفى قراءة طائرا (باذن الله) بارادته فخلق لهم الخفاش لانه أكمل الطير خلقا فكان يطيرو هم ينظرونه فاذا غاب عن أعينهم سقط ميتا (وأبرئ أشفى (الاكمه) الذى ولد أعمى (والابرص) وخصا بالذكر لانهما داآ اعياء وكان بعثه فى زمن الطب فأبرأ فى يوم خمسين ألفا بالدعاء بشرط الايمان (وأحيى الموتى باذن الله) كرره لنفى توهم الالوهية فيه فأحيى عازر صديقا له وابن العجوز وابنة العاشر فعاشوا وولد لهم وسام بن نوح ومات فى الحال (وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون) تخبؤن (فى بيوتكم) مما لم أعاينه فكان يخبر الشخص بما أكل وبما يأكل بعد (ان فى ذلك) المذكور (لآية لكم ان كنتم مؤمنين و) جئتكم (مصدقا لما بين يدى) قبلى (من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم) فيها فأحل لهم من السمك والطير مالا صيصية له وقيل أحل الجميع فبعض بمعنى كل (وجئتكم بآية

وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها
من معنى الاعتراض ويجوز ان تكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة
اى ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثانى ولا تجعلوه
معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع
كل حلاف مهين وان تبروا علة للنهى اى انهاكم عنه ارادة بركم وتقويكم
واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله تعالى والمجترئ
عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به فى اصلاح ذات البين (والله سميع)
لايمانكم (عليم) بنياتكم (لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم)
اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين مالا عقد معه كما
سبق به اللسان او تكلم به جاهلا لمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله
لمجرد التأكيد لقوله (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) والمعنى
لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما
او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم السنتكم وقال
ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم
بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها (والله
غفور) حيث لم يؤاخذكم باللغو (حليم) حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين
الجد تربصا للتوبة (للذين يؤلون من نسائهم) اى يحلفون على ان لا
يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى
البعد عدى بمن (تربص اربعة اشهر) مبتدأ ما قبله خبره او فاعل
الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف
على الاتساع اى للمولى حق التلبث فى هذه المدة فلا يطالب بفئ ولا طلاق
ولذلك قال الشافعى لا ايلاء الا فى اكثر من اربعة اشهر ويؤيده (فان فاؤا)
اى رجعوا فى اليمين بالحنث (فان الله غفور رحيم) للمولى اثم حنثه اذا كفر
وما توخى بالايلاء من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة التى هى كالتوبة (وان
عزموا الطلاق) وان صمموا قصده (فان الله سميع) لطلاقهم (عليم)
بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة الايلاء فى اربعة اشهر فما فوقها وحكمه ان
المولى ان فاء فى المدة بالوطئ ان قدر وبالوعد ان عجز صح الفئ ولزم الواطئ
ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين
فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم (والمطلقات) يريد بها المدخول بهن

من ربكم) كرره تأكيدا
وليبنى عليه (فاتقوا الله
وأطيعون) فيما آمركم به
من توحيد الله وطاعته (ان الله
ربى وربكم فاعبدوه هذا)
الذى آمركم به (صراط)
طريق (مستقيم) فكذبوه
ولم يؤمنوا به (فلما أحس)
علم (عيسى منهم الكفر)
وأرادوا قتله (قال من أنصارى)
أعوانى ذاهبا (الى الله)
لانصر دينه (قال الحواريون
نحن أنصار الله) أعوان
دينه وهم أصفياء عيسى أول
من آمن به وكانوا اثنى عشر
رجلا من الحور وهو البياض
الخالص وقيل كانوا قصارين
يحورون الثياب أى يبيضونها
(آمنا) صدقنا (بالله
واشهد) ياعيسى (بانا مسلمون
ربنا آمنا بما أنزلت)
من الانجيل (واتبعنا الرسول)
عيسى (فاكتبنا مع الشاهدين)
لك بالوحدانية ولرسولك
بالصدق قال تعالى (ومكروا)
أى كفار بنى اسرائيل بعيسى
اذ وكلوا به من يقتله غيلة
(ومكر الله) بهم بان ألقى
شبه عيسى على من قصد قتله
فقتلوه ورفع عيسى الى السماء

من ذوات اقراء لما دلت الآيات والاخبار أن حكم غيرهن خلاف ماذكر (يتربصن) خبر بمعنى الامر وتغيير العبارة للتأكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكأن المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك فى الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدأ يزيده فضل تأكيد (بانفسهن) تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص (ثلاثة قروء) نصب على الظرف او المفعول به اى يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عليه الصلاة والسلام دعى الصلاة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين الحضين كقول الاعشى « مورثة مالا وفى الحى رفعة * لما ضاع فيها من قروء نسائكا » واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به فى الآية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قال الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اى وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون فى الحيض واما قوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ماروا ه الشيخان فى قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التى امر الله تعالى ان تطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر بصيغة القلة التى هى الاقراء ولكنهم يتسعون فى ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين مكان الآخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها (ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن) من الولد والحيض استعجالا فى العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول فى ذلك (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) ليس المراد منه تقييد نفى الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافى الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغى له ان يفعل (وبعولتهن) اى ازواج المطلقات (احق بردهن) الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للآية التى تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة والخؤلة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف اى واهل بعولتهن وافعل ههنا بمعنى الفاعل (فى ذلك) اى فى زمان التربص (ان ارادوا اصلاحا

(والله خير الماكرين) أعلمهم به اذكر (اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك) قابضك (ورافعك الى) من الدنيا من غير موت (ومطهرك) مبعدك (من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك) صدقوا بنبوتك من المسلمين والنصارى (فوق الذين كفروا) بك وهم اليهود يعلونهم بالحجة والسيف (الى يوم القيامة ثم الى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين (فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا) بالقتل والسبى والجزية (والآخرة) بالنار (ومالهم من ناصرين) مانعين منه (وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم) بالياء والنون (أجورهم والله لا يحب الظالمين) أى يعاقبهم روى أن الله أرسل اليه سحابة فرفعته فتعلقت به أمه وبكت فقال لها ان القيامة تجمعنا وكان ذلك ليلة القدر ببيت المقدس وله ثلاث وثلاثون سنة وعاشت أمه بعده ست سنين وروى الشيخان

بالرجعة لاضرار المرأة وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف) اى ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن فى الوجوب واستحقاق المطالبة عليها الا فى الجنس (وللرجال عليهن درجة) زيادة فى الحق وفضل فيه لان حقوقهم فى انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها اوشرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشار كونهن فى غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق (والله عزيز) يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام (حكيم) يشرعها لحكم ومصالح (الطلاق مرتان) اى التطليق الرجعى اثنتان لماروى انه صلى الله عليه وسلم سئل اين الثالثة فقال عليه السلام اوتسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعى تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة (فامساك بمعروف) بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول (اوتسريح باحسان) بالطلقة الثالثة اوبان لايرجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقب به تعليمهم كيفية التطليق (ولايحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا) اى من الصدقات روى ان جميلة بنت عبدالله ابن ابى بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لاانا ولاثابت لايجمع رأسى ورأسه شئ والله ماعيبه فى دين ولاخلق ولكنى اكره الكفر فى الاسلام وماطيقه بغضا انى رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل فى عدة فاذا هواشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذوالايتاء اليهم لانهم الآمرون بهما عندالترافع وقيل انه خطاب للازواج ومابعده خطاب للحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة (الاان يخافا) اى الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن (ان لايقيما حدود الله) بترك اقامة احكامه من موجب الزوجية وقرأحمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب (فان خفتم) ايها الحكام (ان لايقيما حدود الله فلاجناح عليهما فيما افتدت به) على الرجل فى اخذما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المرأة فى اعطائه

حديث أنه ينزل قرب الساعة ويحكم بشريعة نبينا ويقتل الدجال والخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية وفى حديث مسلم أنه يمكث سبع سنين وفى حديث عند أبى داود الطيا لسى أربعين سنة ويتوفى ويصلى عليه فيحتمل أن المراد مجموع لبثه فى الارض قبل الرفع وبعده (ذلك) المذكور من أمر عيسى (نتلوه) نقصه (عليك) يامحمد (من الآيات) حال من الهاء فى نتلوه وعامله (والذكر الحكيم) المحكم أى القرآن (ان مثل عيسى) شأنه القريب (عندالله كمثل آدم) كشأنه فى خلقه من غيرأب وهو من تشبيه الغريب بالاغرب ليكون أقطع للخصم وأوقع فى النفس (خلقه) أى آدم أى قالبه (من تراب ثم قال له كن) بشرا (فيكون) أى فكان وكذلك عيسى قال له كن من غير أب فكان (الحق من ربك) خبر مبتدأ محذوف أى أمر عيسى (فلاتكن من الممترين) الشاكين فيه (فمن حاجك

(تلك حدود الله) اشارة الى ماحد من الاحكام (فلا تعتدوها) فلا
تعدوها بالمخالفة (ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون) تعقيب للنهى
بالوعيد مبالغة فى التهديد واعلم ان ظاهر الآية يدل على ان الخلع لايجوز
من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ماساق الزوج اليها فضلا عن الزائد
ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ايما امرأة سألت زوجها طلاقا فى غير
بأس فحرام عليها رائحة الجنة وماروى انه عليه الصلاة والسلام قال لجميلة
أتردين عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه السلام
اما الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لايدل
على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه تعالى سماه افتداء واختلف
فى انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق هل هو فسخ او طلاق ومن جعله
فسخا احتج بقوله (فان طلقها) فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين
يقتضى ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه فرقة
باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله
الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع
دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها
بعد الثنتين (فلا تحل له من بعد) من بعد ذلك الطلاق (حتى تنكح
زوجا غيره) حتى يتزوج غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج
وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور
على انه لابد من الاصابة لماروى ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ان رفاعة طلقنى فبت طلاقى وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجنى
وان مامعه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين
ان ترجعى الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك
فالآية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد
مستفادا من لفظ الزوج والحكمة فى هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق
والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند
الاكثر وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم المحلل والمحلل له (فان طلقها) الزوج الثانى (فلا جناح عليهما
ان يتراجعا) ان يرجع كل من المرأة والزوج الاول الى الآخر بالزواج (ان
ظنا ان يقيما حدود الله) ان كان فى ظنهما انهما يقيمان ماحدده الله وشرعه

جادلك من النصارى (فيه
من بعد ماجاءك من العلم) بامره
(فقل) لهم (تعالوا ندع
أبناءنا وأبناءكم ونساءنا
ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم)
فنجمعهم (ثم نبتهل) نتضرع
فى الدعاء (فنجعل لعنة الله على
الكاذبين) بان نقول اللهم العن
الكاذب فى شأن عيسى وقد دعا
صلى الله عليه وسلم وفد نجران
لذلك لما حاجوه فيه فقالوا
حتى ننظر فى أمرنا ثم نأتيك
فقال ذو رأيهم لقد عرفتم نبوته
وانه ماباهل قوم نبيا الا هلكوا
فوادعوا الرجل وانصرفوا
فاتوه وقد خرج ومعه الحسن
والحسين وفاطمة وعلى
وقال لهم اذا دعوت فأمنوا
فابوا أن يلاعنوا وصالحوه
على الجزية رواه أبو نعيم وعن
ابن عباس قال لو خرج الذين
يباهلون لرجعوا لايجدون
مالا ولا أهلا وروى لو خرجوا
لاحترقوا (ان هذا) المذكور
(لهو القصص) الخبر
(الحق) الذى لاشك فيه
(ومامن) زائدة (اله الا الله
وان الله لهو العزيز)
فى ملكه (الحكيم) فى صنعه
(فان تولوا) أعرضوا عن

من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم ولا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافى العلم (وتلك حدود الله) اى الاحكام المذكورة (يبينها لقوم يعلمون) يفهمون ويعملون بمقتضى العلم (واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن) اى آخر عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذى به ينتهى قال « كل حى مستكمل مدة العمر * ومود اذا انتهى اجله » والبلوغ هو الوصول الى الشئ وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد فى الآية ليصح ان يترتب عليه (فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف) اذلا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضى عدتهن من غير تطويل وهو اعادة للحكم فى بعض صوره للاهتمام به (ولا تمسكوهن ضرارا) ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها ليطول العدة عليها فنهى عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين (لتعتدوا) لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بضرارا اذ المراد تقييده (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) بتعريضها للعقاب (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) بالاعراض عنها والتهاون فى العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد فى الامر انما انت هازئ كأنه نهى عن الهزوء واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه السلام * ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق (واذكروا نعمة الله عليكم) التى من جملتها الهداية وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم بالشكر والقيام بحقوقها (وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة) القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما (يعظكم به) بما انزل عليكم (واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شئ عليم) تأكيد وتهديد (واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن) اى انقضت عدتهن وعن الشافعى رحمه الله تعالى دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين (فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن) المخاطب به الاولياء لما روى انها نزلت فى معقل بن يسار حين عضل اخته جميلان ترجع الى زوجها الاول بالاستئناف فيكون دليلا على ان المرأة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولى معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه

الايمان (فان الله عليم بالمفسدين) فيجازيهم وفيه وضع الظاهر موضع المضمر (قل يا اهل الكتاب) اليهود والنصارى (تعالوا الى كلمة سواء) مصدر بمعنى مستو أمرها (بيننا وبينكم) هى (أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) كما اتخذتم الاحبار والرهبان (فان تولوا) أعرضوا عن التوحيد (فقولوا) أنتم لهم (اشهدوا بأنا مسلمون) موحدون * ونزل لما قال اليهود ابراهيم يهودى ونحن على دينه وقالت النصارى كذلك (يا اهل الكتاب لم تحاجون) تخاصمون (فى ابراهيم) بزعمكم أنه على دينكم (وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده) بزمن طويل وبعد نزولهما حدثت اليهودية والنصرانية (أفلا تعقلون) بطلان قولكم (ها) للتنبيه (أنتم) مبتدأ يا (هؤلاء) والخبر (حاججتم فيما لكم به علم) من أمر موسى وعيسى وزعمكم أنكم على دينهما (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) من شأن ابراهيم (والله يعلم) شأنه

بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساء هم بعد مضى العدة ولايتركوهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم النساء وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم والمعنى لايوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذاوجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذ نشب بيضها فلم يخرج (اذا تراضوا بينهم) اى الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن اولا تعضلوهن (بالمعروف) بما يعرفه الشرع وتستحسنه المروءة حال من الضمير المرفوع اوصفة مصدر محذوف اى تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من غير كفوء غير منهى عنه (ذلك) اشارة الى مامضى ذكره والخطاب للجمع على تأويل القبيل اوكل واحد اوان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضى دون تعيين المخاطبين اوللرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله ياايها النبى اذاطلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لايكاد يتصوره كل احد (يوعظ به من كان منكم يؤ من بالله واليوم الآخر) لانه المتعظ به والمنتفع (ذلكم) اى العمل بمقتضى ماذكر (ازكى لكم) انفع (واطهر) من دنس الآثام (والله يعلم) مافيه من النفع والصلاح (وانتم لاتعلمون) لقصور علمكم (والوالدات يرضعن اولادهن) امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب اوالوجوب فيختص بما اذا لم يرتضع الصبى الامن امه اولم يوجد له ظئر اوعجز الوالد عن الاستيجار والوالدات تعم المطلقات وغيرهن وقيل تختص بهن اذا لكلام فيهن (حولين كاملين) اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه (لمن اراد ان يتم الرضاعة) بيان للمتوجه اليه الحكم اى ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة وقيل اللام متعلقة بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضعه له وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع حولان ولاعبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه (وعلى المولود له) اى الذى يولد له يعنى الوالد فان الولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضى لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه (رزقهن وكسوتهن) اجرة لهن واختلف فى استيجار الام فجوزه الشافعى ومنعه ابوحنيفة مادامت زوجة اومتعدة نكاح (بالمعروف) حسب ماراه الحاكم ويفى به وسعه (لاتكلف نفس الاوسعها) تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل

(وأنتم لاتعلمون) قال تعالى تبرئة لابراهيم (ماكان ابراهيم يهوديا ولانصرانيا ولكن كان حنيفا) مائلا عن الاديان كلها الى الدين القيم (مسلما) موحدا (وماكان من المشركين ان أولى الناس) أحقهم (بابراهيم للذين اتبعوه) فى زمانه (وهذا النبى) محمد لموافقته له فى اكثر شرعه (والذين آمنوا) من أمته فهم الذين ينبغى أن يقولوا نحن على دينه لاأنتم (والله ولى المؤمنين) ناصرهم وحافظهم * ونزل لما دعا اليهود معاذا وحذيفة وعمارا الى دينهم (ودت طائفة من اهل الكتاب لويضلونكم ومايضلون الاأنفسهم) لان اثم اضلالهم عليهم والمؤمنون لايطيعونهم فيه (ومايشعرون) بذلك (يااهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) القرآن المشتمل على نعت محمد (وأنتم تشهدون) تعلمون أنه حق (يأاهل الكتاب لم تلبسون) تخلطون (الحق بالباطل) بالتحريف والتزوير (وتكتمون الحق) أى نعت

على انه تعالى لايكلف العبد بما لايطيقه وذلك لايمنع امكانه (لاتضار والدة بولدها ولامولود له بولده) تفصيل له وتقرير اى لايكلف كل منهما الآخر ماليس فى وسعه ولايضاره بسبب الولد وقرأ ابن كثير وابوعمرو ويعقوب لاتضار بالرفع بدلا من قوله لاتكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل او الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اى لايضر الوالدة بالولد فيفرط فى تعهده ويقصر فيما ينبغى له وقرئ لاتضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليهما تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق فلا ينبغى ان يضارا به او يتضارا بسببه (وعلى الوارث مثل ذلك) عطف على قوله * وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن * ومابينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبى اى مؤن المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقى من الابوين من قوله عليه الصلاة والسلام * واجعله الوارث منا * وكلا القولين يوافق مذهب الشافعى اذ لانفقة عنده فيما عدا الولادة وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابى ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابى حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابوزيد وذلك اشارة الى ماوجب على الاب من الرزق والكسوة (فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور) اى فصالا صادرا عن التراضى منهما والتشاور بينها قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة والمشورة استخراج الرأى من شرت العسل اذا استخرجته (فلا جناح عليهما) فى ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة الصلاح الطفل وحذار ان يقدم احدهما على مايضر به لغرض (وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم) اى تسترضعوا المراضع لاولادكم يقال ارضعت المرأة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتى واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه (فلاجناح عليكم) فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع الولد ويمنع الزوجة من الارضاع (اذاسلمتم) الى المراضع (ماآتيتم) مااردتم ايتاءه كقوله تعالى * اذاقمتم الى الصلوة * وقرأ ابن كثير ماأتيتم من اتى اليه احسانا اذافعله وقرئ اوتيتم اى ماآتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة (بالمعروف) صلة سلمتم اى بالوجه المتعارف

النبى (وأنتم تعلمون) أنه حق (وقالت طائفة من أهل الكتاب) اليهود لبعضهم (آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا) أى القرآن (وجه النهار) أوله (واكفروا) به (آخره لعلهم) أى المؤمنين (يرجعون) عن دينهم اذ يقولون مارجع هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه وهم أولو علم الا لعلمهم بطلانه وقالوا أيضا (ولاتؤمنوا) تصدقوا (الالمن) اللام زائدة (تبع) وافق (دينكم) قال تعالى (قل) لهم يامحمد (ان الهدى هدى الله) الذى هو الاسلام وماعداه ضلال والجملة اعتراض (أن) أى بأن (يؤتى أحد مثل ماأوتيتم) من الكتاب والحكمة والفضائل وأن مفعول تؤمنوا والمستثنى منه أحد قدم عليه المستثنى والمعنى لاتقروا بأن أحدا يؤتى ذلك الالمن تبع دينكم (أو) بأن (يحاجوكم) أى المؤمنون يغلبوكم (عند ربكم) يوم القيامة لانكم أصح دينا وفى قراءة أأن بهمزة التوبيخ أى أ ايتاء أحد مثله تقرون

المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ماقبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ماهو الاولى والاصلح للطفل (واتقوا الله) مبالغة فى المحافظة على ماشرع فى امر الاطفال والمراضع (واعلموا ان الله بما تعملون بصير) حث وتهديد (والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا) اى وازواج الذين او والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اى يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالى لانها غرر الشهور والايام ولذلك لايستعملون التذكير فى مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله تعالى * ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما * ولعل المقتضى لهذا التقدير ان الجنين فى غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته فى المبادى فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضى تساوى المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعى والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى * واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن * وعن على وابن عباس انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا (فاذا بلغن اجلهن) اى انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) ايها الائمة او المسلمون جميعا (فيما فعلن فى انفسهن) من التعرض للخطاب وسائر ماحرم عليهن للعدة (بالمعروف) بالوجه الذى لاينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ماينكره فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح (والله بما تعملون خبير) فيجازيكم عليه (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء) التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية هى الدلالة على الشئ بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة او نافعة ومن غرضى ان اتزوج ونحو ذلك (او اكننتم فى انفسكم) او اضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا (علم الله انكم ستذكرونهن) ولاتصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ (ولكن لاتواعدوهن سرا)

به قال تعالى (قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) فمن أين لكم أنه لايؤتى أحد مثل ما أوتيتم (والله واسع) كثير الفضل (عليم) بمن هو أهله (يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار) أى بمال كثير (يؤده اليك) لامانته كعبد الله ابن سلام أودعه رجل ألفا ومائتى أوقية ذهبا فاداها اليه (ومنهم من ان تأمنه بدينار لايؤده اليك) لخيانته (الا مادمت عليه قائما) لاتفارقه فمتى فارقته أنكره ككعب بن الاشرف استودعه قرشى دينارا فجحده (ذلك) أى ترك الاداء (بأنهم قالوا) بسبب قولهم (ليس علينا فى الاميين) أى العرب (سبيل) أى اثم لاستحلالهم ظلم من خالف دينهم ونسبوه اليه تعالى قال تعالى (ويقولون على الله الكذب) فى نسبة ذلك اليه (وهم يعلمون) أنهم كاذبون (بلى) عليهم فيهم سبيل (من أوفى بعهده) الذى عاهد الله عليه أو بعهد الله

استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اى فاذكروهن ولكن
لاتواعدوهن نكاحا اوجماعا عبر بالسر عن الوطئ لانه مما يسر ثم عن
العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لاتواعدوهن فى السر على ان المعنى
بالمواعدة فى السر المواعدة بمايستهجن (الا ان تقولوا قولا معروفا) وهو ان
تعرضوا ولاتصرحوا والمستثنى منه محذوف اى لاتواعدوهن مواعدة
الامواعدة معروفة اوالامواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع
من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لاتواعدوهن الاالتعريض وهو غير
موعود وفيه دليل حرمة التصريح بخطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت
معتدة وفاة واختلف فى معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه (ولاتعزموا
عقدة النكاح) ذكر العزم مبالغة فى النهى عن العقد اى ولاتعزموا
عقد عقدة النكاح وقيل معناه لاتقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع
(حتى يبلغ الكتاب اجله) حتى ينتهى ماكتب من العدة (واعلموا ان الله
يعلم مافى انفسكم) من العزم على مالايجوز (فاحذروه) ولاتعزموا
(واعلموا ان الله غفور) لمن عزم ولم يفعل خشية من الله (حليم)
لايعاجلكم بالعقوبة (لاجناح عليكم) لاتبعة من مهر وقيل من وزر
لانه لابدعة فى الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم
يكثر النهى عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفى (ان طلقتم النساء مالم
تمسوهن) اى تجامعوهن وقرأ حمزة والكسائى تماسوهن بضم التاء
ومد الميم فى جميع القرآن (اوتفرضوا لهن فريضة) الا ان تفرضوا
اوحتى تفرضوا اووتفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على
المفعول به فعيلة بمعنى المفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية
ويحتمل المصدر والمعنى انه لاتبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت
المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهرا اذ لوكانت ممسوسة فعليه المسمى اومهر
المثل ولوكانت غير ممسوسة ولكن سمى لها فلها نصف المسمى فمنطوق
الآية ينفى الوجوب فى الصورة الاولى ومفهومها يقتضى الوجوب على
الجملة فى الاخيرتين (ومتعوهن) عطف على مقدر اى فطلقوهن
ومتعوهن والحكمة فى ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض
الى رأى الحاكم ويؤيده قوله (على الموسع قدره وعلى المقتر قدره)
اى على كل من الذى له سعة والمقتر الضيق الحال مايطيقه ومايليق به

اليه من أداء الامانة وغيره
(واتقى) الله بترك المعاصى
وعمل الطاعات (فان الله
يحب المتقين) فيه وضع
الظاهر موضع المضمر أى
يحبهم بمعنى يثيبهم * ونزل
فى اليهود لمابدلوا نعت النبى
وعهد الله اليهم فى التوراة
أوفيمن حلف كاذبا فى دعوى
أوفى بيع سلعة (ان الذين
يشترون) يستبدلون
(بعهد الله) اليهم فى الايمان
بالنبى وأداء الامانة (وأيمانهم)
حلفهم به تعالى كاذبين (ثمنا
قليلا) من الدنيا (أولئك
لاخلاق) نصيب (لهم فى
الآخرة ولايكلمهم الله) غضبا
عليهم (ولاينظر اليهم)
يرحمهم (يوم القيامة ولايزكيهم)
يطهرهم (ولهم عذاب
اليم) مؤلم (وان منهم)
أى أهل الكتاب (لفريقا)
طائفة ككعب بن الاشرف
(يلوون ألسنتهم بالكتاب)
أى يعطفونها بقراءته عن
المنزل الى ماحرفوه من نعت
النبى ونحوه (لتحسبوه)
أى المحرف (من الكتاب)
الذى أنزله الله (وماهو

ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام لانصارى طلق امرأته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك وقال ابوحنيفة هى درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها من ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الآية يقتضى تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التى لم يمسها الزوج والحق بها الشافعى فى احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وقرأ حمزة وحفص وابن ذكوان بفتح الدال (متاعا) تمتيعا (بالمعروف) بالوجه الذى يستحسنه الشرع والمروءة (حقا) صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا (على المحسنين) الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا (وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم) لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها اى فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفى ثمة تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها (الا ان يعفون) اى المطلقات فلا يأخذن شيأ والصيغة تحتمل التذكير والتأنيث والفرق ان الواو فى الاول ضمير والنون علامة الرفع وفى الثانى لام الفعل والنون ضمير والفعل مبنى ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه (او يعفو الذى بيده عقدة النكاح) اى الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنيفة وقيل الولى الذى يلى عقدى نكاحهن وذلك اذا كانت المرأة صغيرة وهو قول قديم للشافعى رحمه الله (وان تعفوا اقرب للتقوى) يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الآخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو (ولا تنسوا الفضل بينكم) اى ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض (ان الله بما تعملون بصير) لا يضيع تفضلكم واحسانكم (حافظوا على الصلوات) بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها فى تضاعيف احكام الاولاد

من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) أنهم كذبوا * ونزل لما قال نصارى نجران ان عيسى أمرهم أن يتخذوه ربا أولما طلب بعض المسلمين السجود له صلى الله عليه وسلم (ما كان) ينبغى (لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم) أى الفهم للشريعة (والنبوة ثم يقول للناس كونوا اعبادا لى من دون الله ولكن) يقول (كونوا ربانيين) علماء عاملين منسوب الى الرب بزيادة ألف ونون تفخيما (بما كنتم تعلمون) بالتخفيف والتشديد (الكتاب وبما كنتم تدرسون) اى بسبب ذلك فان فائدته أن تعلموا (ولا يأمركم) بالرفع استئنافا أى الله والنصب عطفا على يقول أى البشر (أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) كما اتخذت الصابئة الملائكة واليهود عزيرا والنصارى عيسى (أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) لا ينبغى له هذا

والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها (والصلاة الوسطى) اى الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا وهى صلاة العصر لقوله عليه الصلاة والسلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس فى وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلاة الظهر لانها فى وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل لقوله عليه الصلاة والسلام افضل العبادات احمزها وقيل الفجر لانها بين صلاتى النهار والليل والواقعة فى الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين بين طرفى الليل وعن عائشة رضى الله عنها انه عليه الصلاة والسلام يقرأ والصلاة الوسطى وصلاة العصر فتكون صلاة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص (وقوموا لله) فى الصلاة (قانتين) ذاكرين له فى القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت فى الصبح (فان خفتم) من عدو او غيره (فرجالا او ركبانا) فصلوا راجلين او راكبين ورجال جمع راجل او رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلاة حال المسايفة واليه ذهب الشافعى وقال ابو حنيفة لا يصلى حال المشى والمسايفة مالم يمكن الوقوف (فاذا امنتم) وزال خوفكم (فاذكروا الله) صلوا صلاة الامن او اشكروه على الامن (كما علمكم) ذكرا مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية الصلاة حالتى الخوف والامن او شكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة (مالم تكونوا تعلمون) مفعول علمكم (والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم) قرأها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه وقرأ الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون اهل وصية او كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع بدلها (متاعا الى الحول) نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية او بمتاع على قراءة من قرأه لانه بمعنى التمتيع (غير اخراج) بدل منه او مصدر مؤكد كقولك

(و) اذكر (اذ) حين (أخذ الله ميثاق النبيين) عهدهم (لما) بفتح اللام للابتداء وتوكيد معنى القسم الذى فى أخذ الميثاق وكسرها متعلقة بأخذ وما موصولة على الوجهين أى للذى (آتيتكم) اياه وفى قراءة آتيناكم (من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم) من الكتاب والحكمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم (لتؤمنن به ولتنصرنه) جواب القسم ان أدركتموه وأممهم تبع لهم فى ذلك (قال) تعالى لهم (أأقررتم) بذلك (وأخذتم) قبلتم (على ذلكم اصرى) عهدى (قالوا أقررنا قال فاشهدوا) على أنفسكم وأتباعكم بذلك (وأنا معكم من الشاهدين) عليكم وعليهم (فمن تولى) أعرض (بعد ذلك) الميثاق (فأولئك هم الفاسقون أفغير دين الله يبغون) بالياء أى المتولون والتاء (وله أسلم) انقاد (من فى السموات والارض طوعا) بلا اباء (وكرها) بالسيف ومعاينة

مايلجىء اليه (واليه ترجعون) بالتاء والياء والهمزة للانكار (قل) لهم يامحمد (آمنا بالله وماأنزل علينا وماأنزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) أولاده (وماأوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم) بالتصديق والتكذيب (ونحن له مسلمون) مخلصون في العبادة ونزل فيمن ارتد ولحق بالكفار (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) لمصيره الى النار المؤبدة عليه (كيف) أي لا (يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا) أي وشهادتهم (أن الرسول حق و) قد (جاءهم البينات) الحجج الظاهرات على النبي (والله لايهدى القوم الظالمين) أي الكافرين (أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها) أي اللعنة أو النار

هذا القول غير ماتقول اوحال من ازواجهم اى غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى والنفقة وكان ذلك فى اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما فى التلاوة فهو متأخر فى النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع اوالثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابى حنيفة رحمه الله (فان خرجن) عن منزل الازواج (فلاجناح عليكم) ايها الائمة (فيما فعلن فى انفسهن) كالتطيب وترك الحداد (من معروف) مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة و بين الخروج وتركها (والله عزيز) ينتقم ممن خالفه منهم (حكيم) راعى مصالحهم (وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين) اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعد ما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لايخصصه الااذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بمايعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة و يجوز ان تكون اللام للعهد والتكرير للتأكيد اولتكرير القصة (كذلك) اشارة الى ماسبق من احكام الطلاق والعدة (يبين الله لكم آياته) وعد بانه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام مايحتاجون اليه معاشا ومعادا (لعلكم تعقلون) لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها (الم تر) تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم يرومن لم يسمع فانه صار مثلا فى التعجيب (الى الذين خرجوا من ديارهم) يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا و يتيقنوا ان لامفر من قضاء الله تعالى وقدره اوقوما من بنى اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم (وهم الوف) اى الوف كثيرة عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون وقيل متألفون جمع الف اوآلف كقاعد وقعود والواو للحال (حذر الموت) مفعول له (فقال لهم الله موتوا) اى قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله ومشيئته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تعالى تخويفا وتهويلا (ثم احياهم) قيل مر حزقيل

عليه السلام على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم
فتعجب من ذلك فاوحى الله تعالى اليه نادفيهم ان قوموا باذن الله تعالى
فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لااله الاانت وفائدة القصة
تشجيع المسلمين على الجهاد والتعريض للشهادة وحثهم على التوكل
والاستسلام للقضاء (ان الله لذوفضل على الناس) حيث احياهم
ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم ليستبصروا (ولكن اكثر الناس
لايشكرون) اى لايشكرونه كماينبغى ويجوزان يراد بالشكر الاعتبار
والاستبصار (وقاتلوا فى سبيل الله) لمابين ان الفرار من الموت غير مخلص
وان المقدر لامحالة واقع امرهم بالقتال اذ لوجاء اجلهم ففى سبيل الله
والافالنصر والثواب (واعلموا ان الله سميع) لمايقوله المتخلف والسابق
(عليم) بمايضمر انه وهومن وراء الجزاء (من ذا الذى يقرض الله)
من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذى صفة ذا
او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل الذى يطلب به ثوابه (قرضا حسنا)
اقراضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس اومقرضا حلالا طيبا وقيل
القرض الحسن المجاهدة والانفاق فى سبيل الله (فيضاعفه له) فيضاعف
جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم بالنصب على جواب
الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذى يقرض الله فى معنى أيقرض
الله احد وقرأ ابن كثير فيضعفه بالرفع والتشديد وابن عامر ويعقوب بالنصب
(اضعافا كثيرة) لايقدرها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا جمع ضعف
ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثانى لتضمن المضاعفة معنى
التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع (والله يقبض
ويبسط) يقتر على بعض ويوسع على بعض حسب مااقتضت حكمته فلاتبخلوا
عليه بماوسع عليكم كيلا يبدل حالكم وقرأ نافع والكسائى والبزى وابو بكر
بالصاد ومثله فى الاعراف فى قوله تعالى *وزادكم فى الخلق بصطة* (واليه
ترجعون) فيجازيكم حسب ماقدمتم (الم تر الى الملأ من بنى اسرائيل)
الملأ جماعة يجتمعون للتشاور لاواحد له كالقوم ومن للتبعيض (من بعد موسى)
اى من بعد وفاته ومن للابتداء (اذ قالوا لنبى لهم) هو يوشع او شمعون
او اشمويل عليهم السلام (ابعث لناملكا نقاتل فى سبيل الله) اقم لنا اميرا ننهض معه
للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رأيه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ

المدلول بها عليها (لايخفف
عنهم العذاب ولاهم ينظرون)
يمهلون (الا الذين تابوا من
بعد ذلك وأصلحوا) عملهم
(فان الله غفور) لهم (رحيم)
بهم * ونزل فى اليهود (ان
الذين كفروا) بعيسى (بعد
ايمانهم) بموسى (ثم ازدادوا
كفرا) بمحمد (لن تقبل توبتهم)
اذا غرغروا أوماتوا كفارا
(وأولئك هم الضالون ان
الذين كفروا وماتوا وهم
كفار فلن يقبل من أحدهم
ملء الارض) مقدار مايملؤها
(ذهبا ولو افتدى به) أدخل
الفاء فى خبر ان لشبه الذين
بالشرط وايذانا بتسبب عدم
القبول عن الموت على الكفر
(أولئك لهم عذاب أليم)
مؤلم (ومالهم من ناصرين)
مانعين منه (لن تنالوا البر)
أى ثوابه وهو الجنة (حتى
تنفقوا) تصدقوا (مما تحبون)
من أموالكم (وما تنفقوا من
شئ فان الله به عليم) فيجازى
عليه * ونزل لما قال اليهود انك
تزعم أنك على ملة ابراهيم وكان
لايأكل لحوم الابل وألبانها
(كل الطعام كان حلا) حلالا
(لبنى اسرائيل الا ماحرم

بالرفع على انه حال اى ابعثه لنا مقدرين القتال و يقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا (قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لاتقاتلوا) فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى أتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا وقرأ نافع عسيتم بكسر السين (قالوا ومالنا ان لانقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا) اى اى غرض لنا فى ترك القتال وقد عرض لنا مايوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وظهروا على بنى اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا الادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين (فلما كتب عليهم القتال تولوا الاقليلا منهم) ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم على ظلمهم فى ترك الجهاد (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) طالوت علم عبرى كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روى ان نبيهم عليه السلام لما دعا الله ان يملكهم اتى بعصا يقاس من يملك عليهم فلم يساوها الاطالوت (قالوا انى يكون له الملك علينا) من اين يكون له ذلك و يستأهل (ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) والحال انا احق بالملك منه وراثة ومكنة وانه فقير لامال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا اوسقاء اودباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة فى اولاد لاوى بن يعقوب والملك فى اولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق (قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم) لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه ردعليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا فى القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لاماذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بانه واسع الفضل يوسع الفقير و يغنيه عليم

اسرائيل) يعقوب (على نفسه) وهو الابل لما حصل له عرق النسا بالفتح والقصر فنذر ان شفى لاياً كلها فحرم عليهم (من قبل أن تنزل التوراة) وذلك بعد ابرهيم ولم تكن على عهده حراما كما زعموا (قل) لهم (فأتوا بالتوراة فاتلوها) ليتبين صدق قولكم (ان كنتم صادقين) فيه فبهتوا ولم يأتوا بها قال تعالى (فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك) أى ظهور الحجة بأن التحريم انما كان من جهة يعقوب لاعلى عهد ابراهيم (فاولئك هم الظالمون) المتجاوزون الحق الى الباطل (قل صدق الله) فى هذا كجميع ما أخبر به (فاتبعوا ملة ابراهيم) التى أنا عليها (حنيفا) مائلا عن كل دين الى الاسلام (وما كان من المشركين) * ونزل لما قالوا قبلتنا اقبل قبلتكم (ان أول بيت وضع) متعبد (للناس) فى الارض (للذى ببكة) بالتاء لغة فى مكة سميت بذلك لانها تبك أعناق الجبابرة أى تدقها بناه الملائكة قبل خلق آدم ووضع بعده الاقصى

بمن يليق بالملك من النسب وغيره (وقال لهم نبيهم) لما طلبوا منه حجة
على انه سبحانه وتعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم (ان آية ملكه
ان يأتيكم التابوت) الصندوق فعلوت من التوب وهو الرجوع فانه لا يزال
يرجع اليه مايخرج منه وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقلق ومن قراءه
بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التأنيث لاشتراكهما فى الهمس
والزيادة يريد به صندوق التورية وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب
نحوا من ثلاثة اذرع فى ذراعين (فيه سكينة من ربكم) الضمير للاتيان
اى فى اتيانه سكون لكم وطمأنينة اوللتابوت اى مودع فيه ماتسكنون
اليه وهو التورية وكان موسى عليه السلام اذاقاتل قدمه فتسكن نفوس
بنى اسرائيل ولايفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد اوياقوت لها رأس
وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فتأن فيزف التابوت نحو العدو وهم
يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم
الى محمد عليهم الصلاة والسلام وقيل التابوت هو القلب والسكينة مافيه
من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقرا للعلم والوقار بعد ان لم يكن
(وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) رضاض الالواح وعصى موسى
وثيابه وعمامة هرون وآلهما ابناؤهما وانفسهما والآل مقحم لتفخيم
شأنهما اوانبياء بنى اسرائيل لانهم ابناء عمهما (تحمله الملائكة) قيل
رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده
مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان فى ارض
جالوت الى ان ملك الله طالوت فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن
فتشأموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت
(ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) يحتمل ان يكون من تمام كلام
النبى عليه السلام وان يكون ابتداء خطاب من الله تعالى (فلما فصل طالوت
بالجنود) انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه
ولكن لما كثر حذف مفعول صار كاللازم روى انه قال لهم لا يخرج معى
الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت
قيظا فسلكوا مفازة وسألوا ان يجرى الله لهم نهرا (قال ان الله مبتليكم
بنهر) معاملكم معاملة المختبر بمااقترحتموه (فمن شرب منه فليس منى)
فليس من اشياعى اوليس بمتحد معى (ومن لم يطعمه فانه منى) اى ومن لم يذقه

وبينهما أربعون سنة كما
فى حديث الصحيحين وفى حديث
انه أول ماظهر على وجه الماء
عند خلق السموات والارض
زبدة بيضاء فدحيت الارض
من تحته (مباركا) حال من الذى
أى ذا بركة (وهدى للعالمين)
لانه قبلتهم (فيه آيات
بينات) منها (مقام ابراهيم)
اى الحجر الذى قام عليه عند بناء
البيت فأثر قدماه فيه وبقى الى
الآن مع تطاول الزمان
وتداول الايدى عليه ومنها
تضعيف الحسنات فيه وأن
الطير لايعلوه (ومن دخله
كان آمنا) لايتعرض اليه
بقتل اوظلم اوغير ذلك
(ولله على الناس حج البيت)
واجب بكسر الحاء وفتحها
لغتان فى مصدر حج بمعنى قصد
ويبدل من الناس (من استطاع
اليه سبيلا) طريقا فسره
صلى الله عليه وسلم بالزاد
والراحلة رواه الحاكم وغيره
(ومن كفر) بالله أو بما
فرضه من الحج (فان الله غنى
عن العالمين) الانس والجن
والملائكة وعن عبادتهم (قل
ياأهل الكتاب لم تكفرون
بآيات الله) القرآن (والله

من طعم الشئ اذاذاقه مأكولا اومشروبا قال الشاعر « وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا » وانما علم ذلك بالوحى انكان نبيا كما قيل اوباخبار النبى عليه السلام (الامن اغترف غرفة بيده) استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم الصابئون على الخبر فى قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة فى القليل دون الكثير وقرأ ابن عامر والكوفيون بضم العين (فشربوا منه الاقليلا منهم) اى فكرعوا فيه اذالاصل فى الشرب منه ان لايكون بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء اوافرطوا فى الشرب الاقليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه فى معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وقيل ثلاثة آلاف وقيل الفا روى ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضى وهكذا الدنيا لطالب الآخرة (فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه) اى القليل الذين لم يخالفوه (قالوا) اى بعضهم لبعض (لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) لكثرتهم وقوتهم (قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله) اى قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير فى قالوا للكثير المنخذلين عنه اعتذارا فى التخلف وتحذيرا للقليل وكانهم تقاولوا به والنهر بينهما (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) بحكمه وتيسيره وكم تحتمل الاستفهام والخبر ومن مزيدة اومبينة والفئة الفرقة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته اومن فاء اذا رجع فوزنها فعة اوفلة (والله مع الصابرين) بالنصر والاثابة (ولما برزوا لجالوت وجنوده) اى ظهروا لهم ودنوا منهم (قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) التجأوا الى الله تعالى بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذسألوا اولا افراغ الصبر فى قلوبهم الذى هو ملاك الامر ثم ثبات القدم فى مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا (فهزموهم باذن الله) فكسروهم بنصره اومصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم (وقتل داود جالوت) قيل كان ايشا فى عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه الذى

شهيد على ماتعملون) فيجازيكم عليه (قل ياأهل الكتاب لم تصدون) تصرفون (عن سبيل الله) أى دينه (من آمن) بتكذيبكم النبى وكتم نعته (تبغونها) أى تطلبون السبيل (عوجا) مصدر معوجة أى مائلة عن الحق (وانتم شهداء) عالمون بأ الدين المرضى هو القيم دين الاسلام كما فى كتابكم (وماالله بغافل عما تعملون) من الكفر والتكذيب وانما يؤخركم الى وقتكم ليجازيكم * ونزل لما مر بعض اليهود على الاوس والخزرج فغاظه تألفهم فذكرهم بما كان بينهم فى الجاهلية من الفتن فتشاجروا وكادوا يقتتلون (ياايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون) استفهام تعجيب وتوبيخ (وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم) يتمسك (بالله فقد هدى الى صراط مستقيم ياايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) بأن يطاع فلا يعصى ويشكر

يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمه فى الطريق ثلاثة احجار وقالت
له انك بنا تقتل جالوت فحملها فى مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت
بنته (وآتاه الله الملك) اى ملك بنى اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على
ملك (والحكمة) اى النبوة (وعلمه مما يشاء) كالسرد وكلام الدواب والطير
(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل
على العالمين) ولولا ان الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين
على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا اوافسدوا فى الارض اولفسدت
الارض بشؤمهم وقرأ نافع هنا وفى الحج دفاع الله (تلك آيات الله)
اشارة الى ماقص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت
وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت (نتلوها عليك بالحق) بالوجه المطابق
الذى لايشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ (وانك لمن المرسلين)
لما اخبرت بها من غير تعريف واستماع (تلك الرسل) اشارة الى الجماعة
المذكورة قصصها فى التوراة او المعلومة للرسول صلى الله عليه وسلم
او جماعة الرسل واللام للاستغراق (فضلنا بعضهم على بعض)
بان خصصنا بمنقبة ليست لغيره (منهم من كلم الله) تفضيل له وهو موسى
وقيل موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام كلم موسى ليلة الحيرة
وفى الطور ومحمدا عليه السلام ليلة المعراج حين كان قاب قوسين اوأدنى
وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه
ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه (ورفع بعضهم درجات) بان فضله
على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد صلى الله عليه
وسلم فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات
المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام
لتفخيم شأنه كأنه العلم المتعين لهذا الوصف المستغنى عن التعيين وقيل
ابراهيم عليه السلام خصصه بالخلة التى هى اعلى المراتب وقيل ادريس
عليه السلام لقوله تعالى * ورفعناه مكانا عليا * وقيل اولوا العزم
من الرسل (وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس) خصه
بالتعيين لافراط اليهود والنصارى فى تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب
تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره (ولو شاء الله)
هدى الناس جميعا (ما اقتتل الذين من بعدهم) من بعد الرسل (من بعد

فلا يكفر ويذكر فلا ينسى
فقالوا يا رسول الله ومن
يقوى على هذا فنسخ بقوله
تعالى * فاتقوا الله ما استطعتم *
(ولا تموتن الا وأنتم
مسلمون) موحدون
(واعتصموا) تمسكوا
(بحبل الله) اى دينه
(جميعا ولا تفرقوا) بعد
الاسلام (واذكروا نعمت الله)
انعامه (عليكم) يامعشر
الاوس والخزرج (اذ كنتم)
قبل الاسلام (أعداء فألف)
جمع (بين قلوبكم) بالاسلام
(فأصبحتم) فصرتم (بنعمته
اخوانا) فى الدين والولاية
(وكنتم على شفا) طرف
(حفرة من النار) ليس
بينكم وبين الوقوع فيها
الا أن تموتوا كفارا (فأنقذكم
منها) بالايمان (كذلك)
كما بين لكم ما ذكر (يبين الله
لكم آياته لعلكم تهتدون
ولتكن منكم أمة يدعون
الى الخير) الاسلام
(ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر وأولئك)
الداعون الآمرون الناهون
(هم المفلحون) الفائزون
ومن للتبعيض لان ماذكر

ماجاءتهم البينات) المعجزات الواضحة لاختلافهم فى الدين وتضليل بعضهم بعضا (ولكن اختلفوا فنهم من آمن) بتوفيقه التزام دين الانبياء تفضلا (ومنهم من كفر) لاعراضه عنه بخذلانه (ولوشاء الله مااقتتلوا) كرره للتأكيد (ولكن الله يفعل مايريد) فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفصيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيدالله تعالى تابعة لمشيئته خيرا كان اوشرا ايمانا اوكفرا (ياايها الذين آمنوا انفقوا ممارزقناكم) مااوجبنا عليكم انفاقه (من قبل ان يأتى يوم لابيع فيه ولاخلة ولاشفاعة) من قبل ان يأتى يوم لاتقتدرون فيه على تدارك مافرطتم والخلاص من عذابه اذلا بيع فيه فتحصلون ماتنفقونه اوتفتدون به من العذاب ولاخلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم اويسامحوكم به ولاشفاعة الالمن اذنله الرحمن ورضىله قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم فى حط مافى ذممكم وانما رفعت ثلاثتها مع قصدالتعميم لانها فى التقدير جواب هل فيه بيع اوخلة اوشفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل (والكافرون هم الظالمون) يريدالتاركون للزكاة هم الذين ظلموا انفسهم اووضعوا المال فى غيرموضعه وصرفوه على وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكاة من صفات الكفار لقوله تعالى وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة (الله لااله الاهو) مبتدأ وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لاغيروللنحاة خلاف فى انه هل يضمر للاخبر مثل فى الوجود اويصح ان يوجد (الحى) الذى يصح ان يعلم ويقدر وكل مايصحله فهو واجب لايزول لامتناعه عن القوة والامكان (القيوم) الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه وقرئ القيام والقيم (لاتأخذه سنة ولانوم) السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع « وسنان اقصد النعاس فرنقت * فى عينه سنة وليس بنائم » والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود

فرض كفاية لايلزم كل الامة ولايليق بكل أحد كالجاهل وقيل زائدة أى لتكونوا أمة (ولاتكونوا كالذين تفرقوا) عن دينهم (واختلفوا) فيه (من بعد ماجاءهم البينات) وهم اليهود والنصارى (وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) أى يوم القيامة (فأما الذين اسودت وجوههم) وهم الكافرون فيلقون فى النار ويقال لهم توبيخا (اكفرتم بعد ايمانكم) يوم أخذ الميثاق (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم) وهم المؤمنون (فنى رحمت الله) أى جنته (هم فيها خالدون تلك) أى هذه الآيات (آيات الله نتلوها عليك) يامحمد (بالحق وماالله يريد ظلما للعالمين) بأن يأخذهم بغير جرم (ولله مافى السموات ومافى الارض) ملكا وخلقا وعبيدا (والى الله ترجع) تصير (الامور كنتم) ياأمة محمد فى علم الله تعالى (خيرأمة أخرجت) أظهرت (للناس تأمرون

بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان) الايمان (خيرا لهم منهم المؤمنون) كعبدالله بن سلام رضى الله عنه واصحابه (وأكثرهم الفاسقون) الكافرون (لن يضروكم) اى اليهود يامعشر المسلين بشئ (الا اذى) باللسان من سب ووعيد (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) منهزمين (ثم لا ينصرون) عليكم بل لكم النصر عليهم (ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا) حيثما وجدوا فلاعز لهم ولااعتصام (الا) كائنين (بحبل من الله وحبل من الناس) المؤمنين وهو عهدهم اليهم بالامان على اداء الجزية أى لاعصمة لهم غيرذلك (وباؤا) رجعوا (بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم)أى بسبب أنهم (كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك) تأكيد (بماعصوا) أمر الله (وكانوا يعتدون) يتجاوزون الحلال الى الحرام (ليسوا) أى أهل الكتاب (سواء

والجملة نفى للتشبيه وتأكيد لكونه حياقيوما فان من اخذه نعاس اونوم كان مأوف الحيوة قاصرا فى الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفى الجمل التى بعده له (له مافى السموات ومافى الارض) تقرير لقيوميته واحتجاج به على تفرده فى الالوهية والمراد بما فيهما ماوجد فيهما داخلا فى حقيقتهما اوخارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له ملك السموات والارض ومافيهن (من ذا الذى يشفع عنده الاباذنه) بيان لكبرياء شأنه وانه لااحد يساويه اويدانيه ليستقل بان يدفع مايريده شفاعة واستكانة فضلا عن ان يعاوقه عنادا ومناصبة اى مخاصمة (يعلم مابين ايديهم وماخلفهم) ماقبلهم ومابعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضى اوامور الدنيا وامور الآخرة اوعكسه اويحسونه ومايعقلونه ومايدركونه ومالايدركونه والضمير لما فى السموات والارض لان فيهم العقلاء اولمادل عليه من ذا من الملائكة والانبياء (ولايحيطون بشئ من علمه) من معلوماته (الا بما شاء) ان يعلموا وعطفه على ماقبلها لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتى التام الدال على وحدانيته (وسع كرسيه السموات والارض) تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله تعالى* وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه* ولا كرسى فى الحقيقة ولاقاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه اوملكه مأخوذ من كرسى العالم والملك وقيل جسم بين يدى العرش ولذلك سمى كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله عليه الصلاة والسلام ماالسموات السبع والارضون السبع مع الكرسى الاكحلقة فى فلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو فى الاصل اسم لما يقعد عليه ولايفضل عن مقعد القاعد وكأنه المنسوب الى الكرسى وهو الملبد (ولايؤده) اى ولايثقله مأخوذ من الأود وهو الاعوجاج (حفظهما) اى حفظ السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول (وهو العلى) المتعالى عن الانداد والاشباه (العظيم) المستحقر بالاضافة اليه كل ماسواه وهذه الآية مشتملة على امهات المسائل الالهية دالة على انه تعالى موجود واحد فى الالوهية متصف بالحيوة وواجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لايناسب الاشباح

ولا يعتريه مايعترى الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذى لايشفع عنده الامن اذن له العالم وحده بالاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل مايصح ان يملك ويقدر عليه لايأوده شاق ولا يشغله شأن متعال عما يدركه وهم عظيم لايحيط به فهم ولذلك قال النبى عليه السلام ان اعظم آية فى القرآن آية الكرسى من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الاالموت ولا يواظب عليها الاصديق اوعابد ومن قرأها اذا اخذ من مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله (لا اكراه فى الدين) اذ الاكراه فى الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن (قد تبين الرشد من الغى) تميز الايمان من الكفر بالآيات الواضحة ودلت الدلائل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غى يؤدى الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار بمعنى النهى اى لاتكرهوا فى الدين وهو اماعام منسوخ بقوله * جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم * او خاص باهل الكتاب لماروى ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل البعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لادعكما حتى تسلما فأبيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصارى يارسول الله ايدخل بعضى النار وانا انظر اليه فنزلت فخلاهما (فمن يكفر بالطاغوت) بالشيطان او الاصنام اوكل ماعبد من دون الله اوصد عن عبادة الله تعالى فعلوت من الطغيان قلب عينه ولامه (ويؤمن بالله) بالتوحيد وتصديق الرسل (فقد استمسك بالعروة الوثقى) طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهى مستعارة لمتمسك الحق من النظر الصحيح والرأى القويم (لاانفصام لها) لاانقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته (والله سميع) بالاقوال (عليم) بالنيات ولعله تهديد على النفاق (الله ولى الذين آمنوا) محبهم اومتولى امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت فى علمه انه يؤمن (يخرجهم) بهدايته وتوفيقه (من الظلمات) ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر (الى النور) الى الهدى الموصل

مستوين (من أهل الكتاب أمة قائمة) مستقيمة ثابتة على الحق كعبدالله بن سلام رضى الله عنه وأصحابه (يتلون آيات الله آناء الليل) أى فى ساعاته (وهم يسجدون) يصلون حال (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك) الموصوفون بما ذكر (من الصالحين) ومنهم من ليسوا كذلك وليسوا من الصالحين (وما تفعلوا) بالتاء أيتها الامة والياء أى الامة القائمة (من خير فلن تكفروه) بالوجهين أى تعدموا ثوابه بل تجازون عليه (والله عليم بالمتقين ان الذين كفروا لن تغنى) تدفع (عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) أى من عذابه (شيئا) وخصهما بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالاولاد (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون مثل) صفة (ماينفقون) أى الكفار (فى هذه الحيوة

والجملة خبر اوحال من المستكن فى الخبر اومن الموصول اومنهما واستئناف مبين اومقرر للولاية (والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت) اى الشياطين اوالمضلات من الهوى والشياطين وغيرهما (يخرجونهم من النور الى الظلمات) من النور الذى منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك فى الشهوات اومن نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت فى قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار السبب لايأبى تعلق قدرته تعالى وارادته به (اولئك اصحاب النارهم فيها خالدون) وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشأنهم (الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه) تعجيب من محاجة نمرود وحماقته (ان آتاه الله الملك) لان لان آتاه اى ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة اوحاج لاجله شكراله على طريقة العكس كقولك عادينى لانى احسنت اليك اووقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة (اذقال ابراهيم) ظرف لحاج او بدل من ان آتاه الله على الوجه الثانى (ربى الذى يحيى ويميت) يخلق الحيوة والموت فى الاجساد وقرأ حمزة رب بحذف الياء (قال انا احيى واميت) بالعفو عن القتل والقتل وقرأ نافع انا بالالف (قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) اعرض ابراهيم عليه السلام عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لايقدر فيه على نحو هذا التموِيه دفعا للمشاغبة وهو فى الحقيقة عدول عن مثال خفى الى مثال جلى من مقدوراته التى يعجز عن الاتيان بها غيره لاعن حجة الى اخرى ولعل نمروذ زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته اواعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم عليه السلام الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذى تدعو اليه وحاجه فيه (فبهت الذى كفر) فصار مبهوتا وقرئ فبهت اى فغلب ابراهيم الكافر (والله لايهدى القوم الظالمين) الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لايهديهم محجة الاحتجاج اوسبيل النجاة اوطريق الجنة يوم القيامة (اوكالذى مر على قرية) تقديره اوأرأيت مثل الذى فحذف لدلالة الم تر الى الذى حاج عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعى

الدنيا) فى عداوة النبى أو صدقة ونحوها (كمثل ريح فيها صر) حر أو برد شديد (أصابت حرث) زرع (قوم ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعصية (فأهلكته) فلم ينتفعوا به فكذلك نفقاتهم ذاهبة لاينتفعون بها (وما ظلمهم الله) بضياع نفقاتهم (ولكن أنفسهم يظلمون) بالكفر الموجب لضياعها (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة) أصفياء تطلعونهم على سركم (من دونكم) اى غيركم من اليهود والنصارى والمنافقين (لايألونكم خبالا) نصب بنزع الخافض أى لايقصرون لكم فى الفساد (ودوا) تمنوا (ماعنتم) أى عنتكم وهو شدة الضرر (قد بدت) ظهرت (البغضاء) العداوة لكم (من افواههم) بالوقيعة فيكم واطلاع المشركين على سركم (وماتخفى صدورهم) من العداوة (أكبر قد بينا لكم الآيات) على عداوتهم (ان كنتم تعقلون) ذلك فلا توالوهم (ها) للتنبيه (أنتم يا (أولاء) المؤمنين

الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام ألم تر الى الذى حاج او الذى
مر وقيل انه عطف محمول على المعنى كأنه قيل ألم تر كالذى حاج اوكالذى
مر وقيل انه من كلام ابراهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره او ان كنت تحى
فاحى كاحياء الله تعالى الذى مر وهو عزير بن شرحيا او الخضر اوكافر
بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر
وقيل القرية التى خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القرى
وهو الجمع (وهى خاوية على عروشها) خالية ساقطة حيطانها
على سقوفها (قال انى يحيى هذه الله بعد موتها) اعترافا بالقصور
عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيى ان كان القائل مؤمنا
واستبعادا ان كان كافرا وانى فى موضع نصب على الظرف بمعنى متى او على
الحال بمعنى كيف (فاماته الله مائة عام) فالبثه ميتا مائة عام او اماته الله
فلبث ميتا مائة عام (ثم بعثه) بالاحياء (قال كم لبثت) القائل هو الله
وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه آمن بعد البعثة او شارف الايمان وقيل
ملك او نبى (قال لبثت يوما او بعض يوم) كقول الظان وقيل انه مات
ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت
فرأى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب (قال بل لبثت مائة عام فانظر
الى طعامك وشرابك لم يتسنه) لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة
والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله
لم يتسنن من الحمأ المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضى البازى
وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد قيل كان طعامه
تينا او عنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله وحمزة والكسائى
لم يتسن بغير الهاء فى الوصل (وانظر الى حمارك) كيف تفرقت عظامه
او انظر اليه سالما فى مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا
الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما بعده (ولنجعلك
آية للناس) اى وفعلنا ذلك لنجعلك آية روى انه اتى قومه على حماره وقال
انا عزير فكذبوه فقرأ التوراة من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك
وقالوا ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا
حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة (وانظر الى العظام) يعنى عظام
الحمار او الاموات الذين تعجب من احيائهم (كيف ننشزها) نحييها

(تحبونهم) لقرابتهم منكم
وصداقتهم (ولا يحبونكم)
لمخالفتهم لكم فى الدين
(وتؤمنون بالكتاب كله)
أى بالكتب كلها ولا يؤمنون
بكتابكم (واذا لقوكم قالوا
آمنا واذا خلوا عضوا عليكم
الانامل) أطراف الاصابع
(من الغيظ) شدة الغضب
لما يرون من ائتلافكم ويعبر
عن شدة الغضب بعض الانامل
مجازا وأن لم يكن ثمه عض
(قل موتوا بغيظكم) أى
ابقوا عليه الى الموت فلن تروا
مايسركم (ان الله عليم بذات
الصدور) بما فى القلوب
ومنه مايضمره هؤلاء (ان
تمسسكم) تصبكم (حسنة) نعمة
كنصر وغنيمة (تسوءهم)
تحزنهم (وان تصبكم سيئة)
كهزيمة وجدب (يفرحوا بها)
وجملة الشرط متصلة بالشرط
قبل ومابينهما اعتراض والمعنى انهم
متناهون فى عداوتكم فلم توالونهم
فاجتنبوهم (وان تصبروا)
على أذاهم (وتتقوا) الله
فى موالاتهم وغيرها
(لا يضركم) بكسر الضاد
وسكون الراء وضمها

اونرفع بعضها الى بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام اى انظر اليها محياة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ نَنشرها من نشر بمعنى انشر (ثم نكسوها لحما فلما تبين له) فاعل تبين مضمر يفسره مابعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شئ قدير (قال اعلم ان الله على كل شئ قدير) فحذف الاول لدلالة الثانى عليه اوماقبله اى فلما تبين له مااشكل عليه وقرأ حمزة والكسائى قال اعلم على الامر والآمر مخاطبه اوهو نفسه خاطبها به على طريق التبكيت (واذقال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى) انما سأل ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمرود انا احيى واميت قال له ان احياء الله تعالى برد الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى (قال اولم تؤمن) بانى قادر على الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال له ذلك وقد علم انه اعرف الناس فى الايمان ليجيب بما اجاب به فيعلم السامعون غرضه (قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) اى بلى آمنت ولكن سألت ذلك لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحى والاستدلال (قال فخذ اربعة من الطير) قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحيوة الابدية انما يتأتى باماتة حب الشهوات والزخارف الذى هو صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بهما الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمى به اوجمع كصحب (فصرهن اليك) فأملهن واضممهن اليك لتتأملها وتعرف شياتها لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال * وماصيد الاعناق فيهم جبلة * ولكن اطراف الرماح تصورها * وقال * وفرع يصير الجيد وحف كأنه * على الليت قنوان الكروم الدوالح * وقرئ فصُرّهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه وفصرهن من التصرية وهى الجمع ايضا (ثم اجعل على كل جبل منهن جزؤا) اى ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التى بحضرتك قيل

وتشديدها (كيدهم شيئا ان الله بما يعملون) بالياء والتاء (محيط) عالم فيجازيهم به (و) اذكر يامحمد (اذغدوت من أهلك) من المدينة (تبوئ) تنزل (المؤمنين مقاعد) مراكز يقفون فيها (للقتال والله سميع) لاقوالكم (عليم) باحوالكم وهو يوم أحد خرج صلى الله عليه وسلم بالف أو الاخمسين رجلا والمشركون ثلاثة آلالف ونزل بالشعب يوم السبت سابع شوال سنة ثلاثة من الهجرة وجعل ظهره وعسكره الى أحد وسوى صفوفهم واجلس جيشا من الرماة وأمر عليهم عبدالله بن جبير بسفح الجبل وقال انضحوا عنا بالنبل لايأتونا من ورائنا ولاتبرحوا غلبنا أونصرنا (اذ) بدل من اذقبله (همت طائفتان منكم) بنوسلمة وبنو حارثة جناحا العسكر (أن تفشلا) تجبنا عن القتال وترجعا لما رجع عبدالله بن أبى المنافق وأصحابه وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا وقال لابى جابر السلمى القائل له أنشدكم الله فى نبيكم وانفسكم لونعلم قتالا

كانت اربعة وقيل سبعة وقرأ ابوبكر جزأ وجزوأ بضم الزاى حيث وقع (ثم ادعهن) قل لهن تعالين باذن الله (يأتينك سعيا) ساعيات مسرعات طيرانا اومشيا روى انه امربان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهم ففعل فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه اشارة الى ان من اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطا وعنه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل او الشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابراهيم عليه السلام ويمن الضراعة فى الدعاء وحسن الادب فى السؤال انه تعالى اراه ما اراد ان يريه فى الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة عام (واعلم ان الله عزيز) لايعجز عما يريده (حكيم) ذو حكمة بالغة فى كل مايفعله ويذره (مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة) اى مثل نفقتهم كمثل حبة اومثلهم كمثل باذر حبة على حذف المضاف (انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة) اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لايقتضى وقوعه وقد يكون فى الذرة والدخن وفى البر فى الاراضى المغلة (والله يضاعف) تلك المضاعفة (لمن يشاء) بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجل ذلك تفاوتت الاعمال فى مقادير الثواب (والله واسع) لايضيق عليه مايتصل به من الزيادة (عليم) بنية المنفق وقدر انفاقه (الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لايتبعون ماانفقوا منا ولا اذى) نزلت فى عثمان رضى الله تعالى عنه فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانه اتى النبى صلى الله عليه وسلم باربعة آلاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ماانعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى (لهم اجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن مااسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا (قول معروف) رد جميل

لاتبعنا كم فثبتهما الله ولم ينصرفا (والله وليهما) ناصرهما (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ليثقوا به دون غيره ونزل لما هزموا تذكيرا لهم بنعمة الله (ولقد نصركم الله ببدر) موضع بين مكة والمدينة (وأنتم اذلة) بقلة العدد والسلاح (فاتقوا الله لعلكم تشكرون) نعمه (اذ) ظرف لنصركم (تقول للمؤمنين) توعدهم تطمينا (ألن يكفيكم أن يمدكم) يعينكم (ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين) بالتخفيف والتشديد (بلى) يكفيكم ذلك وفى الانفال الف لانه أمدهم أولا بها ثم صارت ثلاثة ثم صارت خمسة كما قال تعالى (ان تصبروا) على لقاء العدو (وتتقوا) الله فى المخالفة (ويأتوكم) أى المشركون (من فورهم) وقتهم (هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) بكسر الواو وفتحها أى معلمين وقد صبروا وأنجز الله وعدهم بأن قاتلت معهم الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم صفر أو بيض أرسلوها بين اكتافهم (وماجعله

(ومغفرة) وتجاوز عن السائل الحاجه اونيل مغفرة من الله بالرد الجميل اوعفو من السائل بان يعذره ويغتفرده (خير من صدقة يتبعها اذى) خير عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة (والله غنى) عن الانفاق بمن وايذاء (حليم) عن معاجلة من يمن ويؤذى بالعقوبة (ياايها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى) لا تحبطوا اجرها بكل واحد منهما (كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولايؤمن بالله واليوم الآخر) كابطال المنافق الذى يرائى بانفاقة لايريد به رضاء الله تعالى ولاثواب الاخرة اوممائلين الذى ينفق رياء الناس فالكاف فى محل النصب على المصدر اوالحال ورياء نصب على المفعول له اوالحال بمعنى مرائيا اوالمصدر اى انفاقا رياء (فمثله) اى فمثل المرائى فى انفاقة (كمثل صفوان) كمثل حجراملس (عليه تراب فاصابه وابل) مطر عظيم القطر (فتركه صلدا) املس نقيا من التراب (لايقدرون على شئ مما كسبوا) لاينتفعون بما فعلوا رياء ولايجدون له ثوابا والضمير للذى ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس اى الجمع كما فى قوله « وان الذى حانت بفلج دماؤ هم * هم القوم كل القوم ياام خالد » (والله لايهدى القوم الكافرين) الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرياء والمن والاذى على الانفاق من صفات الكفار ولابد للمؤمن ان يتجنب عنها (ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم) وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها اوتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من اصل انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية للنفس عن البخل وحب المال (كمثل جنة بربوة) اى ومثل نفقة هؤلاء فى الزكاة كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلاثتها لغات فيها (اصابها وابل) مطر عظيم القطر (فآتت اكلها) ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف (ضعفين) مثلى ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد فى قوله تعالى من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اى مضاعفا (فان لم يصبها وابل فطل) اى فيصيبها اوفالذى يصيبها طل اوفطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة

الله) أى الامداد (الابشرى لكم) بالنصر (ولتطمئن) تسكن (قلوبكم به) فلاتجزع من كثرة العدو وقلتكم (وما النصر الامن عند الله العزيز الحكيم) يؤتيه من يشاء وليس بكثرة الجند (ليقطع) متعلق بنصركم أى ليهلك (طرفا من الذين كفروا) بالقتل والاسر (أو يكبتهم) يذلهم بالهزيمة (فينقلبوا) يرجعوا (خائبين) لم ينالوا ما راموه ونزل لما كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم وشج وجهه يوم أحد وقال كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم (ليس لك من الامر شئ) بل الامر لله فاصبر (أو) بمعنى الى أن (يتوب عليهم) بالاسلام (أو يعذبهم فانهم ظالمون) بالكفر (ولله ما فى السموات و ما فى الارض) ملكا وخلقا وعبيدا (يغفر لمن يشاء) المغفرة له (ويعذب من يشاء) تعذيبه (والله غفور) لاوليائه (رحيم) بأهل طاعته (ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة) بالف ودونها بان تزيدوا فى

في المال عند حلول الاجل وتؤخروا الطلب (واتقوا الله) بتركه (لعلكم تفلحون) تفوزون (واتقوا النار التى أعدت للكافرين) ان تعذبوا بها (واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا) بو او ودونها (الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض) أى كعرضهما او وصلت احداهما بالاخرى والعرض السعة (اعدت للمتقين) الله بعمل الطاعات وترك المعاصى (الذين ينفقون) فى طاعة الله (فى السراء والضراء) اليسر والعسر (والكاظمين الغيظ) الكافين عن امضائه مع القدرة (والعافين عن الناس) ممن ظلمهم أى التاركين عقوبته (والله يحب المحسنين) بهذه الافعال أى يثيبهم (والذين اذا فعلوا فاحشة) ذنبا قبيحا كالزنا (اوظلموا انفسهم) بمادونه كالقبلة (ذكروا الله) أى وعيده (فاستغفروا لذنوبهم ومن) أى لا (يغفر الذنوب الا الله

هو آتيها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لاتضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله تعالى بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين فى زلفاهم بالوابل والطل (والله بما تعملون بصير) تحذير عن الرياء وترغيب فى الاخلاص (ايود احدكم) الهمزة فيه للانكار (ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات) جعل الجنة منهما مع فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكران فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع (واصابه الكبر) اى كبر السن فان الفاقة والعالة فى الشيخوخة اصعب والواو للحال او للعطف حملا على المعنى فكأنه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر (وله ذرية ضعفاء) صغار لاقدرة لهم على الكسب (فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت) عطف على اصابه اوتكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذاء فى الحسرة والاسف اذا كان يوم القيامة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شانه واشبههم به من جال بسره فى عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ماسوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) اى تتفكرون فيها فتعتبرون بها (ياايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم) من حلاله اوجياده (ومما اخرجنا لكم من الارض) اى ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره (ولا تيمموا الخبيث) اى ولاتقصدوا الردئ (منه) اى من المال او مما اخرجنا لكم وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولاتأمموا ولا تيمموا بضم التاء (تنفقون) حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق منه به ويكون الضمير للخبيث والجملة حال منه (ولستم بآخذيه) اى وحالكم انكم لاتأخذونه فى حقوقكم لرداءته (الا ان تغمضوا فيه) الا ان تتسامحوا مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا اى تحملوا على الاغماض اوتوجدوا مغمضين وعن ابن عباس

رضى الله عنه كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه (واعلموا ان الله غنى) عن انفاقكم وانما يأمركم به لانتفاعكم (حميد) بقبوله واثابته (الشيطان يعدكم الفقر) فى الانفاق والوعد فى الاصل شائع فى الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون و بضمتين وفتحتين (و يأمركم بالفحشاء) و يغريكم على البخل والعرب تسمى البخيل فاحشا وقيل المعاصى (والله يعدكم مغفرة منه) اى يعدكم فى الانفاق مغفرة ذنوبكم (وفضلا) خلفا افضل مما انفقتم فى الدنيا اوفى الآخرة (والله واسع) اى واسع الفضل لمن انفق (عليم) بانفاقه (يؤتى الحكمة) تحقيق العلم واتقان العمل (من يشاء) مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول الثانى (ومن يؤت الحكمة) بناؤه للمفعول لانه المقصود وقرأ يعقوب بالكسر اى ومن يؤته الله (فقد اوتى خيرا كثيرا) اى اى خير كثير اذ حيز له خير الدارين (وما يذكر) وما يتعظ بما قص من الآيات اوما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله فى قلبه من القوة (الا اولوا الالباب) ذووا العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى (وما انفقتم من نفقة) قليلة اوكثيرة سرا اوعلانية فى حق اوباطل (اونذرتم من نذر) بشرط او بغير شرط فى طاعة اومعصية (فان الله يعلمه) فيجازيكم عليه (وما للظالمين) الذين ينفقون فى المعاصى و ينذرون فيها او يمنعون الصدقات ولايوفون بالنذور (من انصار) من ينصرهم من الله و يمنعهم من عقابه (ان تبدوا الصدقات فنعماهى) فنعم شيئا ابداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرأ ابو بكر وأبوعمرو وقالون بكسر النون وسكون العين وروى عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو أقيس (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء) اى تعطوها مع الاخفاء (فهو خير لكم) وهذا فى التطوع ومن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره افضل لنفى التهمة عن ابن عباس صدقة السر فى التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا (و يكفر عنكم من سيئاتكم) قرأه ابن عامر وعاصم فى رواية حفص بالياء اى والله يكفر اوالاخفاء وقرأ ابن كثير وابوعمرو وعاصم فى رواية ابن عياش و يعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتدأة اواسمية معطوفة على مابعد الفاء اى ونحن نكفر وقرأ نافع وحمزة

ولم يصروا) يديموا (على مافعلوا) بل أقلعوا عنه (وهم يعلمون) أن الذى أتوه معصية (اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) حال مقدرة أى مقدرين الخلود فيها اذا دخلوها (ونعم اجر العاملين) بالطاعة هذا الاجر * ونزل فى هزيمة أحد (قد خلت) مضت (من قبلكم سنن) طرائق فى الكفار بامهالهم ثم أخذهم (فسيروا) ايها المؤمنون (فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) الرسل أى آخر أمرهم من الهلاك فلا تحزنوا لغلبتهم فانا امهلهم لوقتهم (هذا) القرآن (بيان للناس) كلهم (وهدى) من الضلالة (وموعظة للمتقين) منهم (ولاتهنوا) تضعفوا عن قتال الكفار (ولاتحزنوا) على ما أصابكم بأحد (وانتم الاعلون) بالغلبة عليهم (ان كنتم مؤمنين) حقا وجوابه دل

والكسائى به مجزوما على محل الفاء ومابعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما
والفعل للصدقات (والله بماتعملون خبير) ترغيب فى الاسرار (ليس
عليك هداهم) لايجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد
والحث على المحاسن والنهى عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث
(ولكن الله يهدى من يشاء) صريح بان الهداية من الله تعالى و بمشيئته
وانما يخص بقوم دون قوم (وماتنفقوا من خير) من نفقة معروفة
(فلانفسكم) فهو لانفسكم لاينتفع به غيركم فلاتمنوا عليه ولاتنفقوا الخبيث
(وماتنفقون الا ابتغاء وجه الله) حال وكأنه قال وماتنفقوا من خير فلانفسكم
غير منفقين الا ابتغاء وجه الله وطلب ثوابه اوعطف على ماقبله اى وليس
نفقتكم الا لابتغاء وجهه فمابالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفى فى معنى
النهى (وماتنفقوا من خير يوف اليكم) ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تأكيد
للشرطية السابقة اومايخلف المنفق استجابة لقوله عليه الصلاة والسلام
اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روى ان ناسا من المسلمين كانت لهم
اصهار ورضاع فى اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم
فنزلت وهذا فى غير الواجب اما الواجب فلايجوز صرفه الى الكفار (وانتم
لاتظلمون) اى لاتنقصون ثواب نفقتكم (للفقراء) متعلق بمحذوف اى اعمدوا
للفقراء اواجعلوا ماتنفقونه للفقراء اوصدقاتكم للفقراء (الذين احصروا
فى سبيل الله) احصرهم الجهاد (لايستطيعون) لاشتغالهم به (ضربا
فى الارض) ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة
من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالعلم والعبادة
وكانوا يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم (يحسبهم
الجاهل) بحالهم وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين (اغنياء
من التعفف) من اجل تعففهم عن السؤال (تعرفهم بسيماهم)
من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم اولكل احد
(لايسألون الناس الحافا) الحاحا وهو ان يلازم المسؤل حتى يعطيه من
قولهم لحفنى من فضل لحافه اى اعطانى من فضل ماعنده والمعنى انهم
لايسألون وان سألوا للضرورة لم يلحوا وقيل هو نفى للامرين كقوله *
على لاحب لايهتدى بمناره * ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال
اوعلى الحال (وماتنفقوا من خير فان الله به عليم) ترغيب فى الانفاق

عليه مجموع ماقبله (ان يمسسكم
يصبكم بأحد (قرح) بفتح القاف
وضمها جهد من جرح ونحوه
(فقد مس القوم) الكفار
(قرح مثله) ببدر (وتلك الايام
نداولها) نصرفها (بين الناس)
يوما لفرقة و يوما لاخرى
ليتعظوا (وليعلم الله) علم
ظهور (الذين آمنوا)
أخلصوا فى ايمانهم من غيرهم
(ويتخذ منكم شهداء) يكرمهم
بالشهادة (والله لايحب الظالمين)
الكافرين أى يعاقبهم ومانعم به
عليهم استدراج (وليمحص الله
الذين آمنوا) يطهرهم من الذنوب
بمايصيبهم (و يمحق) يهلك
(الكافرين أم) بل أ (حسبتم
أن تدخلوا الجنة ولما) لم
(يعلم الله الذين جاهدوا منكم)
علم ظهور (و يعلم الصابرين)
فى الشدائد (ولقد كنتم
تمنون) فيه حذف احدى
التاءين فى الاصل (الموت
من قبل أن تلقوه) حيث
قلتم ليت لنا يوما كيوم بدر

وخصوصا على هؤلاء (الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) اى يعمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت فى ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل فى امير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل فى ربط الخيل فى سبيل الله والانفاق عليها (فلهم اجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف اى ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية (الذين يأكلون الربوا) اى الآخذون له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربوا شائع فى المطعومات وهو زيادة فى الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او فى العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع (لايقومون) اذا بعثوا من قبورهم (الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان) الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على مايزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء (من المس) اى الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجنى يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلايقومون اى لايقومون من المس الذى بهم بسبب اكل الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لالاختلال عقلهم ولكن لان الله اربى فى بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم (ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا) اى ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع فى سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كأنهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوى درهما بدرهمين مساس الحاجة اليها اوتوقع رواجها يجبر هذا الغبن (واحل الله البيع وحرم الربوا) انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضته النص (فمن جاءه موعظة من ربه) فمن بلغه وعظ من الله تعالى وزجر بالنهى عن الربوا (فانتهى) فاتعظ وتبع النهى (فله ماسلف) تقدم اخذه قبل التحريم ولايسترد منه ومافى موضع الرفع بالظرف ان جعل موصولة وبالابتداء ان جعل شرطية على

انتال ما نال شهداؤه (فقد رأيتموه) أى سببه الحرب (وأنتم تنظرون) أى بصراء تتأملون الحال كيف هى فلم انهزمتم * ونزل فى هزيمتهم لما أشيع أن النبى قتل وقال لهم المنافقون ان كان قتل فارجعوا الى دينكم (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افأن مات او قتل) كغيره (انقلبتم على اعقابكم) رجعتم الى الكفر والجملة الاخيرة محل الاستفهام الانكارى أى ما كان معبودا فترجعوا (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا) وانما يضر نفسه (وسيجزى الله الشاكرين) نعمه بالثبات (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله) بقضائه (كتابا) مصدر أى كتب الله ذلك (مؤجلا) موقتا لايتقدم ولايتأخر فلم انهزمتم والهزيمة لاتدفع الموت والثبات لايقطع الحياة (ومن يرد) بعمله (ثواب الدنيا) أى جزاءه منها (نؤته منها) ماقسم له ولاحظ له فى الآخرة (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته

رأى سيبويه اذا الظرف غير معتمد على ماقبله (وامره الى الله) يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم فى شأنه ولا اعتراض لكم عليه (ومن عاد) الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه (فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) لانهم كفروا به (يمحق الله الربوا) يذهب بركته ويهلك المال الذى يدخل فيه (ويربى الصدقات) يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عليه الصلاة والسلام ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربى احدكم مهره وعنه عليه الصلاة والسلام مانقصت زكاة من مال قط (والله يحب) لايرضى ولايحب محبته للتوابين (كل كفار) مصر على تحليل المحرمات (اثيم) منهمك فى ارتكابه (ان الذين آمنوا) بالله ورسله وبما جاءهم منه (وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة) عطفهما على مايعمهما لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة (لهم اجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم) من آت (ولاهم يحزنون) على فائت (ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربوا) واتركوا بقايا ماشرطتم على الناس من الربوا (ان كنتم مؤمنين) بقلوبكم فان دليله امتثال ماامرتم به روى انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت (فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) اى فاعلموا بها من اذن بالشئ اذا علم به وقرأ حمزة وعاصم فى رواية ابن عياش فآذنوا اى فأعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضى ان يقاتل المربى بعد الاستتابة حتى يفئ الى امر الله كالباغى ولايقتضى كفره روى انها لما نزلت قال ثقيف لايدى لنا بحرب الله ورسوله (وان تبتم) من الارتباء واعتقاد حله (فلكم رؤس اموالكم لاتظلمون) باخذ الزيادة (ولاتظلمون) بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم وهو سديد على ماقلناه اذ المصر على التحليل مرتد وماله فئ (وان كان ذو عسرة) وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اى وان كان الغريم ذا عسرة (فنظرة) فالحكم نظرة أو فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهى الانظار وقرئ فناظره على الخبر اى فالمستحق ناظره بمعنى منتظره او صاحب نظرته على طريق النسب وعلى الامر اى فسامحه بالنظرة (الى ميسرة) يسار وقرأ نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين

منها) أى من ثوابها (وسنجزى الشاكرين وكأين) كم (من نبى قتل) وفى قراءة قاتل والفاعل ضميره (معه) خبر مبتدؤه (ربيون كثير) جموع كثيرة (فما وهنوا) جبنوا (لما أصابهم فى سبيل الله) من الجراح وقتل أنبيائهم واصحابهم (وما ضعفوا) عن الجهاد (وما استكانوا) خضعوا لعدوهم كما فعلتم حين قيل قتل النبى (والله يحب الصابرين) على البلاء أى يثيبهم (وما كان قولهم) عند قتل نبيهم مع ثبتهم وصبرهم (الا أن قالوا ربنا اغفرلنا ذنوبنا واسرافنا) تجاوزنا الحد (فى أمرنا) ايذانا بأن ما أصابهم لسوء فعلهم وهضما لانفسهم (وثبت أقدامنا) بالقوة على الجهاد (وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا) النصر والغنيمة (وحسن ثواب الآخرة) أى الجنة وحسنه التفضل فوق الاستحقاق (والله يحب

بحذف التاء عند الاضافة كقوله * واخلفوك عد الامر الذى وعدوا * (وأن
تصدقوا) بالابراء وقرأ عاصم بتخفيف الصاد (خير لكم) اكثر ثوابا
من الانظار اوخير مما تأخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق
الانظار لقوله عليه الصلاة والسلام لايحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له
بكل يوم صدقة (ان كنتم تعلمون) مافيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل
(واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) يوم القيامة اويوم الموت فتأهبوا
لمصيركم اليه وقرأ ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم (ثم توفى كل
نفس ماكسبت) جزاء ماعملت من خير اوشر (وهم لايظلمون) بنقص
ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس رضى الله عنهما انها آخر آية نزل
بها جبريل عليه السلام وقال ضعها فى رأس المأتين والثمانين من البقرة وعاش
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين
وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات (ياايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين)
اى اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا اوآخذا وفائدة
ذكر الدين ان لايتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال
وانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع الضمير فاكتبوه (الى اجل مسمى)
معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج (فاكتبوه) لانه اوثق وادفع
للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد به
السلم وقال لما حرم الله الربو اباح السلف (وليكتب بينكم كاتب بالعدل) من يكتب
بالسوية لايزيد ولاينقص وهو فى الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب
فقيه دين حتى يجئ مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع (ولايأب كاتب)
ولايمتنع احد من الكتاب (ان يكتب كما علمه الله) مثل ماعلمه من كتبة الوثائق
اولايأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما احسن
الله اليك (فليكتب) تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهى عن الاباء عنها
تأكيدا ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهى عن الامتناع منها
مطلقة ثم الامر بها مقيدة (وليملل الذى عليه الحق) وليكن المملى من عليه
الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد (وليتق الله ربه)
اى المملى اوالكاتب (ولايبخس) ولاينقص (منه شيئا) اى من الحق
اومما املى عليه (فان كان الذى عليه الحق سفيها) ناقص العقل مبذرا
(اوضعيفا) صبيا اوشيخا مختلا (اولا يستطيع ان يمل هو) اوغير

المحسنين ياايها الذين آمنوا
ان تطيعوا الذين كفروا)
فيما يأمرونكم به (يردوكم
على أعقابكم) الى الكفر
(فتنقلبوا خاسرين بل الله
مولاكم) ناصركم (وهو
خير الناصرين) فأطيعوه
دونهم (سنلقى فى قلوب الذين
كفروا الرعب) بسكون
العين وضمها الخوف وقد
عزموا بعد ارتحالهم من
أحد على العود واستئصال
المسلمين فرعبوا ولم يرجعوا
(بما أشركوا) بسبب اشراكهم
(بالله مالم ينزل به
سلطانا) حجة على عبادته
وهو الاصنام (ومأواهم
النار وبئس مثوى) مأوى
(الظالمين) الكافرين هى
(ولقد صدقكم الله وعده)
اياكم بالنصر (اذ تحسونهم)
تقتلونهم (باذنه) بارادته
(حتى اذا فشلتم) جبنتم
عن القتال (وتنازعتم)
اختلفتم (فى الامر) أى أمر
النبى بالمقام فى سفح الجبل
للرمى فقال بعضكم نذهب
فقد نصر أصحابنا وبعضكم
لانخالف أمر النبى صلى الله
عليه وسلم (وعصيتم)

مستطيع للاملاء بنفسه لخرس اوجهل باللغة (فليملل وليه بالعدل)
اى الذى يلى امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا اومختل عقل اووكيل
اومترجم ان كان غيرمستطيع وهو دليل جريان النيابة فى الاقرار ولعله مخصوص
بماتعاطاه القيم اوالوكيل (واستشهدوا شهيدين) واطلبوا ان يشهد على
الدين شاهدان (من رجالكم) من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام
الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة تقبل شهادة الكفار بعضهم
على بعض (فان لم يكونا رجلين) فان لم يكن الشاهدان رجلين (فرجل وامرأتان)
فليشهد رجل اوفالمستشهد رجل وامرأتان وهذه مخصوص بالاموال
عندنا وبماعدا الحدود والقصاص عندابى حنيفة (ممن ترضون من الشهداء)
لعلمكم بعدالتهم (ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى) علة
اعتبار العدد اى لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها
الاخرى والعلة فى الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم
اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وكأنه قيل ارادة تذكر احديهما
الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة
ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر
من الاذكار (ولايأب الشهداء اذا مادعوا) لاداء الشهادة اوالتحمل
وسموا شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع ومامزيدة (ولاتسأموا
ان تكتبوه) ولاتملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين
اوالحق اوالكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك
قال عليه السلام لايقول المؤمن كسلت (صغيرا اوكبيرا) صغيرا كان الحق
اوكبيرا اومختصرا كان الكتاب اومشبعا (الى اجله) الى وقت حلوله
الذى اقربه المديون (ذلكم) اشارة الى ان تكتبوه (اقسط عند الله)
اكثر قسطا (واقوم للشهادة) واثبت لها واعون على اقامتها وهما
مبنيان من اقسط واقام على غير قياس اومن قاسط بمعنى ذى قسط وقويم
وانما صحت الواو فى اقوم كماصحت فى التعجب لجموده (وادنى ان لاترتابوا)
واقرب فى ان لاتشكوا فى جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك
(الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ان لا
تكتبوها) استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين
اوعين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اى الان تتبايعوا يدا بيد فلا

أمره فتركتم المركز لطلب
الغنيمة (من بعد ماأراكم)
الله (ماتحبون) من النصر
وجواب اذا دل عليه ماقبله
أى منعكم نصره (منكم من
يريد الدنيا) فترك المركز
للغنيمة (ومنكم من يريد
الآخرة) فثبت به حتى قتل
كعبد الله بن جبير وأصحابه
(ثم صرفكم) عطف على
جواب اذا المقدر ردكم
بالهزيمة (عنهم) أى الكفار
(ليبتليكم) ليمتحنكم فيظهر
المخلص من غيره (ولقد عفا
عنكم) مارتكبتموه (والله
ذو فضل على المؤمنين)
بالعفو اذكروا (اذتصعدون)
تبعدون فى الارض هاربين
(ولاتلوون) تعرجون
(على أحد والرسول يدعوكم
فى أخراكم) أى من ورائكم
يقول الى عباد الله الى عباد الله
(فأثابكم) فجازاكم (غما)
بالهزيمة (بغم) بسبب غمكم
للرسول بالمخالفة وقيل الباء
بمعنى على أى مضاعفا على
غم فوت الغنيمة (لكيلا)
متعلق بعفا أوبأثابكم فلا
زائدة (تحزنوا على مافاتكم)
من الغنيمة (ولاما أصابكم)

بأس ان لاتكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه
الخبر والاسم مضمر تقديره الى ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله
بنى اسد هل تعلمون بلاءنا * اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا * ورفعها الباقون
على انها الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة (واشهدوا اذا
تبايعتم) هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التى فى هذه الآية
للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف فى احكامها
ونسخها (ولايضار كاتب ولاشهيد) يحتمل البنائين ويدل عليه ان قرئ
ولايضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف
والتغيير فى الكتبة والشهادة او النهى عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن
مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولايعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة
مجيئه حيث كان (وان تفعلوا) الضرار اوما نهيتم عنه (فانه فسوق
بكم) خروج عن الطاعة لاحق بكم (واتقوا الله) فى مخالفة امره ونهيه
(ويعلمكم الله) احكامه المتضمنة لمصالحكم (والله بكل شئ عليم) كرر
لفظة الله فى الجمل الثلاث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية
وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشأنه ولانه ادخل فى التعظيم من الكناية (وان كنتم
على سفر) اى مسافرين (ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة) فالذى يستوثق به
رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر
فى الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك رحمهما الله لانه عليه السلام رهن درعه
فى المدينة من يهودى بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة
التوثيق بالارتهان مقام التوثيق بالكتبة فى السفر الذى هو مظنة اعوازها
والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرأ ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف
وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف (فان أمن
بعضكم بعضا) اى بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته عن
الارتهان (فليؤد الذى اوتمن امانته) اى دينه سماه امانة لائتمانه عليه بترك
الارتهان به وقرئ الذى ايتمن بقلب الهمزة ياء والذى تمن بادغام الياء
فى التاء وهو خطأ لان المنقلبة عن الهمزة فى حكمها فلا تدغم (وليتق الله ربه)
فى الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات (ولاتكتموا الشهادة) ايها الشهود
او المديونون والشهادة شهادتهم على انفسهم (ومن يكتمها فانه آثم قلبه)
اى يأثم قلبه او قلبه يأثم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه

من القتل والهزيمة (والله
خبير بما تعملون ثم أنزل
عليكم من بعد الغم أمنة)
أمنا (نعاسا) بدل (يغشى)
بالياء والتاء (طائفة منكم)
وهم المؤمنون فكانوا
يميدون تحت الجحف وتسقط
السيوف منهم (وطائفة
قد أهمتهم أنفسهم) أى
حملتهم على الهم فلا رغبة
لهم الا نجاتها دون النبى
وأصحابه فلم يناموا وهم
المنافقون (يظنون بالله)
ظنا (غير) الظن (الحق
ظن) أى كظن (الجاهلية)
حيث اعتقدوا أن النبى قتل
أولا ينصر (يقولون هل)
ما (لنا من الامر) أى النصر
الذى وعدناه (من) زائدة
(شئ قل) لهم (ان الامر
كله) بالنصب توكيد او الرفع
مبتدأ خبره (لله) أى
القضاء له يفعل مايشاء
(يخفون فى أنفسهم مالا
يبدون) يظهرون (لك
يقولون) بيان لماقبله (لو كان
لنا من الامر شئ ماقتلنا
ههنا) أى لو كان الاختيار
الينا لم نخرج فلم نقتل لكن
أخرجنا كرها (قل) لهم

ونظيره العين زانية والاذن زانية اوللمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكأنه قيل تمكن الاثم فى نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه (والله بما تعملون عليم) تهديد (لله مافى السموات ومافى الارض) خلقا وملكا (وان تبدوا مافى انفسكم اوتخفوه) يعنى مافيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه (يحاسبكم به الله) يوم القيامة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض (فيغفر لمن يشاء) مغفرته (ويعذب من يشاء) تعذيبه وهو صريح فى نفى وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستئناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا عنه بدل البعض من الكل اوالاشتمال كقوله « متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا » وادغام الراء فى اللام لحن اذ لراء لاتدغم الا فى مثلها (والله على كل شئ قدير) فيقدر على الاحياء والمحاسبة (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه) شهادة وتنصيص من الله تعالى على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم امره غير شاك فيه (والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) لايخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذى ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين اويجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه اولان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرأ حمزة والكسائى وكتابه يعنى القرآن اوالجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شائع فى وحدان الجنس والجمع فى جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب (لانفرق بين احد من رسله) اى يقولون لانفرق وقرأ يعقوب لايفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لايفرقون حملا على معناه كقوله تعالى وكل أتوه داخرين واحد فى معنى الجمع لوقوعه فى سياق النفى كقوله تعالى فامنكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفى الفرق بالتصديق والتكذيب (وقالوا سمعنا) اجبنا (واطعنا) امرك (غفرانك ربنا) اغفر غفرانك اونطلب غفرانك (واليك المصير) المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث (لايكلف الله نفسا الاوسعها) الاماتسعه قدرتها فضلا ورحمة اومادون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها

(او كنتم فى بيوتكم) وفيكم من كتب الله القتل (لبرز) خرج (الذين كتب) قضى (عليهم القتل) منكم (الى مضاجعهم) مصارعهم فيقتلوا ولم ينجهم قعودهم لان قضاءه تعالى كائن لامحالة (و) فعل مافعل بأحد (ليبتلى) يختبر (الله مافى صدوركم) قلوبكم من الاخلاص والنفاق (وليمحص) يميز (مافى قلوبكم والله عليم بذات الصدور) بما فى القلوب لايخفى عليه شئ وانما يبتلى ليظهر للناس (ان الذين تولوا منكم) عن القتال (يوم التقى الجمعان) جمع المسلمين وجمع الكفار بأحد وهم المسلمون الا اثنى عشر رجلا (انما استزلهم) ازلهم (الشيطان) بوسوسته (ببعض ماكسبوا) من الذنوب وهو مخالفة امر النبى (ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور) للمؤمنين (حليم) لايعجل على العصاة (ياايها الذين امنوا لاتكونوا كالذين كفروا)

ويتيسر عليها لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر فهو يدل
على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه (لها ما كسبت)
من خير (وعليها ما اكتسبت) من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر
بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب
فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد فى تحصيله واعمل
بخلاف الخير (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا) اى لا تؤاخذنا بما ادى
بنا الى نسيان او خطأ من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا تمتنع المؤاخذة
بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدى الى الهلاك وان كان
خطأ فتعاطى الذنوب لا يبعد ان يفضى الى العقاب وان لم يكن عزيمة لكنه
تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة
واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه الصلاة والسلام رفع
عن امتى الخطأ والنسيان (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) عبأ ثقيلا يأصر
صاحبه اى يحبسه فى مكانه يريد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد
للمبالغة (كما حملته على الذين من قبلنا) حملا مثل حملك اياه من قبلنا
او مثل الذى حملته اياهم فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنى اسرائيل
من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة فى اليوم والليلة وصرف
ربع المال للزكاة او ما اصابهم من الشدائد والمحن (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به)
من البلاء والعقوبة او من التكاليف التى لا تفى بها الطاقة البشرية وهو يدل
على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية
الفعل الى المفعول الثانى (واعف عنا) وامح ذنوبنا (واغفر لنا) واستر عيوبنا
ولا تفضحنا بالمؤاخذة (وارحمنا) وتعطف بنا وتفضل علينا (انت مولانا)
سيدنا (فانصرنا على القوم الكافرين) فان حق المولى ان ينصر مواليه
على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روى انه عليه الصلاة والسلام لما دعا
بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه السلام انزل الله تعالى
آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفى سنة من قرأهما
بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام * من قرأ آيتين
من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال سورة البقرة
وقال ينبغى ان يقال السورة التى يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التى
يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة
ولن تستطيعها البطلة قيل يا رسول الله وما البطلة قال السحرة

اى المنافقين (وقالوا
لاخوانهم) أى فى شانهم (اذا
ضربوا) سافروا (فى الارض)
فماتوا (أو كانوا غزى) جمع
غاز فقتلوا (لو كانوا عندنا ما
ماتوا وما قتلوا) اى لا تقولوا
كقولهم (ليجعل الله ذلك)
القول فى عاقبة أمرهم
(حسرة فى قلوبهم والله
يحيى ويميت) فلا يمنع عن
الموت قعود (والله بما
تعملون) بالتاء والياء
(بصير) فيجازيكم به (ولئن)
لام قسم (قتلتم فى سبيل الله)
أى الجهاد (اومتم)
بضم الميم وكسرها من مات
يموت ويمات أى أتاكم الموت
فيه (لمغفرة) كائنة (من الله)
لذنوبكم (ورحمة) منه
لكم على ذلك واللام
ومدخولها جواب القسم
وهو فى موضع الفعل مبتدأ
خبره (خير مما تجمعون)
من الدنيا بالتاء والياء (ولئن)
لام قسم (متم) بالوجهين
(أو قتلتم) فى الجهاد
أو غيره (لالى الله) لا الى غيره
(تحشرون) فى الآخرة
فيجازيكم (فبما) ما زائدة

(سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم الله لااله الاهو) انما فتح الميم فى المشهور وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها فى حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم فى حكم الوقف كقولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور فى باب الوقف ولذلك لم تحرك الميم فى لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل (الحى القيوم) روى انه عليه الصلاة والسلام قال ان اسم الله الاعظم فى ثلاث سور فى البقرة * الله لا اله الا هو الحى القيوم * وفى ال عمران الله لا اله الا هو الحى القيوم وفى طه وعنت الوجوه للحى القيوم (نزل عليك الكتاب) القرآن نجوما (بالحق) بالعدل اوبالصدق فى اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو فى موضع الحال (مصدقا لما بين يديه) من الكتب (وانزل التورية والانجيل) جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان يؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العرب وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان والكسائى التورية بالامالة فى جميع القرآن ونافع وحمزة بين اللفظين الاقالون فانه قرأ بالفتح كقراءة الباقين (من قبل) من قبل تنزيل القرآن (هدى للناس) على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرايع من قبلنا والا فالمراد به قومهما (وانزل الفرقان) يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة ليعم ماعداها كانه قال وانزل سائر مايفرق به بين الحق والباطل او الزبور او القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما فى كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق بين المحق والمبطل والمعجزات (ان الذين كفروا بآيات الله) من كتبه المنزلة وغيرها (لهم عذاب شديد) بسبب كفرهم (والله عزيز) غالب لايمنع من التعذيب (ذوانتقام) لايقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جئ به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ماهو العمدة فى اثبات النبوة تعظيما

(رحمة من الله لنت) يامحمد (لهم) أى سهلت أخلاقك اذ خالفوك (ولو كنت فظا) سيئ الخلق (غليظ القلب) جافيا فأغلظت لهم (لانفضوا) تفرقوا (من حولك فاعف) تجاوز (عنهم) ماأتوه (واستغفر لهم) ذنبهم حتى أغفر لهم (وشاورهم) استخرج آراءهم (فى الامر) أى شأنك من الحرب وغيره تطييبا لقلوبهم وليستن بك وكان صلى الله عليه وسلم كثير المشاورة لهم (فاذا عزمت) على امضاء ماتريد بعد المشاورة (فتوكل على الله) ثق به لا بالمشاورة (ان الله يحب المتوكلين) عليه (ان ينصركم الله) يعنكم على عدوكم كيوم بدر (فلا غالب لكم وان يخذلكم) يترك نصركم كيوم أحد (فمن ذا الذى ينصركم من بعده) أى بعد خذلانه أى لاناصر لكم (وعلى الله) لاغيره (فليتوكل) ليثق (المؤمنون) ونزل لما فقدت قطيفة حمراء يوم بدر فقال بعض الناس لعل النبى أخذها (وما كان)

للامر وزجرا عن الاعراض عنه (ان الله لايخفى عليه شئ فى الارض ولافى السماء) اى شئ كائن فى العالم كليا كان اوجزئيا ايمانا اوكفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لايتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر مااقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله (هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء) اى من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله فى خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اى صوركم لنفسه وعبادته (لااله الاهو) اذلايعلم غيره جملة مايعلمه ولايقدر على مثل مايفعله (العزيز الحكيم) اشارة الى كمال قدرته وتناهى حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم (هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات) احكمت عبارتها بان حفظت من الاجمال والاحتمال (هن ام الكتاب) اصله ترد اليها غيرها والقياس امهات فافرد على تأويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة (واخر متشابهات) محتملات لايتضح مقصودها لاجمال اومخالفة ظاهر الابالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا فى تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح فى استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالى الدرجات واما قوله تعالى * الر كتاب احكمت آياته * فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا فى صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الاخر ولايلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لانه فى معنى المعرف اوعن اخرمن (فاما الذين فى قلوبهم زيغ) عدول عن الحق كالمبتدعة (فيتبعون ماتشابه منه) فيتعلقون بظاهره اوبتأويل باطل (ابتغاء الفتنة) طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه (وابتغاء تأويله) وطلب ان يؤلوه على مايشتهونه ويحتمل ان يكون الداعى الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل واحدة منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثانى يلائم الجاهل (ومايعلم تأويله) الذى يجب ان يحمل عليه (الا الله

ماينبغى (لنبى أن يغل) يخون فى الغنيمة فلا تظنوا به ذلك وفى قراءة بالبناء للمفعول اى ينسب الى الغلول (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) حاملا له على عنقه (ثم توفى كل نفس) الغال وغيره جزاء (ما كسبت) عملت (وهم لايظلمون) شيئا (أفمن اتبع رضوان الله) فأطاع ولم يغل (كمن باء) رجع (بسخط من الله) لمعصيته وغلوله (ومأواه جهنم وبئس المصير) المرجع هى لا (هم درجات) أى أصحاب درجات (عند الله) أى مختلفوا المنازل فلمن اتبع رضوانه الثواب ولمن باء بسخطه العقاب (والله بصير بمايعملون) فيجازيهم به (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) أى عربيا مثلهم ليفهموا عنه ويشرفوا به لاملكا ولا عجميا (يتلو عليهم آياته) القرآن (ويزكيهم) يطهرهم من الذنوب (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) السنة (وان) مخففة أى انهم (كانوا من قبل) أى

(والراسخون فى العلم) اى الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه
بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد
كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ماهو
المراد (يقولون آمنا به) استئناف موضح لحال الراسخين اوحال منهم
اوخبران جعلته مبتدأ (كل من عند ربنا) اى كل من المتشابه والمحكم
من عنده (وما يذكر الا اولوا الالباب) مدح للراسخين بجودة الذهن
وحسن النظر واشارة الى ما استعد وابه للاهتداء الى تأويله وهو تجرد
العقل عن غواشى الحس واتصال الآية بما قبلها من حيث انها فى تصوير
الروح بالعلم وتزيينه وماقبلها فى تصوير الجسد وتسويته اوانها جواب
عن تشبث النصارى بنحو قوله تعالى * وكلمته القاها الى مريم وروح منه * كما
انه جواب قولهم لااب له غير الله فتعين ان يكون هو ابا بانه مصور الاجنة
كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره فى الرحم والمصور
لايكون اب المصور (ربنا لاتزغ قلوبنا) من مقال الراسخين وقيل
استئناف والمعنى لاتزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل
لاترتضيه قال عليه الصلاة والسلام * قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع
الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه * وقيل لاتبلنا ببلايا تزيغ
فيها قلوبنا (بعد اذ هديتنا) الى الحق اوالايمان بالقسمين وبعد نصب
على الظرف واذ فى موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان (وهب لنا
من لدنك رحمة) تزلفنا اليك ونفوز بها عندك اوتوفيقا للثبات على الحق
اومغفرة للذنوب (انك انت الوهاب) لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى
والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده لايجب عليه شئ (ربنا
انك جامع الناس ليوم) لحساب يوم اولجزائه (لاريب فيه) فى وقوع
اليوم ومافيه من الحشر والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين
مايتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل (ان الله لايخلف الميعاد) فان
الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به
الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة
كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا (ان الذين كفروا) عام فى الكفرة وقيل
المراد به وفد نجران او اليهود اومشركوا العرب (لن تغنى عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله شيئا) اى من رحمته اوطاعته على معنى البدلية اومن

قبل بعثه (لفى ضلال مبين)
بين (أولما أصابتكم مصيبة)
بأحد بقتل سبعين منكم (قد
أصبتم مثليها) ببدر بقتل
سبعين وأسر سبعين منهم
(قلتم) متعجبين (أنى) من
أين لنا (هذا) الخذلان
ونحن مسلمون ورسول الله
فينا والجملة الاخيرة محل
الاستفهام الانكارى (قل)
لهم (هو من عند أنفسكم)
لانكم تركتم المركز فخذلتم
(ان الله على كل شئ قدير)
ومنه النصر ومنعه وقد جازاكم
بخلافكم (وما أصابكم
يوم التقى الجمعان) باحد
(فباذن الله) بارادته (وليعلم
الله علم ظهور (المؤمنين)
حقا (وليعلم الذين نافقوا)
الذين (قيل لهم) لما انصرفوا
عن القتال وهم عبدالله بن أبى
وأصحابه (تعالوا قاتلوا فى
سبيل الله) أعداءه (أو
ادفعوا) عنا القوم بتكثير
سوادكم ان لم تقاتلوا (قالوا
لو نعلم) نحسن (قتالا لاتبعناكم)
قال تعالى تكذيبا لهم
(هم للكفر يومئذ أقرب منهم
للايمان) بما أظهروا من
خذلانهم للمؤمنين

عذابه (واولئك هم وقود النار) حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها (كدأب آل فرعون) متصل بما قبله اى لن تغنى عنهم كما لم تغن عن اولئك اوتوقد بهم كما تو قد باولئك اواستئناف مرفوع المحل وتقديره دأب هؤلاء كدأبهم فى الكفر والعذاب وهو مصدر دأب فى العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشان (والذين من قبلهم) عطف على آل فرعون وقيل استئناف (كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم) حال باضمار قد او استئناف بتفسير حالهم اوخبران ابتدأت بالذين من قبلهم (والله شديد العقاب) تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم) اى قل لمشركى مكة ستغلبون يعنى يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه الصلاة والسلام جمعهم بعد بدر فى سوق بنى قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بنى النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائى بالياء فيهما على ان الامر بان يحكى لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه (وبئس المهاد) تمام ما يقال لهم اواستئناف وتقديره وبئس المهاد جهنم اوما مهدوه لانفسهم (قد كان لكم آية) الخطاب لقريش اولليهود وقيل للمؤمنين (فى فئتين التقتا) يوم بدر (فئة تقاتل فى سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم) يرى المشركون المؤمنين مثلى عدد المشركين وكان قريب الف اومثلى عدد المسلمين وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعد ما قللهم فى اعينهم حتى اجترأوا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا فى اعينهم حتى غلبوا مددا من الله تعالى للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلى المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذى وعدهم به فى قوله * فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين * ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اى يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص اوالحال من فاعل التقتا (رأى العين) رؤية ظاهرة معاينة (والله يؤيد بنصره من يشاء) نصره كما ايد اهل بدر (ان فى ذلك) اى التقليل اوالتكثير اوغلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكى السلاح وكون الوقعة آية ايضا يحتملهما ويحتمل

وكانوا قبل أقرب الى الايمان من حيث الظاهر (يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم) ولو علموا قتالا لم يتبعوكم (والله أعلم بما يكتمون) من النفاق (الذين) بدل من الذين قبله أو نعت (قالوا لاخوانهم) فى الدين (و) قد (قعدوا) عن الجهاد (لو أطاعونا) أى شهداء أحد أواخواننا فى القعود (ما قتلوا قل) لهم (فادرؤا) ادفعوا (عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) فى أن القعود ينجى منه * ونزل فى الشهداء (ولا تحسبن الذين قتلوا) بالتخفيف والتشديد (فى سبيل الله) أى لاجل دينه (أمواتا بل) هم (أحياء عند ربهم) أرواحهم فى حواصل طيور خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت كما ورد فى الحديث (يرزقون) يأكلون من ثمار الجنة (فرحين) حال من ضمير يرزقون (بما آتاهم الله من فضله و) هم (يستبشرون) يفرحون (بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) من اخوانهم المؤمنين ويبدل من الذين

وقوع الامر على ماخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم (لعبرة لاولى الابصار) اى لعظة لذوى البصائر وقيل لمن ابصرهم (زين للناس حب الشهوات) اى المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء الى انهم انهمكوا فى محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله تعالى * احببت حب الخير * والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعى ولعله زينه ابتلاء اولانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله تعالى ولانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية فى معرض الذم وفرق الجبائى بين المباح والمحرم (من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث) بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملئ مسك ثور واختلف فى انه فعلال اوفنعال والمقنطرة مأخوذة منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهى العلامة اوالمرعية من اسام الدابة وسومها اوالمطهمة والانعام الابل والبقر والغنم (ذلك متاع الحيوة الدنيا) اشارة الى ماذكر (والله عنده حسن المآب) اى المرجع وهو تحريض على استبدال ماعنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية (قل اؤنبئكم بخير من ذلكم) يريد به تقرير ان ثواب الله تعالى خير من مستلذات الدنيا (للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) استئناف لبيان ماهو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير (وازواج مطهرة) ممايستقذر من النساء (ورضوان من الله) قرأه عاصم بضم الراء وهما لغتان (والله بصير بالعباد) اى باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسئ اوباحوال الذين اتقوا فلذلك اعدلهم جنات وقد نبه بهذه الآية على نعمه فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله تعالى * لقوله تعالى ورضوان من الله اكبر * واوسطها الجنة ونعيمها (الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) صفة للمتقين اوللعباد اومدح منصوب اومرفوع وفى ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف فى استحقاق المغفرة اوالاستعداد لها (الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار) حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فان معاملته مع الله تعالى اماتوسل

﴿ واما ﴾

(أن) أى بان (لاخوف عليهم) أى الذين لم يلحقوا بهم (ولاهم يحزنون) فى الآخرة المعنى يفرحون بأمنهم وفرحهم (يستبشرون بنعمة) ثواب (من الله وفضل) زيادة عليه (وأن) بالفتح عطفا على نعمة والكسر استئنافا (الله لايضيع أجر المؤمنين) بل يأجرهم (الذين) مبتدأ (استجابوا لله والرسول) دعاءه بالخروج للقتال لما أراد أبو سفيان وأصحابه العود وتواعدوا مع النبى صلى الله عليه وسلم سوق بدر العام المقبل من يوم أحد (من بعدما أصابهم القرح) بأحد وخبر المبتدأ (للذين أحسنوا منهم) بطاعته (واتقوا) مخالفته (أجر عظيم) هو الجنة (الذين) بدل من الذين قبله أو نعت (قال لهم الناس) أى نعيم بن مسعود الاشجعى (ان الناس) أبا سفيان وأصحابه (قدجمعوا لكم) الجموع ليستأصلوكم (فاخشوهم) ولا تأتوهم (فزادهم) ذلك القول (ايمانا) تصديقا

واماطلب والتوسل. امابالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما وامابالبدن وهواماقولى وهو الصدق واما فعلى وهوالقنوت الذى هوملازمة الطاعة وامابالمال وهوالانفاق فى سبيل الخير وامالطلب فبالاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكمالهم فيها اولتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون (شهد الله انه لااله الاهو) بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها (والملائكة) بالاقرار (واولوا العلم) بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك فى البيان والكشف بشهادة الشاهد (قائمابالقسط) مقيما للعدل فى قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله وانماجاز افراده بها ولم يجز جاءز يدوعمرورا كبا لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبناله اسحق ويعقوب نافلة * اومن هو والعامل فيها معنى الجملة اى تفرد قائما اواحقه لانها حال مؤكدة اوعلى المدح اوالصفة للمنفى وفيه ضعف للفصل وهومندرج فى المشهود به اذاجعلته صفة اوحالامن الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو اوالخبر لمحذوف (لااله الاهو) كرره للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعداقامة الحجة وليبتنى عليه قوله (العزيز الحكيم) فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير اوالصفة لفاعل شهد وقدروى فى فضلها انه عليه الصلاة والسلام قال يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله تعالى ان لعبدى هذا عندى عهدا وانااحق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة وهى دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله (ان الدين عندالله الاسلام) جملة مستأنفة مؤكدة للاولى اى لادين مرضى عندالله سوى الاسلام وهوالتوحيد والتدرع بالشرع الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ الكسائى بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بمايتضمنه و بدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على الثانى واعتراض مابينهما اواجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما (وماختلف الذين

بالله ويقينا (وقالوا حسبنا الله) كافينا أمرهم (ونعم الوكيل) المفوض اليه الامر وخرجوا مع النبى فوافوا سوق بدر وألقى الله الرعب فى قلب أبى سفيان وأصحابه فلم يأتوا وكان معهم تجارات فباعوا وربحوا قال تعالى (فانقلبوا) رجعوا من بدر (بنعمة من الله وفضل) بسلامة وربح (لم يمسسهم سوء) من قتل أوجرح (واتبعوا رضوان الله) بطاعته ورسوله فى الخروج (والله ذوفضل عظيم) على أهل طاعته (انماذلكم) أى القائل لكم ان الناس الخ (الشيطان يخوف) كم (أولياءه) الكفار فلاتخافوهم وخافون) فى ترك أمرى (ان كنتم مؤمنين) حقا (ولايحزنك) بضم الياء وكسر الزاى وبفتحها وضم الزاى من حزنه لغة فى أحزنه (الذين يسارعون فى الكفر) يقعون فيه سريعا بنصرته وهم أهل مكة أوالمنافقون أى لاتهتم بكفرهم (انهم لن يضروا الله شيئا) بفعلهم

اوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى اومن ارباب الكتب المتقدمة فى دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا اوفى التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم نصارى اختلفوا فى امر عيسى عليه السلام (الامن بعدما جاءهم العلم) اى بعد ما علموا حقيقة الامر اوتمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج (بغيا بينهم) حسدا بينهم وطلبا للرياسة لالشبهة وخفاء فى الامر (ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) وعيد لمن كفر منهم (فان حاجوك) فى الدين وجادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج (فقل اسلمت وجهى لله) اخلصت نفسى وجملتى له لااشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذى قامت عليه الحجج ودعت اليه الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس (ومن اتبعن) عطف على التاء وحسن للفصل اومفعول معه (وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين) الذين لاكتاب لهم كمشركى العرب (ءاسلمتم) كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة (فان اسلموا فقد اهتدوا) فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال (وان تولوا فانما عليك البلاغ) اى فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت (والله بصير بالعباد) وعد ووعيد (ان الذين يكفرون بآيات الله و يقتلون النبيين بغير حق و يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم) هم اهل الكتاب الذين فى عصره عليه السلام قتل اولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله فى سورة البقرة وقرأ حمزة و يقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء فى خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر (اولئك الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة) كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه لاتغير معنى الابتداء بخلافهما (ومالهم من ناصرين) يدفعون عنهم العذاب (الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب) اى التورية اوجنس الكتب السماوية ومن للتبعيض اوللبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير (يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم) الداعى محمد عليه الصلاة والسلام وكتاب الله القرآن والتورية

وانما يضرون انفسهم (يريد الله أن لايجعل لهم حظا) نصيبا (فى الآخرة) أى الجنة فلذلك خذلهم (ولهم عذاب عظيم) فى النار (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان) أى أخذوه بدله (لن يضروا الله) بكفرهم (شيئا ولهم عذاب أليم) مؤلم (ولايحسبن) بالياء والتاء (الذين كفروا أنما نملى) أى املاءنا (لهم) بتطويل الاعمار وتأخيرهم (خير لأنفسهم) وان ومعمولاها سدت مسد المفعولين فى قراءة التحتانية ومسد الثانى فى الاخرى (انما نملى) نمهل (لهم ليزدادوا اثما) بكثرة المعاصى (ولهم عذاب مهين) ذو اهانة فى الآخرة (ماكان الله ليذر) ليترك (المؤمنين على ماأنتم) أيها الناس (عليه) من اختلاط المخلص بغيره (حتى يميز) بالتخفيف والتشديد يفصل (الخبيث) المنافق (من الطيب) المؤمن بالتكاليف الشاقة المبينة لذلك وفعل ذلك يوم أحد (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) فتعرفوا المنافق من غيره قبل التمييز (ولكن الله يجتبى)

لماروى انه عليه الصلاة والسلام دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اى دين انت فقال على دين ابراهيم فقالا له ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فأبيا فنزلت وقيل نزلت فى الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة فى الاصول (ثم يتولى فريق منهم) استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب (وهم معرضون) وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه بالصفة (ذلك) اشارة الى التولى والاعراض (بانهم قالوا لن تمسنا النار الاايا مامعدودات) بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزايغ والطمع الفارغ (وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون) من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل اوان آباءهم الانبياء يشفعون لهم اوانه تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لايعذب اولاده الاتحلة القسم (فكيف اذاجمعناهم ليوم لاريب فيه) استعظام لما يحيق بهم فى الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات روى ان اول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله تعالى على رؤس الاشهاد ثم يأمربهم الى النار (ووفيت كل نفس ما كسبت) جزاء ماكسبت وفيه دليل على ان العبادة لاتحبط وان المؤمن لايخلد فى النار لان توفية ايمانه وعمله لاتكون فى النار ولاقبل دخولها فاذاهى بعد الخلاص منها (وهم لايظلمون) الضمير لكل نفس على المعنى لانه فى معنى كل انسان (قل اللهم) الميم عوض عن يا ولذلك لايجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله ياالله امنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته (مالك الملك) تتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية (تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) تعطى منها ماتشاء لمن تشاء وتسترد فالملك الاول عام والآخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم (وتعز من تشاء وتذل من تشاء) فى الدنيا اوفى الآخرة اوفيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان (بيدك الخير انك على كل شئ قدير) ذكر الخير وحده لانه المقضى بالذات والشر مقضى بالعرض

يختار (من رسله من يشاء) فيطلعه على غيبه كما اطلع النبى على حال المنافقين (فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا) النفاق (فلكم أجر عظيم ولايحسبن) بالياء والتاء (الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله) أى بركاته (هو) أى بخلهم (خيرالهم) مفعول ثان والضمير للفصل والاول بخلهم مقدر اقبل الموصول على الفوقانية وقبل الضمير على التحتانية (بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به) أى بزكاته من المال (يوم القيامة) بأن يجعل حية فى عنقه تنهشه كما ورد فى الحديث (ولله ميراث السموات والارض) يرثهما بعد فناء أهلهما (والله بما يعملون) بالياء والتاء (خبير) فيجازيكم به (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) وهم اليهود قالوه لما نزل من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا وقالوا لوكان غنيا ما استقرضنا (سنكتب) نأمر بكتب (ماقالوا) فى صحائف أعمالهم ليجازوا عليه وفى قراءة بالياء مبنيا للمفعول (و) نكتب (قتلهم) بالنصب

والرفع (الانبياء بغير حق ونقول) بالنون والياء أى الله لهم فى الآخرة على لسان الملائكة (ذوقوا عذاب الحريق) النار ويقال لهم اذا ألقوا فيها (ذلك) العذاب (بما قدمت أيديكم) عبر بها عن الانسان لان اكثر الافعال تزاول بها (وأن الله ليس بظلام) أى بذى ظلم (للعبيد) فيعذبهم بغير ذنب (الذين) نعت للذين قبله (قالوا) لمحمد (ان الله) قد (عهد الينا) فى التوارة (أن لانؤمن لرسول) نصدقه (حتى يأتينا بقربان تأكله النار) فلانؤمن لك حتى تأتينا به وهو مايتقرب به الى الله من نعم وغيرها فان قبل جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقته والابقى مكانه وعهد الى بنى اسرائيل ذلك الا فى المسيح ومحمد قال تعالى (قل) لهم توبيخا (قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات) بالمعجزات (وبالذى قلتم) كزكريا ويحيى فقتلتموهم والخطاب لمن فى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان كان الفعل لاجدادهم لرضاهم به

اذلايوجد شر جزئى مالم يتضمن خيراً كليا اولمراعاة الادب فى الخطاب اولان الكلام وقع فيه اذ روى انه عليه السلام لماخط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه السلام فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء مابين لابتيها لكأن مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون قال اضاءت لى منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لى منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لى منها قصور صنعاء واخبرنى جبريل عليه السلام ان امتى ظاهرة على كلها فأبشروا فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شئ قدير (تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب) عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول فى مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احد هما فى الآخر بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج الحى من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها واماتتها اوانشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف (لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء) نهوا عن موالاتهم لقرابة اوصداقة جاهلية ونحوهما حتى لايكون حبهم وبعضهم الا فى الله اوعن الاستعانة بهم فى الغزو وسائر الامور الدينية (من دون المؤمنين) اشارة الى انهم الاحقاء بالموالات وان فى موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة (ومن يفعل ذلك) اى اتخاذهم اولياء (فليس من الله فى شئ) من ولايته فى شئ يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعادين لايجتمعان قال « تود عدوى ثم تزعم اننى * صديقك ليس النوك عنك بعازب » (الا ان تتقوا منهم تقاة) الا ان تخافوا من جهتهم مايجب اتقاؤه اواتقاء والفعل معدى بمن لانه فى معنى تحذروا وتخافوا وقرأ يعقوب تقية منع من موالاتهم ظاهرا وباطنا فى الاوقات كلها الا وقت المخافة

فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا
(ويحذركم الله نفسه والى الله المصير) فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه
وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهى المنهى فى القبح وذكر
النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه تعالى فلا يؤبه دونه بما يحذر
من الكفرة (قل ان تخفوا ما فى صدوركم او تبدوه يعلمه الله) اى انه يعلم ضمائركم
من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها (ويعلم ما فى السموات وما فى
الارض) فيعلم سركم وعلنكم (والله على كل شئ قدير) فيقدر على عقوبتكم
ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والآية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه فكأنه قال
ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتى محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية
تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو
مطلع عليها قادر على العقاب بها (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا) يوم منصوب
بتود اى يتمنى كل نفس يوم تجد صحائف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير
والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو
اذكر وتود حال من الضمير فى عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور
على ما عملت من خير ولا يكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى
هذا يصح ان تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كائن
واوفق للقراءة المشهورة (ويحذركم الله نفسه) كرر للتأكيد والتذكير
(والله رؤف بالعباد) اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم
ومراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب فيرجى رحمته ويخشى عذابه
(قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى) المحبة ميل النفس الى الشئ لكمال ادرك فيه
بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقى ليس الا لله
وان كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه
الا لله وفى الله وذلك يقتضى ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت
المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول فى عبادته والحرص
على مطاوعته (يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) جواب للامر اى يرض عنكم
ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم
فى جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة (والله غفور
رحيم) لمن يتحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روى انها نزلت لما قالت اليهود نحن

(فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) فى انكم تؤمنون عند الاتيان به (فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات) المعجزات (والزبر) كصحف ابراهيم (والكتاب) وفى قراءة باثبات الباء فيهما (المنير) الواضح وهو التوراة والانجيل فاصبر كما صبروا (كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم) جزاء أعمالكم (يوم القيامة فمن زحزح) بعد (عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) نال غاية مطلوبه (وما الحيوة الدنيا) أى العيش فيها (الا متاع الغرور) الباطل يتمتع به قليلا ثم يفنى (لتبلون) حذف منه نون الرفع لتوالى النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين لتختبرن (فى أموالكم) بالفرائض فيها والجوائح (وأنفسكم) بالعبادات والبلاء (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) اليهود والنصارى (ومن الذين أشركوا) من العرب (أذى كثيرا) من السب والطعن

ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت فى وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل فى اقوام زعموا على عهده صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل (قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا) يحتمل المضى والمضارعة بمعنى فان تتولوا (فان الله لا يحب الكافرين) لا يرضى عنهم ولا يثنى عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولى كفر وانه من هذه الحيثية ينفى محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وآل ابراهيم اسماعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل عمران موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن ايعازار بن رب بابل بن سالثان بن يوحنا بن اوشا بن امو زر بن ميشك بن حارقيا بن احاذ بن يوثام بن عزريا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود بن ايشا بن عرند بن سلمون ابن باعر بن يحشون بن عماد بن رام بن خضروم بن فارض بن يهوذا ابن يعقوب عليه السلام وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة (ذرية بعضها من بعض) حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح اى يعنى انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض فى الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر اوفعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت (والله سميع عليم) باقوال الناس واعمالهم فيصطفى من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها (اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى) فينتصب به اذ على التنازع وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون فظن انه المراد وزوجته ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى عليهما السلام ابنى خالة من الاب روى انها كانت عاقرا عجوزا فبينما هى فى ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك على نذرا ان رزقتنى ولدا ان اتصدق به على بيت

والتشبيب بنسائكم (وان تصبروا) على ذلك (وتتقوا) الله (فان ذلك من عزم الامور) أى من معزوماتها التى يعزم عليها لوجوبها (و) أذكر (اذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) أى العهد عليهم فى التوراة (ليبيننه) أى الكتاب (للناس ولا يكتمونه) أى الكتاب بالياء والتاء فى الفعلين (فنبذوه) طرحوا الميثاق (وراء ظهورهم) فلم يعملوا به (واشتروا به) أخذوا بدله (ثمنا قليلا) من الدنيا من سفلتهم برياستهم فى العلم فكتموه خوف فوته عليهم (فبئس ما يشترون) شراؤهم هذا (لا تحسبن) بالتاء والياء (الذين يفرحون بما أتوا) فعلوا من اضلال الناس (ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا) التمسك بالحق وهم على ضلال (فلا تحسبنهم) بالوجهين تأكيد (بمفازة) بمكان ينجون فيه (من العذاب) فى الآخرة بل هم فى مكان يعذبون فيه وهو جهنم (ولهم عذاب أليم) مؤلم فيها ومفعو لا يحسب الاولى

المقدس فيكون من خدمته فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا عندهم فى الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير وطلبت ذكرا (محررا) معتقا لخدمته لا اشغله بشئ او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال (فتقبل منى) ما نذرته (انك انت السميع العليم) لقولى ونيتى (فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انثى) الضمير لما فى بطنها وتأنيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا منه لان تأنيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تأويل مؤنث كالنفس والجبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجوان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره (والله اعلم بما وضعت) اى بالشئ الذى وضعت وهو استئناف من الله تعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشأنها وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها اى ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرئ بما وضعت على خطاب الله تعالى لها (وليس الذكر كالانثى) بيان لقوله والله اعلم اى وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيين فيما نذرت فتكون اللام للجنس (وانى سميتها مريم) عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم فى لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة (وانى اعيذها بك) اجيرها بحفظك (وذريتها من الشيطان الرجيم) المطرود واصل الرجم الرمى بالحجارة وعن النبى صلى الله عليه وسلم مامن مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع فى اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة (فتقبلها ربها) فرضى بها فى النذر مكان الذكر (بقبول حسن) بوجه حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روى ان حنة لما ولدتها لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بنى ماثان كانت رؤس بنى اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندى خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين

دل عليهما مفعولا الثانية على قراءة التحتانية وعلى الفوقانية حذف الثانى فقط (ولله ملك السموات والارض) خزائن المطر والرزق والنبات وغيرها (والله على كل شئ قدير) ومنه تعذيب الكافرين وانجاء المؤمنين (ان فى خلق السموات والارض) وما فيهما من العجائب (واختلاف الليل والنهار) بالمجئ والذهاب والزيادة والنقصان (لآيات) دلالات على قدرته تعالى (لاولى الالباب) لذوى العقول (الذين) نعت لما قبله او بدل (يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) مضطجعين اى فى كل حال وعن ابن عباس يصلون كذلك حسب الطاقة (ويتفكرون فى خلق السموات والارض) ليستدلوا به على قدرة صانعهما يقولون (ربنا ما خلقت هذا) الخلق الذى نراه (باطلا) حال عبثا بل دليلا على كمال قدرتك (سبحانك) تنزيها لك عن العبث (فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار) للخلود فيها

فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها زكريا ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اى بذى قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقصى وتعجل اى فأخذها فى اول امرها حين ولدت بقبول حسن (وانبتها نباتا حسنا) مجاز عن تربيتها بما يصلحها فى جميع احوالها (وكفلها زكريا) شدد الفاء حمزة والكسائى وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم فى رواية ابن عياش على ان الفاعل هو الله تعالى وزكريا مفعول اى جعله كافلا لها وضامنا بمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكرياء مرفوعا (كلما دخل عليها زكريا المحراب) اى الغرفة التى بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمى به لانه محل محاربة الشيطان كأنها وضعت فى اشرف موضع من بيت المقدس (وجد عندها رزقا) جواب كلما وناصبه روى انه كان لايدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وبالعكس (قال يامريم انى لك هذا) من اين لك هذا الرزق الآتى فى غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه (قالت هو من عند الله) فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى عليه السلام ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة (ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من كلامها وان يكون من كلام الله تعالى روى ان فاطمة رضى الله تعالى عنها اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها فقال هلمى يابنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة نساء بنى اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته حتى شبعوا وبقى الطعام كما هو فأوسعته على جيرانها (هنالك دعا زكريا ربه) فى ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى كرامة مريم ومنزلتها من الله تعالى (قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة) كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما رأى الفواكه فى غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسأل وقال هب لى من لدنك ذرية لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة (انك سميع الدعاء) مجيبه (فنادته الملائكة) اى

(فقد أخزيته) أهنته (وما للظالمين) الكافرين فيه وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بتخصيص الخزى بهم (من) زائدة (أنصار) يمنعونهم من عذاب الله تعالى (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى) يدعو الناس (للايمان) أى اليه وهو محمد أو القرآن (أن) أى بان (آمنوا بربكم فآمنا) به (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر) حط (عنا سيئاتنا) فلا تظهرها بالعقاب عليها (وتوفنا) اقبض أرواحنا (مع) فى جملة (الابرار) الانبياء والصالحين (ربنا وآتنا) أعطنا (ماوعدتنا) به (على) ألسنة (رسلك) من الرحمة والفضل وسؤالهم ذلك وان كان وعده تعالى لايخلف سؤال أن يجعلهم من مستحقيه لانهم لم يتيقنوا استحقاقهم له وتكرير ربنا مبالغة فى التضرع (ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد) الوعد بالبعث والجزاء (فاستجاب لهم ربهم)

من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادى كان جبرائيل وحده وقرأ
حمزة والكسائى فناداه بالامالة والتذكير (وهو قائم يصلى فى المحراب) اى قائم
فى الصلاة ويصلى صفة قائم او خبر او حال اخر او حال من الضمير فى قائم (ان الله
يبشرك بيحيى) اى بان الله وقرأ نافع وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان
النداء نوع منه وقرأ حمزة والكسائى يبشرك ويحيى اسم اعجمى وان جعل
عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل (مصدقا بكلمة من الله) اى بعيسى
سمى بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات التى هى عالم
الامر او بكتاب الله سمى كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته (وسيدا) يسود
قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم فى انه ماهم بمعصية (وحصورا)
مبالغا فى حبس النفس عن الشهوات والملاهى روى انه مر فى صباه
بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت (ونبيا من الصالحين) ناشئا
منهم او كائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة (قال رب انى يكون لى
غلام) استبعادا من حيث العادة او استعظاما وتعجبا او استفهاما عن
كيفية حدوثه (وقد بلغنى الكبر) ادركنى كبر السن واثر فى وكانت له تسع وتسعون
سنة ولامرأته ثمان وتسعون (وامرأتى عاقر) لا تلد من العقر وهو القطع لانها
ذات عقر من الاولاد (قال كذلك الله يفعل ما يشاء) اى يفعل ما يشاء
من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر
او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد
او كذلك الله مبتدأ وخبر اى الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له
او كذلك خبر مبتدأ محذوف اى الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان (قال
رب اجعل لى آية) علامة اعرف بها الحبل لأستقبله بالبشاشة والشكر
وتزيح مشقة الانتظار (قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام) ان لا تقدر على
تكلم الناس ثلاثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر
الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة وكأنه قال آيتك ان تحبس لسانك الا عن
الشكر واحسن الجواب ما اشتق عن السؤال (الا رمزا) اشارة بنحو يد
او رأس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل
والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمزا
كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله * متى
ما تلقنى فردين ترجف * روانف اليتيك وتستطارا * (واذكر ربك كثيرا)

دعاءهم (أنى) أى بانى
(لا أضيع عمل عامل منكم
من ذكر أو أنثى بعضكم)
كائن (من بعض) أى
الذكور من الاناث وبالعكس
والجملة مؤكدة لما قبلها أى
هم سواء فى المجازاة بالاعمال
وترك تضييعها نزلت لما
قالت أم سلمة يا رسول الله
انى لا أسمع ذكر النساء
فى الهجرة بشىء (فالذين
هاجروا) من مكة الى المدينة
(وأخرجوا من ديارهم
وأوذوا فى سبيلى) دينى
(وقاتلوا) الكفار
(وقتلوا) بالتخفيف
والتشديد وفى قراءة بتقديمه
(لأكفرن عنهم سيآتهم)
أسترها بالمغفرة (ولأدخلنهم
جنات تجرى من تحتها الانهار
ثوابا) مصدر من معنى
لأكفرن مؤكد له (من
عند الله) فيه التفات عن
التكلم (والله عنده حسن
الثواب) الجزاء * ونزل
لما قال المسلمون أعداء الله
فيما نرى من الخير ونحن
فى الجهد (لا يغرنك تقلب
الذين كفروا) تصرفهم
(فى البلاد) بالتجارة

في ايام الجبسة وهو مؤكد لماقبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لايفيد التكرار (وسبح بالعشي) من الزوال الى الغروب وقيل بالعصر اوالغروب الى ذهاب صدر الليل (والابكار) من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار (واذقالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة لزكريا اوارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله تعالى وماارسلنا قبلك الارجالا وقيل ألهموها والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم تقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عمايستقذر من النساء والثاني هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير اب وتبرئتها مماقذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين (يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين) امرت بالصلاة في الجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع امالكونه كذلك في شريعتهم اوللتنبيه على ان الواو لاتوجب الترتيب اوليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس في صلاتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله تعالى أمن هوقانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلاة كقوله تعالى وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات (ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك) اى ماذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها الابالوحي (وماكنت لديهم اذيلقون اقلامهم) اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوايكتبون بهاالتورية تبركا والمراد تقريركونه وحياعلى سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقائع المشاهدة اوالسماع وعدم السماع معلوم لاشبهة فيه عندهم فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولايظن به عاقل (ايهم يكفل مريم) متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اى يلقونها ليعلموا اويقولون ايهم يكفل مريم (وماكنت لديهم اذيختصمون) تنافسا في كفالتها (اذقالت الملائكة) بدل من اذقالت الاولى ومابينهما اعتراض اومن اذيختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كما تقول لقيته سنة كذا (يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى

والكسب هو (متاع قليل) يتمتعون به يسيرا في الدنيا ويفنى (ثم ما واهم جهنم وبئس المهاد) الفراش هي (لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين) اى مقدرين الخلود (فيها نزلا) هو مايعد للضيف ونصبه على الحال من جنات والعامل فيها معنى الظرف (من عندالله وما عندالله) من الثواب (خير للابرار) من متاع الدنيا (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) كعبدالله بن سلام وأصحابه والنجاشي (وما أنزل اليكم) أى القرآن (وماأنزل اليهم) أى التوراة والانجيل (خاشعين) حال من ضمير يؤمن مراعى فيه معنى من أى متواضعين (لله لايشترون بآيات الله) التي عندهم في التوراة والانجيل من نعت النبي (ثمناقليلا) من الدنيا بأن يكتموها خوفا على الرياسة كفعل غيرهم من اليهود (أولئك لهم أجرهم) ثواب أعمالهم (عندربهم) يؤتونه مرتين كما في القصص

ابن مريم) المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبر كذا او بما طهره من الذنوب أو مسح الارض ولم يقم فى موضع او مسحه جبريل ومن العيس وهو بياض يعلوه حمرة تكلف لاطائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تمييز الاسماء نظمت فى سلكها ولا ينافى تعدد الخبر افراد المبتدأ فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذى يعرف به و يتميز عن غيره هذه الثلاثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير أب اذ الاولاد تنسب الى الآباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب (وجيها فى الدنيا والآخرة) حال مقدرة من كلمة وهى وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها للمعنى والوجاهة فى الدنيا النبوة وفى الآخرة الشفاعة (ومن المقربين) من الله وقيل اشارة الى علو درجته فى الجنة اورفعه الى السماء وصحبته الملائكة (ويكلم الناس فى المهد وكهلا) اى يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمى به ما يمهد للصبى من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشاد الى انه بمعزل عن الالوهية (ومن الصالحين) حال ثالث من كلمة اوضميرها الذى فى يكلم (قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر) تعجب اواستبعاد عادى اواستفهام عن انه يكون بتزوج اوغيره (قال كذلك الله يخلق مايشاء) القائل جبريل او الله تعالى وجبريل حكى لها قول الله تعالى (اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك (ونعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل) كلام مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زواج اوعطف على يبشرك اووجيها والكتاب الكتبة اوجنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما وقرأ نافع وعاصم ويعلمه بالياء (ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم بآية من ربكم) منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا بانى قد جئتكم اوبالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق فكأنه قال وناطقا بأنى قد جئتكم وتخصيص بنى اسرائيل لخصوص بعثته اليهم اوللرد على من زعم انه مبعوث الى

(ان الله سريع الحساب) يحاسب الخلق فى قدر نصف نهار من أيام الدنيا (ياأيها الذين آمنوا اصبروا) على الطاعات والمصائب وعن المعاصى (وصابروا) الكفار فلا يكونوا أشد صبرا منكم (ورابطوا) أقيموا على الجهاد (واتقوا الله) فى جميع أحوالكم (لعلكم تفلحون) تفوزون بالجنة وتنجون من النار

*(سورة النساء مدنية مائة وخمس أوست أوسبع وسبعون آية) *

(بسم الله الرحمن الرحيم) (ياأيها الناس) أى أهل مكة (اتقوا ربكم)أى عقابه بأن تطيعوه (الذى خلقكم من نفس واحدة)آدم(وخلق منها زوجها)حواء بالمد من ضلع من أضلاعه اليسرى (وبث) فرق ونشر (منهما) من آدم وحواء (رجالا كثيرا ونساء) كثيرة (واتقوا الله الذى تساءلون) فيه ادغام التاء فى الاصل فى السين وفى قراءة بالتخفيف بحذفها أى تتساءلون (به) فيما

غيرهم (انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير) نصب بدل من انى قد جئتكم او جر
بدل من آية اورفع على هى انى اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل
صورة الطير وقرأ نافع انى بالكسر (فانفخ فيه) الضمير للكاف اى فى ذلك الشئ
المماثل (فيكون طيرا باذن الله) فيصير حيا طيارا بامر الله نبه به على ان احياءه
من الله تعالى لا منه وقرأ نافع هنا وفى المائدة طائرا بالالف والهمزة (وابرئ
الاكمه والابرص) الاكمه الذى ولد اعمى او الممسوح العين روى انه ربما
كان يجتمع عليه ألوف من المرضى من طاق منهم اتاه ومن يطق اتاه
عيسى عليه السلام وما يداوى الا بالدعاء (واحيى الموتى باذن الله) كرر
باذن الله دفعا لتوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية
(وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم) بالمغيبات من احوالكم التى
لا تشكون فيها (ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) موفقين للايمان
فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين (ومصدقا
لما بين يدى من التورية) عطف على رسولا على الوجهين او منصوب
باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اى وجئتكم مصدقا (ولاحل لكم) مقدر
باضماره او مردود على قوله انى قد جئتكم بآية او معطوف على معنى مصدقا
كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك (بعض الذى حرم عليكم) اى
فى شريعة موسى عليه السلام كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل
والعمل فى السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى عليه
السلام ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتورية كما لا يعود نسخ القرآن بعضه
ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ فى الحقيقة بيان وتخصيص فى الازمان
(وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا
صراط مستقيم) اى جئتكم بآية اخرى الهمنيها ربكم وهى قولى ان الله ربى
وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبى والساحر
او جئتكم بآية على ان الله ربى وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض
والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم بآية من ربكم اى جئتكم بآية بعد اخرى مما
ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثانى لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه
بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله اى لما جئتكم بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة
فاتقوا الله فى المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم شرع فى الدعوة واشار
اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربى وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية

بينكم حيث يقول بعضكم لبعض
أسالك بالله وانشدك بالله (و
اتقوا (الارحام) أن تقطعوها
وفى قراءة بالجر عطفا على الضمير
فى به وكانوا يتناشدون بالرحم
(ان الله كان عليكم رقيبا)
حافظا لاعمالكم فمجازيكم بها
أى لم يزل متصفا بذلك * ونزل
فى يتيم طلب من وليه ماله فمنعه
(وآتوا اليتامى) الصغار
اللائى لا أب لهم (أموالهم)
اذا بلغوا (ولا تتبدلوا
الخبيث) الحرام (بالطيب)
الحلال أى تأخذوه بدله
كما تفعلون من أخذ الجيد
من مال اليتيم وجعل الردئ
من مالكم مكانه (ولا تأكلوا
أموالهم) مضمومة (الى
أموالكم انه) أى أكلها
(كان حوبا) ذنبا (كبيرا)
عظيما ولما نزلت تحرجوا
من ولاية اليتامى وكان
فيهم من تحته العشر أو الثمان
من الازواج فلا يعدل بينهن
فنزل (وان خفتم ألا تقسطوا)
تعدلوا (فى اليتامى) فتحرجتم
من أمرهم فخافوا أيضا
أن لا تعدلوا بين النساء اذا

بالاعتقاد الحق الذى غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة
العلمية فانه بملازمة الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهى
ثم قرر ذلك بأن بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة
ونظيره قوله عليه السلام قل آمنت بالله ثم استقم (فلما احس عيسى منهم
الكفر) تحقق كفرهم عنده تحقق مايدرك بالحواس (قال من انصارى
الى الله) ملتجئا الى الله تعالى او ذاهبا اليه او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار
بانصارى مضمنا معنى الاضافة اى من الذين يضيفون انفسهم الى الله فى نصرى
وقيل الى هنا بمعنى مع اوفى او اللام (قال الحواريون) حوارى الرجل
خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات
لخلوص الوانهن سمى به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نيتهم ونقاء
سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى عليه السلام
من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب اى يبيضونها (نحن انصار الله)
اى انصار دين الله (امنا بالله واشهد بانا مسلمون) لتشهد لنا يوم القيامة حين
يشهد الرسل لقومهم وعليهم (ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا
مع الشاهدين) اى مع الشاهدين بوحدانيتك اومع الانبياء الذين يشهدون
لاتباعهم اوامة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء على الناس
(ومكروا) اى الذين احس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة
(ومكر الله) حين رفع عيسى عليه السلام والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى
قتل والمكر من حيث انه فى الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لايسند الى
الله تعالى الاعلى سبيل المقابلة والازدواج (والله خير الماكرين) أقواهم
مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب (اذ قال الله) ظرف
لمكر الله او خير الماكرين اولمضمر مثل وقع ذلك (ياعيسى انى متوفيك)
اى مستوفى اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم اوقابضك
من الارض من توفيت مالى او متوفيك نائما اذ روى انه رفع نائما او مميتك
عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع
ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى (ورافعك الى) الى محل كرامتى
ومقر ملائكتى (ومطهرك من الذين كفروا) من سوء جوارهم اوقصدهم
(وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) يعلونهم بالحجة
اوالسيف فى غالب الامر ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى

نكحتموهن (فانكحوا)
تزوجوا (ما) بمعنى من
(طاب لكم من النساء مثنى
وثلاث ورباع) أى اثنتين
اثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا
أربعا ولاتزيدوا على ذلك
(فان خفتم ألاتعدلوا)
فيهن بالنفقة والقسم
(فواحدة) انكحوها
(أو) اقتصروا على
(ما ملكت أيمانكم) من
الاماء اذليس لهن من الحقوق
ماللزوجات (ذلك) أي
نكاح الاربع فقط أو
الواحدة أو التسرى (أدنى)
أقرب الى (ألا تعولوا)
تجوروا (وآتوا) أعطوا
(النساء صدقاتهن) جمع
صدقة مهورهن (نحلة)
مصدر عطية عن طيب نفس
(فان طبن لكم عن شئ منه
نفسا) تمييز محول عن
الفاعل أى طابت أنفسهن
لكن عن شئ من الصداق
فوهبنه لكم (فكلوه هنيئا
طيبا (مريئا) محمود العاقبة
لاضرر فيه عليكم فى الآخرة
نزل ردا على من كره ذلك
(ولاتؤتوا) أيها الاولياء
(السفهاء) المبذرين من الرجال

والى الآن لم يسمع غلبـة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة (ثم الى مرجعكم) الضمير لعيسى عليه السلام ومن تبعه ومن كفر به وغلب المخاطب على الغـائبين (فاحكم بينكم فيمـا كنتم فيه تختلفون) من امر الذين (فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين واما الذين آمنـوا وعملوا الصـالحـات فيـوفيهـم اجورهم) تفسير الحكم وتفصـيل له (والله لا يحب الظـالمين) تقرير لذلك (ذلك) اشارة الى ماسبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره (نتلوه عليك) وقوله (من الآيات) حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معـنى الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه (والذكر الحكيم) المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه يريد به القرآن وقيل اللوح (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم) ان شأنه الغريب كشأن آدم عليه السلام (خلقه من تراب) جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق آدم من التراب بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب (ثم قال له كن) اى انشأه بشرا كقوله ثم انشـأناه خلقا آخر وقدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخى الخبر لا المخبر (فيكون) حكاية حال ماضية (الحق من ربك) خبر مبتدأ محذوف اى هو الحق وقيل الحق مبتـدأ ومن ربك خبره اى الحق المذكور من الله تعـالى (فلا تكن من الممترين) خطاب للنبى صـلى الله عليه وسلم على طريقة التهييج لزيادة الثبات او لكل سـامع (فمن حاجك) من النصـارى (فيه) فى عيسى (من بعد ما جاءك من العلم) اى من البينات الموجبة للعلم (فقل تعالوا) هلموا بالرأى والعزم (ندع ابناءنا وابنـاءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم) اى يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المبـاهلة ويحمل عليهـا وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم (ثم نبتهل) اى نتبـاهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصـله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) عطف فيه بيان روى انهم لما دعوا الى المبـاهلة قالوا حتى ننظر فلمـا تخـالوا قالوا للعـاقب وكان ذا رأيهم ماترى فقـال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل فى امر صـاحبكم والله ماباهل قوم نبيـا الا هلكوا فان ابيتم الا الف

والنساء والصبيان (أموالكم) أى أموالهـم التى فى أيديكم (التى جعل الله لكم قياما) مصدر قام أى تقوم بمعـاشكم وصلاح أودكم فيضيعوهـا فى غير وجههـا وفى قرأة قيما جمع قيمة ما تقوم به الامتعة (وارزقوهم فيها) أطعموهم منها (واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا) عدوهـم عدة جميلة باعطـائهم امـوالهم اذا رشدوا (وابتلوا) اختبروا (اليتـامى) قبـل البلوغ فى دينهـم وتصرفهـم فى أحوالهـم (حـتى اذا بلغوا النكاح) أى صاروا أهـلا له بالاحتـلام أو السن وهـو استكمال خمس عشرة سنة عند الشـافعى (فان آنستم) أبصرتم (منهـم رشـدا) صـلاحا فى دينهـم ومالهـم (فادفعوا اليهـم أموالهـم ولا تأكلوها) أيها الاولـيـاء (اسرافا) بغـير حق حال (وبدارا) أى مبادرين الى انفاقها مخافة (أن يكبروا) رشـداء فيلزمكم تسليمها اليهم (ومن كان) من الاوليـاء (غنيا فليستعفف) أى يعف عن مال اليتيم ويمتنع من أكله

دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى رضى الله عنه خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فأمنوا فقال اسقفهم يامعشر النصارى انى لأرى وجوها لو سألوا الله تعالى ان يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا له الجزية الفى حلة حمراء وثلاثين درعا من حديد فقال عليه السلام والذى نفسى بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته (ان هذا) اى ماقص من نبأ عيسى ومريم (لهو القصص الحق) بجملتها خبر ان وهو فصل يفيد أن ماذكره فى شأن عيسى ومريم حق دون ماذكروه ومابعده خبر واللام دخلت فيه لانه اقرب الى المبتدأ من الخبر واصلها ان تدخل على المبتدأ (ومامن اله الا الله) صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تأكيدا للرد على النصارى فى تثليثهم (وان الله لهو العزيز الحكيم) لااحد سواه يساويه فى القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه فى الالوهية (فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين) وعيدلهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولى عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدى الى فساد النفس بل والى فساد العالم (قل ياأهل الكتاب) يعم اهل الكتابين وقيل يريد به وفد نجران او يهود المدينة (تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم) لايختلف فيها الرسل والكتب وتفسيرها مابعدها (ان لانعبد الا الله) اى نوحده بالعبادة ونخلص فيها (ولانشرك به شيئا) ولانجعل غيره شريكا له فى استحقاق العبادة ولانراه اهلا لان يعبد (ولايتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله) ولانقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولانطيع الاحبار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روى انها لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدى بن حاتم ماكنا نعبدهم يارسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك (فان تولوا) عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) اى لزمتكم الحجة فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم

(ومن كان فقيرا فليأكل) منه (بالمعروف) بقدر أجرة عمله (فاذا دفعتم اليهم) أى الى اليتامى (اموالهم فاشهدوا عليهم) أنهم تسلموها وبرئتم لئلا يقع اختلاف فترجعوا الى البينة وهذا أمر ارشاد (وكفى بالله) الباء زائدة (حسيبا) حافظا لاعمال خلقه ومحاسبهم * ونزل ردا لما كان عليه الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار (للرجال) الاولاد والاقرباء (نصيب) حظ (مما ترك الوالدان والاقربون) المتوفون (وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه) أى المال (أو كثر) جعله الله (نصيبا مفروضا) مقطوعا بتسليمه اليهم (واذا حضر القسمة) للميراث (أولوا القربى) ذوو القرابة ممن لايرث (واليتامى والمساكين فارزقوهم منه) شيئا قبل القسمة (وقولوا) أيها الاولياء (لهم) اذا كان الورثة صغارا (قولا معروفا) جميلا بأن تعتذروا اليهم أنكم لاتملكونه وأنه لصغار وهذا قيل انه منسوخ وقيل لا ولكن

اواعترفوابانكم كافرون بمانطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ماراعى فى هذه القصة من المبالغة فى الارشادوحسن التدرج فى الحجاج بين اولا احوال عيسى عليه السلام وماتعاور عليه من الاطوار المنافية للالوهية ثم ذكرمايحل عقدتهم و يزيح شبهتهم فلمارأى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل و الزم بان دعاهم الى ماوافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الآيات والنذر لاتغنى عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بأنامسلمون (ياأهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم ومانزلت التورية والانجيل الامن بعده) تنازعت اليهود والنصارى فى ابراهيم عليه السلام وزعم كل فريق انه منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثتا بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى عليهما السلام وكان ابراهيم قبل موسى بالف سنة وعيسى بألفين فكيف يكون عليهما (افلاتعقلون) فتدعون المحال (هاانتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) هاحرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التى غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اى انتم هؤلاء الحمق وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه فى التورية والانجيل عنادا اوتدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لاعلم لكم به ولاذكر فى كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل هاانتم اصله أأنتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقرأنافع وابوعمرو هاانتم حيث وقع بالمد من غير همزة وورش اقل مدا وقنبل بالهمزة من غير الف بعد الهاء والباقون بالمد والهمزة والبزى يقتصر على المد على اصله (والله يعلم) ماحاججتم فيه (وانتم لاتعلمون) وانتم جاهلون به (ماكان ابراهيم يهوديا ولانصرانيا) تصريح بمقتضى ماقرره من البرهان (ولكن كان حنيفا) مائلا عن العقائد الزائغة (مسلما) منقادا لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام (وماكان من المشركين) تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم

تهاون الناس فى تركه وعليه فهو ندب وعن ابن عباس واجب (وليخش) أى ليخف على اليتامى (الذين لو تركوا) أى قاربوا أن يتركوا (من خلفهم) أى بعدموتهم (ذرية ضعافا) أولادا صغارا (خافوا عليهم) الضياع (فليتقوا الله) فى أمر اليتامى وليأتوا اليهم مايحبون أن يفعل بذريتهم من بعدهم (وليقولوا) للميت (قولا سديدا) صوابا بان يأمروه أن يتصدق بدون ثلثه و يدع الباقى لورثته ولايتركهم عالة (ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما) بغير حق (انما يأكلون فى بطونهم) أى ملأها (نارا) لانه يؤل اليها (وسيصلون) بالبناء للفاعل والمفعول يدخلون (سعيرا) نارا شديدة يحترقون فيها (يوصيكم) يأمركم (الله فى) شان (أولادكم) بما يذكر (للذكر) منهم (مثل حظ) نصيب (الانثيين) اذا اجتمعتا معه فله نصف المال ولهما النصف فان كان معه واحدة فلها الثلث وله الثلثان وان انفرد حاز المال

عليه السلام (ان اولى الناس بابراهيم) ان اخصهم به واقربهم منه من الولى وهو القرب (للذين اتبعوه) من امته (وهذا النبى والذين آمنوا) لموافقتهم له فى اكثر ماشرع لهم على الاصالة وقرئ بالنصب عطفا على الهاء فى اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم (والله ولى المؤمنين) ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم (ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم) نزلت فى اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان (ومايضلون الا انفسهم) ومايتخطاهم الاضلال ولايعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم اومايضلون الا امثالهم (ومايشعرون) وزره واختصاص ضرره بهم (يااهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وانتم تشهدون) انها آيات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته فى الكتابين وتعلمون بالمعجزات انه حق (يااهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) بالتحريف وابراز الباطل فى صورته اوبالتقصير فى الميز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اى تكتسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كلابس ثوبى زور (وتكتمون الحق) نبوة محمد عليه السلام ونعته (وانتم تعلمون) عالمين بما تكتمونه (وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجه النهار) اى اظهروا الايمان بالقرآن اول النهار (واكفروا آخره لعلهم يرجعون) واكفروا به آخره لعلهم يشكون فى دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الضيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا فى الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا فى كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا عليه الصلاة والسلام بالنعت الذى ورد فى التورية لعل اصحابه يشكون فيه (ولاتؤمنوا الا لمن تبع دينكم) ولاتقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم اولاتظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم (قل ان الهدى هدى الله) هو يهدى من يشاء الى الايمان ويثبته عليه (ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم) متعلق بمحذوف اى دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اى ولاتظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم

(فان كن) أى الاولاد (نساء) فقط (فوق اثنتين فلهن ثلثا ماترك) الميت وكذا الاثنتان لانه للاختين بقوله فلهما الثلثان مماترك فهما أولى ولان البنت تستحق الثلث مع الذكر فمع الانثى أولى وفوق قيل صلة وقيل لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد لما فهم استحقاق البنتين الثلثين من جعل الثلث للواحدة مع الذكر (وان كانت) المولودة (واحدة) وفى قراءة بالرفع فكان تامة (فلها النصف ولابويه) أى الميت ويبدل منهما (لكل واحد منهما السدس مماترك ان كان له ولد) ذكر أو أنثى ونكتة البدل افادة أنهما لايشتركان فيه وألحق بالولد ولد الابن وبالاب الجد (فان لم يكن له ولد وورثه أبواه) فقط أو مع زوج (فلأمه) بضم الهمزة وكسرها فرارا من الانتقال من ضمة الى كسرة لثقله فى الموضعين (الثلث) اى ثلث المال أو مابقى بعد الزوج والباقى للاب (فان كان له اخوة) أى اثنان فصاعدا ذكورا واناثا (فلأمه

ولاتفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولاالى المشركين لئلايدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لايجدى بطائل اوخبران على ان هدى الله بدل من الهدى وقراءة ابن كثير أن يؤتى على الاستفهام للتقريع تؤيد الوجه الاول اى الان يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطائفة اى ولاتؤمنوا الالمن تبع دينكم وقولوالهم مايؤتى احد مثل مااوتيتم (او يحاجوكم عند ربكم) عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم عند ربكم والواو ضمير احد لانه فى معنى الجمع اذالمراد به اتباعهم (قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) ردوابطال لمازعموه بالحجة الواضحة (ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك) كعبدالله بن سلام استودعه قرشى ألفا وماتى اوقية ذهبا فاداه اليه (ومنهم من ان تأمنه بدينار لايؤده اليك) كفنحاص بن زوراء استودعه قرشى آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذالغالب فيهم الامانة والخائنون فى القليل اليهود اذالغالب عليهم الخيانة وقرأحمزة وابو بكر وابوعمرو يؤده اليك باسكان الهاء وقالون باختلاس الهاء وكذا روى عن حفص والباقون باشباع الكسرة (الامادمت عليه قائما) الامدة دوامك قائما على رأسه مبالغا فى مطالبته بالتقاضى والترافع واقامة البينة (ذلك) اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لايؤده (بانهم قالوا) بسبب قولهم (ليس علينا فى الاميين سبيل) اى ليس علينا فى شأن من ليسوا من اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم (ويقولون على الله الكذب) بادعائهم ذلك (وهم يعلمون) انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم فى التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك فى كتابهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله مامن شئ فى الجاهلية الاوهو تحت قدمى الاالامانة فانها موءداة الى البر والفاجر (بلى) اثبات لمانفوه اى بلى عليهم فيهم سبيل (من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين) استئناف مقرر للجملة التى سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن اوالله وعموم المتقين ناب مناب

السدس) والباقى للاب ولاشئ للاخوة وارث من ذكر ماذكر (من بعد) تنفيذ (وصية يوصى) بالبناء للفاعل والمفعول (بها أو) قضاء (دين) عليه وتقديم الوصية على الدين وان كانت موءخرة عنه فى الوفاء للاهتمام بها (آباؤكم وأبناؤكم) مبتدأ خبره (لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعا) فى الدنيا والآخرة فظان أن ابنه أنفع له فيعطيه الميراث فيكون الاب انفع وبالعكس وانما العالم بذلك الله ففرض لكم الميراث (فريضة من الله ان الله كان عليما) بخلقه (حكيما) فيما دبره لهم اى لم يزل متصفا بذلك (ولكم نصف ماترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد) منكم أومن غيركم (فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أودين) وألحق بالولد فى ذلك ولد الابن بالاجماع (ولهن) أى الزوجات تعددن أولا (الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان لكم ولد) منهن أومن غيرهن (فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية

الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتنابات عن المناهى (ان الذين يشترون) يستبدلون (بعهد الله) بما عاهدوا الله عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات (وايمانهم) وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولتنصرنه (ثمنا قليلا) متاع الدنيا (اولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله) بما يسرهم او بشئ اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيامة او لا ينتفعون بكلمات الله وآياته والظاهر انه كناية على غضبه عليهم لقوله (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه (ولا يزكيهم) ولا يثنى عليهم بالجميل (ولهم عذاب اليم) على ما فعلوه قيل انها نزلت فى احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت فى رجل اقام سلعة فى السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل نزلت فى ترافع كان بين الاشعث بن قيس ويهودى فى بئر او ارض وتوجه الحلف على اليهودى (وان منهم لفريقا) يعنى المحرفين ككعب ومالك وحيى بن اخطب (يلوون ألسنتهم بالكتاب) يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها (لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب) الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين (ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) تأكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اى ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضى ان لا يكون فعل العبد فعل الله تعالى (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه (ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله) تكذيب ورد على عبدة عيسى عليه السلام وقيل ان أبا رافع القرظى والسيد النجرانى قالا يا محمد أتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان نأمر بعبادة غير الله فما بذلك بعثنى ولا بذلك امرنى فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم

توصون بها أو دين) وولد الابن فى ذلك كالولد اجماعا (وان كان رجل يورث) صفة والخبر (كلالة) أى لا والد له ولا ولد (أو امرأة) تورث كلالة (وله) أى للموروث كلالة (أخ أو أخت) أى من أم وقرأ به ابن مسعود وغيره (فلكل واحد منهما السدس) مما ترك (فان كانوا) أى الاخوة والاخوات من الام (أكثر من ذلك) أى من واحد (فهم شركاء فى الثلث) يستوى فيه ذكرهم وأنثاهم (من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار) حال من ضمير يوصى أى غير مدخل الضرر على الورثة بأن يوصى بأكثر من الثلث (وصية) مصدر مؤكد ليوصيكم (من الله والله عليم) بما دبره لخلقه من الفرائض (حليم) بتأخير العقوبة عمن خالفه وخصت السنة توريث من ذكر بمن ليس فيه مانع من قتل أو اختلاف دين أو رق (تلك) الاحكام المذكورة من أمر اليتامى وما بعده (حدود الله) شرائعه التى حدها لعباده

بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لاينبغى ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله (ولكن كونوا ربانيين) ولكن يقول كونوا ربانيين والربانى منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحيانى والرقبانى وهو الكامل فى العلم والعمل (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان تكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما كنتم تدرسونه على الناس (ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا) نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول وتكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفى فى قوله ماكان اى ماكان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا اوغير مزيدة على معنى انه ليس له ان يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف ويحتمل الحال وقرأ ابو بكر على اصله برواية الدورى باختلاس الضم (ايأمركم بالكفر) انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله (بعد اذ انتم مسلمون) دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لان يسجدوا له (واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافته الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذى وثقه الانبيا على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنوا اسرائيل اوسماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام فى لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن سادمسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على ان مامصدرية اى لاجل ايتائى اياكم بعض الكتاب ثم لمجئ رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه اوموصولة والمعنى اخذه للذى آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له

ليعملوا بها ولا يعتدوها (ومن يطع الله ورسوله) فيما حكم به (يدخله) بالياء والنون التفاتا (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله) بالوجهين (نارا خالدا فيها وله) فيها (عذاب مهين) ذو اهانة روعى فى الضمائر فى الآيتين لفظ من و فى خالدين معناها (واللاتى يأتين الفاحشة) الزنا (من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) أى رجالكم المسلمين (فان شهدوا) عليهن بها (فامسكوهن) احبسوهن (فى البيوت) وامنعوهن من مخالطة الناس (حتى يتوفاهن الموت) أى ملائكته (أو) الى أن (يجعل الله لهن سبيلا) طريقا الى الخروج منها أمروا بذلك أول الاسلام ثم جعل لهن سبيلا بجلد البكر مائة وتغريبها عاما ورجم المحصنة وفى الحديث لما بين الحد قال خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا رواه مسلم (واللذان) بتخفيف النون وتشديدها

له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم اولمن اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا وقرأ نافع آتيناكم بالنون والالف جميعا (قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصرى) اى عهدى سمى به لانه يؤصر اى يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع آصار وهو ما يشد به (قالوا اقررنا قال فاشهدوا) اى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة (وانا معكم من الشاهدين) وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم (فمن تولى بعد ذلك) بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة (فاؤلئك هم الفاسقون) المتمردون من الكفرة (افغير دين الله يبغون) عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابى عمرو وعاصم فى رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم (وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها) اى طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضى عليهم (واليه ترجعون) وقرئ بالياء على ان الضمير لمن (قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم) امر الرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهى الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه على المنزل على سائر الرسل لانه المعرف له والعيار عليه (لانفرق بين احد منهم) بالتصديق والتكذيب (ونحن له مسلمون) منقادون او مخلصون فى عبادته (ومن يبتغ غير الاسلام دينا) اى غير التوحيد والانقياد لحكم الله (فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) الواقعين فى الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع فى الخسران بابطال الفطرة السليمة التى فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفى قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره

(يأتيانها)أى الفاحشة الزنا أو اللواط (منكم) الرجال فآذوهما) بالسب والضرب بالنعال (فان تابا) منها (وأصلحا)العمل(فاعرضوا عنهما) ولا تؤذوهما (ان الله كان توابا) على من تاب (رحيما) به وهذا منسوخ بالحد ان أريد بها الزنا وكذا ان أريد اللواط عند الشافعى لكن المفعول به لا يرجم عنده وان كان محصنا بل يجلد ويغرب وارادة اللواط أظهر بدليل تثنية الضمير والاول قال اراد الزانى والزانية ويرده تبيينهما بمن المتصلة بضمير الرجال واشتراكهما فى الاذى والتوبة والاعراض وهو مخصوص بالرجال لما تقدم فى النساء من الحبس (انما التوبة على الله) أى التى كتب على نفسه قبولها بفضله (للذين يعملون السوء) المعصية (بجهالة) حال أى جاهلين اذ عصوا ربهم (ثم يتوبون من) زمن (قريب) قبل أن يغرغروا (فاولئك يتوب الله عليهم) يقبل توبتهم (وكان الله عليما) بخلقه

ولعل الذين ايضا للاعمال (كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاء هم البينات) استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعدما وضح له منهمك فى الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفى وانكار له وذلك يقتضى ان لا يقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما فى ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فأصدق وأكن او حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان (والله لا يهدى القوم الظالمين) اى الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه (أولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفى جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى مأيوسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه (خالدين فيها) فى اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك) اى من بعد الارتداد (واصلحوا) ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا فى الصلاح (فان الله غفور) يقبل توبته (رحيم) يتفضل عليه وقيل انها نزلت فى الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان اسألوا اهل لى من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة فتاب (ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا) كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتوارة ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن او كفروا بمحمد بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه باظهاره (لن تقبل توبتهم) لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا فى شانهم وابرازا لحالهم فى صورة حال الآيسين من الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء فيه (واولئك هم الضالون) الثابتون على الضلال (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملئ الارض ذهبا) لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول

(حكيما) فى صنعه بهم (وليست التوبة للذين يعملون السيئات) الذنوب (حتى اذا حضر أحدهم الموت) وأخذ فى النزع (قال) عند مشاهدة ماهو فيه (انى تبت الآن) فلا ينفعه ذلك ولا يقبل منه (ولا الذين يموتون وهم كفار) اذا تابوا فى الآخرة عند معاينة العذاب لا تقبل منهم (أولئك أعتدنا) أعددنا (لهم عذابا أليما) موئلما (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء) أى ذاتهن (كرها) بالفتح والضم لغتان أى مكرهيهن على ذلك كانوا فى الجاهلية يرثون نساء أقربائهم فان شاؤا تزوجوها بلا صداق أو زوجوها وأخذوا صداقها أو عضلوها حتى تفتدى بما ورثته أو تموت فيرثوها فنهوا عن ذلك (ولا) أن (تعضلوهن) أى تمنعوا أزواجكم عن نكاح غيركم بامساكهن ولا رغبة لكم فيهن ضرارا (لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) من المهر (الا أن يأتين بفاحشة مبينة)

الفدية ادخل الفاء ههنا للاشعار به وملئ الشئ مايملؤه وذهبا نصب على التميز وقرئ بالرفع على البدل من ملئ او الخبر لمحذوف (ولو افتدى به) محمول على المعنى كأنه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملئ الارض ذهبا اومعطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملئ الارض ذهبا لو تقرب به فى الدنيا ولو افتدى به من العذاب فى الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا مافى الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين فى حكم شئ واحد (اولئك لهم عذاب اليم) مبالغة فى التحذير واقناط لان من لايقبل منه الفداء ربمايعفى عنه تكرما (ومالهم من ناصرين) فى دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق (لن تنالوا البر) اى لن تبلغوا حقيقة البر الذى هو كمال الخير اولن تنالوا برالله الذى هو الرحمة والرضى والجنة (حتى تنفقوا مما تحبون) اى من المال اومايعمه وغيره كبذل الجاه فى معاونة الناس والبدن فى طاعة الله والمهجة فى سبيله روى انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يارسول الله ان احب اموالى الى بيرحى فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذلك مال رابح اورائح وانى ارى ان تجعلها فى الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه فى سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فقال زيد انما اردت ان اتصدق بها فقال عليه السلام ان الله قد قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الآية تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض ماتحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين (وماتنفقوا من شئ) اى من اى شئ محبوب اوغيره ومن لبيان ما (فان الله به عليم) فيجازيكم بحسبه (كل الطعام) اى المطعومات والمراد اكلها (كان حلالبنى اسرائيل) حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لاهن حل لهم (الا ماحرم اسرائيل) يعقوب (على نفسه) كلحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفى لم يأكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوى باشارة الاطباء واحتج به من جواز للنبى ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء (من قبل ان تنزل التوراة) اى من قبل انزالها مشتملة على تحريم ماحرم عليهم لظلمهم وبغيهم

بفتح الياء وكسرها أى بينت أوهى بينة أى زنا أو نشوز فلكم أن تضاروهن حتى يفتدين منكم ويختلعن (وعاشروهن بالمعروف) أى بالاجمال فى القول والنفقة والمبيت (فان كرهتموهن) فاصبروا (فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) ولعله يجعل فيهن ذلك بأن يرزقكم منهن ولدا صالحا (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج) أى أخذها بدلها بأن طلقتموها (و) قد (آتيتم احداهن) أى الزوجات (قنطارا) مالا كثيرا صداقا (فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا) ظلما (واثما مبينا) بينا ونصبهما على الحال والاستفهام للتوبيخ و للانكار فى (وكيف تأخذونه) أى باى وجه (وقد أفضى) وصل (بعضكم الى بعض) بالجماع المقرر للمهر (وأخذن منكم ميثاقا) عهدا (غليظا) شديدا وهو ما أمر الله به من امساكهن بمعروف أو تسريحهن باحسان (ولا تنكحوا ما)

عقوبة وتشديد اوذلك رد على اليهود فى دعوى البراءة عما نعى عليهم فى قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآيتان بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفى منع النسخ والطعن فى دعوى الرسول عليه السلام موافقة ابراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل والبانها (قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين) امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم مالم يكن محرما روى انه عليه السلام لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التوراة وفيه دليل على نبوته (فمن افترى على الله الكذب) ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التوراة على بنى اسرائيل ومن قبلهم (من بعد ذلك) من بعد مالزمتهم الحجة (فاولئك هم الظالمون) الذين لاينصفون من انفسهم ويكابرون الحق من بعدما وضح لهم (قل صدق الله) تعريض بتكذيبهم اى ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا) اى ملة الاسلام التى هى فى الاصل ملة ابراهيم اومثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التى اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاعراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها الله لابراهيم ومن تبعه (وما كان من المشركين) فيه اشارة الى ان اتباعه واجب فى التوحيد الصرف والاستقامة فى الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود (ان اول بيت وضع للناس) اى وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل (للذى ببكة) للبيت الذى ببكة وهى لغة فى مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هى موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذازحمه اومن بكه اذادقه فانها تبك اعناق الجبابرة روى انه عليه السلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه آدم فانطمس فى الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان فى موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح ويطوف به الملائكة فلما اهبط آدم امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع فى الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة

يعنى من (نكح آباؤكم من النساء الا) لكن (ماقدسلف) من فعلكم ذلك فانه معفو عنه (انه) أى نكاحهن (كان فاحشة) قبيحا (ومقتا) سببا للمقت من الله وهو أشد البغض (وساء) بئس (سبيلا) طريقا ذلك (حرمت عليكم أمهاتكم) أن تنكحوهن وشملت الجدات من قبل الاب والام (وبناتكم) وشملت بنات الاولاد وان سفلن (وأخواتكم) من جهة الاب او الام (وعماتكم) أى أخوات آبائكم وأجدادكم (وخالاتكم) أى أخوات أمهاتكم وجداتكم (وبنات الاخ وبنات الاخت) ويدخل فيهن أولادهم (وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم) قبل استكمال الحولين خمس رضعات كما بينه الحديث (وأخواتكم من الرضاعة) ويلحق بذلك بالسنة البنات منها وهن من أرضعتهن موطوأته والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت منها لحديث يحرم من الرضاع مايحرم من النسب رواه البخارى ومسلم (وأمهات نسائكم وربائبكم) جمع ربيبة وهى

السموات وهو لايلائم ظاهر الآية وقيل المراد به اول بيت بالشرف لا بالزمان (مباركا) كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف (وهدى للعالمين) لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه ايات عجيبة كما قال (فيه آيات بينات) كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضوارى السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهره كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى اوحال اخرى (مقام ابراهيم) مبتدأ محذوف خبره اى منها مقام ابراهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالآيات اثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون سائر آثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه ألوف سنة ويؤيده انه قرئ آية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه (ومن دخله كان آمنا) جملة ابتدائية اوشرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى امن من دخله اى ومنها أمن من دخله اوفيه ايات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الاثر مدى الدهر والأمن من العذاب يوم القيامة قال عليه السلام من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعند ابى حنيفه من لزمه القتل بردة اوقصاص اوغيرهما لم يتعرض له ولكن الجأ الى الخروج (ولله على الناس حج البيت) قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ حمزة والكسائى وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد (من استطاع اليه سبيلا) بدل من الناس بدل البعض من الكل مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي رضى الله تعالى عنه انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك رحمه الله تعالى انها بالبدن فيجب على من قدر على المشى والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما أتى الى الشئ فهو سبيله (ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) وضع كفر موضع من لم يحج تأكيد الوجوبه

بنت الزوجة من غيره (اللاتى في حجوركم) تربونها صفة موافقة للغالب فلا مفهوم لها (من نسائكم اللاتى دخلتم بهن) أى جامعتموهن (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) في نكاح بناتهن اذا فارقتموهن (وحلائل) أزواج (أبنائكم الذين من أصلابكم) بخلاف من تبنيتموهم فلكم نكاح حلائلهم (وأن تجمعوا بين الاختين) من نسب أو رضاع بالنكاح ويلحق بهما بالسنة الجمع بينها وبين عمتها أو خالتها يجوز نكاح كل واحدة على الانفراد وملكهما معا ويطأ واحدة (الا) لكن (ما قد سلف) في الجاهلية من نكاحكم بعض ما ذكر فلا جناح عليكم فيه (ان الله كان غفورا) لما سلف منكم قبل النهى (رحيما) بكم في ذلك (و) حرمت عليكم (المحصنات) أى ذوات الازواج (من النساء) أن تنكحوهن قبل مفارقة أزواجهن حرائر مسلمات كن أولا (الا ما ملكت أيمانكم) من الاماء بالسبى فلكم وطؤهن وان كان لهن أزواج في دار

وتغليظا على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد أكد امر الحج فى هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه فى الصورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله تعالى فى رقاب الناس وتعميم الحكم اولا ثم تخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه فى هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روى انه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر (قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) بآياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتوراة والانجيل فهم كافرون بهما (والله شهيد على ما تعملون) والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار (قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن) كرر الخطاب والاستفهام مبالغة فى التقريع ونفى العذر لهم واشعارا بأن كل واحد من الامرين مستقبح فى نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم فى الجاهلية من التعادى والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه (تبغونها عوجا) حال من الواو اى باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما او بان تحرشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل امر دينهم (وانتم شهداء) انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم فى القضايا (وما الله بغافل عما تعملون) وعيد لهم ولما كان المنكر فى الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد على

الحرب بعد الاستبراء (كتاب الله) نصب على المصدر أى كتب ذلك (عليكم وأحل) بالبناء للفاعل والمفعول (لكم ماوراء ذلكم) أى سوى ماحرم عليكم من النساء (أن تبتغوا) تطلبوا النساء (بأموالكم) بصداق أوثمن (محصنين) متزوجين (غير مسافحين) زانين (فما) فمن (استمتعتم) تمتعتم (به منهن) ممن تزوجتم بالوطء (فآتوهن أجورهن) مهورهن التى فرضتم لهن (فريضة ولاجناح عليكم فيما تراضيتم) أنتم وهن (به من بعد الفريضة) من حطها أو بعضها أوزيادة عليها (ان الله كان عليما) بخلقه (حكيما) فيما دبره لهم (ومن لم يستطع منكم طولا) أى غنى لـ(أن ينكح المحصنات) الحرائر (المؤمنات) هو جرى على الغالب فلا مفهوم له (فما ملكت أيمانكم) ينكح من (فتياتكم المؤمنات والله أعلم بايمانكم) فاكتفوا بظاهره وكلوا السرائر اليه فانه العالم بتفضيلها ورب أمة تفضل الحرة فيه وهذا تأنيس بنكاح الاماء (بعضكم من بعض)

ما تعملون ولما كان فى هذه الآية صدهم للمؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) نزلت فى نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودى فغاظه تألفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ماقيل فيه وكان الظفر فى ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بين قلوبكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله بنفسه بعدما امر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم (وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) انكار وتعجيب لكفرهم فى حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر (ومن يعتصم بالله) أى ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه فى مجامع اموره (فقد هدي الى صراط مستقيم) فقد اهتدى لامحالة (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع فى القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله مااستطعتم وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفى هذا الامر تأكيد للنهى عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة كما فى تؤدة وتخمة والياء الفا (ولا تموتن الا وانتم مسلمون) اى ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت فان النهى عن المقيد بحال اوغيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفى (واعتصموا بحبل الله) بدين الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاة من الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردى

أى أنتم وهن سواء فى الدين فلا تستنكفوا من نكاحهن (فانكحوهن باذن أهلهن) مواليهن (وآتوهن) اعطوهن (أجورهن) مهورهن (بالمعروف) من غير مطل ونقص (محصنات) عفائف حال (غير مسافحات) زانيات جهرا (ولا متخذات أخدان) أخلاء يزنون بهن سرا (فاذا أحصن) زوجن وفى قراءة بالتاء للفاعل تزوجن (فان اتين بفاحشة) زنا (فعليهن نصف ما على المحصنات) الحرائر الابكار اذا زنين (من العذاب) الجلد فيجلدن خمسين ويغربن نصف سنة ويقاس عليهن العبيد ولم يجعل الاحصان شرطا لوجوب الحد بل لافادة أنه لارجم عليهن أصلا (ذلك) أى نكاح المملوكات عند عدم الطول (لمن خشى) خاف (العنت) الزنا وأصله المشقة سمى به الزنا لانه سببها بالحد فى الدنيا والعقوبة فى الآخرة (منكم) بخلاف من لايخافه من الاحرار فلا يحل له نكاحها وكذا من استطاع طول حرة وعليه الشافعي

وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز (جميعا) مجتمعين عليه (ولا تفرقوا) ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب اولا تفرقوا تفرقكم فى الجاهلية يحارب بعضكم بعضا اولا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة (واذكروا نعمة الله عليكم) التى من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدى الى التألف وزوال الغل (اذ كنتم اعداء) فى الجاهلية متقاتلين (فالف بين قلوبكم) بالاسلام (فاصبحتم بنعمته اخوانا) متحابين مجتمعين على الاخوة فى الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفأها الله بالاسلام والف بينهم برسوله صلى الله عليه وسلم (وكنتم على شفا حفرة من النار) مشفين على الوقوع فى نار جهنم لكفركم اذلو ادرككم الموت فى تلك الحال لوقعتم فى النار (فانقذكم منها) بالاسلام والضمير للحفرة اوللنار اوللشفا وتأنيثه لتأنيث ما ضيف اليه اولانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو فى المذكر وحذفت فى المؤنث (كذلك) مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم آياته) دلائله (لعلكم تهتدون) ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للتصدى له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه رأسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية اوللتبيين بمعنى وكونوا امة تأمرون بالمعروف كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح دينى اودنيوى وعطف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله (واولئك هم المفلحون) المخصوصون بكمال الفلاح روى انه عليه السلام سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به والنهى عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصى يجب عليه ان ينهى عما يرتكبه

وخرج بقوله من فتياتكم المؤمنات الكافرات فلا يحل له نكاحها ولوعدم وخاف (وأن تصبروا) عن نكاح المملوكات (خير لكم) لئلا يصير الولد رقيقا (والله غفور رحيم) بالتوسعة فى ذلك (يريد الله ليبين لكم) شرائع دينكم ومصالح أمركم (ويهديكم سنن) طرائق (الذين من قبلكم) من الانبياء فى التحليل والتحريم فتتبعوهم (ويتوب عليكم) يرجع بكم عن معصيته التى كنتم عليها الى طاعته (والله عليم) بكم (حكيم) فيما دبره لكم (والله يريد أن يتوب عليكم) كرره ليبنى عليه (ويريد الذين يتبعون الشهوات) اليهود والنصارى أو المجوس أو الزناة (أن تميلوا ميلا عظيما) تعدلوا عن الحق بارتكاب ما حرم عليكم فتكونوا مثلهم (يريد الله أن يخفف عنكم) يسهل عليكم أحكام الشرع (وخلق الانسان ضعيفا) لا يصبر عن النساء والشهوات (يا أيها الذين آمنو الا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) بالحرام فى الشرع كالربا

لانه يجب عليه تركه وانكاره فلايسقط بترك احد هما وجوب الآخر (ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) كاليهود والنصارى اختلفوا فى التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة على ما عرفت (من بعد ماجاءهم البينات) الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهى فيه مخصوص بالتفرق فى الاصول دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف امتى رحمة ولقوله عليه الصلاة والسلام من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد (واولئك لهم عذاب عظيم) وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) نصب بمافى لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق بياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعى النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك (فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم) على ارادة القول اى فيقال لهم كفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعدما اقروا حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر فى الدلائل والآيات (فذوقوا العذاب) امر اهانة (بما كنتم تكفرون) بسبب كفركم او جزاء لكفركم (واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله) يعنى الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره فى طاعة الله تعالى لايدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم لكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم (هم فيها خالدون) اخرجه مخرج الاستئناف للتأكيد كأنه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون (تلك آيات الله) الواردة فى وعده ووعيده (نتلوها عليك بالحق) ملتبسة بالحق لاشبهة فيها (وما الله يريد ظلما للعالمين) اذ يستحيل الظلم منه لانه لايحق عليه شئ فيظلم بنقصه ولايمنع عن شئ فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال (ولله ما فى السموات وما فى الارض والى الله ترجع الامور) فيجازى كلا بما وعده واوعد (كنتم خير امة) دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله تعالى * وكان الله غفورا رحيما * وقيل كنتم فى علم الله او فى اللوح المحفوظ او فيما بين الامم

والغصب (الا) لكن (أن تكون) تقع (تجارة) وفى قراءة بالنصب أى تكون الاموال أموال تجارة صادرة (عن تراض منكم) وطيب نفس فلكم أن تأكلوها (ولا تقتلوا أنفسكم) بارتكاب مايؤذى الى هلاكها أيا كان فى الدنيا او الآخرة بقرينة (ان الله كان بكم رحيما) فى منعه لكم من ذلك (ومن يفعل ذلك) أى مانهى عنه (عدوانا) تجاوزا للحلال حال (وظلما) تأكيد (فسوف نصليه) ندخله (نارا) يحترق فيها (وكان ذلك على الله يسيرا) هينا (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) وهى ماورد عليها وعيد كالقتل والزنا والسرقة وعن ابن عباس هى الى السبعمائة أقرب (نكفر عنكم سيئاتكم) الصغائر بالطاعات (وندخلكم مدخلا) بضم الميم وفتحها أى ادخالا أو موضعا (كريما) هو الجنة (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) من جهة الدنيا أو الدين لئلا

المتقدمين (اخرجت للناس) اى اظهرت لهم (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) استئناف بين به كونهم خير امة اوخبر ثان لكنتم (وتؤمنون بالله) يتضمن الايمان بكل مايجب ان يؤمن به لان الايمان به انما يحق ويعتدبه اذا حصل الايمان بكل ماامر ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على ان الاجماع حجة لانها تقتضى كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر اذاللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك (ولو آمن اهل الكتاب) ايمانا كما ينبغى (لكان خيرا لهم) لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه (منهم المؤمنون) كعبدالله بن سلام واصحابه (واكثرهم الفاسقون) المتمردون فى الكفر وهذه الجملة والتى بعدها واردتان على سبيل الاستطراد (لن يضروكم الا اذى) ضررا يسيرا كطعن وتهديد (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر (ثم لا ينصرون) ثم لايكون احد ينصرهم عليكم او يدفع بأسكم عنهم نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لوقاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لاينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخى فى المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التى وافقها الواقع اذكان كذلك حال قريظة والنضير وبنى قينقاع ويهود خيبر (ضربت عليهم الذلة) هدر النفس والمال والاهل اوذل التمسك بالباطل والجزية (اينما ثقفوا) وجدوا (الا بحبل من الله وحبل من الناس) استثناء من اعم عام الاحوال اى ضربت عليهم الذلة فى عامة الاحوال الا معتصمين اوملتبسين بذمة الله او كتابه الذى آتاهم وذمة المسلمين اوبدينه الاسلام واتباع سبيل المؤمنين (وباؤا بغضب من الله) رجعوا به مستوجبين له (وضربت عليهم المسكنة) فهى محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله واليهود فى غالب الامر فقراء مساكين (ذلك) اشارة الى ماذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب (بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق) بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء والتقييد بغير حق مع انه كذلك فى نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم ايضا (ذلك) اى الكفر والقتل (بما عصوا وكانوا يعتدون) بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغائر يفضى

يؤدى الى التحاسد والتباغض (للرجال نصيب) ثواب (مما اكتسبوا) بسبب ما عملوا من الجهاد وغيره (وللنساء نصيب مما اكتسبن) من طاعة أزواجهن وحفظ فرجهن نزلت لما قالت أم سلمة ليتنا كنا رجالا فجاهدنا وكان لنا مثل أجر الرجال (واسئلوا) بهمزة ودونها (الله من فضله) ما احتجتم اليه يعطكم (ان الله كان بكل شئ عليما) ومنه محل الفضل وسؤلكم (ولكل) من الرجال والنساء (جعلنا موالى) عصبة يعطون (مما ترك الوالدان والاقربون) لهم من المال (والذين عاقدت) بالف ودونها (ايمانكم) جمع يمين بمعنى القسم أو اليد أى الحلفاء الذين عاهدتموهم فى الجاهلية على النصرة والارث (فآتوهم) الآن (نصيبهم) حظوظهم من الميراث وهو السدس (ان الله كان على كل شئ شهيدا) مطلعا ومنه حالكم وهذا منسوخ بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض (الرجال

الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدى الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة فى الدنيا واستيجاب الغضب فى الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا (ليسوا سواء) فى المساوى والضمير لاهل الكتاب (من اهل الكتاب امة قائمة) استئناف لبيان نفى الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم (يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) يتلون القرآن فى تهجدهم عبر منه بالتلاوة فى ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ فى المدح وقيل المراد صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روى انه عليه الصلاة والسلام أخرها ثم خرج فاذ الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات) صفات أخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت فى اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين فى الليل مشركون بالله ملحدون فى صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف وصفه مداهنون فى الاحتساب متباطئون عن الخيرات (واولئك من الصالحين) اى الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمى ذلك كفرانا كما سمى توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرأ حفص وحمزة والكسائى وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء (والله عليم بالمتقين) بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا) من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا (واولئك اصحاب النار) ملازموها (هم فيها خالدون مثل ما ينفقون) ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا (فى هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر) برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو فى الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد (اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم) بالكفر والمعاصى (فاهلكته) عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا فى ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما فى الدنيا والآخرة

قوامون) مسلطون (على النساء) يؤدبونهن ويأخذون على أيديهن (بما فضل الله بعضهم على بعض) أى بتفضيله لهم عليهن بالعلم والعقل والولاية وغير ذلك (وبما انفقوا) عليهن (من أموالهم فالصالحات) منهن (قانتات) مطيعات لازواجهن (حافظات للغيب) أى لفرجهن وغيرها فى غيبة ازواجهن (بما حفظ) هن (الله) حيث أوصى عليهن الازواج (واللاتى تخافون نشوزهن) عصيانهن لكم بأن ظهرت أماراته (فعظوهن) فخوفوهن الله (واهجروهن فى المضاجع) اعتزلوا الى فراش آخر ان أظهرن النشوز (واضربوهن) ضربا غير مبرح ان لم يرجعن بالهجران (فان أطعنكم) فيما يراد منهن (فلا تبغوا) تطلبوا (عليهن سبيلا) طريقا الى ضربهن ظلما (ان الله كان عليا كبيرا) فاحذروه أن يعاقبكم ان ظلمتموهن (وان خفتم) علمتم (شقاق) خلاف

وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث (وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون) اى ماظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها او ماظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب مااستحقوا به العقوبة وقرئ ولكن اى ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشان لانه لا يحذف الا فى ضرورة الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق * (ياايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) وليجة وهو الذى يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه الصلاة والسلام الانصار شعار والناس دثار (من دونكم) من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف وهو صفة بطانة اى بطانة كائنة من دونكم (لا يألونكم خبالا) اى لا يقصرون لكم فى الفساد والالو التقصير واصله ان يعدى بالحرف وعدى الى مفعولين كقولك لا آلوك نصحا على تضمن معنى المنع او النقص (ودوا ماعنتم) تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية (قد بدت البغضاء من افواههم) اى فى كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم (وما تخفى صدورهم اكبر) مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار (قد بينا لكم الآيات) الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين (ان كنتم تعقلون) مابين لكم والجمل الاربع جاءت مستأنفات على التعليل ويجوز ان تكون الثلاث الاول صفات لبطانة (هاانتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم) انتم اولاء الخاطئون فى موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطأهم فى موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر لانتم كقولك انت تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينصب اولاء بفعل مضمر يفسره مابعده وتكون الجملة خبرا (وتؤمنون بالكتاب كله) بجنس الكتاب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم فى باطلهم اصلب منكم فى حقكم (واذا لقوكم قالوا آمنا) نفاقا وتغريرا (واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ) من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفى سبيلا (قل موتوا بغيظكم) دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به (ان الله عليم بذات الصدور) فيعلم

(بينهما) بين الزوجين والاضافة للاتساع أى شقاقا بينهما (فابعثوا) اليهما برضاهما (حكما) رجلا عدلا (من أهله) أقاربه (وحكما من أهلها) ويوكل الزوج حكمه فى طلاق وقبول عوض عليه وتوكل هى ويأمر ان الظالم بالرجوع أو يفرقان ان رأياه قال تعالى (ان يريدا) أى الحكمان (اصلاحا يوفق الله بينهما) بين الزوجين أى يقدرهما على ماهو الطاعة من اصلاح أو فراق (ان الله كان عليما) بكل شئ (خبيرا) بالبواطن كالظواهر (واعبدوا الله) وحدوه (ولا تشركوا به شيئا و) أحسنوا (بالوالدين احسانا) بر اولين جانب (وبذى القربى) القرابة (واليتامى والمساكين والجار ذى القربى) القريب منك فى الجوار أو النسب (والجار الجنب) البعيد عنك فى الجوار أو النسب (والصاحب بالجنب) الرفيق فى سفر أو صناعة وقيل الزوجة (وابن

مافى صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اى وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تخفون من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعى اياك على اسرارهم فانى عليم بالاخفى من ضمائرهم (ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها) بيان لتناهى عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة (وان تصبروا) على عداوتهم اوعلى مشاق التكاليف (وتتقوا) موالاتهم او ما حرم الله جل جلاله عليكم (لا يضركم كيدهم شيئا) بفضل الله عز وجل وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان الجد فى الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره (ان الله بما تعملون) من الصبر والتقوى وغيرهما (محيط) اى محيط علمه فيجاز يكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اى بما يعملون فى عداوتكم عالم فيعاقبهم عليه (واذ غدوت) اى واذكر اذ غدوت (من اهلك) اى من حجرة عائشة رضى الله عنها (تبوئ المؤمنين) تنزلهم اوتسوى وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام (مقاعد للقتال) مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله تعالى فى مقعد صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك (والله سميع) لاقوالهم (عليم) بنياتكم روى ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثانى عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار الرسول عليه السلام اصحابه وقد دعا عبدالله ابن ابى بن سلول ولم يدعه من قبل فقال هو واكثر الانصار أقم يارسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ماخرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه السلام رأيت فى منامى بقرة مذبوحة حولى فاولتها خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأنى ادخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يارسول الله ما رأيت فقال

السبيل) المنقطع فى سفره (وما ملكت أيمانكم) من الارقاء (ان الله لا يحب من كان مختالا) متكبرا (فخورا) على الناس بما أوتى (الذين) مبتدأ (يبخلون) بما يجب عليهم (ويأمرون الناس بالبخل) به (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) من العلم والمال وهم اليهود وخبر المبتدأ لهم وعيد شديد (وأعتدنا للكافرين) بذلك وبغيره (عذابا مهينا) ذا اهانة (والذين) عطف على الذين قبله (ينفقون أموالهم رئاء الناس) مرائين لهم (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) كالمنافقين وأهل مكة (ومن يكن الشيطان له قرينا) صاحبا يعمل بأمره كهؤلاء (فساء) بئس (قرينا) هو (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله) أى أى ضرر عليهم فى ذلك والاستفهام للانكار ولو مصدرية أى لا ضرر فيه وانما الضرر فيما هم عليه (وكان الله بهم عليما) فيجازيهم بما عملوا (ان الله

لا يظلم) أحدا (مثقال) وزن (ذرة) أصغر نملة بان ينقصها من حسناته أو يزيدها فى سيآته (وان تك) الذرة (حسنة) من مؤمن وفى قراءة بالرفع فكان تامة (يضاعفها) من عشر الى أكثر من سبعمائة وفى قراءة يضعفها بالتشديد (ويؤت من لدنه) من عنده مع المضاعفة (أجرا عظيما) لا يقدره أحد (فكيف) حال الكفار (اذا جئنا من كل أمة بشهيد) يشهد عليها بعملها وهو نبيها (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء شهيدا يومئذ) يوم المجئ (يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو) أى أن (تسوى) بالبناء للمفعول والفاعل مع حذف احدى التاءين فى الاصل ومع ادغامها فى السين أى تتسوى (بهم الارض) بأن يكونوا ترابا مثلها لعظم هوله كما فى آية أخرى ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا (ولا يكتمون الله حديثا) عما عملوه وفى وقت آخر يكتمونه ويقولون والله ربنا ما كنا

لا ينبغى لنبى ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة واصبح بشعب احد يوم السبت ونزل فى عدوة الوادى وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا (اذ همت) متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت (طائفتان منكم) بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحى العسكر (ان تفشلا) ان تجبنا وتضعفا روى انه عليه السلام خرج فى زهاء الف رجل ووعدلهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن ابى فى ثلاثمائة رجل وقال علام نقتل انفسنا واولاد نا فتبعهم عمرو بن حزم الانصارى وقال انشدكم الله فى نبيكم وانفسكم فقال ابن ابى لو نعلم قتالا لاتبعنا كم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر انه ما كانت عزيمة لقوله تعالى (والله وليهما) اى عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فالهما تفشلان (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) اى فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر (ولقد نصركم الله ببدر) تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمى به (وانتم اذلة) حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح (فاتقوا الله) فى الثبات (لعلكم تشكرون) ما انعم به عليكم بتقوا كم من نصرة او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه (اذ تقول للمؤمنين) ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم كان يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم لم تنزل الملائكة (الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جيئ بلن اشعار ابانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر اولا بألف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف وقرأ ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج (بلى) ايجاب لما بعد لن اى بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال (ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم) اى المشركون (من فورهم هذا) من ساعتهم هذه وهو فى الاصل مصدر فارت القدر اذ غلت فاستعير

للسرعة ثم اطلق للحال التى لاريث فيها ولاتراخى والمعنى ان يأتوكم فى الحال (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) فى حال اتيانهم بلاتراخ ولاتأخير (مسومين) معلمين من التسويم الذى هو اظهار سيما الشئ لقوله عليه الصلاة والسلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت اومرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو (وماجعله الله) وماجعل امدادكم بالملائكة (الابشرى لكم) الابشارة لكم بالنصر (ولتطمئن قلوبكم به) ولتسكن اليه من الخوف (وماالنصر الامن عندالله) لامن العدة والعدد وهو تنبيه على انه لاحاجة فى نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعدلهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحث على ان لايبالوا بمن تأخرعنهم (العزيز) الذى لايغالب فى اقضيته (الحكيم) الذى ينصر ويخذل بوسط وغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة (ليقطع طرفا من الذين كفروا) متعلق بنصركم اوبماالنصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ماكان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من صناديدهم (اويكبتهم) اويخزيهم والكبت شدة الغيظ اووهن يقع فى القلب وأوللتنويع دون الترديد (فينقلبوا خائبين) فينهزموا منقطعى الآمال (ليس لك من الامر شئ) اعتراض (اويتوب عليهم اويعذبهم) عطف على قوله اويكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاماان يهلكهم اويكبتهم اويتوب عليهم ان اسلموا اويعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شئ وانما انت عبد مأمور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر اوشئ باضمار ان اى ليس لك من امرهم اومن التوبة عليهم اومن تعذيبهم شئ اوليس لك من امرهم شئ اوالتوبة عليهم اوتعذيبهم وان يكون اوبمعنى الاان اى ليس لك من امرهم شئ الاان يتوب الله عليهم فتسر به اويعذبهم فتشفى منهم وروى ان عتبة بن ابى وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن (فانهم ظالمون) قد استحقوا التعذيب بظلمهم (ولله مافى السموات ومافى الارض) خلقا وملكا فله الامر كله (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) صريح

مشركين (ياأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة) أى لاتصلوا (وأنتم سكارى) من الشراب لان سبب نزولها صلاة جماعة فى حال السكر (حتى تعلموا ما تقولون) بأن تصحوا (ولاجنبا) بايلاج أوانزال ونصبه على الحال وهو يطلق على المفرد وغيره (الاعابرى) مجتازى (سبيل) طريق أى مسافرين (حتى تغتسلوا) فلكم أن تصلوا واستثناء المسافر لان له حكما آخرسيأتى وقيل المراد النهى عن قربان مواضع الصلاة أى المساجد الا عبورها من غيرمكث (وان كنتم مرضى) مرضا يضره الماء (اوعلى سفر) أى مسافرين وأنتم جنب أومحدثون (أوجاء أحد منكم من الغائط) هو المكان المعد لقضاء الحاجة أى أحدث (أولامستم النساء) وفى قراءة بلاألف وكلاهما بمعنى اللمس وهو الجس باليد قاله ابن عمروعليه الشافعى وألحق به الجس بباقى البشرة وعن ابن عباس هو الجماع (فلم تجدوا ماء)

فى نفى وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافى له (والله غفور رحيم) لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة) لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربى الى اجل ثم يزيد فيه بزيادة اخرى حتى يستغرق بالشئ الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة (واتقوا الله) فيما نهيتم عنه (لعلكم تفلحون) راجين الفلاح (واتقوا النار التى اعدت للكافرين) بالتحرز عن متابعتهم وتعاطى افعالهم وفيه تنبيه على النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة (واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا فى الطاعة ولعل وعسى فى امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبراله (وسارعوا) بادروا واقبلوا (الى مغفرة من ربكم) الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو (وجنة عرضها السموات والارض) اى عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة فى وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض (اعدت للمتقين) هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم (الذين ينفقون) صفة مادحة للمتقين اومدح منصوب اومرفوع (فى السراء والضراء) فى حالتى الرخاء والشدة اوالاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة اومضرة والمعنى لا يخلون فى حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل اوكثير (والكاظمين الغيظ) الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت رأسها وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا (والعافين عن الناس) التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبى عليه الصلاة والسلام ان هؤلاء فى امتى قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا فى الامم التى مضت (والله يحب المحسنين) يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء اوالعهد فتكون الاشارة اليهم (والذين اذا فعلوا فاحشة) فعلة بالغة فى القبح كالزنى (اوظلموا انفسهم) بان اذنبوا اى ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك (ذكروا الله) تذكروا وعيده اوحكمه اوحقه العظيم (فاستغفروا لذنوبهم) بالندم والتوبة (ومن يغفر الذنوب الا الله) استفهام بمعنى

تتطهرون به للصلاة بعد الطلب والتفتيش وهو راجع الى ماعدا المرضى (فتيمموا) اقصدوا بعد دخول الوقت (صعيدا طيبا) ترابا طاهرا فاضربوا به ضربتين (فامسحوا بوجوهكم وايديكم) مع المرافقين منه ومسح يتعدى بنفسه وبالحرف (ان الله كان عفوا غفورا ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا) حظا (من الكتاب) وهم اليهود (يشترون الضلالة) بالهدى (ويريدون أن تضلوا السبيل) تخطئوا طريق الحق لتكونوا مثلهم (والله أعلم باعدائكم) منكم يخبركم بهم لتجتنبوهم (وكفى بالله وليا) حافظا لكم منهم (وكفى بالله نصيرا) مانعا لكم من كيدهم (من الذين هادوا) قوم (يحرفون) يغيرون (الكلم) الذى أنزل الله فى التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم (عن مواضعه) التى وضع عليها (ويقولون) للنبى صلى الله عليه وسلم اذا أمرهم بشئ (سمعنا) قولك

النفى معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم
المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة (ولم يصروا على
مافعلوا) ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله صلى الله عليه وسلم
ما أصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة (وهم يعلمون) حال من يصروا
اى ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به (اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم
وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) خبر للذين ان ابتدأت به وجملة
مستأنفة مبينة لما قبلها ان عطفت على المتقين اوعلى الذين ينفقون ولا
يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاءلهم ان لايدخلها المصرون كما
لايلزم من اعداد النار للكافرين جزاءلهم ان لايدخلها غيرهم وتنكير جنات
على الاول يدل على ان مالهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات
المذكورة فى الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصل آيتهم بان بين
انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع
وتخطوا الى التخصيص بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله (ونعم اجر العاملين)
لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض مافوت على نفسه وكم بين المحسن
والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة
والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعنى المغفرة والجنات
(قدخلت من قبلكم سنن) وقائع سنها الله فى الامم المكذبة كقوله
تعالى وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين خلوا من قبل وقيل امم قال
« ماعاين الناس من فضل كفضلكمو * ولارأوا مثله فى سالف السنن »
(فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) لتعتبروا بما ترون من
آثار هلاكهم (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) اشارة الى قوله
قدخلت اومفهوم قوله فانظروا اى انه مع كونه بيانا للمكذبين
فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى مالخص من امر المتقين والتائبين
وقوله قدخلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن
(ولاتهنوا ولاتحزنوا) تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لاتضعفوا
عن الجهاد بما اصابكم ولاتحزنوا على من قتل منكم (وانتم الاعلون)
وحالكم انكم اعلى منهم شأنا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم فى الجنة
وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم فى النار اولانكم اصبتم منهم
يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون فى العاقبة فيكون بشارة

(وعصينا) أمرك (واسمع
غير مسمع) حال بمعنى الدعاء
أى لاسمعت (و) يقولون له
(راعنا) وقد نهى عن
خطابه بها وهى كلمة سب
بلغتهم (ليا) تحريفا
(بالسنتهم وطعنا) قدحا
(فى الدين) الاسلام
(ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا)
بدل وعصينا (واسمع) فقط
(وانظرنا) انظر الينا بدل
راعنا (لكان خيرا لهم)
مما قالوه (وأقوم) أعدل منه
ولكن لعنهم الله) أبعدهم
عن رحمته (بكفرهم فلا
يؤمنون الاقليلا) منهم
كعبد الله بن سلام وأصحابه
(ياأيها الذين أوتوا الكتاب
آمنوا بما نزلنا) من القرآن
(مصدقا لما معكم) من
التوراة (من قبل أن نطمس
وجوها) نمحو ما فيها من
العين والانف والحاجب
(فنردها على أدبارها)
فنجعلها كالاقفاء لوحا واحدا
(أو نلعنهم) نمسخهم قردة
(كما لعنا) مسخنا (أصحاب
السبت) منهم (وكان امر
الله) قضاؤه (مفعولا) ولما
نزلت أسلم عبد الله بن سلام

لهم بالنصر والغلبة (ان كنتم مؤمنين) متعلق بالنهى اى لاتهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضى قوة القلب بالوثوق على الله اوبا علون (ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله) قرأحمزة والكسائى وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لاتضعفوا فانكم ترجون من الله مالا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم (وتلك الايام نداولها بين الناس) نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا * ويوم نساء ويوم نسر * والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشئ بينهم فتداولوه والايام تحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة (وليعلم الله الذين آمنوا) عطف على علة محذوفة اى نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان مايصيب المؤمن فيه من المصالح مالا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد فى امثاله ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشئ موجودا (ويتخذ منكم شهداء) ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد اويتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد (والله لايحب الظالمين) الذين يضمرون خلاف مايظهرون اوالكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى لاينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين (وليمحص الله الذين آمنوا) ليظهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم (ويمحق الكافرين) ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشئ قليلا قليلا (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة) بل أحسبتم ومعناه الانكار (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) ولما تجاهدوا وفيه دليل على ان الجهاد فرض كفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون (ويعلم الصابرين) نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كأنه قال

فقيل كان وعيدا شرط فلما أسلم بعضهم رفع وقيل يكون طمس ومسخ قبل قيام الساعة (ان الله لايغفر أن يشرك) أى الاشراك (به ويغفر مادون) سوى (ذلك) من الذنوب (لمن يشاء) المغفرة له بأن يدخله الجنة بلا عذاب ومن شاء عذبه من المؤمنين بذنوبه ثم يدخله الجنة (ومن يشرك بالله فقد افترى اثما) ذنبا (عظيما) كبيرا (ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم) وهم اليهود حيث قالوا نحن أبناء الله واحباؤه أى ليس الامر بتزكيتهم أنفسهم (بل الله يزكى) يطهر (من يشاء) بالايمان (ولا يظلمون) ينقصون من أعمالهم (فتيلا) قدر قشرة النواة (انظر) متعجبا (كيف يفترون على الله الكذب) بذلك (وكفى به اثما مبينا) بينا * ونزل فى كعب بن الاشرف ونحوه من علماء اليهود لما قدموا مكة وشاهدوا قتلى بدر وحرضوا المشركين على الاخذ بثأرهم ومحاربة النبى صلى الله عليه وسلم (ألم تر

ولما تجاهدوا وانتم صابرون (ولقد كنتم تمنون الموت) اى الحرب فانها من
اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا
وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال
شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج (من قبل ان تلقوه)
من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته (فقد رأيتموه وانتم تنظرون) اى فقد رأيتموه
معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم
تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على الشهادة فان فى تمنيها تمنى
غلبة الكفار (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) فسيخلو كما خلوا
بالموت او القتل (افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم) انكار لارتدادهم
وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل
قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل
قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روى انه لما رمى عبد الله بن
قمئة الحارثى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه
فذب عنه مصعب بن عمير رضى الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن
قمئة وهو يرى انه قتل النبى عليه السلام فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ
ألا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول عليه السلام يدعو الى
عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين
وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابى يأخذ لنا امانا من ابى سفيان وقال
ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس
ابن النضر عم انس بن مالك ياقوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حى
لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم
انه اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت
(ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا) بارتداده بل يضر نفسه
(وسيجزى الله الشاكرين) على نعمة الاسلام بالثبات عليه كأنس واضرابه
(وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله) الا بمشيئة الله تعالى او باذنه لملك الموت
عليه السلام فى قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى فى علمه تعالى
وقضائه لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال
والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول صلى الله
عليه وسلم بالحفظ وتأخير الاجل (كتابا) مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت

الى الذين أوتوا نصيبا من
الكتاب يؤمنون بالجبت
والطاغوت) صنمان
لقريش (ويقولون للذين
كفروا) أبى سفيان وأصحابه
حين قالوا لهم أنحن أهدى
سبيلا ونحن ولاة البيت نسقى
الحاج ونقرى الضيف ونفك
العانى ونفعل أم محمد وقد
خالف دين آبائه وقطع الرحم
وفارق الحرم (هؤلاء) أى
أنتم (أهدى من الذين آمنوا
سبيلا) أقوم طريقا
(أولئك الذين لعنهم الله
ومن يلعن الله فلن تجد له
نصيرا) مانعا من عذابه
(أم) بل أ (لهم نصيب من
الملك) أى ليس لهم شئ
منه ولو كان (فاذا لا يؤتون
الناس نقيرا) أى شيأ تافها قدر
النقرة فى ظهر النواة لفرط
بخلهم (أم) بل أ (يحسدون
الناس) أى النبى صلى الله
عليه وسلم (على ما آتاهم الله
من فضله) من النبوة وكثرة
النساء أى يتمنون زواله عنه
ويقولون لو كان نبيا لاشتغل
عن النساء (فقد آتينا آل
ابراهيم) جده كموسى وداود
وسليمان (الكتاب والحكمة

كتابا (مؤجلا) صفة له اى موقتا لايتقدم ولايتأخر (ومن يرد ثواب الدنيا
نؤته منها) تعريض لمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على
المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما رأى الرماة ذلك اقبلوا على النهب
وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم
(ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) اى من ثوابها (وسنجزى الشاكرين)
الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شئ عن الجهاد (وكأين) اصله اى
دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت فى الخط
على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب
قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملى فى لعمرى فصار كيأن ثم حذف الياء
الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائى
(من نبى) بيان له (قاتل معه ربيون كثير) ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم
وقيل جماعات والربى منسوب الى الربة وهى الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير
ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبى ومعه ربيون
حال منه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل
وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر (فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله)
فما فتروا ولم ينكسر حدتهم لما اصابهم من قتل النبى او بعضهم
(وما ضعفوا) عن العدو او فى الدين (وما استكانوا) وما خضعوا للعدو
واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده
والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه
ان تكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله
عليه الصلاة والسلام (والله يحب الصابرين) فينصرهم ويعظم قدرهم

(وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت
اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) اى وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم
فى الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف
الى انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالها والاستغفار
عنها ثم طلب التثبيت فى مواطن الحرب لله والنصر على العدو ليكون عن خضوع
وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبر الان ان قالوا اعرف
لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث (فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن
ثواب الآخرة والله يحب المحسنين) فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجأ

النبوة (وآتيناهم ملكا
عظيما) فكان لداود تسع
وتسعون امرأة ولسليمان
ألف ما بين حرة وسرية
(فمنهم من آمن به) بمحمد صلى
الله عليه وسلم (ومنهم من
صد) أعرض (عنه) فلم
يؤمن (وكفى بجهنم سعيرا)
عذابا لمن لا يؤمن (ان الذين
كفروا بآياتنا سوف نصليهم)
ندخلهم (نارا) يحترقون
فيها (كلما نضجت) احترقت
(جلودهم بدلناهم جلودا
غيرها) بأن تعاد الى حالها
الاول غير محترقة (ليذوقوا
العذاب) ليقاسوا شدته (ان
الله كان عزيزا) لا يعجزه
شئ (حكيما) فى خلقه (والذين
آمنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجرى
من تحتها الانهار خالدين فيها
أبدا لهم فيها أزواج مطهرة)
من الحيض وكل قذر (وندخلهم
ظلا ظليلا) دائما لا تنسخه شمس
هو ظل الجنة (ان الله يأمركم
أن تؤدوا الامانات) أى
ما اؤتمن عليه من الحقوق
(الى أهلها) نزلت لما أخذ
على رضى الله عنه مفتاح

الى الله النصر والغنيمة والغزو وحسن الذكر فى الدنيا والجنة والنعيم فى الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعار افضله وانه المعتد به عند الله (يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين) نزلت فى قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابى سفيان واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام فى مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم (بل الله مولاكم) ناصركم وقرئ بالنصب على التقدير بل اطيعوا الله مولاكم (وهو خير الناصرين) فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره (سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) يريد ماقذف فى قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله الرعب فى قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائى ويعقوب بالضم على الاصل فى كل القرآن (بما اشركوا بالله) بسبب اشراكهم به (مالم ينزل به سلطانا) اى آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطانا وهو كقوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان (ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين) اى مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل (ولقد صدقكم الله وعده) اى وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم بالنبل والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم (اذ تحسونهم باذنه) تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه (حتى اذا فشلتم) جبنتم وضعف رأيكم اوملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل (وتنازعتم فى الامر) يعنى اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال آخرون لانخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم فى نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعنى بقوله (وعصيتم من بعد ما اراكم ماتحبون) من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم (منكم من يريد الدنيا) وهم التاركون المركز للغنيمة (ومنكم من يريد الآخرة)

الكعبة من عثمان بن طلحة الحجبى سادنها قسرا لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح ومنعه وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم برده اليه وقال هاك خالدة تالده فعجب من ذلك فقرأله على الآية فاسلم وأعطاه عندموته لأخيه شيبة فبقى فى ولده والآية وان وردت على سبب خاص فعمومها معتبر بقرينة الجمع (واذا حكمتم بين الناس) يامركم (أن تحكموا بالعدل ان الله نعما) فيه ادغام ميم نعم فى ما النكرة الموصوفة أى نعم شيئا (يعظكم به) تأدية الامانة والحكم بالعدل (ان الله كان سميعا) لما يقال (بصيرا) بما يفعل (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى) أصحاب (الامر) أى الولاة (منكم) اذا أمروكم بطاعة الله ورسوله (فان تنازعتم) اختلفتم (فى شئ فردوه الى الله) أى الى كتابه (والرسول) مدة حياته وبعده الى سنته أى اكشفوا عليه منهما (ان كنتم تؤمنون

وهم الثابتون محافظة على امر الرسول عليه السلام (ثم صرفكم عنهم) ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم (ليبتليكم) على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها (ولقد عفا عنكم) تفضلا ولما علم من ندمهم على المخالفة (والله ذو فضل على المؤمنين) يتفضل عليهم بالعفو او فى الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة (اذ تصعدون) متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكر والاصعاد الذهاب والابعاد فى الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة (ولا تلوون على احد) ولا يقف احد لاحد ولا ينتظره (والرسول يدعوكم) كان يقول الى عباد الله الى عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة (فى اخراكم) فى ساقتكم وجماعتكم الاخرى (فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولا ما اصابكم) عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر فى الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على مافاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير فى فاثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم اى فآساكم فى الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على مافاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة (والله خبير بما تعملون) عالم باعمالكم وبما قصدتم بها (ثم انزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا) انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابى طلحة غشينا النعاس فى المصاف حتى كان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوى امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كأنها المرة من الامن (يغشى طائفة منكم) اى الناس وقرأ حمزة والكسائى بالتاء رداعلى الامنة والطائفة المؤمنون حقا (وطائفة) هم المنافقون (قد اهمتهم انفسهم) اوقعتهم انفسهم فى الهموم او مايهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) صفة اخرى لطائفة او حال او استئناف على

بالله واليوم الآخر ذلك) أى الرد اليهما (خير) لكم من التنازع والقول بالرأى (وأحسن تأويلا) مآلا * ونزل لما اختصم يهودى ومنافق فدعا الى كعب بن الاشرف ليحكم بينهما ودعا اليهودى الى النبى صلى الله عليه وسلم فأتياه فقضى لليهودى فلم يرض المنافق وأتيا عمر فذكر له اليهودى ذلك فقال للمنافق أكذلك فقال نعم فقتله (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت) الكثير الطغيان وهو كعب ابن الاشرف (وقد أمروا أن يكفروا به) ولا يوالوه (ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا) عن الحق (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله) فى القرآن من الحكم (والى الرسول) ليحكم بينكم (رأيت المنافقين يصدون) يعرضون (عنك) الى غيرك (صدودا فكيف) يصنعون (اذا أصابتهم مصيبة) عقوبة (بما قدمت ايديهم)

وجه البيان لماقبله وغير الحق نصب على المصدر اى يظنون بالله غير
الظن الحق الذى يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص
بالله الجاهلية واهلها (يقولون) اى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو بدل من يظنون (هل لنا من الامر من شئ) هل لنا مما امر الله ووعد
من النصر والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابى بقتل بنى الخزرج فقال
ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا وتصرفنا باختيار فلم يبق لنا من الامر
شئ اوهل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شئ (قل ان الامر
كله لله) اى الغلبة الحقيقية لله تعالى واوليائه فان حزب الله هم
الغالبون اذ القضاء له يفعل مايشاء ويحكم مايريد وهو اعتراض وقرأ
ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء (يخفون فى انفسهم مالا يبدون لك)
حال من ضمير يقولون اى يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون
للنصرة مبطنين الانكار والتكذيب (يقولون) اى فى انفسهم اواذا خلا بعضهم
الى بعض وهو بدل من يخفون او استئناف على وجه البيان له (لو كان لنا
من الامر شئ) كما وعد محمد اوزعم ان الامر كله لله ولاوليائه اولو كان لنا
اختيار وتدبير لم نبرح كما كان رأى ابن ابى وغيره (ماقتلنا ههنا) ماغلبنا
ولما قتل من قتل منا فى هذه المعركة (قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب
عليهم القتل الى مضاجعهم) اى لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب
فى اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم ينفعهم الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد
فانه قدر الامور ودبرها فى سابق قضائه لامعقب لحكمه (وليبتلى الله
مافى صدوركم) وليمتحن الله مافى صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص
والنفاق وهو علة فعل محذوف اى وفعل ذلك ليبتلى اوعطف على محذوف
اى لبرز لنفاذ القضاء اولمصالح جمة اوللابتلاء اوعلى قوله لكيلا تحزنوا
(وليمحص مافى قلوبكم) وليكشفه ويميزه اويخلصه من الوساوس (والله
عليم بذات الصدور) بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه
على انه غنى عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمييز المؤمنين واظهار حال المنافقين

(ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض
ماكسبوا) يعنى ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب فى انهزامهم
ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا لمخالفة النبى صلى الله
عليه وسلم بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحياة فمنعوا التأييد وقوة القلب

من الكفر والمعاصى اى
ايقدرون على الاعراض والفرار
منها الا (ثم جاؤك) معطوف
على يصدون (يحلفون بالله ان)
ما (أردنا) بالمحاكمة الى غيرك
(الا احسانا) صلحا (وتوفيقا)
تأليفا بين الخصمين بالتقريب
فى الحكم دون الحمل على مر
الحق (أولئك الذين يعلم الله
مافى قلوبهم) من النفاق
وكذبهم فى عذرهم (فاعرض
عنهم) بالصفح (وعظهم)
خوفهم الله (وقل لهم فى
شان (أنفسهم قولا بليغا)
مؤثرا فيهم اى ازجرهم
ليرجعوا عن كفرهم
(وما ارسلنا من رسول
الا ليطاع) فيما يأمر به ويحكم
(باذن الله) بأمره لا ليعصى
ويخالف (ولو انهم اذ ظلموا
أنفسهم) بتحاكمهم الى
الطاغوت (جاؤك) تائبين
(فاستغفروا الله واستغفر لهم
الرسول) فيه التفات عن
الخطاب تفخيما لشأنه
(لوجدوا الله توابا) عليهم
(رحيما) بهم (فلا وربك)
لا زائدة (لايؤمنون حتى
يحكموك فيما شجر) اختلط
(بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم

وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم فكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة (ولقد عفا الله عنهم) لتوبتهم واعتذارهم (ان الله غفور) للذنوب (حليم) لايعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب (يا ايها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين كفروا) يعني المنافقين (وقالوا لاخوانهم) لاجلهم وفيهم ومعنى اخوانهم اتفاقهم في النسب او المذهب (اذا ضربوا في الارض) اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية (اوكانوا غزى) جمع غاز كعاف وعفى (لوكانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا) مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به (ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم) متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا اولاتكونوا اى لاتكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى مادل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى مادل عليه النهي اى لاتكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم (والله يحيي ويميت) رد لقولهم اى هو المؤثر في الحياة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازى و يميت المقيم والقاعد (والله بما تعملون بصير) تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد للذين كفروا (ولئن قتلتم في سبيل الله او متم) اى متم في سبيله وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات (لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون) جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزاء ليس مما يجلب الموت و يقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا منافعها لو لم تموتوا وقرأ حفص بالياء (ولئن متم او قتلتم) على اى وجه اتفق هلاككم (لالى الله تحشرون) لالى معبودكم الذى توجهتم اليه و بذلتم مهجكم لوجهه لاالى غيره لامحالة تحشرون فيوفي جزاءكم و يعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائي متم بالكسر (فبما رحمة من الله لنت لهم) اى فبرحمة ومامزيدة للتأكيد والدلالة على ان لينه لهم ماكان الا برحمة من الله وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه (ولو كنت فظا) سيئ الخلق جافيا (غليظ القلب) قاسيه (لانفضوا من حولك) لتفرقوا عنك

حرجا) ضيقا أو شكا (مما قضيت) به (ويسلموا) ينقادوا لحكمك (تسليما) من غير معارضة (ولو أنا كتبنا عليهم أن) مفسرة (اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم) كما كتبنا على بني اسرائيل (مافعلوه) أى المكتوب عليهم (الا قليل) بالرفع على البدل والنصب على الاستثناء (منهم ولو انهم فعلوا مايوعظون به) من طاعة الرسول (لكان خيرا لهم واشد تثبيتا) تحقيقا لايمانهم (واذا) أى لو ثبتوا (لآتيناهم من لدنا) من عندنا (اجرا عظيما) هو الجنة (ولهديناهم) صراطا مستقيما) قال بعض الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم كيف نراك في الجنة وأنت في الدرجات العلا ونحن أسفل منك فنزل (ومن يطع الله والرسول) فيما أمر به (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين) أفاضل أصحاب الانبيا لمبالغتهم في الصدق والتصديق (والشهداء) القتلى في سبيل الله (والصالحين) غير من

ولم يسكنوا اليك (فاعف عنهم) فيما يختص بك (واستغفر لهم) فيما لله
(وشاورهم فى الامر) اى فى امر الحرب اذا لكلام فيه او فيما يصح ان يشاور
فيه استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة
(فاذا عزمت) فاذا وطنت نفسك على شئ بعد الشورى (فتوكل على الله)
فى امضاء امرك على ماهو اصلح لك فانه لايعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على
التكلم اى فاذا عزمت لك على شئ وعينته لك فتوكل على ولا تشاور فيه
احدا (ان الله يحب المتوكلين) فينصرهم ويهديهم الى الصلاح
(ان ينصركم الله) كما نصركم يوم بدر (فلا غالب لكم) فلا احد يغلبكم
(وان يخذلكم) كما خذلكم يوم احد (فمن ذا الذى ينصركم من بعده) من بعد
خذلانه اومن بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على
المقتضى للتوكل وتحريض على مايستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب
خذلانه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا
ان لاناصر سواه وآمنوا به (وما كان لنبى ان يغل) وما صح لنبى ان يخون
فى الغنائم فان النبوة تنافى الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل
اغلالا اذا اخذه خفية والمراد منه امبراءة الرسول عليه السلام عما اتهم
به اذ روى ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخذها اوظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز
للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا
فهوله ولا يقسم الغنائم واما المبالغة فى النهى للرسول صلى الله عليه وسلم
على ماروى انه بعث طلائع فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه
ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا
ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى ويعقوب ان يغل على البناء
للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد غالا اوان ينسب الى الغلول (ومن يغلل
يأت بما غل يوم القيامة) يأت بالذى غله يحمله على عنقه كما جاء فى الحديث
او بما احتمل من وباله واثمه (ثم توفى كل نفس ما كسبت) يعنى تعطى جزاء ما كسبت
وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم توفى ما كسبت لكنه عمم الحكم ليكون
كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب بعمله مجزيا
فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى (وهم لايظلمون) فلا ينقص ثواب
مطيعهم ولا يزاد فى عقاب عاصيهم (افمن اتبع رضوان الله) بالطاعة كمن باء

ذكر (وحسن أولئك رفيقا)
رفقاء فى الجنة بان يستمتع فيها
برؤيتهم والحضور معهم
وان كان مقرهم فى الدرجات
العالية بالنسبة الى غيرهم
(ذلك) أى كونهم مع من
ذكر مبتدأ خبره (الفضل
من الله) تفضل به عليهم
لأنهم نالوه بطاعتهم (وكفى
بالله عليما) بثواب الآخرة
أى فثقوا بما أخبركم به ولا
ولا ينبئك مثل خبير (يا أيها
الذين آمنوا خذوا حذركم)
من عدوكم أى احترزوا منه
وتيقظوا له (فانفروا)
انهضوا الى قتاله (ثبات)
متفرقين سرية بعد أخرى
أو انفروا جميعا) مجتمعين
(وان منكم لمن ليبطئن)
ليتأخرن عن القتال كعبد الله
بن ابى المنافق وأصحابه
وجعله منهم من حيث الظاهر
واللام فى الفعل للقسم (فان
أصابتكم مصيبة) كقتل
وهزيمة (قال قد أنعم الله
على اذلم أكن معهم
شهيدا) حاضرا فأصاب
(ولئن) لام قسم (أصابكم
فضل من الله) كفتح وغنيمة
(ليقولن) نادما (كأن)

رجع (بسخط من الله) بسبب المعاصى (ومأواه جهنم وبئس المصير) الفرق
بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع
(هم درجات عند الله) شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت فى الثواب والعقاب
اوهم ذوو درجات (والله بصير بما يعملون) عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة
عنهم فيجازيهم على حسبها (لقد من الله على المؤمنين) انعم من آمن
مع الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة
عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر مبتدأ محذوف مثل منه
او بعثه (اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم) من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم
ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله فى الصدق والامانة
مفتخرين به وقرئ من أنفسهم اى من اشرفهم لانه عليه السلام كان من اشرف
قبائل العرب وبطونهم (يتلو عليهم آياته) اى القرآن بعدما كانوا جهالا لم يسمعوا
الوحى (ويزكيهم) يطهرهم من دنس الطباع وسوء الاعتقاد والاعمال
(ويعلمهم الكتاب والحكمة) اى القرآن والسنة (وان كانوا من قبل لفى ضلال
مبين) ان هى المخففة من المثقلة واللام هى الفارقة اى وان الشأن كانوا
من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم فى ضلال ظاهر (اولما اصابتكم مصيبة
قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا) الهمزة للتقرير والتقريع والواو عاطفة للجملة
على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل أفعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه
المضاف الى أصابتكم اى حين اصابتكم مصيبة وهى قتل سبعين منكم يوم احد
والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا
وقد وعدنا الله النصر (قل هو من عند انفسكم) اى مما اقترفته انفسكم من مخالفة
الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة واختيار الخروج
من المدينة وعلى رضى الله تعالى عنه باختيار كم الفداء يوم بدر (ان الله على
كل شئ قدير) فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم (وما
اصابكم يوم التقى الجمعان) جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد (فباذن
الله) فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه (وليعلم
المؤمنين وليعلم الذين نافقوا) وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء
وكفر هؤلاء (وقيل لهم) عطف على نافقوا داخل فى الصلة اوكلام مبتدأ
(تعالوا قاتلوا فى سبيل الله اوادفعوا) تقسيم للامر عليهم وتخيير بين
ان يقاتلوا للآخرة اوللدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة

مخففة واسمها محذوف أى
كأنه (لم يكن) بالياء والتاء
(بينكم وبينه مودة) معرفة
وصداقة وهذا راجع الى
قوله قد أنعم الله على اعترض
به بين القول ومقوله وهو
(يا) للتنبيه (ليتنى كنت
معهم فافوز فوزا عظيما)
آخذ حظا وافرا من الغنيمة
قال تعالى (فليقاتل فى سبيل
الله) لاعلاء دينه (الذين
يشرون) يبيعون (الحيوة
الدنيا بالآخرة ومن يقاتل
فى سبيل الله فيقتل) يستشهد
(أو يغلب) يظفر بعدوه
(فسوف نؤتيه أجرا عظيما)
ثوابا جزيلا (ومالكم
لا تقاتلون) استفهام توبيخ
أى لامانع لكم من القتال
(فى سبيل الله و) فى تخليص
(المستضعفين من الرجال
والنساء والولدان) الذين
حبسهم الكفار عن الهجرة
وآذوهم قال ابن عباس
رضى الله عنهما كنت أنا
وامى منهم (الذين يقولون)
داعين يا (ربنا أخرجنا
من هذه القرية) مكة
(الظالم أهلها) بالكفر
(واجعل لنا من لدنك) من

اوادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو
ويكسر منه (قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم) لونعلم مايصح ان يسمى قتالا
لاتبعناكم فيه لكن ماانتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة اولو
نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا واستهزاء (هم للكفر يومئذ اقرب
منهم للايمان) لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم
مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان
اذكان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين
(يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم) يظهرون خلاف مايضمرون لاتواطئ
قلوبهم ألسنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تأكيد وتصغير
(والله اعلم بما يكتمون) من النفاق ومايخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا
بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بأمارات (الذين قالوا) رفع بدلا من واو يكتمون
اونصب على الذم اوالوصف للذين نافقوا اوجر بدلا من الضمير فى بافواههم
اوقلوبهم كقوله * على جوده لضن بالماء حاتم (لاخوانهم) اى لاجلهم
يريد من قتل يوم احد من اقاربهم اومن جنسهم (وقعدوا) حال مقدرة بقد اى
قالوا قاعدين عن القتال (لواطاعونا) فى القعود (ماقتلوا) كمالم نقتل وقرأ هشام
ماقتلوا كمالم نقتل وقرأ هشام ماقتلوا بالتشديد فى التاء (قل فادرأوا عن انفسكم
الموت ان كنتم صادقين) اى ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل
عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى
ان القعود غير مغن عن الموت فان اسباب الموت كثيرة وكما أن القتال يكون
سببا للهلاك والقعود يكون سببا للنجاة فقد يكون الامر بالعكس (ولا تحسبن
الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا) نزلت فى شهداء احد وقيل فى شهداء بدر
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اولكل احد وقرئ بالياء على
اسناده الى ضمير الرسول اومن يحسب اوالى الذين قتلوا والمفعول الاول
محذوف لانه فى الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر
قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين (بل احياء) اى بل هم احياء وقرئ بالنصب على
بل احسبهم احياء (عند ربهم) ذوو زلفى منه (يرزقون) من الجنة
وهو تأكيد لكونهم احياء (فرحين بما آتاهم الله من فضله) وهو شرف الشهادة
والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله تعالى والتمتع بنعيم الجنة (ويستبشرون)
يسرون بالبشارة (بالذين لم يلحقوا بهم) اى باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا

عندك (وليا) يتولى أمورنا
(واجعل لنا من لدنك نصيرا)
يمنعنا منهم وقد استجاب الله
دعاءهم فيسر لبعضهم الخروج
وبقى بعضهم الى ان فتحت
مكة وولى صلى الله عليه وسلم
عتاب بن اسيد فانصف
مظلومهم من ظالمهم (الذين
آمنوا يقاتلون فى سبيل الله
والذين كفروا يقاتلون
فى سبيل الطاغوت) الشيطان
(فقاتلوا أولياء الشيطان)
انصار دينه تغلبوهم لقوتكم
بالله (ان كيد الشيطان)
بالمؤمنين (كان ضعيفا)
واهيا لا يقاوم كيد الله
بالكافرين (ألم ترالى الذين
قيل لهم كفوا ايديكم) عن
قتال الكفار لما طلبوه بمكة
لاذى الكفار لهم وهم
جماعة من الصحابة (وأقيموا
الصلوة وآتوا الزكوة فلما
كتب) فرض (عليهم القتال
اذا فريق منهم يخشون)
يخافون (الناس) الكفار
اى عذابهم بالقتل (كخشية)
هم عذاب (الله اواشد
خشية) من خشيتهم له
ونصب اشد على الحال
وجواب لما دل عليه اذاوما

فيلحقوابهم (من خلفهم) اى الذين من خلفهم زمانا أورتبة (الاخوف عليهم ولاهم يحزنون) بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين انهم اذا ماتوا اوقتلوا كانوا احياء حياة لايكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب الآية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لايفنى بخراب البدن ولايتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى فى آل فرعون النار يعرضون عليها الآية وماروى ابن عباس رضى الله عنهما انه عليه الصلاة والسلام قال ارواح الشهداء فى اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل معلقة فى ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الاريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيامة وانما وصفوا به فى الحال لتحققه ودنوه اواحياء بالذكر اوبالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب فى الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ماانعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح (يستبشرون) كرره للتأكيد وليعلق به ماهو بيان لقوله الاخوف ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم (بنعمة من الله) ثوابا لاعمالهم (وفضل) زيادة عليه كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم (وان الله لايضيع اجر المؤمنين) من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائى بالكسر على انه استئناف معترض دال على ان ذلك اجرلهم على ايمانهم مشعربان من لاايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة (الذين استجابوا لله والرسول من بعدما اصابهم القرح) صفة للمؤمنين اونصب على المدح اومبتدأ خبره (للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم) بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لاالتقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روى ان اباسفيان واصحابه لمارجعوا فبلغوا الروحاء فندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج فى طلبه وقال لايخرجن معنا احد الامن حضر يومنا بالامس فخرج عليه الصلاة والسلام مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهو على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لايفوتهم الاجر وألقى الله الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت (الذين قال لهم الناس) يعنى الركب الذين استقبلهم من عبدقيس اونعيم بن مسعود الاشجعى واطلق

بعدها اى فاجأهم الخشية (وقالوا) جزعا من الموت (ربنالم كتبت علينا القتال لولا) هلا (أخرتنا الى اجل قريب قل) لهم (متاع الدنيا) مايتمتع به فيها اوالاستمتاع بها (قليل) آيل الى الفناء (والآخرة) اى الجنة (خير لمن اتقى) عقاب الله بترك معصيته (ولاتظلمون) بالتاء والياء تنقصون من اعمالكم (فتيلا) قدر قشرة النواة فجاهدوا (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج) حصون (مشيدة) مرتفعة فلا تخشوا القتال خوف الموت (وان تصبهم) أى اليهود (حسنة) خصب وسعة (يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة) جدب وبلاء كما حصل لهم عند قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة (يقولوا هذه من عندك) يامحمد أى بشؤمك (قل) لهم (كل) من الحسنة والسيئة (من عند الله) من قبله (فمال هؤلاء القوم لايكادون يفقهون) أى

عليه الناس من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وماله الافرس واحد اولانه انضم اليه ناس من المدينة واذا عوا كلامه (ان الناس قدجمعوا لكم فاخشوهم) يعنى اباسفيان واصحابه روى انه نادى عندانصرافه من احد يامحمد موعدنا موسم بدر لقابل انشئت فقال عليه السلام ان شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج فى اهل مكة حتى نزل مر الظر ان فانزل الله الرعب فى قلبه وبداله ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقى نعيم بن مسعود وقدقدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم فى دياركم فلم يفلت منكم احد الاشريدا فترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام والذى نفسى بيده لاخرجن ولولم يخرج معى واحد فخرج فى سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله (فزادهم ايمانا) الضمير المستكن للقول اولمصدر قال اولفاعله ان اريد به نعيم وحده والبارز للقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر رضى الله عنهما قلنا يارسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج (وقالوا حسبنا الله) محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لايستفيد بالاضافة تعريفا فى قولك هذا رجل حسبك (ونعم الوكيل) ونعم الموكول اليه هو (فانقلبوا) فرجعوا من بدر (بنعمة من الله) عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه (وفضل) ربح فى التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا (لم يمسسهم سوء) من جراحة وكيد عدو (واتبعوا رضوان الله) الذى هو مناط الفوز بخير الدارين بجراءتهم وخروجهم (والله ذو فضل عظيم) قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب فى الدين واظهار الجراءة على العدو وبالحفظ عن كل مايسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه تعالى وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه مافازوا به (انما ذلكم الشيطان) يريد به المثبط نعيما اوا باسفيان والشيطان خبر

لايقاربون ان يفهموا (حديثا) يلقى اليهم وما استفهام تعجيب من فرط جهلهم ونفى مقاربة الفعل اشد من نفيه (ما أصابك) أيها الانسان (من حسنة) خير (فمن الله) أتتك فضلا منه (وما أصابك من سيئة) بلية (فمن نفسك) اتتك حيث ارتكبت مايستوجبها من الذنوب (وارسلناك) يامحمد (للناس رسولا) حال مؤكدة (وكفى بالله شهيدا) على رسالتك (من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى) اعرض عن طاعته فلا يهمنك (فما أرسلناك عليهم حفيظا) حافظا لاعمالهم بل نذيرا والينا أمرهم فنجازيهم وهذا قبل الامر بالقتال (ويقولون) أى المنافقون اذا جاؤك أمرنا (طاعة) لك (فاذا برزوا) خرجوا (من عندك بيت طائفة منهم) بادغام التاء فى الطاء وتركه أى أضمرت (غير الذى تقول) لك فى حضورك من الطاعة اى عصيانك (والله يكتب) يأمر بكتب (مايبيتون)

ذلكم ومابعده بيان لشيطنته اوصفة ومابعده خبره ويجوزان تكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اى انما ذلكم قول الشيطان يعنى ابليس عليه اللعنة (يخوف اولياءه) القاعدين عن الخروج مع الرسول او يخوفكم اولياؤه الذين هم ابو سفيان او اصحابه (فلا تخافوهم) الضمير للناس الثانى على الاول والى الاولياء على الثانى (وخافون) فى مخالفة امرى فجاهدوا مع رسولى (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يقتضى ايثار خوف الله على خوف الناس (ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر) يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين اوقوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله (انهم لن يضروا الله شيئا) اى لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم فى الكفر وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر وقرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاى حيث وقع ماخلا قوله فى الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه فتح الياء وضم الزاى فيه والباقون كذلك فى الكل (يريد الله ان لا يجعل لهم حظا فى الآخرة) نصيبا من الثواب فى الآخرة وهو يدل على تمادى طغيانهم وموتهم على الكفر وفى ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ فى الآخرة (ولهم عذاب عظيم) مع الحرمان عن الثواب (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم) تكرير للتأكيد او تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب (ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم) خطاب للرسول عليه السلام اولكل من يحسب والذين مفعول وانما نملى لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثانى على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم أو ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها ان تفصل فى الخط ولكنها وقعت متصلة فى الامام فاتبع وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو عاصم والكسائى ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما فى حيزه مفعول وفتح سينه فى جميع القرآن ابن عامر وعاصم والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشأنهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء

في صحائفهم ليجازوا عليه فاعرض عنهم) بالصفح (وتوكل على الله) ثق به فانه كافيك (وكفى بالله وكيلا) مفوضا اليه (أفلا يتدبرون) يتأملون (القرآن) ومافيه من المعانى البديعية (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) تناقضا فى معانيه وتباينا فى نظمه (واذا جاءهم أمر) عن سرايا النبى صلى الله عليه وسلم بما حصل لهم (من الامن) بالنصر (او الخوف) بالهزيمة (اذاعوا به) افشوه نزل فى جماعة من المنافقين أو فى ضعفاء المؤمنين كانوا يفعلون ذلك فتضعف قلوب المؤمنين ويتأذى النبى (ولو ردوه) أى الخبر (الى الرسول والى أولى الامر منهم) أى ذوى الرأى من أكابر الصحابة اى لو سكتوا عنه حتى يخبروا به (لعلمه) هل هو مما ينبغى ان يذاع أولا (الذين يستنبطونه) يتبعونه ويطلبون علمه وهم المذيعون (منهم) من الرسول وأولى الامر (ولولا فضل الله عليكم) بالاسلام

(انما نملي لهم ليزدادوا اثما) استئناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح هنا وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا لهم خير ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم (ولهم عذاب مهين) على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) الخطاب لعامة المسلمين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم وقرأ حمزة والكسائي حتى يميز هنا وفي الانفال بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء وتشديدها والباقون بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء (وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) وما كان الله ليؤتي احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وايمان ولكن الله يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها (فامنوا بالله ورسله) بصفة الاخلاص او بان تعلموا الله وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحي اليهم روي ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي انه عليه السلام قال عرضت على امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت (وان تؤمنوا) حق الايمان (وتتقوا) النفاق (فلكم اجر عظيم) لا يقادر قدره (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم) القراآت فيه ما سبق ومن قرأ بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم او من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم (بل هو) اي البخل (شر لهم) لاستجلاب العقاب عليهم (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) بيان لذلك والمعنى

(ورحمته) لكم بالقرآن (لاتبعتم الشيطان) فيما يأمركم به من الفواحش (الا قليلا فقاتل) يا محمد (في سبيل الله لا تكلف الا نفسك) فلا تهتم بتخلفهم عنك المعنى قاتل ولو وحدك فانك موعود بالنصر (وحرض المؤمنين) حثهم على القتال ورغبهم فيه (عسى الله أن يكف بأس) حرب (الذين كفروا والله اشد بأسا) منهم (واشد تنكيلا) تعذيبا منهم فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو وحدي فخرج بسبعين راكبا الى بدر الصغرى فكف الله بأس الكفار بالقاء الرعب في قلوبهم ومنع ابي سفيان عن الخروج كما تقدم في آل عمران (من يشفع) بين الناس (شفاعة حسنة) موافقة للشرع (يكن له نصيب) من الاجر (منها) بسببها (ومن يشفع شفاعة سيئة) مخالفة له (يكن له كفل) نصيب من الوزر (منها) بسببها (وكان الله على كل شئ مقيتا) مقتدرا

فيجـازى كل أحد بمـا عمل (واذا حييتم بتحيـة) كأن قيـل لكم سـلام عليـكم (فحيـوا) المحيى (باحسن منهـا) بان تقولوا له عليك السـلام ورحمة الله وبركاته (أوردوها) بأن تقولوا له كما قال اى الواجب احدهما والاول أفضل (ان الله كان على شئ حسـيبا) محاسـبا فيجازى عليه ومنه ردالسلام وخصت السـنة الكا فـر والمبتدع والفـاسق والمسـلم عـلى قاضى الحـاجة ومن فى الحمام والآكل فلا يجب الرد عليهم بل يكره فى غـير الاخـير ويقـال للكا فـر وعليك (الله لا اله الا هـو) والله (ليجمعنكم) من قبـور كم (الى) فى (يوم القيامة لاريب) شك (فيـه ومن) اى لا أحد (اصدق من الله حديثـا) قولا * ولما رجع ناس من أحد اختلف الناس فيهم فقـال فريق اقتلهم وقال فريق لا فنزل (فما لكم) أى ماشانكم صرتم (فى المنافقين فئتـين) فرقتـين (والله اركسـهم) ردهـم (بمـا كسبوا) من الكفر والمعاصى

سيلزمون وبال مابخلوا به الزام الطوق وعنه عليه الصلاة والسلام مامن رجل لايؤدى زكاة ماله الاجعـل الله له شجـاعا فى عنقه يوم القيامة (ولله ميراث السموات والارض) وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليـه بماله ولا ينفقونه فى سبيله اوأنه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقون فى سبيله بهلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة (والله بما يعملون) من المنع والاعطاء (خبير) فيجازيكـم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى بالتاء على الالتفـات وهو ابلغ فى الوعيد (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيـاء) قاله اليهود لمـا سمعوا من ذا الذى يقرض الله قرضا حسـنا وروى انه عليه الصـلاة والسـلام كتب مع ابى بكر رضى الله تعـالى عنه الى يهود بنى قينقـاع يدعوهم الى الاسـلام واقام الصـلاة وايتـاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير حتى سأل القرض فلطمه ابو بكر رضى الله عنه على وجهه وقال لولا مابيننا من العهد لضربت عنقك فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ماقاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه (سنكتب ماقالوا وقتلهم الانبياء بغير حق) اى سنكتبه فى صحـائف الكتبة اوسنحفظه فى علمنا لانهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء بالقرآن والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوها وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول وقرأ حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء (ونقول ذوقوا عذاب الحريق) اى وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات فى الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك سائر المحسوسـات والحـالات وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشئ عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال (ذلك) اشارة الى العذاب (بما قدمت ايديكم) من قتـل الانبياء وقولهم هذا وسـائر معـاصيهم عبر بالايدى عن الانفس لان اكثر اعمالهـا بهن (وان الله ليس بظلام للعبيد) عطف على ماقدمت وسببيته للعـذاب من حيث ان نفى الظلم يستلزم العدل المقتضى اثابة المحسن ومعاقبة المسيئ (الذين قالوا) هم كعب بن الاشرف ومالك وحيى وفنحاص ووهب بن يهوذا (ان الله عهد الينا) امرنا فى التوراة

واوصانا (ان لانؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) بان لانؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التى كانت لانبياء بنى اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبى فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله اى تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الالكونه معجزة فهو وسائر المعجزات شرع ذلك (قل جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فمالهم لم يؤمنوا بمن جاء به فى معجزات اخر واجترأوا على قتله (فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير) تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشئ اذا حسنته والكتاب فى عرف القرآن مايتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين فى عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات (كل نفس ذائقة الموت) وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله * ولا ذاكر الله الا قليلا (وانما توفون اجوركم) تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان اوشرا تاما وافيا (يوم القيامة) يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران (فمن زحزح عن النار) بعد عنها والزحزحة فى الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة (وادخل الجنة فقد فاز) بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبى صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتى الى الناس مايحب ان يؤتى اليه (وما الحياة الدنيا) اى لذاتها وزخارفها (الامتاع الغرور) شبهها بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهى له متاع بلاغ والغرور مصدر اوجمع غار (لتبلون) اى والله لتختبرن (فى اموالكم) بتكليف الانفاق ومايصيبه من الآفات (وانفسكم) بالجهاد والقتل والاسر والجراح

(أتريدون ان تهدوا من اضل) ه (الله) أى تعدوهم من جملة المهتدين واستفهام فى الموضعين للانكار (ومن يضلل) ه (الله فلن تجد له سبيلا) طريقا الى الهدى (ودوا) تمنوا (لو تكفرون كما كفروا فتكونون) انتم وهم (سواء) فى الفقر (فلا تتخذوا منهم أولياء) توالونهم وان أظهروا الايمان (حتى يهاجروا فى سبيل الله) هجرة صحيحة تحقق ايمانهم (فان تولوا) وأقاموا على ماهم عليه (فخذوهم) بالاسر (واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا) توالونه (ولا نصيرا) تنتصرون به على عدوكم (الا الذين يصلون) يلجؤن (الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) عهد بالامان لهم ولمن وصل اليهم كما عاهد النبى صلى الله عليه وسلم هلال بن عويمر الاسلمى (أو) الذين (جاؤكم) وقد (حصرت) ضاقت (صدورهم) عن (أن يقاتلوكم) مع قومهم (أو يقاتلوا قومهم) معكم

ومايرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب (ولتسمعن من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا) من هجاء الرسول
صلى الله عليه وسلم والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم
بذلك وقبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها
حتى لا يرهقهم نزولها (وان تصبروا) على ذلك (وتتقوا) مخالفة امر الله
(فان ذلك) يعني الصبر والتقوى (من عزم الامور) من معزومات الامور التي
يجب العزم عليها او مما عزم الله عليه اى امر به وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات
الرأى على الشئ نحو امضائه (واذ اخذ الله) اى اذكر وقت اخذه
(ميثاق الذين اوتوا الكتاب) يريد به العلماء (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) حكاية
لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم
غيب واللام جواب القسم الذي ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير
للكتاب (فنبذوه) اى الميثاق (وراء ظهورهم) فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه
والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب
عينيه والقاؤه بين عينيه (واشتروا به) واخذوا بدله (ثمنا قليلا) من حطام الدنيا
واعراضها (فبئس ما يشترون) يختارون لانفسهم وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن علي رضي الله تعالى عنه
ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا

(لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم
بمفازة من العذاب) الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ومن ضم الباء جعل
الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله
فلا تحسبنهم تأكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس
وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار
الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اى فائزين بالنجاة منه
وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين
فاعل ومفعولا لا يحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده فكأنه قيل
ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول
الاول محذوف وقوله فلا تحسبنهم تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول (ولهم
عذاب اليم) بكفرهم وتدليسهم روى انه عليه السلام سأل
اليهود عن شئ مما في التوراة فاخبروه بخلاف ما كان فيها واروه انهم قد صدقوه

﴿ وفرحوا ﴾

أى مسكين عن قتالكم
وقتالهم فلا تتعرضوا اليهم
بأخذ ولا قتل وهذا ومابعده
منسوخ بآية السيف (ولو
شاء الله) تسليطهم عليكم
(لسلطهم عليكم) بان يقوى
قلوبهم (فلقاتلوكم)
ولكنه لم يشأ فالقى في قلوبهم
الرعب (فان اعتزلوكم فلم
يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم)
الصلح أى انقادوا (فما جعل الله
لكم عليهم سبيلا) طريقا
بالاخذ والقتل (ستجدون
آخرين يريدون أن يأمنوكم)
باظهار الايمان عندكم (ويأمنوا
قومهم) بالكفر اذا رجعوا
اليهم وهم أسد وغطفان
(كلما ردوا الى الفتنة) دعوا
الى الشرك (أركسوا فيها)
وقعوا أشد وقوع (فان لم
يعتزلوكم) بترك قتالكم
(و) لم (يلقوا اليكم السلم و)
لا (يكفوا أيديهم) عنكم
(فخذوهم) بالاسر
(واقتلوهم حيث ثقفتموهم)
وجدتموهم (وأولئكم
جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا)
برهانا بينا ظاهرا على قتلهم
وسبيهم لغدرهم (وما كان
لمؤمن أن يقتل مؤمنا) أى

وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت فى قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم رأوا المصلحة فى التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت فى المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذى لم يفعلوه على الحقيقة (ولله ملك السموات والارض) فهو يملك امرهم (والله على كل شئ قدير) فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب) لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوى العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق فى سورة البقرة ولعل الاقتصار على الثلاثة فى هذه الآية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون فى ذات الشئ كتغير الليل والنهار اوجزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبى صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) اى يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه الصلاة والسلام من احب ان يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه تصلون على الهيئات الثلاث حسب طاقتهم لقوله عليه الصلاة والسلام لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومى ايماء فهو حجة للشافعى رضى الله عنه فى ان المريض يصلى مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه (ويتفكرون فى خلق السموات والارض) استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه الصلاة والسلام لاعبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه الصلاة والسلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفرلى فنظر الله اليه فغفرله وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله (ربنا ماخلقت هذا باطلا) على ارادة القول اى يتفكرون ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما فى معنى المخلوق والمعنى ماخلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحياة الابدية والسعادة السرمدية فى جوارك

ماينبغى أن يصدر منه قتل له (الاخطأ) مخطئا فى قتله من غير قصد (ومن قتل مؤمنا خطأ) بان قصد رمى غيره كصيد أوشجرة فاصابه أوضرب به بما لايقتل غالبا (فتحرير) عتق (رقبة) نسمة (مؤمنة) عليه (ودية مسلمة) مؤداة (الى أهله) أى ورثة المقتول (الا أن يصدقوا) يتصدقوا عليه بها بان يعفوا عنها وبينت السنة أنها مائة من الابل عشرون بنت مخاض وكذا بنات لبون وبنو لبون وحقاق وجذاع وأنها على عاقلة القاتل وهم عصبته الا الاصل والفرع موزعة عليهم على ثلاث سنين على الغنى منهم نصف دينار والمتوسط ربع كل سنة فان لم يفوا فمن بيت المال فان تعذر فعلى الجانى (فان كان) المقتول (من قوم عدو) حرب (لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) على قاتله كفارة ولادية تسلم الى أهله لحرابتهم (وان كان) المقتول (من قوم بينكم وبينهم ميثاق) عهد كأهل الذمة (فدية) له (مسلمة

(سبحانك) تنزيهالك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض (فقنا عذاب النار) للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هى الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة (ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته) غاية الاخزاء و نظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحانى افظع (وما للظالمين من انصار) اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم تسبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم فى الخلاص منها ولا يلزم من نفى النصرة نفى الشفاعة لان النصرة دفع بقهر (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان) اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست فى ايقاعه على نفس المسموع وفى تنكير المنادى واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشأنه والمراد به الرسول عليه الصلاة والسلام وقيل القران والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص (ان آمنوا بربكم فآمنا) اى آمنوا اوبان آمنوا فامتثلنا (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) كبائرنا فانها ذات تبعة (وكفر عنا سيئاتنا) صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر (وتوفنا مع الابرار) مخصوصين بصحبتهم معدودين فى زمرتهم وفيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر اوبار كارباب واصحاب (ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك) اى ماوعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما امر به سأل ماوعد عليه لاخوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لايكون من الموعودين لسوء عاقبة اوقصور فى الامتثال اوتعبدا اواستكانة ويجوزان يتعلق على بمحذوف تقديره ماوعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه على السنة رسلك (ولا تخزنا يوم القيامة) بان تعصمنا عما يقتضيه (انك لاتخلف الميعاد) باثابة المؤمن واجابة الداعى وعن ابن عباس رضى الله عنهما الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة فى الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شانها وفى الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف (فاستجاب لهم ربهم) الى طلبتهم وهو اخص من اجاب يعدى بنفسه وباللام (انى لا اضيع عمل عامل منكم) اى بانى لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول (من ذكر

الى أهله) وهى ثلث دية المؤمن ان كان يهوديا أو نصرانيا وثلثا عشرها ان كان مجوسيا (وتحرير رقبة مؤمنة) على قاتله (فمن لم يجد) الرقبة بان فقدها وما يحصلها به (فصيام شهرين متتابعين) عليه كفارة ولم يذكر الله تعالى الانتقال الى الطعام كالظهار وبه أخذ الشافعى فى اصح قوليه (توبة من الله) مصدر منصوب بفعله المقدر (وكان الله عليما) بخلقه (حكيما) فيما دبره لهم (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) بان يقصد قتله بما يقتل غالبا عالما بايمانه (فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه) أبعده من رحمته (وأعدله عذابا عظيما) فى النار وهذا مؤول بمن يستحله أوبان هذا جزاؤه ان جوزى ولا بدع فى خلف الوعيد لقوله ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وعن ابن عباس أنها على ظاهرها وأنها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة وبينت آية البقرة أن قاتل العمد يقتل به وأن عليه الدية ان عفى عنه وسبق

اوانثى) بيان عامل (بعضكم من بعض) لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر اولانهما من اصل واحد اولفرط الاتصال والاتحاد اوللاجتماع والاتفاق فى الدين وهى جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعدللعمال روى ان ام سلمة رضى الله عنها قالت يارسول الله انى اسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولايذكرالنساء فنزلت (فالذين هاجروا) الخ تفصيل لاعمال العمال وماعدلهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك اوالاوطان والعشاير للدين (واخرجوا من ديارهم واوذوا فى سبيلى) اى بسبب ايمانهم بالله ومن اجله (وقاتلوا) الكفار (وقتلوا) فى الجهاد وقرأ حمزة والكسائى بالعكس لان الواو لاترجب ترتيبا والثانى افضل اولان المراد لماقتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير (لاكفرن عنهم سيئاتهم) لامحونها (ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عندالله) اى اثيبنهم بذلك اثابة من عندالله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد (والله عنده حسن الثواب) على الطاعات قادرعليه (لايغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد) والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد امته اوتثبيته على ماكان عليه كقوله فلاتطع المكذبين اولكل احد والنهى فى المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لاتنظر الى ماكان الكفرة عليه من السعة والحظ ولاتغتر بظاهر ماترى من تبسطهم فى مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روى ان بعض المسلمين كانوا يرون المشركين فى رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيمايرى من الخير وقدهلكنا من الجوع والجهد فنزلت (متاع قليل) خبر مبتدأ محذوف اى ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته فى جنب ماعدالله للمؤمنين قال عليه الصلاة والسلام ماالدنيا فى الآخرة الامثل مايجعل احدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع (ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) اى مامهدوا لانفسهم (لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عندالله) النزل والنزل مايعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو السعد الضبى وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيه الظرف وقيل انه مصدر

قدرها وبينت السنة أن بين العمد والخطأ قتلايسمى شبه العمد وهوأن يقتله بمالايقتل غالبا فلاقصاص فيه بل دية كالعمد فى الصفة والخطأ فى التأجيل والحمل وهو والعمد أولى بالكفارة من الخطا * ونزل لما مر نفر من الصحابة برجل من بنى سليم وهو يسوق غنما فسلم عليهم فقالوا ماسلم علينا الاتقية فقتلوه واستاقوا غنمه (ياأيها الذين آمنوا اذا ضربتم) سافرتم للجهاد (فى سبيل الله فتبينوا) وفى قراة بالمثلثة فى الموضعين (ولاتقولوا لمن ألقى اليكم السلام) بألف ودونها أى التحية أوالانقياد بقول كلمة الشهادة التى هى أمارة على الاسلام (لست مؤمنا) وانما قلت هذا تقية لنفسك ومالك فتقتلوه (تبتغون) تطلبون بذلك (عرض الحياة الدنيا) متاعها من الغنيمة (فعندالله مغانم كثيرة) تغنيكم عن قتل مثله لماله (كذلك كنتم من قبل) تعصم دماؤكم وأموالكم بمجرد قولكم الشهادة (فمن الله عليكم) بالاشتهار بالايمان والاستقامة

مؤكدو التقدير انزلوها نزلا (وماعندالله) لكثرته ودوامه (خير للابرار) ممايتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله (وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله) نزلت فى عبدالله بن سلام واصحابه وقيل فى اربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل فى اصحمة النجاشى لما نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى لم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف (وماانزل اليكم) من القرآن (وماانزل اليهم) من الكتابين (خاشعين لله) حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى (لايشترون بآيات الله ثمنا قليلا) كما يفعله المحرفون من احبارهم (اولئك لهم اجرهم عند ربهم) ماخص بهم من الاجر ووعدوه فى قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين (ان الله سريع الحساب) لعلمه بالاعمال ومايستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التأمل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعى سرعة الجزاء (ياأيها الذين آمنوا اصبروا) على مشاق الطاعات ومايصيبكم من الشدائد (وصابروا) وغالبوا اعداء الله بالصبر على شدائد الحرب واعدى عدوكم فى الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته (ورابطوا) ابدانكم وخيولكم فى الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال عليه الصلاة والسلام من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلوة وعنه عليه السلام من رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لايفطر ولاينفتل عن صلاته الا لحاجة (واتقوا الله لعلكم تفلحون) فاتقوا بالتبرئ مماسواه لكى تفلحوا غاية الفلاح اواتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاثة المترتبة التى هى الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس فى رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران اعطى بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ السورة التى تذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وسلم وملائكته حتى تجب الشمس

(فتبينوا) أن تقتلوا مؤمنا وافعلوا بالداخل فى الاسلام كما فعل بكم (ان الله كان بماتعملون خبيرا) فيجازيكم به (لايستوى القاعدون من المؤمنين) عن الجهاد (غير أولى الضرر) بالرفع صفة والنصب استثناء من زمانة أوعمى أونحوه (والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وانفسهم على القاعدين) لغير ضرر (درجة) فضيلة لاستوائهما فى النية وزيادة المجاهدين بالمباشرة (وكلا) من الفريقين (وعد الله الحسنى) الجنة (وفضل الله المجاهدين على القاعدين) لغير ضرر (أجرا عظيما) ويبدل منه (درجات منه) منازل بعضها فوق بعض من الكرامة (ومغفرة ورحمة) منصوبان بفعلهما المقدر (وكان الله غفورا) لاوليائه (رحيما) باهل طاعته * ونزل فى جماعة أسلموا ولم يهاجروا فقتلوا يوم بدر مع الكفار (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم) بالمقام مع الكفار وترك الهجرة (قالوا)

(سورة النساء مدنية وآيها مائة وسبعون وخمس آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها الناس) خطاب يعم بنى آدم (اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة)
هى آدم (وخلق منها زوجها) عطف على خلقكم اى خلقكم من شخص
واحد وخلق منها امكم حواء من ضلع من اضلاعها او محذوف تقديره
من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس
واحدة (و بث منهما رجالا كثيرا ونساء) بيان لكيفية تولدهم منهما
والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين و بنات كثيرة
واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضى
ان يكن اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه
القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التى من حقها ان تخشى
والنعمة الباهرة التى توجب طاعة موليها اولان المراد به تمهيد الامر
بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله و بنى جنسه على ما دلت عليه الآيات
التى بعدها وقرئ وخالق و باث على حذف مبتدأ تقديره وهو خالق وباث
(واتقوا الله الذى تساءلون به) اى يسأل بعضكم بعضا فيقول اسألك بالله
واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية فى السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائى
بطرحها (والارحام) بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك
مررت بزيد وعمرا او على الله اى اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها
وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة
وقرئ بالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اى مما
يتقى او يتساءل به وقد نبه سبحانه وتعالى اذ قرن الارحام باسمه على ان
صلتها بمكان منه وعنه عليه الصلاة والسلام الرحم معلقة بالعرش تقول
الا من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله (ان الله كان عليكم رقيبا)
حافظا مطلقا (وآتوا اليتامى اموالهم) اى اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم
وهو الذى مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما على انه لما
جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او على
انه جمع يتمى كاسرى لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى
كاسرى واسارى والاشتقاق يقتضى وقوعه على الصغار والكبار
لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ ووروده فى الآية اما للبلغ على الاصل

لهم موبخين (فيم كنتم) أى
فى أى شئ كنتم فى أمر دينكم
(قالوا) معتذرين (كنا
مستضعفين) عاجزين عن
اقامة الدين (فى الارض)
أرض مكة (قالوا) لهم
توبيخا (ألم تكن ارض الله
واسعة فتهاجروا فيها)
من أرض الكفر الى بلد آخر
كما فعل غيركم قال تعالى
(فاولئك مأواهم جهنم
وساءت مصيرا) هى (الا
المستضعفين من الرجال
والنساء والولدان) الذين
(لا يستطيعون حيلة) لا قوة
لهم على الهجرة ولا نفقة
(ولا يهتدون سبيلا) طريقا
الى ارض الهجرة فاولئك
عسى الله ان يعفو عنهم
وكان الله عفوا غفورا ومن
يهاجر فى سبيل الله يجد
فى الارض مراغما) مهاجرا
(كثيرا وسعة) فى الرزق
(ومن يخرج من بيته مهاجرا
الى الله ورسوله ثم يدركه
الموت) فى الطريق كما وقع
لجندع بن ضمرة الليثى (فقد
وقع) ثبت (أجره على الله
وكان الله غفورا رحيما واذا
ضربتم) سافرتم (فى الارض

اوالاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا ولغير البلغ والحكم مقيد وكأنه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول ماروى ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم اوالامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذى هو حفظها وقيل ولا تأخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل (ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم) ولا تأكلوها مضمومة الى اموالكم اى لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف (انه) الضمير للاكل (كان حوبا كبيرا) ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا (وان خفتم ان لا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء) اى ان خفتم ان لا تعدلوا فى يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن اذا كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد لا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم ان لا تعدلوا حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء فانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغى ان يتحرج الذنوب كلها على ماروى انه تعالى لما عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنى فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا فى امر اليتامى فخافوا الزنى فانكحوا ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره او ما ملكت ايمانكم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اى وان خفتم ان تجوروا (مثنى وثلاث ورباع) معدولة عن اعداد مكررة هى ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا وهى غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد

فليس عليكم جناح) فى (أن تقصروا من الصلاة) بأن تردوها من أربع الى اثنتين (ان خفتم أن يفتنكم) أى ينالكم بمكروه (الذين كفروا) بيان للواقع اذ ذاك فلا مفهوم له وبينت السنة أن المراد بالسفر الطويل وهو أربعة برد وهى مرحلتان ويؤخذ من قوله فليس عليكم جناح أنه رخصة لا واجب وعليه الشافعى (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) بين العداوة (واذا كنت) يا محمد حاضرا (فيهم) وأنتم تخافون العدو (فأقمت لهم الصلاة) وهذا جرى على عادة القرآن فى الخطاب فلا مفهوم له (فلتقم طائفة منهم معك) وتتأخر طائفة (وليأخذوا) أى الطائفة التى قامت معك (أسلحتهم) معهم (فاذا سجدوا) أى صلوا (فليكونوا) أى الطائفة الاخرى (من ورائكم) يحرسون الى أن تقضوا الصلاة وتذهب هذه الطائفة تحرس (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا

الجمع ان ينكح ماشاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ولوا فردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت باوذهب تجويز الاختلاف فى العدد (فان خفتم الاتعدلوا) بين هذه الاعداد ايضا (فواحدة) فاختاروا اوفانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف اوخبر تقديره فيكفيكم واحدة اوفالمقنع واحدة (اوماملكت ايمانكم) سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السرارى لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن (ذلك) اى التقليل منهن اواختيار الواحدة اوالتسرى (ادنى الاتعولوا) اقرب من ان لاتميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذاجار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسربان لاتكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لاتعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان التسرى مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع (وآتوا النساء صدقاتهن) مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة فى ظلمة (نحلة) اى عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلاتوقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الآية لاالى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها فى معنى الايتاء اوالحال من الواو اوالصدقات اى آتوهن صدقاتهن ناحلين اومنحولة قيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فتكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذادان به على انه مفعول له اوحال من الصدقات اى دينا من الله تعالى شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور مولياتهم (فان طبن لكم عن شئ منه نفسا) الضمير للصداق حملا على المعنى اويجرى مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة فى قوله * كأنه فى الجلد توليع البهق * ارادت كأن ذاك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصدقات عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس

فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) معهم الى أن تقضوا الصلاة وقد فعل صلى الله عليه وسلم كذلك ببطن نخل رواه الشيخان (ودالذين كفروا لوتغفلون) اذا قمتم الى الصلاة (عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) بان يحملوا عليكم فيأخذوكم وهذا علة الامر بأخذ السلاح (ولاجناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أوكنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم) فلاتحملوها وهذا يفيد ايجاب حملها عند عدم العذر وهو أحد قولين للشافعى والثانى أنه سنة ورجح (وخذواحذركم) من العدو أى احترزوا منه مااستطعتم (ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) ذا اهانة (فاذا قضيتم الصلاة) فرغتم منها (فاذكروا الله) بالتهليل والتسبيح (قياما وقعودا وعلى جنوبكم) مضطجعين أى فى كل حال (فاذا اطمأننتم) أمنتم (فاقيموا الصلاة) أدوها بحقوقها (ان الصلاة كانت

للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى التجافى والتجاوز وقال منه بمثالهن على تقليل الموهوب (فكلوه هنيئا مريئا) فخذوه وانفقوه حلالا بلاتبعة والهنئ والمرئ صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا ساغ من غير غص اقيمتا مقام مصدر يهما او وصف بهما المصدر اوجعلتا حالا من الضمير وقيل الهنئ مايلذه الانسان والمرئ مايحمد عاقبته روى ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت (ولاتؤتوا السفهاء اموالكم) نهى للاولياء عن ان يؤتوا الذين لارشدلهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف الاموال الى الاولياء لانها فى تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل نهى لكل احد ان يعمد الى ماخوله الله تعالى من المال فيعطى امرأته واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله (التى جعل الله لكم قياما) اى تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يأول بانها التى من جنس ماجعل الله لكم قياما سمى مابه القيام قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقواما وهو مايقام به (وارزقوهم فيها واكسوهم) واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجر وافيها وتحصلوا من نفعها ماتحتاجون اليه (وقولوا لهم قولا معروفا) عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ماعرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ماانكره احدهما لقبحه (وابتلوا اليتامى) اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم فى صلاح الدين والتهدى الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعندابى حنيفة بان يدفع اليه مايتصرف فيه (حتى اذا بلغوا النكاح) حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله عليه الصلاة والسلام اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ماله وماعليه واقيمت عليه الحدود وثمانى عشرة عندابى حنيفة بلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده (فان آنستم منهم رشدا) فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم (فادفعوا اليهم اموالهم) من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم الآية ان ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكأنه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لايدفع اليهم مالم يونس منهم الرشد وقال ابو حنيفة

على المؤمنين كتابا) مكتوبا أى مفروضا (موقوتا) أى مقدرا وقتها فلاتؤخر عنه * ونزل لما بعث صلى الله عليه وسلم طائفة فى طلب أبى سفيان وأصحابه لما رجعوا من أحد فشكوا الجراحات (ولاتهنوا) تضعفوا (فى ابتغاء) طلب (القوم) الكفار لتقاتلوهم (ان تكونوا تألمون) تجدون ألم الجراح (فانهم يألمون كما تألمون) مثلكم ولايجبنوا عن قتالكم (وترجون) انتم (من الله) من النصر والثواب عليه (مالايرجون) هم فانتم تزيدون عليهم بذلك فينبغى أن تكونوا أرغب منهم فيه (وكان الله عليما) بكل شئ (حكيما) فى صنعه * وسرق طعمة بن أبيرق درعا وخبأها عند يهودى فوجدت عنده فرماه طعمة بها وحلف أنه ماسرقها فسأل قومه النبى صلى الله عليه وسلم انه يجادل عنه ويبرئه فنزل (انا أنزلنا اليك الكتاب القرآن (بالحق) متعلق بانزل (لتحكم بين الناس بما اراك) اعلمك (الله) فيه (ولاتكن للخائنين) كطعمة (خصيما)

اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهى مدة معتبرة فى تغير الاحوال اذالطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يونس منه الرشد (ولاتأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا) مسرفين ومبادرين كبرهم اولا سرافكم ومبادرتكم كبرهم (ومن كان غنيا فليستعفف) من اكلها (ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولى له حق فى مال الصبى وعنه عليه الصلاة والسلام ان رجلا قال له ان فى حجرى يتيما افآكل من ماله قال كل بالمعروف غير متأثل مالا ولاواق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولاتأكلوها يدل على انه نهى للاولياء ان يأخذوا وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى (فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم) بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على ان القيم لايصدق فى دعواه الابالبينة وهو المختار عندنا وهو مذهب مالك خلافا لابى حنيفة (وكفى بالله حسيبا) محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولاتجاوزوا ماحدلكم (للرجال نصيب مماترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مماترك الوالدان والاقربون) يريد بهم المتوارثين بالقرابة (مما قل منه او كثر) بدل مماترك باعادة العامل (نصيبا مفروضا) نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله اوحال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب اوعلى الاختصاص بمعنى اعنى نصيبا مقطوعا واجبا لها وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روى ان اوس بن صامت الانصارى خلف زوجته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابناعمه سويد وعرفطة اوقتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ماكانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعى حتى انظر مايحدث الله فنزلت فبعث اليهما لاتفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقى ابنى العم وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب (واذا حضر القسمة اولوا القربى) ممن لايرث (واليتامى والمساكين فارزقوهم منه) فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف فى نسخه والضمير لماترك اومادل

مخاصما عنهم (واستغفر الله) مما هممت به (ان الله كان غفورا رحيما ولاتجادل عن الذين يختانون أنفسهم) يخونونها بالمعاصى لان وبال خيانتهم عليهم (ان الله لايحب من كان خوانا) كثير الخيانة (اثيما) اى يعاقبه (يستخفون) اى طعمة وقومه حياء (من الناس ولايستخفون من الله وهو معهم) بعلمه (اذ يبيتون) يضمرون (مالا يرضى من القول) من عزمهم على الحلف على نفى السرقة ورمى اليهودى بها (وكان الله بما يعملون محيطا) علما (هانتم) يا (هؤلاء) خطاب لقوم طعمة (جادلتم) خاصمتم (عنهم) اى عن طعمة وذويه وقرئ عنه (فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) اذا عذبهم (ام من يكون عليهم وكيلا) يتولى امرهم ويذب عنهم اى لااحد يفعل ذلك (ومن يعمل سوأ) ذنبا يسوء به غيره كرمى طعمة اليهودى (او يظلم نفسه) بعمل ذنب قاصر عليه (ثم يستغفر الله) منه اى يتب (يجد الله غفورا)

له (رحيما) به (ومن يكسب اثما) ذنبا (فانما يكسبه على نفسه) لان وباله عليها ولايضر غيره (وكان الله عليما حكيما) فى صنعه (ومن يكسب خطيئة) ذنبا صغيرا (أواثما)ذنباكبيرا (ثم يرم به بريئا) منه (فقد احتمل) تحمل (بهتانا) برميه (واثما مبينا) بينا بكسبه (ولولا فضل الله عليك) يامحمد (ورحمته) بالعصمة (لهمت) اضمرت (طائفة منهم) من قوم طعمة (ان يضلوك) عن القضاء بالحق بتلبيسهم عليك . (ومايضلون الا انفسهم ومايضرونك من) زائدة (شئ) لان وبال اضلالهم عليهم (وانزل الله عليك الكتاب) القرآن (والحكمة) مافيه من الاحكام (وعلمك مالم تكن تعلم) من الاحكام والغيب (وكان فضل الله عليك) بذلك وغيره (عظيما لاخير فى كثير من نجواهم) أى الناس أى مايتناجون فيه ويتحدثون (الا) نجوى (من أمر بصدقة أومعروف) عمل بر (أواصلاح بين

عليه القسمة (وقولوا لهم قولا معروفا) وهو ان يدعوا لهم و يستقلوا مااعطوهم ولايمنوا عليهم (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم) امر للاوصياء بان يخشوا الله تعالى ويتقوه فى امر اليتامى فيفعلوا بهم مايحبون ان يفعل بذراريهم الصغار بعد وفاتهم اوللحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم اويخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم اوللورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لوكانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم اوللموصين بان ينظر واللورثة فلايسرفوا فى الوصية ولو بما فى حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لوشارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفى ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره مايحب لاولاده وتهديد للمخالفة بحال اولاده (فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا) امرهم بالتقوى التى هى غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبتدأ والمنتهى اذ لاينفع الاول دون الثانى ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل مايقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب اوللمريض مايصدعن الاسراف فى الوصية وتضييع الورثة وتذكره التوبة وكلمة الشهادة اولحاضرى القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا اوان يقولوا فى الوصية مالايؤدى الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة (ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما) ظالمين اوعلى وجه الظلم (انما يأكلون فى بطونهم) ملء بطونهم (نارا) مايجر الى النار ويأول اليها وعن ابى بردة رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يبعث الله قوما من قبورهم تأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تران الله يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا (وسيصلون سعيرا) سيدخلون نارا واى نار وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا يقال صلى النار قاسى حرها وصليته شويته وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها (يوصيكم الله) يأمركم ويعهد اليكم (فى اولادكم) فى شأن ميراثهم وهو اجمال تفصيله (للذكر مثل حظ الانثيين) اى يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص

الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كان للتفضيل فلا يحرمن بالكلية فقد اشتركا فى الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف لعلمه به (فان كن نساء) اى ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر او على تأويل المولودات (فوق اثنتين) خبر ثان او صفة للنساء اى نساء زائدات على اثنتين (فلهن ثلثا ماترك) المتوفى منكم ويدل عليه المعنى (وان كانت واحدة فلها النصف) اى وان كانت المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان التامة واختلف فى البنتين فقال ابن عباس رضى الله عنهما حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم مافوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين ان كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحرى ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك (ولابويه) ولابوى الميت (لكل واحد منهما) بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تأكيدا (السدس مما ترك ان كان له) اى للميت (ولد) ذكرا وانثى غير ان الاب يأخذ السدس مع الانثى بالفرضية ومابقى من ذوى الفروض ايضا بالعصوبة (فان لم يكن له ولد وورثه ابواه) فحسب (فلامه الثلث) مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقى للاب وكأنه قال فلهما ماترك اثلاثا وعلى هذا ينبغى ان يكون لها حيث معهما احد الزوجين ثلث مابقى من فرضه كما قاله الجمهور لاثلث المال كما قاله ابن عباس فانه يفضى الى تفضيل الانثى على الذكر المساوى لها فى الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع (فان كان له اخوة فلامه السدس) باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لايرثون مع الاب وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انهم يأخذون السدس الذى حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او الاخوات وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لايحجب الام من الثلث مادون الثلاثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرأ حمزة والكسائى فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التى قبلها (من بعد وصية

الناس ومن يفعل ذلك) المذكور (ابتغاء) طلب (مرضاة الله) لاغيره من أمور الدنيا (فسوف نؤتيه) بالنون والياء أى الله (أجرا عظيما ومن يشاقق) يخالف (الرسول) فيما جاء به من الحق (من بعد ماتبين له الهدى) ظهر له الحق بالمعجزات (ويتبع) طريقا (غير سبيل المؤمنين) أى طريقهم الذى هم عليه من الدين بان يكفر (نوله ماتولى) نجعله واليا لما تولاه من الضلال بان نخلى بينه وبينه فى الدنيا (ونصله) ندخله فى الآخرة (جهنم) فيحترق فيها (وساءت مصيرا) مرجعا هى (ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الحق (ان) ما (يدعون) يعبد المشركون (من دونه) أى الله أى غيره (الااناثا) أصناما مؤنثة كاللات والعزى ومناة (وان) ما (يدعون) يعبدون بعبادتها (الاشيطانا مريدا) خارجا

عن الطاعة لطاعتهم له فيها
وهو ابليس (لعنه الله)
أبعده عن رحمته (وقال)
أى الشيطان (لأتخذن)
لاجعلن لى (من عبادك
نصيبا) حظا (مفروضا)
مقطوعا أدعوهم الى طاعتى
(ولأضلنهم) عن الحق
بالوسوسة (ولأمنينهم)
ألقى فى قلوبهم طول الحياة
وأن لا بعث ولا حساب
(ولآمرنهم فليبتكن)
يقطعن (آذان الانعام)
وقد فعل ذلك بالبحائر
(ولآمرنهم فليغيرن
خلق الله) دينه بالكفر
واحلال ما حرم وتحريم
ماأحل (ومن يتخذ الشيطان
وليا) يتولاه ويطيعه (من
دون الله) أى غيره (فقد
خسر خسرا نامبينا) بينا
لمصيره الى النار المؤبدة عليه
(يعدهم) طول العمر
(ويمنيهم) نيل الآمال
فى الدنيا وأن لابعث ولاجزاء
(وما يعدهم الشيطان)
بذلك (الاغرورا) باطلا
(أولئك مأواهم جهنم ولا
يجدون عنها محيصا) معدلا
(والذين آمنوا وعملوا

يوصى بهما او دين) متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اى هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية أو دين وانما قال باو التى للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان فى الوجوب متقدمان فى القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهى متأخرة فى الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور وقرأ ابن كثير وابن عامر وابوبكر بفتح الصاد (آباؤكم وابناؤكم لاتدرون ايهم اقرب لكم نفعا) اى لاتعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم فى عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم ماوصاكم الله به ولاتعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روى ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر فى الجنة سأل ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته اومن مورثيكم منهم امن اوصى منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته ام من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة اوتنفيذ الوصية (فريضة من الله) مصدر مؤكد اومصدر يوصيكم الله لانه فى معنى يأمركم ويفرض عليكم (ان الله كان عليما) بالمصالح والرتب (حكيما) فيما قضى وقدر (ولكم نصف ماترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن) اى ولد وارث من بطنها اومن صلب بنيها اوبنى بنيها وان سفل ذكرا كان اوانثى منكم اومن غيركم (من بعد وصية يوصين بها اودين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها اودين) فرض للرجل بحق الزواج ضعف ماللمرأة كما فى النسب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا فى الجهة والقرب ولايستثنى منه الااولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوى الواحدة والعدد منهن فى الربع والثمن (وان كان رجل) اى الميت (يورث) اى يورث منه من ورث صفة رجل (كلالة) خبر كان اويورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا اومفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد ولاولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة تحتمل المعانى الثلاثة وعلى الاول خبر اوحال وعلى الثانى مفعول وعلى الثالث مفعول به وهى فى الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى

« فآليت لاارثى لهامن كلالة »

فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذى كلالة كقولك فلان من قرابتى (اوامرأة) عطف على رجل (وله) اى وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه (اخ اواخت) اى من الام ويدل عليه قرأءة ابى وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام فانه ذكر فى آخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لايليق باولاد الام وان ماقدر ههنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها (فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث) سوى بين الذكر والانثى فى القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الآية انهم لايرثون ذلك مع الام والجدة كمالايرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع (من بعد وصية يوصى بها اودين غير مضار) اى غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث اوقصد المضارة بالوصية دون القرابة والاقرار بدين لايلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور فى هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول فى قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم (وصية من الله) مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده ان قرئ غير مضار وصية بالاضافة اى لايضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة اووصية منه بالاولاد بالاسراف فى الوصية والاقرار الكاذب (والله عليم) بالمضار وغيره (حليم) لايعاجل بعقوبته (تلك) اشارة الى الاحكام التى قدمت فى امر اليتامى والوصايا والمواريث (حدود الله) شرائعه التى هى كالحدود المحدودة التى لايجوز مجاوزتها (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) توحيد الضمير فى يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليستا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هماله (واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم) اى يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنى لزيادة قبحها وشناعتها (فاستشهدوا عليهن اربعة منكم) فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين ليشهدوا عليهن (فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت) فاحبسوهن

الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا وعدالله حقا) أى وعدهم الله ذلك وحقه حقا (ومن) أى لا أحد (أصدق من الله قيلا) أى قولا ونزل لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب (ليس) الامر منوطا (باما نيكم ولا أمانى أهل الكتاب) بل بالعمل الصالح (من يعمل سوأيجز به) اما فى الآخرة أو فى الدنيا بالبلاء والمحن كاورد فى الحديث (ولايجد له من دون الله) أى غيره (وليا) يحفظه (ولانصيرا) يمنعه منه (ومن يعمل) شيئا (من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون) بالبناء للمفعول والفاعل (الجنة ولايظلمون نقيرا) قدر نقرة النواة (ومن) أى لا أحد (أحسن دينا ممن أسلم وجهه) أى انقاد وأخلص عمله (لله وهو محسن) موحد (واتبع ملة ابراهيم) الموافقة لملة الاسلام (حنيفا) حال أى مائلا عن الاديان كلها الى الدين القيم (واتخذ الله

في البيوت واجعلوها سجنا عليهن (حتى يتوفاهن الموت) يستوفى ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن في اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجرى عليهن ماجرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله تعالى الزانية والزانى (او يجعل الله لهن سبيلا) كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغنى عن السفاح (واللذان يأتيانها منكم) يعنى الزانية والزانى وقرأ ابن كثير واللذان بتشديد النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين (فآذوهما) بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعبير والجلد (فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما) فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر (ان الله كان توابا رحيما) علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزنا الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية والزانى في الزناة (انما التوبة على الله) اى ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته (للذين يعملون السوء بجهالة) ملتبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته (ثم يتوبون من قريب) من زمان قريب اى قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه الصلاة والسلام ان الله يقبل توبة عبده مالم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحياة قريب لقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب فى قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اى يتوبون فى اى جزء من الزمان القريب الذى هو ماقبل ان ينزل بهم سلطان الموت وتزين السوء (فاولئك يتوب الله عليهم) وعد بالوفاء بماوعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله (وكان الله عليما) فهو يعلم باخلاصهم فى التوبة (حكيما) والحكيم لايعاقب التائب (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار) سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر فى نفى التوبة للمبالغة فى عدم الاعتداد بها فى تلك الحالة وكانه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون

ابراهيم خليلا) صفيا خالص المحبة له (ولله مافى السموات ومافى الارض) ملكا وخلقا وعبيدا (وكان الله بكل شئ محيطا) علما وقدرة أى لم يزل متصفا بذلك (ويستفتونك) يطلبون منك الفتوى (فى) شأن (النساء) وميراثهن (قل) لهم (الله يفتيكم فيهن ومايتلى عليكم فى الكتاب) القرآن من آية الميراث يفتيكم أيضا (فى يتامى النساء اللاتى لاتؤتونهن ما كتب) فرض (لهن) من الميراث (وترغبون) أيها الاولياء عن (ان تنكحوهن) لدمامتهن وتعضلوهن أن يتزوجن طمعا فى ميراثهن يفتيكم أن لاتفعلوا ذلك (و) فى (المستضعفين) الصغار (من الولدان) أن تعطوهم حقوقهم (و) يأمركم (أن تقوموا لليتامى بالقسط) بالعدل فى الميراث والمهر (وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما) فيجازيكم به (وان امرأة) مرفوع بفعل يفسره (خافت) توقعت (من بعلها) زوجها

الكفار (اولئك اعتدنالهم عذاباليما) تأكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعدلهم ولايعجزه عذابهم متى شاء والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء (يا أيها الذين آمنوا لايحل لكم ان ترثوا النساء كرها) كان الرجل اذامات وله عصبة القى ثوبه على امرأته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدى بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لايحل لكم ان تأخذوهن على سبيل الارث فتزوجوهن كارهات لذلك اومكرهات عليه وقرأ حمزة والكسائى كرها بالضم فى مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح مايكره عليه (ولاتعضلوهن لتذهبوا ببعض ماآتيتموهن) عطف على ان ترثوا ولا لتأكيد النفى اى ولاتمنعوهن من التزوج واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل (الا ان يأتين بفاحشة مبينة) كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له وتقديره لاتعضلوهن للافتداء الاوقت ان يأتين بفاحشة اولاتعضلوهن لعلة الالان يأتين بفاحشة وقرأ ابن كثير وابو بكر مبينة هنا وفى الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن (وعاشروهن بالمعروف) بالانصاف فى الفعل والاجمال فى القول (فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) اى فلا تفرقوهن لكراهة النفس فانها قدتكره ماهو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ماهو بخلافه وليكن نظركم الى ماهو اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى فى الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم (وان اردتم استبدال زوج مكان زوج) تطليق امرأة وتزوج اخرى (وآتيتم احديهن) اى احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس (قنطارا) مالا كثيرا (فلا تأخذوا منه شيئا) اى من القنطار (اتأخذونه بهتانا واثما مبينا) استفهام انكار وتوبيخ اى تأخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما فى قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المأثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد امرأة جديدة بهت التى تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء

(نشوزا) ترفعا عليها بترك مضاجعتها والتقصير فى نفقتها لبغضها وطموح عينه الى أجمل منها (اواعراضا) عنها بوجهه (فلاجناح عليهما أن يصالحا) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الصاد وفى قراءة يصلحا من أصلح (بينهما صلحا) فى القسم والنفقة بان تترك له شيئا طلبا لبقاء الصحبة فان رضيت بذلك والافعلى الزوج أن يوفيها حقها أو يفارقها (والصلح خير) من الفرقة والنشوز والاعراض قال تعالى فى بيان ماجبل عليه الانسان (وأحضرت الانفس الشح) شدة البخل أى جبلت عليه فكأنها حاضرته لاتغيب عنه المعنى أن المرأة لاتكاد تسمح بنصيبها زوجها والرجل لايكاد يسمح عليها بنفسه اذا أحب غيرها (وان تحسنوا) عشرة النساء (وتتقوا) الجور عليهن (فان الله كان بماتعملون خبيرا) فيجازيكم به (ولن تستطيعوا أن تعدلوا) تسووا (بين النساء) فى المحبة (ولو حرصتم) على ذلك (فلاتميلوا كل الميل)

منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذى يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل فى الفعل الباطل ولذلك فسرههنا بالظلم (وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض) انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر (واخذن منكم ميثاقا غليظا) عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله عليهم فى شأنهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم) ولا تنكحوا التى نكحها آباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر (من النساء) بيان ما نكح على الوجهين (الا ما قد سلف) استثناء من المعنى اللازم للنهى فكأنه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة فى التحريم والتعميم كقوله * ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب * والمعنى ولا تنكحوا حلائل آبائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوهن وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه لا مؤاخذة عليه لانه مقرر (انه كان فاحشة ومقتا) علة للنهى اى ان نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوى المروآت ولذلك سمى ولد الرجل من زوجة ابيه المقتى (وساء سبيلا) سبيل من راه و يفعل (حرمت عليكم امهاتكم و بناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم و بنات الاخ وبنات الاخت) ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما تقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ماقبله ومابعده فى النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك اوولدت من ولدك وان علت و بناتكم تتناول من ولدتها اوولدت من ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلاثة وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا و بنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى (وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة) نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المراضعة اما والمراضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة و والد الطفل الذى در عليه اللبن قال عليه الصلاة والسلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثناء اخت ابن الرجل وام اخته

الى التى تحبونها فى القسم والنفقة (فتذروها) أى تتركوا المال عنها (كالمعلقة) التى لاهى أيم ولا ذات بعل (وان تصلحوا) فى القسم (وتتقوا) الجور (فان الله كان غفورا) لما فى قلبكم من الميل (رحيما) بكم فى ذلك (وان يتفرقا) أى الزوجان بالطلاق (يغن الله كلا) عن صاحبه (من سعته) أى فضله بأن يرزقها زوجا غيره و يرزقه غيرها (وكان الله واسعا) لخلقه فى الفضل (حكيما) فيما دبره لهم (ولله ما فى السموات وما فى الارض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب) بمعنى الكتب (من قبلكم) أى اليهود والنصارى (واياكم) ياأهل القرآن (أن) أى بان (اتقوا الله) خافوا عقابه بان تطيعوه (و) قلنا لهم ولكم (ان تكفروا) بما وصيتم به (فان لله ما فى السموات وما فى الارض) خلقا وملكا وعبيدا فلا يضره كفركم (وكان الله غنيا) عن خلقه وعبادتهم (حميدا) محمودا فى صنعه بهم (ولله ما فى السموات

من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما فى النسب بالمصاهرة
دون النسب (وامهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم
اللاتى دخلتم بهن) ذكر اولا محرمات النسب ثم محرمات الرضاعة لان لها
لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج
والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمى به لانه يربه كما يرب
ولده فى غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما ومن
نسائكم متعلق بربائبكم واللاتى بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم
بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها
بالربائب كانت ابتدائية فان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون
بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الادباء
اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله * فانى لست منك ولست منى * على معنى
ان امهات النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم
فرق بينهما فقال فى رجل تزوج امرأة فطلقها قبل ان يدخل بها انه لا بأس
ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء غير
انه روى عن على رضى الله تعالى عنه تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون
الموصول الثانى صفة للنساءين لان عاملهما مختلف وفائدة قوله فى حجوركم
تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن فى احتضانكم
او بصدده قوى الشبه بينهما وبين اولادكم فصارت احقاء بان تجروها
مجراهم لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روى عن على رضى
الله تعالى عنه انه جعله شرطا والامهات والربائب تتناولان القريبة
والبعيدة وقوله دخلتم بهن اى دخلتم معهن الستر وهى كناية عن الجماع
ويؤثر فى حرمة المصاهرة ماليس بزنى كالوطئ بشبهة او ملك يمين وعند
ابى حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا
جناح عليكم) تصريح بعد اشعار دفعا للقياس (وحلائل ابنائكم)
زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج (الذين من اصلابكم)
احتراز عن المتبنين لا عن ابناء الولد (وان تجمعوا بين الاختين) فى موضع
الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان
المحرمات المعدودة كما هى محرمة فى النكاح فهى محرمة فى ملك اليمين ولذلك
قال عثمان وعلى رضى الله تعالى عنهما احرمتهما آية واحلتهما آية يعنيان هذه

ومافى الارض) كرره تأكيدا
لتقرير موجب التقوى
(وكفى بالله وكيلا) شهيدا
بان مافيهما له (ان يشأ يذهبكم
أيها الناس ويأت بآخرين)
بدلكم (وكان الله على ذلك
قديرا من كان يريد) بعمله
(ثواب الدنيا فعند الله ثواب
الدنيا والآخرة) لمن أراده
لا عند غيره فلم يطلب أحدهما
الاخس وهلا طلب الاعلى
باخلاصه له حيث كان مطلبه
لا يوجد الا عنده (وكان الله
سميعا بصيرا يا أيها الذين
آمنوا كونوا قوامين) قائمين
(بالقسط) بالعدل (شهداء)
بالحق (لله ولو) كانت الشهادة
(على أنفسكم) فاشهدوا
عليها بان تقروا بالحق ولا تكتموه
(أو) على (الوالدين
والاقربين ان يكن) المشهود
عليه (غنيا أو فقيرا فالله
أولى بهما) منكم وأعلم
بمصالحهما (فلا تتبعوا
الهوى) فى شهادتكم بان
تحابوا الغنى لرضاه أو الفقير
رحمة له (ان) لا (تعدلوا)
تميلوا عن الحق (وان تلووا)
تحرفوا الشهادة وفى قراءة
بحذف الواو الاولى تخفيفا

الآية وقوله او ماملكت ايمانكم فرجح علي كرم الله وجهه التحريم وعثمان رضى الله التحليل وقول على اظهر لان آية التحليل مخصوصة فى غير ذلك ولقوله عليه الصلاة والسلام مااجتمع الحلال والحرام الاغلب الحرام (الاما قدسلف) استثناء من لازم المعنى اومنقطع معناه لكن ماقد سلف مغفور لقوله (ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء) ذوات الازواج احصنهن التزوج اوالازواج وقرأ الكسائى بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن (الاماملكت ايمانكم) يريد ماملكت ايمانهم من اللاتى سبين ولهن ازواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبى لقول ابى سعيد رضى الله تعالى عنه اصبنا سبيا يوم اوطاس ولهن ازواج كفار فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللنا هن واياه عنى الفرزدق بقوله * وذات حليل انكحتها رماحنا * حلال لمن يبنى بها لم تطلق * وقال ابو حنيفة لوسبى الزوجات لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابى واطلاق الآية والحديث حجة عليه (كتاب الله عليكم) مصدر مؤكد اى كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ الله كتب بالجمع والرفع اى هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل (واحل لكم) عطف على الفعل المضمر الذى نصب كتاب الله وقرأ حمزة والكسائى وحفص على البناء للمفعول عطفا على حرمت (ماوراء ذلكم) ماسوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما فى معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها (ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين) مفعول له والمعنى احل لكم ماوراء ذلكم ارادة ان تبتغوا النساء باموالكم بالصرف فى مهورهن او اثمانهن فى حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لايقدر مفعول تبتغوا فكانه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين اوبدل من ماوراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنيفة على ان المهر لابد وان يكون مالا ولاحجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنى من السفح وهو صب المنى فانه الغرض منه (فما استمتعتم به منهن) فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن (فآتوهن اجورهن) مهورهن فان المهر فى مقابلة الاستمتاع (فريضة) حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اى ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد (ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) فيما يزاد على

(أو تعرضوا) عن أدائها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازيكم به (يا أيها الذين آمنوا آمنوا) داوموا على الايمان (بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله) محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن (والكتاب الذى أنزل من قبل) على الرسل بمعنى الكتب وفى قراءة بالبناء للفاعل فى الفعلين (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الحق (ان الذين آمنوا) بموسى وهم اليهود (ثم كفروا) بعبادة العجل (ثم آمنوا) بعده (ثم كفروا) بعيسى (ثم ازدادوا كفرا) بمحمد (لم يكن الله ليغفر لهم) ما أقاموا عليه (ولا ليهديهم سبيلا) طريقا الى الحق (بشر) أخبر يا محمد (المنافقين بان لهم عذابا أليما) مؤلما هو عذاب النار (الذين) بدل أو نعت للمنافقين (يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) لما يتوهمون فيه من القوة (أيبتغون) يطلبون (عندهم العزة) استفهام انكار أى لايجد ونها عندهم

المسمى او يحط عنه بالتراضى اوفيما تراضيابه من نفقة اومقام اوفراق وقيل نزلت الآية فى المتعة التى كانت ثلاثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت كما روى انه عليه الصلاة والسلام اباحها ثم اصبح يقول ايها الناس انى كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ألا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وهى النكاح الموقت بوقت معلوم سمى بها اذا الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة وتمتيعها بمايعطى وجوزها ابن عباس رضى الله عنهما ثم رجع عنه (ان الله كان عليما) بالمصالح (حكيما) فيما شرع من الاحكام (ومن لم يستطع منكم طولا) غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة (ان ينكح المحصنات المؤمنات) فى موضع النصب بطولا اوبفعل مقدر صفة له اى ومن لم يستطع منكم ان يعتلى نكاح المحصنات اومن لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعنى الحرائر (فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات) يعنى الاماء المؤمنات وظاهر الآية حجة للشافعى رضى الله تعالى عنه فى تحريم نكاح الامة على من ملك مايجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واول ابو حنيفة رحمه الله تعالى طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطئ وحمل قوله فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه فى قوله المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالفة الكفار وموالاتهم والمحذور فى نكاح الامة رق الولد ومافيه من المهانة ونقصان حق الزوج (والله اعلم بايمانكم) فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل مابينكم فى الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لافضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده (بعضكم من بعض) انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام (فانكحوهن بأذن اهلهن) يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لاشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية (وآتوهن اجورهن) اى ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره اوالى مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك رضى الله عنه المهر للامة ذهابا الى الظاهر (بالمعروف) بغير مطل واضرار ونقصان (محصنات) عفائف (غير مسافحات) غير مجاهرات بالسفاح (ولا متخذات اخدان) اخلاء فى السر

(فان العزة لله جميعا) فى الدنيا والآخرة ولا ينالها الا أولياؤه (وقد نزل) بالبناء للفاعل والمفعول (عليكم فى الكتاب) القرآن فى سورة الانعام (أن) مخففة واسمها محذوف أى انه (اذا سمعتم آيات الله) القرآن (يكفر بها ويستهزؤ بها فلا تقعدوا معهم) اى الكافرين والمستهزئين (حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا) ان قعدتم معهم (مثلهم) فى الاثم (ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا) كما اجتمعوا فى الدنيا على الكفر والاستهزاء (الذين) بدل من الذين قبله (يتربصون) ينتظرون (بكم) الدوائر (فان كان لكم فتح) ظفر وغنيمة (من الله قالوا) لكم (الم نكن معكم) فى الدين والجهاد فأعطونا من الغنيمة (وان كان للكافرين نصيب) من الظفر عليكم (قالوا) لهم (الم نستحوذ) نستول (عليكم) ونقدر على اخذكم وقتلكم فابقينا عليكم (و) الم (نمنعكم من المؤمنين) ان يظفروا بكم بتخذيلهم ومراسلتكم باخبارهم فلنا عليكم المنة قال تعالى

فاذا احصن) بالتزوج وقرأ ابوبكر وحمزة والكسائى بفتح الهمزة والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد (فان اتين بفاحشة) زنى (فعليهن نصف ماعلى المحصنات) يعنى الحرائر (من العذاب) من الحد لقوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لايرجم لان الرجم لايتنصف (ذلك) اى نكاح الاماء (لمن خشى العنت منكم) لمن خاف الوقوع فى الزنى وهو فى الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولاضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء (وان تصبروا خير لكم) اى وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عليه الصلاة والسلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه (والله غفور) لمن لم يصبر (رحيم) بان رخص له (يريد الله ليبين لكم) ماتعبدكم به من الحلال والحرام اوماخفى عليكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول يريد واللام زيدت لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما فى قول قيس بن سعد * اردت لكيمايعلم الناس انه * سر اويل قيس والوفود شهود * وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اى يريد الحق لاجله (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم (ويتوب عليكم) ويغفر لكم ذنوبكم اويرشدكم الى مايمنعكم عن المعاصى ويحثكم على التوبة اوالى مايكون كفارة لسيئاتكم (والله عليم) بها (حكيم) فى وضعها (والله يريد ان يتوب عليكم) كرره للتأكيد والمبالغة (ويريد الذين يتبعون الشهوات) يعنى الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها واماالمتعاطى لماسوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له فى الحقيقة لالها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت (ان تميلوا) عن الحق (ميلا) بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات (عظيما) بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها (يريد الله ان يخفف عنكم) فلذلك شرع لكم الشرعة الحنفية السمحة السهلة ورخص لكم فى المضايق كاحلال نكاح الامة (وخلق الانسان ضعيفا) لايصبر عن الشهوات ولايتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ثمان آيات فى سورة النساء هى خير لهذه الامة مماطلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث وان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه ان الله لايغفر

(فالله يحكم بينكم) وبينهم (يوم القيامة) بان يدخلكم الجنة ويدخلهم النار (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) طريقا بالاستئصال (ان المنافقين يخادعون الله) باظهار هم خلاف ماابطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم احكامه الدنيوية (وهو خادعهم) مجازيهم على خداعهم فيفتضحون فى الدنيا باطلاع الله نبيه على ماابطنوه ويعاقبون فى الآخرة (واذا قاموا الى الصلاة) مع المؤمنين (قاموا كسالى) متثاقلين (يراؤن الناس) بصلاتهم (ولايذكرون الله) يصلون (الا قليلا) رياء (مذبذبين) مترددين (بين ذلك) الكفر والايمان (لا) منسوبين (الى هؤلاء) اى الكفار (ولا الى هؤلاء) اى المؤمنين (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) طريقا الى الهدى (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم) بموالاتهم (سلطانا مبينا) برهانا بينا على نفاقكم (ان المنافقين فى الدرك) المكان

ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه مايفعل الله بعذابكم (ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا اموالكم بينكم بالباطل) بما لم يبحه الشرع كالغصب والربا والقمار (الا ان تكون تجارة عن تراض منكم) استثناء منقطع اى ولكن كون تجارة عن تراض غير منهى عنه او اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اى تجارة صادرة عن تراضى المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التى بها يحل تناول مال الغير لانها اغلب واوفق لذى المرؤات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المراد بالنهى المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرأ الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اى الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة (ولاتقتلوا انفسكم) بالبخع كما يفعل جهلة الهند أو بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ماروى ان عمرو بن العاص تأوله فى التيمم لخوف البرد فلم ينكره النبى صلى الله عليه وسلم او بارتكاب مايؤدى الى قتلها او باقتراف مايذللها ويرديها فانه القتل الحقيقى للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع فى التوصية بين حفظ النفس والمال الذى هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفى فضائلها رأفة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله (ان الله كان بكم رحيما) اى امر ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بنى اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه (ومن يفعل ذلك) اشارة الى القتل او ماسبق من المحرمات (عدوانا وظلما) افراطا فى التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدى على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب (فسوف نصليه نارا) ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى او لذلك من حيث انه سبب الصلى (وكان ذلك على الله يسيرا) لا عسر فيه ولا صارف عنه (ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه) كبائر الذنوب التى نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس (نكفر عنكم سيئاتكم) نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف فى الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ماعلم حرمته بقاطع وعن النبى صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التى حرم الله وقذف المحصنة واكل مال

(الاسفل من النار) وهو قعرها (ولن تجد لهم نصيرا) مانعا من العذاب (الا الذين تابوا) من النفاق (واصلحوا) عملهم (واعتصموا) وثقوا (بالله واخلصوا دينهم لله) من الرياء (فاولئك مع المؤمنين) فيما يؤتونه (وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما) فى الآخرة هو الجنة (مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم) نعمه (وآمنتم) به والاستفهام بمعنى النفى اى لا يعذبكم (وكان الله شاكرا) لاعمال المؤمنين بالاثابة (عليما) بخلقه (لايحب الله الجهر بالسوء من القول) من احد اى يعاقبه عليه (الا من ظلم) فلا يؤاخذه بالجهر به بان يخبر عن ظلم ظالمه ويدعو عليه (وكان الله سميعا) لما يقال (عليما) بما يفعل (ان تبدوا) تظهروا (خيرا) من أعمال البر (او تخفوه) تعملوه سرا (او تعفوا عن سوء) ظلم (فان الله كان عفوا قديرا ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله) بان يؤمنوا به دونهم (ويقولون نؤمن ببعض) من الرسل

اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل اراد به ههنا انواع الشرك
لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها
بالاضافة الى مافوقها وماتحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث
النفس ومابينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له امران منها
ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ماارتكبه
لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار
الاشخاص والاحوال الاترى انه تعالى عاتب نبيه فى كثير من خطراته التى
لم يعدها على غيره خطيئة فضلا ان يؤاخذه عليها (وندخلكم مدخلا
كريما) الجنة وماوعد من الثواب اوادخالا مع كرامة وقرأ نافع بفتح
الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على
بعض) من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضى للمنع
كونه ذريعة الى التحاسد والتعادى معربة عن عدم الرضى بماقسم الله له وانه تشه
لحصول الشئ له من غير طلب وهو مذموم لان تمنى مالم يقدر معارضة لحكمة القدر
وتمنى ماقدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمنى ماقدر له بغير كسب ضائع ومحال
(للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) بيان لذلك اى لكل
من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا
الفضل بالعمل لا بالحسد والتمنى كما قال عليه الصلاة والسلام ليس الايمان
بالتمنى وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه
وجعل ماقسم الله لكل منهم على حسب ماعرف من حاله الموجبة للزيادة
والنقص كالمكتسب له (واسألوا الله من فضله) اى لا تتمنوا ماللناس
واسألوا الله مثله من خزائنه التى لا تنفد وهو يدل على ان المنهى عنه
هو الحسد ولا تتمنوا واسألوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم وقرأ
ابن كثير والكسائى وسلوا الله من فضله وسلهم فسل الذين وشبهه اذا كان
امرا مواجها به وقبل السين واو اوفاء بغير همزة فى الوقف على اصله
والباقون بالهمز (ان الله كان بكل شئ عليما) فهو يعلم مايستحقه كل انسان
فيفضل عن علم وتبيان روى ان ام سلمة قالت يارسول الله يغزو الرجال
ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت (ولكل جعلنا موالى
مما ترك الوالدان والاقربون) اى ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحرزونها

(ونكفر ببعض) منهم
(ويريدون أن يتخذوا بين
ذلك) الكفر والايمان
(سبيلا) طريقا يذهبون
اليه (أولئك هم الكافرون)
حقا) مصدر مؤكد
لمضمون الجملة قبله (وأعتدنا
للكافرين عذابا مهينا)
ذا اهانة هو عذاب النار
(والذين آمنوا بالله ورسله)
كلهم (ولم يفرقوا بين
أحد منهم أولئك سوف
نؤتيهم) بالنون والياء
(أجورهم) ثواب أعمالهم
(وكان الله غفورا) لاوليائه
(رحيما) بأهل طاعته
يسألك) يامحمد (أهل
الكتاب) اليهود (أن تنزل
عليهم كتابا من السماء) جملة
كما أنزل على موسى تعنتا
فان استكبرت ذلك (فقد
سألوا) أى آباؤهم
(موسى أكبر) أعظم
(من ذلك فقالوا أرنا الله
جهرة) عيانا (فأخذتهم
الصاعقة) الموت عقابا
لهم (بظلمهم) حيث تعنتوا
فى السؤال (ثم اتخذوا
العجل) الها (من بعد ما
جاءتهم البينات) المعجزات

وممّا ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل او ولكل ميت جعلنا وارثا مما ترك على ان من صلة موالى لانه فى معنى الوراث وفى ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استئناف مفسر للموالى وفيه خروج الاولاد فان الاقربون لايتناولهم كما لايتناول الوالدين اولكل قوم جعلناهم موالى حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلناموالى صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدأوخبر (والذين عاقدت ايمانكم) موالى الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابى حنيفة رحمه الله تعالى لواسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلاويتوارثا صح وورث اوالازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره (فآتوهم نصيبهم) اومنصوب بمضمر يفسره مابعده كقولك زيدافاضربه اومعطوف على الوالدين وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالى وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف فى القراءة الاخرى (ان الله كان على كل شئ شهيدا) تهديد على منع نصيبهم (الرجال قوامون على النساء) يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين وهبى وكسبى فقال (بما فضل الله بعضهم على بعض) بسبب تفضيله تعالى الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبيرومزيد القوة فى الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامةوالولاية واقامة الشعائر والشهادة فى مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم فى الميراث والاستبداد بالفراق (وبما انفقوا من اموالهم) فى نكاحهن كالمهر والنفقة روى ان سعدبن الربيع احدنقباء الانصارنشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيدبن ابى زهير فلطمها فانطلق بها ابوهاالى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكافقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتص منه فنزلت فقال عليه السلام اردنا امرا واراد الله امراوالذى اراد الله خير (فالصالحات قانتات) مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج (حافظات للغيب) اى يحفظن فى غيبة الازواج مايجب حفظه فى النفس والمال وعنه عليه الصلاةوالسلام خير النساء امرأةان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم (بما حفظ الله) بحفظ الله اياهن

على وحدانية الله (فعفونا عن ذلك) ولم نستأصلهم (وآتينا موسى سلطانا مبينا) تسلطا بينا ظاهرا عليهم حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبة فأطاعوه (ورفعنا فوقهم الطور) الجبل (بميثاقهم) بسبب أخذ الميثاق عليهم ليخافوا فيقبلوه (وقلنا لهم) وهو مظل عليهم (ادخلوا الباب) باب القرية (سجدا) سجودا نحناء (وقلنا لهم لاتعدوا) وفى قراءة بفتح العين وتشديد الدال وفيه ادغام التاء فى الاصل فى الدال أى لاتعتدوا (فى السبت) باصطياد الحيتان فيه (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) على ذلك فنقضوه (فبما نقضهم) مازائدة والباء للسببية متعلقة بمحذوف أى لعناهم بسبب نقضهم (ميثاقهم و كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم) للنبى صلى الله عليه وسلم (قلوبنا غلف) لاتعى كلامك (بل طبع) ختم (الله عليها بكفرهم (فلا تعى

وعظا (فلا يؤمنون الا قليلا) منهم كعبد الله بن سلام واصحابه (وبكفرهم) ثانيا بعيسى وكرر الباء للفصل بينه وبين ماعطف عليه (وقولهم على مريم بهتانا عظيما) حيث رموها بالزنا (وقولهم) مفتخرين (انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) فى زعمم أى بمجموع ذلك عذبناهم قال تعالى تكذيبا لهم فى قتله (وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم) المقتول والمصلوب وهوصاحبهم بعيسى أى ألقى الله عليه شبهه فظنوه اياه (وان الذين اختلفوا فيه) أى فى عيسى (لفى شك منه) من قتله حيث قال بعضهم لما رأوا المقتول الوجه وجه عيسى والجسد ليس بجسده فليس به وقال آخرون بل هو هو (مالهم به) بقتله (من علم الا اتباع الظن) استثناء منقطع أى لكن يتبعون فيه الظن الذى تخيلوه (وما قتلوه يقينا) حال مؤكدة لنفى القتل (بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا)

بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او بالذى حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لوكانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذى حفظ حق الله اوطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال (واللاتى تخافون نشوزهن) عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز (فعظوهن واهجروهن فى المضاجع) فى المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف اولا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اى لاتبايتوهن (واضربوهن) يعنى ضربا غير مبرح ولا شائن والامور الثلاثة مترتبة ينبغى ان يدرج فيها (فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) بالتوبيخ والايذاء والمعنى فأزيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن فان التائب من الذنب كمن لاذنب له (ان الله كان عليا كبيرا) فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه يتعالى ويتكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه (وان خفتم شقاق بينهما) خلافا بين المرأة وزوجها اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجرى مايدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف امالاجرائه مجرى المفعول به كقوله ياسارق الليلة او الفاعل كقولهم نهارك صائم (فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها) فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله وآخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه (ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما) الضمير الاول للحكمين والثانى للزوجين اى ان قصدا الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اى ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اى ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه (ان الله كان عليما خبيرا) بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا

او خفيا (وبالوالدين احسانا) واحسنوا بهما احسانا (وبذى القربى) وبصاحب القرابة (واليتامى والمساكين والجار ذى القربى) اى الذى قرب جواره وقيل الذى له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه (والجار الجنب) البعيد او الذى لا قرابة له وعنه عليه الصلاة والسلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب (والصاحب بالجنب) الرفيق فى امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة (وابن السبيل) المسافر او الضيف (وما ملكت ايمانكم) العبيد والاماء (ان الله لا يحب من كان مختالا) متكبرا يأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم (فخورا) يتفاخر عليهم (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) بدل من قوله كان او نصب على الذم او رفع عليه اى هم الذين او مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون الناس بالبخل به وقرأ حمزة والكسائى ههنا وفى الحديد بالبخل بفتح الحرفين هى لغة (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) الغنى والعلم فهم احقاء بكل ملامة (واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمة الله فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت فى طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل فى الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم (والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس) عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم فى الذم والوعيد لان البخل والسرف الذى هو الانفاق لا على ما ينبغى من حيث انهما طرفا افراط وتفريط سواء فى القبح واستجلاب الذم او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان له قرينا (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل المنافقون (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) تنبيه على ان الشيطان قرينهم فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان فى النار (وماذا عليهم لو آمنوا بالله

فى ملكه (حكيما) فى صنعه (وان) ما (من اهل الكتاب) أحد (الا ليؤمنن به) بعيسى (قبل موته) أى الكتابى حين يعاين ملائكة الموت فلا ينفعه ايمان أو قبل موت عيسى لما ينزل قرب الساعة كما ورد فى حديث (ويوم القيامة يكون) عيسى (عليهم شهيدا) بما فعلوه لما بعث اليهم (فبظلم) أى فبسبب ظلم (من الذين هادوا) هم اليهود (حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) هى التى فى قوله حرمنا كل ذى ظفر الآية (وبصدهم) الناس (عن سبيل الله) دينه صدا (كثيرا وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه) فى التوراة (وأكلهم أموال الناس بالباطل) بالرشا فى الحكم (واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما) مؤلما (لكن الراسخون) الثابتون (فى العلم منهم) كعبد الله بن سلام (والمؤمنون) المهاجرون والانصار (يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) من الكتب (والمقيمين الصلاة)

والبوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله) اى وما الذى عليهم او اى تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق فى سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد فى الشئ على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدى بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغى ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان ههنا وأخره فى الآية الاخرى لان القصد بذكره الى التخصيص ههنا والتعليل ثمه (وكان الله بهم عليما) وعيد لهم (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) لا ينقص من الاجر ولا يزيد فى العقاب اصغر شئ كالذرة وهى النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفى ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره عظم جزاؤه (وان تك حسنة) وان يكن مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتأنيث الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرأ ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة (يضاعفها) يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى (ويؤت من لدنه) ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد فى مقابلة العمل (اجرا عظيما) عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد) حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يعنى نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل فى الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الامر وتعظيم الشأن (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء شهيدا) تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض) بيان لحالهم حينئذ اى يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة فى ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء (ولا يكتمون الله حديثا) ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اى يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين

نصب على المدح وقرئ بالرفع (والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم) بالنون والياء (أجرا عظيما) هو الجنة (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده و) كما (أوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ابنيه (ويعقوب) بن اسحق (والاسباط) أولاده (وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا) أباه (داود زبورا) بالفتح اسم للكتاب المؤتى والضم مصدر بمعنى مزبورا أى مكتوبا (و) أرسلنا (رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك) روى أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبى أربعة آلاف من بنى اسرائيل واربعة آلاف من سائر الناس قاله الشيخ فى سورة غافر (وكلم الله موسى) بلا واسطة (تكليما رسلا) بدل من رسلا قبله (مبشرين) بالثواب من آمن (ومنذرين) بالعقاب من كفر أرسلناهم (لئلا يكون للناس على الله حجة)

اذروى انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فيشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرأ نافع وابن عامر تسوى على ان اصله تتسوى فادغمت التاء فى السين وقرأ حمزة والكسائى تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى (ياايها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون) اى لاتقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنبهوا وتعلموا ماتقولون فى صلاتكم روى ان عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه صنع مأدبة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب فتقدم احدهم ليصلى بهم فقرأ اعبد ماتعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلاة مواضعها وهى المساجد وليس المراد منه نهى السكران عن قربان الصلاة وانما المراد منه النهى عن الافراط فى الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى اومفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على انها صفة الجماعة (ولاجنبا) عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة فى موضع النصب على الحال والجنب الذى اصابه الجنابة يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجرى مجرى المصدر (الاعابرى سبيل) متعلق بقوله ولاجنبا استثناء من اعم الاحوال اى لاتقربوا الصلاة جنبا فى عامة الاحوال الافى السفر وذلك اذالم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم اوصفة لقوله جنبا اى جنبا غير عابرى سبيل وفيه دليل على ان التيمم لايرفع الحدث ومن فسر الصلاة بمواضعها فسر عابرى سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعى رضى الله عنه وقال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه لايجوز له المرور فى المسجد الا اذا كان فيه الماء والطريق (حتى تغتسلوا) غاية النهى عن القربان حال الجنابة وفى الآية تنبيه على ان المصلى ينبغى له ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكى نفسه عما يجب تطهيرها عنه (وان كنتم مرضى) مرضا يخاف معه عن استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد اومرضا يمنعه عن الوصول اليه (اوعلى سفر) لاتجدونه فيه (اوجاء احد منكم من الغائط) فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغائط الموضع المطمئن الارض (اولامستم النساء) اوماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل الشافعى على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل اوجامعتموهن وقرأ حمزة والكسائى ههنا وفى المائدة لمستم واستعماله كناية

تعالى (بعد) ارسال (الرسل) اليهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين فبعثناهم لقطع عذرهم (وكان الله عزيزا) فى ملكه (حكيما) فى صنعه ونزل لما سئل اليهود عن نبوته صلى الله عليه وسلم فانكروه (لكن الله يشهد) يبين نبوتك (بما أنزل اليك) من القرآن المعجز (أنزله) ملتبسا (بعلمه) أى عالما به أووفيه علمه (والملائكة يشهدون) لك أيضا (وكفى بالله شهيدا) على ذلك (ان الذين كفروا) بالله (وصدوا) الناس (عن سبيل الله) دين الاسلام بكتمهم نعت محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود (قد ضلوا ضلالا بعيدا) عن الحق (ان الذين كفروا) بالله (وظلموا) نبيه بكتمان نعته (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا) من الطرق (الا طريق جهنم) أى الطريق المؤدى اليها (خالدين) مقدرين الخلود (فيها) اذا دخلوها (أبدا وكان

عن الجماع اقل من الملامسة (فلم تجدوا ماء) فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث اوجنب والحالة المقتضية له فى غالب الامر مرض او سفر والجنب لماسبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر من اسبابه مايحدث بالذات ومايحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل احوال الجنب وبيان العذر مجملا فكأنه قيل وان كنتم جنبا مرضى اوعلى سفر اومحدثين جئتم من الغائط اولامستم النساء فلم تجدوا ماء (فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم) اى فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لوضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح اجزأه وقال اصحابنا لابد من ان يعلق باليد شئ من التراب لقوله تعالى فى المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اى من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذلا يفهم من نحو ذلك الاالتبعيض واليد اسم للعضو الى المنكب وماروى انه عليه الصلاة والسلام تيمم ومسح بديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق (ان الله كان عفوا غفورا) فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم (الم تر الى الذين اوتوا) من رؤية البصر اى الم تنظر اليهم اوالقلب وعدى بالى لتضمين معنى الانتهاء (نصيبا من الكتاب) حظايسيرا من علم التوراة لان المراد احبار اليهود (يشترون الضلالة) يختارونها على الهدى اويستبدلونها به بعد تمكنهم منه اوحصوله لهم بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يأخذون الرشى ويحرفون التوراة (ويريدون ان تضلوا) ايها المؤمنون (السبيل) سبيل الحق (والله اعلم) منكم (باعدائكم) وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وبما يريدون بكم فاحذروهم (وكفى بالله وليا) يلى امركم (وكفى بالله نصيرا) يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد فى فاعل كفى لتأكيد الاتصال الاسنادى بالاتصال الاضافى (من الذين هادوا) بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم ومابينهما اعتراض اوبيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اى ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم اوخبر محذوف صفته (يحرفون الكلم عن مواضعه) اى من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اى يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها اويؤولونه على مايشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة (ويقولون

ذلك على الله يسيرا) هينا (يا أيها الناس) أى أهل مكة (قد جاءكم الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم (بالحق من ربكم فآمنوا) به واقصدوا (خيرا لكم) مما أنتم فيه (وان تكفروا) به (فان لله مافى السموات والارض) ملكا وخلقا وعبيدا فلايضره كفركم (وكان الله عليما) بخلقه (حكيما) فى صنعه بهم (ياأهل الكتاب) الانجيل لاتغلوا) تتجاوزوا الحد (فى دينكم ولاتقولوا على الله الا) القول (الحق) من تنزيهه عن الشريك والولد (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها) أوصلها الله (الى مريم وروح) أى ذوروح (منه) اضيف اليه تعالى تشريفا له وليس كما زعمتم ابن الله أواله معه أو ثالث ثلاثة لان ذا الروح مركب والاله منزه عن التركيب وعن نسبة المركب اليه (فآمنوا بالله ورسله ولاتقولوا) الآلهة (ثلاثة) الله وعيسى وأمه (انتهوا) عن ذلك

سمعنا) قولك (وعصينا) امرك (واسمع غير مسمع) اى مدعوا عليك بلا سمعت بصمم اوموت او اسمع غير مجاب الى ماتدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا (وراعنا) انظرنا نكلمك اونفهم كلامك (ليا بالسنتهم) فتلا بها وصرفا للكلام الى مايشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لاسمعت مكروها اوفتلا بها وضما مايظهرون من الدعاء والتوقير الى مايضمرون من السب والتحقير نفاقا (وطعنا فى الدين) استهزاء به وسخرية (ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا) ولو ثبت قولهم هذا مكان ماقالوه (لكان خيرا لهم واقوم) لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو فى مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه (ولكن لعنهم الله بكفرهم) ولكن خذلهم الله وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم (فلا يؤمنون الا قليلا) اى الا ايمانا قليلا لايعبأ به وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله * قليل التشكى للمهم يصيبه * او الا قليلا منهم آمنوا اوسيؤمنون (يا أيها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها) من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعنى الاقفاء او ننكسها الى ورائها فى الدنيا اوفى الآخرة واصل الطمس ازالة الاعلام المماثلة وقد يطلق بمعنى الطلس فى ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث جاءت منه وهى اذرعات الشام يعنى اجلاء بنى النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء اومن قبل ان نطمس وجوها بان نعمى الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها من الهداية الى الضلالة (اونلعنهم كما لعنا اصحاب السبت) اونخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت اومسخا مثل مسخهم اونلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه اوللذين على طريقة الالتفات اوللوجوه ان اريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة فى الدنيا ومن حمل الوعيد على تغير الصورة فى الدنيا قال انه بعد مترقب اوكان وقوعه مشروطا بعدم

وأتوا (خيرا لكم) منه وهو التوحيد (انما الله اله واحد سبحانه) تنزيها له عن (أن يكون له ولد له مافى السموات ومافى الارض) خلقا وملكا والملكية تنافى النبوة (وكفى بالله وكيلا) شهيدا على ذلك (لن يستنكف) يتكبر ويأنف (المسيح) الذى زعمتم انه اله عن (أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون) عند الله لايستنكفون أن يكونوا عبيدا وهذا من أحسن الاستطراد ذكر للرد على من زعم أنها الهة أو بنات الله كما رد بما قبله على النصارى الزاعمين ذلك المقصود خطابهم (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا) فى الآخرة (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم) ثواب أعمالهم (ويزيدهم من فضله) مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (واما الذين استنكفوا واستكبروا) عن عبادته (فيعذبهم عذابا اليما) مؤلما) هو عذاب النار.

(ولايجدون لهم من دون الله) أى غيره (وليا) يدفعه عنهم (ولانصيرا) يمنعهم منه ((ياأيها الناس قدجاءكم برهان) حجة (من ربكم) عليكم وهو النبى صلى الله عليه وسلم (وأنزلنا اليكم نورامبينا) بينا وهو القرآن (فاماالذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا) طريقا (مستقيما) هو دين الاسلام (يستفتونك) فى الكلالة (قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ) مرفوع بفعل يفسره (هلك) مات (ليس له ولد) أى ولا والد وهو الكلالة (وله أخت) من أبوين أوأب (فلها نصف ماترك وهو) أى الاخ كذلك (يرثها) جميع ماتركت (أن لم يكن لها ولد) فان كان لها ولد ذكر فلا شئ له أو انثى فله مافضل عن نصيبها ولو كانت الاخت أوالاخ من أم ففرضه السدس كما تقدم أول السورة (فان كانتا) أى الاختان (اثنتين) أى

ايمانهم وقدآمن منهم طائفة (وكان امر الله) بايقاع شئ اووعيده اوما حكم به وقضاه (مفعولا) نافذا وكائنا فيقع لامحالة ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا (ان الله لايغفر ان يشرك به) لانه بت الحكم على خلود عذابه ولان ذنبه لاينمحى عنه اثره فلايستعد للعفو بخلاف غيره (ويغفر مادون ذلك) اى مادون الشرك صغيرا كان اوكبيرا (لمن يشاء) تفضلا عليه واحسانا وعلقه المعتزلة بالفعلين على معنى ان الله لايغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشيئة ينافى وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما هى حجة عليهم فهى حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد فى النار (ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) ارتكب مايستحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كمايطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق (الم تر الى الذين يزكون انفسهم) يعنى اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لاقالوا والله مانحن الا كهيئتهم ماعملنا بالنهار كفر عنا بالليل وماعملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفى معناهم من زكى نفسه واثنى عليها (بل الله يزكى من يشاء) تنبيه على ان تزكيته تعالى هى المعتد بها دون تزكية غيره فانه العالم بماينطوى عليه الانسان من حسن اوقبح وقدذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين واصل التزكية نفى مايستقبح فعلا اوقولا (ولايظلمون) بالذم اوالعقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق (فتيلا) ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذى فى شق النواة يضرب به المثل فى الحقارة (انظر كيف يفترون على الله الكذب) فى زعمهم انهم ابناء الله وازكياء عنده (وكفى به) بزعمهم هذا اوبالافتراء (اثما مبينا) ولايخفى كونه مأثما من بين آثامهم (الم ترالى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) نزلت فى يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعو اليه محمد وقيل فى حيى بن اخطب وكعب بن الاشرف فى جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلانأمن مكركم فاسجدوا الآلهتنا حتى نطمئن

اليكم فعلوا والجبت فى الاصل اسم صنم فاستعمل فى كل ماعبد من دون الله
وقيل اصله الجبس وهو الذى لاخير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق
لكل باطل من معبود اوغيره (ويقولون للذين كفروا) لاجلهم وفيهم
(هؤلاء) اشارة اليهم (اهدى من الذين آمنوا سبيلا) اقوم دينا
وارشد طريقا (اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا)
يمنع عنه العذاب بشفاعة اوغيرها (ام لهم نصيب من الملك) ام منقطعة
ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من
ان الملك سيصير اليهم (فاذا لايؤتون الناس نقيرا) اى لو كان لهم نصيب
من الملك فاذا لايؤتون احدا مايوازى نقيرا وهو النقرة فى ظهر النواة وهذا
هو الاغراق فى بيان شحهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فماظنك بهم اذا كانوا
اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك على
الكناية وانهم لايؤتون الناس شيئا واذا اذا وقع بعد الواو والفاء لالتشريك
مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا لايؤتوا على النصب
(ام يحسدون الناس) بل ايحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
اوالعرب اوالناس جميعا لان من حسد على النبوة فكأنما حسد الناس كلهم كمالهم
ورشدهم وبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل
فكان بينهما تجاذبا وتلازما (على ما آتاهم الله من فضله) يعنى النبوة والكتاب
والنصرة والاعزاز وجعل النبى الموعود منهم (فقد آتينا آل ابراهيم) الذين هم
اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وابناء عمه (الكتاب والحكمة) النبوة (وآتيناهم
ملكا عظيما) فلا يبعد ان يؤتيه الله مثل ما آتاهم (فمنهم) فمن اليهود (من آمن
به) بمحمد صلى الله عليه وسلم او بما ذكر من حديث آل ابراهيم (ومنهم من صد
عنه) اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم
من كفر ولم يكن فى ذلك توهين امره فكذلك لايوهن كفر هؤلاء امرك (وكفى
بجهنم سعيرا) نارا مسعورة يعذبون بها اى ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم
ما اعد لهم من سعير جهنم (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا) كالبيان
والتقرير لذلك (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) بان يعاد ذلك الجلد
بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق
ليعود احساسه للعذاب كما قال (ليذوقوا العذاب) اى ليدوم لهم ذوقه
وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب فى الحقيقة للنفس العاصية المدركة

فصاعدا لانها نزلت فى جابر
وقد مات عن أخوات
(فلهما الثلثان مما ترك)
الاخ (وان كانوا) أى الورثة
(اخوة رجالا ونساء فللذكر)
منهم (مثل حظ الانثيين يبين
الله لكم) شرائع دينكم
(أن) لا (تضلوا والله
بكل شئ عليم) ومنه الميراث
روى الشيخان عن البراء
أنها آخر آية نزلت من
الفرائض

(سورة المائدة مدنية مائة
وعشرون أو وثنتان أو
وثلاث آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا أوفوا
بالعقود) العهود المؤكدة
التى بينكم وبين الله والناس
(أحلت لكم بهيمة الانعام)
الابل والبقر والغنم أكلا بعد
الذبح (الا ما يتلى عليكم)
تحريمه فى حرمت عليكم
الميتة الآية فالاستثناء منقطع
ويجوز أن يكون متصلا
والتحريم لما عرض من الموت
ونحوه (غير محلى الصيد
وأنتم حرم) أى محرمون
ونصب غير على الحال من
ضمير لكم (ان الله يحكم

لالآلة ادراكها فلامحذور (ان الله كان عزيزا) لايمتنع عليه مايريده (حكيما) يعاقب على وفق حكمته (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض (لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا) فينانا لاجوب فيه ودائما لاتنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتأكيده كقولهم شمس شامس وليل أليل ويوم أيوم (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها) خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح فى عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وأبى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم امنعه فلوى على كرم الله وجهه يده واخذه منه وفتح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس رضى الله عنه ان يعطيه المفتاح و يجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامره الله ان يرده اليه فامر عليا رضى الله عنه بان يرد و يعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحى بان السدانة فى اولاده ابدا (واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) اى وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم (ان الله نعما يعظكم به) اى نعم شيئا يعظكم به اونعم الشئ الذى يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به اومرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل فى الحكومات (ان الله كان سميعا بصيرا) باقوالكم واحكامكم وماتفعلون فى الامانات (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) يريد بهم امراء المسلمين فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ماداموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم (فان تنازعتم) انتم واولوا الامر منكم (فى شئ) من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذليس للمقلد ان ينازع المجتهد فى حكمه بخلاف المرؤس الا ان يقال الخطاب لاولى الامر على طريقة الالتفات (فردوه) فراجعوا فيه (الى الله)

مايريد) من التحليل وغيره لااعتراض عليه (يا أيها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله) جمع شعيرة أى معالم دينه بالصيد فى الاحرام (ولا الشهر الحرام) بالقتال فيه (ولا الهدى) ماهدى الى الحرم من النعم بالتعرض له (ولا القلائد) جمع قلادة وهى ماكان يقلد به من شجر الحرم ليأمن أى فلا تتعرضوا لها ولا لاصحابها (ولا) تحلوا (آمين) قاصدين (البيت الحرام) بأن تقاتلوهم (يبتغون فضلا) رزقا (من ربهم) بالتجارة (ورضوانا) منه بقصده بزعمهم الفاسد وهذا منسوخ بآية برأة (واذا حللتم) من الاحرام (فاصطادوا) أمر اباحة (ولا يجرمنكم) يكسبنكم (شنآن) بفتح النون وسكونها بغض (قوم) لاجل (أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) عليهم بالقتل وغيره (وتعاونوا على البر) فعل ماأمرتم به (والتقوى) بترك مانهيتم عنه (ولا تعاونوا) فيه حذف احدى التاءين فى الاصل (على الاثم)

الى كتابه (والرسول) بالسؤال عنه فى زمانه والمراجعة الى سنته بعده
واستدل به منكروا القياس وقالوا انه تعالى اوجب ردالمختلف الى الكتاب
والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون
بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة
رسوله فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة مثبت بالكتاب و مثبت بالسنة و مثبت بالرد اليهما
على وجه القياس (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فان الايمان يوجب
ذلك (ذلك) اى الرد (خير) لكم (واحسن تأويلا) عاقبة اواحسن
تأويلا من تأويلكم بلارد (ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك
وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت) عن ابن عباس
رضى الله عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودى الى النبى صلى الله
عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودى ولم يرض المنافق بقضائه وقال نتحاكم
الى عمر فقال اليهودى لعمر قضى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض
بقضائه وخاصم اليك فقال عمر رضى الله تعالى عنه للمنافق اكذلك فقال نعم
فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق
المنافق حتى برد وقال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت
وقال جبرائيل ان عمر قد فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق والطاغوت
على هذا كعب بن الاشرف وفى معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله فسمى
بذلك لفرط طغيانه او للتشبيه بالشيطان اولان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان
من حيث انه الحامل عليه كما قال (وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان
ان يضلهم ضلالا بعيدا) وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع لقوله
تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم (واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله
والى الرسول) وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اغتباطا
ثم ضم اللام لواو الضمير (رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) هو مصدر
او اسم للمصدر الذى هو الصد والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس والسد
محسوس ويصدون فى موضع الحال (فكيف) تكون حالهم (اذا اصابتهم
مصيبة) كقتل عمر المنافق اوالنقمة من الله تعالى (بما قدمت ايديهم) من
التحاكم الى غيرك وعدم الرضى بحكمك (ثم جاؤك) حين يصابون للاعتذار
عطف على اصابتهم وقيل على يصدون ومابينهما اعتراض (يحلفون

المعاصى (والعدوان) التعدى
فى حدود الله (واتقوا الله)
خافوا عقابه بأن تطيعوه
(ان الله شديد العقاب)
لمن خالفه (حرمت عليكم
الميتة) أى أكلها (والدم)
أى المسفوح كما فى الانعام
(ولحم الخنزير وما أهل
لغير الله به) بان ذبح على اسم
غيره (والمنخنقة) الميتة
خنقا (والموقوذة) المقتولة
ضربا (والمتردية) الساقطة
من علو الى سفل فماتت
(والنطيحة) المقتولة بنطح
أخرى لها (وما أكل السبع)
منه (الا ماذكيتم) أى أدركتم
فيه الروح من هذه الاشياء
فذبحتموه (وماذبح على)
اسم (النصب) جمع نصاب
وهى الاصنام (وأن تستقسموا)
تطلبوا القسم والحكم
(بالازلام) جمع زلم بفتح الزاى
وضمها مع فتح اللام قدح
بكسر القاف صغير لاريش
له ولانصل وكانت سبعة
عند سادن الكعبة عليها
أعلام وكانوا يحكمونها
فان أمرتهم ائتمروا وان نهتهم
انتهوا (ذلكم فسق) خروج
عن الطاعة * ونزل بعرفة

بالله) حال (ان اردنا الا احسانا وتوفيقا) ماردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ماردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه (اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم) من النفاق فلا يغنى عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب (فاعرض عنهم) اى عن عقابهم لمصلحة فى استبقائهم اوعن قبول معذرتهم (وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه (وقل لهم فى انفسهم) اى فى معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح فى السر انجع (قولا بليغا) يبلغ منهم ويؤثر فيهم امره بالتجافى عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء عليهم السلام وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا فى انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم على الموصوف والقول البليغ فى الاصل هو الذى يطابق مدلوله المقصود به (وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) بسبب اذنه فى طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكأنه احتج بذلك على ان الذى لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل (ولو انهم اذظلموا انفسهم) بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت (جاؤك) تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به (فاستغفروا الله) لذنوبهم بالتوبة والاخلاص (واستغفر لهم الرسول) واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشأنه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع فى كبائر الذنوب (لوجدوا الله توابا رحيما) لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه اوحالا من الضمير فيه (فلا وربك) اى فوربك ولا مزيدة لتأكيد القسم لا لتظاهر لا فى قوله (لا يؤمنون) لانها تزاد ايضا فى الاثبات كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد (حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه (ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت) ضيقا مما حكمت به اومن حكمك اوشكا من اجله فان الشاك

عام حجة الوداع (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) أن ترتدوا عنه بعد طمعهم فى ذلك لما رأوا من قوته (فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم) أحكامه وفرائضه فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام (وأتممت عليكم نعمتى) باكماله وقيل بدخول مكة آمنين (ورضيت) أى اخترت (لكم الاسلام دينا فمن اضطر فى مخمصة) مجاعة الى أكل شئ مما حرم عليه فاكله (غير متجانف) مائل (لاثم) معصية (فان الله غفور) له ما أكل (رحيم) به فى اباحته له بخلاف المائل لاثم أى المتلبس به كقاطع الطريق والباغى مثلا فلا يحل له الاكل (يسألونك) يامحمد (ماذا احل لهم) من الطعام (قل أحل لكم الطيبات) المستلذات (و) صيد (ما علمتم من الجوارح) الكواسب من الكلاب والسباع والطير (مكلبين) حال من كلبت الكلب بالتشديد أى أرسلته على الصيد (تعلمونهن) حال من ضمير مكلبين أى تؤدبونهن (مما علمكم الله) من آداب

فى ضيق من امره (ويسلموا تسليما) وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم (ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم) تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنوا اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا فى معنى امرنا (او اخرجوا من دياركم) خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرأ ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع فى نحو قوله تعالى ولا تنسوا الفضل وقرأ حمزة وعاصم بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل (ما فعلوه الا قليل منهم) الا اناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدرى الفعلين وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا (ولو انهم فعلوا ما يوعظون به) من متابعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومطاوعته طوعا ورغبة (لكان خيرا لهم) فى عاجلهم وآجلهم (واشد تثبيتا) فى دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفى الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والآية ايضا مما نزلت فى شان المنافق واليهودى وقيل انها والتى قبلها نزلتا فى حاطب بن ابى بلتعة خاصم زبيرا فى شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخيل فقال عليه الصلاة والسلام اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عليه الصلاة والسلام اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك (واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما) جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو ثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء (ولهديناهم صراطا مستقيما) يوصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم) مزيد ترغيب فى الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) بيان للذين او حال منه او من ضمير عليهم قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم فى العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتأخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقى النظر

الصيد فـ(كلوا مما أمسكن عليكم) وان قتلنه بان لم يأكلن منه بخلاف غير المعلمة فلا يحل صيدها وعلامتها أن تسترسل اذا ارسلت وتنزجر اذا زجرت وتمسك الصيد ولا تأكل منه واقل ما يعرف به ذلك ثلاث مرات فان أكلت منه فليس مما أمسكن على صاحبها فلا يحل أكله كما فى حديث الصحيحين وفيه أن صيد السهم اذا أرسل وذكر اسم الله عليه كصيد المعلم من الجوارح (واذكروا اسم الله عليه) عند ارساله (واتقوا الله ان الله سريع الحساب اليوم أحل لكم الطيبات) المستلذات (وطعام الذين أوتوا الكتاب) أى ذبائح اليهود والنصارى (حل) حلال (لكم وطعامكم) اياهم (حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات) الحرائر (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) أن تنكحوهن (اذا آتيتموهن أجورهن) مهورهن (محصنين) متزوجين (غير مسافحين) معلنين

الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ماهى عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد فى اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم فى اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم فى طاعته واموالهم فى مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان اوواقفين فى مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشئ قريبا وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام اولا فيكونون كمن يرى الشئ من بعيد وهم الصديقون والآخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله فى ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون (وحسن اولئك رفيقا) فى معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق اولانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روى ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال مابى من وجع غير انى اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لانى عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت فى منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت (ذلك) مبتدأ اشارة الى ماللمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم والى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم (الفضل) صفته (من الله) خبره اوالفضل خبر ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة (وكفى بالله عليما) بجزاء من اطاعه او بمقادير الفضل واستحقاق اهله (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالاثر والاثر وقيل مايحذر به كالحزم والسلاح (فانفروا) فاخرجوا الى الجهاد (ثبات) جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبيت على فلان تثبية اذا ذكرت متفرق محاسنه وتجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه (او انفروا جميعا) مجتمعين كوكبة واحدة والآية وان نزلت فى الحرب لكن يقتضى اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيفما امكن قبل الفوات (وان منكم لمن ليبطئن) الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم او ثبطوا

بالزنا بهم (ولا متخذى أخدان) منهن تسرون بالزنا بهن (ومن يكفر بالايمان) أى يرتد (فقد حبط عمله) الصالح قبل ذلك فلا يعتد به ولا يثاب عليه (وهو فى الآخرة من الخاسرين) اذا مات عليه (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم) أى أردتم القيام (الى الصلاة) وانتم محدثون (فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق) أى معها كما بينه السنة (وامسحوا برؤسكم) الباء للالصاق أى ألصقوا المسح بها من غير اسالة ماء وهو اسم جنس فيكفى أقل مايصدق عليه وهو مسح بعض شعرة وعليه الشافعى (وأرجلكم) بالنصب عطفا على أيديكم وبالجر على الجوار (الى الكعبين) أى معهما كما بينته السنة وهما العظمان الناتئان فى كل رجل عند مفصل الساق والقدم والفصل بين الايدى والارجل المغسولة بالرأس الممسوح يفيد وجوب الترتيب فى طهارة هذه الاعضاء وعليه الشافعى ويؤخذ من

غيرهم كما ثبط ابن ابى اناسا يوم احد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل
واللام الاولى للابتداء دخلت على اسم ان الفصل بالخبر والثانية جواب قسم
محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن فى ليبطئن والتقدير
وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن (فان اصابتكم مصيبة) كقتل وهزيمة (قال)
اى المبطئ (قد انعم الله على اذلم اكن معهم شهيدا) حاضرا فى تلك الغزاة
فيصيبنى ما اصابهم (ولئن اصابكم فضل من الله) كفتح وغنيمة (ليقولن)
اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من
(كأن لم يكن بينكم وبينه مودة) اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو
(ياليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما) للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان
قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريدان يكون معكم لمجرد المال
اوحال من الضمير فى ليقولن اوداخل فى المقول اى يقول المبطئ لمن ثبطه
من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كان لم يكن بينكم وبين محمد
مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز ياليتنى كنت معهم وقيل انه متصل
بالجملة الاولى وهو ضعيف اذلا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا
ومعنى وكأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهو محذوف وقرأ
ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتأنيث لفظ
المودة والمنادى فى ياليتنى محذوف اى ياقوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع
فافوز نصب على جواب التمنى وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز فى ذلك
الوقت او العطف على كنت (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة
الدنيا بالآخرة) اى الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن القتال
فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم فى طلب الآخرة او الذين يشترونها
ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ماحكى
عنهم (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما)
وعده الاجر العظيم غلب اوغلب ترغيبا فى القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله
على اذلم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد
ينبغى ان يثبت فى المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان
لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين (ومالكم)
مبتدأ وخبر (لا تقاتلون فى سبيل الله) حال والعامل فيها ما فى الظرف من
معنى الفعل (والمستضعفين) عطف على اسم الله اى وفى سبيل

السنة وجوب النية فيه كغيره
من العبادات (وان كنتم
جنبا فاطهروا) فاغتسلوا
(وان كنتم مرضى) مرضا
يضره الماء (أو على سفر)
أى مسافرين (أو جاء أحد
منكم من الغائط) أى أحدث
(أو لامستم النساء) سبق
مثله فى آية النساء (فلم تجدوا
ماء) بعد طلبه (فتيمموا)
اقصدوا (صعيدا طيبا)
ترابا طاهرا (فامسحوا بوجوهكم
وأيديكم) مع المرفقين
(منه) بضربتين والباء
للالصاق وبينت السنة أن
المراد استيعاب العضوين بالمسح
(ما يريد الله ليجعل عليكم
من حرج) ضيق بما فرض
عليكم من الوضوء والغسل
والتيمم (ولكن يريد
ليطهركم) من الاحداث
والذنوب (وليتم نعمته
عليكم) بالاسلام ببيان شرائع
الدين (لعلكم تشكرون)
نعمه (واذكروا نعمت الله
عليكم) بالاسلام (وميثاقه)
عهده (الذى واثقكم به)
عاهدكم عليه (اذ قلتم) للنبى

المستضعفين وهو تخليصهم من الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل
بحذف المضاف اى وفى خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص
فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدى الكفار اعظمها
واخصها (من الرجال والنساء والولدان) بيان للمستضعفين وهم المسلمون
الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين
وانما ذكر الولدان مبالغة فى الحث وتنبيها على تناهى ظلم المشركين
بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم فى الدعاء
حتى يشاركوا فى استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد
والاماء وهو جمع وليد (الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها
واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) فاستجاب الله دعاءهم بان يسر
لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقى منهم خير ولى وناصر ففتح مكة على يد
نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد
فحماهم ونصرهم حتى صاروا أعزاء اهلها والقرية مكة والظالم صفتها
وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل او المفعول اذا جرى على غير
من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه (الذين آمنوا يقاتلون
فى سبيل الله) فيما يصلون به الى الله (والذين كفروا يقاتلون فى سبيل
الطاغوت) فيما يبلغ بهم الى الشيطان (فقاتلوا اولياء الشيطان) لما ذكر
مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله
(ان كيد الشيطان كان ضعيفا) اى ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله
للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف
شئ واوهنه (ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم) اى عن القتال (واقيموا
الصلاة وآتوا الزكاة) واشتغلوا بما امرتم به (فلما كتب عليهم القتال اذا فريق
منهم يخشون الناس كخشية الله) يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله
ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجأة جواب لما وفريق مبتدأ ومنهم صفته
ويخشون خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر
او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه
(او اشد خشية) عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا
لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف
على اسم الله تعالى اى كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض

صلى الله عليه وسلم حين
بايعوه (سمعنا وأطعنا)
فى كل ما تأمر به وتنهى مما
تحب وتكره (واتقوا الله)
فى ميثاقه أن تنقضوه (ان
الله عليم بذات الصدور)
بما فى القلوب فبغيره أولى
(يا أيها الذين آمنوا كونوا
قوامين) قائمين (لله)
بحقوقه (شهداء بالقسط)
بالعدل (ولا يجرمنكم)
يحملنكم (شنآن) بغض
(قوم) أى الكفار (على ألا
تعدلوا) فتنالوا منهم لعداوتهم
(اعدلوا) فى العدو
والولى (هو) أى العدل
(أقرب للتقوى واتقوا الله
ان الله خبير بما تعملون)
فيجازيكم به (وعد الله الذين
آمنوا وعملوا الصالحات)
وعدا حسنا (لهم مغفرة
واجر عظيم) هو الجنة
(والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم
يا أيها الذين آمنوا اذكروا
نعمت الله عليكم اذ هم قوم)
هم قريش (أن يبسطوا)
يمدوا (اليكم أيديهم)
ليفتكوا بكم (فكف أيديهم
عنكم) وعصمكم مما أرادوا

اللهم الآن يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جدجده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب) استزادة فى مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ماتفوهوا به ولكن قالوه فى انفسهم فحكى الله عنهم (قل متاع الدنيا قليل) سريع التقضى (والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا) ولا تنقصون ادنى شئ من ثوابكم فلا ترغبوا عنه اومن آجالكم المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى ولا يظلمون لتقدم الغيبة (اينما تكونوا يدرككم الموت) وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما فى قوله * من يفعل الحسنات الله يشكرها * او على انه كلام مبتدأ وانما متصل بلا تظلمون (ولو كنتم فى بروج مشيدة) فى قصور او حصون مرتفعة والبروج فى الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المرأة اذا ظهرت وقرئ مشيدة بكسر الياء وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك) كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية تقعان على النعمة والبلية وهما المراد فى الآية اى ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هى الا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها (قل كل من عند الله) اى يبسط ويقبض حسب ارادته (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من عند الله او حديثا ما كبهائم لا افهام لهم او حادثا من صروف الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط والقابض هو الله تعالى (ما اصابك) يا انسان (من حسنة) من نعمة (فمن الله) تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافى نعمة الوجود فكيف يقتضى غيره ولذلك قال عليه السلام ما يدخل الجنة احد الا برحمة الله تعالى قيل ولا انت قال ولا انا (وما اصابك من سيئة) من بلية (فمن نفسك) لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصى وهو لا ينافى قوله تعالى قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضى الله تعالى عنها ما من مسلم يصيبه وصب

بكم (واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل) مما يذكر بعد (وبعثنا) فيه التفات عن الغيبة أقمنا (منهم اثنى عشر نقيبا) من كل سبط نقيب يكون كفيلا على قومه بالوفاء بالعهد توثقة عليهم (وقال) لهم (الله انى معكم) بالعون والنصرة (لئن) لام قسم (أقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلى وعزرتموهم) نصرتموهم (وأقرضتم الله قرضا حسنا) بالانفاق فى سبيله (لاكفرن عنكم سيآتكم ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك) الميثاق (منكم فقد ضل سواء السبيل) أخطأ طريق الحق والسواء فى الاصل الوسط فنقضوا الميثاق قال تعالى (فبما نقضهم) ما زائدة (ميثاقهم لعناهم) أبعدناهم عن رحمتنا (وجعلنا قلوبهم قاسية) لا تلين لقبول الايمان (يحرفون الكلم) الذى فى التوراة من نعت محمد وغيره (عن مواضعه) التى

ولانصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب
ومايعفو الله اكثر والآيتان كما ترى لاحجة فيهما لنا وللمعتزلة (وارسلناك للناس
رسولا) حال قصد بها التأكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها
اى رسولا للناس جميعا كقوله تعالى * وما ارسلناك الا كافة للناس و يجوز نصبه
على المصدر كقوله * ولا خارجا من فى زور كلام * (وكفى بالله شهيدا) رسالتك
بنصب المعجزات (من يطع الرسول فقد اطاع الله) لانه عليه الصلاة والسلام
فى الحقيقة مبلغ والآمر هو الله روى انه عليه السلام قال من احبنى فقد احب الله
ومن اطاعنى فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه
مايريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت (ومن تولى) عن طاعته
(فما ارسلناك عليهم حفيظا) تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك
البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف (ويقولون) اذا امرتهم
بامر (طاعة) اى امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر
ورفعها للدلالة على الثبات (فاذا برزوا من عندك) خرجوا (بيت طائفة
منهم غير الذى تقول) اى زورت خلاف ماقلت لها او ماقالت لك من القبول
وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت
الشعر او البيت المبنى لانه يسوى ويدبر وقرأ ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام
لقربهما فى المخرج (والله يكتب مايبيتون) يثبته فى صحائفهم للمجازاة
او فى جملة مايوحى اليك لتطلع على اسرارهم (فاعرض عنهم) قلل المبالاة
بهم او تجاف عنهم (وتوكل على الله) فى الامور كلها سيما فى شأنهم (وكفى
بالله وكيلا) يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم (افلا يتدبرون القرآن)
يتأملون فى معانيه ويتبصرون مافيه واصل التدبر النظر فى ادبار الشئ
(ولو كان من عند غير الله) اى ولو كان كلام البشر كما زعم الكفار
(لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه
فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه تسهل ومطابقة
بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه
دون بعض على مادل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره
ههنا للتنبيه على ان اختلاف ماسبق من الاحكام ليس لتناقض فى الحكم بل
لاختلاف الاحوال فى الحكم والمصالح (واذا جاءهم امر من الامن او الخوف)

وضعه الله عليها أى يبدلونه
(ونسوا) تركوا (حظا)
نصيبا (مما ذكروا) أمروا
(به) فى التوراة من اتباع
محمد (ولا تزال) خطاب
للنبى صلى الله عليه وسلم
(تطلع) تظهر (على
خائنة) اى خيانة (منهم)
بنقض العهد وغيره
(الا قليلا منهم) ممن أسلم
(فاعف عنهم واصفح ان
الله يحب المحسنين) وهذا
منسوخ بآية السيف (ومن
الذين قالوا انا نصارى)
متعلق بقوله (أخذنا
ميثاقهم) كما أخذنا على بنى
اسرائيل اليهود (فنسوا
حظا مما ذكروا به) فى الانجيل
من الايمان وغيره ونقضوا
الميثاق (فأغرينا) أوقعنا
(بينهم العداوة والبغضاء
الى يوم القيامة) بتفرقهم
واختلاف أهوائهم فكل
فرقة تكفر الاخرى (وسوف
ينبئهم الله) فى الآخرة (بما كانوا
يصنعون) فيجازيهم عليه
(يا اهل الكتاب) اليهود
والنصارى (قد جاءكم
رسولنا) محمد (يبين لكم

مما يوجب الامن او الخوف (اذاعوا به) افشوه كما يفعله قوم من ضعفة
المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او اخبرهم
الرسول بما اوحى اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم
جزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة او لتضمين الاذاعة معنى التحدث
(ولو ردوه) ولو ردوا ذلك الخبر (الى الرسول والى اولى الامر منهم) الى رأيه
ورأى كبار اصحابه البصراء بالامور او الامراء (لعلمه) اى لعلمه على اى وجه يذكره
(الذين يستنبطونه منهم) يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم وقيل
كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود وبالا على المسلمين
ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم حتى سمعوه منهم وتعرفوا انه
هل يذاع اولا يذاع لعلم ذلك هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول واولى
الامر اى يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو
الماء يخرج من البئر اول ما تحفر (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بارسال
الرسول وانزال الكتاب (لاتبعتم الشيطان) بالكفر والضلال (الا قليلا)
الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب
وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او الا
اتباعا قليلا على الندور (فقاتل فى سبيل الله) ان تثبطوا وتركوك وحدك
(لاتكلف الا نفسك) الا فعل نفسك لايضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم
الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روى انه عليه
الصلاة والسلام دعا الناس فى بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم
فنزلت فخرج عليه السلام وما معه الا سبعون لم يلو على احد وقرئ لاتكلف
بالجزم ولانكلف بالنون على بناء الفاعل اى لانكلفك الا فعل نفسك لا انا لانكلف
احدا الا نفسك لقوله (وحرض المؤمنين) على القتال اذ ما عليك فى شأنهم
الا التحريض (عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا) يعنى قريشا وقد فعل
بان القى فى قلوبهم الرعب حتى رجعوا (والله اشد بأسا) من قريش (واشد
تنكيلا) تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه (من يشفع شفاعة
حسنة) راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضررا او جلب اليه نفعا ابتغاء
لوجه الله تعالى ومنها الدعاء لمسلم قال صلى الله تعالى عليه وسلم من دعا
لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك (يكن له
نصيب منها) وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها (ومن

كثيرا مما كنتم تخفون
تكتمون (من الكتاب)
التوراة والانجيل كآية
الرجم وصفته (ويعفو
عن كثير) من ذلك فلا يبينه
اذا لم يكن فيه مصلحة الا
افتضاحكم (قد جاءكم من الله
نور) هو النبى صلى الله
عليه وسلم (وكتاب
قرآن (مبين) بين ظاهر
(يهدى به) أى بالكتاب
(الله من اتبع رضوانه)
بان آمن (سبل السلام) طرق
السلامة (ويخرجهم
من الظلمات) الكفر (الى
النور) الايمان (باذنه)
بارادته (ويهديهم الى
صراط مستقيم) دين
الاسلام (لقد كفر الذين
قالوا ان الله هو المسيح ابن
مريم) حيث جعلوه الها
وهم اليعقوبية فرقة من
النصارى (قل فمن يملك)
ان يدفع (من) عذاب
(الله شيئا ان أراد أن يهلك
المسيح ابن مريم وامه ومن
فى الارض جميعا) أى
لا أحد يملك ذلك ولو كان
المسيح الها لقدر عليه
(ولله ملك السموات

يشفع شفاعة سيئة) يريد بها محرما (يكن له كفل منها) نصيب من وزوها مساولها في القدر (وكان الله على كل شئ مقيتا) مقتدرا من اقات على الشئ اذأقدر قال * وذى ضغن كففت الضغن عنه * وكنت على اساءته مقيتا * او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوى البدن ويحفظه (واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها اوردوها) الجمهور على انه في السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهى النهاية واما برد مثله لما روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتنى فاين ماقال الله تعالى وتلا الاية فقال انك لم تترك لى فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل او للترديد بين ان يحيى المسلم ببعض التحية وبين ان يحيى بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية في الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحياة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية العطية واوجب الثواب او الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعى رضى الله تعالى عنه (ان الله كان على كل شئ حسيبا) يحاسبكم على التحية وغيرها (الله لا اله الا هو) مبتدأ وخبرا والله مبتدأ والخبر (ليجمعنكم الى يوم القيامة) اى الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيامة او مفضين اليه اوفي يوم القيامة ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيامة كالطلاب والطلابة وهى قيام الناس من القبور او للحساب (لاريب فيه) في اليوم او الجمع فهو حال من اليوم او صفة للمصدر (ومن اصدق من الله حديثا) انكار ان يكون احدا كثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال (فما لكم في المنافقين) فمالكم تفرقتم في امر المنافقين (فئتين) اى فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استأذنوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم

والارض ومابينهما يخلق مايشاء والله على كل شئ) شاءه (قدير وقالت اليهود والنصارى) اى كل منهما (نحن أبناء الله) أى كابنائه في القرب والمنزلة وهو كأبينا في الرحمة والشفقة (وأحباؤه قل) لهم يا محمد فلم يعذبكم بذنوبكم) ان صدقتم في ذلك ولا يعذب الاب ولده ولا الحبيب حبيبه وقد عذبكم فأنتم كاذبون (بل نتم بشر ممن) جملة من (خلق) من البشر لكم مالهم وعليكم ماعليهم (يغفر لمن يشاء) المغفرة له (ويعذب من يشاء) تعذيبه لا اعتراض عليه (ولله ملك السموات والارض ومابينهما واليه المصير) المرجع (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا) محمد (يبين لكم) شرائع الدين (على فترة) انقطاع (من الرسل) اذ لم يكن بينه وبين عيسى رسول ومدة ذلك خمسمائة وتسع وستون سنة (أن) لا (تقولوا) اذا عذبتم ماجاءنا من) زائدة (بشير ولانذير فقد جاءكم بشير

احد اوفى قومهـا جروائم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشـتياق الى
الوطن اوقوم اظهروا الاسـلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها
لكم كقولك مالك قائما وفى المنافقين حال من فئتين اى متفرقين فيهم
اومن الضمير اى فما لكم تفـترقون فيهم ومعنى الافتراق مسـتفاد من فئتين
(والله اركسهم بما كسبوا) ردهم الى حكم الكفرة اونكسهم بان صيرهم للنار
واصل الركس رد الشئ مقلوبا (اتريدون ان تهدوا من اضل الله) ان تجعلوه
من المهتدين (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) الى الهدى (ودوا لو تكفرون
كما كفروا) تمنوا ان تكفروا ككفرهم (فتكونون سواء) فتكونون معهم سواء
فى الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمنى لجاز (فلا
تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله) فلا توالوهم حتى يؤمنوا اويحققوا
ايمانهم بهجرة هى لله ولرسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ماامر بسـلوكه
(فان تولوا) عن الايمـان الظاهر بالهجرة اوعن اظهـار الدين (فخذوهم
واقتلوهم حيث وجدتموهم) كسائر الكفرة (ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا)
اى جانبوهم رأسا لاتقبلوا منهم ولاية ونصرة (الا الذين يصلون الى قوم
بينكم وبينهم ميثاق) اسـتثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اى الا الـذين
يتصلون وينتهون الى قوم عاهـدوكم ويفـارقون محـاربتكم والقـوم هم
خزاعة وقيل هم الاسلميون فانه عليه الصلاة والسلام وادع وقت خروجه
الى مكة هلال بن عويمر الاسلمى على ان لايعينه ولايعين عليه ومن لجأ اليه
فله من الجوار مثـل ماله وقيل بنو بكر بن زيد منـاة (اوجاؤكم) عطف
على الصـلة اى والذين جاؤكم كافين من قتـالكم وقتـال قومهم اسـتثنى
من المأمور باخـذهم وقتلهم من ترك المحـاربين فلحـق بالمعـاهدين اواتى
الرسـول وكف عن قتـال الفريقين اوعلى صفة قوم وكأنه قيـل الا الذين
يصلون الى قوم معـاهدين اوقوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول
اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العـاطف على انه صفة بعـد صفة
اوبيان ليصلون اواسـتئناف (حصرت صـدورهم) حال باضمار قد
ويدل عليه انه قرئ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم اوبيان لجاؤكم
وقيل صفة محذوف اى جاؤكم قوما حصرت صـدورهم وهم بنو مدلج
جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاتلين والحصر الضيق والانقباض
(ان يقاتلوكم اويقاتلوا قومهم) اى عن ان اولان اوكراهة ان يقـاتلوكم

ونذير) فـلا عـذر لكم اذا
(والله على كل شئ قدير)
ومنـه تعـذيبكم ان لم تتبعوه
(و) اذكر (اذ قال موسى
لقومـه ياقوم اذكروا نعمت
الله عليكم اذ جعل فيكم) أى
منكم (انبيـاء وجعلكم
ملوكا) أصحاب خدم وحشم
(وآتاكم مالم يؤت أحـدا
من العـالمين) من المـن
والسـلوى وفلـق البحر
وغير ذلك (ياقوم ادخلـوا
الارض المقدسـة) المطهرة
(التى كتب الله لكم)
أمركم بدخـولها وهى
الشـام (ولا ترتدوا عـلى
أدباركم) تنـهزموا خـوف
العدو (فتنقلبوا خاسرين)
فى سـعيكم (قالوا ياموسى ان
فيهـا قـوما جبـارين) من
بقـايا عاد طوال ذوى قـوة
(وانا لـن ندخلهـا حـتى
يخرجوا منهـا فان يخرجوا
منهـا فانا داخلـون) لهـا
(قال) لهـم (رجـلان
من الذين يخافون) مخـالفة
أمر الله وهما يوشـع وكالب
من النقبـاء الـذين بعثهم
مـوسى فى كشـف احـوال
الجبـابرة (أنعم الله عليهمـا

(ولوشاء الله لسلطهم عليكم) بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم (فلقاتلوكم) ولم يكفوا عنكم (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم) فان لم يتعرضو الكم (والقوا اليكم السلم) الاستسلام والانقياد (فما جعل الله لكم عليكم سبيلا) فما اذن لكم فى اخذهم وقتلهم (ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم) هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا (كلما ردوا الى الفتنة) دعوا الى الكفر اوالى قتال المسلمين (اركسوا فيها) عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب (فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم) وينبذوا اليكم العهد (ويكفوا ايديهم) عن قتالكم (فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم) حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لايوجب نفى التعرض (واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) حجة واضحة فى التعرض لهم بالقتل والسبى لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم اوتسلطا ظاهرا حيث اذن لكم فى قتلهم (وما كان لمؤمن) وما صح له وليس من شأنه (ان يقتل من مؤمنا) بغير حق (الا خطأ) فانه على عرضته ونصبه على الحال او المفعول له اى لايقتله فى شئ من الاحوال الاحال الخطأ اولايقتله لعلة الاللخطأ اوعلى انه صفة مصدر محذوف اى الاقتلا خطأ وقيل ماكان نفى فى معنى النهى والاستثناء منقطع اى لكن ان قتله خطأ فجزاؤه مايذكر والخطأ مالايصاحبه القصد الى الفعل اوالشخص اومالايقصدبه زهوق الروح غالبا اوما لايقصدبه محظوركرمى المسلم فى صف الكفار مع الجهل باسلامه اويكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت فى عياش بن ابى ربيعة اخى ابى جهل من الام لقى حارث بن زيد فى طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة) اى فعليه اوفواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق للكريم من الشئ ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمى به لان الكرم فى الاحرار واللؤم فى العبيد والرقبة عبرها عن النسمة كما عبر عنها بالرأس (مؤمنة) محكوم باسلامها وان كانت صغيرة (ودية مسلمة الى اهله) مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابى كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنى ان اورث امرأة اشيم الضبابى من عقل زوجها وهى على العاقلة فان لم تكن فعلى بيت المال فان لم يكن

بالعصمة فكتما ما اطلعا عليه من حالهم الا عن موسى بخلاف بقية النقباء فافشوه فجبنوا (ادخلوا عليهم الباب) باب القرية ولاتخشوهم فانهم أجساد بلا قلوب (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) قالا ذلك تيقنا بنصر الله وانجاز وعده (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين قالوا ياموسى انا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا) هم (انا ههنا قاعدون) عن القتال (قال) موسى حينئذ (رب انى لاأملك الانفسى و) الا (أخى) ولااملك غيرهما فاجبرهم على الطاعة (فافرق) فافصل (بيننا وبين القوم الفاسقين قال) تعالى له (فانها) أى الارض المقدسة (محرمة عليهم) أن يدخلوها (أربعين سنة يتيهون) يتحيرون فى الارض (فى الارض) وهى تسعة فراسخ قاله ابن عباس (فلاتأس) تحزن (على القوم الفاسقين) روى أنهم كانوا يسيرون الليل جادين فاذا

في ماله (الا ان يصدقوا) يتصدقوا عليه بالدية سمى العفو عنها صدقة حثا
عليه وتنبيها على فضله وعن النبى صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة
وهو متعلق بعليه او بمسلمة اى تجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال
تصدقهم عليه او زمانه فهو فى محل النصب على الحال من القاتل او الاهل
او الظرف (فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) اى
ان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او فى تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه
فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم ولانهم محاربون
(وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة
مؤمنة) اى وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم
المسلم فى وجوب الكفارة والدية ولعل فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له
وارث مسلم (فمن لم يجد) رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها (فصيام
شهرين متتابعين) فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين (توبة) نصب على
المفعول له اى شرع ذلك له توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او على
المصدر اى تاب الله عليكم توبة او حال بحذف مضاف اى فعليه صيام شهرين
ذا توبة (من الله) صفتها (وكان الله عليما) بحاله (حكيما) فيما امر
فى شأنه (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله
عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما) لما فيه من التهديد العظيم قال ابن
عباس رضى الله عنهما لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به
التشديد اذ روى عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب
لقوله تعالى وانى لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما
ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل فى مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما
قتيلا فى بنى النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة
مرتدا او المراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة
المسلمين لا يدوم عذابهم (يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله) سافرتم
وذهبتم الى الغزو (فتبينوا) فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا
(ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام) لمن حياكم بتحية الاسلام وقرأ نافع
وابن عامر وحمزة السلم بغير الالف اى الاستسلام والانقياد وفسر به السلام
ايضا (لست مؤمنا) وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اى مبذولا له

أصبحوا اذا هم فى الموضع
الذى ابتدؤا منه ويسيرون
النهار كذلك حتى انقرضوا
كلهم الا من لم يبلغ العشرين
قيل وكانوا ستمائة ألف
ومات هرون وموسى
فى التيه وكان رحمة لهما
وعذابا لأولئك وسأل موسى
ربه عند موته ان يدنيه من
الارض المقدسة رمية
حجر فادناه كما فى الحديث
ونبئ يوشع بعد الاربعين
وأمر بقتال الجبارين
فسار بمن بقى معه وقاتلهم
وكان يوم الجمعة
ووقفت له الشمس ساعة
حتى فرغ من قتالهم وروى
أحمد فى مسنده حديث
ان الشمس لم تحبس على بشر
الا ليوشع ليالى سار الى
بيت المقدس (واتل) يا محمد
(عليهم) على قومك (نبأ)
خبر (ابنى آدم) هابيل
وقابيل (بالحق) متعلق
باتل (اذ قربا قربانا) الى الله
وهو كبش لهابيل وزرع لقابيل
(فتقبل من أحدهما) وهو هابيل
بأن نزلت نار من السماء فأكلت
قربانه (ولم يتقبل من الآخر)

الامان (تبتغون عرض الحياة الدنيا) تطلبون ماله الذى هو حطام الدنيا سريع النفاد وهو حال من الضمير فى تقولوا مشعر بما هو الحامل على العجلة وترك التثبت (فعند الله مغانم كثيرة) تغنيكم عن قتل امثاله لماله (كذلك كنتم من قبل) اى اول ما دخلتم فى الاسلام تفوهتم بكلمتى الشهادة فحصنت بها دماءكم واموالكم من غير ان يعلم مواطأة قلوبكم السنتكم (فمن الله عليكم) بالاشتهار بالايمان والاستقامة فى الدين (فتبينوا) وافعلوا بالداخلين فى الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تأكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) عالم به وبالغرض منه فلا تتهافتوا فى القتل واحتاطوا فيه روى ان سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت اهل فدك فهربوا وبقى مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا به وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت فى المقداد مر برجل فى غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله اسامة وقال ودلو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطأه مغتفر (لا يستوى القاعدون) عن الحرب (من المؤمنين) فى موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذى فيه (غير اولى الضرر) بالرفع صفة للقاعدين لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرأ نافع وابن عامر والكسائى بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولى الضرر فقال ابن ام مكتوب وكيف وانا اعمى فغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلسه الوحى فوقعت فخذه على فخذى فخشيت ان ترضها ثم سرى عنه فقال اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر (والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم) اى لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد فى الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته (فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة) جملة موضحة لما نفى الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اى بدرجة اوعلى

وهو قابيل فغضب وأضمر الحسد فى نفسه الى ان حج آدم (قال) له (لاقتلنك) قال لم قال لتقبل قربانك دونى (قال انما يتقبل الله من المتقين لئن) لام قسم (بسطت) مددت (الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لاقتلك انى أخاف الله رب العالمين) فى قتلك (انى أريد أن تبوء) ترجع (باثمى) باثم قتلى (واثمك) الذى ارتكبته من قبل (فتكون من أصحاب النار) ولا أريد أن أبوء باثمك اذا قتلتك فأكون منهم قال تعالى (وذلك جزاء الظالمين فطوعت) زينت (له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح) فصار (من الخاسرين) بقتله ولم يدر ما يصنع به لانه أول ميت على وجه الارض من بنى آدم فحمله على ظهره (فبعث الله غرابا يبحث فى الارض) ينبش التراب بمنقاره وبرجليه ويثيره على غراب ميت معه حتى واراه (ليريه كيف يوارى) يستر (سوأة) جيفة (أخيه قال ياويلتى أعجزت) عن (أن أكون

المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوى درجة (وكلا) من القاعدين والجاهدين (وعدالله الحسنى) المثوبة الحسنى وهى الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت فى زيادة العمل المقتضى لمزيد الثواب (وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما) نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول الثانى له لتضمنه معنى الاعطاء كأنه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما (درجات منه ومغفرة ورحمة) كل واحد منهما بدل من اجرا ويجوزان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال منها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ماخولهم فى الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثانى ماجعل لهم فى الآخرة وقيل الدرجة ارتفاع منزلتهم عندالله والدجات منازلهم فى الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدن الثانى هم الذين اذن لهم فى التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه الصلاة والسلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (وكان الله غفورا) لما عسى ان يفرط منهم (رحيما) بما وعدلهم (ان الذين توفيهم الملائكة) يحتمل الماضى والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفى الملائكة انفسهم فيتوفونها اى يمكنهم من استيفائها فيستوفونها (ظالمى انفسهم) فى حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت فى ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة (قالوا) اى الملائكة توبيخا لهم (فيم كنتم) اى فى اى شئ كنتم من امر دينكم (قالوا كنا مستضعفين فى الارض) اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة اوعن اظهار الدين واعلاء كلمته (قالوا) الملائكة تكذيبا لهم اوتبكيتا لتركهم الواجب (الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها) الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة (فاولئك مأواهم جهنم) لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبران والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر قالوا والعائد محذوف اى قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها

مثل هذا الغراب فاوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين) على حمله وحفره وواراه (من أجل ذلك) الذى فعله قابيل (كتبنا على بنى اسرائيل أنه) أى الشان (من قتل نفسا بغير نفس) قتلها (أو) بغير (فساد) أتاه (فى الارض) من كفر أوزنا أو قطع طريق أو نحوه (فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها) بأن امتنع من قتلها (فكأنما أحيى الناس جميعا) قال ابن عباس من حيث انتهاك حرمتها وصونها (ولقد جاءتهم) أى بنى اسرائيل (رسلنا بالبينات) المعجزات (ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون) مجاوزون الحد بالكفر والقتل وغير ذلك * ونزل فى العرنيين لما قدموا المدينة وهم مرضى فاذن لهم النبى صلى الله عليه وسلم ان يخرجوا الى الابل ويشربوا من أبوالها وألبانها فلما صحوا قتلوا راعى النبى صلى الله عليه وسلم واستاقوا الابل (انما جزاء الذين يحاربون الله

مستنتجة منها (وساءت مصيرا) مصيرهم او جهنم وفى الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبى صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) استثناء منقطع لعدم دخولهم فى الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة فى الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا او قدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت (لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا) صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال عنه او عن المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل (فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم) ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه (وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا) متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اى يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام (وسعة) فى الرزق واظهار الدين (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت) وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله * والحق بالحجاز فاستريحا * (فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما) الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله تعالى ثبوت الامر الواجب والآية الكريمة نزلت فى جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله وقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك فمات فيه (واذا ضربتم فى الارض) سافرتم (فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة) بتنصيف ركعاتها ونفى الجرح فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه صلى الله تعالى عليه وسلم اتم فى السفر وان عائشة رضى الله تعالى عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة واوجبه ابو حنيفة لقول عمر رضى الله تعالى عنه

ورسوله) بمحاربة المسلمين (ويسعون فى الارض فسادا) بقطع الطريق (ان يقتلوا او يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) أى أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى (أو ينفوا من الارض) أو لترتيب الاحوال فالقتل لمن قتل فقط والصلب لمن قتل وأخذ المال والقطع لمن أخذ المال ولم يقتل والنفى لمن أخاف فقط قاله ابن عباس وعليه الشافعى وأصح قوليه أن الصلب ثلاثا بعد القتل وقيل قبله قليلا ويلحق بالنفى ما أشبهه فى التنكيل من الحبس وغيره (ذلك) الجزاء المذكور (لهم خزى) ذل (فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) هو عذاب النار (الا الذين تابوا) من المحاربين والقطاع (من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور) لهم ما أتوه (رحيم) بهم عبر بذلك دون فلا تحدوهم ليفيد أنه لا يسقط عنه بتوبته الا حدود الله دون حقوق الآدميين كذا ظهر لى ولم أر من تعرض له والله اعلم

صلاة السفر ركعتان تام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم ولقول عائشة رضى الله عنها اول مافرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت فى السفر وزيدت فى الحضر وظاهرهما يخالف الآية الكريمة فان صحا فالاول مؤول بانه كالتام فى الصحة والاجزاء والثانى لاينفى جواز الزيادة فلاحاجة الى تأويل الآية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتى السفر قصر ونقصان فسمى الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفى الجناح فيه لتطيب به نفوسهم واقل سفر يقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابى حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلاة صفة محذوف اى شيئا من الصلاة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش (ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) شرطية باعتبار الغالب فى ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر قوله تعالى فان خفتم ان لايقيما حدود الله فلاجناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا فى حال الامن وقرئ من الصلاة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بمايكره (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) تعلق بمفهومه من خص صلاة الخوف بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كيفيتها ليأتم به الائمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره (فلتقم طائفة منهم معك) فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك تصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو (وليأخذوا اسلحتهم) اى المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم (فاذا سجدوا) يعنى المصلين (فليكونوا) اى غير المصلين (من ورائكم) يحرسونكم يعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومن يصلى معه فغلب المخاطب على الغائب (ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا) لاشتغالهم بالحراسة (فليصلوا معك) ظاهره يدل على ان الامام يصلى مرتين بكل طائفة مرة كما فعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ببطن النخل وان اريد به ان يصلى بكل ركعة ان كانت الصلاة ركعتين فكيفيته ان يصلى بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتأتى الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلاتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة رحمه الله

فاذا قتل وأخذ المال يقتل ويقطع ولايصلب وهو أصح قولى الشافعى ولاتفيد توبته بعد القدرة عليه شيئا وهو أصح قوليه أيضا (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله) خافوا عقابه بان تطيعوه (وابتغوا) اطلبوا (اليه الوسيلة) مايقربكم اليه من طاعته (وجاهدوا فى سبيله) لاعلاء دينه (لعلكم تفلحون) تفوزون (ان الذين كفروا) ثبت (أن لهم مافى الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ماتقبل منهم ولهم عذاب أليم يريدون) يتمنون (أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) دائم (والسارق والسارقة) أل فيهما موصولة مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء فى خبره وهو (فاقطعوا أيديهما) أى يمين كل منهما من الكوع وبينت السنة أن الذى يقطع فيه ربع دينار فصاعدا وأنه اذا عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليد اليسرى ثم الرجل اليمنى وبعد

يصلى بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو وتأتى الاخرى فتصلى معه ركعة و يتم صلاتها ثم تعود الى وجه العدو وتأتى اولى فتؤدى الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلاتها (وليأخذوا حذرهم واسلحتهم) جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازى فجمع بينه و بين الاسلحة فى وجوب الاخذ ونظيره قوله تعالى والذين تبوأوا الدار والايمان (ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) تمنوا ان ينالوا منكم غرة فى صلاتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان مالاجله امروا باخذ السلاح (ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم) رخصة لهم فى وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب (وخذوا حذركم) امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو (ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا) وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم ليقوى قلوبهم و ليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا فى الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله (فاذا قضيتم الصلاة) اديتم وفرغتم منها (فاذكروا الله قياما وقعودا على جنوبكم) فدوموا على الذكر فى جميع الاحوال او اذا اردتم اداء الصلاة واشتد الخوف فادوها كيف ما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين (فاذا اطمأننتم) سكنت قلوبكم من الخوف (فاقيموا الصلاة) فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها واتوا بها تامة (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) فرضا محدود الاوقات لايجوز اخراجها عن اوقاتها فى شئ من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلاة وانها واجبة الاداء حال المسابقة والاضطراب فى المعركة وتعليل للامر بالاتيان بها كيف ما امكن وقال ابو حنيفة لايصلى المحارب حتى يطمئن (ولا تهنوا) ولا تضعفوا (فى ابتغاء القوم) فى طلب الكفار بالقتال (ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون) الزام لهم وتقريع على التوانى فيه بان ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب مالا يرجو عدوهم فينبغى ان يكونوا ارغب منهم فى الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون و يكون قوله فانهم يألمون علة للنهى من الوهن لاجله والآية نزلت فى بدر الصغرى (وكان الله عليما) باعمالكم

ذلك يعزر (جزاء) نصب على المصدر (بما كسبا نكالا) عقوبة لهما (من الله والله عزيز) غالب على أمره (حكيم) فى خلقه (فمن تاب من بعد ظلمه) رجع عن السرقة (وأصلح) عمله (فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم) فى التعبير بهذا ماتقدم فلا يسقط بتوبته حق الآدمى من القطع ورد المال نعم بينت السنة أنه ان عفا عنه قبل الرفع الى الامام سقط القطع وعليه الشافعى (ألم تعلم) الاستفهام فيه للتقرير (أن الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء) تعذيبه (ويغفر لمن يشاء) المغفرة له (والله على كل شئ قدير) ومنه التعذيب والمغفرة (يأيها الرسول لايحزنك) صنع (الذين يسارعون فى الكفر) يقعون فيه بسرعة أى يظهرونه اذا وجدوا فرصة (من) للبيان (الذين قالوا آمنا بأفواههم) بألسنتهم متعلق بقالوا (ولم تؤمن قلوبهم) وهم المنافقون (ومن الذين هادوا) قوم

وضمائركم (حكيما) فيما يأمر وينهى (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين
الناس) نزلت فى طعمة بن ابيرق من بنى ظفر سرق درعا من جاره قتادة
ابن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند
زيد بن السمين اليهودى فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف
ماأخذها وماله بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل
اليهودى فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت
بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسألوه ان يجادل
عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودى فهم
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يفعل (بما اراك الله) بما عرفك الله
واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلاثة مفاعيل
(ولا تكن للخائنين) اى لاجلهم والذب عنهم (خصيما) للبراء (واستغفر الله
مما هممت به (ان الله كان غفورا رحيما) لمن استغفره (ولا تجادل عن الذين
يختانون انفسهم) يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها اوجعل المعصية
خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله ولقومه فانهم
شاركوه فى الاثم حين شهدوا على براءته وخاصموا عنه (ان الله لا يحب من كان
خوانا) مبالغا فى الخيانة مصرا عليها (اثيما) منهمكا فيه روى ان طعمة هرب
الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله
(يستخفون من الناس) يستترون منهم حياء وخوفا (ولا يستخفون من الله)
وهو احق بان يستحيى ويخاف منه (وهو معهم) لا يخفى عليه سرهم
فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه (اذ يبيتون) يدبرون ويزورون
(ما لا يرضى من القول) من رمى البراء والحلف الكاذب وشهادة الزور
(وكان الله بما يعملون محيطا) لا يفوت عنه شئ (ها انتم هؤلاء) مبتدأ وخبر
(جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا) جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا عنه او صلة عند من
يجعله موصولا (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا)
محاميا يحميهم من عذاب الله (ومن يعمل سوأ) قبيحا يسوء به غيره (او يظلم
نفسه) بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء مادون الشرك وبالظلم
الشرك وقيل الصغيره والكبيرة (ثم يستغفر الله) بالتوبة (يجد الله غفورا)
لذنوبه (رحيما) متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة
والاستغفار (ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه) فلا يتعداه وباله لقوله
وان اسأتم فلها (وكان الله عليما حكيما) فهو عالم بفعله حكيم فى مجازاته

(سماعون للكذب) الذى
افترته أحبارهم سماع قبول
(سماعون) منك (لقوم)
لاجل قوم (آخرين) من
اليهود (لم يأتوك) وهم أهل
خيبر زنى فيهم محصنان
فكرهوا رجمهما فبعثوا قريظة
ليسألوا النبى صلى الله عليه
وسلم عن حكمهما (يحرفون
الكلم) الذى فى التوراة
كآية الرجم (من بعد
مواضعه) التى وضعه الله
عليها أى يبدلونه (يقولون)
لمن ارسلوهم (ان أوتيتم هذا)
الحكم المحرف أى الجلد أى
أفتاكم به محمد (فخذوه)
فاقبلوه (وان لم تؤتوه) بل
أفتاكم بخلافه (فاحذروا)
أن تقبلوه (ومن يرد الله فتنته)
اضلاله (فلن تملك له من الله
شيئا) فى دفعها (أولئك الذين
لم يرد الله أن يطهر قلوبهم)
من الكفر ولو أراده لكان
(لهم فى الدنيا خزى) ذل
بالفضيحة والجزية (ولهم
فى الآخرة عذاب عظيم)
هم (سماعون للكذب
أكالون للسحت) بضم الحاء
وسكونها أى الحرام كالرشا
(فان جاؤك) لتحكم بينهم

و من يكسب خطيئة) صغيرة اومالاعمد فيه (اواثما) كبيرة اوماكان عن عمد (ثم يرم به بريئا) كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او (فقد احتمل بهتانا واثما مبينا) بسبب رمى البرئ وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف احدهما دون مقترف الآخر (ولولا فضل الله عليك ورحمته) باعلام ماهم عليه بالوحى والضمير لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لهمت طائفة منهم) من بنى ظفر (ان يضلوك) عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفى همهم بل الى نفى تأثيره فيه (ومايضلون الا انفسهم) لانه مازلت عن الحق وعاد وباله عليهم (ومايضرونك من شئ) فان الله عصمك وماخطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لاميلا فى الحكم ومن شئ فى موضع النصب على المصدر اى شيئا من الضر (وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم) من خفيات الامور اومن امور الدين والاحكام (وكان فضل الله عليك عظيما) اذلا فضل اعظم من النبوة (لاخير فى كثير من نجواهم) من متناجيهم كقوله تعالى واذهم نجوى اومن تناجيهم فقوله (الا من امر بصدقة اومعروف) على حذف مضاف اى الانجوى من امر اوعلى الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففى نجواه الخير والمعروف كل مايستحسنه الشرع ولاينكره العقل وفسر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر مافسر به (اواصلاح بين الناس) اواصلاح ذات بين (ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما) بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه لما دخل الآمر فى زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم فان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضاة الله تعالى لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به من الله اجرا ووصف الاجر بالعظم تنبيها على حقارة مافات فى جنبه من اعراض الدنيا وقرأ حمزة وابو عمرو يؤتيه بالياء (ومن يشاقق الرسول) يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين فى شق غير شق الآخر (من بعد ماتبين له الهدى) ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات (ويتبع غير سبيل المؤمنين) غير ماهم عليه من اعتقاد اوعمل (نوله ماتولى) نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخلى بينه وبين مااختاره (ونصله جهنم) وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه (وساءت مصيرا)

(فاحكم بينهم اواعرض عنهم) هذا التخيير منسوخ بقوله وأن احكم بينهم الآية فيجب الحكم بينهم اذا ترافعوا الينا وهو أصح قولى الشافعى فلو ترافعوا الينا مع مسلم وجب اجماعا (وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت) بينهم (فاحكم بينهم بالقسط) بالعدل (ان الله يحب المقسطين) العادلين فى الحكم أى يثيبهم (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) بالرجم استفهام تعجيب أى لم يقصدوا بذلك معرفة الحق بل ماهو أهون عليهم (ثم يتولون) يعرضون عن حكمك بالرجم الموافق لكتابهم (من بعد ذلك) التحكيم (وماأولئك بالمؤمنين انا انزلنا التوراة فيها هدى) من الضلالة (ونور) بيان للاحكام (يحكم بها النبيون) من بنى اسرائيل (الذين أسلموا) انقادوا لله (للذين هادوا والربانيون) العلماء منهم (والاحبار) الفقهاء (بما) أى بسبب الذى (استحفظوا) استودعوه أى

جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما اوالجمع بينهما والثانى باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها اولم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبالان ترك سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه فى مرصاد الافهام الى مبادى الاحكام (ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) كرره للتأكيد اولقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال انى شيخ منهمك فى الذنوب الا انى لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصى جراءة على الله ولا مكابرة له وما توهمت طرفة عين انى اعجز الله هربا وانى لنادم تائب فما ترى حالى عند الله فنزلت (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر فى الآية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم نوع افتراء وهو دعوى التبنى على الله عز وجل (ان يدعون من دونه الا اناثا) يعنى اللات والعزى ومنات ونحوها كان لكل حى صنم يعبدونه ويسمونه انثى بنى فلان وذلك اما لتأنيث اسمائها كما قال * وماذكر فان يسمن فانثى * شديد الازم ليس له ضروس * فانه عنى القراد وهو ماكان صغيرا سمى قرادا فاذا كبر سمى حلمة اولانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون مايسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهى جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد واناثا على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واثنا بهما على قلب الواو لضمتها همزة (وان يدعون) وان يعبدون بعبادتها (الا شيطانا مريدا) لانه الذى امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعته فى ذلك عبادة له والمارد والمريد الذى لايعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء للتى تناثر ورقها (لعنه الله) صفة ثانية للشيطان

استحفظهم الله اياه (من كتاب الله) أن يبدلوه (وكانوا عليه شهداء) أنه حق (فلا تخشوا الناس) أيها اليهود فى اظهار ماعندكم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم والرجم وغيرهما (واخشونى) فى كتمانه (ولا تشتروا) تستبدلوا (بآياتى ثمنا قليلا) من الدنيا تأخذونه على كتمانها (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) به (وكتبنا) فرضنا (عليهم فيها) أى التوراة (أن النفس) تقتل (بالنفس) اذا قتلتها (والعين) تفقأ (بالعين والانف) تجدع (بالانف والاذن) تقطع (بالاذن والسن) تقلع (بالسن) وفى قراءة بالرفع فى الاربعة (والجروح) بالوجهين (قصاص) اى يقتص فيها اذا أمكن كاليد والرجل والذكر ونحو ذلك وما لايمكن فيه الحكومة وهذا الحكم وان كتب عليهم فهو مقرر فى شرعنا (فمن تصدق به) أى بالقصاص بان مكن من نفسه (فهو كفارة له) لما أتاه (ومن لم يحكم بما أنزل

(وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) عطف عليه اى شيطانا مريدا
جامعابين لعنةالله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن
سبحانه اولا على ان الشرك ضلال فى الغاية على سبيل التعليل بان
مايشرك به ينفعل ولاينفعل فعلا اختياريا وذلك ينافى الالوهية غاية
المنافاة فان الاله ينبغى ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة
الشيطان وهى افظع الضلال لثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك
فى الضلال لايعلق بشئ من الخير والهدى فتكون طاعته ضلالا بعيدا عن
الهدى والثانى انه ملعون لضلاله فلاتستجلب مطاوعته سوى الضلال
واللعن والثالث انه فى غاية العداوة والسعى فى اهلاكهم وموالاة من هذا
شأنه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اى نصيبا قدرلى
وفرض من قولهم فرض له فى العطاء (ولاضلنهم) عن الحق (ولأمنينهم)
الامانى الباطلة كطول الحياة وان لابعث ولاعقاب (ولآمرنهم فليبتكن
آذان الانعام) يشقونها لتحريم مااحله الله وهوعبارة عما كانت العرب تفعل
بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل مااحل ونقص كل ماخلق كاملا
بالفعل اوالقوة (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) عن وجهه صورة اوصفة
ويندرج فيه ماقيل من فقئ عين الحامى وخصاء العبيد والوشم والوشر
واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التى هى
الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيمالايعود على النفس كمالا ولايوجب لها
من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا فى خصاء
البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا اواتاه فعلا
(ومن يتخذ الشيطان وليامن دون الله) بايثار مايدعوه اليه على ماامره الله به
ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته (فقد خسر خسرانا مبينا) اذ ضيع رأس
ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار (يعدهم) مالاينجز (ويمنيهم)
مالاينالون (ومايعدهم الشيطان الاغرورا) وهو اظهار النفع فيما فيه
الضرروهذا الوعد امابالخواطر الفاسدة اوبلسان اوليائه (اولئك مأواهم
جهنم ولايجدون عنها محيصا) معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا
عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا
فلايعمل ايضا فيما قبله (والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات
تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعدالله حقا) اى وعده وعدا

الله) فى القصاص وغيره
(فأولئك هم الظالمون
وقفينا) أتبعنا (على آثارهم)
أى النبيين (بعيسى ابن مريم
مصدقا لما بين يديه) قبله
(من التوراة وآتيناه الانجيل
فيه هدى) من الضلالة
(ونور) بيان للاحكام
(ومصدقا) حال (لما بين
يديه من التوراة) لما فيها من
الاحكام (وهدى وموعظة
للمتقين و) قلنا (ليحكم اهل
الانجيل بما أنزل الله فيه) من
الاحكام وفى قراءة بنصب يحكم
و كسر لامه عطفا على معمول
آتيناه (ومن لم يحكم بما أنزل الله
فأولئك هم الفاسقون وأنزلنا
اليك) يامحمد (الكتاب)
القرآن (بالحق) متعلق
بأنزلنا (مصدقا لما بين يديه)
قبله (من الكتاب ومهيمنا
شاهدا (عليه) والكتاب
بمعنى الكتب (فاحكم بينهم)
بين أهل الكتاب اذا
ترافعوا اليك (بما أنزل الله)
اليك (ولاتتبع أهواءهم)
عادلا (عما جاءك من الحق
لكل جعلنا منكم) أيها الامم
(شرعة) شريعة (ومنهاجا)
طريقا و اضحا فى الدين

وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التى قبله وعد والثانى مؤكد لغيره ويجوزان ينصب الموصول بفعل يفسره مابعده ووعدالله بقوله سندخلهم لانه بمعنى ونعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر (ومن اصدق من الله قيلا) جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعدالله الصادق لاوليائه والمبالغة فى توكيده ترغيبا للعباد فى تحصيله (ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب) اى ليس ماوعدالله من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولابامانى اهل الكتاب وانماينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمنى ولكن ماوقرفى القلب وصدقه العمل روى ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبيناقبل نبيكم وكتابناقبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحواولى بالله منكم نبيناخاتم النبيين وكتابنا يقضى على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اى ليس الامر بامانى المشركين وهو قولهم لاجنة ولانار وقولهم ان كان الامر كمايزعم هؤلاء لنكونن خيرامنهم واحسن حالاولاامانى اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الامن كان هودا اونصارى وقولهم لن تمسنا النار الاايامامعدودة ثم قررذلك وقال (من يعمل سوءايجزبه) عاجلا اوآجلا لماروى انها لمانزلت قال ابوبكر فمن ينجومع هذا يارسول الله فقال عليه الصلاة والسلام اماتحزن اماتمرض امايصيبك اللاواء قال بلى يارسول الله قال هو ذلك (ولايجدله من دون الله وليا ولانصيرا) ولايجدلنفسه اذاجاوز موالاةالله ونصرته من يواليه وينصره فى دفع العذاب عنه (ومن يعمل من الصالحات بعضها اوشيئا منها فان كل احد لايتمكن من كلها وليس مكلفا بها (من ذكر اوانثى) فى موضع الحال من المستكن فى يعمل ومن للبيان اومن الصالحات اى كائنة من ذكر اوانثى ومن للابتداء (وهو مؤمن) حال شرط اقتران العمل بها فى استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لااعتداد به دونه فيه (فاولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيرا) بنقص شئ من الثواب واذالم ينقص ثواب المطيع فبالحرى ان لايزادعقاب العاصى لان المجازى ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب وقرأ ابن كثيروابوعمرو يدخلون الجنة هنا وفى غافر ومريم بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء (ومن احسن دينا ممن اسلم

يمشون عليه (ولوشاءالله لجعلكم أمة واحدة) على شريعة واحدة (ولكن) فرقكم فرقا (ليبلوكم) ليختبركم (فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة لينظر المطيع منكم والعاصى (فاستبقوا الخيرات) سارعوا اليها (الى الله مرجعكم جميعا) بالبعث (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين ويجزى كلامنكم بعمله (وأن احكم بينهم بماأنزل الله ولاتتبع أهواءهم واحذرهم ل) (أن) لا (يفتنوك) يضلوك (عن بعض ماأنزل الله اليك فان تولوا) عن الحكم المنزل وأرادواغيره (فاعلم أنما يريدالله أن يصيبهم) بالعقوبة فى الدنيا (ببعض ذنوبهم) التى أتوها ومنها التولى ويجازيهم على جميعها فى الاخرى (وان كثيرا من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون) بالياء والتاء يطلبون من المداهنة والميل اذاتولوا استفهام انكارى (ومن) أى لاأحد (أحسن من الله حكما لقوم)

وجهه لله) اخلص نفسه لله لايعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له فى السجود وفى هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ماتبلغه القوة البشرية (وهو محسن) آت بالحسنات تارك للسيئات (واتبع ملة ابراهيم) الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها (حنيفا) مائلا عن سائر الاديان الى دين الاسلام وهو حال من المتبع او الملة او ابراهيم (واتخذ الله ابراهيم خليلا) اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمره تفخيما لشأنه وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ودتخلل النفس وتخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق فى الرمل فانهما يترافقان فى الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان فى الخصال والجملة استئناف جئ بها للترغيب فى اتباع ملته عليه السلام والايذان بانه نهاية فى الحسن وغاية كمال البشرى روى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعث الى خليل له بمصر فى ازمة اصابت الناس من يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد الى لاضياف وقد اصابنا مااصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واخبزت فاستيقظ ابراهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم هذا فقالت من خليلك المصرى فقال بل من عند خليلى الله عزوجل فسماه الله خليلا (ولله مافى السموات ومافى الارض)خلقا وملكا يختار منهما من يشاء ومايشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال (وكان الله بكل شئ محيطا)احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فجازيهم على خيرها وشرها (ويستفتونك فى النساء) فى ميراثهن اذسبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطى الابنة النصف والاخت النصف وانا كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه الصلاة والسلام بذلك امرت (قل الله يفتيكم فيهن) يبين الله لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم (وما يتلى عليكم فى الكتاب) عطف على اسم الله او ضميره المستكن فى يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله تعالى والى مافى القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره اغنانى زيد وعطاؤه

عند قوم (يوقنون) به خصوا بالذكر لانهم الذين يتدبرونه (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء)توالونهم وتوادونهم (بعضهم أولياء بعض) لاتحادهم فى الكفر (ومن يتولهم منكم فانه منهم)من جملتهم (ان الله لايهدى القوم الظالمين) بموالاتهم الكفار (فترى الذين فى قلوبهم مرض) ضعف اعتقاد كعبدالله بن أبى المنافق (يسارعون فيهم) فى موالاتهم (يقولون) معتذرين عنها (نخشى أن تصيبنا دائرة)يدور بها الدهر علينا من جدب اوغلبة ولايتم أمر محمد فلايميرونا قال تعالى (فعسى الله أن يأتى بالفتح)بالنصر لنبيه باظهار دينه (أوأمر من عنده) بهتك ستر المنافقين وافتضاحهم (فيصبحوا على ماأسروا فى انفسهم) من الشك وموالاة الكفار (نادمين ويقول) بالرفع استئنافا بواو ودونها وبالنصب عطفا على يأتى (الذين آمنوا) لبعضهم اذاهتك

او استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان مايتلى عليكم مبتدأ وفى الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم مايتلى عليكم او يخفض على القسم كأنه قيل واقسم بما يتلى عليكم فى الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور فى فيهن لاختلاله لفظا ومعنى (فى يتامى النساء) صلة يتلى ان عطف الموصول على ماقبله اى يتلى عليكم فى شأنهن والا فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم فى زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشئ الى جنسه وقرئ ييامى بياءين على انه ايامى فقلبت همزته ياء (اللاتى لاتؤتونهن ماكتب لهن) اى فرض لهن من الميراث (وترغبون ان تنكحوهن) فى ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا فى ميراثهن والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لايلزم من الرغبة فى نكاحها جريان العقد فى صغرها (والمستضعفين من الولدان) عطف على يتامى النساء والعرب ماكانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء (وان تقوموا لليتامى بالقسط) ايضا عطف عليه اى ويفتيكم او مايتلى فى ان تقوموا هذا اذا جعلت فى يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل اى ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة فى ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة فى شأنهم (وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما) وعد لمن آثر الخير فى ذلك (وان امرأة خافت من بعلها) توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر (نشوزا) تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها (او اعراضا) بان يقل مجالستها ومحادثتها (فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا) ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما فى القراءة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح (والصلح خير) من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ويجوز ان لايراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض

سترهم تعجبا (أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم) غاية اجتهادهم فيها (انهم لمعكم) فى الدين قال تعالى (حبطت) بطلت (أعمالهم) الصالحة (فأصبحوا) صاروا (خاسرين) الدنيا بالفضيحة والآخرة بالعقاب (يا أيها الذين آمنوا من يرتد) بالفك والادغام يرجع (منكم عن دينه) الى الكفر اخبار بما علم الله تعالى وقوعه وقد ارتد جماعة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم (فسوف يأت الله) بدلهم (بقوم يحبهم ويحبونه) قال صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا واشار الى ابى موسى الاشعرى رواه الحاكم فى صحيحه (أذلة) عاطفين (على المؤمنين أعزة) أشداء (على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) فيه كما يخاف المنافقون لوم الكفار (ذلك) المذكور من الاوصاف (فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع) كثير الفضل (عليم) بمن هو أهله * ونزل لما قال ابن سلام

وكذا قوله (واحضرت الانفس الشح) ولذلك اغتفر عدم تجانسها والاول للترغيب فى المصالحة والثانى لتمهيد العذر فى المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير فى حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ماينبغى اذا كرهها واحب غيرها (وان تحسنوا) فى العشرة (وتتقوا) النشوز والاعراض ونقض الحق (فان الله كان بما تعملون) من الاحسان والخصومة (خبيرا) عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذى هو فى الحقيقة جواب الشرط اقامة السبب مقام المسبب (ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء) لان العدل ان لايقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمى فيما املك فلاتؤاخذنى فيما تملك ولا املك (ولو حرصتم) على تحرى ذلك وبالغتم فيه (فلا تميلوا كل الميل) بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان مالايدرك كله لايترك كله (فتذروها كالمعلقة) التى ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كانت له امرأتان يميل مع احديهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل (وان تصلحوا) ماكنتم تفسدون من امورهن (وتتقوا) فيما يستقبل من الزمان (فان الله كان غفورا رحيما) يغفر لكم مامضى من ميلكم (وان يتفرقا) وقرئ وان يتفارقا اى وان يفارق كل منهما صاحبه (يغن الله كلا) منهما عن الآخر ببدل اوسلو (من سعته) غناه وقدرته (وكان الله واسعا حكيما) مقتدرا متقنا فى افعاله واحكامه (ولله مافى السموات وما فى الارض) تنبيه على كمال سعته وقدرته (ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) يعنى اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او بأوتوا ومساق الآية لتأكيد الامر بالاخلاص (واياكم) عطف على الذين (ان اتقوا الله) بان اتقوا الله ويجوز ان تكون ان مفسرة لان التوصية فى معنى القول (وان تكفروا فان لله مافى السموات ومافى الارض) على ارادة القول اى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله ملك الملك كله لايتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لاينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لالحاجته ثم قرر ذلك بقوله (وكان الله غنيا) عن الخلق وعبادتهم (حميدا) فى ذاته حمدا ولم يحمد (ولله مافى السموات وما فى الارض) ذكره ثالثا للدلالة

يارسول الله ان قومنا هجرونا (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) خاشعون أو يصلون صلاة التطوع (ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا) فيعينهم وينصرهم (فان حزب الله هم الغالبون) لنصره اياهم أوقعه موقع فانهم بيانا لانهم من حزبه أى أتباعه (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا) مهزوأبه (ولعبا من) للبيان (الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار) المشركين بالجر والنصب (أولياء واتقوا الله) بترك موالاتهم (ان كنتم مؤمنين) صادقين فى ايمانكم (و) الذين (اذا ناديتم) دعوتم (الى الصلاة) بالاذان (اتخذوها) أى الصلاة (هزؤا ولعبا) بان يستهزؤا بها ويتضاحكوا (ذلك) الاتخاذ (بأنهم) أى بسبب أنهم (قوم لايعقلون) * ونزل لما قال اليهود للنبى صلى الله عليه وسلم بمن نؤمن من الرسل

على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما افاض
عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات على كونه حميدا (وكفى
بالله وكيلا) راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما
ومابينهما تقرير لذلك (ان يشأ يذهبكم ايها الناس) يفنكم ومفعول يشأ
محذوف دل عليه الجواب (ويأت بآخرين) ويوجد قوما آخرين مكانكم
او خلقا آخرين مكان الانس (وكان الله على ذلك) من الاعدام والايجاد
(قديرا) بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد
لمن كفر به وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله
عليه وسلم من العرب ومعناه معنى قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم
لما روى انه لما نزل ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان
وقال انهم قوم هذا (من كان يريد ثواب الدنيا) كالمجاهد يجاهد للغنيمة
(فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) فماله يطلب اخسهما فليطلبهما كمن
يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة اوليطلب الاشرف
منهما فان من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله فى الآخرة ماهى فى جنبه
كلاشئ اوفعند الله ثواب الدارين فيعطى كلا ما يريده كقوله تعالى من كان
يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه الآية (وكان الله سميعا بصيرا) عارفا
بالاغراض فيجازى كلا بحسب قصده (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين
بالقسط) مواظبين على العدل مجتهدين فى اقامته (شهداء لله) اى بالحق
يقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان او حال (ولو على انفسكم) ولو كانت
الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان الحق سواء كان
عليه او على غيره (او الوالدين والاقربين) ولو كانت على والديكم واقاربكم
(ان يكن) اى المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له (غنيا او فقيرا)
فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة اولا تجوروا فيها ميلا وترحما (فالله اولى بهما)
بالغنى والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما اولهما صلاحا
لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير فى بهما راجع الى مادل عليه
المذكور وهو جنسا الغنى والفقير لا اليه والا اوحد ويشهد عليه انه
قرئ فالله اولى بهم (فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا) لان تعدلوا عن الحق
اوكراهة ان تعدلوا من العدل (وان تلووا) السنتكم عن شهادة الحق
اوحكومة العدل قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وابو بكر وعاصم والكسائى

فقال بالله وما أنزل الينا
الآية فلما ذكر عيسى قالوا
لانعلم دينا شرا من دينكم (قل
يا أهل الكتاب هل تنقمون)
تنكرون (منا الا أن آمنا
بالله وما أنزل الينا وما أنزل
من قبل) الى الانبياء (وأن
أكثركم فاسقون) عطف
على أن آمنا المعنى ماتنكرون
الا ايماننا ومخالفتكم فى عدم
قبوله المعبر عنه بالفسق اللازم
عنه وليس هذا مما ينكر
(قل هل أنبئكم) أخبركم
(بشر من) أهل (ذلك)
الذى تنقمونه (مثوبة)
ثوابا بمعنى جزاء (عند الله)
هو (من لعنه الله) أبعده عن
رحمته (وغضب عليه وجعل
منهم القردة والخنازير) بالمسخ
(و) من (عبد الطاغوت)
الشيطان بطاعته وراعى
فى منهم معنى من وفيما قبله
لفظها وهم اليهود وفى قراءة
بضم باء عبد واضافته الى
مابعده اسم جمع لعبد ونصبه
بالعطف على القردة (أولئك
شر مكانا) تمييز لان مأواهم
النار (وأضل عن سواء
السبيل) طريق الحق وأصل
السواء الوسط وذكر شر

باسكان اللام وبعدهـا واوان الاولى مضمومة والثانية ساكنة وقرأحمزة وابن عامر وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة فأديتموها (اوتعرضوا) عن ادائها (فان الله كان بمـا تعملون خبيرا) فيجازيكم عليـه (ياأيهـا الذين آمنوا) خطاب للمسلمين او المنافقين اولمؤمنى اهل الكتاب اذروى ان ابن سلام واصحابه قالوا يارسول الله انا نؤمن بك وبكتـابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بماسواه فنزلت (آمنوا بالله ورسـوله والكتـاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى انزل من قبل) اثبتوا على الايمـان بذلك ودوموا عليـه اوآمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بلسـانكم اوآمنوا ايمـانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمـان بالبعض كلا ايمـان والكتاب الاول القرآن والثـانى الجنس وقرأنافع والكوفيون الذى انزل انزل بفتح الهمزة والنون والزاى والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاى (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) اى من يكفر بشئ من ذلك (فقد ضل ضلالا بعيدا) عن المقصد بحيث لايكاد يعود الى طريقه (ان الذين آمنو) يعنى اليهـود آمنوا بموسى (ثم كـفروا) حـين عبدوا العجل (ثم آمنوا) بعد عوده اليهم (ثم كفروا) بعيسى (ثم ازدادوا كفرا) بمحمد صلى الله عليه وسلم اوقوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا فى الغى (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهـديهم سـبيلا) اذ يستبعد منهم ان يتـوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصـائرهم عميت عن الحق لانهم لواخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان فى امثـال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكـن الله مريدا ليغفر لهم (بشر المنـافقـين بان لهم عذابا اليمـا) يدل على ان الآية فى المنافقين وهم قد آمنوا فى الظاهر وكفروا فى السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافسـاد الامر على المؤمنـين ووضع بشر موضـع انذرتهكم بهم (الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين) فى محل النصب اوالرفع على الذم بمعـنى اريد الذين اوهم الذين (ايبتغون عندهم العزة) ايتعززون بموالاتهم (فان العزة لله جميعـا) لايتعزز الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليـائه فقـال ولله العزة ولرسـوله وللمؤمنـين لايؤبه بعزة غيرهم بالاضـافة اليهم (وقد نزل عليكم فى الكتاب) يعنى القرآن وقرأعاصم وقد نزل والقائم مقام فاعله (ان اذا سمعتم آيات الله) وهى المخففة والمعنى انه اذا سمعتم (يكفر بهـا ويستهزؤ بها) حالان من الآيات جئ بهمـا لتقييد النهى عن المجالسة فى قوله (فلاتقعدوا

وأضل فى مقابلة قولهم لانعلم دينا شرا من دينـكم (واذا جاؤكم) أى منـافقوا اليهود (قالوا آمنـا وقد دخلوا) اليكم متلبسين (بالكفر وهم قدخرجـوا) من عنـدكم ملتبسـين (به) ولم يؤمنوا (والله أعلم بما كانوا يكتمون) ه من النفـاق (وترى كثـيرا منهم) أى اليهود (يسارعون) يقعـون سريعـا (فى الاثم) الكذب (والعدوان) الظلم (وأكلهم السحت) الحرام كالرشا (لبئسما كانوا يعملون) ه عملهم هذا (لولا) هـلا (ينهـاهم الربانيـون والاحبـار) منهم (عن قولهم الاثم) الكـذب (وأكلهم السحت (لبئسما كـانوا يصنعون) ه تركنهيهم (وقالت اليهـود) لمـا ضيق عليهم بتكذيبهم النبى صلى الله عليه وسلم بعـد أن كانوا أكـثر الناس مالا (يد الله مغلولة) مقبوضـة عن ادرار الرزق علينا كنوا به عن البخل تعالى الله عن ذلك قال تعالى (غلت) أمسـكت (أيديهم) عن فعل الخيرات دعاء عليهم (ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان)

معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) الذى هو جزاء الشرط بما اذا كان
من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما نزل
عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم
الآية والضمير فى معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها
(انكم اذا مثلهم) فى الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار
عليهم او الكفران رضيتم بذلك اولان الذين يقاعدون الخائضين فى القرآن
من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه (ان الله جامع المنافقين والكافرين
فى جهنم جميعا) يعنى القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها
بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر
او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبنى
كقوله مثل ما انكم تنطقون (الذين يتربصون بكم) ينتظرون وقوع امر بكم
وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين او ذم مرفوع
او منصوب او مبتدأ خبره (فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم)
مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم (وان كان للكافرين نصيب) من الحرب
فانها سجال (قالوا الم نستحوذ عليكم) اى قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن
من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ
يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل (ونمنعكم من المؤمنين) بان خذلناهم
بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا فى مظاهرتهم فاشركونا فيما
اصبتم وانما سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه
مقصور على امر دنيوى سريع الزوال (فالله يحكم بينكم يوم القيامة
ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) حينئذ اوفى الدنيا والمراد
بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شرى الكافر المسلم والحنفية
على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفى ان يكون اذا عاد
الى الايمان قبل مضى العدة (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم)
سبق الكلام فيه اول سورة البقرة (واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى)
متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان (يراؤن الناس)
ليخالوهم مؤمنين والمراآة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان
المرائى يرى من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه (ولا يذكرون الله الا قليلا)
اذ المرائى لا يفعل الا بحضرة من يرائيه وهو اقل احواله اولان ذكرهم

مبالغة فى الوصف بالجود وثنى
اليد لافادة الكثرة اذ غاية
ما يبذله السخى من ماله أن
يعطى بيديه (ينفق كيف
يشاء) من توسيع وتضييق
لا اعتراض عليه (وليزيدن
كثيرا منهم ما أنزل اليك من
ربك) من القرآن (طغيانا
وكفرا) لكفرهم به (وألقينا
بينهم العداوة والبغضاء
الى يوم القيامة) فكل فرقة منهم
تخالف اخرى (كلما أوقدوا
نارا للحرب) اى لحرب النبى
صلى الله عليه وسلم (أطفأها
الله) أى كلما أرادوه ردهم
(ويسعون فى الارض
فسادا) أى مفسدين بالمعاصى
(والله لا يحب المفسدين)
بمعنى انه يعاقبهم (ولو أن
أهل الكتاب آمنوا) بمحمد
صلى الله عليه وسلم (واتقوا)
الكفر (لكفرنا عنهم سيئاتهم
ولادخلناهم جنات النعيم
ولو أنهم أقاموا التوراة
والانجيل) بالعمل بما فيهما
ومنه الايمان بالنبى صلى الله
عليه وسلم (وما أنزل اليهم)
من الكتب (من ربهم لأكلوا
من فوقهم ومن تحت
أرجلهم) بان يوسع عليهم

بالاسان قيل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلاة وقيل الذكر فيها فانهم لايذكرون فيها غير التكبير والتسليم (مذبذبين بين ذلك) حال من واو يراؤون كقوله ولايذكرون اى يراؤونهم غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشئ مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال الغير المعجمة بمعنى اخذوا تارة فى دبة وتارة فى دبة وهى الطريقة (لاالى هؤلاء ولاالى هؤلاء) لامنسوبين الى المؤمنين ولاالى الكافرين اولاصائرين الى احد الفريقين بالكلية (ومن يضلل الله فلن تجدله سبيلا) الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور (ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين) فانه صنيع المنافقين وديدنهم فلاتتشبهوا بهم (اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق اوسلطانا يسلط عليكم عقابه (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) وهى الطبقة التى فى قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة اذضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله عليه الصلاة والسلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ؤتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة ومتتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع على ادراك (ولن تجدلهم نصيرا) يخرجهم منه (الاالذين تابوا) عن النفاق (واصلحوا) ماافسدوا من اسرارهم واحوالهم فى حال النفاق (واعتصموا بالله) وثقوا به وتمسكوا بدينه (واخلصوا دينهم لله) لايريدون بطاعتهم غير وجهه (فاولئك مع المؤمنين) ومن عدادهم فى الدارين (وسوف يؤتى الله المؤمنين اجرا عظيما) فيساهمونهم فيه (مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) ايتشفى به غيظا اويدفع به ضرا اويستجلب به نفعا وهو الغنى المتعالى عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدى الى مرض فاذا ازاله بالايمان والشكر ونقى عنه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة

الرزق ويفيض من كل جهة (منهم أمة) جماعة (مقتصدة) تعمل به وهم من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم كعبدالله بن سلام واصحابه (وكثير منهم ساء) بئس (ما) شيئا (يعملون ياأيها الرسول بلغ) جميع (ماأنزل اليك من ربك) ولاتكتم شيئا منه خوفا أن تنال بمكروه (وان لم تفعل) أى لم تبلغ جميع ماأنزل اليك (فابلغت رسالته) بالافراد والجمع لان كتمان بعضها ككتمان كلها (والله يعصمك من الناس) أن يقتلوك وكان صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فقال انصرفوا فقد عصمنى الله رواه الحاكم (ان الله لايهدى القوم الكافرين قل ياأهل الكتاب لستم على شئ) من دين معتدبه (حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) بأن تعملوا بمافيه ومنه الايمان بى (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك) من القرآن (طغيانا وكفرا) لكفرهم به (فلاتأس) تحزن (على

اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به (وكان الله شاكرا) مثيبا يقبل اليسير ويعطى الجزيل (عليما) بحق شكركم وايمانكم (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روى ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا اى ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله (وكان الله سميعا) لكلام المظلوم (عليما) بالظالم (ان تبدوا خيرا) طاعة وبرا (او تخفوه) او تفعلوه سرا (او تعفوا عن سوء) لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله (فان الله كان عفوا قديرا) اى يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث المظلوم على تمهيد العفو بعد ما رخص له فى الانتصار حملا على مكارم الاخلاق (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله) بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) نؤمن ببعض الانبياء ونكفر بعضهم (ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا) طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل فى الضلال كما قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال (اولئك هم الكافرون) هم الكاملون فى الكفر لا عبرة بايمانهم هذا (حقا) مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اى يقينا محققا (واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم) اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين على احد وهو يقتضى متعدد العمومه من حيث انه وقع فى سياق النفى (اولئك سوف نؤتيهم اجورهم) الموعودة لهم وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تأخر وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب بالياء على تلوين الخطاب (وكان الله غفورا) لما فرط منهم (رحيما) عليهم بتضعيف حسناتهم (يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء) نزلت فى احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فائتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه السلام وقيل كتابا محررا بخط سماوى على الواح كما كانت التوراة او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله (فقد سألوا موسى اكبر من ذلك

القوم الكافرين) ان لم يؤمنوا بك أى لا تهتم بهم (ان الذين آمنوا والذين هادوا) هم اليهود مبتدأ (والصابؤن) فرقة منهم (والنصارى) ويبدل من المبتدأ (من آمن) منهم (بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فى الآخرة خبر المبتدا ودال على خبر ان (لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل) على الايمان بالله ورسله (وأرسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول) منهم (بما لا تهوى أنفسهم) من الحق كذبوه (فريقا) منهم (كذبوا وفريقا) منهم (يقتلون) كزكريا ويحيى والتعبير به دون قتلوا حكاية للحال الماضية للفاصلة (وحسبوا) ظنوا (الا تكون) بالرفع فان مخففة والنصب فهى ناصبة أى تقع (فتنة) عذاب بهم على تكذيب الرسل وقتلهم (فعموا) عن الحق فلم يبصروه (وصموا) عن استماعه (ثم تاب الله عليهم)

جواب شرط مقدر اى ان استكبرت ماسألوه منك فقد سألوا موسى عليه السلام اكبر منه وهذا السؤال وان كان من آبائهم اسند اليهم لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم والمعنى ان عرقهم راسخ فى ذلك وان مااقترحوه عليك ليس باول جهالاتهم وخيالاتهم (فقالوا ارنا الله جهرة) عيانا اى ارناه نره جهرة اومجاهرين معاينين له (فاخذتهم الصاعقة) نار جاءت من السماء فاهلكتهم (بظلمهم) بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل فى تلك الحال التى كانوا عليها وذلك لايقتضى امتناع الرؤية مطلقا (ثم اتخذوا العجل من بعد ماجاءتهم البينات) هذه الجناية الثانية التى اقترفها ايضا اوائلهم والبينات المعجزات ولايجوز حملها على التوراة اذلم تأتهم بعد (فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا) تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم (ورفعنا فوقهم الطور) بميثاقهم) بسبب ميثاقهم ليقبلوه (وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا) على لسان موسى والطور مظل عليهم (وقلنا لهم لاتعدوا فى السبت) على لسان داود ويحتمل ان يراد على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به فى زمن داود وقرأ ورش عن نافع لاتعدوا على ان اصله لاتعتدوا فادغمت التاء فى الدال وقرأ قالون باخفاء حركة العين وتشديد الدال والنص عنه بالاسكان (واخذنا منهم ميثاقا غليظا) على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا (فبما نقضهم ميثاقهم) اى فخالفوا ونقضوا ففعلنا لهم مافعلنا بنقضهم وما مزيدة للتأكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان يتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وماعطف عليه الى قوله فبظلم لابما يدل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لايؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلايعمل فى جاره (وكفرهم بآيات الله) بالقرآن او بما فى كتابهم (وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف) اوعية للعلوم اوفى اكنة مما تدعونا اليه (بل طبع الله عليها بكفرهم) فجعلها محجوبة عن العلم اوخذلها ومنعها التوفيق للتدبر فى الآيات والتذكر بالمواعظ (فلايؤمنون الاقليلا) منهم كعبدالله بن سلام اوايمانا قليلا لاعبرة به لنقصانه (وبكفرهم) بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع اوعلى قوله فبما نقضهم ويجوزان يعطف مجموع هذا

لما تابوا (ثم عموا وصموا) ثانيا (كثير منهم) بدل من الضمير (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم به (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) سبق مثله (وقال) لهم (المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم) فانى عبد ولست باله (انه من يشرك بالله) فى العبادة غيره (فقد حرم الله عليه الجنة) منعه ان يدخلها (ومأواه النار وما للظالمين من) زائدة (أنصار) يمنعونهم من عذاب الله (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث) آلهة (ثلاثة) أى أحدها والآخر ان عيسى وامه وهم فرقة من النصارى (ومامن اله الااله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون) من التثليث ويوحدوا (ليمسن الذين كفروا) أى ثبتوا على الكفر (منهم عذاب أليم) مؤلم هو النار (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه) مما قالوه استفهام توبيخ (والله غفور) لمن تاب (رحيم) به (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت)

وماعطف عليه على مجموع ماقبله ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلاة والسلام (وقولهم على مريم بهتانا عظيما) يعني نسبتها الى الزنا (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) اى بزعمهم ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون وان يكون استئنافا من الله بمدحه اووضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح (وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) روى ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافقه فخرج ليدل عليه فألقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب وقتل وقيل دخل طيطانوس اليهودى بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التى لاتستبعد فى زمان النبوة وانماذمهم الله تعالى بمادل عليه الكلام من جراءتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لالقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور وكأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول اوفى الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس اوالى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثم قتيلا (وان الذين اختلفوا فيه) فى شأن عيسى السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعنى الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت (لفى شك منه) لفى تردد والشك كما يطلق على مالا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى مايقابل العلم ولذلك اكده بقوله (مالهم به من علم الا اتباع الظن) استثناء منقطع اى ولكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذى تسكن اليه النفس جزما كان اوغيره فيتصل الاستثناء (وماقتلوه يقينا) قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح اومتيقنين وقيل معناه ماعلموه يقينا

مضت (من قبله الرسل) فهو يمضى مثلهم وليس باله كما زعموا والالما مضى (وأمه صديقة) مبالغة فى الصدق (كانا يأكلان الطعام) كغيرهما من الحيوانات ومن كان كذلك لايكون الها لتركيبه وضعفه وما ينشأ منه من البول والغائط (انظر) متعجبا (كيف نبين لهم الآيات) على وحدانيتنا (ثم انظر انى) كيف (يؤفكون) يصرفون عن الحق مع قيام البرهان (قل اتعبدون من دون الله) أى غيره (مالايملك لكم ضرا ولانفعا والله هو السميع) لاقوالكم (العليم) باحوالكم والاستفهام للانكار (قل ياأهل الكتاب) اليهود والنصارى (لاتغلوا) تجاوزوا الحد (فى دينكم) غلوا (غير الحق) بأن تضعوا عيسى أو ترفعوه فوق حقه (ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) بغلوهم وهم أسلافهم (وأضلوا كثيرا) من الناس (وضلوا عن سواء السبيل) طريق

كقول الشاعر * كذلك يخبر عنها العالمات بها * وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته اذا تبالغ علمك فيه (بل رفعه الله اليه) رد وانكار لقتله واثبات لرفعه (وكان الله عزيزا) لايغلب على ماريد (حكيما) فيما دبر لعيسى لايعبث (وان من اهل الكتاب الاليؤمنن به قبل موته) اى ومامن اهل الكتاب احد الاليؤمنن به فقوله ليؤمنن جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى والمعنى مامن اليهود والنصارى احد الاليؤمنن بان عيسى عبدالله ورسوله قبل ان يموت ولوحين ان تزهق روحه ولاينفعه ايمانه ويؤيد ذلك قرئ الاليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل يظطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير ان لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء آمن به اهل الملل جميعا روى انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولايبقى احد من اهل الكتاب الايؤمنن به حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه (ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا) فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله (فبظلم من الذين هادوا) اى اى فباى ظلم منهم (حرمنا عليهم طيبات احلت لهم) يعنى ماذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا (وبصدهم عن سبيل الله كثيرا) ناسا كثيرا اوصدا كثيرا (واخذهم الربوا وقدنهوا عنه) كان الربامحرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهى على التحريم (واكلهم اموال الناس بالباطل) بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة (واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما) دون من تاب وآمن (لكن الراسخون في العلم منهم) كعبدالله بن سلام واصحابه (والمؤمنون) اى منهم اومن المهاجرين والانصار (يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك) خبر المبتدأ (والمقيمين الصلاة) نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك اوعطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اى يؤمنون بالكتب وبالانبيا وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون اوعلى الضمير في يؤمنون اوعلى انه مبتدأ والخبر اولئك سنؤتيهم (والمؤتون الزكاة) رفعه لاحد الاوجه المذكورة (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب ومايصدقه من اتباع

الحق والسواء في الاصل الوسط (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود) بأن دعا عليهم فمسخوا قردة وهم أصحاب أيلة (وعيسى ابن مريم) بأن دعا عليهم فمسخوا خنازير وهم أصحاب المائدة (ذلك) اللعن (بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لايتناهون) أى لاينهى بعضهم بعضا (عن) معاودة (منكر فعلوه لبئسما كانوا يفعلون) به فعلهم هذا (ترى) يامحمد (كثيرا منهم يتولون الذين كفروا) من أهل مكة بغضا لك (لبئسما قدمت لهم أنفسهم) من العمل لمعادهم الموجب لهم (أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي) محمد (وما أنزل اليه مااتخذوهم) أى الكفار (أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون) خارجون عن الايمان (لتجدن) يامحمد (اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) من أهل مكة لتضاعف كفرهم وجهلهم وانهما كهم في اتباع الهوى (ولتجدن أقربهم

الشرايع لانه المقصود بالآية (اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما) على جمعهم بين
الايمان الصحيح والعمل الصالح وقرأ حمزة سيؤتيهم بالياء (انا اوحينا اليك
كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده) جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم
ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره بالوحى كسائر الانبياء
(واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب
ويونس وهرون وسليمان) خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما
لهم فان ابراهيم اول اولى العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين اشراف
الانبياء ومشاهيرهم (وآتينا داود زبورا) وقرأ حمزة زبورا بالضم وهو جمع
زبر بمعنى مزبور (ورسلا) نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك كارسلنا
اوفسره (قد قصصناهم عليك من قبل) اى من قبل هذه السورة او اليوم
ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما) وهو منتهى مراتب
الوحى خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا صلى الله عليه وسلم
بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم (رسلا مبشرين ومنذرين) نصب
على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك
مررت بزيد رجلا صالحا (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فيقولوا
لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا مالم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة
الانبياء الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر
عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة
اسم كان وخبره للناس او على الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه
مصدر وبعد ظرف لها او صفة (وكان الله عزيزا) لا يغلب فيما يريده (حكيما)
فيما دبر من امر النبوة وخص كل نبى بنوع من الوحى والاعجاز (لكن الله
يشهد) استدراك عن مفهوم ما قبله وكأنه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب
ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم
لا يشهدون ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره (بما انزل
اليك) من القرآن المعجز الدال على نبوتك روى انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا
ما نشهد لك فنزلت (انزله بعلمه) انزله متلبسا بعلمه الخاص به وهو العلم
بتأليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة ويستأهل
نزول الكتاب عليه او بعلمه الذى يحتاج اليه الناس فى معاشهم ومعادهم
فالجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول

مودة للذين آمنوا الذين
قالوا انا نصارى ذلك) أى
قرب مودتهم للمؤمنين (بان)
بسبب أن (منهم قسيسين)
علماء (ورهبانا) عبادا
(وأنهم لا يستكبرون) عن
اتباع الحق كما يستكبر اليهود
وأهل مكة نزلت فى وفد
النجاشى القادمين عليهم
من الحبشة قرأ صلى الله عليه
وسلم سورة يس فبكوا وأسلموا
وقالوا ما أشبه هذا بما كان
ينزل على عيسى قال تعالى
(واذا سمعوا ما أنزل الى
الرسول) من القرآن (ترى
اعينهم تفيض من الدمع مما
عرفوا من الحق يقولون
ربنا آمنا) صدقنا بنبيك
وكتابك (فاكتبنا مع
الشاهدين) المقرين
بتصديقهما (و) قالوا
فى جواب من عيرهم بالاسلام
من اليهود (ومالنا لا نؤمن بالله
وما جاءنا من الحق) القرآن
أى لا مانع لنا من الايمان مع
وجود مقتضيه (ونطمع)
عطف على نؤمن (أن
يدخلنا ربنا مع القوم
الصالحين) المؤمنين الجنة
قال تعالى (فأثابهم الله بما

والجملة كالتفسير لما قبلها (والملائكة يشهدون) ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغنى عن النظر والتأمل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها (وكفى بالله شهيدا) وكفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا) لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اغرق فى الضلال وابعد من الانقلاع عنه (ان الذين كفروا وظلموا) محمدا صلى الله عليه وسلم بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم اوباعم من ذلك والآية تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا) لجرى حكمه السابق ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد فى النار وخالدين حال مقدرة (وكان ذلك على الله يسيرا) لا يعسر عليه ولا يستعظمه (يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد (فآمنوا خيرا لكم) اى ايمانا خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لابد منه ولانه يؤدى الى حذف الشرط وجوابه (وان تكفروا فان لله ما فى السموات والارض) يعنى وان تكفروا فهو غنى عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما فى السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه (وكان الله عليما) باحوالهم (حكيما) فيما دبرلهم (يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم) الخطاب للفريقين غلت اليهود فى حط عيسى عليه السلام حتى رموه بانه ولد لغير رشدة والنصارى فى رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق لقوله (ولا تقولوا على الله الا الحق) يعنى تنزيهه عن الصاحبة والولد (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم) اوصلها اليها وحصلها فيها (وروح منه) وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجرى مجرى الاصل والمادة له وقيل

قالوا جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين) بالايمان (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك اصحاب الجحيم) ونزل لما هم قوم من الصحابة أن يلازموا الصوم والقيام ولا يقربوا النساء والطيب ولا ياكلوا اللحم ولا يناموا على الفراش (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا) تتجاوزوا أمر الله (ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) مفعول والجار والمجرور قبله حال متعلق به (واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو) الكائن (فى أيمانكم) هو ما يسبق اليه اللسان من غير قصد الحلف كقول الانسان لا والله وبلى والله (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم) بالتخفيف والتشديد وفى قراءة عاقدتم (الايمان) عليه بان حلفتم عن قصد (فكفارته) اى اليمين اذا حنثتم فيه (اطعام عشرة مساكين) لكل مسكين مد (من أوسط

سمى روحا لانه كان يحيى الاموات او القلوب (فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة) اى الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذونى وامى آلهين من دون الله اوالله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحياة (انتهوا) عن التثليث (خيرا لكم) نصبه لما سبق (انما الله اله واحد) واحد بالذات لاتعدد فيه بوجه ما (سبحانه ان يكون له ولد) اى اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق اليه فناء (له ما فى السموات ومافى الارض) ملكا وخلقا لايماثله شئ من ذلك فيتخذه ولدا (وكفى بالله وكيلا) تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف فى ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه (لن يستنكف المسيح) لن يأنف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كى لايرى اثره عليك (ان يكون عبدالله) من ان يكون عبدا له فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف فى عبودية غيره روى ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال صلى الله تعالى عليه وسلم ومن صاحبكم قالوا عيسى عليه السلام قال عليه السلام واى شئ اقول قالوا تقول انه عبدالله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبدالله قالوا بلى فنزلت (ولا الملائكة المقربون) عطف على المسيح اى ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقه لرد النصارى فى رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضى ان يكون المعطوف اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الآية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لايخالفه رئيس ولا مرؤوس وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين هم حول العرش اومن اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك لايستلزم فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) ويترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لااستحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون

ماتطعمون) منه (أهليكم) أى أقصده وأغلبه لاأعلاه ولاأدناه (اوكسوتهم) بما يسمى كسوة كقميص وعمامة وازار ولايكفى دفع ماذكر الى مسكين واحد وعليه الشافعى (أوتحرير) عتق (رقبة) أى مؤمنة كما فى كفارة القتل والظهار حملا للمطلق على المقيد (فمن لم يجد) واحدا مما ذكر (فصيام ثلاثة أيام) كفارته وظاهره انه لايشترط التتابع وعليه الشافعى (ذلك) المذكور (كفارة أيمانكم اذا حلفتم) وحنثتم (واحفظوا أيمانكم) ان تنكثوها مالم تكن على فعل بر أو اصلاح بين الناس كما فى سورة البقرة (كذلك) أى مثل مابين لكم ماذكر (يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون) ه على ذلك (ياأيها الذين آمنوا انما الخمر) المسكر الذى يخامر العقل (والميسر) القمار (والانصاب) الاصنام (والازلام) قداح الاستقسام (رجس) خبيث مستقذر (من عمل الشيطان) الذى يزينه (فاجتنبوه)

باستحقاق (فسيحشرهم اليه جميعا) فيجازيهم (فاما الذين آمنوا
وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا
واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا)
تفضيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكأنه قال فسيحشرهم
اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم
بالاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة (يا أيها الناس قد جاءكم برهان
من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا) عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن اى
قد جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان
الدين او رسول الله صلى الله عليه وسلم او القرآن (فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا
به فسيدخلهم في رحمة منه) في ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق
واجب (وفضل) احسان زائد عليه (ويهديهم اليه) الى الله وقيل الى الموعود
(صراطا مستقيما) هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة
(يستفتونك) اى في الكلالة حذفت لدلالة الجواب عليها روى ان جابر
ابن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال
انى كلالة فكيف اصنع في مالى فنزلت وهى آخر ما نزلت في الاحكام (قل الله
يفتيكم في الكلالة) سبق تفسيرها في اوائل السورة (ان امرؤ هلك ليس له ولد
وله اخت فلها نصف ما ترك) ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس
له ولد صفة له او حال من المستكن في هلك والواو في وله يحتمل الحال والعطف
والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة وابن
الام لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند
عامة العلماء غير ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لكنها لا ترث النصف
(وهو يرثها) اى والمرء يرث اخته ان كان الامر بالعكس (ان لم يكن لها
ولد) ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر
اذ البنت لا تحجب الاخ والآية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل
على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا
مفهوم قوله قل الله يفتيكم في الكلالة ان فسرت بالميت (فان كانتا اثنتين
فلهما الثلثان مما ترك) الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى
وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر
والكبر وغيرهما (وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين)

أى الرجس المعبر به عن هذه
الاشياء أن تفعلوه (لعلكم
تفلحون انما يريد الشيطان
أن يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والميسر)
اذا اتيتموهما لما يحصل فيهما
من الشر والفتن (ويصدكم)
بالاشتغال بهما (عن ذكر الله
وعن الصلوة) خصهما
بالذكر تعظيما لهما (فهل
أنتم منتهون) عن اتيانهما
أى انتهوا (وأطيعوا الله
وأطيعوا الرسول واحذروا)
المعاصى (فان توليتم) عن
الطاعة (فاعلموا أنما على
رسولنا البلاغ المبين) الا البلاغ
البين وجزاؤكم علينا (ليس
على الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جناح فيما طعموا)
أكلوا من الخمر والميسر قبل
التحريم (اذا ما اتقوا)
المحرمات (وآمنوا وعملوا
الصالحات ثم اتقوا وآمنوا)
ثبتوا على التقوى والايمان
(ثم اتقوا وأحسنوا) العمل
(والله يحب المحسنين) بمعنى
أنه يثيبهم (يا أيها الذين آمنوا
ليبلونكم) ليختبرنكم (الله
بشئ) يرسله لكم (من الصيد
تناله) أى الصغار منه (أيديكم

اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر (يبين الله لكم ان تضلوا) اى يبين لكم ضلالكم الذى من شأنكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتحروا خلافه او يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين (والله بكل شئ عليم) فهو عالم بمصالح العباد فى المحيا والممات * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطى من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان فى مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم

(سورة المائدة مدنية وهى مائة وثلاث وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة * قوم اذا عقدوا عقد الجارهم * شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا * واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود مايعم العقود التى عقدها الله تعالى على عباده والزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب (احلت لكم بهيمة الانعام) تفصيل للعقود والبهيمة كل حى يميز وقيل كل ذات اربع قوائم واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام وهى الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام فى الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه (الا ما يتلى عليكم) الا محرم ما يتلى عليكم كقوله تعالى حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه (غير محلى الصيد) حال من الضمير فى لكم وقيل من واو اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول (وانتم حرم) حال مما استكن فى محلى والحرم جمع حرام وهو المحرم (ان الله يحكم ما يريد) من تحليل او تحريم (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) يعنى مناسك الحج جمع شعيرة وهى اسم ما اشعر اى جعل شعارا سمى به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحج واعلام النسك وقيل دين الله لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله اى دينه وقيل فرائضه التى حدها لعباده (ولا الشهر الحرام) بالقتال فيه او بالنسئ (ولا الهدى) ما اهدى الى الكعبة جمع هدية

ورما حكم) الكبار منه وكان ذلك بالحديبية وهم محرمون فكانت الوحش والطير تغشاهم فى رحالهم (ليعلم الله) علم ظهور (من يخافه بالغيب) حال أى غائبا لم يره فيجتنب الصيد (فمن اعتدى بعد ذلك) النهى عنه فاصطاده (فله عذاب أليم يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) محرمون بحج أو عمرة (ومن قتله منكم متعمدا فجزاء) بالتنوين ورفع ما بعده أى فعليه جزاء هو (مثل ما قتل من النعم) أى شبهه فى الخلقة وفى قراءة باضافة جزاء (يحكم به) أى بالمثل رجلان (ذوا عدل منكم) لهما فطنة يميزان بها أشبه الاشياء به وقد حكم ابن عباس وعمر وعلى فى النعامة ببدنة وابن عباس وأبو عبيدة فى بقر الوحش وحماره ببقرة وابن عوف فى الظبى بشاة وحكم بها ابن عباس وعمر وغيرهما فى الحمام لانه يشبهها فى العب (هديا) حال من جزاء (بالغ الكعبة) أى يبلغ به الحرم فيذبح فيه ويتصدق به على مساكينه

ولا يجوز أن يذبح حيث كان ونصبه تمتعا لما قبله وان أضيف لأن اضافته لفظية لاتفيد تعريفا فان لم يكن للصيد مثل من النعم كالعصفور والجراد فعليه قيمته (أو) عليه (كفارة) غير الجزاء وان وجده هي (طعام مساكين) من غالب قوت البلد مايساوي قيمة الجزاء لكل مسكين مد وفي قراءة باضافة كفارة لما بعده وهي للبيان (أو) عليه (عدل) مثل (ذلك) الطعام (صياما) يصومه عن كل مد يوما وان وجده وجب ذلك عليه (ليذوق وبال) ثقل جزاء (أمره) الذي فعله (عفا الله عما سلف) من قتل الصيد قبل تحريمه (ومن عاد) اليه (فينتقم الله منه والله عزيز) غالب على أمره (ذو انتقام) ممن عصاه وألحق بقتله متعمدا فيما ذكر الخطأ (أحل لكم) أيها الناس حلالا كنتم أو محرمين (صيد البحر) أن تأكلوه وهو مالا يعيش الا فيه كالسمك بخلاف ما يعيش فيه وفي البر كالسرطان (وطعامه) مايقذفه

يجري في جمع جدية السرج (ولا القلائد) اي ذوات القلائد من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص فانها اشرف الهدي او القلائد انفسها والنهي عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره قوله تعالى ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهو ماقلد به الهدي من نعل او لحاء شجر او غيرهما ليعلم بداته هدي فلا يتعرض له (ولا آمين البيت الحرام) قاصدين لزيارته (يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا) ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في آمين وليست صفة لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شأنه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذروي ان الآية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطمة شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين (واذا حللتم فاصطادوا) اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الآتي بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا وقرئ احللتم يقال حل المحرم واحل (ولا يجرمنكم) اي لا يحملنكم او لا يكسبنكم (شنآن قوم) شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرأ ابن عامر واسماعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت اكثر كعطشان وسكران (ان صدوكم عن المسجد الحرام) لان صدوكم عام الحديبية وقرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم (ان تعتدوا) بالانتقام ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرأ يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين (وتعاونوا على البر والتقوى) على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) للتشفي والانتقام (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) فانتقامه اشد (حرمت عليكم الميتة) بيان ما يتلى عليكم والميتة مافارقه الروح من غير تذكية (والدم) اي الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها (ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به

اى رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه
(والمنخنقة) التى ماتت بالخنق (والموقوذة) المضروبة بنحو خشب اوحجر
حتى تموت من وقذته اذا ضربته (والمتردية) التى تردت من علو اوفى بئر فماتت
(والنطيحة) التى نطحتها اخرى فماتت والتاء فيهما للنقل (وما اكل
السبع) اى وما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح الصيد
اذا اكلت مما اصطادته لم يحل (الا ماذكيتم) الا ماادركتم ذكاته وفيه حياة
مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة فى الشرع
بقطع الحلقوم والمرئ بمحدد (وماذبح على النصب) النصب واحد
الانصاب وهى احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون
ذلك قربة وقيل هى الاصنام وعلى بمعنى اللام اوعلى اصلها بتقدير وماذبح
مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب (وان تستقسموا بالازلام)
اى وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا
ثلاثة اقداح مكتوب على احدها "امرنى ربى" وعلى الآخر "نهانى" والثالث
غفل فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهى تجنبوا عنه وان
خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ماقسم لهم دون
مالم يقسم لهم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء
المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد (ذلكم فسق) اشارة الى
الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول فى علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك
طريق اليه وافتراء على الله ان اريد بربى الله وجهالة وشرك ان اريد به صنم
او الميسر الحرم اوالى تناول ماحرم عليكم (اليوم) لم يرد به يوما بعينه وانما
المراد الزمن الحاضر ومايتصل به من الازمنة الآتية وقيل اراد يوم نزولها
وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع (يئس الذين كفروا
من دينكم) اى من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من
ان يغلبوكم عليه (فلا تخشوهم) ان يظهروا عليكم (واخشون) واخلصوا
الخشية لى (اليوم اكملت لكم دينكم) بالنصر والاظهار على الاديان كلها
او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين
الاجتهاد (واتممت عليكم نعمتى) بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح
مكة وهدم منار الجاهلية (ورضيت لكم الاسلام) اخترته لكم (دينا) من بين
الاديان وهو الدين عند الله لاغير (فمن اضطر) متصل بذكر المحرمات

ميتا (متاعا) تمتيعا (لكم)
تأكلونه (وللسيارة)
المسافرين منكم يتزودونه
(وحرم عليكم صيد البر)
وهو مايعيش فيه من الوحش
الماكول أن تصيدوه (مادمتم
حرما) فلو صاده حلال
فللمحرم أكله كما بينته السنة
(واتقوا الله الذى اليه تحشرون
جعل الله الكعبة البيت
الحرام) المحرم (قياما للناس)
يقوم به أمر دينهم بالحج اليه
ودنياهم يأمن داخله وعدم
التعرض له وجبى ثمرات كل
شئ اليه وفى قراءة قيما بلا ألف
مصدر قام غير معل (والشهر
الحرام) بمعنى الاشهر الحرم
ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم ورجب قياما لهم
بأمنهم القتال فيها (والهدى
والقلائد) قياما لهم يأمن
صاحبهما من التعرض له
(ذلك) الجعل المذكور
(لتعلموا أن الله يعلم مافى السموات
ومافى الارض وأن الله
بكل شئ عليم) فان جعله
ذلك لجلب المصالح لكم
ودفع المضار عنكم قبل
وقوعها دليل على علمه بماهو
فى الوجود وماهو كائن

ومابينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها
من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضى والمعنى فمن اضطر
الى تناول شئ من هذه المحرمات (في مخمصة) مجاعة (غير متجانف لاثم)
غير مائل له ومنحرف اليه بان يأكلها تلذذا او متجاوز احد الرخصة لقوله
غير باغ ولا عاد (فان الله غفور رحيم) لا يؤاخذه بأكله (يسألونك ماذا
احل لهم) لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام
فى ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسألونك بلفظ الغيبة
وكلا الوجهين سائغ فى امثاله والمسؤل ماحل لهم من المطاعم كأنهم لما تلى
عليهم ماحرم عليهم سألوا عما احل لهم (قل احل لكم الطيبات) مالم تستخبثه
الطباع السليمة ولم تتنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب اومالم يدل
نص اوقياس على حرمته (وما علمتم من الجوارح) عطف على الطيبات ان
جعلت ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا
وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع
والطير (مكلبين) معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها
بالصيد مشتق من الكلب لان التأديب يكون اكثر فيه وآثر اولان كل سبع يسمى
كلبا لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه
على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة فى التعليم (تعلمونهن) حال ثانية
او استئناف (مما علمكم الله) من الحيل وطرق التأديب فان العلم بها الهام من الله
تعالى او مكتسب بالعقل الذى هو منحة منه اومما علمكم ان تعلموه من اتباع
الصيد بارسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه
الصيد ولا يأكل منه (فكلوا مما امسكن عليكم) وهو مالم يأكل منه لقوله
عليه الصلاة والسلام لعدى بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل انما امسك على
نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك فى سباع الطير
لان تأديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون لا يشترط مطلقا (واذكروا
اسم الله عليه) الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله اولما امسكن
بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكاته (واتقوا الله) فى محرماته (ان الله سريع
الحساب) فيؤاخذكم بما جل ودق (اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين
اوتوا الكتاب حل لكم) يتناول الذبائح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب
اليهود والنصارى واستثنى على رضى الله تعالى عنه بنى تغلب وقال ليسوا

(اعلموا أن الله شديد العقاب)
لاعدائه (وأن الله غفور)
لاوليائه (رحيم) بهم (ما على
الرسول الا البلاغ) الابلاغ
لكم (والله يعلم ما تبدون)
تظهرون من العمل (وما
تكتمون) تخفون منه
فيجازيكم به (قل لا يستوى
الخبيث) الحرام (والطيب)
الحلال (ولو أعجبك) أى سرك
(كثرة الخبيث فاتقوا الله)
فى تركه (يا أولى الالباب
لعلكم تفلحون) تفوزون
*ونزل لما أكثروا سؤاله
صلى الله عليه وسلم (يا أيها
الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء
ان تبد) تظهر (لكم تسؤكم)
لما فيها من المشقة (وان
تسألوا عنها حين ينزل
القرآن) أى فى زمن النبى
صلى الله عليه وسلم (تبد لكم)
المعنى اذا سألتم عن أشياء
فى زمنه ينزل القرآن بابدائها
ومتى أبداها ساءتكم فلا
تسألوا عنها قد (عفا الله عنها)
عن مسئلتكم فلا تعودوا
(والله غفور حليم قد سألها)
أى الاشياء (قوم من قبلكم)
أنبياءهم فاجيبوا ببيان
أحكامها (ثم أصبحوا)

على النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحقوا بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم (وطعامكم حل لهم) فلا حرج عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك (والمحصنات من المؤمنات) اى الحرائر العفائف وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى (والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) وان كن حربيات وقال ابن عباس رضى الله عنهما لا تحل الحربيات (اذا آتيتموهن اجورهن) مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتأكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد بايتائها التزامها (محصنين) اعفاء بالنكاح (غير مسافحين) غير مجاهرين بالزنى (ولا متخذى اخدان) مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين) يريد بالايمان شرائع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة) اذا اردتم القيام كقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغى ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلاة لان التوجه الى الشئ والقيام اليه قصد له وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلاة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روى انه عليه الصلاة والسلام صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر رضى الله تعالى عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلاة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها (فاغسلوا وجوهكم) امروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك (وايديكم الى المرافق) الجمهور على دخول المرفقين فى المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى للتحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها فى الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن فى الآية وكانت الايدى متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية

صاروا (بها كافرين) بتركهم العمل بها (ما جعل) شرع (الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) كما كان أهل الجاهلية يفعلونه روى البخارى عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التى يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس والسائبة التى كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شئ والوصيلة الناقة البكر تبكر فى أول نتاج الابل بأنثى ثم تثنى بعد بأنثى وكانوا يسيبونها لطواغيتهم ان وصلت احداهما بأخرى ليس بينهما ذكر والحام فحل الابل يضرب الضراب المعدود فاذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلا يحمل عليه شئ وسموه الحامى (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) فى ذلك ونسبته اليه (وأكثرهم لا يعقلون) ان ذلك افتراء لانهم قلدوا فيه آباءهم (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول) أى الى حكمه من تحليل ما حرمتم (قالوا حسبنا) كافينا

تقتضى خروجها والالم تكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم تميز الغاية ههنا عن ذى الغاية وجب ادخالها احتياطا (وامسحوا برؤسكم) الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمن الفعل معنى الالصاق فكأنه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لايقتضى الاستيعاب بخلاف مالو قيل وامسحوا رؤوسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء فى قدر الواجب فاوجب الشافعى رضى الله تعالى عنه اقل مايقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة رضى الله تعالى عنه مسح ربع الرأس لانه عليه الصلاة والسلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك رضى الله عنه مسح كله اخذا بالاحتياط (وارجلكم الى الكعبين) نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائى ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحدد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير فى القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور عين بالجر فى قراءة حمزة والكسائى وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب فى ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغى ان يقتصد فى صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفى الفصل بينه وبين اخواته ايماء الى وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة (وان كنتم جنبا فاطهروا) فاغتسلوا (وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه) سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام فى بيان انواع الطهارة (مايريد الله ليجعل عليكم من حرج) اى مايريد الامر بالطهارة للصلاة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم (ولكن يريد ليطهركم) لينظفكم اوليطهركم من الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول "يريد" فى الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى مايريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لايرخص لكم فى التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لاتقدر بعد المزيدة (وليتم نعمته عليكم) ليتم بشرعية ماهو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم فى الدين اوليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه (لعلكم تشكرون) نعمته والآية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان

(ماوجدنا عليه آباءنا) من الدين والشريعة قال تعالى (أ) حسبهم ذلك (ولوكان اباؤهم لايعلمون شيئا ولايهتدون) الى الحق والاستفهام للانكار (ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) أى احفظوها وقوموا باصلاحها (لايضركم من ضل اذا اهتديتم) قيل المراد لايضركم من ضل من أهل الكتاب وقيل المراد غيرهم لحديث أبى ثعلبة الخشنى سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك نفسك رواه الحاكم وغيره (الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم به (ياأيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت) أى أسبابه (حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم) خبر بمعنى الامر أى ليشهد واضافة شهادة لبين على اتساع

مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر او اكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة (واذكروا نعمة الله عليكم) بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم فى شكره (وميثاقه الذى واثقكم به اذقلتم سمعنا واطعنا) يعنى الميثاق الذى اخذه على المسلمين حين بايعهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان (واتقوا الله) فى نسيان نعمه ونقض ميثاقه (ان الله عليم بذات الصدور) اى بمخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا) عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما فى قلوبكم (اعدلوا هو اقرب للتقوى) اى العدل اقرب للتقوى صرح لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت فى المشركين وهذه فى اليهود اولمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة فى اطفاء نائرة الغيظ (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم) انما حذف ثانى مفعولى وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استئناف يبينه وقيل الجملة فى موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول فكانه قال وعدهم هذا القول (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم) هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) روى ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا ان لا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم بان انزل صلاة الخوف والآية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روى انه عليه الصلاة السلام اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو

وحين بدل من اذا أو ظرف لحضر (أو آخران من غيركم) أى غير ملتكم (ان أنتم ضربتم) سافرتم (فى الارض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما) توقفونهما صفة آخران (من بعد الصلوة) أى صلاة العصر (فيقسمان) يحلفان (بالله ان ارتبتم) شككتم فيهما ويقولان (لا نشترى به) بالله (ثمنا) عوضا نأخذه بدله من الدنيا بأن نحلف به أو نشهد كاذبا لاجله (ولو كان) المقسم له أو المشهود له (ذا قربى) قرابة منا (ولا نكتم شهادة الله) التى أمرنا بها (انا اذا) ان كتمناها (لمن الآثمين فان عثر) اطلع بعد حلفهما (على أنهما استحقا اثما) أى فعلا ما يوجبه من خيانة أو كذب فى الشهادة بان وجد عندهما مثلا ما اتهما به وادعيا انهما ابتاعاه من الميت أو وصى لهما به (فآخران يقومان مقامهما) فى توجه اليمين عليهما (من الذين استحق عليهم) الوصية وهم الورثة ويبدل من آخران (الاوليان)

ابن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم ياابا القاسم اجلس حتى
نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمر بن جحاش الى رحى عظيمة
يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبريل فاخبره فخرج عليه السلام وقيل نزل
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق
الناس عنه فجاء اعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فاسقطه
جبريل من يده فاخذه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال
لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت (اذ هم قوم ان يبسطوا
اليكم ايديهم) بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه
لسانه اذا شتمه (فكف ايديكم عنكم) منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم
(واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فانه الكافي لايصال الخير ودفع
الشر (ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) شاهدا
من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يتكفل عليهم
بالوفاء بما امروا به روي ان بني اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر
امرهم الله بالمسير الى اريحاء ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة
الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من
فيها فاني ناصركم وامر موسى ان يأخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء
بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما
دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم
فرأوا أجراما عظيمة وبأسا شديدا فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم الا كالب
بن يوقنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف
(وقال الله اني معكم) بالنصرة (لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي
وعزرتموهم) اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير (واقرضتم
الله قرضا حسنا) بالانفاق في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول
(لاكفرن عنكم سيئاتكم) جواب للقسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد
جواب الشرط (ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك)
بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم (منكم فقد ضل سواء السبيل)
ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان
يكون له شبهة ويتوهم له معذرة (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم) طردناهم من
رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية (وجعلنا قلوبهم قاسية)

بالميت أي الاقربان اليه وفي قراءة
الاولين جمع أول صفة
أو بدل من الذين (فيقسمان
بالله) على خيانة الشاهدين
ويقولان (لشهادتنا)
(أحق) أصدق (من
شهادتهما) يمينهما (وما
اعتدينا) تجاوزنا الحق
باليمين (انا اذا لمن الظالمين)
المعنى ليشهد المحتضر على
وصيته اثنين أو يوصي
اليهما من أهل دينه أو غيرهم
ان فقدهم لسفر ونحوه فان
ارتاب الورثة فيهما فادعوا
أنهما خانا بأخذ شئ أو دفعه
الى شخص زعما أن الميت
أوصى له به فليحلفا الى آخره
فان اطلع على امارة تكذيبهما
فادعيا دافعا له حلف أقرب
الورثة على كذبهما وصدق
ما ادعوه والحكم ثابت
في الوصيين منسوخ
في الشاهدين وكذا شهادة
غير أهل الملة منسوخة
واعتبار صلاة العصر
للتغليظ وتخصيص الحلف
في الآية باثنين من أقرب الورثة
لخصوص الواقعة التي
نزلت لها وهي مارواه
البخاري أن رجلا من بني سهم

لاتنفعل عن الآيات والنذر وقرأ حمزة والكسائى قسية وهى امامبالغة قاسية اوبمعنى رديئة من قولهم درهم قسى اذاكان مغشوشا وهو ايضامن القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف للسين (يحرفون الكلم عن مواضعه) استئناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لاقسوة اشد من تغيير كلام الله تعالى والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لامن القلوب اذلاضميرله فيه (ونسوا حظا) وتركوا نصيبا وافيا (مما ذكروا به) من التوراة اومن اتباع محمدصلى الله عليه وسلم والمعنى انهم حرفوا التوراة وتركواحظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشؤمه اشياء منها عن حفظهم روى ان ابن مسعود قال قدينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلاهذه الآية (ولاتزال تطلع على خائنة منهم) خيانة منهم اوفرقة خائنة اوخائن والهاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لاتزال ترى ذلك منهم (الاقليلا منهم) لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهموقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية (فاعف عنهم واصفح) ان تابوا وآمنوا اوان عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف (ان الله يحب المحسنين) تعليل الامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن غيره (ومن الذين قالوا انانصارى اخذنا ميثاقهم) اى واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انانصارى قوم اخذناوانماقال قالوا انانصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله (فنسوا حظا مماذكروا به فاغرينا) فالزمنا من غرى بالشئ اذا لصق به (بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكائية اوبينهم وبين اليهود (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) بالجزاء والعقاب (يااهل الكتاب) يعنى اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس (قدجاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) كنعت محمدصلى الله تعالى عليه وسلم وآية الرجم فى التوراة وبشارة عيسى باحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى الانجيل (ويعفوعن كثير) مماتخفونه لايخبر به اذا لم يضطر اليه فى امر دينى اوعن كثير منكم فلايؤاخذه بجرمه (قدجاءكم من الله نور وكتاب مبين) يعنى القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا صلى الله تعالى

خرج مع تميم الدارى وعدى بن بداء أى وهما نصرانيان فمات السهمى بارض ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جامامن فضة مخوصا بالذهب فرفعاالى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت فاحلفهما ثم وجد الجام بمكة فقالوا ابتعناه من تميم وعدى فنزلت الآية الثانية فقام رجلان من أولياء السهمى فحلفا وفى رواية الترمذى فقام عمرو بن العاصى ورجل آخر منهم فحلفا وكانا أقرب اليه وفى رواية فرض فاوصى اليهما وأمرهما أن يبلغا ماترك أهله فلما مات أخذا الجام ودفعا الى أهله مابقى (ذلك) الحكم المذكور من رد اليمين على الورثة (أدنى) أقرب الى (أن يأتوا) أى الشهود أوالاوصياء (بالشهادة على وجهها) الذى تحملوها عليه من غير تحريف ولاخيانة (أو) أقرب الى أن (يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم) على الورثة المدعين فيحلفون على خيانتهم وكذبهم فيفتضحون ويغرمون فلا يكذبوا

(واتقوا الله) بترك الخيانة والكذب (واسمعوا) ماتؤمرون به سماع قبول (والله لايهدى القوم الفاسقين) الخارجين عن طاعته الى سبيل الخير اذكر (يوم يجمع الله الرسل) هو يوم القيامة (فيقول) لهم توبيخا لقومهم (ماذا) أى الذى (أجبتم) به حين دعوتم الى التوحيد (قالوا لاعلم لنا) بذلك (انك انت علام الغيوب) ماغاب عن العباد ذهب عنهم علمه لشدة هول يوم القيامة وفزعهم ثم يشهدون على اممهم لما يسكنون اذكر (اذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك) بشكرها (اذ أيدتك) قويتك (بروح القدس) جبريل (تكلم الناس) حال من الكاف فى أيدتك (فى المهد) اى طفلا (وكهلا) يفيد نزوله قبل الساعة لانه رفع قبل الكهولة كما سبق فى آل عمران (واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة) كصورة (الطير) والكاف

عليه وسلم (يهدى به الله) وحد الضمير لان المراد بهما واحد اولانهما فى حكم الواحد (من اتبع رضوانه) من اتبع رضاه بالايمان منهم (سبل السلام) طرق السلامة من العذاب او سبل الله (ويخرجهم من الظلمات الى النور) من انواع الكفر الى الاسلام (باذنه) بارادته او بتوفيقه (ويهديهم الى صراط مستقيم) طريق هو اقرب الطرق الى الله تعالى ومؤد اليه لامحالة (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) هم الذين قالوا بالاتحاد منهم قيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لااله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم (قل فمن يملك من الله شيئا) فمن يمنع من قدرته شيئا (ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن فى الارض جميعا) احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية (ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق مايشاء والله على كل شئ قدير) ازاحة لما عرض لهم من الشبهة فى امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق مابينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كآدم خلقه من تراب وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه امامن ذكر وحده كما خلق حواء او من انثى وحدها كعيسى او منهما كسائر الناس (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه) اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون اومقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان فى سورة آل عمران (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) اى فان صح مازعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لايفعل مايوجب تعذيبه وقد عذبكم فى الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم بالنار اياما معدودة (بل انتم بشر ممن خلق) مما خلقه الله تعالى (يغفر لمن يشاء) وهم من آمن به وبرسله (ويعذب من يشاء) وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة سائر الناس لامزية لكم عليه (ولله ملك السموات والارض ومابينهما) كلها سواء فى كونه خلقا وملكا له (واليه المصير) فيجازى المحسن باحسانه والمسيئ باساءته (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم) اى الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان يقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان والجملة فى موضع

الحال اى جاءكم رسولنا مبينا لكم (على فترة من الرسل) متعلق بجاءكم اى جاءكم على حين فتور من ارسال وانقطاع زمن الوحى او بين حال من الضمير فيه (ان تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير) كراهة ان تقولوا اذلك وتعتذروا به (فقد جاءكم بشير ونذير) متعلق بمحذوف اى لاتعتذروا فقد جاءكم (والله على كل شئ قدير) فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبى وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام بينهما ستمائة سنة اوخمسمائة وتسع وستون سنة واربعة انبياء ثلاثة من بنى اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسى وفى الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحى وكانوا احوج مايكون اليه (واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء) فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث فى امة مابعث فى بنى اسرائيل من الانبياء (وجعلكم ملوكا) اى وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى عليهما الصلوة والسلام وقيل لما كانوا مملوكين فى ايدى القبط فانقذهم وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا (وآتاكم مالم يؤت احدا من العالمين) من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما آتاهم الله وقيل المراد بالعالمين عالمى زمانهم (ياقوم ادخلوا الارض المقدسة) ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الشام (التى كتب الله لكم) قسمها لكم اوكتب فى اللوح المحفوظ انها تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم (ولاترتدوا على ادباركم) ولاترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر اولاترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله تعالى (فتنقلبوا خاسرين) ثواب الدارين ويجوز فى فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب (قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين) متغلبين لاتتأتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذى يجبر الناس على ماريد (وانالن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا

اسم بمعنى مثل مفعول (باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى) بارادتى (وتبرئ الاكمه والابرص باذنى واذ تخرج الموتى) من قبورهم أحياء (باذنى واذ كففت بنى اسرائيل عنك) حين هموا بقتلك (اذ جئتهم بالبينات) المعجزات (فقال الذين كفروا منهم ان) ما (هذا) الذى جئت به (الا سحر مبين) وفى قراءة ساحر اى عيسى (واذ أوحيت الى الحواريين) امرتهم على لسانه (أن) اى بان (آمنوا بى وبرسولى) عيسى (قالوا آمنا) بهما (واشهد بأننا مسلمون) اذكر (اذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع) اى يفعل (ربك) وفى قراءة بالفوقانية ونصب مابعده اى تقدر أن تسأله (أن ينزل علينا مائدة من السماء قال) لهم عيسى (اتقوا الله) فى اقتراح الآيات (ان كنتم مؤمنين قالوا نريد) سؤالها من اجل (أن نأكل منها وتطمئن) تسكن (قلوبنا) بزيادة اليقين (ونعلم) نزداد علما (ان) مخففة اى أنك

منها فانا داخلون) اذ لا طاقة لنا بهم (قال رجلان) كالب و يوشع (من الذين
يخافون) اى يخافون الله و يتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة اسلما
وسارا الى موسى فعلى هذا الواو لبنى اسرائيل والراجع الى الموصول
محذوف اى من الذين يخافهم بنو اسرائيل و يشهد له ان قرئ الذين
يخافون بالضم اى المخوفين وعلى المعنى الاول يكون من الاخافة اى
من الذين يخوفون من الله بالتذكير او يخوفهم الوعيد (انعم الله عليهما)
بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض (ادخلوا عليهم الباب)
باب قريتهم اى باغتوهم وضاغطوهم فى المضيق وامنعوهم من الاصحار
(فاذا دخلتموه فانكم غالبون) لتعسر الكر عليهم فى المضايق من عظم
اجسامهم ولانهم اجسام لاقلوب فيها و يجوز ان يكون علمهما بذلك
من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم اومما علما من عادته تعالى فى نصره
رسله وماعهدا من صنيعه لموسى فى قهر اعدائه (وعلى الله فتوكلوا
ان كنتم مؤمنين) اى مؤمنين به ومصدقين لوعده (قالوا ياموسى انا لن
ندخلها ابدا) نفوا دخولهم على التأكيد والتأبيد (ماداموا فيها) بدل من
ابدا بدل البعض (فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) قالوا ذلك
استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت وربك
يعينك (قال رب انى لااملك الا نفسى واخى) قاله شكوى بثه حزنه الى الله
تعالى لما خالفه قومه وأيس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير
هرون عليهما السلام والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق بهما
لما كابد من تلون قومه و يجوز ان يراد باخى من يواخينى فى الدين فيدخلان
فيه و يحتمل نصبه عطفا على نفسى اوعلى اسم ان ورفعه عطفا على الضمير
فى لااملك اوعلى محل ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير
فى نفسى (فافرق بيننا و بين القوم الفاسقين) بان يحكم لنا بما نستحقه
وتحكم عليهم بما يستحقون او بالتبعيد بيننا و بينهم وتخليصنا من صحبتهم
(قال فانها) فان الارض المقدسة (محرمة عليهم) لايدخلونها ولا يملكونها
بسبب عصيانهم (اربعين سنة يتيهون فى الارض) عامل الظرف اما محرمة
فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التى كتب الله لكم
و يؤيد ذلك ماروى ان موسى عليه الصلاة والسلام سار بعده بمن بقى من
بنى اسرائيل ففتح اريحاء واقام فيها ماشاء الله ثم قبض وقيل انه قبض

(قد صدقتنا) فى ادعاء النبوة
(ونكون عليها من الشاهدين
قال عيسى ابن مريم اللهم
ربنا أنزل علينا مائدة من
السماء تكون لنا) اى يوم
نزولها (عيدا) نعظمه
ونشرفه (لاولنا) بدل من
لنا باعادة الجار (وآخرنا)
ممن يأتى بعدنا (وآية منك)
على قدرتك ونبوتى (وارزقنا)
اياها (وأنت خير الرازقين
قال الله) مستجيبا له (انى
منزلها) بالتخفيف والتشديد
(عليكم فمن يكفر بعد) اى
بعد نزولها (منكم فانى أعذبه
عذابا لاأعذبه أحدا من
العالمين) فنزلت الملائكة
بها من السماء عليها سبعة
أرغفة وسبعة أحوات
فأكلوا منها حتى شبعوا قاله
ابن عباس وفى حديث أنزلت
المائدة من السماء خبزا ولحما
فامروا أن لايخونوا ولا يدخروا
لغد فخانوا وادخروا
فمسخوا قردة وخنازير
(و) اذكر (اذ قال) أى يقول
(الله) لعيسى فى القيامة توبيخا
لقومه (ياعيسى ابن مريم أأنت
قلت للناس اتخذونى وأمى الهين

في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله تعالى امره بقتال
الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل
واما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم
مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا
في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ
يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام
يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم
المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والاكثر على ان موسى وهرون
كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة
لهم وانهما ماتا فيه مات هرون وموسى عليهما السلام بعده بسنة ثم دخل يوشع
اريحاء بعد ثلاثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع (فلا تأس
على القوم الفاسقين) خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين
انهم احقاء بذلك لفسقهم (واتل عليهم نبأ ابني آدم) قابيل وهابيل اوحى الله
تعالى الى آدم عليه السلام ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر فسخط منه
قابيل لان توأمته كانت اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل يزوجها
فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل
لم يرد بهما ابني آدم لصلبه وانهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال
كتبنا على بني اسرائيل (بالحق) صفة مصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق
او حال من الضمير في اتل او من نبأ اي ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب
الاولين (اذ قربا قربانا) ظرف للنبأ او حال منه او بدل على حذف
المضاف اي اتل عليهم نبأهما ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به
الى الله تعالى من ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى
وهو في الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما
قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردأ قمح عنده وهابيل صاحب
ضرع وقرب جملا سمينا (فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر) لانه
سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد الى اخس ما عنده
(قال لاقتلنك) توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك (قال
انما يتقبل الله من المتقين) في جوابه اي انما اوتيت من قبل نفسك بترك التقوى
لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه

من دون الله قال) عيسى
وقد أرعد (سبحانك) تنزيها لك
عما لا يليق بك وغيره من
الشريك (ما يكون) ما ينبغي
(لي أن أقول ما ليس لي بحق)
خبر ليس ولي للتبيين
(ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما)
أخفيه (في نفسي ولا أعلم
ما في نفسك) أي ما تخفيه من
معلوماتك (انك أنت علام
الغيوب ما قلت لهم الا ما
أمرتني به) وهو (أن
اعبدوا الله ربي وربكم وكنت
عليهم شهيدا) رقيبا امنعهم
عما يقولون (ما دمت فيهم
فلما توفيتني) بالرفع الى السماء
(كنت أنت الرقيب عليهم)
الحفيظ لاعمالهم (وأنت على
كل شيء) من قولي لهم
وقولهم بعدي وغير ذلك
(شهيد) مطلع عالم به (ان
تعذبهم) أي من أقام على
الكفر منهم (فانهم عبادك)
وانت مالكهم تتصرف فيهم
كيف شئت لا اعتراض عليك
(وان تغفر لهم) اى لمن آمن
منهم (فانك أنت العزيز)
الغالب على امره (الحكيم)
في صنعه (قال الله هذا)
اى يوم القيامة (يوم ينفع

من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق (لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين) قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج من قتله واستسلم له خوفا من الله تعالى لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه الصلاة والسلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري عن هذا الفعل الشنيع رأسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفي بالباء (اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين) تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك ببسطك يدك الي ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادي مالم يعتد المظلوم وقيل باثمي باثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل من اجله قربانك وكلاهما في موضع الحال اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون الاثم لك لا لي فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصي جائزة (فطوعت له نفسه قتل اخيه) فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كأنه دعاه الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله (فقتله فاصبح من الخاسرين) دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم (فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه) روي انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بني آدم فبعث الله غرابين اقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة والضمير في ليريه لله تعالى او للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يرى والمراد بسوأة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى (قال ياويلتا) كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى ياويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة (اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي)

الصادقين) في الدنيا كعيسى (صدقهم) لانه يوم الجزاء (لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم) بطاعته (ورضوا عنه) بثوابه (ذلك الفوز العظيم) ولا ينفع الكاذبين في الدنيا صدقهم فيه كالكفار لما يؤمنون عند رؤية العذاب (لله ملك السموات والارض) خزائن المطر والنبات والرزق وغيرها (وما فيهن) أتى بما تغليبا لغير العاقل (وهو على كل شئ قدير) ومنه اثابة الصادق وتعذيب الكاذب وخص العقل ذاته فليس عليها بقادر

(سورة الانعام مكية الا وما قدروا الله الآيات الثلاث والا قل تعالوا الآيات الثلاث وهي مائة وخمس أو ست وستون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد) وهو الوصف بالجميل ثابت (لله) وهل المراد الاعلام بذلك للايمان به أو الثناء به أو هما احتمالان أفيدها الثالث قاله الشيخ في سورة الكهف (الذي خلق السموات والارض) خصهما بالذكر

لاهتدى الى مثل ما اهتدى اليه فأوارى عطف على ان اكون وليس جواب
الاستفهام اذ ليس المعنى ان عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا اوارى
او على تسكين المنصوب تخفيفا (فاصبح من النادمين) على قتله لما كابد فيه من
التحير فى امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد
لونه وتبرئ ابويه منه اذ روى انه لما قتله اسود جسده فسأله آدم عن اخيه
فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ منه
ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله (من اجل
ذلك كتبنا على بنى اسرائيل) بسببه قضينا عليهم واجل فى الاصل
مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل فى تعليل الجنايات كقولهم من جراك
فعلته اى من ان جررته اى جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تعليل
ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اى ابتداء الكتب وانشاؤه من اجل ذلك
(انه من قتل نفسا بغير نفس) اى بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص (او فساد
فى الارض) او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق (فكأنما قتل
الناس جميعا) من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس
عليه او من حيث ان قتل الواحد والجميع سواء فى استجلاب غضب الله
والعذاب العظيم (ومن احياها فكأنما احيى الناس جميعا) اى ومن تسبب
لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل واستنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكأنما
فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحيائها فى
القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا فى المحاماة عليها (ولقد جاءتهم
رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون) اى بعدما
كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم
الرسل بالآيات الواضحة تأكيدا للامر وتجديدا للعهد كى يتحاموا عنها
كثير منهم يسرفون فى الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة
بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال فى الامر (انما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله) اى يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم
محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به ههنا قطع الطريق
وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت فى مصر (ويسعون فى الارض فسادا)
اى مفسدين ويجوز نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا
فكأنه قيل ويفسدون فى الارض فسادا (ان يقتلوا) اى قصاصا من غير صلب

لانهما أعظم المخلوقات
للناظرين (وجعل) خلق
(الظلمات والنور) أى كل
ظلمة ونور وجمعها دونه
لكثرة أسبابها وهذا من دلائل
وحدانيته (ثم الذين كفروا)
مع قيام هذا الدليل (بربهم
يعدلون) يسوون غيره
فى العبادة (هو الذى خلقكم
من طين) بخلق أبيكم آدم منه
(ثم قضى اجلا) لكم تموتون
عند انتهائه (وأجل مسمى)
مضروب (عنده) لبعثكم
(ثم أنتم) أيها الكفار (تمترون)
تشكون فى البعث بعد علمكم
أنه ابتدأ خلقكم ومن قدر على
الابتداء فهو على الاعادة أقدر
(وهو الله) مستحق للعبادة
(فى السموات وفى الارض
يعلم سركم وجهركم) ما تسرون
وما تجهرون به بينكم (ويعلم
ما تكسبون) تعملون من خير
وشر (وما تأتيهم) اى أهل
مكة (من) زائدة (آية من آيات
ربهم) من القرآن (الا كانوا
عنها معرضين فقد كذبوا
بالحق) بالقرآن (لما جاءهم
فسوف يأتيهم أنباء) عواقب
(ما كانوا به يستهزؤن ألم يروا)
فى أسفارهم الى الشام وغيرها

ان افردوا القتل (او يصلبوا) اى يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال
وللفقهاء خلاف فى انه يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن
حتى يموت (او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف) اى
تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا
(او ينفوا من الارض) او ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يمكنون من القرار
فى موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفى بالحبس واو فى
الآية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات
فى كل قاطع طريق (ذلك لهم خزى فى الدنيا) ذل وفضيحة (ولهم
فى الآخرة عذاب عظيم) لعظم ذنوبهم (الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا
عليهم) استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى
(فاعلموا ان الله غفور رحيم) اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة
وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة
لا تسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الآية فى قطاع المسلمين لان توبة
المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
وابتغوا اليه الوسيلة) اى ما توسلون به والزلفى منه من فعل الطاعات وترك
المعاصى من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفى الحديث الوسيلة منزلة فى الجنة
(وجاهدوا فى سبيله) بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة (لعلكم تفلحون)
بالوصول الى الله تعالى والفوز بكرامته (ان الذين كفروا لو ان لهم ما فى الارض)
من صنوف الاموال (جميعا ومثله معه ليفتدوا به) ليجعلوه فدية لانفسهم
(من عذاب يوم القيامة) واللام متعلقة بمحذوف تستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت
ان لهم ما فى الارض وتوحيد الضمير فى به والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى
اسم الاشارة فى نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو فى ومثله بمعنى مع
(ما تقبل منهم) جواب لو وبما فى خبره خبر ان والجملة تمثيل للزوم
العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه (ولهم عذاب اليم) تصريح
بالمقصود منه وكذلك قوله (يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين
منها ولهم عذاب مقيم) وقرئ يخرجوا من اخرج انما قال وما هم بخارجين
بدل وما يخرجون للمبالغة (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما) جملتان
عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اى حكمهما او جملة
عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنها معنى الشرط اذ المعنى والذى

(كم) خبرية بمعنى كثيرا
(أهلكنا من قبلهم من قرن)
أمة من الامم الماضية (مكناهم)
بالقوة والسعة (ما لم نمكن) نعط
(لكم) فيه التفات عن الغيبة
(وارسلنا السماء) المطر
(عليهم مدرارا) متتابعا
(وجعلنا الانهار تجرى
من تحتهم) تحت مساكنهم
(فاهلكناهم بذنوبهم)
بتكذيبهم الانبياء (وأنشأنا
من بعدهم قرنا آخرين ولو نزلنا
عليك كتابا) مكتوبا
(فى قرطاس) رق كما اقترحوه
(فلمسوه بايديهم) أبلغ من عاينوه
لانه أنفى للشك (لقال الذين
كفروا ان) ما (هذا الا سحر
مبين) تعنتا وعنادا (وقالوا
لولا) هلا (أنزل عليه) على
محمد صلى الله عليه وسلم (ملك)
يصدق (ولو أنزلنا ملكا)
كما اقترحوا فلم يؤمنوا (لقضى
الامر) بهلاكهم (ثم لا ينظرون)
يمهلون لتوبة او معذرة كعادة
الله فيمن قبلهم من هلاكهم
عند وجود مقترحهم اذا
لم يؤمنوا (ولو جعلناه) اى
المنزل اليهم (ملكا لجعلناه) اى
الملك (رجلا) اى على صورته

سرق والتى سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار فى امثاله لان الانشاء لايقع خبرا الا باضمار وتأويل والسرقة اخذ مال الغير فى خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والمأخوذ ربع دينار او ما يساويه لقوله عليه الصلاة والسلام القطع فى ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف فى ذلك للاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه فى شرح المصابيح والمراد بالايدى الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما فى قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم تمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه الصلاة والسلام اتى بسارق فامر بقطع يمينه منه (جزاء بما كسبا نكالا من الله) منصوبان على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا (والله عزيز حكيم فمن تاب) من السراق (من بعد ظلمه) اى سرقته (واصلح) امره بالتفصى عن التبعات والعزم على ان لايعود اليها (فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم) يقبل توبته فلا يعذبه فى الآخرة اما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه (الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض) الخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام او لكل احد (يعذب من يشاء و يغفر لمن يشاء والله على كل شئ قدير) قدم التعذيب على المغفرة آتيا على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم او لان المراد به القطع وهو فى الدنيا (يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر) صنيع الذين يقعون فى الكفر سريعا او فى اظهاره اذا وجدوا منه فرصة (من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم) اى من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا والواو تحتمل الحال والعطف (ومن الذين هادوا) عطف على من الذين قالوا (سماعون للكذب) خبر مبتدأ محذوف اى هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره اى ومن اليهود قوم سماعون واللام فى للكذب اما مزيدة للتأكيد او لتضمين السماع معنى القبول اى قابلون لما يفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اى سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه (سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) اى لجمع آخرين من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا وافراطا فى البغضاء والمعنى على الوجهين اى مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء

ليتمكنوا من رؤيته اذ لا قوة للبشر على رؤية الملك (و) ولو أنزلناه وجعلناه رجلا (للبسنا) شبهنا (عليهم ما يلبسون) على انفسهم بان يقولوا ما هذا الا بشر مثلكم (ولقد استهزئ برسل من قبلك) فيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (فحاق) نزل (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) وهو العذاب فكذا يحيق بمن استهزأ بك (قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) الرسل من هلاكهم بالعذاب ليعتبروا (قل لمن ما فى السموات والارض قل لله) ان لم يقولوه لا جواب غيره (كتب) قضى (على نفسه الرحمة) فضلا منه وفيه تلطف فى دعائهم الى الايمان (ليجمعنكم الى يوم القيامة) ليجازيكم بأعمالكم (لا ريب) شك (فيه الذين خسروا انفسهم) بتعريضها للعذاب مبتدأ خبره (فهم لا يؤمنون وله) تعالى (ما سكن) حل (فى الليل والنهار) أى كل شئ فهو ربه وخالقه ومالكه (وهو السميع) لما يقال (العليم) بما يفعل

(قل) لهم (اغيرالله اتخذ وليا) اعبده (فاطرالسموات والارض) مبد عهما (وهو يطعم) يرزق (ولايطعم) يرزق لا (قـل انى أمرت انأكون أول منأسـلم) لله من هذه الامة (و) قيـل لى (لاتكونن من المشركين) به (قل انى أخاف ان عصيت ربى) بعبادة غيره (عذاب يوم عظيم) هو يوم القيـامة (من يصرف) بالبناء للمفعول أى العذاب وللفاعل أى الله والعائد محذوف (عنه يومئذ فقدرحمه) تعـالى أى أرادله الخير (وذلك الفوز المبين) النجاة الظاهرة (وان يمسسك الله بضر) بلاء كمرض وفقر (فلا كاشف) رافع (له الاهو وان يمسسك بخير) كصحة وغنى (فهو على كل شئ قدير) ومنه مسك به ولايقدرعلى رده عنك غيره (وهو القـاهر) القـادر الذى لايعجزه شئ مسـتعليـا (فوق عبـاده وهو الحكيم) فى خلقـه (الخبير) ببواطنهم كظواهرهم * ونزل لما قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ائتنا بمن يشهدلك بالنبوة فان أهل الكتاب انكروك

اليهم ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لان سمـاعون الثانى مكرر للتأكيد اى سماعون ليكذبوا القوم آخرين (يحرفون الكلم من بعدمواضعه) اى يميلون عن مواضعه التى وضعه الله فيهـا امالفظـا باهماله اوتغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه فى غيرمورده والجملة صفة اخرى لقوم اوصفة لسماعون اوحال من الضمير فيه اواستئناف لاموضع له اوفى موضع الرفع خبر لمحذوف اى هم يحرفون وكذلك (يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه) اى ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به (وان لم تؤتوه) بل افتاكم محمد بخلافه (فاحذروا) اى فاحذروا قبول ماافتاكم به روى ان شريفا من خيبرزنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسـلوهـا مع رهط منهم الى بنى قريظة ليسـألوا رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم عنه وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذى لااله الاهو الذى فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجـاكم واغرق آل فرعون والذى انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينـا العذاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عندباب المسجد (ومن يرد الله فتنته) ضلالته اوفضيحته (فلن تملك له من الله شيئا) فلن تستطيع له من الله شـيئا فى دفعها (اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم) من الكفر وهو كما ترى نص على فسـاد قول المعتزلة (لهم فى الدنيـا خزى) هوان بالجزية والخوف عن المؤمنين (ولهم فى الآخرة عـذاب عظيم) وهـو الخلود فى النـار والضمير للذين هـادوا ان استأنفت بقوله ومن الذين والافللفريقين (سمـاعون للكذب) كرره للتأكيد (اكالون للسحت) اى الحرام كالرشى من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركـة وقرأ ابن كثير وابوعمرو والكسائى ويعقوب بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر (فان جاؤك فاحكم بينهم اواعرض عنهم) تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسـلم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذاقيل لوتحـاكم كتابيان الى القاضى لم يجب عليه الحكم وهو قول الشـافعى والاصح وجوبه اذا كان المترافعان اواحدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ورفع الظلم نهم والآية ليست فى اهل الذمة وعنـد ابى حنيفة يجب مطلقـا (وان تعرض عنهم فلن يضروك

شيئا بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس (وان حكمت
فاحكم بينهم بالقسط) اى بالعدل الذى امر الله به (ان الله يحب المقسطين)
فيحفظهم ويعظم شأنهم (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله)
تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه
فى الكتاب الذى هو عندهم وتنبيه على انهم ماقصدوا بالتحكيم معرفة الحق
واقامة الشرع وانما طلبوا به مايكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله تعالى
فى زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة ان رفعتها بالظرف وان جعلتها
مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث فى كلامهم
لفظا كموماة ودوداة (ثم يتولون من بعد ذلك) ثم يعرضون عن حكمك
الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل فى حكم التعجيب
(وما اولئك بالمؤمنين) بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك
وبه (انا انزلنا التوراة فيها هدى) يهدى الى الحق (ونور) يكشف مااشتبه
من الاحكام (يحكم بها النبيون) يعنى انبياء بنى اسرائيل او موسى ومن
بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا مالم ينسخ وبهذه الآية تمسك
القائل به (الذين اسلموا) صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها
بشأن المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم
(للذين هادوا) متعلق بانزل او بيحكم اى يحكمون بها فى تحاكمهم وهو يدل
على ان النبيين انبياؤهم (والربانيون والاحبار) زهادهم وعلماؤهم السالكون
طريقة انبيائهم عطف على النبيون (بما استحفظوا من كتاب الله) بسبب امر
الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف
ومن للتبيين (وكانوا عليه شهداء) رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء
يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا (فلا تخشوا الناس واخشونى) نهى
للحكام ان يخشوا غير الله فى حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة
كبير (ولا تشتروا بآياتى) ولا تستبدلوا باحكامى التى انزلتها (ثمنا قليلا)
هو الرشوة والجاه (ومن لم يحكم بما انزل الله) مستهينا به منكرا له (فاولئك
هم الكافرون) لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم
بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم بخلافه وفسقهم
بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلاث باعتبار حال
انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه

(قل) لهم (أى شئ أكبر
شهادة) تمييز محول عن المبتدأ
(قل الله) ان لم يقولوه
لاجواب غيره هو (شهيد
بينى وبينكم) على صدقى
(وأوحى الى هذا القرآن
لانذركم) يااهل مكة (به
ومن بلغ) عطف على ضمير
أنذركم أى بلغه القرآن من الانس
والجن (أئنكم لتشهدون
ان مع الله آلهة اخرى)
استفهام انكار (قل) لهم
(لا أشهد) بذلك (قل انما
هو اله واحد واننى برئ
مما تشركون) معه من الاصنام
(الذين آتيناهم الكتاب
يعرفونه) اى محمدا بنعته
فى كتابهم (كما يعرفون ابناءهم
الذين خسروا أنفسهم)
منهم (فهم لا يؤمنون) به
(ومن) أى لا أحد (أظلم ممن
افترى على الله كذبا) بنسبة
الشريك اليه (او كذب بآياته)
القرآن (انه) أى الشأن
(لا يفلح الظالمون) بذلك
(و) اذكر (يوم نحشرهم
جميعا ثم نقول للذين أشركوا)
توبيخا (أين شركاؤكم الذين
كنتم تزعمون) أنهم شركاء الله
(ثم لم تكن) بالتاء والياء

في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى (وكتبنا عليهم) وفرضنا على اليهود (فيها) في التوراة (ان النفس بالنفس) اى ان النفس تقتل بالنفس (والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن) رفعها الكسائى على انها جمل معطوفة على ان وما فى حيزها باعتبار المعنى وكأنه قيل وكتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة تقعان على الجمل كالقول او جمل مستأنفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن فى قوله بالنفس وانما ساغ لانه فى الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور فى فيها حال مبينة للمعنى وقرأ نافع والاذن بالاذن باسكان الذال وفى اذنيه حيث وقع (والجروح قصاص) اى ذات قصاص وقرأ الكسائى ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل (فمن تصدق) من المستحقين (به) بالقصاص اى فمن عفا عنه (فهو) فالتصدق (كفارة له) للمتصدق فيكفر الله به ذنوبه وقيل للجانى تسقط عنه مالزمه وقرئ فهو كفارته له اى فالمتصدق كفارته التى يستحقها بالتصدق له لاينقص منها شئ (ومن لم يحكم بما انزل الله) من القصاص وغيره (فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم) اى واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيون (بعيسى ابن مريم) مفعول ثان عدى اليه الفعل بالباء (مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل) وقرئ بفتح الهمزة (فيه هدى ونور) فى موضع النصب بالحال (ومصدقا لما بين يديه من التوراة) عطف عليه وكذا قوله (وهدى وموعظة للمتقين) ويجوز نصبهما على المفعول لهما عطفا على محذوف اوتعليقا به وعطف (وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه) عليه فى قراءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف اى وآتيناه ليحكم بما انزل الله وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقوله امرتك بان قم اى وامرنا بان ليحكم (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون) عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا به والآية تدل على ان الانجيل مشتملة على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة خلاف الظاهر (وانزلنا اليك الكتاب) اى القرآن (بالحق مصدقا لما بين

(فتنتهم) النصب والرفع أى معذرتهم (الا أن قالوا) أى قولهم (والله ربنا) بالجر نعت والنصب نداء (ما كنا مشركين) قال تعالى (انظر) يا محمد (كيف كذبوا على أنفسهم) بنفى الشرك عنهم (وضل) غاب (عنهم ما كانوا يفترون) على الله من الشركاء (ومنهم من يستمع اليك) اذا قرأت (وجعلنا على قلوبهم أكنة) اغطية (ان) لا (يفقهوه) يفهموا القرآن (وفى آذانهم وقرا) صمما فلايسمعونه سماع قبول (وان يروا كل آية لايؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا ان) ما (هذا) القرآن (الا اساطير) اكاذيب (الاولين) كالاضاحيك والاعاجيب جمع اسطورة بالضم (وهم ينهون) الناس (عنه) عن اتباع النبى صلى الله عليه وسلم (وينأون) يتباعدون (عنه) فلايؤمنون به وقيل نزلت فى ابى طالب كان ينهى عن اذاه ولايؤمن به (وان) ما (يهلكون) بالنأى عنه (الا انفسهم) لان ضرره عليهم (ومايشعرون)

يديه من الكتاب) من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس (ومهيمنا عليه) ورقيبا على سائر الكتب يحفظها عن التغير ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول اى هو من عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله تعالى او الحفاظ فى كل عصر (فاحكم بينهم بما انزل الله) اى بما انزل الله اليك (ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق) بالانحراف عنه الى مايشتهونه وعن صلة للاتتبع لتضمنه معنى لاتنحرف اوحال من فاعله اى لاتتبع اهواءهم مائلا عما جاءك (لكل جعلنا منكم) ايها الناس (شرعة) شريعة وهى الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ماهو سبب الحياة الابدية وقرئ بفتح الشين (ومنهاجا) وطريقا واضحا فى الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة (ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة) جماعة متفقة على دين واحد فى جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه (ولكن ليبلوكم فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها مقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون فى العمل (فاستبقوا الخيرات) فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم (الى الله مرجعكم جميعا) استئناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر (وان احكم بينهم بما انزل الله) عطف على الكتاب اى انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق اى انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم (ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك) اى بان يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اى احذرهم فتنتهم او مفعول له اى احذرهم مخافة ان يفتنوك روى ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (فان تولوا) عن الحكم المنزل وارادوا غيره (فاعلم انما يريد الله

بذلك (ولو ترى) يا محمد (اذ وقفوا) عرضوا (على النار فقالوا يا) للتنبيه (ليتنا نرد) الى الدنيا (ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) برفع الفعلين استئنافا ونصبهما فى جواب التمنى ورفع الاول ونصب الثانى وجواب لو لرأيت امرا عظيما قال تعالى (بل) للاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمنى (بدا) ظهر (لهم ما كانوا يخفون من قبل) يكتمون بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين بشهادة جوارحهم فتمنوا ذلك (ولو ردوا) الى الدنيا فرضا (لعادوا لما نهوا عنه) من الشرك (وانهم لكاذبون) فى وعدهم بالايمان (وقالوا) أى منكرو البعث (ان) ما (هى) أى الحياة (الا حياتنا الدنيا ومانحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا) عرضوا (على ربهم) لرأيت امرا عظيما (قال) لهم قال على لسان الملائكة توبيخا (أليس هذا) البعث والحساب (بالحق قالوا بلى وربنا) انه لحق (قال فذوقوا العذاب بما كنتم

ان يصيبهم ببعض ذنوبهم) يعنى ذنب التولى عن حكم الله تعالى فعبر عنه بذلك تنبيهـا على ان لهم ذنوبا كثيرة وهـذا مع عظمه واحد منهـا معدود من جملتها وفيـه دلالة على التعظيم كما فى التنكير ونظيره قول لبيد * او يرتبط بعض النفوس حمامها (وان كثيرا من الناس لفاسقون) المتمردون فى الكفر معتدون فيه (افحكم الجاهلية يبغون) الذى هو الميل والمداهنة فى الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التى هى متابعة الهوى وقيل نزلت فى بنى قريظة والنضير طلبوا رسول الله صلى الله تعـالى عليه وسـلم ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه فى الصلة فى قوله تعالى اهذا الذى بعث الله رسولا واستضعف ذلك فى غير الشعر وقرئ افحكم الجاهلية اى يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون (ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون) اى عندهم واللام للبيان كما فى قوله تعـالى هيت لك اى هـذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا احسن حكمـا من الله عزوجل (يا أيهـا الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصـارى اولياء) فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب (بعضهم اوليـاء بعض) ايمـاء الى علة النهى اى فانهم متفقون على خلافكم يوالى بعضهم بعضا لاتحادهم فى الدين واجتماعهم على مضادتكم (ومن يتولهم منكم فانه منهم) اى ومن والاهم منـكم فانه من جملـتهم وهذا للتشـديد فى وجـوب مجانبتهم كما قال عليه الصلاة والسـلام لا تترا اى نار اهما اولان الموالين لهم كانوا منافقين (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) اى الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المؤمنين بموالاة اعـدائهم (فترى الذين فى قلوبهم مرض) يعـنى ابن ابى واضرابه (يسارعون فيهم) اى فى موالاتهم ومعـاونتهم (يقولون نخشى ان تصـيبنا دائرة) ويعتـذرون بانهم يخـافون ان يصيبهم دائرة من الدوائر بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار روى ان عبادة بن الصـامت قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسـلم ان لى موالى من اليهود كثيرا عددهم انى ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالى الله ورسوله فقـال ابن ابى انى رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالى فنزلت (فعسى الله ان يأتى بالفتح) لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على اعدائه واظهـار المسلمين (او امر

تكـفرون) به فى الـدنيـا (قـد خسر الذين كذبوا بلقـاء الله) بالبعث (حتى) غاية للتكذيب (اذا جاءتهـم السـاعة) القيـامة (بغتة) فجـأة (قالوا ياحسرتنـا) هى شـدة التألم ونداؤهـا مجاز أى هذا أوانك فاحضرى (عـلى مافرطنـا) قصرنا (فيهـا) أى الدنيـا (وهم يحمـلون أوزارهم عـلى ظهورهم) بأن تأتيهم عنـد البعث فى أقبح شئ صـورة وأنتنه ريحا فتركبهم (ألا ساء) بئس (مايزرون) يحملونه حملهم ذلك (وما الحيوة الدنيا) أى الاشتغال بهـا (الا لعب ولهو) وأما الطـاعات وما يعين عليهـا فمن أمور الآخرة (وللدار الآخرة) وفى قراءة ولـدار الآخرة أى الجنـة (خير للذين يتقون) الشرك (أفلا يعقلون) بالياء والتاء ذلك فيؤمنون (قد) للتحقيق (نعلم انه) أى الشأن (ليحزنك الذى يقـولـون) لك من التكذيب (فانهم لا يكذبونك) فى السر لعلمهـم أنك صادق وفى قراءة بالتخـفيف أى لا ينسـبونك الى الكـذب

من عنده يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم (فيصبحوا) اى هؤلاء المنافقون (على ما اسروا فى انفسهم نادمين) على ما استبطنوه من الكفر والشك فى امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فضلا عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم (ويقول الذين آمنوا) بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائى على انه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو وعلى انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قراءة ابى عمرو ويعقوب عطفا على ان يأتى باعتبار المعنى وكأنه قال عسى ان يأتى الله بالفتح ويقول الذين آمنوا او بجعله بدلا من اسم الله داخلا فى اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح بمعنى عسى الله ان يأتى بالفتح وبقول المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به (اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم) يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص اويقولون لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله تعالى عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو فى الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا (حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين) اما من جملة المقول او من قول الله تعالى شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم (يا ايها الذين آمنوا من يرتدد منكم عن دينه) قرأه على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك فى الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التى اخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب فى اواخر عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث فرق بنوا مدلج وكان رئيسهم ذو الحمار الاسود العنسى تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمى ليلة قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من غدها واخبر الرسول فى تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر فى اواخر ربيع الاول وبنوا حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضى الله عنه بجند المسلمين

(ولكن الظالمين) وضعه موضع المضمر (بآيات الله) القرآن (يجحدون) يكذبون (ولقد كذبت رسل من قبلك) فيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا) باهلاك قومهم فاصبر حتى يأتيك النصر باهلاك قومك (ولا مبدل لكلمات الله) مواعيده (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) ما يسكن به قلبك (وان كان كبر) عظم (عليك اعراضهم) عن الاسلام لحرصك عليهم (فان استطعت أن تبتغى نفقا) سربا (فى الارض أو سلما) مصعدا (فى السماء فتأتيهم بآية) مما اقترحوا فافعل المعنى أنك لا تستطيع ذلك فاصبر حتى يحكم الله (ولو شاء الله) هدايتهم (لجمعهم على الهدى) ولكن لم يشأ ذلك فلم يؤمنوا (فلا تكونن من الجاهلين) بذلك (انما يستجيب) دعاءك الى الايمان (الذين يسمعون) سماع تفهم واعتبار (والموتى) أى الكفار شبههم بهم فى عدم السماع (يبعثهم الله)

وقتله الوحشى قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفى خلافة ابى بكر سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة ابن سلمة وبنو سليم قوم الفجاة ابن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم على يده وفى امرة عمر رضى الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) قيل هم اهل اليمن لما روى انه عليه الصلاة والسلام اشار الى ابى موسى الاشعرى وقال هم قوم هذا وقيل الفرس لانه عليه السلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف يأتى الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم فى الدنيا وحسن الثواب فى الآخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه (اذلة على المؤمنين) عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لاذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمين معنى العطف والحنو اوللتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم اوللمقابلة (اعزة على الكافرين) شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال (يجاهدون فى سبيل الله) صفة اخرى لقوم اوحال من الضمير فى اعزة (ولا يخافون لومة لائم) عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة فى سبيل الله والتصلب فى دينه اوحال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون فى جيش المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيأ يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفى تنكير لائم مبالغتان (ذلك) اشارة الى ماتقدم من الاوصاف (فضل الله يؤتيه من يشاء) يمنحه ويوفق له (والله واسع) كثير الفضل (عليم) بمن هو اهله (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم الله ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله وللمؤمنين على التبع (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) صفة للذين

فى الآخرة (ثم اليه يرجعون) يردون فيجازيهم باعمالهم (وقالوا) أى كفار مكة (لولا) هلا (نزل عليه آية من ربه) كالناقة والعصا والمائدة (قل) لهم (ان الله قادر على ان ينزل) بالتشديد والتخفيف (آية) مما اقترحوا (ولكن أكثرهم لايعلمون) أن نزولها بلاء عليهم لوجوب هلاكهم ان جحدوها (ومامن) زائدة (دابة) تمشى فى الارض ولاطائر يطير) فى الهواء (بجناحيه الا أمم أمثالكم) فى تدبير خلقها ورزقها وأحوالها (مافرطنا) تركنا (فى الكتاب) اللوح المحفوظ (من) زائدة (شئ) فلم نكتبه (ثم الى ربهم يحشرون) فيقضى بينهم ويقتص للجماء من القرناء ثم يقول لهم كونوا ترابا (والذين كذبوا بآياتنا) القرآن (صم) عن سماعها سماع قبول (وبكم) عن النطق بالحق (فى الظلمات) الكفر (من يشأ الله) اضلاله (يضلله ومن يشأ) هدايته (يجعله على صراط) طريق (مستقيم) دين الاسلام (قل) يامحمد لاهل مكة (أرأيتكم) أخبرونى خبر (ان أتاكم عذاب الله) فى الدنيا

آمنوا فانه جرى مجرى الاسم اوبدل منه ويجوز رفعه ونصبه على المدح (وهم راكعون) متخشعون فى صلاتهم وزكاتهم وقيل هو حال مخصوصة يؤتون اى يؤتون الزكاة فى حال ركوعهم فى الصلاة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه فانها نزلت فى على رضى الله تعالى عنه حين سأله سائل وهو راكع فى صلاته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولى المتولى للامور والمستحق للتصرف فيها والظاهر ماذكرنا مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جيئ بلفظ الجمع لترغيب الناس فى مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل فى الصلاة لايبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكاة (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) ومن يتخذهم اولياء (فان حزب الله هم الغالبون) اى فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكأنه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا بمن يوالى غير هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزؤا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء) نزلت فى رفاعة ابن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهى عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزؤا ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان من هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير بالمعادات وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائى ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهى عن موالاة من ليس على الحق رأسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين (واتقوا الله) بترك المناهى (ان كنتم مؤمنين) لان الايمان حقا يقتضى ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده (واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا) اى اتخذوا الصلاة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلاة روى ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شرارة فى البيت فاحرقه

أو أتتكم الساعة) القيامة المشتملة عليه بغتة (أغير الله تدعون) لا (ان كنتم صادقين) فى ان الاصنام تنفعكم فادعوها (بل اياه) لا غيره (تدعون) فى الشدائد (فيكشف ماتدعون اليه) أن يكشف عنكم من الضر ونحوه (ان شاء) كشفه (وتنسون) تتركون (ما تشركون) معه من الاصنام فلا تدعونه (ولقد أرسلنا الى أمم من) زائدة (قبلك) رسلا فكذبوهم (فأخذناهم بالبأساء) شدة الفقر (والضراء) المرض (لعلهم يتضرعون) يتذللون فيؤمنون (فلولا) فهلا (اذ جاءهم بأسنا) عذابنا (تضرعوا) اى لم يفعلوا ذلك مع قيام المقتضى له (ولكن قست قلوبهم) فلم تلن للايمان (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) من المعاصى فأصروا عليها (فلما نسوا) تركوا (ما ذكروا) وعظوا وخوفوا (به) من البأساء والضراء فلم يتعظوا (فتحنا) بالتخفيف والتشديد (عليهم أبواب كل شئ) من النعم استدراجا

لهم (حتى اذا فرحوا بما أوتوا فرح بطر (أخذناهم) بالعذاب (بغتة) فجأة (فاذا هم مبلسون) آيسون من كل خير (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أى آخرهم بأن استؤصلوا (والحمد لله رب العالمين) على نصر الرسل واهلاك الكافرين (قل) لاهل مكة (أرأيتم) أخبرونى (ان أخذ الله سمعكم) أصمكم (وأبصاركم) اعماكم (وختم) طبع (على قلوبكم) فلا تعرفون شيئا (من اله غير الله يأتيكم به) بما أخذه منكم بزعمكم (انظر كيف نصرف) نبين (الآيات) الدلالات على وحدانيتنا (ثم هم يصدفون) يعرضون عنها فلا يؤمنون (قل) لهم (أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة) ليلا أو نهارا (هل يهلك الا القوم الظالمون) الكافرون أى مايهلك الاهم (ومانرسل المرسلين الامبشرين) من آمن بالجنة (ومنذرين) من كفر بالنار (فمن آمن) بهم (وأصلح) عمله (فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون) فى الآخرة (والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب

واهله (ذلك بانهم قوم لايعقلون) فان السفه يؤدى الى الجهل بالحق والهزؤ به والعقل يمنع منه (قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا) هل تنكرون مناو تعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافأه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهو لغة (الا ان آمنا بالله وماانزل الينا وماانزل من قبل) الايمان بالكتب المنزلة كلها (وان اكثركم فاسقون) عطف على ان آمنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اى ماتنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه اوكان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف اوعلى ماای وماتنقمون منا الايمان بالله وبماانزل وبان اكثركم فاسقون اوعلى علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان آمنا لقلة انصافكم وفسقكم اونصب باضمار فعل يدل عليه تنقمون اى ولاتنقمون ان اكثركم فاسقون اورفع على الابتداء والخبر محذوف اى وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والآية خطاب اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به * فقال اومن بالله وماانزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون * فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام لانعلم دينا شرا من دينكم (قل هل انبئكم بشر من ذلك) اى من ذلك المنقوم (مثوبة عندالله) جزاء ثابتا عندالله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * ونصبها على التمييز من بشر (من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير) بدل من بشر على حذف مضاف اى بشر اهل ذلك من لعنه الله اوبشر من ذلك دين من لعنه الله اوخبر مبتدأ محذوف اى هو من لعنه وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهما كهم فى المعاصى بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين فى اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير (وعبد الطاغوت) عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد كظرف بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اى فيهم اوبينهم ومن قرأ عابد الطاغوت اوعبد على انه نعت كفطن ويقظ اوعبدة اوعبد الطاغوت على انه جمع كخدم اوان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة عطفه على قردة ومن قرأوعبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت

العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعوه فى معصية الله تعالى (اولئك) اى الملعونون (شر مكانا) جعل مكانهم شر ليكون ابلغ فى الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا (واضل عن سواء السبيل) قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغتى التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين فى الشرارة والضلال (واذا جاؤكم قالوا آمنا) نزلت فى يهود نافقوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او فى عامة المنافقين (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) اى يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضى من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يظنه ولذلك قال (والله اعلم بما كانوا يكتمون) اى من الكفر وفيه وعيد لهم (وترى كثيرا منهم) اى من اليهود او المنافقين (يسارعون فى الاثم) اى فى الحرام وقيل الكذب لقوله تعالى عن قولهم الاثم (والعدوان) الظلم او مجاوزة الحد فى المعاصى وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم (واكلهم السحت) اى الحرام خصه بالذكر للمبالغة (لبئس ما كانوا يعملون) لبئس شيئا عملوه (لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت) تحضيض لعلمائهم على النهى عن ذلك فان لولا اذا دخل على الماضى افاد التوبيخ واذا دخل على المستقبل افاد التحضيض (لبئس ما كانوا يصنعون) ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وترو وتحرى اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تستلذبها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم (وقالت اليهود يد الله مغلولة) اى هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل او بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله * جاد الحمى بسط اليدين بوابل * شكرت نداه تلاعه ووهاده * ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير لقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء (غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا) دعاء عليهم بالبخل والنكد اوبالفقر والمسكنة او بغل الايدى حقيقة يغلون اسارى فى الدنيا ومسحبين

بما كانوا يفسقون) يخرجون عن الطاعة (قل) لهم (لا أقول لكم عندى خزائن الله) التى منها يرزق (ولا أعلم الغيب) ما غاب عنى ولم يوح الى (ولا أقول لكم انى ملك) من الملائكة (ان) ما (أتبع الا ما يوحى الى قل هل يستوى الاعمى) الكافر (والبصير) المؤمن لا (أفلا تتفكرون) فى ذلك فتؤمنون (وأنذر) خوف (به) أى بالقرآن (الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه) أى غيره (ولى) ينصرهم (ولا شفيع) يشفع لهم وجملة النفى حال من ضمير يحشروا وهى محل الخوف والمراد بهم المؤمنون العاصون (لعلهم يتقون) الله باقلاعهم عما هم فيه وعمل الطاعات (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون) بعبادتهم (وجهه) تعالى لا شيئا من أعراض الدنيا وهم الفقراء وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردهم ليجالسوه وأراد النبى صلى الله عليه وسلم ذلك طمعا فى اسلامهم (ما عليك

الى النار فى الآخرة فتكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل
كقولك سبنى سب الله دابره (بل يداه مبسوطتان) ثنى اليد مبالغة فى الرد
ونفى البخل عنه تعالى واثباتا لغاية الجود فان غاية مايبذله السخى من ماله
ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والآخرة وعلى مايعطى للاستدراج
ومايعطى للاكرام (ينفق كيف يشاء) تأكيد لذلك اى هو مختار فى انفاقه
يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لاعلى تعاقب
سعة وضيق فى ذوات يد ولايجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر
ولانها مضاف اليها ولا من اليدين اذلاضمير لهما فيه ولا من ضمير هما لذلك
والآية نزلت فى فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود
مابسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم
واشرك فيه الآخرون لانهم رضوا بقوله (وليزيدن كثيرا منهم ماانزل اليك
من ربك طغيانا وكفرا) اى هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما
يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء
(والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق
افواههم (كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله) كلما ارادوا حرب الرسول صلى الله
تعالى عليه وسلم واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف بها
عنه شرهم اوكلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا احكم التوراة سلط الله
تعالى عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومى ثم افسدوا
فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا
اوصفة نارا (ويسعون فى الارض فسادا) اى للفساد وهو اجتهادهم
فى الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم (والله لايحب المفسدين)
فلا يجازيهم الاشرا (ولو ان اهل الكتاب آمنوا) بمحمد صلى الله تعالى عليه
وسلم وبما جاء به (واتقوا) ماعددنا معاصيهم ونحوه (لكفرنا عنهم سيئاتهم)
التى فعلوها ولم نؤاخذهم بها (ولادخلناهم جنات النعيم) وجعلناهم
من الداخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام
يجب ماقبله وان جل وان الكتابى لايدخل الجنة مالم يسلم (ولو انهم اقاموا
التوراة والانجيل) باذاعة مافيهما من نعت محمد عليه الصلاة والسلام والقيام
باحكامهما (وماانزل اليهم من ربهم) يعنى سائر الكتب المنزلة فانها
من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القرآن (لاكلوا من

من حسابهم من) زائدة (شئ)
ان كان باطنهم غير مرضى
(ومامن حسابك عليهم من شئ
فتطردهم) جواب النفى
(فتكون من الظالمين) ان فعلت
ذلك (وكذلك فتنا) ابتلينا
(بعضهم ببعض) أى الشريف
بالوضيع والغنى بالفقير بأن
قدمناه بالسبق الى الايمان
(ليقولوا) أى الشرفاء والاغنياء
منكرين (أهؤلاء) الفقراء
(من الله عليهم من بيننا) بالهداية
أى لوكان ماهم عليه هدى
ماسبقونا اليه قال تعالى
(أليس الله بأعلم بالشاكرين)
له فيهديهم بلى (واذا جاءك
الذين يؤمنون بآياتنا فقل)
لهم (سلام عليكم كتب)
قضى (ربكم على نفسه الرحمة
انه) أى الشأن وفى قراءة بالفتح
بدل من الرحمة (من عمل منكم
سوأ بجهالة) منه حيث
ارتكبه (ثم تاب) رجع (من بعده)
بعد عمله عنه (وأصلح) عمله
فانه) أى الله (غفور) له
(رحيم) به وفى قراءة بالفتح
أى فالمغفرة له (وكذلك) كما
بينا ماذكر (نفصل) نبين
(الآيات) القرآن ليظهر

فوقهم ومن تحت ارجلهم) لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات
من السماء والارض او يكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم الجنان
اليانعة الثمار فيجتنونها من رأس الشجر ويلتقطون ماتساقط على الارض
بين بذلك ان ماكف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لالقصور الفيض
ولو انهم آمنوا واقاموا ماامروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين
(منهم امة مقتصدة) عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد
صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة فى عداوته (وكثير منهم
ساء مايعملون) اى بئس مايعملونه وفيه معنى التعجب اى ماأسوأ عملهم وهو
المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط فى العداوة (ياأيها
الرسول بلغ ماانزل اليك من ربك) جميع ماانزل اليك غير مراقب احدا
ولا خائف مكروها (وان لم تفعل) وان لم تبلغ جميعه كما امرتك (فما بلغت
رسالته) فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ماادى منها كترك بعض
اركان الصلاة فان غرض الدعوة ينتقض به اوفكأنك مابلغت شيئا منها
كقوله فكأنما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء
فى الشناعة واستجلاب العقاب وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر رسالاته بالجمع وكسر
التاء (والله يعصمك من الناس) عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض
الاعادى وازاحة لمعاذيره (ان الله لايهدى القوم الكافرين) لايمكنهم
مما يريدون بك وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعثنى الله برسالته
فضقت بها ذرعا فاوحى الله تعالى الى ان لم تبلغ رسالتى عذبتك وضمن لى العصمة
فقويت وعن انس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يحرس حتى نزلت فاخرج رأسه من قبة ادم فقال انصرفوا ياأيها الناس
فقد عصمنى الله من الناس وظاهر الآية يوجب تبليغ كل ماانزل ولعل المراد
تبليغ مايتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من
الاسرار الالهية مايحرم افشاؤه (قل ياأهل الكتاب لستم على شئ) اى
دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل (حتى تقيموا التوراة والانجيل
وماانزل اليكم من ربكم) ومن اقامتها الايمان بمحمد صلى الله تعالى عليه
وسلم والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها آمرة بالايمان لمن
صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ
من فروعها (وليزيدن كثيرا منهم ماانزل اليك من ربك طغيانا وكفرا

الحق فيعمل به (ولتستبين)
تظهر (سبيل) طريق
(المجرمين) فيجتنب وفى قراءة
بالتحتانية وفى أخرى بالفوقانية
ونصب سبيل خطاب للنبى
صلى الله عليه وسلم (قل انى
نهيت أن أعبد الذين تدعون)
تعبدون (من دون الله قل
لاأتبع أهواءكم) فى عبادتها (قد
ضللت اذا) ان اتبعتها (وماأنا
من المهتدين قل انى على بينة)
بيان (من ربى و) قد (كذبتم به)
بربى حيث أشركتم (ماعندى
ماتستعجلون به) من العذاب
(ان) ما (الحكم) فى ذلك
وغيره (الا لله يقضى) القضاء
(الحق وهو خير الفاصلين)
الحاكمين وفى قراءة يقص أى
يقول (قل) لهم (لو أن عندى
ماتستعجلون به لقضى الامر
بينى وبينكم) بأن أعجله لكم
وأستريح ولكنه عند الله
(والله أعلم بالظالمين) متى
يعاقبهم (وعنده) تعالى (مفاتح
الغيب) خزائنه أو الطرق
الموصلة الى علمه (لايعلمها
الا هو) وهى الخمسة التى فى
قوله ان الله عنده علم الساعة

فلا تأس على القوم الكافرين) فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى) سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية فيه التأخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله * فاني وقيار بها لغريب * وقوله * والا فاعلموا انا وانتم * بغاة ما بقينا في شقاق * اى فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك و يجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرهما وخبران مقدر دل عليه ما بعده كقوله * نحن بما عندنا وانت بما * عندك راض والرأى مختلف * ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التأكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتح وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) في محل الرفع بالابتداء وخبره (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) والجملة خبر ان او خبر المبتدأ كما مر والراجع محذوف اى من آمن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا (لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا) ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم) بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف (فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اى رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استئناف وانما جيء بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤوس الآي (وحسبوا الا تكون فتنة) اى وحسب بنوا اسرائيل ان لا يصيبهم

الآية كما رواه البخاري (ويعلم ما) يحدث (في البر) لقفار (والبحر) القرى التي على الانهار (وما تسقط من) زائدة (ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس) عطف على ورقة (الا في كتاب مبين) هو اللوح المحفوظ والاستثناء بدل اشتمال من الاستثناء قبله (وهو الذي يتوفاكم بالليل) يقبض أرواحكم عند النوم (و يعلم ما جرحتم) كسبتم (بالنهار ثم يبعثكم فيه) أي النهار برد أرواحكم (ليقضى أجل مسمى) هو أجل الحياة (ثم اليه مرجعكم) بالبعث (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم به (وهو القاهر) مستعليا (فوق عباده و يرسل عليكم حفظة) ملائكة تحصى أعمالكم (حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته) وفي قراءة توفاه (رسلنا) الملائكة الموكلون بقبض الارواح (وهم لا يفرطون) يقصرون فيما يؤمرون (ثم ردوا) أي الخلق (الى الله مولاهم) مالكهم (الحق) الثابت العدل ليجازيهم (ألا له الحكم) القضاء النافذ فيهم

بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى ويعقوب ان لاتكون بالرفع على ان أن هى المخففة من الثقيلة واصله انه لاتكون فخففت وحذف ضمير الشأن وادخال فعل الحسبان عليها وهى للتحقيق تنزيله منزلة العلم لتمكنه فى قلوبهم وان وأن بمافى حيزها سادمسد مفعوليه (فعموا) عن الدين اوالدلائل والهدى (وصموا) عن استماع الحق كافعلوا حين عبدوا العجل (ثم تاب الله عليهم) اى ثم تابوا فتاب الله عليهم (ثم عموا وصموا) مرةاخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله عماهم وصمهم اى رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى وأصم (كثيرمنهم) بدل من الضمير اوفاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلونى البراغيث اوخبر مبتدأ محذوف اى العمى والصم كثيرمنهم وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبرفى مثله ممتنع (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم وفق اعمالهم (لقدكفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم) اى انى عبدمربوب مثلكم فاعبدوا خالقى وخالقكم (انه من يشرك بالله) اى فى عبادته اوفيما يختص به من الصفات والافعال (فقد حرم الله عليه الجنة) يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين (ومأواه النار) فانها المعدة للمشركين (ومالظالمين من انصار) اى ومالهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع الضمير تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من تمام كلام عيسى عليه السلام وان يكون من كلام الله تعالى تنبيها على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فماظنك بغيره (لقدكفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) اى احد ثلاثة وهو حكاية عماقاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة وماسبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد (ومامن اله الااله واحد) ومافى الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الااله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق (وان لم ينتهوا عما يقولون) ولم يوحدوا (ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم) اى ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر اوليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب

(وهو أسرع الحاسبين) يحاسب الخلق كلهم فى قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك (قل) يامحمد لاهل مكة (من ينجيكم من ظلمات البر والبحر) أهو الهما فى أسفاركم حين (تدعونه تضرعا) علانية (وخفية) سرا تقولون (لئن) لام قسم (أنجيتنا) وفى قراءة انجانا أى الله (من هذه) الظلمات والشدايد لنكونن من الشاكرين) المؤمنين (قل) لهم (الله ينجيكم) بالتخفيف والتشديد (منها ومن كل كرب) غم سواها (ثم انتم تشركون) به (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) من السماء كالحجارة والصيحة (أومن تحت أرجلكم) كالخسف (أو يلبسكم) يخلطكم (شيعا) فرقا مختلفة الاهواء (ويذيق بعضكم بأس بعض) بالقتال قال صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذا أهون وأيسر ولما نزل ماقبله أعوذ بوجهك رواه البخارى وروى مسلم حديث سألت ربى أن لايجعل بأس أمتى بينهم فنعنيها وفى حديث لما نزلت قال أمانها كائنة ولم يأت تأويلها بعد (انظر كيف نصرف)

على من دام على الكفر ولم ينقطع عنه فلذلك عقبه بقوله (افلايتوبون الى الله ويستغفرونه) اى الايتون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزائغة ويستغفرون بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد (والله غفور رحيم) يغفرلهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفى هذا الاستفهام تعجب من اسرارهم (ماالمسيح ابن مريم الارسول قدخلت من قبله الرسل) اى ماهو الارسول كالرسل قبله خصه الله بآيات كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى على يدموسى عليه السلام وهواعجب وان خلقه من غير اب فقدخلق آدم من غير اب وام وهو اغرب (وامه صديقة) كسائر النساء اللاتى يلازمن الصدق اويصدقن الانبياء (كانا يأكلان الطعام) ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى مالهما من الكمال ودل على انه لايوجب لهما الوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما فى مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ماينافى الربوبية ويقتضى ان يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعى الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال (انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظرانى يؤفكون) كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت مابين العجبين اى ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها اعجب (قل اتعبدون من دون الله مالايملك لكم ضراولانفعا) يعنى عيسى وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لايملكه من ذاته ولايملك مثل مايضر الله تعالى به من البلايا والمصائب وماينفع به من الصحة والسعة وانما قال مانظرا الى ماهو عليه فى ذاته توطئة لنفى القدرة عنه رأسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحرى النفع (والله هو السميع العليم) بالاقوال والعقائد فيجازى عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر (قل يااهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم غير الحق) اى غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعواله الالهية اوتضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة (ولاتتبعوا اهواءقوم قدضلوا من قبل) يعنى اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم شريعتهم (واضلوا كثيرا) ممن شايعهم على بدعهم وضلالهم (وضلوا عن سواء السبيل) عن قصد السبيل الذى هو الاسلام بعد مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة

نبين لهم (الآيات) الدلالات على قدرتنا (لعلهم يفقهون) يعلمون أن ماهم عليه باطل (وكذب به) بالقرآن (قومك وهو الحق) الصدق (قل) لهم (لست عليكم بوكيل) فاجازيكم انما أنا منذر وأمركم الى الله وهذا قبل الامر بالقتال (لكل نبأ) خبر (مستقر) وقت يقع فيه ويستقر ومنه عذابكم (وسوف تعلمون) تهديد لهم (واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا) القرآن بالاستهزاء (فأعرض عنهم) ولاتجالسهم (حتى يخوضوا فى حديث غيره واما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما المزيدة (ينسينك) بسكون النون والتخفيف وفتحها والتشديد (الشيطان) فقعدت معهم (فلاتقعد بعد الذكرى) أى تذكره (مع القوم الظالمين) فيه وضع الظاهر موضع المضمر وقال المسلمون ان قمنا كلما خاضوا لم نستطع أن نجلس فى المسجد وأن نطوف فنزل (وماعلى الذين يتقون) الله (من حسابهم) اى الخائضين (من) زائدة (شئ) اذا جالسوهم (ولكن) عليهم

الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثانى اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع
(لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم) اى
لعنهم الله فى الزبور والانجيل على لسانهما وقيل اهل ايلة لما اعتدوا فى السبت
لعنهم داود عليه السلام فمسخهم الله تعالى قردة واصحاب المائدة لما كفروا
دعا عليهم عيسى عليه السلام ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف
رجل (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) اى ذلك اللعن الشنيع المقتضى للمسخ
بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم (كانوا لا يتناهون عن منكر
فعلوه) اى لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر
فعلوه او عن منكر ارادوا فعله وتهيؤوا له اولا ينتهون عنه من قولهم تناهى
عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع (لبئس ما كانوا يفعلون) تعجب من سوء
فعلهم مؤكد بالقسم (ترى كثيرا منهم) من اهل الكتاب (يتولون الذين
كفروا) يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
والمؤمنين (لبئس ما قدمت لهم انفسهم) اى لبئس شيئا قدموه ليردوا
عليه يوم القيامة (ان سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون)
هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود فى العذاب
او علة الذم والمخصوص محذوف اى لبئس شيئا ذلك لان كسبهم
السخط والخلود (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى) يعنى نبيهم وان
كانت الآية فى المنافقين فالمراد نبينا عليه السلام (وما انزل اليه
ما اتخذوهم اولياء) اذ الايمان يمنع ذلك (ولكن كثيرا منهم فاسقون)
خارجون عن دينهم او متمردون فى نفاقهم (لتجدن اشد الناس عداوة
للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا) لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم
وانهماكهم فى اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق
وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم (ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا
الذين قالوا انا نصارى) للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على
الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله (ذلك بان منهم
قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون) عن قبول الحق اذا فهموه
او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال
فى العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة وان كانت فى كافر
(واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع) عطف

(ذكرى) تذكرة لهم وموعظة
(لعلهم يتقون) الخوض
(وذر) اترك (الذين اتخذوا
دينهم) الذى كلفوه (لعبا
ولهوا) باستهزائهم به
(وغرتهم الحيوة الدنيا) فلا
تتعرض لهم وهذا قبل الامر
بالقتال (وذكر) عظ (به)
بالقرآن الناس ل (أن) لا
(تبسل نفس) تسلم الى الهلاك
(بما كسبت) عملت (ليس لها
من دون الله) أى غيره (ولى)
ناصر (ولا شفيع) يمنع عنها
العذاب (وان تعدل كل عدل)
تفد كل فداء (لا يؤخذ
منها) ما يفدى به (اولئك
الذين أبسلوا بما كسبوا لهم
شراب من حميم) ماء بالغ
نهاية الحرارة (وعذاب أليم)
مؤلم (بما كانوا يكفرون)
بكفرهم (قل أندعوا) أنعبد
(من دون الله ما لا ينفعنا)
بعبادته (ولا يضرنا) بتركها
وهو الاصنام (ونرد على
أعقابنا) نرجع مشركين
(بعد اذ هدانا الله) الى الاسلام
(كالذى استهوته) أضلته
(الشياطين فى الارض حيران)
متحيرا لا يدرى أين يذهب
حال من الهاء (له أصحاب)

على لايستكبرون هو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها (مما عرفوا من الحق) من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ماعرفوا او للتبعيض بانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله (يقولون ربنا آمنا) بذلك او بمحمد صلى الله عليه وسلم (فاكتبنا مع الشاهدين) من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم شهداء الله على الامم يوم القيامة (ومالنا لانؤمن بالله وماجاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول في مداخلهم او جواب سائل قال لم آمنتم ولانؤمن حال من الضمير والعامل مافي اللام من معنى الفعل اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله اي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اي ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن (فاثابهم الله بما قالوا) اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين) الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والآيات الاربع روى انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفر ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثلاثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم) عطف التكذيب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب (ياايها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات مااحل الله لكم) اي ماطاب ولذ منه كانه لما تضمن ماقبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال (ولاتعدوا ان الله لايحب المعتدين) ويجوز

فقة (يدعونه الى الهدى) اي ليهدوه الطريق بقولون له (ائتنا) فلا يجيبهم فيهلك والاستفهام للانكار وجملة التشبيه حال من ضمير نرد (قل ان هدى الله) الذي هو الاسلام (هو الهدى) وماعداه ضلال (وأمرنا لنسلم) اي بأن نسلم (لرب العالمين وأن) اي بان (أقيموا الصلوة واتقوه) تعالى (وهو الذي اليه تحشرون) تجمعون يوم القيامة للحساب (وهو الذي خلق السموات والارض بالحق) اي محقا (و) اذكر (يوم يقول) للشيء (كن فيكون) هو يوم القيامة يقول للخلق قوموا فيقومون (قوله الحق) الصدق الواقع لامحالة (وله الملك يوم ينفخ في الصور) القرن النفخة الثانية من اسرافيل لاملك فيه لغيره لمن الملك اليوم لله (عالم الغيب والشهادة) ماغاب وماشوهد (وهو الحكيم) في خلقه (الخبير) بباطن الاشياء كظاهرها (و) اذكر (اذقال ابراهيم لابيه آزر) هو لقبه واسمه تارخ (أتتخذ أصناما

ان يراد به ولاتعتدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما وبالغ فى انذارهم فرقوا واجتمعوا فى بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان يزالوا صائمين وان لاينامواعلى الفرش وان لايأكلوا اللحم والودك ولايقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا فى الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم انى لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فانى اقوم وانام واصوم وافطر وآكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ونزلت (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) اى وكلوا ما احل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا اومما رزقكم الله حالا منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة بكلوا اويجوز ان يكون مفعولا لكلوا وحلالا من الموصول اوالعائد المحذوف اوصفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لولم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة (واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون لايؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم) هو مايبدو من المرء بلاقصد كقول الرجل لاوالله وبلى والله واليه ذهب الشافعى رحمه الله وقيل الحلف على مايظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابوحنيفة رحمه الله تعالى وفى ايمانكم صلة يؤاخذكم اواللغو لانه مصدر اوحال منه (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان) بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ماعقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائى وابن عياش عقدتم بالتخفيف وابن عامر فى رواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل (فكفارته) فكفارة نكثه اى الفعلة التى تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه السلام من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذى هو خير (اطعام عشرة مساكين من اوسط ماتطعمون اهليكم) من اقصده فى النوع اوالقدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ماتطعمون اوالرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة

آلهة) تعبدوها استفهام توبيخ (انى أراك وقومك) باتخاذها (فى ضلال)عن الحق (مبين) بين (وكذلك) كما اريناه اضلال أبيه وقومه (نرى ابراهيم ملكوت)ملك (السموات والارض) ليستدل به على وحدانيتنا (وليكون من الموقنين) بها وجملة وكذلك ومابعدها اعتراض وعطف على قال (فلما جن)أظلم (عليه الليل رأى كوكبا) قيل هو الزهرة (قال)لقومه وكانوا نجامين (هذا ربى) فى زعمكم (فلما أفل) غاب (قال لا احب الآفلين) أن أتخذهم أربابا لان الرب لايجوز عليه التغير والانتقال لانهما من شؤن الحوادث فلم ينجع فيهم ذلك (فلما رأى القمر بازغا) (قال)لهم (هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى) يثبتنى على الهدى (لأكونن من القوم الضالين) تعريض لقومه بانهم على ضلال فلم ينجع فيهم ذلك (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا) ذكره لتذكير خبره (ربى هذا أكبر) من الكوكب والقمر (فلما

من يسكنها فى الاحوال الثلاثة كالالف وهو جمع اهل كالليالى فى جمع
ليل والاراضى فى جمع ارض وقيل جمع اهلاة (او كسوتهم) عطف على
اطعام اومن اوسط ان جعل بدلا وهو ثوب يغطى العورة وقيل ثوب جامع
قميص اورداء وازار وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة وقدوة او كاسوتهم
بمعنى اوكمثل ماتطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم
وبينهم ان تطعموهم الاوسط والكاف فى محل الرفع وتقديره او اطعامهم
كاسوتهم (او تحرير رقبة) او اعتاق انسان وشرط الشافعى رحمه الله
فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلاث
مطلقا وتخيير المكلف فى التعيين (فمن لم يجد) اى واحدا منها (فصيام ثلاثة ايام)
فكفارته صيام ثلاثة ايام وشرط ابوحنيفة رحمه الله فيه التتابع لانه قرئ
ثلاثة ايام متتابعات والشواذ ليست بحجة عندنا اذ لم تثبت كتابا ولم يرو سنة
(ذلك) اى المذكور (كفارة ايمانكم اذا حلفتم) وحنثتم (واحفظوا ايمانكم)
بان تضنوا بها ولاتبذلوها لكل امر اوبان تبروا فيها مااستطعتم ولم يفت
بها خير اوبان تكفروها اذا حنثتم (كذلك) اى مثل ذلك البيان (يبين الله
لكم آياته) اعلام شرائعه (لعلكم تشكرون) نعمة التعليم اونعمه الواجب
شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه (ياأيها الذين آمنوا انما
الخمر والميسر والانصاب) اى الاصنام التى نصبت للعبادة (والازلام)
سبق تفسيره فى اول السورة (رجس) قذر تعاف عنه العقول وافراده
لانه للخمر وخبر المعطوفات محذوف او المضاف المحذوف كأنه قال انما
تعاطى الخمر والميسر (من عمل الشيطان) لانه مسبب عن تسويله وتزيينه
(فاجتنبوه) الضمير للرجس اوللمذكور اوللتعاطى (لعلكم تفلحون) لكى تفلحوا
بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر فى هذه الآية بان
صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من
عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت اوغالب وامر بالاجتناب
عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين مافيهما
من المفاسد الدينية والدنيوية المقتضية للتحريم فقال تعالى (انما يريد الشيطان
ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله
وعن الصلاة) وانما خصهما باعادة الذكر وشرح مافيهما من الوبال
تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على

أفلت) وقويت عليهم الحجة
ولم يرجعوا (قال ياقوم انى
برئ مما تشركون) بالله من
الاصنام والاجرام المحتاجة
الى محدث فقالوا له ماتعبد
قال (انى وجهت وجهى)
قصدت بعبادتى (للذى فطر)
خلق (السموات والارض)
اى الله (حنيفا) مائلا الى
الدين القيم (وما أنا من
المشركين) به (وحاجه
قومه) جادلوه فى دينه
وهددوه بالاصنام أن تصيبه
بسوء ان تركها (قال أتحاجونى)
بتشديد النون وتخفيفها
بحذف احدى النونين وهى
نون الرفع عند النحاة ونون
الوقاية عند الفراء اتجادلونى
(فى) وحدانية (الله وقد
هدان) تعالى اليها (ولاأخاف
ماتشركون) ه (به) من
الاصنام أن تصيبنى بسوء
لعدم قدرتها على شئ (الا
أن يشاء ربى
شيئا) من المكروه
يصيبنى فيكون (وسع ربى
كل شئ علما) اى وسع علمه
كل شئ (أفلاتتذكرون)
هذا فتؤمنون (وكيف أخاف
ماأشركتم) بالله وهى

انهما مثلهما فى الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلاة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ماتقدم من انواع الصوارف وقال (فهل انتم منتهون) ايذانا بان الامر فى المنع والتحذير بلغ الغاية وان الا عذار قد انقطعت (واطيعوا الله واطيعوا الرسول) فيما امرا به (واحذروا) مانهيا عنه او مخالفتهما (فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين) اى فاعلموا انكم لم تضروا الرسول عليه السلام بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) مما لم يحرم عليهم لقوله (اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات) اى اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة (ثم اتقوا) ماحرم عليهم بعد كالخمر (وآمنوا) بتحريمه (ثم اتقوا) ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصى (واحسنوا) وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روى انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يارسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرار باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله تعالى ولذلك بدل الايمان بالاحسان فى الكرة الثالثة اشارة الى ماقاله عليه الصلاة والسلام فى تفسيره او باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار مايتقى فانه ينبغى ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع فى الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة (والله يحب المحسنين) فلا يؤاخذهم بشئ وفيه دليل ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا (ياايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله ايديكم ورماحكم) نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم فى رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير فى بشئ للتنبيه على انه ليس من العظائم التى تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو اشد منه (ليعلم الله من يخافه بالغيب) ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة

لاتضر ولاتنفع (ولاتخافون) أنتم من الله (أنكم أشركتم بالله) فى العبادة (مالم ينزل به) بعبادته (عليكم سلطانا) حجة وبرهانا وهو القادر على كل شئ (فأى الفريقين أحق بالامن) أنحن أم أنتم (ان كنتم تعلمون) من الاحق به اى وهو نحن فاتبعوه قال تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا) يخلطوا (ايمانهم بظلم) اى شرك كما فسر بذلك فى حديث الصحيحين (أولئك لهم الامن) من العذاب (وهم مهتدون وتلك) مبتدأ ويبدل منه (حجتنا) التى احتج بها ابراهيم على وحدانية الله من أفول الكوكب ومابعده والخبر (آتيناها ابراهيم) أرشدناه لها حجة (على قومه نرفع درجات من نشاء) بالاضافة والتنوين فى العلم والحكمة (ان ربك حكيم) فى صنعه (عليم) بخلقه (ووهبنا له اسحق ويعقوب) ابنه (كلا) منهما (هدينا ونوحا هدينا من قبل) اى قبل ابراهيم (ومن ذريته) اى نوح (داود وسليمان) ابنه (وايوب ويوسف)

ابن يعقوب (وموسى وهرون وكذلك) كما جزيناهم (نجزى المحسنين وزكريا ويحيى) ابنه (وعيسى) ابن مريم يفيد أن الذرية تتناول أولاد البنت (والياس) ابن أخى هرون أخى موسى (كل) منهم (من الصالحين واسمعيل) بن ابراهيم (واليسع) اللام زائدة (ويونس ولوطا) ابن هاران أخى ابراهيم (وكلا) منهم (فضلنا على العالمين) بالنبوة (ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم) عطف على كلا أو نوحا ومن للتبعيض لان بعضهم لم يكن له ولد و بعضهم كان فى ولده كافر (واجتبيناهم) اخترناهم (وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك) الدين الذى هدوا اليه (هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا) فرضا (لحبط عنهم ما كانوا يعملون أولئك الذين آتيناهم الكتاب) بمعنى الكتب (والحكم) الحكمة (والنبوة فان يكفر بها) اى بهذه الثلاثة (هؤلاء) اى أهل مكة (فقد وكلنا بها) أرصدنا لها (قوما ليسوا بها

ايمانه فذكر العلم و راد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم (فمن اعتدى بعد ذلك) الابتلاء بالصيد (فله عذاب اليم) فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه فى مثل ذلك ولا يراعى حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس اميل اليه واحرص عليه (يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرام) اى محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكوة للتعميم واراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام خمس يقتلن فى الحل والحرام الحداءة والغرب والعقرب والفارة والكلب العقور وفى رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من تنبيه على جواز قتل كل موذ واختلف فى ان هذا النهى هل يلغى حكم الذابح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثنى اولا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب (ومن قتله منكم متعمدا) ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قبل ما يقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطئ واحد فى ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الآية نزلت فيمن تعمد اذ روى انه عن لهم فى عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت (فجزاء مثل ما قتل من النعم) برفع الجزاء والمثل قرأه الكوفيون ويعقوب بمعنى فعليه اوفواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف مالم يتم بها وقرأ الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما فى قولهم مثلى لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزى مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزى جزاء يماثل ما قتل اوفجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعى والقيمة عند ابى حنيفة وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن هدى يخير بين ان يهدى ما قيمته قيمته وبين ان يشترى بها طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم يبلغ يخير بين الاطعام والصوم واللفظ للاول اوفق (يحكم به ذوا عدل منكم) صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضميره فى خبره او منه اذا اضفته اووصفته ورفعته بخبر مقدر لمن وكان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد تحتاج المماثلة فى الخلقة والهيئة

اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذوعدل على ارادة الجنس
اوالامام (هديا) حال من الهاء فى به اوجزاء وان نون لتخصصه
بالصفة اوبدل من مثل باعتبار محله اولفظه فيمن نصبه (بالغ الكعبة)
وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغ الكعبة ذبحه بالحرم
والتصدق به ثمه وقال ابوحنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء
(اوكفارة) عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف
(طعام مساكين) عطف بيان اوبدل منه اوخبر محذوف اى هى طعام
وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة
والمعنى عند الشافعى ان يكفر باطعام مساكين مايساوى قيمة الهدى
من غالب قوت البلد فيعطى كل مسكين مدا (اوعدل ذلك صياما)
اوماساواه من الصوم عن اطعام كل مسكين يوما وهو فى الاصل
مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ماعدل بالشئ فى المقدار
كعدلى الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل (ليذوق وبال
امره) متعلق بمحذوف اى فعليه الجزاء اوالطعام اوالصوم ليذوق ثقل فعله
وسوء عاقبته بهتكه لحرمة الاحرام اوالثقل الشديد على مخالفة امر الله
واصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل (عفا الله عما سلف) من قتل
الصيد محرما فى الجاهلية اوقبل التحريم اوفى هذه المرة (ومن عاد) الى مثل
هذا (فينتقم الله منه) فهو ينتقم الله منه وليس فيه مايمنع الكفارة
عن العائد كما حكى عن ابن عباس وشريح (والله عزيز ذوانتقام) ممن اصر
على عصيانه (احل لكم صيد البحر) ماصيد منه مما لايعيش الافى الماء
وهو حلال كله لقوله عليه السلام فى البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته
وقال ابو حنيفة لايحل منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يوكل
نظيره فى البر (وطعامه) ماقذفه اونضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه
اكله (متاعا لكم) تمتعا لكم نصب على الغرض (وللسيارة) اى ولسيارتكم
تتزودونه قديدا (وحرم عليكم صيد البر) اى ماصيد فيها اوالصيد فيها
فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ماصاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل
والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم مالم تصطادوه
اولم يصدلكم (مادمتم حرما) اى محرمين وقرى بكسر الدال من دام يدام
(واتقوا الله الذى اليه تحشرون جعل الله الكعبة) صيرها وانما سمى البيت

بكافرين) هم المهاجرون
والانصار (اولئك الذين
هدى) هم (الله فبهداهم)
طريقهم من التوحيد والصبر
(اقتده) بها السكت وقفا
ووصلا وفى قراءة بحذفها
وصلا (قل) لاهل مكة
(لاأسألكم عليه) اى القرآن
(أجرا) تعطونيه (ان هو)
ما القرآن (الا ذكرى)
عظة (للعالمين) الانس
والجن (وماقدروا) اى
اليهود (الله حق قدره)
اى ماعظموه حق عظمته
أوما عرفوه حق معرفته
(اذقالوا) للنبى صلى الله
عليه وسلم وقد خاصموه
فى القرآن (ما أنزل الله
على بشر من شئ قل) لهم
(من أنزل الكتاب الذى
جاءبه موسى نورا وهدى
للناس يجعلونه) بالياء والتاء
فى المواضع الثلاثة (قراطيس)
اى يكتبونه دفاتر مقطعة
(يبدونها) اى مايحبون
ابداءه منها (ويخفون كثيرا)
مما فيها كنعت محمد صلى الله
عليه وسلم (وعلمتم) أيها
اليهود فى القرآن (مالم تعلموا
أنتم ولاآباؤكم) من التوراة

بيان ماالتبس عليكم واختلفتم فيه (قل الله) أنزله ان لم يقولوه لاجواب غيره (ثم ذرهم فى خوضهم) باطلهم (يلعبون وهذا) القرآن (كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه) قبله من الكتب (ولتنذر) بالتاء والياء عطف على معنى ماقبله أى أنزلناه للبركة والتصديق ولتنذر به (أم القرى ومن حولها) اى أهل مكة وسائر الناس (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون) خوفا من عقابها (ومن) أى لاأحد (أظلم ممن افترى على الله كذبا) بادعاء النبوة ولم ينبأ (أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ) نزلت فى مسيلمة (و) من (من قال سأنزل مثل ماأنزل الله) وهم المستهزؤن قالوا لونشاء لقلنا مثل هذا (ولو ترى) يامحمد (اذالظالمون) المذكورون (فى غمرات سكرات (الموت والملائكة باسطوأيديهم) اليهم بالضرب والتعذيب يقولون لهم تعنيفا (أخرجوا أنفسكم) الينا

كعبة لتكعبه (البيت الحرام) عطف بيان على جهة المدح اوالمفعول الثانى (قياما للناس) انتعاشا لهم اى سبب انتعاشهم فى امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار اومايقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعل فى فعله ونصبه على المصدر اوالحال (والشهر الحرام والهدى والقلائد) سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذى يؤدى فيه الحج وهو ذوالحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس (ذلك) اشارة الى الجعل اوالى ماذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره (لتعلموا ان الله يعلم مافى السموات ومافى الارض) فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه (وان الله بكل شئ عليم) تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق (اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم) وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها اولمن اصر عليه ولمن انقلع عنه (ماعلى الرسول الا البلاغ) تشديد فى ايجاب القيام بما امر اى الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر فى التفريط (والله يعلم ماتبدون وماتكتمون) من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة (قل لايستوى الخبيث والطيب) حكم عام فى نفى المساواة عند الله بين الردئ من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به فى صالح العمل وحلال المال (ولو اعجبك كثرة الخبيث) فان العبرة بالرداءة والجودة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال (فاتقوا الله يااولى الالباب) اى فاتقوه فى تحرى الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل (لعلكم تفلحون) راجين ان تبلغوا الفلاح روى انها نزلت فى حجاج اليمامة لماهم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين (ياأيها الذين آمنوا لاتسألوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم) الشرطية وماعطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لاتسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها فى زمان الوحى تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان مايمنع السؤال وهو انه مما يغمكم والعاقل لايفعل مايغمه واشياء اسم جمع كطرناء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشئ على ان اصله شئ كهين اوشيئ

كصديق فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه (عفا الله عنها) صفة اخرى اى عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذروى انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركونى ما تركتكم فنزلت او استئناف اى عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها (والله غفور حليم) لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه عليه الصلاة والسلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شئ الا اجبت فقال رجل اين ابى فقال فى النار وقال آخر من ابى فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت (قد سألها قوم) الضمير للمسألة التى دل عليها لا تسألوا ولذلك لم يعد بعن او للاشياء بحذف الجار (من قبلكم) متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ولا حالا لها ولا خبرا عنها (ثم اصبحوا بها كافرين) اى بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا جحودا (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) ردوانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اى شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهى لهم واذا ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما قالوا وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) بتحريم ذلك ونسبته اليه (واكثرهم لا يعقلون) اى الحلال من الحرام والمبيح من المحرم او الامر من الناهى ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن منعهم حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به (واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) بيان لقصور عقلهم وانهما كهم فى التقليد وان لا سند لهم سواه (اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال اى احسبهم

لنقبضها (اليوم تجزون عذاب الهون) الهوان (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) بدعوى النبوة والايحاء كذبا (وكنتم عن آياته تستكبرون) تتكبرون عن الايمان بها وجواب لو لرأيت أمرا فظيعا (و) يقال لهم اذا بعثوا (لقد جئتمونا فرادى) منفردين عن الاهل والمال والولد (كما خلقناكم أول مرة) اى حفاة عراة غرلا (وتركتم ما خولناكم) أعطيناكم من الاموال (وراء ظهوركم) فى الدنيا بغير اختياركم (و) يقال لهم توبيخا (ما نرى معكم شفعاءكم) الاصنام (الذين زعمتم أنهم فيكم) اى فى استحقاق عبادتكم (شركاء) لله (لقد تقطع بينكم) وصلكم أى تشتت جمعكم وفى قراءة بالنصب ظرف أى وصلكم بينكم (وضل) ذهب (عنكم ما كنتم تزعمون) فى الدنيا من شفاعتها (ان الله فالق) شاق (الحب) عن النبات (والنوى) عن النخل (يخرج الحى من الميت) كالانسان والطائر من النطفة

ماوجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لايعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد (ياايها الذين آمنوا عليكم انفسكم) اى احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء (لايضركم من ضل اذا اهتديتم) لايضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه السلام من رأى منكم منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت آباءك ولاموه فنزلت ولايضركم يحتمل الرفع على انه مستأنف ويؤيده ان قرئ لايضيركم والجزم على الجواب او النهى لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وينصره قراءة من قرأ لايضركم بالفتح ولايضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره (الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون) وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لايؤاخذ بذنب غيره (ياايها الذين آمنوا شهادة بينكم) اى فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد فى الوصية واضافتها الى الظرف للاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم (اذا حضر احدكم الموت) اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف للشهادة (حين الوصية) بدل منه وفى ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغى ان لايتهاون فيه او ظرف حضر (اثنان) فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف (ذوا عدل منكم) اى من اقاربكم ومن المسلمين وهما صفتان لاثنان (او آخران من غيركم) عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لاتسمع اجماعا (ان انتم ضربتم فى الارض) اى سافرتم فيها (فاصابتكم مصيبة الموت) اى قاربتم الاجل (تحبسونهما) تقفونهما وتصبرونهما صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله اوآخران من غيركم اعتراض فائدته الدلالة على انه ينبغى ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما فى السفر فمن غيركم او استئناف كأنه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما (من بعد الصلاة) صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اى صلاة كانت (فيقسمان بالله ان ارتبتم)

والبيضة (ومخرج الميت) النطفة والبيضة (من الحى ذلكم) الفالق المخرج (الله فانى تؤفكون) فكيف تصرفون عن الايمان مع قيام البرهان (فالق الاصباح) مصدر بمعنى الصبح أى شاق عمود الصبح وهو أول مايبدو من نور النهار عن ظلمة الليل (وجعل الليل سكنا) تسكن فيه الخلق من التعب (والشمس والقمر) بالنصب عطفا على محل الليل (حسبانا) حسابا للاوقات أو الباء محذوفة وهو حال من مقدر أى يجريان بحسبان كما فى آية الرحمن (ذلك) المذكور (تقدير العزيز) فى ملكه (العليم) بخلقه (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) فى الاسفار (قد فصلنا) بينا (الآيات) الدلالات على قدرتنا (لقوم يعلمون) يتدبرون (وهو الذى أنشأكم) خلقكم (من نفس واحدة) هى آدم (فمستقر) منكم فى الرحم (ومستودع) منكم فى الصلب وفى قراءة بفتح القاف اى مكان قرار لكم (قد فصلنا الآيات

ان ارتاب الوارث منكم (لانشترى به ثمنـا) مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحـال الارتيـاب والمعنى لانسـتبدل بالقسم اوبالله عرضا من الدنيا اى لانحلف بالله كـاذبين بالطمع (ولوكان ذاقربى) ولوكان المقسم له قريبامنا وجوابه ايضـا محذوف اى لانشترى (ولانكتم شـهادة الله) اى الشـهادة التى امرنا باقامتهـا وعن الشعبى انه وقف على شهادة ثم ابتـدأ آلله بالمد على حذف القسم وتعويض حرف الاسـتفهام منه وروى عنه بغـيره كقولهم الله لأفعلن (انااذا لمن الآثمين) اى ان كتمنـا وقرئ لملاثمين بحـذف الهمزة والقـاء حركتهـا على اللام وادغام النون فيهـا (فان عثر) فان اطلـع (على انهمـا استحقـا اثما) اى فعلا ما اوجب اثمـا كتحريف (فآخران) فشـاهدان آخران (يقومان مقـا مهمـا من الـذين استحق عليهم) من الذين جنى عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفـاعل وهو (الاوليان) الاحقـان بالشـهادة لقرابتهمـا ومعرفتهمـا وهو خبر محذوف اى همـا الاوليـان او خبر آخران او مبتدأ خبره آخران او بدل منهمـا او من الضمير فى يقـومان وقرأ حمزة و يعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفـة للذين او بدل منـه أى من الاولين الـذين استحـق عليهم وقرئ الاولين على التثنية وانتصـابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليـان (فيقسمـان بالله لشـهادتنـا احق من شهادتهما) اصدق منهما واولى بان تقبل (وما اعتدينا) اى وما تجاوزنا فيها الحق (انا اذا لمن الظالمين) الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينـا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصـية ينبغى ان يشـهد عدلين من ذوى نسـبه او دينه على وصيته او يوصى اليهمـا احتيـاطا فان لم يجدهما بان كان فى سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع او ارتياب اقسمـا على صـدق مايقولان بالتغليظ فى الوقت فان اطلع على انهما كـذبا بامارة ومظنة حلف آخران من اوليـاء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لايحلف الشاهد ولايعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمـين الى الورثة اما لظهور خيـانة الوصيين فان تصديق الوصى باليمين لامانته اولتغيير الدعوى اذ روى ان تميما الدارى وعدى بن زيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهمـا بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشـام مرض بديل فدون مامعـه فى صحيفـة وطرحهـا

لقـوم يفقهون) مايقال لهم (وهو الـذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا) فيه التفات عن الغيبة (به) بالماء (نبات كل شئ) ينبت (فأخرجنا منه) اى النبات شيئا (خضرا) بمعـنى أخضر (نخرج منه) من الخضر (حبا متراكبا) يركـب بعضـه بعضا كسـنابل الحنطة ونحـوها (ومن النخل) خبر ويبدل منه (من طلعهـا) أول مايخرج منهـا والمبتـدأ (قنوان) عراجـين (دانيـة) قريب بعضهـا من بعض (و) أخرجنا به (جنات) بساتين (من أعناب والزيتون والرمان مشتبها) ورقهمـا حال (وغير متشابه) ثمرهما (انظروا) يامخاطبين نظر اعتبـار (الى ثمره) بفتح الثـاء والميم وبضمهمـا وهو جمـع ثمرة كشجرة وشجر وخشـبة وخشـب (اذا أثمر) أول مايبدو كيف هو (و) الى (ينعـه) نضجه اذا أدرك كيف يعـود (ان فى ذلكم لآيات) دلالات على قدرته تعـالى عـلى البعث وغـيره (لقوم يؤمنون) خصـوا

فى متاعه لم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه
واخذا منه اناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب
اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فنزلت يا أيها الذين آمنوا الآية فحلفهما رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم بعد صلاة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء
فى ايديهما فاتاهما بنو سهم فى ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا
عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابى رفاعة السهميان وحلفا
ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة (ذلك) اى الحكم الذى تقدم
او تحليف الشاهد (ادنى يأتوا بالشهادة على وجهها) على نحو
ما تحملوها من غير تحريف وخيانة فيها (او يخافوا ان ترد ايمان بعد
ايمانهم) ان ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة
واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم (واتقوا الله
واسمعوا) ما توصون به سمع اجابة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) اى
ان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدى القوم الفاسقين
اى لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة فقوله تعالى (يوم يجمع الله
الرسل) ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل اشتمال او مفعول واسمعوا
على حذف المضاف اى واسمعوا خبر يوم جمعهم او منصوب باضمار اذكر
(فيقول) اى للرسل (ماذا اجبتم) اى اجابة اجبتم على ان ماذا فى موضع
المصدر او باى شئ اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان
سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد ولذلك (قالوا لا علم لنا) اى لا علم لنا بما كنت
تعلمه (انك انت علام الغيوب) فتعلم ما نعلمه مما اجابونا واظهروا لنا وما لم نعلم
مما اضمروا فى قلوبهم وفيه التشكى عنهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم
وقيل لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم
للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اى انك
الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او النداء
وقرأ ابو بكر وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث وقع (اذ قال الله يا عيسى ابن
مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك) بدل من يوم يجمع وهو على طريقة
ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل

بالذكر لانهم المنتفعون بها
فى الايمان بخلاف الكافرين
(وجعلوا لله) مفعول ثان
(شركاء) مفعول أول ويبدل
منه (الجن) حيث اطاعوهم
فى عبادة الاوثان (و) قد
(خلقهم) فكيف يكونون
شركاءه (وخرقوا) بالتخفيف
والتشديد اى اختلقوا
(له بنين وبنات بغير علم)
حيث قالوا عزير ابن الله
والملائكة بنات الله (سبحانه)
تنزيها له (وتعالى عما يصفون)
بأن له ولدا هو (بديع السموات
والارض) مبدعهما من غير
مثال سبق (أنى) كيف
(يكون له ولد ولم تكن له صاحبة)
زوجة (وخلق كل شئ)
من شأنه أن يخلق (وهو بكل شئ
عليم ذلكم الله ربكم لا اله
الا هو خالق كل شئ فاعبدوه)
وحدوه (وهو على كل شئ
وكيل) حفيظ (لا تدركه
الابصار) اى لا تراه وهذا
مخصوص لرؤية المؤمنين له
فى الآخرة لقوله تعالى وجوه
يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
وحديث الشيخين انكم
سترون ربكم كما ترون القمر
ليلة البدر وقيل المراد لا تحيط

عن اجابتهم وتعديد ماظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة اونصب باضمار اذكر (اذأيدتك) قويتك وهو ظرف لنعمتى اوحال منه وقرئ آيدتك (بروح القدس) بجبريل عليه السلام اوبالكلام الذى يحيى به الدين او النفس بحياة ابدية وتطهر من الآثام و يؤيده قوله (تكلم الناس فى المهد وكهلا) اى كائنا فى المهد وكهلا والمعنى تكلمهم فى الطفولة والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله فى الطفولة بحال الكهولة فى كمال العقل والتكلم و به استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل (واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرئ الاكمه والابرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى) سبق تفسيره فى سورة آل عمران وقرأ نافع و يعقوب طائرا و يحتمل الافراد والجمع كالباقر (واذ كففت بنى اسرائيل عنك) يعنى اليهود حين هموا بقتله (اذ جئتهم بالبينات) ظرف لكففت (فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين) اى ماهذا الذى جئت به الا سحر وقرأ حمزة والكسائى الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه السلام (واذ أوحيت الى الحواريين) اى امرتهم على السنة رسلى (ان آمنوا بى و برسولى) يجوز ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة (قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون) مخلصون (اذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم) منصوب باذكر اوظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم (هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء) لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على مايقتضيه الحكمة والارادة لا على مايقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك اى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائى هل تستطيع ربك اى سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من مادالماء يميد اذا تحرك اومن ماده اذا اعطاه كأنها تميد من تقدم اليها ونظيرها قولهم شجرة مطعمة (قال اتقوا الله) من امثال هذا السؤال (ان كنتم مؤمنين) بكمال قدرته وصحة نبوتى او صدقتم فى ادعائكم الايمان (قالوا نريد ان نأكل منها) تمهيد عذر و بيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها (وتطمئن قلوبنا) بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته

به (وهو يدرك الابصار) أى يراها ولا تراه ولا يجوز فى غيره أن يدرك البصر وهو لايدركه أو يحيط به علما (وهو اللطيف) باوليائه (الخبير) بهم قل يامحمد لهم (قد جاءكم بصائر) حجج (من ربكم فمن أبصر) ها فآمن (فلنفسه) أبصر لان ثواب ابصاره له (ومن عمى) عنها فضل (فعليها) و بال ضلاله (وما أنا عليكم بحفيظ) رقيب لاعمالكم انما أنا نذير (وكذلك) كما بينا ماذكر (نصرف) نبين (الآيات) ليعتبروا (وليقولوا) اى الكفار فى عاقبة الامر (دارست) ذاكرت أهل الكتاب وفى قراءة درست اى كتب الماضين وجئت بهذا منها (ولنبينه لقوم يعلمون اتبع ماأوحى اليك من ربك) اى القرآن (لا اله الا هو وأعرض عن المشركين ولو شاء الله ماأشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا) رقيبا فتجازيهم بأعمالهم (وما أنت عليهم بوكيل) فتجبرهم على الايمان وهذا قبل الامر بالقتال (ولا تسبوا الذين يدعون) هم

(ونعلم ان قد صدقتنا) فى ادعاء النبوة اوان الله يجيب دعوتنا (ونكون عليها من الشاهدين) اذا استشهدتنا اومن الشاهدين للعين دون السامعين للخبر (قال عيسى ابن مريم) لما رأى ان لهم غرضا صحيحا فى ذلك اوانهم لايقلعون عنه فاراد الزامهم الحجة بكمالها (اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا) اى يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمى يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر (لاولنا وآخرنا) بدل من لنا باعادة العامل اى عيد المتقدمينا ومتأخرينا روى انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل يأكل منه اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة اوالطائفة (وآية) عطف على عيدا (منك) صفة لها اى آية كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتى (وارزقنا) المائدة اوالشكر عليها (وانت خير الرازقين) اى خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلاغرض (قال الله انى منزلها عليكم) اجابة الى سؤالكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم منزلها بالتشديد (فمن كفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا) اى تعذيبا و يجوز ان يجعل مفعولا به على السعة (لا اعذبه) الضمير للمصدر اوللعذاب ان اريد به مايعذب به على حذف حرف الجر (احدا من العالمين) اى من عالمى زمانهم اوالعالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روى انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولاتجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس وشوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ماخلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحدها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون ياروح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شئ اخترعه الله تعالى بقدرته كلوا ماسألتم واشكروا يمددكم الله و يزدكم من فضله فقالوا ياروح الله لو أريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال ياسمكة احيى باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودى كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم اربعين

(من دون الله) اى الاصنام (فيسبوا الله عدوا) اعتداء وظلما (بغير علم) اى جهلا منهم بالله (كذلك) كما زينا لهؤلاء ماهم عليه (زينا لكل أمة عملهم) من الخير والشر فأتوه (ثم الى ربهم مرجعهم) فى الآخرة (فينبئهم بما كانوا يعملون) فيجازيهم به (وأقسموا) اى كفار مكة (بالله جهد أيمانهم) اى غاية اجتهادهم فيها (لئن جاءتهم آية) مما اقترحوا (ليؤمنن بها قل) لهم (انما الآيات عند الله) ينزلها كما يشاء وانما أنا نذير (وما يشعركم) يدريكم بايمانهم اذا جاءت أى أنتم لاتدرون ذلك (انها اذا جاءت لايؤمنون) لما سبق فى علمى وفى قراءة بالتاء خطابا للكفار وفى أخرى بفتح أن بمعنى لعل أو معمولة لما قبلها (ونقلب أفئدتهم) نحول قلوبهم عن الحق فلا يفهمونه (وأبصارهم) عنه فلا يبصرونه فلا يؤمنون (كما لم يؤمنوا به) اى بما أنزل من الآيات (أول مرة ونذرهم) نتركهم (فى طغيانهم)

يوما غبا ويجتمع عليها الفقراء والاغنياء والضعفاء والصغار والكبار يأكلون حتى اذفاء الفيء طارت وهم ينظرون فى ظلها ولم يأكل منها فقير الا غنى مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى عليه السلام ان اجعل مائدتى فى الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلاثة وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله تعالى انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله لمقترحى المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقايق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا فى حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى عليه السلام ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ماهو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا (واذ قال الله ياعيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله) يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذونى ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما فكأنه عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله عز وجل وكأنه قيل اتخذونى وامى الهين متوصلين بنا الى الله تعالى (قال سبحانك) اى انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك (ما يكون لى ان اقول ماليس لى بحق) ماينبغى لى ان اقول قولا لا يحق لى ان اقوله (ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك) تعلم ما اخفيه نفسى كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله فى نفسك للمشاكلة او المراد بالنفس الذات (انك انت علام الغيوب) تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه (ماقلت لهم الا ما امرتنى به) تصريح بنفى المستفهم عنه بعد تقديم مايدل عليه (ان اعبدوا الله ربى وربكم) عطف بيان للضمير فى به او بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر لمضمر او مفعوله مثل هو او اعنى ويجوز ابداله من ما امرتنى به فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان يكون

ضلالهم (يعمهون) يترددون متحيرين (ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى) كما اقترحوا (وحشرنا) جمعنا (عليهم كل شئ قبلا) بضمتين جمع قبيل اى فوجا فوجا وبكسر القاف وفتح الباء اى معاينة فشهدوا بصدقك (ماكانوا ليؤمنوا) لما سبق فى علم الله (الا) لكن (أن يشاء الله) ايمانهم فيؤمنون (ولكن أكثرهم يجهلون) ذلك (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا) كما جعلنا هؤلاء أعداءك ومبدل منه (شياطين) مردة (الانس والجن يوحى) يوسوس (بعضهم الى بعض زخرف القول) مموهه من الباطل (غرورا) اى ليغرهم (ولو شاء ربك مافعلوه) اى الايحاء المذكور (فذرهم) دع الكفار (ومايفترون) من الكفر وغيره مما زين لهم وهذا قبل الامر بالقتال (ولتصغى) عطف على غرورا اى تميل (اليه) الزخرف (أفئدة) قلوب (الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا) يكتسبوا (ماهم مقترفون)

ان مفسرة لان الامر مسند الى الله تعالى وهو لايقول اعبدوا الله ربى وربكم
والقول لايفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يأول القول بالامر فكان ما امرتهم
الامثل ما امرتنى به ان اعبدوا الله (وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم) اى
رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان
(فلما توفيتنى) بالرفع الى السماء لقوله تعالى انى متوفيك ورافعك الى والتوفى اخذ
الشئ وافيا والموت نوع منه قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت
فى منامها (كنت انت الرقيب عليهم) المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته
من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات
(وانت على كل شئ شهيد) مطلع عليه مراقب له (ان تعذبهم فانهم عبادك)
اى ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل
بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك
(وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم) فلا عجز ولا استقباح فانك القادر
القوى على الثواب والعقاب الذى لايثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب
فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت فتفضل وعدم
غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بان
(قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) وقرأ نافع يوم بالنصب على انه ظرف
لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذى من كلام عيسى
عليه السلام واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بنى على الفتح لاضافته الى الفعل
وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق فى الدنيا فان النافع
ما كان حال التكليف (لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم) بيان للنفع (لله ملك السموات
والارض ومافيهن وهو على كل شئ قدير) تنبيه على كذب النصارى وفساد
دعواهم فى المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال ومافيهن
اتباعا لهم غير اولى العقل فى غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة
العبودية واهانة لهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق
متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة المائدة اعطى من الاجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع
له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى يتنفس فى الدنيا

من الذنوب فيعاقبوا عليه *
ونزل لما طلبوا من النبى صلى
الله عليه وسلم أن يجعل بينه
وبينهم حكما قل (أفغير الله
أبتغى) أطلب (حكما)
قاضيا بينى وبينكم (وهو الذى
أنزل إليكم الكتاب) القرآن
(مفصلا) مبينا فيه الحق
والباطل (والذين آتيناهم
الكتاب) التوراة كعبد الله
بن سلام وأصحابه (يعلمون
أنه منزل) بالتخفيف والتشديد
(من ربك بالحق فلا تكونن
من الممترين) الشاكين فيه
والمراد بذلك التقرير للكفار
انه حق (وتمت كلمات ربك)
بالاحكام والمواعد (صدقا
وعدلا) تمييز (لا مبدل
لكلماته) بنقص أو خلف
(وهو السميع) لما يقال
(العليم) بما يفعل (وان تطع
أكثر من فى الارض) اى
الكفار (يضلوك عن سبيل
الله) دينه (ان) ما (يتبعون
الا الظن) فى مجادلتهم لك
فى أمر الميتة اذ قالوا ما قتل الله
أحق أن تأكلوه مما قتلتم (وان)
ما (هم الا يخرصون) يكذبون
فى ذلك (ان ربك هو أعلم)
اى عالم (من يضل عن سبيله

(سورة الانعام مكية الاست آيات اوثلاث من قوله قل تعالوا وهى)
(مائة وخمس وستون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله الذى خلق السموات والارض) اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد
ونبه على انه المستحق على هذه النعم الجسام حمد اولم يحمد ليكون
حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهى مثلهن
لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها
وعلو مكانها وتقدم وجودها (وجعل الظلمات والنور) انشأهما والفرق بين
خلق وجعل الذى له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى
التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لايقومان
بانفسهما كما زعمت الثنوية وافرد النور لقصد الى الجنس وجمع الظلمات
لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها اولان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى
والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم
ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى
ليس صرف العدم حتى لايتعلق به الجعل (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون)
عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ماخلقه نعمة
على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته و يكون بربهم تنبيها
على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها
ولا يكفر اوعلى قوله خلق على معنى انه خلق مالايقدر عليه احد سواه ثم هم
يعدلون به مالايقدر على شئ منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان
والباء على الاول متعلقة بكفر واو صلة يعدلون محذوفة اى يعدلون عنه ليقع
الانكار على نفس الفعل وعلى الثانى متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون
بربهم الاوثان اى يسوونها به (هو الذى خلقكم من طين) اى ابتدأ
خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذى هو اصل البشر خلق منه اوخلق
اباكم فحذف المضاف (ثم قضى اجلا) اجل الموت (واجل مسمى عنده) اجل
القيامة وقيل الاول مابين الخلق والموت والثانى مابين الموت والبعث فان
الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثانى الموت
وقيل الاول لمن مضى والثانى لمن بقى ولمن يأتى واجل نكرة خصصت بالصفة
ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف

وهو أعلم بالمهتدين) فيجازى
كلا منهم (فكلوا مما ذكر اسم
الله عليه) اى ذبح على اسمه
(ان كنتم بآياته مؤمنين
ومالكم أن لا تأكلوا مما ذكر
اسم الله عليه) من الذبائح
(وقد فصل) بالبناء للمفعول
وللفاعل فى الفعلين (لكم
ماحرم عليكم) فى آية حرمت
عليكم الميتة (الا ما اضطررتم
اليه) منه فهو أيضا
حلال لكم المعنى لامانع لكم
من أكل ما ذكر وقد بين
لكم المحرم أكله وهذا ليس
منه (وان كثيرا ليضلون)
بفتح الياء وضمها (بأهوائهم)
بما تهواه أنفسهم من تحليل
الميتة وغيرها (بغير علم)
يعتمدونه فى ذلك (ان ربك
هو أعلم بالمعتدين) المتجاوزين
الحلال الى الحرام (وذروا)
اتركوا (ظاهر الاثم وباطنه)
علانيته وسره والاثم قيل
الزنا وقيل كل معصية (ان
الذين يكسبون الاثم سيجزون)
فى الآخرة (بما كانوا يقترفون)
يكتسبون (ولا تأكلوا
مما لم يذكر اسم الله عليه)
بان مات أو ذبح على اسم غيره
والا فاذبحه المسلم ولم يسم

بانه مسمى اى مثبت معين لايقبل التغيير واخبر عنه بانه عند الله لامدخل لغيره فيه بعلم ولاقدرة ولانه المقصود بيانه (ثم انتم تمترون) استبعاد لامترائهم بعد ماثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحيات فيها وابقائها ماشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشدة واصله المرى وهو استخراج اللبن من الضرع (وهو الله) الضمير لله والله خبره (فى السموات وفى الارض) متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لاغير كقوله تعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله اوبقوله (يعلم سركم وجهركم) والجملة خبر ثان اوهى الخبر والله بدل ويكفى لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد فى الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه اوظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كأنه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لاتتقدم عليه (ويعلم ماتكسبون) من خير وشر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر مايخفى ومايظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح (وماتأتيهم من آية من آيات ربهم) من الاول مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اى مايظهر لهم دليل قط من الادلة اومعجزة اوآية من آيات القرآن (الا كانوا عنها معرضين) تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) يعنى القرآن وهو كاللازم لما قبله كأنه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم اوكالدليل عليه على انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الآيات فكيف لايعرضون عن غيرها ولذلك رتب عليه بالفاء (فسوف يأتيهم انباء ماكانوا به يستهزؤن) اى سيظهر لهم ماكانوا به يستهزؤن عند نزول العذاب بهم فى الدنيا والآخرة اوعند ظهور الاسلام وارتفاع امره (الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن) اى من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهى سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبى اوفائق فى العلم قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت (مكناهم فى الارض) جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها اواعطيناهم من القوى والآلات ماتمكنوا بها من انواع التصرف فيها (مالم نمكن لكم) مالم نجعل لكم فى السعة وطول المقام

فيه عمدا أونسيانا فهو حلال قاله ابن عباس وعليه الشافعي (وانه) اى الاكل منه (لفسق) خروج عما يحل (وان الشياطين ليوحون) يوسوسون (الى أوليائهم) الكفار (ليجادلوكم) فى تحليل الميتة (وان أطعتموهم) فيه (انكم لمشركون) ونزل فى أبى جهل وغيره (أومن كان ميتا) بالكفر (فأحييناه) بالهدى (وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس) يتبصر به الحق من غيره وهو الايمان (كمن مثله) مثل زائدة اى كمن هو (فى الظلمات ليس بخارج منها) وهو الكافر لا (كذلك) كما زين للمؤمنين الايمان (زين للكافرين ماكانوا يعملون) من الكفر والمعاصى (وكذلك) كما جعلنا فساق مكة أكابرها (جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها) بالصد عن الايمان (ومايمكرون الا بأنفسهم) لان وباله عليهم (ومايشعرون) بذلك (واذا جاءتهم) اى أهل مكة (آية) على صدق النبى

ياأهل مكة اومالم نعطكم من القوة والسعة فى المال والاستظهار بالعدد والاسباب (وارسلنا السماء عليهم) اى المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها (مدرارا) مغزارا (وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم) فعاشوا فى الخصب والريف بين الانهار والثمار (فاهلكناهم بذنوبهم) اى لم يغن ذلك عنهم شيئا (وانشأنا) واحدثنا (من بعدهم قرنا آخرين) بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده قدر ان يفعل ذلك بكم (ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس) مكتوبا فى ورق (فلمسوه بايديهم) فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لامانع وتقييده بالايدى لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء (لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) تعنتا وعنادا (وقالوا لولا انزل عليه ملك) هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبى كقوله تعالى لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا (ولو انزلنا ملكا لقضى الامر) جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا والحق اهلاكهم فان سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم (ثم لا ينظرون) بعد نزوله طرفة عين (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبرائيل عليه السلام فى صورة دحية الكلبى فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك فى صورته وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء عليهم السلام بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف اى ولو جعلناه رجلا للبسنا اى لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ ولبسنا بلام وللبسنا بالتشديد للمبالغة (ولقد استهزئ برسل من قبلك) تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على مايرى من قومه (فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) فاحاط بهم الذى كانوا يستهزؤن به حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم (قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) كيف اهلكهم الله بعذاب الاستئصال كى تعتبروا او الفرق بينه وبين قوله قل سيروا فى الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل

صلى الله عليه وسلم (قالوا لن نؤمن) به (حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله) من الرسالة والوحى الينا لانا أكثر مالا وأكبر سنا قال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) بالجمع والافراد وحيث مفعول به لفعل دل عليه أعلم أى يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعها وهؤلاء ليسوا أهلا لها (سيصيب الذين أجرموا) بقولهم ذلك (صغار) ذل (عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) اى بسبب مكرهم (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) بان يقذف فى قلبه نورا فينفسح له ويقبله كما ورد فى حديث (ومن يرد) الله (أن يضله يجعل صدره ضيقا) بالتخفيف والتشديد عن قبوله (حرجا) شديد الضيق بكسر الراء صفة وفتحها مصدر وصف به مبالغة (كأنما يصعد) وفى قراءة يصاعد وفيهما ادغام التاء فى الاصل فى الصاد وفى اخرى بسكونها (فى السماء) اذا كلف الايمان لشدته عليه (كذلك) الجعل

النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب
النظر فى آثار الهالكين (قل لمن مافى السموات والارض) خلقا وملكا
وهو سؤال تبكيت (قل لله) تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق
بحيث لايمكنهم ان يذكروا غيره (كتب على نفسه الرحمة) التزمها تفضلا
واحسانا والمراد بالرحمة مايعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم
بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر (ليجمعنكم
الى يوم القيامة) استئناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اى
ليجمعنكم فى القبور مبعوثين الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم او فى يوم
القيامة والى بمعنى فى وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم
وانعامه عليكم (لاريب فيه) فى اليوم او الجمع (الذين خسروا انفسهم) بتضييع
رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب
على الذم او رفع على الخبر اى وانتم الذين او على الابتداء والخبر
(فهم لايؤمنون) والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم
فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك فى التقليد واغفال
النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان (وله) عطف
على لله (ماسكن فى الليل والنهار) من السكنى وتعديته بفى كما فى قوله وسكنتم
فى مساكن الذين ظلموا انفسهم * والمعنى مااشتملا عليه او من السكون اى
ماسكن فيهما اوتحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر (وهو السميع)
لكل مسموع (العليم) بكل معلوم فلايخفى عليه شئ ويجوز ان يكون
وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم (قل اغير الله اتخذ وليا) انكار لاتخاذ
غير الله وليا لا لاتخاذ الولى فلذلك قدم واولى الهمزة والمراد بالولى المعبود لانه
رد لمن دعاه الى الشرك (فاطر السموات والارض) مبدعهما وعن ابن عباس
رضى الله عنهما ماعرفت معنى الفاطر حتى اتانى اعرابيان يختصمان فى بئر فقال
احدهما انا فطرتها اى ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضى
ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح (وهو يطعم ولايطعم)
يرزق ولايرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ ولايطعم بفتح
الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن
هو فاطر السموات والارض ماهو نازل عن رتبة الحيوانية وبناؤهما
للفاعل على ان الثانى من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة

(يجعل الله الرجس) العذاب
او الشيطان أى يسلطه (على
الذين لايؤمنون وهذا)
الذى أنت عليه يامحمد (صراط)
طريق (ربك مستقيما)
لاعوج فيه ونصبه على
الحال المؤكدة للجملة والعامل
فيها معنى الاشارة (قد فصلنا)
بينا (الآيات لقوم يذكرون)
فيه ادغام التاء فى الاصل
فى الذال أى يتعظون وخصوا
بالذكر لانهم المنتفعون (لهم
دار السلام) أى السلامة
وهى الجنة (عند ربهم وهو
وليهم بما كانوا يعملون و)
اذكر (يوم نحشرهم)
بالنون والياء أى الله الخلق
(جميعا) ويقال لهم (يامعشر
الجن قد استكثرتم من الانس)
باغوائهم (وقال أولياؤهم)
الذين أطاعوهم (من الانس
ربنا استمتع بعضنا ببعض)
انتفع الانس بتزيين الجن لهم
الشهوات والجن بطاعة
الانس لهم (وبلغنا أجلنا
الذى أجلت لنا) وهو يوم
القيامة وهذا تحسر منهم
(قال) تعالى لهم على لسان
الملائكة (النار مثواكم) مأواكم
(خالدين فيها الا ماشاء الله)

ولايطعم اخرى كقوله يقبض ويبسط (قل انى امرت ان اكون اول من اسلم) لان النبى صلى الله عليه وسلم سابق امته فى الدين (ولاتكونن من المشركين) وقيل لى ولاتكونن ويجوز عطفه على قل (قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) مبالغة اخرى فى قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة (من يصرف عنه يومئذ) اى يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وابوبكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله تعالى وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف او يومئذ بحذف المضاف (فقد رحمه) نجاه وانعم عليه (وذلك الفوز المبين) اى الصرف او الرحمة (وان يمسسك الله بضر) ببلية كمرض وفقر (فلا كاشف له) فلا قادر على كشفه (الاهو وان يمسسك بخير) بنعمة كصحة وغنى (فهو على كل شئ قدير) فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله فلاراد لفضله (وهو القاهر فوق عباده) تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة (وهو الحكيم) فى امره وتدبيره (الخبير) بالعباد وخفايا احوالهم (قل اى شئ اكبر شهادة) نزل حين قال قريش يامحمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولاصفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله والشئ يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه فى سورة البقرة (قل الله) اى الله اكبر شهادة ثم ابتدأ (شهيد بينى وبينكم) اى هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شئ شهادة (واوحى الى هذا القرآن لانذركم به) اى بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة (ومن بلغ) عطف على ضمير المخاطبين اى لانذركم به يااهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين اولانذركم به ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيامة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لايؤاخذ بها من لم يبلغه (ءانكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى) تقرير لهم مع انكار واستبعاد (قل لااشهد) بما تشهدون (قل انما هو اله واحد) اى بل اشهد ان لا اله الا هو (واننى برئ مما تشركون) يعنى الاصنام (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) اى يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته المذكورة فى التوراة والانجيل (كما يعرفون ابناءهم) بحلاهم (الذين خسروا

من الاوقات التى يخرجون فيها لشرب الحميم فانه خارجها كما قال ثم ان مرجعهم لالى الجحيم وعن ابن عباس أنه فيمن علم الله انهم يؤمنون فما بمعنى من (ان ربك حكيم) فى صنعه (عليم) بخلقه (وكذلك) كما متعنا عصاة الانس والجن بعضهم ببعض (نولى) من الولاية (بعض الظالمين بعضا) أى على بعض (بما كانوا يكسبون) من المعاصى (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم) أى من مجموعكم أى بعضكم الصادق بالانس أو رسل الجن نذرهم الذين يستمعون كلام الرسل فيبلغون قومهم (يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا) أن قد بلغنا قال تعالى (وغرتهم الحياة الدنيا) فلم يؤمنوا (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ذلك) أى ارسال الرسل (أن) اللام مقدرة وهى مخففة أى لانه (لم يكن ربك مهلك القرى بظلم) منها (وأهلها غافلون) لم يرسل اليهم رسول يبين لهم

انفسهم) من اهل الكتاب والمشركين (فهم لايؤمنون) لتضييعهم مابه يكتسب الايمان (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله (اوكذب بآياته) كان كذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكراو وهم قدجمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط فى الظلم على النفس (انه) الضمير للشان (لايفلح الظالمون) فضلا ممن لا احد اظلم منه (ويوم نحشرهم جميعا) منصوب بمضمر تهويلا للامر (ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم) اى آلهتكم التى جعلتموها شركاء الله وقرأ يعقوب يحشرهم و يقول بالياء (الذين كنتم تزعمون) اى تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم و بين آلهتهم حينئذ ليفقدوها فى الساعة التى علقوا بها الرجاء فيها و يحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكأنهم غيب عنهم (ثم لم يكن فتنتهم الاان قالوا) اى كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التى يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب اولانهم قصدوا به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابوعمر وابوبكر بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا والتأنيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالياء والنصب (والله ربنا ما كنا مشركين) يكذبون و يحلفون عليه مع علمهم بانه لاينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقدايقنوا بالخلود وقيل معناه ماكنا مشركين عند انفسنا وهولايوافق قوله (انظر كيف كذبوا على انفسهم) اى بنفى الشرك عنها وحمله على كذبهم فى الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ حمزة والكسائى ربنا بالنصب على النداء او المدح (وضل عنهم ماكانوا يفترون) من الشركاء (ومنهم من يستمع اليك) حين تتلو القرآن والمراد ابوسفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابوجهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ القرآن فقالوا للنضر مايقول فقال والذى جعلها بيته ماادرى مايقول الاانه يحرك لسانه و يقول اساطير الاولين مثل ماحدثتكم (وجعلنا على قلوبهم اكنة) اغطية جمع كنان وهو مايستر الشئ (ان يفقهوه) كراهة ان يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) يمنع من استماعه وقدم تحقيق ذلك

(ولكل) من العاملين (درجات) جزاء (مما عملوا) من خير وشر (وما ربك بغافل عما يعملون) بالياء والتاء (وربك الغنى) عن خلقه وعبادتهم (ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم) يا اهل مكة بالا هلاك (ويستخلف من بعدكم مايشاء) من الخلق (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) أذهبهم ولكنه أبقاكم رحمة لكم (انما توعدون) من الساعة والعذاب (لآت) لامحالة (وماأنتم بمعجزين) فائتين عذابنا (قل لهم (ياقوم اعملوا على مكانتكم) حالكم (انى عامل) على حالتى (فسوف تعلمون من) موصولة مفعول العلم (تكون له عاقبة الدار) أى العاقبة المحمودة فى الدار الآخرة أنحن أم أنتم (انه لايفلح) يسعد (الظالمون) الكافرون (وجعلوا) أى كفار مكة (لله مما ذرأ) خلق (من الحرث) الزرع (والانعام نصيبا) يصرفونه الى الضيفان والمساكين ولشركائهم نصيبا يصرفون الى سدنتها (فقالوا هذا لله بزعمهم) بالفتح والضم

فى اول سورة البقرة (وان يروا كل آية لايؤمنوا بها) لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم (حتى اذا جاؤك يجادلونك) اى بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤك يجادلونك وحتى هى التى تقع بعدها الجمل التى لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو (يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين) فان جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب و يجادلونك حال لمجيئهم و يجوز ان تكون الجارة واذا جاؤك فى موضع الجر و يجادلونك جواب ويقول تفسيرله والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة او اسطار جمع سطر واصله السطر بمعنى الخط (وهم ينهون عنه) اى ينهون الناس عن القرآن او الرسول والايمان به (و ينأون عنه) بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و ينأون عنه فلا يؤمنون به كابى طالب (وان يهلكون) ومايهلكون بذلك (الا انفسهم ومايشعرون) ان ضرره لايتعداهم الى غيرهم (ولو ترى اذ وقفوا على النار) جوابه محذوف اى ولو تريهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا (فقالوا ياليتنا نرد) تمنيا للرجوع الى الدنيا (ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) استئناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعنى ولا اعود اى انا لا اعود تركتنى اولم تتركنى او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون فى حكم المتمنى وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمنى من الوعد ونصبهما حمزة و يعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو اجراء لها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثانى على الجواب (بل بدالهم ما كانوا يخفون من قبل) الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمنى والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا (ولو ردوا) اى الى الدنيا بعد الظهور والوقوف (لعادوا لما نهوا عنه) من الكفر والمعاصى (وانهم لكاذبون) فيما وعدوا من انفسهم (وقالوا) عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او على نهوا او استئناف بذكر ماقالوه فى الدنيا (ان هى الا حياتنا الدنيا) الضمير للحياة (وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف

(وهذا لشركائنا) فكانوا اذا سقط فى نصيب الله شئ من نصيبها التقطوه أو فى نصيبها شئ من نصيبه تركوه وقالوا ان الله غنى عن هذا كما قال تعالى (فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله) أى لجهته (وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء) بئس (ما يحكمون) حكمهم هذا (وكذلك) كما زين لهم ماذكر (زين لكثير من المشركين قتل اولادهم) بالوأد (شركاؤهم) من الجن بالرفع فاعل زين وفى قراءة ببنائه للمفعول ورفع قتل ونصب الاولاد به وجر شركائهم باضافته وفيه الفصل بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول ولا يضر واضافة القتل الى الشركاء لامرهم به (ليردوهم) يهلكوهم (وليلبسوا) يخلطوا (عليهم دينهم ولوشاء الله مافعلوه فذرهم ومايفترون وقالوا هذه أنعام وحرث حجر) حرام (لا يطعمها الا من نشاء) خدمة الاوثان وغيرهم (بزعمهم) أى لاحجة لهم فيه (وأنعام حرمت ظهورها) فلا تركب

(قال اليس هذا بالحق) كأنه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث ومايتبعه من الثواب والعقاب (قالوا بلى وربنا) اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الانجلاء (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بسبب كفركم او ببدله (قدخسر الذين كذبوا بلقاء الله) اذفاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث ومايتبعه (حتى اذا جاءتهم الساعة) غاية لكذبوا لاالخسر لان خسرانهم لاغاية له (بغتة) فجأة ونصبها على الحال اوالمصدر فانها نوع من المجئ (قالوا ياحسرتنا) اى تعالى فهذا اوانك (على مافرطنا) قصرنا (فيها) فى الحياة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها اوفى الساعة يعنى فى شانها والايمان بها (وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم) تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام (الاساء مايزرون) بئس شيئا وزرهم (وما الحياة الدنيا الالعب ولهو) اى مااعمالها الالعب ولهو يلهى الناس و يشغلهم عمايعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هى الاحياتنا الدنيا (وللدار الآخرة خير للذين يتقون) لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ماليس من اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر والدار الآخرة (افلايعقلون) اى الامرين خير وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم و يعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به اوتغليب الحاضرين على الغائبين (قدنعلم انه ليحزنك الذى يقولون) معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما فى قوله * ولكنه قد يهلك المال نائله * والهاء فى انه للشان وقرئ ليحزنك من احزن (فانهم لايكذبونك) فى الحقيقة وقرأ نافع والكسائى لايكذبونك من اكذبه اذاوجده كاذبا اونسبه الى الكذب (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) ولكنهم يجحدون آيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم اوجحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب روى ان اباجهل كان يقول مانكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ماجئتنا فنزلت (ولقد كذبت رسل من قبلك) تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله لايكذبونك ليس بنفى تكذيبه مطلقا (فصبروا على ماكذبوا واوذوا) على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصبر (حتى اتاهم نصرنا) فيه ايماء بوعد النصر للصابرين (ولامبدل لكلمات الله) لمواعيده من قوله

كالسوائب والحوامى (وأنعام لايذكرون اسم الله عليها) عند ذبحها بل يذكرون اسم أصنامهم ونسبوا ذلك الى الله (افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون) عليه (وقالوا مافى بطون هذه الانعام) المحرمة وهى السوائب والبحائر (خالصة) حلال (لذكورنا ومحرم على أزواجنا) أى النساء (وان يكن ميتة) بالرفع والنصب مع تأنيث الفعل وتذكيره (فهم فيه شركاء سيجزيهم) الله (وصفهم) ذلك بالتحليل والتحريم أى جزاءه (انه حكيم) فى صنعه (عليم) بخلقه (قدخسر الذين قتلوا) بالتخفيف والتشديد (أولادهم) بالوأد (سفها) جهلا (بغير علم وحرموا مارزقهم الله) مما ذكر (افتراء على الله قدضلوا وما كانوا مهتدين وهو الذى أنشأ) خلق (جنات) بساتين (معروشات) مبسوطات على الارض كالبطيخ (وغير معروشات بأن ارتفعت على ساق كالنخل (و) أنشأ (النخل

ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) اى من قصصهم وما كابدوا من قومهم (وان كان كبر عليك) عظم وشق (اعراضهم) عنك وعن الايمان بما جئت به (فان استطعت ان تبتغى نفقا فى الارض اوسلما فى السماء فتأتيهم بآية) منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية اومصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها آية وفى الارض صفة لنفقا وفى السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغى اوحالين من المستكن وجواب الشرط الثانى محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لوقدر ان يأتيهم بآية من تحت الارض اومن فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم (ولوشاء الله لجمعهم على الهدى) اى ولوشاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم يتعلق به مشيئته فلاتتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لوشاء الله لجمعهم على الهدى بان يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة (فلاتكونن من الجاهلين) بالحرص على مالايكون والجزع فى مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة (انما يستجيب الذين يسمعون) انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتأمل كقوله اوالقى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لايسمعون (والموتى يبعثهم الله) فيعلمهم حين لاينفعهم الايمان (ثم اليه يرجعون) للجزاء (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه) اى آية مما اقترحوه اوآية اخرى سوى ماانزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا (قل ان الله قادر على ان ينزل آية) مما اقترحوه اوآية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل اوآية ان جحدوها هلكوا (ولكن اكثرهم لايعلمون) ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد (ومامن دابة فى الارض) تدب على وجهها (ولاطائر يطير بجناحيه) فى الهوى وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها وقرئ ولاطائر بالرفع على المحل (الا امم امثالكم) محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم للحمل على المعنى (مافرطنا فى الكتاب من شئ) يعنى اللوح المحفوظ فانه مشتمل على مايجرى فى العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولاجماد اوالقرآن فانه قددون فيه مايحتاج اليه من امر الدين مفصلا

والزرع مختلفا أكله) ثمره وحبه فى الهيئة والطعم (والزيتون والرمان متشابها) ورقهما حال (وغير متشابه) طعمهما (كلوا من ثمره اذا أثمر) قبل النضج (وآتوا حقه) زكاته (يوم حصاده) بالفتح والكسر من العشر أو نصفه (ولا تسرفوا) باعطاء كله فلا يبقى لعيالكم شئ (انه لايحب المسرفين) المجاوزين ماحد لهم (و) أنشأ (من الانعام حمولة) صالحة للحمل عليها كالابل الكبار (وفرشا) لاتصلح له كالابل الصغار والغنم سميت فرشا لانها كالفرش للارض لدنوها منها (كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان) طرائقه فى التحريم والتحليل (انه لكم عدو مبين) بين العداوة (ثمانية أزواج) أصناف بدل من حمولة وفرشا (من الضأن) زوجين (اثنين) ذكر وأنثى (ومن المعز) بالفتح والسكون (اثنين قل) يامحمد لمن حرم ذكور الانعام تارة واناثها اخرى ونسب ذلك الى الله (آلذكرين) من الضأن والمعز (حرم)

او مجملا ومن مزيدة وشئ فى موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدى بفى الى الكتاب وقرئ مافرطنا بالتخفيف (ثم الى ربهم يحشرون) يعنى الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روى انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها (والذين كذبوا بآياتنا صم) لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم (وبكم) لا ينطقون بالحق (فى الظلمات) خبر ثالث اى خابطون فى ظلمات الكفر او فى ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن فى الخبر (من يشأ الله يضلله) من يشأ الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه (قل ارأيتكم) استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول ارأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلاثة مفاعيل وللزم فى الآية ان يقال ارأيتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره ارأيتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها وقرأ نافع ارأيتكم وارأيت وارأيتم وافرأيتم وافرأيت وشبهه اذا كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة التى بعد الراء والكسائى يحذفها اصلا والباقون يخففونها وحمزة اذا وقف يوافق نافعا (ان اتاكم عذاب الله) كما اتى من قبلكم (او اتتكم الساعة) وهولها ويدل عليه (اغير الله تدعون) وهو تبكيت لهم (ان كنتم صادقين) ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف اى فادعوه (بل اياه تدعون) بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم فى مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص (فيكشف ماتدعون اليه) اى ماتدعون الى كشفه (ان شاء) ان يتفضل عليكم ولا يشاء الآخره (وتنسون ماتشركون) وتتركون آلهتكم فى ذلك الوقت لما ركز فى العقول من انه القادر على كشف الضر دون غيره او تنسونه من شدة الامر وهوله (ولقد ارسلنا الى امم من قبلك) اى قبلك ومن زائدة (فاخذناهم) اى فكفروا وكذبوا المرسلين فأخذناهم (بالبأساء) بالشدة والفقر (والضراء) الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما (لعلهم يتضرعون) يتذللون ويتوبون عن ذنوبهم (فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا) معناه نفى تضرعهم فى ذلك الوقت مع قيام مايدعوهم (ولكن قست قلوبهم وزين لهم

الله عليكم (أم الانثيين) منهما (أما اشتملت عليه أرحام الانثيين) ذكرا كان أو انثى (نبؤنى بعلم) عن كيفية تحريم ذلك (ان كنتم صادقين) فيه المعنى من أين جاء التحريم فان كان من قبل الذكورة فجميع الذكور حرام أو الانوثة فجميع الاناث او اشتمال الرحم فالزوجان فمن أين التخصيص والاستفهام للانكار (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين أم) بل (كنتم شهداء) حضورا (اذ وصاكم الله بهذا) التحريم فاعتمدتم ذلك لا بل انتم كاذبون فيه (فمن) أى لا أحد (أظلم ممن افترى على الله كذبا) بذلك (ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين قل لا أجد فيما أوحى الى) شيئا (محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون) بالياء والتاء (ميتة) بالنصب وفى قراءة بالرفع مع التحتانية (أو دما مسفوحا) سائلا بخلاف غيره كالكبد والطحال (أو لحم خنزير فانه رجس) حرام

الشيطان ما كانوا يعملون) استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم
عن التضرع وانه لانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التى
زينها الشيطان لهم (فلما نسوا ما ذكروا به) من البأساء والضراء ولم يتعظوا به
(فتحنا عليهم ابواب كل شئ) من انواع النعم مراوحة عليهم واستدراجا بين
نوبتى الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة
للعلة اومكرا بهم لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة
وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد فى جميع القرآن وافقه يعقوب فيما عدا هذا
والذى فى الاعراف (حتى اذا فرحوا) اعجبوا (بما اوتوا) من النعم ولم يزيدوا
على البطر والاشتغال بالنعمة عن المنعم والقيام بحقه (اخذناهم بغتة
فاذاهم مبلسون) متحسرون آيسون (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) اى
آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه (والحمد لله
رب العالمين) على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص
لاهل الارض من شؤم عقائدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها
(قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم) اصمكم واعماكم (وختم على
قلوبكم) بان يغطى عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم (من اله غير الله
يأتيكم به) اى بذاك او بما اخذ وختم عليه اوباحد هذه المذكورات
(انظر كيف نصرف الآيات) نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية
وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين
(ثم هم يصدفون) يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف
الآيات وظهورها (قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة) من غير مقدمة
(اوجهرة) بتقدمها امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا اونهارا وقرئ بغتة
وجهرة (هل يهلك) اى ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب (الا القوم
الظالمون) ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء
(وما نرسل المرسلين الا مبشرين) المؤمنين بالجنة (ومنذرين) الكافرين
بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم (فمن آمن واصلح) ما يجب
اصلاحه على ما شرع لهم (فلا خوف عليهم) من العذاب (ولا هم
يحزنون) بفوات الثواب (والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب) جعل
العذاب ماسا لهم كأنه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف
(بما كانوا يفسقون) بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة (قل لا اقول

(أو) الا أن يكون (فسقا
أهل لغير الله به) أى ذبح
على اسم غيره (فمن اضطر)
الى شئ مما ذكر فاكله (غير
باغ ولا عاد فان ربك غفور)
له ما أكل (رحيم) به ويلحق
بما ذكر بالسنة كل ذى ناب
من السباع ومخلب من الطير
(وعلى الذين هادوا) أى
اليهود (حرمنا كل ذى ظفر)
وهو ما لم تفرق أصابعه كالابل
والنعام (ومن البقر والغنم
حرمنا عليهم شحومهما)
الثروب وشحم الكلى (الا
ما حملت ظهورهما)اى ما علق
بها منه (أو) حملته (الحوايا)
الامعاء جمع حاوياء اوحاوية
(أوما اختلط بعظم) منه
وهو شحم الالية فانه أحل
لهم (ذلك)التحريم (جزيناهم)
به (ببغيهم) بسبب ظلمهم
بما سبق فى سورة النساء
(وانا لصادقون) فى اخبارنا
ومواعيدنا (فان كذبوك)
فيما جئت به (فقل) لهم
(ربكم ذو رحمة واسعة)
حيث لم يعاجلكم بالعقوبة
وفيه تلطف بدعائهم الى
الايمان (ولا يرد بأسه)
عذابه اذا جاء (عن القوم

لكم عندى خزائن الله) مقدوراته اوخزائن رزقه (ولا اعلم الغيب) مالم يوح الى ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول (ولااقول لكم انى ملك) اى من جنس الملائكة او اقدر على مايقدرون عليه (ان اتبع الامايوحى الى) تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التى هى من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه (قل هل يستوى الاعمى والبصير) مثل للضال والمهتدى او الجاهل والعالم او مدعى المستحيل كالالوهية والملكية ومدعى المستقيم كالنبوة (افلا تتفكرون) فتهتدوا اوفتميزوا ابين ادعاء الحق والباطل اوفتعلموا ان اتباع الوحى ممالامحيص عنه (وانذربه) الضمير لما يوحى الى (الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم) هم المؤمنون المفرطون فى العمل اوالمجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرابه اومترددافيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته (ليس لهم من دونه ولى ولاشفيع) فى موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحال (لعلهم يتقون) لكى يتقوا (ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) بعدما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لايطردهم ترضية لقريش روى انهم قالوا لوطردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان رضى الله عنهم جلسنا اليك وحادثناك فقال ماانا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنااذا جئناك قال نعم وروى ان عمر رضى الله تعالى عنه قال له لوفعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون فدعا بالصحيفة و بعلى رضى الله تعالى عنه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشى الدوام وقيل صلاتا الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة هنا وفى الكهف (يريدون وجهه) حال من يدعون اى يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهى عليه اشعارا بانه يقتضى اكرامهم وينافى ابعادهم (ماعليك من حسابهم من شئ ومامن حسابك عليهم من شئ) اى ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عندالله كان اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا فى ايمانهم لوآمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين فان كان لهم باطن غيرمرضى كما ذكره المشركون وطعنوا فى دينهم فحسابهم عليهم لايتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لايتعداك اليهم وقيل ماعليك من حساب رزقهم اى من فقرهم وقيل الضمير

المجرمين سيقول الذين أشركوا لوشاء الله ماأشركنا نحن (ولا آباؤنا ولاحرمنا من شئ) فاشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهوراض به قال تعالى (كذلك) كما كذب هؤلاء (كذب الذين من قبلهم) رسلهم (حتى ذاقوا بأسنا) عذابنا (قل هل عندكم من علم) بان الله راض بذلك (فتخرجوه لنا) أى لاعلم عندكم (ان) ما (تتبعون) فى ذلك (الاالظن وان) ما (أنتم الاتخرصون) تكذبون فيه (قل) ان لم تكن لكم حجة (فلله الحجة البالغة) التامة (فلوشاء) هدايتكم (لهداكم أجمعين قل هلم) أحضروا (شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا) الذى حرمتموه (فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون) يشركون (قل تعالوا أتل) أقرأ (ماحرم ربكم عليكم أن) مفسرة (لاتشركوا به شيئاو) أحسنوا (بالوالدين احسانا

للشركين والمعنى لاتؤاخذ بحسابهم ولاهم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعافى ايمانهم (فتطردهم) فتبعدهم وهو جواب النفى (فتكون من الظالمين) جواب النهى ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبيب وفيه نظر (وكذلك فتنابعضهم ببعض) ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس فى امور الدنيا فتنا اى ابتلينا بعضهم ببعض فى امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى الايمان (ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا) اى أهؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لوكان خيرا ماسبقونا اليه واللام للعاقبة اوللتعليل على ان فتنا متضمن معنى خذلنا (أليس الله باعلم بالشاكرين) بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه و بمن لايقع منه فيخذله (واذاجاءك الذين يؤمنون بآياتنافقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة) الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأ بالتسليم او يبلغ سلام الله اليهم و يبشرهم بسعة رحمته وفضله بعد النهى عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتى العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغى ان يقرب ولايطرد و يعز ولايذل و يبشر من الله بالسلامة فى الدنيا والرحمة فى الآخره وقيل ان قوما جاؤا الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظامافلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت (انه من عمل منكم سوأ) استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم و يعقوب بالفتح على البدل منها (بجهالة) فى موضع الحال اى من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة مايتبعه من المضار والمفاسد كعمر رضى الله تعالى عنه فيما اشار اليه اوملتبسا بفعل الجهلة فان ارتكاب مايؤدى الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل (ثم تاب من بعده) من بعدالعمل او السوء (واصلح) بالتدارك والعزم على ان لايعود اليه (فانه غفور رحيم) فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدأ اوخبر اى فامره اوفعله غفرانه (وكذلك) ومثل ذلك التفصيل الواضح (نفصل الآيات) آيات القرآن فى صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين (ولتستبين سبيل المجرمين) قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى

ولاتقتلوا أولادكم) بالوأد (من) أجل (املاق) فقر تخافونه (نحن نرزقكم واياهم ولاتقربوا الفواحش) الكبائر كالزنا (ماظهر منها ومابطن) أى علانيتها وسرها (ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) كالقود وحد الردة ورجم المحصن (ذلكم) المذكور (وصاكم به لعلكم تعقلون) تتدبرون (ولاتقربوا مال اليتيم الابالتى) أى بالخصلة التى (هى أحسن) وهى مافيه صلاحه (حتى يبلغ أشده) بان يحتلم (واوفوا الكيل والميزان بالقسط) بالعدل وترك البخس (لانكلف نفسا الاوسعها) طاقتها فى ذلك فان أخطأ فى الكيل والوزن والله يعلم صحة نيته فلا مؤاخذة عليه كما ورد فى حديث (واذاقلتم) فى حكم أوغيره (فاعدلوا) بالصدق (ولوكان) المقول له أوعليه (ذاقربى) قرابة (و بعهدالله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) بالتشديد تتعظون والسكون (وان) بالفتح على تقدير

ولتستوضح يامحمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل
وابن كثير وابن عامر وابو عمرو و يعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى
ولتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر و يؤنث
و يجوز ان يعطف على علة مقدرة اى نفصل الآيات ليظهر الحق وليستبين
(قل انى نهيت) صرفت وزجرت بما نصب لى من الادلة وانزل على
من الآيات فى امر التوحيد (ان اعبد الذين تدعون من دون الله) عن
عبادة ماتعبدون من دون الله اوماتدعونها آلهة اى تسمونها (قل لااتبع
اهواءكم) تأكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنهى وعلة الامتناع
عن متابعتهم واستجهال لهم و بيان لمبدأ ضلالهم وان ماهم عليه هوى
وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولايقلد
(قد ضللت اذا) اى ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت (وماانا من المهتدين)
اى وما انا فى شئ من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم
كذلك (قل انى على بينة) تنبيه على مايجب اتباعه بعدما بين مالايجوز
اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التى تفصل الحق من الباطل وقيل المراد
بها القرآن والوحى اوالحجج العقلية اومايعمهما (من ربى) معرفته انه
لامعبود سواه و يجوز ان يكون صفة لبينة (وكذبتم به) الضمير لربى اى كذبتم
به حيث اشركتم به غيره اوللبينة باعتبار المعنى (ماعندى ماتستعجلون به)
يعنى العذاب الذى استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء اوائتنا
بعذاب اليم (ان الحكم الالله) فى تعجيل العذاب وتأخيره (يقضى الحق)
اى القضاء الحق او يصنع الحق و يدبره من قولهم قضى الدرع اذاصنعها
فيما يقضى من تعجيل وتأخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم
المنع فكأنه منع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص
الاثر اوقص الخبر (وهو خير الفاصلين) القاضين (قل لو ان عندى)
اى فى قدرتى ومكنتى (ماتستعجلون به) من العذاب (لقضى الامر بينى
و بينكم) لاهلكتكم عاجلا غضبا لربى وانقطع مابينى و بينكم (والله اعلم
بالظالمين) فى معنى الاستدراك كأنه قال ولكن الامر الى الله تعالى وهو اعلم بمن
ينبغى ان يؤخذ و بمن ينبغى ان يمهل منهم (وعنده مفاتح الغيب) خزائنه
جمع مفتح الميم وهو المخزن اومايتوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتيح
التى هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح و يؤيده ان قرئ مفاتيح والمعنى انه

اللام والكسر استئنافا (هذا)
الذى وصيتكم به (صراطى
مستقيما) حال (فاتبعوه
ولاتتبعوا السبل) الطرق
المخالفة له (فتفرق) فيه
حذف احدى التاءين تميل
(بكم عن سبيله) دينه
(ذلكم وصاكم به لعلكم
تتقون ثم آتينا موسى الكتاب)
التوراة وثم لترتيب الاخبار
(تماما) للنعمة (على الذى
أحسن) بالقيام به (وتفصيلا)
بيانا (لكل شئ) يحتاج
اليه فى الدين (وهدى ورحمة
لعلهم) أى بنى اسرائيل
(بلقاء ربهم) بالبعث (يؤمنون
وهذا) القرآن (كتاب
أنزلناه مبارك فاتبعوه) ياأهل
مكة بالعمل بما فيه (واتقوا)
الكفر (لعلكم ترحمون)
أنزلناه (أن) لا (تقولوا
انما أنزل الكتاب على
طائفتين) اليهود والنصارى
(من قبلنا وان) مخففة
واسمها محذوف أى انا (كنا
عن دراستهم) قراءتهم
(لغافلين) لعدم معرفتنا
لها اذليست بلغتنا (أو تقولوا
لو أنا أنزل علينا الكتاب
لكنا أهدى منهم) لجودة

المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها (لايعلمها الاهو) فيعلم اوقاتها ومافى تعجيلها اوتأخيرها من الحكم فيظهرها على ماقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها (ويعلم مافى البر والبحر) عطف الاخبار عن تعلق علمه تعالى بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به (وماتسقط من ورقة الا يعلمها) مبالغة فى احاطة علمه بالجزئيات (ولا حبة فى ظلمات الارض ولارطب ولايابس) معطوفات على ورقة وقوله (الا فى كتاب مبين) بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله اوبدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة اوللابتداء والخبر الا فى كتاب مبين (وهو الذى يتوفاكم بالليل) ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفى من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة فى زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشئ بتمامه (ويعلم ماجرحتم بالنهار) كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد (ثم يبعثكم) يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفى (فيه) فى النهار (ليقضى اجل مسمى) ليبلغ المتيقظ آخر اجله المسمى له فى الدنيا (ثم اليه مرجعكم) بالموت (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) بالمجازاة عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للآثام بالنهار وانه تعالى يطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور فى شأن ذلك الذى قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذى سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصى وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المتطلعين عليه (حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا) ملك الموت واعوانه وقرأ حمزة توفاه بالف ممالة (وهم لايفرطون) بالتوانى والتأخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لايجاوزون ماحد لهم بزيادة اونقصان (ثم ردوا الى الله) الى حكمه وجزائه (مولاهم) الذى يتولى امرهم (الحق) العدل الذى لايحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح (الا له الحكم) يومئذ لاحكم لغيره فيه (وهو اسرع الحاسبين) يحاسب الخلق فى مقدار حلب شاة لايشغله

أذهاننا (فقد جاءكم بينة) بيان (من ربكم وهدى ورحمة) لمن اتبعه (فمن) أى لا أحد (أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف) أعرض (عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) أى أشده (بما كانوا يصدفون هل ينظرون) ماينتظر المكذبون (الا أن تأتيهم) بالتاء والياء (الملائكة) لقبض ارواحهم (أو يأتى ربك) أى أمره بمعنى عذابه (أو يأتى بعض آيات ربك) أى علاماته الدالة على الساعة (يوم يأتى بعض آيات ربك) وهى طلوع الشمس من مغربها كما فى الحديث الصحيحين (لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل) الجملة صفة نفس (أو) نفسا لم تكن (كسبت فى ايمانها خيرا) طاعة أى لاتنفعها توبتها كما فى الحديث (قل انتظروا) أحد هذه الاشياء (انا منتظرون) ذلك (ان الذين فرقوا دينهم) باختلافهم فيه فأخذوا بعضه وتركوا بعضه (وكانوا شيعا) فرقا

حساب عن حساب (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر) من شدائدهما استعيرت الظلمات للشدة لمشاركتهما فى الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف فى البر والغرق فى البحر وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد (تدعونه تضرعا وخفية) معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا وقرئ خفية بالكسر (لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) على ارادة القول اى تقولون لئن انجيتنا وقرأ الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة (قل الله ينجيكم منها) شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون (ومن كل كرب) غم سواها (ثم انتم تشركون) تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك فى عبادة الله تعالى فكأنه لم يعبده رأسا (قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم) كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل (او من تحت ارجلكم) كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم (او يلبسكم) يخلطكم (شيعا) فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب القتال بينكم قال * وكتيبة لبستها بكتيبة * حتى اذا التبست نفضت لها يدى * (ويذيق بعضكم بأس بعض) يقاتل بعضكم بعضا (انظر كيف نصرف الآيات) بالوعد والوعيد (لعلهم يفقهون وكذب به قومك) اى بالعذاب وبالقرآن (وهو الحق) الواقع لا محاله او الصدق (قل لست عليكم بوكيل) بحفيظ وكل الى امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ (لكل نبأ) خبر يريد به اما العذاب او الايعاد به (مستقر) وقت استقرار ووقوع (وسوف تعلمون) عند وقوعه فى الدنيا او فى الآخرة (واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا) بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها (فاعرض عنهم) فلا تجالسهم وقم عنهم (حتى يخوضوا فى حديث غيره) اعاد الضمير على معنى الآيات لانها القرآن (واما ينسينك الشيطان) بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهى وقرأ ابن عامر ينسينك بالتشديد (فلا تقعد بعد الذكرى) بعد ان تذكره (مع القوم الظالمين) اى معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام (وما على الذين يتقون) وما يلزم المتقين من قبائح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم (من حسابهم من شئ) شئ

فى ذلك وفى قراءة فارقوا أى تركوا دينهم الذى أمروا به وهم اليهود والنصارى (لست منهم فى شئ) فلا تتعرض لهم (انما أمرهم الى الله) يتولاه (ثم ينبئهم) فى الآخرة (بما كانوا يفعلون) فيجازيهم به وهذا منسوخ بآية السيف (من جاء بالحسنة) أى لا اله الا الله (فله عشر أمثالها) أى جزاء عشر حسنات (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها) أى جزاءه (وهم لا يظلمون) ينقصون من جزائهم شيئا (قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم) ويبدل من محله (دينا قيما) مستقيما (ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلاتى ونسكى) عبادتى من حج وغيره (ومحياى) حياتى (ومماتى) موتى (لله رب العالمين لا شريك له) فى ذلك (وبذلك) أى التوحيد (أمرت وأنا أول المسلمين) من هذه الامة (قل أغير الله أبغى ربا) الها أى لا أطلب غيره (وهو رب) مالك (كل شئ ولا تكسب كل نفس) ذنبا (الا عليها ولا تزر) تحمل نفس (وازرة

مما يحاسبون عليه من قبائح اعمالهم واقوالهم (ولكن ذكرى) ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى و يمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح و يظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شئ لان من حسابهم يأباه ولا على شئ لذلك ولان من لا تزاد بعد الاثبات (لعلهم يتقون) يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم و يحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تنثلم بمجالستهم روى ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس فى المسجد ونطوف فنزلت (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) اى بنوا امر دينهم على التشهى وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم الذى كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به اوجعلوا عيدهم الذى جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم و يجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله تعالى ذرنى ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا بآية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم (وغرتهم الحياة الدنيا) حتى انكروا البعث (وذكر به) اى بالقرآن (ان تبسل نفس بما كسبت) مخافة ان تسلم الى الهلاك وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اى حرام (ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع) يدفع عنها العذاب (وان تعدل كل عدل) وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل نصب على المصدر (لا يؤخذ منها) الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به (اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا) اى سلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة (لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون) تأكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلى يتجرجر فى بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم (قل اندعوا) انعبد (من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا) ما لا يقدر على نفعنا وضرنا (ونرد على اعقابنا) ونرجع الى الشرك (بعد اذ هدانا الله) فانقذنا منه ورزقنا الاسلام (كالذى استهوته الشياطين) كالذى ذهبت به مردة الجن الى المهامه استفعال من

آثمة (وزر) نفس (أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذى جعلكم خلائف الارض) جمع خليفة أى يخلف بعضكم بعضا فيها (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) بالمال والجاه وغير ذلك (ليبلوكم) ليختبركم (فيما آتاكم) أعطاكم ليظهر المطيع منكم والعاصى (ان ربك سريع العقاب) لمن عصاه (وانه لغفور) للمؤمنين (رحيم) بهم سورة الاعراف مكية الا واسألهم عن القرية الثمان أو الخمس آيات مائتان وخمس او ست آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(المص) الله أعلم بمراده بذلك هذا (كتاب أنزل اليك) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (فلا يكن فى صدرك حرج) ضيق (منه) أن تبلغه مخافة أن تكذب (لتنذر) متعلق بانزل أى للانذار (به وذكرى) تذكرة (للمؤمنين) به قل لهم (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) أى القرآن (ولا تتبعوا) تتخذوا (من دونه)

هوى يهوى هو يا اذا ذهب وقرأ حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرداى مشبهين بالذى استهوته او على المصدر اى ردا مثل ردالذى استهوته (فى الارض حيران) متحيرا ضالا عن الطريق (له اصحاب) لهذا المستهوى رفقة (يدعونه الى الهدى) الى ان يهدوه الطريق المستقيم او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر (ائتنا) يقولون له ائتنا (قل ان هدى الله) الذى هو الاسلام (هو الهدى) وحده وما عداه ضلال (وامرنا لنسلم لرب العالمين) من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اى امرنا بذلك لنسلم وقيل هى بمعنى الباء وقيل هى زائدة (وان اقيموا الصلاة واتقوه) عطف على لنسلم اى للاسلام واقامة الصلاة او على موقعه كأنه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا روى ان عبدالرحمن بن ابى بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا القول اجابة عن الصديق تعظيما لشأنه واظهارا للاتحاد الذى كان بينهما (وهو الذى اليه تحشرون) يوم القيامة (وهو الذى خلق السموات والارض بالحق) قائما بالحق والحكمة (و يوم يقول كن فيكون قوله الحق) جملة اسمية قدم فيها الخبر اى قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارض وقوله الحق نافذ فى الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او على الهاء فى واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اى لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها (وله الملك يوم ينفخ فى الصور) كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (عالم الغيب والشهادة) اى هو عالم الغيب (وهو الحكيم الخبير) كالفذلكة للآية (واذقال ابراهيم لابيه آزر) هو عطف بيان لابيه وفى كتب التواريخ ان اسمه تارح فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارح وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمى حمل على موازنه او نعت مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمى على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره مابعده اى اتعبد آزر ثم قال (اتتخذ اصنا ما آلهة) تفسير او تقريرا و يدل عليه ان قرئ

أى الله أى غيره (أولياء) تطيعونهم فى معصيته تعالى (قليلا ماتذكرون) بالتاء والياء تتعظون وفيه ادغام التاء فى الاصل فى الدال وفى قراءة بسكونها ومازائدة لتأكيد القلة (وكم) خبرية مفعول (من قرية) أريد اهلها (اهلكناها) أردنا اهلاكها (فجاءها بأسنا) عذابنا (بياتا) ليلا (أوهم قائلون) نائمون بالظهيرة والقيلولة استراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم أى مرة جاءها ليلا ومرة نهارا (فما كان دعواهم) قولهم (اذ جاءهم بأسنا الا أن قالوا انا كنا ظالمين فلنسألن الذين أرسل اليهم) أى الامم عن اجابتهم الرسل وعملهم فيما بلغهم (ولنسألن المرسلين) عن الابلاغ (فلنقصن عليهم بعلم) لنخبرنهم عن علم بما فعلوه (وما كنا غائبين) عن ابلاغ الرسل والامم الخالية فيما عملوا (والوزن) للاعمال أو لصحائفها بميزان له لسان وكفتان كما ورد فى حديث كائن (يومئذ) أى يوم السؤال المذكور وهو يوم القيامة

ءازر أتتخذ أصناما بفتح همزة ازرو كسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم (انى اراك وقومك فى ضلال) عن الحق (مبين) ظاهر الضلالة (وكذلك نرى ابراهيم) ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية (ملكوت السموات والارض) ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة (وليكون من الموقنين) اى ليستدل وليكون او وفعلنا ذلك ليكون (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى) تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك نرى اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشترى وقوله هذا ربى على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه (فلما افل) اى غاب (قال لا احب الآفلين) فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضى الامكان والحدوث وينافى الالوهية (فلما رأى القمر بازغا) مبتدأ فى الطلوع (قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين) استعجز نفسه واستعان بربه فى درك الحق فانه لا يهتدى اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى) ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التأنيث (هذا اكبر) كبره استدلالا او اظهارا لشبهة الخصم (فلما افلت قال ياقوم انى برئ مما تشركون) من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما تخصص به ثم لما تبرأ عنها توجه الى موجدها ومبدعها الذى دلت هذه الممكنات عليه فقال (انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين) وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه رأى الكوكب الذى يعبدونه فى وسط السماء حين حاول الاستدلال (وحاجه قومه) وخاصموه فى التوحيد (قال أتحاجونى فى الله) فى وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون (وقد هدانى)

(الحق) العدل صفة الوزن (فمن ثقلت موازينه) بالحسنات (فاولئك هم المفلحون) الفائزون (ومن خفت موازينه) بالسيئات (فاولئك الذين خسروا أنفسهم) بتصييرها الى النار (بما كانوا بآياتنا يظلمون) يجحدون (ولقد مكناكم) يا بنى آدم (فى الارض وجعلنا لكم فيها معايش) بالياء أسبابا تعيشون بها جمع معيشة (قليلا ما) لتأكيد القلة (تشكرون) على ذلك (ولقد خلقناكم) أى أباكم آدم (ثم صورناكم) أى صورناه أو أنتم فى ظهره (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود تحية بالانحناء (فسجدوا الا ابليس) أبا الجن كان بين الملائكة (لم يكن من الساجدين قال) تعالى (مامنعك أن لا) زائدة (تسجد اذ) حين (أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها) أى من الجنة وقيل من السموات (فما يكون) ينبغى (لك أن تتكبر فيها فاخرج منها (انك من الصاغرين) الذليلين (قال أنظرنى)

أخرتى (الى يوم يبعثون) أى الناس (قال انك من المنظرين) وفى آية اخرى الى يوم الوقت المعلوم أى وقت النفخة الاولى (قال فبما أغويتنى) أى باغوائك لى والباء للقسم وجوابه (لاقعدن لهم) أى لبنى آدم (صراطك المستقيم) أى على الطريق الموصل اليك (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم) أى من كل جهة فامنعهم عن سلوكه قال ابن عباس ولايستطيع أن يأتى من فوقهم لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى (ولاتجد أكثرهم شاكرين) مؤمنين (قال اخرج منها مذؤما) بالهمز معيبا أو ممقوتا (مدحورا) مبعدا عن الرحمة (لمن تبعك منهم) من الناس واللام للابتداء أو موطئة للقسم وهو (لأملأن جهنم منكم أجمعين) أى منك بذريتك ومن الناس وفيه تغليب الحاضر على الغائب وفى الجملة معنى جزاء من الشرطية أى من تبعك أعذبه (و) قال (ياآدم اسكن أنت) تأكيد

الى توحيده (ولااخاف ماتشركون به) اى لااخاف معبوداتكم فى وقت لانها لاتضر بنفسها ولاتنفع (الاان يشاء ربى شيئا) ان يصيبنى بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه من آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله (وسع ربى كل شئ علما) كانه علة الاستثناء اى احاط به علما فلايبعدان يكون فى علمه ان يحيق بى مكروه من جهتها (افلا تتذكرون) فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز (وكيف اخاف ماشركتم) ولايتعلق به ضر (ولاتخافون انكم اشركتم بالله) وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع (مالم ينزل به عليكم سلطانا) مالم ينزل باشراكم كتابا اولم ينصب عليه دليلا (فاى الفريقين احق بالامن) اى الموحدون او المشركون وانما لم يقل اينااناام انتم احترازا من تزكية نفسه (ان كنتم تعلمون) مايحق ان يخاف منه (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون) استئناف منه عليه السلام او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لماروى ان الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عليه الصلاة والسلام ليس ماتظنون انما هو ماقال لقمان لابنه يابنى لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية (وتلك) اشارة الى مااحتج به ابراهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون اومن قوله اتحاجونى اليه (حجتنا آتيناها ابراهيم) ارشدناه اليها او علمناه اياها (على قومه) متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك و بمحذوف ان جعل بدله اى اتيناها ابراهيم حجة على قومه (نرفع درجات من نشاء) فى العلم والحكمة وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين (ان ربك حكيم) فى رفعه وخفضه (عليم) بحال من يرفعه واستعداده له (ووهبناله اسحق ويعقوب كلاهدينا) اى كلا منهما (ونوحاهدينامن قبل) اى من قبل ابراهيم عدهداه نعمة على ابراهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد (ومن ذريته) الضمير لابراهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم فلو كان لابراهيم اختص البيان بالمعدودين فى تلك الآية والتى بعدها والمذكورون فى الآية الثالثة عطف على نوحا (داود وسليمان وايوب) ايوب بن آموص من اسباط عيصا بن اسحق (ويوسف وموسى وهرون

(وكذلك نجزى المحسنين) اى ونجزى المحسنين جزاء مثل ماجزينا ابراهيم
برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم (وزكريا ويحيى وعيسى) هو ابن
مريم وفى ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت (والياس) قيل هو
ادريس جد نوح عليهما السلام فيكون البيان مخصوصا بمن فى الآية الاولى
وقيل هو من اسباط هرون اخى موسى عليهما السلام (كل من الصالحين)
الكاملين فى الصلاح وهو الاتيان بما ينبغى والتحرز عما لا ينبغى (واسمعيل واليسع)
هو اليسع بن اخطوب وقرأ حمزة والكسائى والليسع وعلى القراءتين علم اعجمى
ادخل عليه اللام كما ادخل اليزيد فى قوله * رأيت الوليد بن اليزيد مباركا *
شديدا باعباء الخلافة كاهله * (ويونس) هو يونس بن متى (ولوطا) هو
لوط بن هاران ابن اخى ابراهيم (وكلا فضلنا على العالمين) بالنبوة وفيه دليل
على فضلهم على من عداهم من الخلق (ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم)
عطف على كلا او نوحا اى فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم
واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا (واجتبيناهم) عطف على فضلنا
او هدينا (وهديناهم الى صراط مستقيم) تكرير لبيان ماهدوا اليه (ذلك
هدى الله) اشارة الى ما دانوا به (يهدى به من يشاء من عباده) دليل على انه
تعالى متفضل بالهداية (ولو اشركوا) اى ولو اشرك هؤلاء الانبياء مع
فضلهم وعلو شأنهم (لحبط عنهم ما كانوا يعملون) لكانوا كغيرهم فى حبوط
اعمالهم بسقوط ثوابها (اولئك الذين آتيناهم الكتاب) يريد به الجنس
(والحكم) الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق (والنبوة) والرسالة
(فان يكفر بها) اى بهذه الثلاثة (هؤلاء) يعنى قريشا (فقد وكلنا بها) اى
اى براعاتها (قوما ليسوا بها بكافرين) وهو الانبياء المذكورون ومتابعوهم
وقيل هم الانصارى او اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او كل من آمن به
او الفرس وقيل الملائكة عليهم السلام (اولئك الذين هدى الله) يريد الانبياء
المتقدم ذكرهم (فبهداهم اقتده) فاختص طريقتهم بالاقتداء والمراد بهداهم
ماتوافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها
ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التأسى بهم جميعا فليس فيه دليل
على انه عليه الصلاة والسلام متعبد بشرع من قبله والهاء فى اقتده للوقف
ومن اثبتها فى الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابى عمرو وعاصم اجرى
الوصل مجرى الوقف ويحذف الهاء فى الوصل خاصة حمزة والكسائى

للضمير فى اسكن ليعطف عليه
(وزوجك) حواء بالمد
(الجنة فكلا من حيث شئتما
ولا تقربا هذه الشجرة) بالاكل
منها وهى الحنطة (فتكونا من
الظالمين فوسوس لهما
الشيطان) ابليس (ليبدى)
يظهر (لهما ماووری)
فوعل من المواراة (عنهما
من سوآتهما . وقال مانهاكما
ربكما عن هذه الشجرة الا)
كراهة (أن تكونا ملكين)
وقرئ بكسر اللام (أو تكونا
من الخالدين) أى وذلك لازم
عن الاكل منها كما فى آية أخرى
هل أدلك على شجرة الخلد
وملك لا يبلى (وقاسمهما) أى
أقسم لهما بالله (انى لكما
لمن الناصحين) فى ذلك (فدلاهما)
حطهما عن منزلتهما (بغرور)
منه (فلما ذاقا الشجرة) أى
أكلا منها (بدت لهما سوآتهما)
أى ظهر لكل منهما قبله وقبل
الآخر ودبره وسمى كل منهما
سوءة لان انكشافه يسوء
صاحبه (وطفقا يخصفان)
أخذا يلزقان (عليهما من ورق
الجنة) ليستترا به (وناداهما
ربهما ألم أنهكما عن تلكما

واشبعها ابن عامر برواية ابن ذكوان و يكسر الهاء بغير اشباع برواية هشام على انهـا كناية المصدر (قل لا اسألكم عليه) اى على التبليغ او القرآن (اجرا) اى جعلا من جهتكم كما لم يسأل من قبلى من النبيين وهذا من جملة ماامر بالاقتداء بهم فيه (ان هو) التبليغ او القرآن او الغرض (الا ذكرى للعالمين) الا تذكير وعظة لهم (وما قدروا الله حق قدره) وما عرفوا حق معرفته فى الرحمة والانعام على العباد (اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شئ) حين انكروا الوحى و بعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته اوفى السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة فى انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله (قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونهـا وتخفون كثيرا) وقراءة الجمهور بالتاء وانما قرأ بالياء ابن كثير وابو عمرو وحملا على قالوا وماقدروا وتضمين ذلك توبيخهم على سوء جهلهم بالتوراة وذمهم عـلى تجزئتها بابداء بعض ما انتخبوه وكتبوه فى ورقات متفرقة واخفاء بعض لايشتهونه روى ان مالك ابن الصيف قاله لما اغضبه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله انشدك بالذى انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال فانت الحبر السمين وقيـل هم المشركون والزامهم بانزال التوراة لانه كانه من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم (وعلمتم) على لسان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (مالم تعلموا انتم ولا آباؤكم) زيادة على ما فى التوراة وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون وقيـل الخطاب لمن آمن من قريش (قل الله) اى انزل الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لايمكن غيره وتنبيهـا على انهم بهتوا بحيث لايقدرون عـلى الجواب (ثم ذرهم فى خوضهم) فى اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة (يلعبون) حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون وحال من المفعول اوفاعل يلعبون اومن هم الثانى والظرف متصل بالاول (وهذا كتاب انزلناه مبارك) كثير الفائدة والنفع (مصدق الذى بين يديه) يعنى التوراة او الكتب التى قبله (ولتنذر ام القرى) عطف على مادل عليه

الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) بين العداوة والاستفهام للتقرير (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا) بمعصيتنا (وان لم تغفر لنـا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا) اى آدم وحوا بما اشتملتما عليه من ذريتكما (بعضكم) بعض الذرية (لبعض عدو) من ظلم بعضهم بعضا (ولكم فى الارض مستقر) مكان استقرار (ومتاع) تمتـع (الى حين) تنقضى فيـه آجالكم (قال فيهـا) أى الارض (تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) بالبعث بالبناء للفاعل والمفعول (يابنى آدم قد انزلنـا عليكم لباسـا) أى خلقنـاه لكم (يوارى) يستر (سوآتكم وريشا) هو ما يتجمل به من الثياب (ولبـاس التقوى) العمل الصالح والسمت الحسن بالنصب عطف عـلى لباسا والرفع مبتدأ خبره جملة (ذلك من آيات الله) دلائل قدرته (لعلهم يذكرون) فيؤمنون فيه التفات عن الخطاب (يابنى آدم لايفتننـكم) يضـلنكم (الشـيطان) أى لاتتبعـوه

مبارك اى للبركات ولتنذر اوعلة محذوف اى ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شأنا وقيل لان الارض دحيت من تحتها اولانها مكان اول بيت وضع للناس وقرأ ابو بكر عن عاصم بالياء اى ولينذر الكتاب (ومن حولها) اهل الشرق والغرب (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم يحافظون) فان من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبى والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة لانها عماد الدين وعلم الايمان (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسى اواختلق عليه احكاما كعمرو بن لحى ومتابعيه (اوقال اوحى الى ولم يوح اليه شئ) كعبدالله بن سعد بن ابى سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشأناه خلقا آخر قال عبدالله فتبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبدالله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحى الى كما اوحى اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال (ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله) كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا (ولو ترى اذ الظالمون) حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اى ولو ترى الظالمين (فى غمرات الموت) شدائده من غمره الماء اذا غشيه (والملائكة باسطوا ايديهم) بقبض ارواحهم كالمتقاضى الملظ اوبالعذاب (اخرجوا انفسكم) اى يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم اواخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا (اليوم) يريد به وقت الاماتة اوالوقت الممتد من الاماتة الى مالانهاية له (تجزون عذاب الهون) اى الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحى كاذبا (وكنتم عن آياته تستكبرون) فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون بها (ولقد جئتمونا) للحساب والجزاء (فرادى) منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا اوعن الاعوان والاوثان التى زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتأنيث ككسالى وقرئ فرادا كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى (كما خلقناكم

فتفتنوا (كما أخرج أبويكم) بفتنته (من الجنة ينزع) حال (عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه) أى الشيطان (يراكم هو وقبيله) جنوده (من حيث لا ترونهم) للطافة اجسادهم أوعدم ألوانهم (انا جعلنا الشياطين أولياء) اعوانا وقرناء (للذين لا يؤمنون واذا فعلوا فاحشة) كالشرك وطوافهم بالبيت عراة قائلين لانطوف فى ثياب عصينا الله فيها فنهوا عنها (قالوا وجدنا عليها آباءنا) فاقتدينا بهم (والله أمرنا بها) أيضا (قل) لهم (ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون) أنه قاله استفهام انكار (قل أمر ربى بالقسط) العدل (وأقيموا) معطوف على معنى بالقسط أى قال أقسطوا وأقيموا أو قبله فاقبلوا مقدرا (وجوهكم) لله (عند كل مسجد) أى أخلصوا له سجودكم (وادعوه) اعبدوه (مخلصين له الدين) من الشرك (كما بدأكم) خلقكم ولم تكونوا شيئا (تعودون) أى يعيدكم أحياء يوم القيامة (فريقا) منكم

اول مرة) بدل منه اى على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد اوحال ثانية ان جوز التعدد فيها اوحال من الضمير فى فرادى اى مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما اوصفة مصدر جئتمونا اى مجيئا كما خلقناكم (وتركتم ماخولناكم) ماتفضلنا به عليكم فى الدنيا فشغلتم به عن الآخرة (وراء ظهوركم) ماقدمتموه منه شيئا ولم تحملوا نقيرا (ومانرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء) اى شركاء الله فى ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم (لقد تقطع بينكم) اى تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قرءة نافع والكسائى وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ماقبله عليه واقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع مابينكم وقد قرئ به (وضل عنكم) ضاع وبطل (ماكنتم تزعمون) انها شفعاءكم اوان لابعث ولاجزاء (ان الله فالق الحب والنوى) بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذى فى الحنطة والنواة (يخرج الحى) يريد به ماينمو من الحيوان والنبات ليطابق ماقبله (من الميت) مما لاينمو كالنطف والحب (ومخرج الميت من الحى) مخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحى واقع موقع البيان له (ذلكم الله) اى ذلكم المحيى والمميت هو الذى يحق له العبادة (فانى تؤفكون) تصرفون عنه الى غيره (فالق الاصباح) شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل اوعن بياض النهار اوشاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذى يليه والاصباح فى الاصل مصدر اصبح اذا دخل فى الصباح سمى به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح (وجاعل الليل سكنا) يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به اويسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لابه فانه فى معنى الماضى ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به على ان المراد منه جعل مستمرا فى الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون (والشمس والقمر) عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدر وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اى مجعولان (حسبانا) اى على ادوار مختلفة تحسب بهما

(هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) أى غيره (ويحسبون أنهم مهتدون يابنى آدم خذوا زينتكم) مايستر عورتكم (عند كل مسجد) عند الصلاة والطواف (وكلوا واشربوا) ماشئتم (ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين قل) انكارا عليهم (من حرم زينة الله التى أخرج لعباده) من اللباس (والطيبات) المستلذات (من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحيات الدنيا) بالاستحقاق وان شاركهم فيها غيرهم (خالصة) خاصة بهم بالرفع والنصب حال (يوم القيامة كذلك نفصل الآيات) نبينها مثل ذلك التفصيل (لقوم يعلمون) يتدبرون فانهم المنتفعون بها (قل انما حرم ربى الفواحش) الكبائر كالزنا (ماظهر منها ومابطن) أى جهرها وسرها (والاثم) المعصية (والبغى) على الناس (بغير الحق) هو الظلم (وأن تشركوا بالله مالم ينزل به) باشراكه (سلطانا) حجة

الاوقات ويكونان على الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان (ذلك) اشارة الى جعلهما حسبانا اى ذلك التسيير بالحساب المعلوم (تقدير العزيز) الذى قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص (العليم) بتدبيرهما والانفع من التدوير والممكنة لهما (وهو الذى جعل لكم النجوم) خلقها لكم (لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) فى ظلمات الليل فى البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او فى مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما اجملها بقوله لكم (قد فصلنا الآيات) بيناها فصلا فصلا (لقوم يعلمون) فانهم المنتفعون به (وهو الذى انشأكم من نفس واحدة) وهو آدم عليه السلام (فمستقر ومستودع) اى فلكم استقرار فى الاصلاب اوفوق الارض واستيداع فى الارحام اوتحت الارض اوموضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع اسم مفعول اى منكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بنى آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر (وهو الذى انزل من السماء ماء) من السحاب او من جانب السماء (فاخرجنا) على تلوين الخطاب (به) بالماء (نبات كل شئ) نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة فى انبات الانواع المفننة المسقية بماء واحد كما فى قوله تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل (فاخرجنا منه) من النبات او الماء (خضرا) شيئا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب (نخرج منه) من الخضر (حبا متراكبا) وهو السنبل (ومن النخل من طلعها قنوان) اى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان اومن النخل شيئا من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذليس فعلان من ابنية الجمع (دانية) قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها (وجنات من اعناب)

(وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) من تحريم ما لم يحرم وغيره (ولكل أمة أجل) مدة (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون) عنه (ساعة ولا يستقدمون) عليه (يابنى آدم اما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما المزيدة (يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى) الشرك (وأصلح) عمله (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فى الآخرة (والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا) تكبروا (عنها) فلم يؤمنوا بها (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون فمن) أى لا أحد (أظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك والولد اليه (أو كذب بآياته) القرآن (أولئك ينالهم) يصيبهم (نصيبهم) حظهم (من الكتاب) مما كتب لهم فى اللوح المحفوظ من الرزق والاجل وغير ذلك (حتى اذا جاءتهم رسلنا) اى الملائكة (يتوفونهم قالوا) لهم تبكيتا (أين ما كنتم تدعون) تعبدون (من دون الله قالوا ضلوا) غابوا (عنا) فلم نرهم (وشهدوا

عطف على نبات كل شئ وقرئ بالرفع على الابتداء اى ولكم اوثم جنات اومن الكرم جنات ولايجوز عطفه على قنوان اذالعنب لايخرج من النخل (والزيتون والرمان) ايضا عطف على نبات اونصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم (مشتبها وغير متشابه) حال من الرمان اومن الجميع اى بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه فى الهيئة والقدر والطعم واللون (انظروا الى ثمره) اى ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائى بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب اوثمار ككتاب وكتب (اذا اثمر) اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لايكاد ينتفع به (وينعه) والى حال نضجه اوالى نضجه كيف يعود ضخيما ذانفع ولذة وهو فى الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه (ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) اى لآيات دالة على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفننة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لايكون الاباحداث عالم قادر يعلم تفصيلها ويرجح ماتقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولايعوقه عن فعله نديعارضه اوضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال (وجعلوا الله شركاء الجن) اى الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم اوالشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله تعالى اوعبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم اوقالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأى الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء اوشركاء الجن ولله متعلق بشركاء اوحال منه وقرئ الجن بالرفع كأنه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين (وخلقهم) حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله تعالى خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لايخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اى ومايخلقونه من الاصنام اوعلى شركاء اى وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه (وخرقوا له) افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا اى وزوروا (بنين وبنات) فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله (بغير علم) من غير ان يعلموا حقيقة ماقالوا ويروا عليه دليلا وهو فى موضع الحال من الواو اوالمصدر اى خرقا بغير علم (سبحانه وتعالى عما يصفون) وهو ان له شريكا اوولدا (بديع السموات

على أنفسهم) عند الموت (أنهم كانوا كافرين قال) تعالى لهم يوم القيامة (ادخلوا فى) جملة (أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار) متعلق بادخلوا (كلما دخلت أمة) النار (لعنت أختها) التى قبلها لضلالها بها (حتى اذا اداركوا) تلاحقوا (فيها جميعا قالت أخراهم) وهم الاتباع (لاولاهم) أى لاجلهم وهم المتبوعون (ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا) مضعفا (من النار قال) تعالى (لكل) منكم ومنهم (ضعف) عذاب مضعف (ولكن لايعلمون) بالياء والتاء مالكل فريق (وقالت أولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل) لانكم لم تكفروا بسببنا فنحن وأنتم سواء قال تعالى لهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا) تكبروا (عنها) فلم يؤمنوا بها (لاتفتح لهم أبواب السماء) اذا عرج بأرواحهم اليها بعد الموت فيهبط بها الى سجين بخلاف المؤمن

والارض) من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء وخبره (انى يكون له ولد) اى من اين او كيف يكون له ولد (ولم تكن له صاحبة) يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل اولان الاسم ضمير الله او ضمير الشان (وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم) لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفى الآية استدلال على نفى الولد من وجوه الاول ان من مبدعاته السموات والارضون وهى مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها والثانى ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفؤ الوالد ولا كفؤ له بوجهين الاول ان كل ماعداه مخلوقه فلا يكافئه والثانى انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع (ذلكم) اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ (الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ) اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا (فاعبدوه) حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة (وهو على كل شئ وكيل) اى وهو مع تلك الصفات متولى امور كم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها (لا تدركه) اى لا تحيط به (الابصار) جمع بصر وهى حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفى فى الآية عاما فى الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا فى الاشخاص فانه فى قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفى لا يوجب الامتناع (وهو يدرك الابصار) يحيط علمه بها (وهو اللطيف الخبير) فيدرك مالا تدركه الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اى لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها (قد جاءكم بصائر من ربكم) البصائر جمع بصيرة وهى للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلى لها به الحق وتبصرها (فمن ابصر) اى ابصر الحق وآمن به (فلنفسه) ابصر لان نفعه لها (ومن عمى) عن الحق وضل

فتفتح له ويصعد بروحه الى السماء السابعة كما ورد فى حديث (ولا يدخلون الجنة حتى يلج) يدخل (الجمل فى سم الخياط) ثقب الابرة وهو غير ممكن فكذا دخولهم (وكذلك) الجزاء (نجزى المجرمين) بالكفر (لهم من جهنم مهاد) فراش (ومن فوقهم غواش) أغطية من النار جمع غاشية وتنوينه عوض من الياء المحذوفة (وكذلك نجزى الظالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ وقوله (لا نكلف نفسا الا وسعها) طاقتها من العمل اعتراض بينه وبين خبره وهو (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا مافى صدورهم من غل) حقد كان بينهم فى الدنيا (تجرى من تحتهم) تحت قصورهم (الانهار وقالوا) عند الاستقرار فى منازلهم (الحمد لله الذى هدانا لهذا) العمل الذى هذا جزاؤه (وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) حذف جواب لولا لدلالة ماقبله عليه (لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن) مخففة أى انه أو مفسرة

(فعليها) و باله (وما انا عليكم بحفيظ) وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم و يجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (وكذلك نصرف الآيات) ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر فى المعانى المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشئ من حال الى حال (وليقولوا درست) اى وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اى دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر و يعقوب درست من الدروس اى قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة فى درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت اوعفيت ودارست بمعنى درست اودارست اليهود محمد اوجاز اضمارهم بلا ذكر لاشهرتهم بالدراسة ودرسن اى عفون ودرس اى درس محمد ودارسات اى قديمات اوذات درس كقوله تعالى * فى عيشة راضية * (ولنبينه) اللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى اوللقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما اوللمصدر (لقوم يعلمون) فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحى اليك من ربك) بالتدين به (لا اله الا هو) اعتراض اكد به ايجاب الاتباع اوحال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا فى الالوهية (واعرض عن المشركين) ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى آرائهم ومن جعله منسوخا بآية السيف حمل الاعراض على مايعم الكف عنهم (ولوشاء الله) توحيدهم وعدم اشراكهم (ماأشركوا) وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع (وماجعلناك عليهم حفيظا) رقيبا (وماانت عليهم بوكيل) تقوم بامورهم (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) اى لا تذكروا آلهتهم التى يعبدونها بما فيها من القبائح (فيسبوا الله عدوا) تجاوزا عن الحق الى الباطل (بغير علم) على جهالة بالله و بما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روى انه عليه السلام كان يطعن فى آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله تعالى وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان مايؤدى الى الشر شر (كذلك زينا لكل امة عملهم) من الخير والشر باحداث مايمكنهم منه و يحملهم عليه توفيقا

فى المواضع الخمسة (تلكموا الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) تقريرا وتبكيتا (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا) من الثواب (حقا فهل وجدتم ما وعد) كم (ربكم) من العذاب (حقا قالوا نعم فأذن مؤذن) نادى مناد (بينهم) بين الفريقين اسمعهم (أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون) الناس (عن سبيل الله) دينه (و يبغونها) اى يطلبون السبيل (عوجا) معوجة (وهم بالآخرة كافرون وبينهما) أى اصحاب الجنة والنار (حجاب) حاجز قيل هو سور الاعراف (وعلى الاعراف) وهو سور الجنة (رجال) استوت حسناتهم وسيآتهم كما فى الحديث (يعرفون كلا) من أهل الجنة والنار (بسيماهم) بعلامتهم وهى بياض الوجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين لرؤيتهم لهم اذ موضعهم عال (ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم) قال تعالى (لم يدخلوها) أى أصحاب الاعراف الجنة (وهم

وتخذيلا و يجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم
والمشبه به تزيين سب الله لهم (ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون)
بالمحاسبة والمجازاة عليه (واقسموا بالله جهد ايمانهم) مصدر فى موقع الحال
والداعى لهم الى هذا القسم والتأكيد فيه التحكم على الرسول عليه الصلاة
والسلام فى طلب الآيات واستحقار ماراوا منها (لئن جاءتهم آية) من
مقترحاتهم (ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله) هو قادر عليها يظهر منها
مايشاء وليس شئ منها بقدرتى وارادتى (ومايشعركم) ومايدريكم استفهام
انكار (انها) اى ان الآية المقترحة (اذا جاءت لايؤمنون) اى لاتدرون
انهم لايؤمنون انكر السبب مبالغة فى نفى المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى
انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لايؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل ان
بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم
و يعقوب انها بالكسر كأنه قال ومايشعركم مايكون منهم ثم اخبرهم بما علم
منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجئ الآية طمعا فى ايمانهم فنزلت
وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لاتؤمنون بالتاء وقرئ ومايشعرهم
انها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم اى ومايشعرهم ان قلوبهم حينئذ
لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها
(ونقلب افئدتهم وابصارهم) عطف على لايؤمنون اى ومايشعركم انا
حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه
فلا يؤمنون بها (كما لم يؤمنوا به) اى بما انزل من الآيات (اول مرة ونذرهم
فى طغيانهم يعمهون) وندعهم متحيرين لانهديهم هداية المؤمنين وقرئ
ويقلب ويذرهم على الغيبة ويقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة
(ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا)
كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا او تأتى بالله والملائكة
قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اى كفلاء بما بشروا وانذروا به او جمع
قبيل الذى هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو
قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه
(ماكانوا ليؤمنوا) لما سبق عليهم القضاء بالكفر (الا ان يشاء الله) استثناء من
اعم الاحوال اى لايؤمنون فى حال الا حال مشيئة الله تعالى ايمانهم وقيل
منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة (ولكن اكثرهم يجهلون) انهم

يطمعون) فى دخولها قال
الحسن لم يطمعهم الا لكرامة
يريدها بهم وروى الحاكم
عن حذيفة قال بينماهم كذلك
اذ طلع عليهم ربك فقال
قوموا ادخلوا الجنة فقد
غفرت لكم (واذا صرفت
أبصارهم) أى أصحاب
الاعراف (تلقاء) جهة
(أصحاب النار قالوا ربنا
لاتجعلنا) فى النار (مع القوم
الظالمين ونادى أصحاب
الاعراف رجالا) من أصحاب
النار (يعرفونهم بسيماهم
قالوا ماأغنى عنكم) من النار
(جمعكم) المال أو كثرتكم
(وما كنتم تستكبرون) أى
واستكباركم عن الايمان
ويقولون لهم مشيرين الى
ضعفاء المسلمين (أهؤلاء
الذين أقسمتم لاينالهم الله
برحمة) قد قيل لهم (ادخلوا
الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم
تحزنون) وقرئ أدخلوا
بالبناء للمفعول ودخلوا
فجملة النفى حال اى مقولا
لهم ذلك (ونادى أصحاب
النار أصحاب الجنة أن أفيضوا
علينا من الماء أو مما رزقكم
الله) من الطعام (قالوا

لو اوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على مايشعرون ولذلك
اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم اولكن اكثر المسلمين
يجهلون انهم لايؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا في ايمانهم (وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا) اى كما جعلنالك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو
دليل على ان عدواة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه (شياطين الانس والجن)
مردة الفريقين وهو بدل من عدوا اومفعولى جعلنا وعدوا مفعوله الثاني
ولكل متعلق به اوحال منه (يوحي بعضهم الى بعض) يوسوس شياطين الجن
الى شياطين الانس او بعض الجن الى بعض او بعض الانس الى بعض (زخرف
القول) الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه (غرورا) مفعول له اومصدر
في موقع الحال (ولوشاء ربك) ايمانهم (مافعلوه) اى مافعلوا ذلك يعني
معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء اوالزخرف
اوالغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة (فذرهم ومايفترون) وكفرهم
(ولتصغى اليه افئدة الذين لايؤمنون بالآخرة) عطف على غرورا
ان جعل علة اومتعلق بمحذوف اى وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا
والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة اولام القسم كسرت
لما لم يؤكد الفعل بالنون اولام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير
لما له الضمير في فعلوه (وليرضوه) لانفسهم (وليقترفوا) وليكتسبوا (ماهم
مقترفون) من الآثام (افغير الله ابتغى حكما) على ارادة القول اى قل لهم
يامحمد افغير الله اطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل
وغير مفعول ابتغى وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكم
ولذلك لايوصف به غير العادل (وهو الذى انزل اليكم الكتاب) القرآن
المعجز (مفصلا) مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس
وفيه تنبيه على ان القرآن باعجازه وتقريره مغن عن سائر الآيات (والذين
آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق) تأييد لدلالة الاعجاز على
ان القرآن حق منزل من عند الله يعلم اهل الكتاب به لتصديقه ماعندهم
مع انه عليه الصلاة والسلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما
وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بأدنى
تأمل وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم
منزل بالتشديد (فلاتكونن من الممترين) في انهم يعلمون ذلك اوفي انه منزل

ان الله حرمهما) منعهما (على
الكافرين الذين اتخذوا دينهم
لهوا ولعبا وغرتهم الحياة
الدنيا فاليوم ننساهم) نتركهم
في النار (كما نسوا لقاء يومهم
هذا) بتركهم العمل له (وما
كانوا باياتنا يجحدون) اى
وكما جحدوا (ولقد جئناهم)
أهل مكة (بكتاب) قرآن
(فصلناه) بيناه بالاخبار
والوعد والوعيد (على علم)
حال أى عالمين بما فصل فيه
(هدى) حال من الهاء (ورحمة
لقوم يؤمنون) به (هل
ينظرون) ماينتظرون (الا
تأويله) عاقبته (يوم يأتي
تأويله) هو يوم القيامة
(يقول الذين نسوه من قبل)
تركوا الايمان به (قدجاءت رسل
ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء
فيشفعوا لنا او) هل (نرد)
الى الدنيا (فنعمل غير الذى
كنا نعمل) نوحد الله ونترك
الشرك فيقال لهم لا قال تعالى
(قد خسروا أنفسهم) أى
صاروا الى الهلاك (وضل)
ذهب (عنهم ماكانو يفترون)
من دعوى الشريك (ان ربكم

بجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله ولاتكونن من
المشركين اوخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم لخطاب الامة وقيل
الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغى
لاحد ان يمترى فيه (وتمت كلمات ربك) بلغت الغاية اخباره واحكامه
ومواعيده (صدقا) فى الاخبار والمواعيد (وعدلا) فى الاقضية والاحكام
ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له (لامبدل لكلماته) لا احد يبدل
شيئا منها بما هو اصدق واعدل اولا احد يقدر ان يحرفها شائعا ذائعا
كما فعل بالتوراة على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله تعالى
بالحفظ كقوله وانا له لحافظون اولا نبى ولا كتاب بعدها ينسخها او يبدل احكامها
وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اى ماتكلم به اوالقرآن (وهو السميع
لما يقولون (العليم) بما يضمرون فلا يهملهم (وان تطع اكثر من فى الارض)
اى اكثر الناس يريد الكفار اوالجهال اواتباع الهوى وقيل الارض ارض مكة
(يضلوك عن سبيل الله) عن الطريق الموصل اليه فان الضال فى غالب
الامر لايأمر الا بما فيه ضلال (ان يتبعون الا الظن) وهو ظنهم ان آباءهم
كانوا على الحق اوجهالاتهم وآراءهم الفاسدة فان الظن يطلق على
مايقابل العلم (وان هم الا يخرصون) يكذبون على الله فيما ينسبون اليه
كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر
او يقدرون انهم على شئ وحقيقته مايقال عن ظن وتخمين (ان ربك هو
اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) اى اعلم بالفريقين ومن موصولة
اوموصوفة فى محل النصب بفعل دل عليه اعلم لابه فان افعل لاينصب
الظاهر فى مثل ذلك اواستفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة
معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل اى يضله الله فتكون من منصوبة
بالفعل المقدر اومجرورة باضافة اعلم اليه اى اعلم المضلين من قوله تعالى
من يضلل الله اومن اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل فى العلم بكثرته
واحاطته بالوجوه التى يمكن تعلق العلم بها اولزومه وكونه بالذات لابالغير
(فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين
يحرمون الحلال ويحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لامما
ذكر عليه اسم غيره اومات حتف انفه (ان كنتم بآياته مؤمنين) فان الايمان
بها يقتضى استباحة ما احله الله واجتناب ماحرمه (ومالكم ان لاتأكلوا

الله الذى خلق السموات
والارض فى ستة أيام) من أيام
الدنيا أى فى قدرها لانه لم يكن
ثم شمس ولوشاء خلقهن
فى لمحة والعدول عنه لتعليم
خلقه التثبت (ثم استوى
على العرش) هو فى اللغة
سرير الملك استواء يليق به
(يغشى الليل النهار)
مخففا ومشددا أى يغطى كل
منهما بالآخر (يطلبه)
يطلب كل منهما الآخر طلبا
(حثيثا) سريعا (والشمس
والقمر والنجوم) بالنصب
عطفا على السموات والرفع
مبتدأ خبره (مسخرات)
مذللات (بأمره) بقدرته
(ألا له الخلق) جميعا (والامر)
كله (تبارك) تعاظم (الله رب)
مالك (العالمين ادعوا ربكم
تضرعا) حال تذللا (وخفية)
سرا (انه لايحب المعتدين)
فى الدعاء بالتشدق ورفع
الصوت (ولا تفسدوا فى الارض)
بالشرك والمعاصى (بعد
اصلاحها) ببعث الرسل
(وادعوه خوفا) من عقابه
(وطمعا) فى رحمته (ان رحمة
الله قريب من المحسنين)
المطيعين وتذكير قريب المخبر به

عن رحمة لاضافتها الى الله (وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته) أى متفرقة قدام المطروفى قراءة بسكون الشين تخفيفا وفى أخرى بسكونها وفتح النون مصدر اوفى أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون أى مبشرا ومفرد الاولى نشور كرسول و الاخيرة بشير (حتى اذا أقلت) حملت الرياح (سحاباثقالا) بالمطر (سقناه) أى السحاب وفيه التفات عن الغيبة (لبلدميت) لانبات به أى لاحيائها (فانزلنابه) بالبلد (الماء فاخرجنابه) بالماء (من كل الثمرات كذلك) الاخراج (نخرج الموتى) من قبورهم بالاحياء (لعلكم تذكرون) فتؤمنون (والبلد الطيب) العذب التراب (يخرج نباته) حسنا (باذن ربه) هذا مثل للمؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها (والذى خبث) ترابه (لايخرج) نباته (الانكدا) عسرا بمشقة وهذا مثل للكافر (كذلك) كما بينا ماذكر (نصرف) نبين (الآيات لقوم يشكرون)

مماذكر اسم الله عليه) واى غرض لكم فى ان تتحرجوا عن اكله ومايمنعكم عنه (وقد فصل لكم ماحرم عليكم) ممالم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل (الاما اضطرر تم اليه) مماحرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة (وان كثيرا ليضلون) بتحليل الحرام وتحريم الحلال قرأه الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح (باهوائهم بغير علم) بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم (ان ربك هو اعلم بالمعتدين) بالمتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام (وذروا ظاهر الاثم و باطنه) مايعلن به ومايسر اومابالجوارح ومابالقلب وقيل الزنى فى الحوانيت واتخاذ الاخدان (ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون) يكتسبون (ولاتأكلوا ممالم يذكر اسم الله عليه) ظاهر فى تحريم متروك التسمية عمدا اونسيانا واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعى بخلافه لقوله عليه الصلاة والسلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليها وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة اوبما ذكر غير اسم الله عليه لقوله (وانه لفسق) فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما و يجوز ان يكون للاكل الذى دل عليه لاتأكلوا (وان الشياطين ليوحون) ليوسوسون (الى اوليائهم) من الكفار (ليجادلوكم) بقولهم تأكلون ماقتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ماقتله الله وهو يؤيد التأويل بالميتة (وان اطعتموهم) فى استحلال ماحرم (انكم لمشركون) فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه فى دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضى (اومن كان ميتا فاحييناه وجعلناله نورا يمشى به فى الناس) مثل به من هداه الله وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها فى الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الاصل (كمن مثله) صفته وهو مبتدأ خبره (فى الظلمات) وقوله (ليس بخارج منها) حال من المستكن فى الظرف لامن الهاء فى مثله للفصل وهو مثل لمن بقى على الضلالة لايفارقها بحال (كذلك) كما زين للمؤمنين ايمانه (زين للكافرين ماكانوا يعملون) والآية نزلت فى حمزة وابى جهل وقيل فى عمر او عمار وابى جهل (وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها) اى كما جعلنا فى مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا

فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثانى او فى كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم (ومايمكرون الابانفسهم) لان وباله يحيق بهم (ومايشعرون) ذلك (واذاجاءتهم آية قالوا لن نؤمن) لك (حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله) يعنى كفار قريش لماروى ان اباجهل قال زاحمنابنى عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا كفرسى رهان قالوا منانبى يوحى اليه والله لانرضى به الا ان يأتينا وحى كما يأتيه فنزلت (الله اعلم حيث يجعل رسالاته) استئناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانماهى بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبى لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذى فيه يضعها وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته (سيصيب الذين اجرموا صغار) ذل وحقارة بعد كبرهم (عندالله) يوم القيامة وقيل تقديره من عندالله (وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) بسبب مكرهم اوجزاء على مكرهم (فمن يردالله ان يهديه) يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان (يشرح صدره للاسلام) فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عمايمنعه وينافيه واليه اشار عليه الصلاة والسلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله (ومن يردان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) بحيث ينبو عن قبول الحق فلايدخله الايمان وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابوبكر عن عاصم حرجا بالكسر اى شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر (كانما يصعد فى السماء) شبهه مبالغة فى ضيق صدره بمن يزاول مالايقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع عنه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعد فى الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وابوبكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد (كذلك) اى كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق (يجعل الله الرجس على الذين

لقومه أتأتون الفاحشة) أى أدبار الرجال (ماسبقكم بها من أحد من العالمين) الانس والجن (أئنكم) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال الالف بينهما على الوجهين (لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون) متجاوزون الحلال الى الحرام (وماكان جواب قومه الأن قالوا أخرجوهم) أى لوطا وأتباعه (من قريتكم انهم أناس يتطهرون) من أدبار الرجال (فأنجيناه وأهله الاامرأته كانت من الغابرين) الباقين فى العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا) هو حجارة السجيل فأهلكتهم (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين و) أرسلنا (الى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوالله مالكم من اله غيره قدجاءتكم بينة) معجزة (من ربكم) على صدقى (فأوفوا) أتموا (الكيل والميزان ولاتبخسوا) تنقصوا (الناس أشياءهم ولاتفسدوا فى الارض) بالكفر والمعاصى (بعداصلاحها) ببعث الرسل (ذلكم)

لايؤمنون) بجعل العذاب او الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل (وهذا) اشارة الى البيان الذى جاءبه القرآن اوالى الاسلام اوالى ماسبق من التوفيق والخذلان (صراط ربك) الطريق الذى ارتضاه اوعادته وطريقه الذى اقتضته حكمته (مستقيما) لاعوج فيه اوعادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا اومقيدة والعامل فيها معنى الاشارة (قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) فيعلمون ان القادر هوالله تعالى وان كل مايحدث من خيراوشرفهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم (لهم دار السلام) دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها اودار السلامة من المكاره اودار تحيتهم فيها سلام (عند ربهم) فى ضمانه اوذخيرة لهم عنده لايعلم كنهها غيره (وهو وليهم) مواليهم اوناصرهم (بما كانوا يعملون) بسبب اعمالهم اومتوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم (ويوم نحشرهم جميعا) نصب باضمار اذكر اونقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب يحشرهم بالياء (يامعشرالجن) يعنى الشياطين (قداستكثرتم من الانس) اى من اغوائهم واضلالهم اومنهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود (وقال اولياؤهم من الانس) الذين اطاعوهم (ربنا استمتع بعضنا ببعض) اى انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات ومايتوصل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم فى المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم (وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا) اى البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم (قال النار مثواكم) منزلكم اوذات مثواكم (خالدين فيها) حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا (الاماشاءالله) الاالاوقات التى ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الاماشاء قبل الدخول كأنه قيل النار مثواكم ابدا الاماامهلكم (ان ربك حكيم) فى افعاله (عليم) باعمال الثقلين واحوالهم (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا) نكل بعضهم الى بعض اونجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض وقرناءهم فى العذاب كما كانوا فى الدنيا (بما كانوا يكسبون)

المذكور (خيرلكم ان كنتم مؤمنين) مريدى الايمان فبادروا اليه (ولاتقعدوا بكل صراط) طريق (توعدون) تخوفون الناس أخذ ثيابهم اوالمكس منهم (وتصدون) تصرفون (عن سبيل الله) دينه (من آمن به) بتوعدكم اياه بالقتل (وتبغونها) تطلبون الطريق (عوجا) معوجة (واذكروا اذكنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) قبلكم بتكذيبهم رسلهم أى آخر أمرهم من الهلاك (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا به (فاصبروا) انتظروا (حتى يحكم الله بيننا) وبينكم بانجاء المحق واهلاك المبطل (وهو خير الحاكمين) أعدلهم (قال الملأ الذين استكبروا من قومه) عن الايمان (لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أولتعودن) ترجعن (فى ملتنا) ديننا وغلبوا فى الخطاب الجمع على الواحد لان شعيبا لم يكن فى ملتهم قط وعلى نحوه اجاب

من الكفر والمعاصى (يامعشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم) الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن فى الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله تعالى * ولوا الى قومهم منذرين * (يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا) يعنى يوم القيامة (قالوا) جوابا (شهدنا على انفسنا) بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب (وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين) ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فانهم اغتروا بالحياة الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم (ذلك) اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف اى الامر ذلك (ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون) تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اى الامر ذلك لانتفاء كون ربك او لان الشأن لم يكن ربك مهلك اهل القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك (ولكل) من المكلفين (درجات) مراتب (مما عملوا) من اعمالهم او من جزائها او من اجلها (وما ربك بغافل عما يعملون) فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة (وربك الغنى) عن العباد والعبادة (ذو الرحمة) يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصى وفيه تنبيه على ان ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله (ان يشأ يذهبكم) اى ما به اليكم حاجة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) من الخلق (كما انشأكم من ذرية قوم آخرين) اى قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم (انما توعدون) من البعث واحواله (لآت) لكائن لامحالة (وما انتم بمعجزين) طالبكم به (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم وجهتكم وحالتكم التى انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرأ ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع فى كل القرآن وهو امر تهديد

(قال أ) نعود فيها (او لو كنا كارهين) لها استفهام انكار (قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون) ينبغى (لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا) ذلك فيخذلنا (وسع ربنا كل شئ علما) أى وسع علمه كل شئ ومنه حالى وحالكم (على الله توكلنا ربنا افتح) احكم (بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) الحاكمين (وقال الملأ الذين كفروا من قومه) أى قال بعضهم لبعض (لئن) لام قسم (اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فأخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة (فأصبحوا فى دارهم جاثمين) باركين على الركب ميتين (الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كأن) مخففة واسمها محذوف اى كأنهم (لم يغنوا) يقيموا (فيها) فى ديارهم (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) التأكيد باعادة الموصول وغيره للرد عليهم فى قولهم السابق (فتولى) أعرض (عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربى

ونصحت لكم) فلم تؤمنوا
(فكيف آسى) احزن (على
قوم كافرين) استفهام
بمعنى النفي (وما أرسلنا
في قرية من نبي) فكذبوه
(الا أخذنا) عاقبنا (أهلها
بالبأساء) شدة الفقر
(والضراء) المرض (لعلهم
يضرعون) يتذللون فيؤمنون
(ثم بدلنا) أعطيناهم (مكان
السيئة) العذاب (الحسنة)
الغنى والصحة (حتى عفوا)
كثروا (وقالوا) كفرا
للنعمة (قد مس آباءنا الضراء
والسراء) كما مسنا وهذه عادة
الدهر وليست بعقوبة من الله
فكونوا على ما أنتم عليه قال
تعالى (فاخذناهم) بالعذاب
(بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون)
بوقت مجيئه قبله (ولو أن
أهل القرى) المكذبين (آمنوا)
بالله ورسلهم (واتقوا)
الكفر والمعاصي (لفتحنا)
بالتخفيف والتشديد (عليهم
بركات من السماء) بالمطر
(والارض) بالنبات (ولكن
كذبوا) الرسل (فأخذناهم
عاقبناهم (بما كانوا يكسبون
أفأمن أهل القرى) المكذبون
(أن يأتيهم بأسنا) عذابنا

والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم (اني عامل) ما كنت عليه من
المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد
كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يفضي به اليه
وتسجيل بان المهدد لا يأتي منه الا الشر كالمأمور به الذي لا يقدر ان يتفصى
عنه (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) ان جعل من استفهامية
بمعنى اينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع
وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون اي فسوف تعرفون
الذي يكون له عاقبة الدار وفيه مع الانذار انصاف في المقال وحسن الادب
وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء لان
تأنيث العاقبة غير حقيقي (انه لا يفلح الظالمون) وضع الظالمين موضع
الكافرين لانه اعم واكثر فائدة (وجعلوا) اي مشركو العرب (لله مما ذرأ)
خلق (من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان
لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) روي
انهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان
والمساكين وشيئا منهما لآلهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحون عندها
ثم ان رأوا ما عينوا لله ازكى بدلوه بما لآلهتهم وان رأوا ما لآلهتهم ازكى
تركوه لها حبا لآلهتهم وفي قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فانهم
اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا
الزاكي له وفي قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به
وقرأ الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر ايضا كالود
(ساء ما يحكمون) حكمهم هذا (وكذلك) ومثل ذلك التزيين في قسمة القربات
(زين لكثير من المشركين قتل اولادهم) بالوأد ونحرهم لآلهتهم (شركاؤهم)
من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول الذي هو
القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو
ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله * فزججتها بمزجة * زج القلوص
ابي مزاده * وقرئ بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركائهم باضمار فعل دل عليه
زين (ليردوهم) ليهلكوهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم دينهم) وليخلطوا
عليهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل عليه السلام او ما وجب عليهم ان يتدينوا به
واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة

(ولوشاء الله مافعلوه) مافعل المشركون مازين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك (فذرهم ومايفترون) افتراءهم اومايفترونه من الافك (وقالواهذه) اشارة الى ماجعل لآلهتهم (انعام وحرث حجر) حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوى فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم وحرج اى مضيق (لايطعمها الامن نشاء) يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء (بزعمهم) من غير حجة (وانعام حرمت ظهورها) يعنى البحائر والسوائب والحوامى (وانعام لايذكرون اسم الله عليها) فى الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لايحجون على ظهورها (افتراء عليه) نصب على المصدر لان ماقالوه تقول على الله تعالى والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له اوعلى الحال اوعلى المفعول له والجار متعلق بمحذوف (سيجزيهم بما كانوا يفترون) بسببه اوبدله (وقالوا مافى بطون هذه الانعام) يعنون اجنة البحائر والسوائب (خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا) حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله (وان يكن ميتة فهم فيه شركاء) فالذكور والاناث فيه سواء وتأنيث الخالصة للمعنى فان مافى معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم فى رواية ابى بكر ابن عامر فى تكن بالياء وخالفه هو وابن كثير فى ميتة فنصب كغيرهم اوالتاء فيه للمبالغة كما فى رواية الشعر اوهو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا اوحال من الضمير الذى فى الظرف لامن الذى فى ذكورنا ولامن الذكور لانها لاتتقدم على العامل المعنوى ولاعلى صاحبها المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصه بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدأ ثان والمراد به ماكان حيا والتذكير فى فيه لان المراد بالميتة مايعم الذكر والانثى فغلب الذكر (سيجزيهم وصفهم) اى جزاء وصفهم الكذب على الله فى التحريم والتحليل من قوله وتصف السنتهم الكذب (انه حكيم عليم قدخسر الذين قتلوا اولادهم) يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبى والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد بمعنى التكثير (سفها بغير علم) لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم لاهم ويجوز نصبه على الحال او المصدر (وحرموا مارزقهم الله) من البحائر ونحوها (افتراء على الله) يحتمل الوجوه المذكورة فى مثله (قدضلوا وما كانوا

(بياتا) ليلا (وهم نائمون) غافلون عنه (أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى) نهارا (وهم يلعبون افأمنوا مكرالله) استدراجه اياهم بالنعمة وأخذهم بغتة (فلا يأمن مكرالله الا القوم الخاسرون أولم يهد) يتبين (للذين يرثون الارض) بالسكنى (من بعد) هلاك (أهلها أن) فاعل مخففة واسمها محذوف أى أنه (لو نشاء أصبناهم) بالعذاب (بذنوبهم) كما أصبنا من قبلهم والهمزة فى المواضع الاربعة للتوبيخ والفاء والواو الداخلة عليهما للعطف وفى قراءة بسكون الواو فى الموضع الاول عطفا بأو (و) نحن (نطبع) نختم (على قلوبهم فهم لايسمعون) الموعظة سماع تدبر (تلك القرى) التى مر ذكرها (نقص عليك) يامحمد (من أنبائها) أخبار أهلها (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) المعجزات الظاهرات (فما كانوا ليؤمنوا) عند مجيئهم (بما كذبوا) كفروا به (من قبل) قبل مجيئهم بل استمروا

على الكفر (كذلك) الطبع (يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لأكثرهم) أى الناس (من عهد) أى وفاء بعهدهم يوم اخذ الميثاق (وان) مخففة (وجدنا اكثرهم لفاسقين ثم بعثنا من بعدهم) أى الرسل المذكورين (موسى بآياتنا) التسع (الى فرعون وملئه) قومه (فظلموا) كفروا (بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) بالكفر من اهلاكهم (وقال موسى يافرعون انى رسول من رب العالمين) اليك فكذبه فقال أنا (حقيق) جدير (على أن) أى بأن (لا اقول على الله الا الحق) وفى قراءة بتشديد الياء فحقيق مبتدأ خبره أن وما بعده (قدجئتكم ببينة من ربكم فأرسل معى) الى الشام (بنى اسرائيل) وكان استعبدهم (قال) فرعون له (ان كنت جئت بآية) على دعواك (فأت بها ان كنت من الصادقين) فيها

مهتدين) الى الحق والصواب (وهو الذى انشأ جنات) من الكروم (معروشات) مرفوعات مايحملها (وغير معروشات) ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ماغرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت فى الجبال والبرارى (والنخل والزرع مختلفا اكله) ثمره الذى يؤكل فى الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقى مقيس عليه او للنخل والزرع داخل فى حكمه لكونه معطو فاعليه او للجميع على تقدير اكل ذلك اوكل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء (والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه) يتشابه بعض افرادهما فى اللون والطعم ولا يتشابه بعضها (كلوا من ثمره) من ثمر كل واحد من ذلك (اذا اثمر) وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك فى الاكل منه قبل اداء حق الله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) يريد به ماكان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدرة لانها فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل الزكاة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لايؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائى حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه (ولا تسرفوا) فى التصدق كقوله ولا تبسطها كل البسط (انه لايحب المسرفين) لايرتضى فعلهم (ومن الانعام حمولة وفرشا) عطف على جنات اوانشأ من الانعام مايحمل الاثقال ومايفرش للذبح اومايفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها (كلوا مما رزقكم الله) كلوا مما احل لكم منه (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) فى التحليل والتحريم من عند انفسكم (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (ثمانية ازواج) بدل من حمولة وفرشا اومفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل دل عليه كلوا او حال من ما بمعنى مختلفة او متعددة والزوج مامعه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول (من الضأن اثنين) زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين اوجمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه (ومن المعز اثنين) التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر و يعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ المعزى (قل آلذكرين) ذكر

الضأن وذكر المعز (حرم ام الانثيين) ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم (اما اشتملت عليه ارحام الانثيين) او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى (نبئونى بعلم) بامر معلوم يدل على ان الله تعالى حرم شيئا من ذلك (ان كنتم صادقين) فى دعوى التحريم عليه (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين) كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم شيئا من الاجناس الاربعة ذكرا كان او انثى او ما تحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة اخرى واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله حرمها (ام كنتم شهداء) بل اكنتم حاضرين مشاهدين (اذ وصاكم الله بهذا) حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبى فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحى بن قمعة المؤسس لذلك (ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحى الى) اى فى القرآن او فيما اوحى الى مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحى لا بالهوى (محرما) طعاما محرما (على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة) الا ان يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقراءة ابن عامر بالتاء ورفع ميتة على ان كان هى التامة وقوله (او دما مسفوحا) عطف على ان مع ما فى حيزه اى الا وجود ميتة او دما مسفوحا اى مصبوبا كالدم فى العروق لا كالكبد والطحال (او لحم خنزير فانه رجس) فان الخنزير او لحمه قذر لتعود اكل النجاسة او خبيث مخبث (او فسقا) عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل (اهل لغير الله به) صفة له موضحة وانما سمى ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله فى الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له لاهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن فى يكون (فمن اضطر) فمن دعته الضرورة الى تناول شئ من ذلك (غير باغ) على مضطر مثله (ولا عاد) قدر الضرورة (فان ربك غفور رحيم) لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحى الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافى ورود التحريم فى شئ آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب

(فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) حية عظيمة (ونزع يده) أخرجها من جيبه (فاذا هى بيضاء) ذات شعاع (للناظرين) خلاف ما كانت عليه من الادمة (قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم) فائق فى علم السحر وفى الشعراء انه من قول فرعون نفسه فكأنهم قالوه معه على سبيل التشاور (يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه) أخر أمرهما (وأرسل فى المدائن حاشرين) جامعين (يأتوك بكل ساحر) وفى قراءة سحار (عليم) يفضل موسى فى علم السحر فجمعوا (وجاء السحرة فرعون قالوا أئن) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين (لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا يا موسى اما ان تلقى) عصاك (واما أن نكون نحن

بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غيرها الا مع الاستصحاب (وعلى الذين
هادوا حرمنا كل ذي ظفر) كل ماله اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل
كل ذي مخلب وحافر وسمى الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم
تعميم التحريم (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) الثروب وشحوم
الكلى والاضافة لزيادة الربط (الا ماحملت ظهورهما) الا ماعلقت
بظهورهما (اوالحوايا) اوماشتمل على الامعاء جمع حاوية اوحاوياء
كقاصعاء وقواصع اوحوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على
شحومهما واو بمعنى الواو (اوما اختلط بعظم) هو شحم الالية لاتصالها
بالعصعص (ذلك) التحريم اوالجزاء (جزيناهم ببغيهم) بسبب ظلمهم
(وانا لصادقون) فى الاخبار والوعد والوعيد (فان كذبوك فقل ربكم
ذورحمة واسعة) يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل
(ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) حين ينزل اوذورحمة واسعة
للمطيعين وذو بأس شديد للمجرمين فاقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه
التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لازب بهم لايمكن رده عنهم
(سيقول الذين اشركوا) اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه
(لوشاء الله ماشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ) اى ولوشاء
خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله فلوشاء لهداكم اجمعين لما فعلنا نحن
ولا آباؤنا ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضى عند الله لا الاعتذار
عن ارتكاب هذه القبائح بارادة الله اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا
للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله (كذلك كذب الذين من قبلهم) اى مثل هذا
التكذيب لك فى ان الله تعالى منع من الشرك ولم يحرم ماحرموه كذب
الذين من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير فى اشركنا من غير
تأكيد للفصل بلا (حتى ذاقوا بأسنا) الذى انزلنا عليهم بتكذيبهم
(قل هل عندكم من علم) من امر معلوم يصح الاحتجاج به على مازعمتم
(فتخرجوه لنا) فتظهروه لنا (ان تتبعون الا الظن) ماتتبعون فى ذلك الا الظن
(وان انتم الا تخرصون) تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن
سيما فى الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الآية فيه (قل فلله الحجة
البالغة) البينة الواضحة التى بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات اوبلغ
بها صاحبها صحة دعواه وهى من الحج بمعنى القصد كأنها تقصد اثبات

الملقين) مامعنا (قال
ألقوا) أمر للاذن بتقديم
القائهم توسلا به الى
اظهار الحق (فلما ألقوا)
حبالهم وعصيهم (سحروا
أعين الناس) صرفوها
عن حقيقة ادراكها
(واسترهبوهم) خوفوهم
حيث خيلوها حيات
تسعى (وجاؤا بسحر
عظيم وأوحينا الى موسى
أن الق عصاك فاذاهى
تلقف) بحذف احدى
التاءين فى الاصل تبتلع
(مايأفكون) يقلبون
بتمويههم (فوقع الحق)
ثبت (وبطل ما كانوا
يعملون) من السحر (فغلبوا
اى فرعون وقومه (هنالك
وانقلبوا صاغرين) صاروا
ذليلين (وألقى السحرة
ساجدين قالوا آمنا برب العالمين
رب موسى وهرون) لعلمهم
بان ماشاهدوه من العصا
لايتأتى بالسحر (قال فرعون
أآمنتم) بتحقيق الهمزتين
وابدال الثانية الفا (به) بموسى
(قبل أن آذن) أنا (لكم
ان هذا) الذى صنعتموه

الحكم وتطلبه (فلو شاء لهداكم اجمعين) بالتوفيق لها والحمل عليها
ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين (قل هلم شهداءكم) احضروهم
وهلم اسم فعل لايتصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند
بنى تميم واصله عند البصريين هالم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون
فى اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها
على اللام وهو بعيد لان هل لاتدخل الامر ويكون متعديا كما فى الآية ولازما
كقوله هلم الينا (الذين يشهدون ان الله حرم هذا) يعنى قدتهم فيه
استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لامتمسك
لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضى العهد بهم
(فان شهدوا فلا تشهد معهم) فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان
تسليمهم موافقة لهم فى الشهادة الباطلة (ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا)
من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب الآيات متبع الهوى
لاغير وان متبع الحجة لايكون الا مصدقا بها (والذين لايؤمنون بالآخرة)
كعبدة الاوثان (وهم بربهم يعدلون) يجعلون له عديلا (قل تعالوا) امر
من التعالى واصله ان يقوله من كان فى علو لمن كان فى سفل فاتسع فيه بالتعميم
(اتل) اقرأ (ماحرم ربكم) منصوب باتل وما تحتمل الخبرية والمصدرية
ويجوز ان تكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لانه بمعنى أقل
اى شئ حرم ربكم (عليكم) متعلقة بحرم او اتل (ان لاتشركوا به) اى
لاتشركوا به ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم
فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها
النصب بعليكم على انه للاغراء او بالبدل من ما او من عائده المحذوف على
ان لا زائدة او الجر بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلو أن لاتشركوا
او المحرم ان تشركوا (شيئا) يحتمل المصدر والمفعول (وبالوالدين
احسانا) اى واحسنوا بهما احسانا وضعه موضع النهى عن الاساءة
اليهما للمبالغة والدلالة على ان ترك الاساءة فى شأنهما غير كاف
بخلاف غيرهما (ولاتقتلوا اولادكم من املاق) من اجل فقر ومن خشيته
كقوله خشية املاق (نحن نرزقكم واياهم) منع لموجبية ما كانوا يفعلون
لاجله واحتجاج عليه (ولاتقربوا الفواحش) كبائر الذنوب او الزنى (ما ظهر
منها وما بطن) بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه (ولاتقتلوا النفس

(لمكر مكرتموه فى المدينة
لتخرجوا منها أهلها
فسوف تعلمون) ما ينالكم
منى (لاقطعن أيديكم
وأرجلكم من خلاف) أى
يد كل واحد اليمنى ورجله
اليسرى (ثم لاصلبنكم
أجمعين قالوا انا الى
ربنا) بعد موتنا باى وجه
كان (منقلبون) راجعون
فى الآخرة (وما تنقم)
تنكر (منا الا أن آمنا
بآيات ربنا لما جاءتنا
ربنا أفرغ علينا صبرا) عند
فعل ما توعده بنا لئلا نرجع
كفارا (وتوفنا
مسلمين وقال الملأ من قوم
فرعون) له (أتذر) تترك
(موسى وقومه ليفسدوا
فى الارض) بالدعاء الى
مخالفتك (ويذرك
وآلهتك) وكان صنع
لهم أصناما صغارا
يعبدونها وقال أنا ربكم وربها
ولذا قال أنا ربكم الاعلى
(قال سنقتل) بالتشديد
والتخفيف (أبناءهم)
المولودين (ونستحيى)
نستبقى (نساءهم) كفعلنا بهم

التى حرم الله الا بالحق) كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن (ذلكم) اشارة الى ماذكر مفصلا (وصاكم به) بحفظه (لعلكم تعقلون) ترشدون فان كمال العقل هو الرشد (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن) الا بالفعلة التى هى احسن مايفعل بماله كحفظه وتثميره (حتى يبلغ اشده) حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم اوشد كصروا صرو قيل مفرد كآنك (واوفوا الكيل والميزان بالقسط) بالعدل والسوية (لانكلف نفسا الاوسعها) الا مايسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسير فعليكم بما فى وسعكم وماوراءه مفعو عنكم (واذا قلتم) فى حكومة ونحوها (فاعدلوا) فيها (ولوكان ذاقربى) ولوكان المقول له اوعليه من ذوى قرابتكم (وبعهد الله اوفوا) يعنى ماعهد اليكم من ملازمة العدل وتأدية احكام الشرع (ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) تتعظون به وقرأ حمزة وحفص والكسائى تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع اذا كان بالتاء والباقون بتشديدها (وان هذا صراطى مستقيما) الاشارة فيه الى ماذكر فى السورة فانها باسرها فى اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائى ان بالكسر على الاستئناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف وقرأ الباقون به مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله (فاتبعوه) وقرأ ابن عامر صراطى بفتح الياء وقرئ وهذا صراطى وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك (ولا تتبعوا السبل) الاديان المختلفة اوالطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبايع والعادات (فتفرق بكم) فتفرقكم وتزيلكم (عن سبيله) الذى هو اتباع الوحى واقتفاء البرهان (ذلكم) الاتباع (وصاكم به لعلكم تتقون) الضلال والتفرق عن الحق (ثم آتينا موسى الكتاب) عطف على وصاكم به وثم للتراخى فى الاخبار اوللتفاوت فى الرتبة كأنه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب (تماما) للكرامة والنعمة (على الذى احسن) على من احسن القيام به ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا اوعلى الذى احسن تبليغه وهو موسى اوتماما على ما احسنه اى اجاده من العلم والشرائع اى زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اى على الذى هو احسن اوعلى الوجه الذى هو احسن مايكون عليه الكتب (وتفصيلا لكل شئ) وبيانا مفصلا لكل مايحتاج اليه

من قبل (وانا فوقهم قاهرون) قادرون فعلوا بهم ذلك فشكا بنواسرائيل (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) على أذاهم (ان الارض لله يورثها) يعطيها (من يشاء من عباده والعاقبة) المحمودة (للمتقين) الله (قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ماجئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم و يستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون) فيها (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) بالقحط (ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون) يتعظون فيؤمنون (فاذاجاءتهم الحسنة) الخصب والغنى (قالوا لنا هذه) أى نستحقها ولم يشكروا عليها (وان تصبهم سيئة) جدب و بلاء (يطيروا) يتشأموا (بموسى ومن معه) من المؤمنين (ألا انما طائرهم) شؤمهم (عند الله) يأتيهم به (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن مايصيبهم من عنده

في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر (وهدى ورحمة لعلهم) لعل بنى اسرائيل (بلقاء ربهم يؤمنون) اى بلقائه للجزاء (وهذا كتاب) يعنى القرآن (انزلناه مبارك) كثير النفع (فاتبعوه واتقوا لعلهم ترحمون) بواسطة اتباعه وهو العمل بمافيه (ان تقولوا) كراهة ان تقولوا علة لانزلناه (انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) اليهود والنصارى ولعل الاختصاص فى انما لان الباقى المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم (وان كنا) ان هى المخففة من الثقيلة ولذلك دخلت اللام الفارقة خبر كان اى وانه كنا (عن دراستهم) قراءتهم (لغافلين) لاندرى ماهى اولانعرف مثلها (او تقولوا) عطف على الاول (لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم) لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا اميون (فقد جاءكم بينة من ربكم) حجة واضحة تعرفونها (وهدى ورحمة) لمن تأمل فيه وعمل به (فمن اظلم ممن كذب بآيات الله) بعد ان عرف صحتها اوتمكن من معرفتها (وصدف) اعرض اوصد (عنها) فضل واضل (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) شدته (بما كانوا يصدفون) باعراضهم اوصدهم (هل ينظرون) اى ماينتظرون يعنى اهل مكة وهم ماكانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين (الا ان تأتيهم الملائكة) ملائكة الموت او العذاب وقرأ حمزة والكسائى بالياء هنا وفى النحل (او يأتى ربك) اى امره بالعذاب اوكل آية يعنى آيات القيامة والهلاك الكلى لقوله (او يأتى بعض آيات ربك) يعنى اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب رضى الله تعالى عنهما كنا نتذاكر الساعة اذاشرف علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ماتذكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لاتقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن (يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها) كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان برهانى وقرئ بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث (لم تكن آمنت من قبل) صفة نفسا (او كسبت فى ايمانها خيرا) عطف على آمنت والمعنى انه لاينفع ايمان حينئذ نفسا

(وقالوا) لموسى (مهماتأتنابه من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) فدعا عليهم (فارسلنا عليهم الطوفان) وهو ماء دخل بيوتهم ووصل الى حلوق الجالسين سبعة أيام (والجراد) فاكل زرعهم وثمارهم كذلك (والقمل) السوس أوهو نوع من القراد فتتبع ماتركه الجراد (والضفادع) فملأت بيوتهم وطعامهم (والدم) فى مياههم (آيات مفصلات) مبينات (فاستكبروا) عن الايمان بها (وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز) العذاب (قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) من كشف العذاب عنا ان آمنا (لئن) لام قسم (كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فلما كشفنا) بدعاء موسى (عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون) ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم

غير مقدمة ايمانها اومقدمة غير كاسبة فى ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذى احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا (قل انتظروا انا منتظرون) وعيد لهم اى انتظروا اتيان احد الثلاثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل (ان الذين فرقوا دينهم) بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض اوافترقوا فيه قال عليه الصلاة والسلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وستفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى الروم فارقوا اى باينوا (وكانوا شيعا) فرقا يشيع كل فرقة اماما (لست منهم فى شئ) اى فى شئ من السؤال عنهم وعن تفرقهم اوعن عقابهم اوانت برئ منهم وقيل هو نهى عن التعرض لهم وهو منسوخ بآية السيف (انما امرهم الى الله) يتولى جزاءهم (ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) بالعقاب (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها) اى عشر حسنات امثالها فضلا من الله تعالى وقرأ يعقوب عشر بالتنوين وامثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ماوعد من الاضعاف وقدجاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الامثلها) قضية للعدل (وهم لا يظلمون) بنقص الثواب وزيادة العقاب (قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم) بالوحى والارشاد الى ما نصب من الحجج (دينا) بدل من محل الى صراط اذ المعنى هدانى صراطا كقوله ويهديك صراطا مستقيما اومفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ (قيما) فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم ابلغ منه باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام (ملة ابراهيم) عطف بيان لدينا (حنيفا) حال من ابراهيم (وما كان من المشركين) عطف عليه (قل ان صلاتى ونسكى) عبادتى كلها اوقربانى اوحجى (ومحياى ومماتى) وما انا عليه فى حياتى واموت عليه من الايمان

(فانتقمنا منهم فاغرقناهم فى اليم) البحر الملح (بانهم) بسبب انهم (كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) لا يتدبرونها (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) بالاستعباد وهم بنو اسرائيل (مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها) بالماء والشجر صفة للارض وهى الشام (وتمت كلمت ربك الحسنى) وهى قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض الخ (على بنى اسرائيل بما صبروا) على أذى عدوهم (ودمرنا) أهلكنا (ما كان يصنع فرعون وقومه) من العمارة (وما كانوا يعرشون) بكسر الراء وضمها يرفعون من البنيان (وجاوزنا) عبرنا (ببنى اسرائيل البحر فأتوا) فمروا (على قوم يعكفون) بضم الكاف وكسرها (على أصنام لهم) يقيمون على عبادتها (قالوا ياموسى اجعل لنا الها) صنما نعبده (كما لهم

و الطاعة او طاعات الحيات والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحياة والممات انفسهما وقرأ نافع محياى باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف (لله رب العالمين لاشريك له) خالصة له لاشرك فيها غيرا (و بذلك) القول والاخلاص (امرت وانا اول المسلمين) لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته (قل اغير الله ابغي ربا) فاشركه في عبادتي وهو جواب عن دعائهم له عليه السلام الى عبادة آلهتهم (وهو رب كل شئ) حال في موقع العلة للانكار و الدليل له اى وكل ماسواه مربوب مثلى لايصلح للربوبية (ولا تكسب كل نفس الا عليها) فلاينفعنى فى ابتغاء رب غيره ماانتم عليه من ذلك (ولا تزر وازرة وزر اخرى) جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم (ثم الى ربكم مرجعكم) يوم القيامة (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) بتبيين الرشد من الغى وتمييز المحق من المبطل (وهو الذى جعلكم خلائف الارض) يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله فى الارض تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) فى الشرف والغنى (ليبلوكم فيما آتاكم) من الجاه والمال (ان ربك سريع العقاب) لان ماهو آت قريب اولانه يسرع اذا اراده (وانه لغفور رحيم) وصف العقاب ولم يضف الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها * عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفرله اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

(سورة الاعراف مكية الاثمان آيات من قوله واسألهم الى قوله واذنتقنا الجبل محكم كلها وقيل الاقوله واعرض عن الجاهلين وآيها مائتان وخمس اوست آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(المص) سبق الكلام فى مثله (كتاب) خبر مبتدأ محذوف اى هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة او القرآن (انزل اليك) صفته (فلا يكن فى صدرك حرج منه) اى شك فان الشاك حرج الصدر او ضيق قلب من

آلهة قال انكم قوم تجهلون) حيث قابلتم نعمة الله عليكم بما قلتموه (ان هؤلاء متبر) هالك (ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال اغير الله أبغيكم الها) معبودا واصله أبغى لكم (وهو فضلكم على العالمين) فى زمانكم بماذكره فى قوله (و) اذكروا (اذ أنجيناكم) وفى قراءة أنجاكم (من آل فرعون يسومونكم) يكلفونكم ويذيقونكم (سوء العذاب) أشده وهو (يقتلون أبناءكم ويستحيون) يستبقون (نساءكم وفى ذلكم) الانجاء أو العذاب (بلاء) انعام أو ابتلاء (من ربكم عظيم) أفلا تتعظون فتنتهون عما قلتم (وواعدنا) بألف ودونها (موسى ثلاثين ليلة) نكلمه عند انتهائها بان يصومها وهى ذو القعدة فصامها فلما تمت أنكر خلوف فمه فاستاك فامره الله بعشرة أخرى ليكلمه بخلوف

تبليغه مخافة ان تكذب فيه اوتقصر فى القيام بحقه وتوجيه النهى اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفاء تحتمل العطف والجواب فكأنه قيل اذا نزل اليك لتنذر به فلا يحرج صدرك منه (لتنذر به) متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عندالله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم اوعلم انه موفق للقيام بتبليغه (وذكرى للمؤمنين) يحتمل النصب باضمار فعلها اى لتنذر ولتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل لتنذر والرفع عطفا على كتاب اوخبر المحذوف (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم) يعم القرآن والسنة لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (ولا تتبعوا من دونه اولياء) يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير فى من دونه لما انزل اى ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا (قليلا ما تذكرون) اى تذكرا قيلا اوزمانا قيلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتأكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبى صلى الله عليه وسلم (وكم من قرية) وكثيرا من القرى (اهلكناها) اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان (فجاءها) فجاء اهلها (بأسنا) عذابنا (بياتا) بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال (اوهم قائلون) عطف عليه اى قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفى عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفى التعبيرين مبالغة فى غفلتهم وامنهم عن العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيئ العذاب فيهما افظع (فما كان دعواهم) اى دعاؤهم اواستغاثتهم اوما كانوا يدعونه من دينهم (اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين) لاعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه (فلنسألن الذين ارسل اليهم) عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل (ولنسألن المرسلين) عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفى فى قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام اوالاول فى موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة (فلنقصن عليهم) على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب اوعلى الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه (بعلم) عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم (وما كنا غائبين) عنهم فيخفى

فه كما قال تعالى (وأتممناها بعشر) من ذى الحجة (فتم ميقات ربه) وقت وعده بكلامه اياه (أربعين) حال (ليلة) تمييز (وقال موسى لاخيه هرون) عند ذهابه الى الجبل للمناجاة (اخلفنى) كن خليفتى (فى قومى وأصلح) أمرهم (ولا تتبع سبيل المفسدين) بموافقتهم على المعاصى (ولما جاء موسى لميقاتنا) أى للوقت الذى وعدناه بالكلام فيه (وكلمه ربه) بلا واسطة كلاما سمعه من كل جهة (قال رب أرنى) نفسك (أنظر اليك قال لن ترانى) أى لا تقدر على رؤيتى والتعبير به دون لن أرى يفيد امكان رؤيته تعالى (ولكن انظر الى الجبل) الذى هو أقوى منك (فان استقر) ثبت (مكانه فسوف ترانى) أى تثبت لرؤيتى والا فلا طاقة لك (فلما تجلى ربه) أى ظهر من نوره قدر نصف أنملة الخنصر كما فى حديث صححه الحاكم (للجبل جعله دكا) بالقصر والمد أى مدكوكا مستويا بالارض

علينا شئ من احوالهم (والوزن) اى القضاء اووزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترف بها ألسنتهم و يشهد بها جوارحهم و يؤيده ماروى ان الرجل يؤتى به الى الميزان فتنشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مدالبصر فتخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل يوزن الاشخاص لماروى انه عليه السلام قال ليأتى العظيم السمين يوم القيامة لايزن عندالله جناح بعوضة (يومئذ) خبر المبتدأ الذى هو الوزن (الحق) صفة اوخبر محذوف ومعناه العدل السوى (فمن ثقلت موازينه) حسناته اومايوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهوجمع موزون اوميزان (فاولئك هم المفلحون) الفائزون بالنجاة والثواب (ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم) بتضييع الفطرة السليمة التى فطرت عليها واقتراف ماعرضها للعذاب (بما كانوا بآياتنا يظلمون) فيكذبون بدل التصديق (ولقد مكناكم فى الارض) اى مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف (قليلا ماتشكرون) فيما صنعت اليكم (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) اى خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره اوابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم ثم صورناه (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) وقيل ثم قلنا لتأخير الاخبار (فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين) ممن سجد لآدم (قال مامنعك ان لاتسجد) اى ان تسجد ولا صلة مثلها فى لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذى دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشئ مضطر الى خلافه فكأنه قيل ما اضطرك الى ان لاتسجد (اذ امرتك) دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور (قال انا خير منه) جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا لان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كأنه قال المانع انى خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذى سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا (خلقتنى من نار

(وخر موسى صعقا) مغشيا عليه لهول مارأى (فلما افاق قال سبحانك) تنزيها لك (تبت اليك) من سؤال مالم أومر به (وأنا اول المؤمنين) فى زمانى (قال) تعالى له (ياموسى انى اصطفيتك) اخترتك (على الناس) أهل زمانك (برسالاتى) بالجمع والافراد (وبكلامى) أى تكليمى اياك (فخذ ماآتيتك) من الفضل (وكن من الشاكرين) لأنعمى (وكتبنا له فى الالواح) أى ألواح التوارة وكانت من سدر الجنة أوزبرجد اوزمرد سبعة اوعشرة (من كل شئ) يحتاج اليه فى الدين (موعظة وتفصيلا) تبيينا (لكل شئ) بدل من الجار والمجرور قبله (فخذها) قبله قلنا مقدرا (بقوة) بجد واجتهاد (وأمر قومك يأخذوا باحسنها ساريكم دار الفاسقين) فرعون وأتباعه وهى مصر لتعتبروا بهم (سأصرف عن آياتى) دلائل قدرتى من المصنوعات وغيرها (الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق) بان أخذلهم فلا

وخلقته من طين) تعليل لفضله عليه وقد غلط فى ذلك بان رأى الفضل كله
باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله تعالى
* ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى * اى بغير واسطة و باعتبار الصورة
كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين و باعتبار الغاية
وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له
خواص ليست لغيره والآية دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام
كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار
الجزء الغالب (قال فاهبط منها) من السماء او الجنة (فما يكون لك) فما يصح
(ان تتكبر فيها) وتعصى فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على
ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد
عصيانه (فاخرج انك من الصاغرين) ممن اهانه الله لتكبره قال عليه الصلاة
والسلام من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله (قال انظرنى الى يوم
يبعثون) امهلنى الى يوم القيامة فلا تمتنى اولا تعجل عقوبتى (قال انك من
المنظرين) يقتضى الاجابة الى ما سأله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا
بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلم الله انتهاء
اجله فيه وفى اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم الثواب بمخالفته (قال
فبما اغويتنى) اى بعد ان امهلتنى لاجتهدن فى اغوائهم باى طريق
يمكننى بسبب اغوائك اياى بواسطتهم تسمية او حملا على الغى او تكليفا
بما اغويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن فان اللام
تصد عنه وقيل الباء للقسم (لاقعدن لهم) ترصدا لهم كما يقعد القاطع
للسابلة (صراطك المستقيم) طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله
* كما عسل الطريق الثعلب * وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب
زيد الظهر والبطن (ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم
وعن شمائلهم) اى من جميع الجهات الاربع مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال
من اى وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم
ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل
من تحتهم لان الاتيان منه يوحش الناس وعن ابن عباس رضى الله عنهما
من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم
وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم

يتفكرون فيها (وان يروا
كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا
سبيل) طريق (الرشد)
الهدى الذى جاء من عند الله
(لا يتخذوه سبيلا) يسلكوه
(وان يروا سبيل الغى)
الضلال (يتخذوه سبيلا ذلك)
الصرف (بانهم كذبوا باياتنا
وكانوا عنها غافلين) تقدم مثله
(والذين كذبوا باياتنا ولقاء
الآخرة) البعث وغيره
(حبطت) بطلت (أعمالهم)
ما عملوه فى الدنيا من خير كصلة
رحم وصدقة فلا ثواب لهم
لعدم شرطه (هل) ما (يجزون
الا) جزاء (ما كانوا يعملون)
من التكذيب والمعاصى
(واتخذ قوم موسى من بعده)
أى بعد ذهابه الى المناجاة
(من حليهم) الذى استعاروه
من قوم فرعون بعلة عرس
فبقى عندهم (عجلا) صاغه
لهم منه السامرى (جسدا)
بدل لحما ودما (له خوار) أى
صوت يسمع انقلب كذلك
بوضع التراب الذى أخذه
من حافر فرس جبريل فى فمه
فان أثره الحياة فيما يوضع فيه
ومفعول اتخذ الثانى محذوف
أى الها (ألم يروا أنه لا يكلمهم

من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الاخيرين بحرف المجاوزة فان الآتى منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه (ولا تجد اكثرهم شاكرين) مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة (قال اخرج منها مذؤما) مذموما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول فى مسؤل او كمكول فى مكيل من ذامه يذيمه ذيما (مدحورا) مطرودا (لمن تبعك منهم) اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه (لأملأن جهنم منكم اجمعين) وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر لاملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد اوعلة لاخرج ولاملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب (ويا آدم) اى وقلنا يا آدم (اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة) وقرئ هذى وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء (فتكونا من الظالمين) فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب (فوسوس لهما الشيطان) اى فعل الوسوسة لاجلهما وهى فى الاصل الصوت الخفى كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلى وقد سبق فى سورة البقرة كيفية وسوسته (ليبدى لهما) ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتهما ولذلك عبر عنها بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة فى الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن فى الطباع (ماووري عنهما من سوآتهما) ماغطى عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم يقلب الواو المضمومة همزة فى المشهور كما قلبت فى اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سواتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها (وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا) الا كراهة ان تكونا (ملكين او تكونا من الخالدين) الذين لا يموتون او يخلدون فى الجنة واستدل به على

ولا يهديهم سبيلا) فكيف يتخذ الها (اتخذوه) الها (وكانوا ظالمين) باتخاذه (ولما سقط فى أيديهم) أى ندموا على عبادته (ورأوا) علموا (انهم قد ضلوا) بها وذلك بعد رجوع موسى (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا) بالياء والتاء فيهما (لنكونن من الخاسرين ولما رجع موسى الى قومه غضبان) من جهتهم (أسفا) شديد الحزن (قال) لهم (بئسما) أى بئس خلافة (خلفتمونى) ها (من بعدى) خلافتكم هذه حيث أشركتم (أعجلتم أمر ربكم وألقى الالواح) ألواح التوراة غضبا لربه فتكسرت (واخذ برأس أخيه) أى بشعره بيمينه ولحيته بشماله (يجره اليه) غضبا (قال) يا (ابن أم) بكسر الميم وفتحها اراد أمى وذكرها أعطف لقلبه (ان القوم استضعفونى وكادوا) قاربوا (يقتلوننى فلا تشمت) تفرح (بى الاعداء) باهانتك اياى (ولا تجعلنى مع القوم الظالمين) بعبادة العجل فى المؤاخذة (قال رب اغفر لى) ما صنعت بأخى (ولأخى) شركه فى الدعاء

فضل الملائكة على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقايق لاتنقلب انما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لايدل على فضلهم مطلقا (وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين) اى اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسماله بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة (فدلاهما) فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشئ من اعلى الى اسفل (بغرور) بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لايحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما) اى فلما وجدا طعمها آخذين فى الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف فى ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا اوحلة او ظفرا (وطفقا يخصفان) اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة (عليهما من ورق الجنة) قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اى يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان واصله يختصفان (وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) عتاب على مخالفة النهى وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهى للتحريم (قالا ربنا ظلمنا انفسنا) اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج عن الجنة (وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) دليل على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا تجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين فى استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات (قال اهبطوا) الخطاب لآدم وحواء وذريتهما اولهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا او اخبر عما قال لهم مفرقا (بعضكم لبعض عدو) فى موضع الحال اى متعادين (ولكم فى الارض مستقر) استقرار او موضع استقرار (ومتاع) وتمتع (الى حين) الى تقضى آجالكم (قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) للجزاء وقرأ حمزة والكسائى وابن ذكوان ومنها تخرجون وفى الزخرف وكذلك تخرجون بفتح التاء وضم الراء (يابنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا) اى خلقناه

ارضاءله ودفعا للشماتة به (وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين) قال تعالى (ان الذين اتخذوا العجل) الها (سينالهم غضب) عذاب (من ربهم وذلة فى الحيوة الدنيا) فعذبوا بالامر بقتل أنفسهم وضربت عليهم الذلة الى يوم القيامة (وكذلك) كما جزيناهم (نجزى المفترين) على الله بالاشراك وغيره (والذين عملوا السيآت ثم تابوا) رجعوا عنها (من بعدها وآمنوا) بالله (ان ربك من بعدها) أى التوبة (لغفور) لهم (رحيم) بهم (ولما سكت) سكن (عن موسى الغضب اخذ الالواح) التى ألقاها (وفى نسختها) أى مانسخ فيها أى كتب (هدى) من الضلالة (ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) يخافون وأدخل اللام على المفعول لتقدمه (واختار موسى قومه) أى من قومه (سبعين رجلا) ممن لم يعبد العجل بامره تعالى (لميقاتنا) اى للوقت الذى وعدناه باتيانهم فيه ليعتذروا من عبادة أصحابهم العجل

لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله تعالى وانزل لكم من الانعام وقوله تعالى وانزلنا الحديد (يوارى سوآتكم) التى قصد الشيطان ابداءها و يغنيكم عن خصف الورق روى ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة و يقولون لانطوف فى ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم تقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم فى ذلك كما اغوى ابويهم (وريشا) ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب (ولباس التقوى) خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره (ذلك خير) اوخبر وذلك صفته كأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائى ولباس بالنصب عطفا على لباسا (ذلك) اى انزال اللباس (من آيات الله) الدالة على فضله ورحمته (لعلهم يذكرون) فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح (يابنى آدم لايفتننكم الشيطان) لايمحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم (كما اخرج ابويكم من الجنة) كما محن ابويكم بان اخرجهما منها والنهى فى اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به (ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما) حال من ابويكم اومن فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب (انه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم) تعليل للنهى وتأكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لانراهم فى الجملة لاتقتضى امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا (انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لايؤمنون) بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ماسولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية (واذا فعلوا فاحشة) فعلة متناهية فى القبح كعبادة الصنم وكشف العورة فى الطواف (قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها) اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثانى بقوله (قل ان الله لايأمر بالفحشاء) لان عادته تعالى جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولادلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلى فان المراد بالفاحشة ماينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كأنه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا

فخرج بهم (فلما أخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة قال ابن عباس لانهم لم يزايلوا قومهم حين عبدوا العجل قال وهم غير الذين سألوا الرؤية وأخذتهم الصاعقة (قال) موسى (رب لوشئت أهلكتهم من قبل) أى قبل خروجى بهم ليعاين بنوا اسرائيل ذلك ولايتهمونى (واياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) استفهام استعطاف أى لاتعذبنا بذنب غيرنا (ان) ما (هى) أى الفتنة التى وقعت فيها السفهاء (الافتنتك) ابتلاؤك (تضل بها من تشاء) اضلاله (وتهدى من تشاء) هدايته (انت ولينا) متولى امورنا (فاغفرلنا وارحمنا وأنت خير الغافرين وأكتب) أوجب (لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الاخرة) حسنة (انا هدنا) تبنا (اليك (قال) تعالى (عذابى أصيب به من أشاء) تعذيبه (ورحمتى وسعت) عمت (كل شئ) فى الدنيا (فسأكتبها) فى الآخرة (للذين يتقون و يؤتون الزكوة والذينهم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي) محمدا

صلى الله عليه وسلم (الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) باسمه وصفته (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات) مما حرم فى شرعهم (ويحرم عليهم الخبائث) من الميتة ونحوها (ويضع عنهم اصرهم) ثقلهم (والاغلال) الشدائد (التى كانت عليهم) كقتل النفس فى التوبة وقطع أثر النجاسة (فالذين آمنوا به) منهم (وعزروه) وقروه (ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه) أى القرآن (أولئك هم المفلحون قل) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (ياايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الاهو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته) القرآن (واتبعوه لعلكم تهتدون) ترشدون (ومن قوم موسى امة) جماعة (يهدون) الناس (بالحق وبه يعدلون) فى الحكم (وقطعناهم) فرقنا بنى اسرائيل (اثنتى عشرة) حال (أسباطا)

فقيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لامطلقا (اتقولون على الله مالاتعلمون) انكار يتضمن النهى عن الافتراء على الله (قل امر ربى بالقسط) بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافى عن طرف الافراط والتفريط (واقيموا وجوهكم) وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها اواقيموها نحو القبلة (عند كل مسجد) فى كل وقت سجود اومكانه وهو الصلاة اوفى مسجد حضرتكم الصلاة ولاتؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم (وادعوه) واعبدوه (مخلصين له الدين) اى الطاعة فان اليه مصيركم (كمابدأكم) كما انشأكم ابتداء (تعودون) باعادته فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة وانما شبه الاعادة بالابتداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كمابدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كمابدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم (فريقا هدى) بان وفقهم للايمان (وفريقا حق عليهم الضلالة) بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره مابعده اى وخذل فريقا (انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله) تعليل لخذ لانهم او تحقيق لضلالتهم (ويحسبون انهم مهتدون) يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء فى استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر فى النظر (يابنى آدم خذوا زينتكم) ثيابكم لمواراة عوراتكم (عند كل مسجد) لطواف اوصلاة ومن السنة ان يأخذ الرجل احسن هيئته للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة فى الصلاة (وكلوا واشربوا) ماطاب لكم روى ان بنى عامر فى ايام حجهم كانوا لايأكلون الطعام الاقوتا ولايأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت (ولاتسرفوا) بتحريم الحلال او بالتعدى الى الحرام اوبافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كل ماشئت والبس ماشئت مااخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال على بن الحسين ولقد جمع الله الطب فى نصف آية فقال وكلوا واشربوا ولاتسرفوا (انه لايحب المسرفين) اى لايرتضى فعلهم (قل من حرم زينة الله) من الثياب وسائر مايتجمل به (التى اخرج لعباده) من النبات كالقطن والكتان ومن الحيوان كالحرير والصوف ومن المعادن كالدروع (والطيبات من الرزق) المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل فى المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة

لان الاستفهام فى من للانكار (قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا) بالاصالة
والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع (خالصة يوم القيامة) لايشاركهم فيها
غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر
(كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر
الاحكام لهم (قل انما حرم ربى الفواحش) ماتزايد قبحه وقيل ماتعلق
بالفروج (ماظهر منها ومابطن) جهرها وسرها (والاثم) ومايوجب الاثم
تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر (والبغى) الظلم او الكبر افرده بالذكر
للمبالغة (بغير الحق) متعلق بالبغى مؤكد له معنى (وان تشركوا بالله مالم
ينزل به سلطانا) تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع مالم يدل عليه
برهان (وان تقولوا على الله مالا تعلمون) بالالحاد فى صفاته والافتراء عليه
كقولهم والله امرنا بها (ولكل امة اجل) مدة اووقت لنزول العذاب
بهم وهو وعيد لاهل مكة (فاذا جاء اجلهم) انقرضت مدتهم اوحان
وقتهم (لايستأخرون ساعة ولايستقدمون) اى لايتأخرون ولايتقدمون
اقصر وقت اولايطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول (يابنى آدم امايأتينكم
رسل منكم يقصون عليكم آياتى) شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على
ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها
ماللتأكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه (فمن اتقى واصلح
فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون) والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم
والذين كذبوا بآياتنا منكم وادخال الفا فى خبر الاول دون الثانى للمبالغة
فى الوعد والمسامحة فى الوعيد (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب
بآياته) ممن تقول على الله مالم يقله اوكذب ماقاله (اولئك ينالهم نصيبهم
من الكتاب) مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح
المحفوظ اى مما اثبت لهم فيه (حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) اى يتوفون
ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية نيلهم وهى التى يبتدأ بعدها
الكلام (قالوا) جواب اذا (اينما كنتم تدعون من دون الله) اين
الآلهة الذين كنتم تعبدونها وماوصلت باين فى خط المصحف وحقها الفصل
لانها موصولة (قالوا ضلوا عنا) غابوا عنا (وشهدوا على انفسهم
انهم كانوا كافرين) اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه (قال ادخلوا

بدل منه أى قبائل (أمما) بدل
مماقبله (واوحينا الى موسى
اذ استسقاه قومه) فى التيه
(أن اضرب بعصاك الحجر)
فضرب به (فانبجست) انفجرت
(منه ثنتا عشرة عينا) بعدد
الاسباط (قد علم كل اناس)
سبط منهم (مشربهم وظللنا
عليهم الغمام) فى التيه من حر
الشمس (وانزلنا عليهم المن
والسلوى) هما الترنجبين
والطير السمانى بتخفيف الميم
والقصر وقلنا لهم (كلوا من
طيبات مارزقناكم وماظلمونا
ولكن كانوا أنفسهم يظلمون
و) اذكر (اذ قيل لهم اسكنوا
هذه القرية) بيت المقدس
(وكلوا منها حيث شئتم وقولوا)
أمرنا (حطة وادخلوا الباب)
أى باب القرية (سجدا)
سجود انحناء (نغفر) بالنون
والتاء مبنيا للمفعول (لكم
خطيئاتكم سنزيد المحسنين)
بالطاعة ثوابا (فبدل الذين
ظلموا منهم قولا غير الذى
قيل لهم) فقالوا حبة فى شعرة
ودخلوا يزحفون على أستاههم
(فارسلنا عليهم رجزا) عذابا
(من السماء بما كانوا
يظلمون وأسألهم

اى قال الله لهم يوم القيامة اواحد من الملائكة (فى امم قد خلت من قبلكم) اى كائنين فى جملة امم مصاحبين لهم يوم القيامة (من الجن والانس) يعنى كفار الامم الماضية من النوعين (فى النار) متعلق بادخلوا (كلما دخلت امة) اى فى النار (لعنت اختها) التى ضلت بالاقتداء بها (حتى اذا اداركوا فيها جميعا) اى تداركوا وتلاحقوا فى النار (قالت اخراهم) دخولا اومنزلة وهم الاتباع (لاولاهم) اى لاجل اولاهم اذالخطاب مع الله لامعهم (ربنا هؤلاء اضلونا) سنوالنا الضلال فاقتدينا بهم (فآتهم عذابا ضعفا من النار) مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا (قال لكل ضعف) اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم (ولكن لاتعلمون) مالكم اوما لكل فريق وقرأ عاصم برواية ابى بكر بالياء على الانفصال (وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل) عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم ورتبوه عليه اى فقد ثبت ان لافضل لكم علينا وانا واياكم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) من قول القادة اومن قول الفريقين (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها) اى عن الايمان بها (لاتفتح لهم ابواب السماء) لادعيتهم واعمالهم اولارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء فى تفتح لتأنيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ ابوعمرو بالتخفيف وحمزة والكسائى به وبالياء لان التأنيث غير حقيقى والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله (ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) اى حتى يدخل ماهو مثل فى عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل فى ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لايكون فكذا ماتوقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهى الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفى سم المخيط وهو والخياط به كالحزام والمحزم (وكذلك) ومثل ذلك الجزاء الفظيع (نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد) فراش (ومن فوقهم غواش) اغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف (وكذلك نجزى الظالمين) عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم

يامحمد توبيخا (عن القرية التى كانت حاضرة البحر) مجاورة بحر القلزم وهى أيلة ماوقع باهلها (اذيعدون) يعتدون (فى السبت) بصيد السمك المأمورين بتركه فيه (اذ) ظرف ليعدون (تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا) ظاهرة على الماء (ويوم لايسبتون) لايعظمون أى سائر الايام (لاتأتيهم) ابتلاء من الله (كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) ولما صادوا السمك افترقت القرية أثلاثا ثلث صادوا معهم وثلث نهوهم وثلث أمسكوا عن الصيد والنهى (واذ) عطف على اذقبله (قالت أمة منهم) لم تصد ولم تنه لمن نهى (لم تعظون قوما الله مهلكهم أومعذبهم عذابا شديدا قالوا) موعظتنا (معذرة) نعتذر بها (الى ربكم) لئلا ننسب الى تقصير فى ترك النهى (ولعلهم يتقون) الصيد (فلما نسوا) تركوا (ماذكروا) وعظوا (به) فلم يرجعوا (أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا) بالاعتداء (بعذاب بئيس) شديد (بما كانوا يفسقون فلما عتوا)

بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) على عادته سبحانه وتعالى فى ان يشفع الوعد بالوعيد ولانكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدأ وخبره للترغيب فى اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لاتكلف نفس (ونزعنا مافى صدورهم من غل) اى نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نظهرها منه حتى لايكون بينهم الا التواد وعن على كرم الله وجهه انى لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم (تجرى من تحتهم الانهار) زيادة فى لذتهم وسرورهم (وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا) لما جزاؤه هذا (وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله) لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتأكيد النفى وجواب لولا محذوف دل عليه ماقبله وقرأ ابن عامر ماكنا بغير واو على انها مبينة للاولى (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ماعلموه يقينا فى الدنيا صار لهم عين اليقين فى الآخرة (ونودوا ان تلكم الجنة) اذا رأوها من بعيد او بعد دخولها والمنادى له بالذات (اورثتموها بما كنتم تعملون) اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان فى المواقع الخمسة هى المخففة او المفسرة لان المناداة والتأذين من القول (ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا) انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ماوعدكم كما قال ماوعدنا لان ماساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصا وعدة بهم كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة (قالوا نعم) وقرأ الكسائى بكسر العين وهما لغتان (فاذن مؤذن) قيل هو صاحب الصور (بينهم) بين الفريقين (ان لعنة الله على الظالمين) وقرا ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائى ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال (الذين يصدون عن سبيل الله) صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب (ويبغونها عوجا) زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر فى المعانى والاعيان مالم تكن منتصبة وبالفتح فى المنتصبة كالحائط والرمح

تكبروا (عن) ترك (ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) صاغرين فكانوها وهذا تفصيل لما قبله قال ابن عباس ما أدرى مافعل بالفرقة الساكتة وقال عكرمة لم تهلك لانها كرهت مافعلوه وقالت لم تعظون الخ وروى الحاكم عن ابن عباس أنه رجع اليه وأعجبه (واذ تأذن) أعلم (ربك ليبعثن عليهم) أى اليهود (الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) بالذل وأخذ الجزية فبعث عليهم سليمان وبعده بختنصر فقتلهم وسباهم وضرب عليهم الجزية فكانوا يؤدونها الى المجوس الى أن بعث نبينا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم (ان ربك لسريع العقاب) لمن عصاه (وانه لغفور) لاهل طاعته (رحيم) بهم (وقطعناهم) فرقناهم (فى الارض أمما) فرقا (منهم الصالحون ومنهم) ناس (دون ذلك) الكفار الفاسقون (وبلوناهم بالحسنات) بالنعم (والسيئات) النقم (لعلهم يرجعون) عن فسقهم (فخلف من بعدهم

خلف ورثوا الكتاب) التوراة عن آبائهم (يأخذون عرض هذا الادنى) اى حطام هذا الشئ الدنئ اى الدنيا من حلال وحرام (و يقولون سيغفرلنا) مافعلناه (وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) الجملة حال أى يرجون المغفره وهم عائدون الى مافعلوه مصرون عليه وليس فى التوراة وعد المغفرة مع الاصرار (ألم يؤخذ) استفهام تقرير (عليهم ميثاق الكتاب) الاضافة بمعنى فى (أن لايقولوا على الله الا الحق ودرسوا) عطف على يؤخذ قرؤا (مافيه) فلم كذبوا عليه بنسبة المغفرة اليه مع الاصرار (والدار الآخرة خير للذين يتقون) الحرام (افلا يعقلون) بالياء والتاء انها خير فيؤثرونها على الدنيا (والذين يمسكون) بالتشديد والتخفيف (بالكتاب) منهم (وأقاموا الصلوة) كعبد الله ابن سلام وأصحابه (انا لانضيع أجر المصلحين) الجملة خبر الذين وفيه وضع الظاهر موضع المضمر أى أجرهم

(وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب) اى بين الفريقين كقوله تعالى فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى (وعلى الاعراف) وعلى اعراف الحجاب اى على اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشئ فانه يكون بظهوره اعرف من غيره (رجال) طائفة من الموحدين قصروا فى العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضى الله فيهم مايشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء او الشهداء او خيار المؤمنين وعلمائهم او ملائكة يرون فى صورة الرجال (يعرفون كلا) من اهل الجنة والنار (بسيماهم) بعلامتهم التى اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها فى المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الواجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة (ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم) اى اذا نظروا اليهم سلموا عليهم (لم يدخلوها وهم يطمعون) حال من الواو على الوجه الاول ومن الاصحاب على الوجوه (واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا) تعوذا بالله (ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين) اى فى النار (ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم) من رؤساء الكفرة (قالوا مااغنى عنكم جمعكم) كثرتكم او جمعكم المال (وماكنتم تستكبرون) عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة (اهؤلاء الذين اقسمتم لاينالهم الله برحمة) من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحقرونهم فى الدنيا ويحلفون ان الله لايدخلهم الجنة (ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولاانتم تحزنون) اى فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ماقالوا وقيل لما عير واصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لايدخلون الجنة فقال الله او بعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لاخوف عليكم (ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء) اى صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار (او مما رزقكم الله) من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الطعام كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * (قالوا ان الله حرمهما على الكافرين) منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف

(الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا) كتحريم البحيرة والتصدية والمكاء حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به (وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم) نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم فى النار (كما نسوا لقاء يومهم هذا) فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له (وما كانوا بآياتنا يجحدون) وكما كانوا منكرين انها من عند الله (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه) بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة (على علم) عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اى على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) حال من الهاء (هل ينظرون) هل ينتظرون (الا تأويله) الا مايؤل اليه امره من تبين صدقه بظهور مانطق به من الوعد والوعيد (يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل) تركوه ترك الناسى (قد جاءت رسل ربنا بالحق) اى قد تبين انهم جاؤا بالحق (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) اليوم (اونرد) او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا اولان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤل احد الامرين الشفاعة اوردهم الى الدنيا وعلى الثانى ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين اولامر واحد وهو الرد (فنعمل غير الذى كنا نعمل) جواب الاستفهام الثانى وقرئ بالرفع اى فنحن نعمل (قد خسروا انفسهم) بصرف اعمارهم فى الكفر (وضل عنهم ماكانوا يفترون) بطل عنهم فلم ينفعهم (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام) اى فى ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره اوفى مقدار ستة ايام فان المتعارف فى اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفى خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل للاختيار واعتبار للنظار وحث على التأنى فى الامور (ثم استوى على العرش) استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى انه تعالى استوى على العرش على الوجه الذى عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمى به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك (يغشى الليل النهار) يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به اولان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب

(و) اذكر (اذ نتقنا الجبل) رفعناه من أصله (فوقهم كأنه ظلة وظنوا) أيقنوا (أنه واقع بهم) ساقط عليهم بوعد الله اياهم بوقوعه ان لم يقبلوا احكام التوراة وكانوا أبوها لثقلها فقبلوا وقلنا لهم (خذوا ما آتيناكم بقوة) بجد واجتهاد (واذكروا مافيه) العمل به (لعلكم تتقون و) اذكر (اذ) حين (أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم) بدل اشتمال مما قبله باعادة الجار (ذرياتهم) بان أخرج بعضهم من صلب بعض من صلب آدم نسلا بعد نسل كنحو ماتوالدون كالذر بنعمان يوم عرفة ونصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلا (وأشهدهم على أنفسهم) قال (ألست بربكم قالوا بلى) أنت ربنا (شهدنا) بذلك والاشهاد لـ (ان) لا (يقولوا) بالياء والتاء فى الموضعين أى الكفار (يوم القيامة انا كنا عن هذا) التوحيد (غافلين) لانعرفه (أو يقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل) أى قبلنا (وكنا

ذر ية من بعدهم) فاقتدينا بهم (أفتهلكنا) تعذبنا (بما فعل المبطلون) من آبائنا بتأسيس الشرك المعنى لايمكنهم الاحتجاج بذلك مع اشهادهم على أنفسهم بالتوحيد والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره فى النفوس (وكذلك نفصل الآيات) نبينها مثل ماينا الميثاق ليتدبروها (ولعلهم يرجعون) عن كفرهم (واتل) يامحمد (عليهم) أى اليهود (نبأ) خبر (الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) خرج بكفره كما تخرج الحية من جلدها وهو بلعم بن باعوراء من علماء بنى اسرائيل سئل أن يدعو على موسى واهدى اليه شئ فدعا فانقلب عليه واندلع لسانه على صدره (فاتبعه الشيطان) فادركه فصار قرينه (فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه) الى منازل العلماء (بها) بان نوفقه للعمل (ولكنه أخلد) سكن (الى الارض) أى الدنيا ومال اليها (واتبع هواه) فى دعائه اليها فوضعناه (فمثله) صفته (كمثل الكلب ان تحمل عليه)

وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفى الرعد للدلالة على التكرير (يطلبه حثيثا) يعقبه سريعا كالطالب له لايفصل بينهما شئ والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره) بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر (الاله الخلق والامر) فانه الموجد والمتصرف (تبارك الله رب العالمين) تعالى بالوحدانية فى الالوهية وتعظم بالتفرد فى الربوبية وتحقيق الآية والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذى له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات فى يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والافعال واشار اليه بقوله خلق الارض فى يومين اى مافى جهة السفل فى يومين ثم انشأ انواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال تعالى بعد قوله وخلق الارض فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام اى مع اليومين الاولين لقوله تعالى فى سورة السجدة الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكرير الليالى والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الاله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) اى ذوى تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص (انه لايحب المعتدين) المجاوزين ما امروا به فى الدعاء وغيره نبه به على ان الداعى ينبغى ان لايطلب مالايليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح فى الدعاء والاسهاب فيه وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى اسألك الجنة وماقرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وماقرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لايحب المعتدين (ولاتفسدوا

فى الارض) بالكفر والمعاصى (بعد اصلاحها) ببعث الانبياء وشرع الاحكام
(وادعوه خوفا وطمعا) ذوى خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم
استحقاقكم وطمع فى اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته (ان رحمة الله
قريب من المحسنين) ترجيح للطمع وتنبيه على مايتوسل به الى الاجابة وتذكير
قريب لان الرحمة بمعنى الرحم اولانه صفة محذوف اى امر قريب اوعلى
تشبيهه بفعيل الذى هو بمعنى مفعول اوالذى هو مصدر كالنقيض اوللفرق
بين القريب من النسب والقريب من غيره (وهو الذى يرسل الرياح) وقرأ
ابن كثير وحمزة والكسائى الريح على الوحدة (نشرا) جمع نشور بمعنى
ناشر وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائى نشرا
بفتح النون حيث وقع على انه مصدر فى موضع الحال بمعنى ناشرات
اومفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف
بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات
اوللبشارة وبشرى (بين يدى رحمته) قدام رحمته يعنى المطر فان الصبا
تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه (حتى اذا اقلت
سحابا) اى حملته واشتقاقه من القلة فان المقل للشئ يستقله (ثقالا) بالماء
جمعه لان السحاب بمعنى السحائب (سقناه) اى السحاب وافراد الضمير
باعتبار اللفظ (لبلد ميت) اى لاجله اولاحيائه اولسقيه وقرئ ميت (فانزلنا به
الماء) بالبلد اوبالسحاب اوبالسوق اوبالريح وكذلك (فاخرجنا به) ويحتمل
فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق فى الاول وللظرفية
فى الثانى واذا كان لغيره فهى للسببية فيهما (من كل الثمرات) من كل انواعها
(كذلك نخرج الموتى) الاشارة فيه الى اخراج الثمرات اوالى احياء البلد
الميت اى كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات
والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها
بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس (لعلكم تذكرون) فتعلمون ان من
قدر على ذلك قدر على هذا (والبلد الطيب) الارض الكريمة التربة
(يخرج نباته باذن ربه) بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه
وغزارة نفعه لانه اوقعه فى مقابلة (والذى خبث) كالحرة والسبخة
(لايخرج الا نكدا) قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد
الذى خبث لايخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه

بالطرد والزجر (يلهث)
يدلع لسانه (أو) ان (تتركه
يلهث) وليس غيره من
الحيوان كذلك وجملتا
الشرط حال أى لاهثا ذليلا
بكل حال والقصد التشبيه
فى الوضع والخسة بقرينة
الفاء المشعرة بترتيب مابعدها
على ماقبلها من الميل الى
الدنيا واتباع الهوى وبقرينة
قوله (ذلك) المثل (مثل
القوم الذين كذبوا بآياتنا
فاقصص القصص) على
اليهود (لعلهم يتفكرون)
يتدبرون فيها فيؤمنون
(ساء) بئس (مثلا القوم)
أى مثل القوم (الذين كذبوا
بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون)
بالتكذيب (من يهد الله فهو
المهتدى ومن يضلل فأولئك
هم الخاسرون ولقد ذرأنا)
خلقنا (لجهنم كثيرا من الجن
والانس لهم قلوب لايفقهون
بها) الحق (ولهم أعين
لايبصرون بها) دلائل قدرة
الله ببصر اعتبار (ولهم
آذان لايسمعون بها) الآيات
والمواعظ سماع تدبر واتعاظ
(أولئك كالانعام) فى عدم
الفقه والبصر والاستماع

مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج اى يخرجه البلد فيكون الانكدا مفعولا ونكدا على المصدر اى ذانكد ونكدا بالاسكان للتخفيف (كذلك نصرف الآيات) نرددها ونكررها (لقوم يشكرون) نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع لها ولمن لم يرفع اليها رأسا ولم يتأثر بها (لقد ارسلنا نوحا الى قومه) جواب قسم محذوف ولايكاد تطلق هذه اللام الامع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ماصدر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس اول نبى بعده بعث وهو ابن خمسين سنة اواربعين (فقال ياقوم اعبدوا الله) اى اعبدوه وحده لقوله تعالى (مالكم من اله غيره) وقرأ الكسائى غيره بالكسر نعتا اوبدلا على اللفظ حيث وقع اذا كان قبل اله من التى تخفض وقرئ بالنصب على الاستثناء (انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) اى ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعى الى عبادته واليوم يوم القيامة اويوم نزول الطوفان (قال الملأ من قومه) اى الاشراف فانهم يملأون العيون رواء (انا لنراك فى ضلال) فى زوال عن الحق (مبين) بين (قال ياقوم ليس بى ضلالة) اى شئ من الضلال بالغ فى النفى كما بالغوا فى الاثبات وعرض لهم به (ولكنى رسول من رب العالمين) استدراك باعتبار مايلزمه وهو كونه على هدى كأنه قال ولكنى على هدى فى الغاية لانى رسول من الله (ابلغكم رسالات ربى وانصح لكم واعلم من الله مالاتعلمون) صفات لرسول اواستئناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ ابو عمر وابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها اولتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والاحكام اولان المراد بها مااوحى اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام فى لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفى اعلم من الله تقرير لما وعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه اومن جهته بالوحى اشياء لاعلم لكم بها (اوعجبتم) الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اى اكذبتم وعجبتم (ان جاءكم) من ان جاءكم (ذكر من ربكم) رسالة اوموعظة (على رجل) على لسان رجل (منكم) من جملتكم اومن جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لوشاء الله لانزل ملائكة ماسمعنا بهذا فى آبائنا الاولين (لينذركم) عاقبة الكفر والمعاصى (ولتتقوا) منهما بسبب الانذار (ولعلكم ترحمون) بالتقوى وفائدة حرف الترجى التنبيه

(بل هم أضل) من الانعام لانها تطلب منافعها وتهرب من مضارها وهؤلاء يقدمون على النار معاندة (أولئك هم الغافلون ولله الاسماء الحسنى) التسعة والتسعون الوارد بها الحديث والحسنى مؤنث الاحسن (فادعوه) سموه (بها وذروا) اتركوا (الذين يلحدون) من الحد ولحد يميلون عن الحق (فى أسمائه) حيث اشتقوا منها أسماء لآلهتهم كاللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان (سيجزون) فى الآخرة جزاء (ماكانو يعملون) وهذا قبل الامر بالقتال (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما فى حديث (والذين كذبوا بآياتنا) القرآن من أهل مكة (سنستدرجهم) نأخذهم قليلا قليلا (من حيث لايعلمون وأملى لهم) أمهلهم (ان كيدى متين) شديد لايطاق (أولم يتفكروا) فيعلموا (مابصاحبهم) محمد صلى الله عليه وسلم (من جنة) جنون (ان) ما (هو الانذير

علی ان التقوی غیر موجب والترحم من الله تفضیل وان المتقی ینبغی ان لا یعتمد علی تقواه ولا یأمن من عذاب الله (فکذبوه فانجیناه والذین معه) وهم من آمن به وکانوا اربعین رجلا واربعین امرأة وقیل تسعة بنوه سام وحام ویافث وستة ممن آمن به (فی الفلك) متعلق بمعه او بانجیناه او حال من الموصول او من الضمیر فی معه (واغرقنا الذین کذبوا بآیاتنا) بالطوفان (انهم کانوا قوما عمین) عمی القلوب غیر مستبصرین واصله عمیین فخفف وقرئ عامین والاول ابلغ لدلالته علی الثبات (والی عاد اخاهم) عطف علی نوحا الی قومه (هودا) عطف بیان لاخاهم والمراد به الواحد منهم کقولهم یا اخا العرب للواحد منهم فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقیل هو هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام ابن عم ابی عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب فی اقتفائه (قال یا قوم اعبدوا الله ما لکم من اله غیره) استأنف به ولم یعطف کانه جواب سائل قال فما قال لهم حین ارسل وکذلك جوابهم (افلا تتقون) عذاب الله وکأن قومه کانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال (قال الملأ الذین کفروا من قومه) اذ کان اشرافهم من آمن به کمرثد بن سعد (انا لنراك فی سفاهة) متمکنا من خفة عقل وراسخا فیها حیث فارقت دین قومك (وانا لنظنك من الکاذبین قال یا قوم لیس بی سفاهة ولکنی رسول من رب العالمین ابلغکم رسالات ربی وانا لکم ناصح امین او عجبتم ان جاءکم ذکر من ربکم علی رجل منکم لینذرکم) سبق تفسیره وفی اجابة الانبیاء علیهم الصلاة والسلام الکفرة عن کلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلاتهم کمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهکذا ینبغی لکل ناصح وفی قوله وانا لکم ناصح امین تنبیه علی انهم عرفوه بالامرین وقرأ ابو عمرو ابلغکم فی الموضعین فی هذه السورة والاحقاف مخففا (واذکروا اذ جعلکم خلفاء من بعد قوم نوح) ای فی مساکنهم او فی الارض بان جعلکم ملوکا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الی شجر عمان خوفهم من عقاب الله ثم ذکرهم بانعامه (وزادکم فی الخلق بسطة) قامة وقوة (فاذکروا آلاء الله) وهو تعمیم بعد تخصیص (لعلکم تفلحون) لکی یفضی بکم ذکر النعم الی شکرها المؤدی الی الفلاح (قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما کان یعبد آباؤنا

مبین) بین الانذار (أولم ینظروا فی ملکوت) ملك (السموات والارض و) فی (ما خلق الله من شئ) بیان لما فیستدلوا به علی قدرة صانعه ووحدانیته (و) فی (أن) أی أنه (عسی أن یکون قد اقترب) قرب (أجلهم) فیموتوا کفارا فیصیروا الی النار فیبادروا الی الایمان (فبأی حدیث بعده) أی القرآن (یؤمنون من یضلل الله فلا هادی له ویذرهم) بالیاء والنون مع الرفع استئنافا والجزم عطفا علی محل ما بعد الفاء (فی طغیانهم یعمهون) یترددون تحیرا (یسألونك) أی أهل مکة (عن الساعة) القیامة (أیان) متی (مرساها قل) لهم (انما علمها) متی تکون (عند ربی لا یجلیها) یظهرها (لوقتها) اللام بمعنی فی (الا هو ثقلت) عظمت (فی السموات والارض) علی أهلها لهولها (لا تأتیکم الا بغتة) فجأة (یسألونك کأنك حفی) مبالغ فی السؤال (عنها) حتی علمتها (قل

على الاستهزاء (قالوا انا بما ارسل به مؤمنون) عدلوا به عن الجواب السوى الذى هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذى رأى وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال (قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون) على وجه المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما (فعقروا الناقة) فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة اولانه كان برضاهم (وعتوا عن امر ربهم) واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه السلام بقوله فذروها (وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة) الزلزلة (فاصبحوا فى دارهم جاثمين) خامدين ميتين روى انهم من بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لايفى بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا فى خصب وسعة فعتوا وافسدوا فى الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسألوا آية فقال اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها فى العظم فآمن به جندع فى جماعة ومنع الباقين من الايمان ذواب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب ابن صمعر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تنفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادى فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتوى ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال لهم صالح ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات

(أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم) دعاءكم (ان كنتم صادقين) فى أنها آلهة ثم بين غاية عجزهم وفضل عابديهم عليهم فقال (ألهم أرجل يمشون بها أم) بل أ (لهم أيد) جمع يد (يبطشون بها ام) بل أ (لهم أعين يبصرون بها ام) بل أ (لهم آذان يسمعون بها) استفهام انكار أى ليس لهم شئ من ذلك مما هو لكم فكيف تعبدونهم وأنتم أتم حالا منهم (قل) لهم يا محمد (ادعوا شركاءكم) الى هلاكى (ثم كيدون فلا تنظرون) تمهلون فانى لا أبالى بكم (ان وليى الله) متولى أمورى (الذى نزل الكتاب) القرآن (وهو يتولى الصالحين) بحفظه (والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) فكيف أبالى بهم (وان تدعوهم) أى الاصنام (الى الهدى لا يسمعوا وتراهم) أى الاصنام يا محمد (ينظرون اليك) أى يقابلونك كالناظر (وهم لا يبصرون خذ العفو) اليسر من أخلاق الناس

طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا (فتولى عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين) ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا اوذكر على سبيل التحسر عليهم (ولوطا) اى وارسلنا لوطا (اذقال لقومه) وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه (اتأتون الفاحشة) توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية فى القبح (ماسبقكم بها من احد من العالمين) مافعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتأكيد النفى والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استئناف مقررة للانكار كأنه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ (أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) بيان لقوله اتأتون الفاحشة وهو ابلغ فى الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستأنف وشهوة مفعول له اومصدر فى موقع الحال وفى التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغى ان يكون الداعى له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لاقضاء الوطر (بل انتم قوم مسرفون) اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التى اذت بهم الى ارتكاب امثالها وهى اعتياد الاسراف فى كل شئ اوعن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم اوعن محذوف مثل لاعذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف (وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم) اى ماجاؤا بمايكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا (انهم اناس يتطهرون) اى من الفواحش (فانجيناه واهله) اى من آمن به (الا امرأته) استثناء من اهله فانها كانت تسر الكفر (كانت من الغابرين) من الذين بقوا فى ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور (وامطرنا عليهم مطرا) اى نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) روى ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله الى اهل سدوم ليدعوهم

ولاتبحث عنها (وأمر بالعرف) المعروف (وأعرض عن الجاهلين) فلاتقابلهم بسفههم (واما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما المزيدة (ينزغنك من الشيطان نزغ) أى ان يصرفك عما أمرت به صارف (فاستعذ بالله) جواب الشرط وجواب الامر محذوف أى يدفعه عنك (انه سميع) للقول (عليم) بالفعل (ان الذين اتقوا اذا مسهم) أصابهم (طيف) وفى قرأة طائف أى شئ ألم بهم (من الشيطان تذكروا) عقاب الله وثوابه (فاذاهم مبصرون) الحق من غيره فيرجعون (واخوانهم) اى اخوان الشياطين من الكفار (يمدونهم) أى الشياطين (فى الغى ثم) هم (لايقصرون) يكفون عنه بالتبصر كما تبصر المتقون (واذا لم تأتهم) أى اهل مكة (بآية) مما اقترحوا (قالوا لولا) هلا (اجتبيتها) أنشأتها من قبل نفسك (قل) لهم (انما اتبع مايوحى الى من ربى) وليس لى أن آتى من عند نفسى بشئ (هذا) القرآن (بصائر) جمع (من

الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم (والى مدين اخاهم شعيبا) اى وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين ابن ابراهيم شعيب بن مكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم) يريد المعجزة التى كانت له وليس فى القرآن انها ماهى وماروى من محاربة عصا موسى عليه السلام التنين وولادة الغنم التى دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصا آدم عليه السلام على يده فى المرات السبع متأخرة عن هذه المقاولة ويحمل ان تكون كرامة لموسى اورهاصا لنبوته (فاوفوا الكيل) اى آلة الكيل على الاضمار اواطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله (والميزان) كما قال فى سورة هود اوفاوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد (ولاتبخسوا الناس اشياءهم) ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لايدعون شيئا الا مكسوه (ولاتفسدوا فى الارض) بالكفر والحيف (بعد اصلاحها) بعدما اصلح امراها واصلحها الانبياء واتباعهم بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة فى بل مكر الليل والنهار (ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين) اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا اوفى الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا واحدا يسعى فى شئ منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون من آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق (وتصدون عن سبيل الله) يعنى الذى قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم مايصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه اوالايمان بالله (من آمن به) اى بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه فى موقع الحال من الضمير فى تقعدوا

ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) عن الكلام (لعلكم ترحمون) نزلت فى ترك الكلام فى الخطبة وعبر عنها بالقرآن لاشتمالها عليه وقيل فى قراءة القرآن مطلقا (واذكر ربك فى نفسك) أى سرا (تضرعا) تذللا (وخيفة) خوفا منه (و) فوق السر (دون الجهر من القول) اى قصدا بينهما (بالغدو والآصال) أوائل النهار وأواخره (ولا تكن من الغافلين) عن ذكر الله (ان الذين عند ربك أى الملائكة) لا يستكبرون (عن عبادته ويسبحونه) ينزهونه عما لا يليق به (وله يسجدون) أى يخصونه بالخضوع والعبادة فكونوا مثلهم

*(سورة الانفال مدنية أو الا واذ يمكر بك الآيات السبع فمكية خمس اوست أو سبع وسبعون آية) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لما اختلف المسلمون فى غنائم بدر فقال الشبان هى لنا لانا باشرنا القتال وقال

(وتبغونها عوجا) وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه و وصفها للناس بانها معوجة (واذكروا اذ كنتم قليلا) عددكم اوعددكم (فكثركم) بالبركة فى النسل او المال (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) من الامم قبلكم واعتبروا بهم (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا) فتربصوا (حتى يحكم الله بيننا) اى بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين (وهو خير الحاكمين) اذلا معقب لحكمه ولاحيف فيه (قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا اولتعودن فى ملتنا) اى ليكونن احد الامرين اما اخراجكم من القرية اوعودكم فى الكفر وشعيب عليه السلام لم يكن فى ملتهم قط لان الانبياء عليهم السلام لايجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب فى قوله (قال اولو كنا كارهين) اى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها اوتعيدوننا فى حال كراهتنا (قد افترينا على الله كذبا) قد اختلقنا عليه (ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها) شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه لتقريبه من الحال اى قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله تعالى ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا (ومايكون لنا) ومايصح لنا (ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا) خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته تعالى وقيل اراد به حسم طمعهم فى العود بالتعليق على مالايكون (وسع ربنا كل شئ علما) اى احاط علمه بكل شئ مما كان ومايكون منا ومنكم (على الله توكلنا) فى ان يثبتنا على الايمان و يخلصنا من الاشرار (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) احكم بيننا وبينهم والفتاح القاضى والفتاحة الحكومة اواظهر امرنا حتى ينكشف مابيننا وبينهم و يتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه (وانت خير الفاتحين) على المعنيين (وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا) وتركتم دينكم (انكم اذا لخاسرون) لاستبدالكم ضلالته بهداكم اولفوات مايحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام (فاخذتهم الرجفة) الزلزلة وفى سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها (فاصبحوا

الشيوخ كنا ردأ لكم تحت الرايات ولو انكشفتم لفئتم الينا فلا تستأثروا بها نزل (يسألونك) يا محمد (عن الانفال) الغنائم لمن هى (قل) لهم (الانفال لله وللرسول) يجعلانها حيث شاآ فقسمها صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء رواه الحاكم فى المستدرك (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) أى حقيقة مابينكم بالمودة وترك النزاع (واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين) حقا (انما المؤمنون) الكاملون فى الايمان (الذين اذا ذكر الله) أى وعيده (وجلت) خافت (قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) تصديقا (وعلى ربهم يتوكلون) به يثقون لابغيره (الذين يقيمون الصلوة) يأتون بها بحقوقها (ومما رزقناهم) أعطيناهم (ينفقون) فى طاعة الله (أولئك) الموصوفون بما ذكر (هم المؤمنون حقا) صدقا بلاشك (لهم درجات) منازل فى الجنة (عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) فى الجنة

فى دارهم جاثمين) اى فى مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره (كأن لم يغنوا فيها) اى استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمعنى المنزل (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون فى الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين واتى بهما اسميتين (فتولى عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم) قال تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال (فكيف آسى على قوم كافرين) ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم مانزل عليهم بكفرهم اوقاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت فى الابلاغ والانذار وبذلت وسعى فى النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولى فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى بامالتين (وما ارسلنا فى قرية من نبى الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء) بالبؤس والضر (لعلهم يضرعون) كى يتضرعوا ويتذللوا (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين (حتى عفوا) حتى كثروا واعددا وعددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى (وقالوا قدمس أباءنا الضراء والسراء) كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب فى الناس بين الضراء والسراء وقدمس آباءنا منه مثل مامسنا (فاخذناهم بغتة) فجأة (وهم لايشعرون) بنزول العذاب (ولو ان اهل القرى) يعنى القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا فى قرية من نبى وقيل مكة وماحولها (آمنوا واتقوا) مكان كفرهم وعصيانهم (لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد (ولكن كذبوا) الرسل (فاخذناهم بما كانوا يكسبون) من الكفر والمعاصى (افأمن اهل القرى) عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لايشعرون ومابينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك امن اهل القرى (ان يأتيهم بأسنا) بياتا تبييتا اووقت بيات اومبيتا اومبيتين وهو فى الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجئ بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم (وهم نائمون) حال من ضميرهم البارز اوالمستتر فى بياتا (اوامن اهل القرى) وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون على الترديد (ان يأتيهم بأسنا ضحى) ضحوة النهار وهو فى الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت (وهم يلعبون) يلهون

(كما أخرج ربك من بيتك بالحق) متعلق باخرج (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) الخروج والجملة حال من كاف أخرجك وكما خبر مبتدأ محذوف أى هذه الحال فى كراهتهم لها مثل اخراجك فى حال كراهتهم وقد كان خيرا لهم فكذلك أيضا وذلك ان أباسفيان قدم بعير من الشام فخرج النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليغنموها فعلمت قريش فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة ليذبوا عنها وهم النفير وأخذ أبوسفيان بالعير طريق الساحل فنجت فقيل لابى جهل ارجع فأبى وسار الى بدر فشاور صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال ان الله وعدنى احدى الطائفتين فوافقوه على قتال النفير وكره بعضهم ذلك وقالوا لم نستعد له كما قال تعالى (يجادلونك فى الحق) القتال (بعدما تبين) ظهر لهم (كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) اليه عيانا فى كراهتهم له (و) اذكر (اذ يعدكم الله احدى الطائفتين) العير أو النفير (أنها لكم وتودون) تريدون (أن

من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم (افامنوا مكر الله) تقرير لقوله
افامن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث
لا يحتسب (فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) الذين خسروا بالكفر
وترك النظر والاعتبار (اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها)
اى يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عد يهد باللام لانه بمعنى
يبين (ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم) ان الشأن لو نشاء اصبناهم بجزاء
ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله مفعولا
(ونطبع على قلوبهم) عطف على ما دل عليه اولم يهد اى يغفلون عن
الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم
على انه بمعنى وطبعنا لانه فى سياقه جواب لو لافضائه الى نفى الطبع عنهم
(فهم لا يسمعون) سماع تفهم واعتبار (تلك القرى) يعنى قرى الامم
المار ذكرهم (نقص عليك من انبائها) حال ان جعل القرى خبرا ويكون
افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة و يجوز ان يكونا خبرين ومن
للتبعيض اى نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها (ولقد جاءتهم
رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فما كانوا ليؤمنوا) عند مجيئهم بها (بما كذبوا
من قبل) بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما
كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم يؤثر
فيهم قط دعوتهم المتطاولة والايات المتتابعة واللام لتأكيد النفى والدلالة
على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم فى التصميم على الكفر والطبع
على قلوبهم (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) فلا تلين شكيمتهم
بالآيات والنذر (وما وجدنا لاكثرهم) لاكثر الناس والآية اعتراض او لاكثر
الامم المذكورين (من عهد) من وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم
فى الايمان والتقوى بانزال الآيات ونصب الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا
فى ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين (وان وجدنا
اكثرهم) اى علمناهم (لفاسقين) من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول
ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يسوغ الا فى المبتدأ او الخبر او الافعال
الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفى واللام بمعنى الا (ثم بعثنا من
بعدهم موسى) الضمير للرسل فى قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم (بآياتنا)
يعنى المعجزات (الى فرعون وملائه فظلموا بها) بان كفروا بها مكان الايمان

غير ذات الشوكة) أى البأس
او السلاح وهى العير (تكون
لكم) لقلة عددها وعددها
بخلاف النفير (ويريد الله أن
يحق الحق) يظهره (بكلماته)
السابقة بظهور الاسلام
(ويقطع دابر الكافرين)
آخرهم بالاستئصال فأمركم
بقتال النفير (ليحق الحق
و يبطل) يمحق (الباطل)
الكفر (ولو كره المجرمون)
المشركون ذلك اذكر
(اذ تستغيثون ربكم) تطلبون
منه الغوث بالنصر عليهم
(فاستجاب لكم أنى) أى بأنى
(ممدكم) معينكم (بالف
من الملائكة مردفين) متتابعين
يردف بعضهم بعضا وعدهم
بها اولا ثم صارت ثلاثة
آلاف ثم خمسة كما فى آل عمران
وقرئ بآلف كافلس جمع
(وما جعله الله) أى الامداد
(الا بشرى ولتطمئن به
قلوبكم وما النصر الا من
عند الله ان الله عزيز حكيم)
اذكر (اذ يغشاكم النعاس أمنة)
أمنا مما حصل لكم من الخوف
(منه) تعالى (وينزل عليكم
من السماء ماء ليطهركم به) من
الاحداث والجنابات (ويذهب

الذى هو من حقهـا لوضوحها ولهـذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليـد بن مصعب بن ريان (فانظر كيف كان عاقبة المفسـدين وقال موسى يافرعون انى رسول من رب العـالمين) اليك وقوله (حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق) لعله جواب لتكذيبه اياه فى دعوى الرسالة وانما لم يذكره لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصـله حقيق على ان لا اقول كما قرأه نافع فقلب لامن الالتبـاس كقوله * وتشـقى الرماح بالضيـاطرة الحمر * اولان مالزمك فقد لزمته اوللاغراق فى الوصف بالصدق والمعنى انه حق واجب على القول الحق ان اكون انا قائله ولا يرضى الا بمثلى ناطقا به اوضمن حقيق معنى حريص اووضع عـلى مكان البـاء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت عـلى حال حسـنة ويؤيده قراءة ابى بالبـاء وقرئ حقيق ان لا اقول بدون على (قد جئتكم ببينة من ربكم فارسـل معى بنى اسرائيل) فخلهم حتى يرجعوا معى الى الارض المقدسـة التى هى وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم فى الاعمـال (قال ان كنت جئت بآية) من عند من ارسـلك (فأت بهـا) فاحضرها عندى ليثبت بها صدقك (ان كنت من الصـادقين) فى الدعوى (فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) ظاهر امره لايشك فى انه ثعبان وهى الحية العظيمة روى انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسـفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منـه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون ياموسى انشدك بالذى ارسلك خذه وانا اؤمن بك وارسـل معك بنى اسرائيل فاخذه فعاد عصا (ونزع يده) من جيبه او من تحت ابطه (فاذا هى بيضـاء للناظرين) اى بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة او بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء فى جبلتها روى انه عليه السلام كان آدم شديد الادمة فادخل يده فى جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هى بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس (قال الملأ من قوم فرعون ان هـذا لسـاحر عليم) قيـل قاله هو واشراف قومه على سـبيل التشـاور فى امره فحكى عنه فى سورة الشعراء وعنهم ههنـا (يريد ان يخرجـكم من ارضكم فما ذا تأمرون) تشـيرون فى ان نفعل (قالوا ارجه واخاه وارسـل فى المـدائن حاشرين يأتوك بكل

عنـكم رجز الشـيطان) وسوسته اليكم بأنكم لو كنتم عـلى الحق ما كنتم ظمأى محدثين والمشركون على الماء (وليربط) يحبس (عـلى قلوبكم) باليقـين والصـبر (ويثبت به الاقـدام) أن تسوخ فى الرمل (اذ يوحى ربك الى الملائكة) الذين أمدبهم المسلمين (أنى) أى بأنى (معكم) بالعون والنصر (فثبتوا الذين آمنوا) بالاعانة والتبشير (سـألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) الخوف (فاضربوا فوق الاعناق) أى الرؤس (واضربوا منهم كل بنان) أى اطراف اليـدين والرجـلين فكان الرجل يقصـد ضرب رقبة الكافر فتسـقط قبل ان يصل اليه سـيفه ورماهم صلى الله عليه وسلم بقبضة من الحصى فلم يبق مشرك الا دخـل فى عينيـه منهـا شئ فهزموا (ذلك) العذاب الواقع بهم (بأنهم شـاقوا الله) خالفوا الله (ورسوله ومن يشـاقق الله ورسوله فان الله شـديد العقاب) له (ذلكم) العذاب (فذوقوه) أيهـا الكفـار

ساحر عليم) كانه اتفقت عليه آراؤهم فاشار وابه الى فرعون والارجاء التأخير اى اخرامره واصله ارجئه كما قرأ ابو بكر و يعقوب من ارجأت وكذلك ارجئهو على قرأة ابن كثير وهشام عن ابن عامر على الاصل فى الضمير واوجهى من ارجيت كما قرأ نافع فى رواية ورش واسماعيل والكسائى واماقراءته فى رواية قالون ارجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها واما قراة حمزة وحفص ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل فى اسكان وسطه واما قراة ابن عامر ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا ترتضيه النحاة فان الهاء لاتكسر الااذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائى بكل سحار فيه وفى يونس ويؤيده اتفاقهم عليه فى الشعراء (وجاء السحرة فرعون) بعدما ارسل الشرط فى طلبهم (قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين) استأنف به كأنه جواب سائل قال ماقالوا اذجاؤا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم انلنا لأجرا على الاخبار وايجاب الاجر كأنهم قالوا لابدلنا من اجر والتنكير للتعظيم (قال نعم) ان لكم لاجرا (وانكم لمن المقربين) عطف على ماسدمسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم (قالوا ياموسى اماان تلقى واماان نكون نحن الملقين) خيروا موسى مراعاة للادب اواظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم فى ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ماهوابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وتأكيد ضمير هم المتصل بالمنفصل فلذلك قال (قال القوا) كرما وتسامحا اوازدراء بهم ووثوقا على شأنه (فلما ألقوا سحروا اعين الناس) بان خيلوا اليها ماالحقيقة بخلافه (واسترهبوهم) وارهبوهم ارهاباشديدا كأنهم طلبوا رهبتهم (وجاؤا بسحر عظيم) فى فنه روى انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كأنهاحيات ملأت الوادى وركب بعضها بعضا (واوحينا الى موسى ان الق عصاك) فالقاها فصارت حية (فاذاهى تلقف مايأفكون) مايزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشئ عن وجهه ويجوزان تكون مامصدرية وهى مع الفعل بمعنى المفعول روى انها لماتلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذهاموسى فصارت عصاكما كانت فقالت السحرة لوكان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وقرأ حفص عن عاصم تلقفت ههنا وفى طه والشعراء

فى الدنيا (وأن للكافرين) فى الآخرة (عذاب النار ياأيها الذين آمنوا اذالقيتم الذين كفروا زحفا) أى مجتمعين كأنهم لكثرتهم يزحفون (فلاتولوهم الادبار)منهزمين (ومن يولهم يومئذ) اى يوم لقائهم (دبره الامتحرفا) منعطفا (لقتال) بأن يريهم الفرة مكيدة وهو يريدالكرة (أومتحيزا) منضما (الى فئة) جماعة من المسلمين يستنجد بها (فقدباء) رجع (بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) المرجع هى وهذا مخصوص بما اذالم يزد الكفار على الضعف (فلم تقتلوهم) ببدر بقوتكم (ولكن الله قتلهم) بنصره اياكم (ومارميت)يامحمد أعين القوم (اذرميت) بالحصى لان كفامن الحصى لايملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر (ولكن الله رمى) بايصال ذلك اليهم فعل ذلك ليقهر الكافرين (وليبلى المؤمنين منه بلاء) عطاء (حسنا) هوالغنيمة (ان الله سميع) لاقوالهم (عليم) بأحوالهم (ذلكم) الابلاء حق (وأن

(فوقع الحق) فثبت لظهور امره (وبطل ما كانوا يعملون) من السحر والمعارضة
(فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) صاروا اذلاء مبهوتين اورجعوا الى المدينة
اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه (والقى السحرة ساجدين)
جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى
السجود بحيث لم يبق لهم تمالك اوان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى
ينكسر فرعون بالذين ارادبهم كسرموسى وينقلب الامر عليه اومبالغة
فى سرعة خرورهم وشدته (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون)
ابدلوا الثانى من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون (قال فرعون آمنتم به)
بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائى وابوبكر عن
عاصم وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص
آمنتم به على الاخبار (قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه) اى ان هذا الصنيع
لحيلة احتلتموها انتم وموسى (فى المدينة) فى مصر قبل ان تخرجوا للميعاد
(لتخرجوا منها اهلها) يعنى القبط وتخلص لكم ولبنى اسرائيل (فسوف
تعلمون) عاقبة مافعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله (لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف) من كل شق طرفا (ثم لاصلبنكم اجمعين) تفضيحا لكم
وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما
لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته
(قالوا انا الى ربنا منقلبون) بالموت لامحالة فلانبالى بوعيدك اوانا منقلبون
الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه شغفا على لقاء الله
اومصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا (وماتنقم منا) وماتنكر منا (الا
ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا) وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتأتى
لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله فقالوا (ربنا افرغ علينا
صبرا) افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء اوصب علينا مايطهرنا من
الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون (وتوفنا مسلمين) ثابتين على الاسلام
قيل انه فعل بهم ماأوعدهم به وقيل انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن
اتبعكما الغالبون (وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا
فى الارض) بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك (ويذرك) عطف
على يفسدوا اوجواب الاستفهام بالواو كقول الحطيئة* الم اك جاركم ويكون
بينى *وبينكم المودة والاخاء* على معنى ان يكون منك ترك موسى ويكون منه

الله موهن) مضعف (كيد
الكافرين ان تستفتحوا)
أيها الكفار أى تطلبوا الفتح
أى القضاء حيث قال أبو جهل
منكم اللهم أينا كان أقطع
للرحم وأتانا بما لانعرف فأحنه
الغداة أى اهلكه (فقد
جاءكم الفتح) القضاء بهلاك
من هو كذلك وهو ابوجهل
ومن قتل معه دون النبى صلى
الله عليه وسلم والمؤمنين
(وان تنتهوا) عن الكفر
والحرب (فهو خير لكم
وان تعودوا) لقتال النبى
صلى الله عليه وسلم (نعد)
انصره عليكم (ولن تغنى
تدفع (عنكم فئتكم) جماعتكم
(شيئا ولو كثرت وأن الله
مع المؤمنين) بكسران
استئنافا وفتحها على تقدير
اللام (ياأيها الذين آمنوا
اطيعوا الله ورسوله ولاتولوا)
تعرضوا (عنه) بمخالفة
أمره (وانتم تسمعون) القرآن
والمواعظ (ولا تكونوا
كالذين قالوا سمعنا وهم
لايسمعون) سماع تدبر
واتعاظ وهم المنافقون
أو المشركون (ان شر
الدواب عند الله الصم)

تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر او استئناف اوحال وقرئ بالسكون كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فاصدق واكن (وآلهتك) معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ الهتك اى عبادتك (قال) فرعون (سنقتل ابناءهم ونستحيى نساءهم) كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذى حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف (وانا فوقهم قاهرون) غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم (ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده) تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت فى الامر (والعاقبة للمتقين) وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام فى الارض يحتمل العهد والجنس (قالوا) اى بنوا اسرائيل (اوذينا من قبل ان تأتينا) بالرسالة بقتل الابناء (ومن بعد ماجئتنا) باعادته (قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض) نصريحا بما كنى عنه اولا لما رأى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روى ان مصر انما فتح لهم فى زمن داود عليه السلام (فينظر كيف تعملون) فيرى ماتعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب مايوجد منكم (ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين) بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط لكثرة مايذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا (ونقص من الثمرات) بكثرة العاهات (لعلهم يذكرون) لكى يتنبهوا على ان ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا اوترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده (فاذا جاءتهم الحسنة) من الخصب والسعة (قالوا لنا هذه) لاجلنا ونحن مستحقوها (وان تصبهم سيئة) جدب وبلاء (يطيروا بموسى ومن معه) يتشأموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق فى وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهى لم تؤثر فيهم

عن سماع الحق (البكم) عن النطق به (الذين لايعقلون ولو علم الله فيهم خيرا) صلاحا بسماع الحق (لاسمعهم) سماع تفهم (ولو أسمعهم) فرضا وقد علم ان لاخير فيهم (لتولوا) عنه (وهم معرضون) عن قبوله عنادا اوجحودا (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول) بالطاعة (اذا دعاكم لما يحييكم) من أمر الدين لانه سبب الحياة الابدية (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر الا بارادته (وأنه اليه تحشرون) فيجازيكم باعمالكم (واتقوا فتنة) ان أصابتكم (لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) بل تعمهم وغيرهم واتقاؤها بانكار موجبها من المنكر (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن خالفه (واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض) أرض مكة (تخافون أن يتخطفكم الناس) يأخذكم الكفار بسرعة (فآواكم) الى المدينة (وايدكم) قواكم (بنصره) يوم بدر بالملائكة

بل زادوا عنادها وعتوا وانهما كما فى الغنى وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة وأتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع (ألا انما طائرهم عند الله) اى سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته او سبب شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التى ساقت اليهم مايسوءهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم جمع وقيل هو جمع (ولكن اكثرهم لايعلمون) ان مايصيبهم من الله او من شؤم اعمالهم (وقالوا مهما) اصلها ما الشرطية ضمت اليها ما الزائدة للتأكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذى يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء او النصب بفعل يفسره (تأتنا به) اى ايما شئ تحضرنا تأتنا به (من آية) بيان لمهما وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا (لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) اى لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير فى به وبها لما ذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ وانث بعده باعتبار المعنى (فارسلنا عليهم الطوفان) ماطاف بهم وغشى اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدرى وقيل الموتان وقيل الطاعون (والجراد والقمل) قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها (والضفادع والدم) روى انهم مطروا ثمانية ايام فى ظلمة شديدة لايقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء فى بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بنى اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلاء والزرع مالم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تأكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحى التى جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فأكل ماابقاه الجراد وكان يقع فى اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لايكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهى تغلى وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه

(ورزقكم من الطيبات) الغنائم (لعلكم تشكرون) نعمه ونزل فى أبى لبابة مروان بن عبد المنذر وقد بعثه صلى الله عليه وسلم الى بنى قريظة لينزلوا على حكمه فاستشاروه فأشار اليهم أنه الذبح لان عياله وماله فيهم (يا أيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول و) لا (تخونوا أماناتكم) ما ائتمنتم عليه من الدين وغيره (وأنتم تعلمون واعلموا أنما أموالكم واولادكم فتنة) لكم صادة عن أمور الآخرة (وأن الله عنده اجر عظيم) فلا تفوتوه بمراعاة الاموال والاولاد والخيانة لاجلهم * ونزل فى توبته (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله) بالانابة وغيرها (يجعل لكم فرقانا) بينكم وبين ماتخافون فتنجون (ويكفر عنكم سيآتكم ويغفر لكم) ذنوبكم (والله ذو الفضل العظيم و) اذكر يامحمد (واذ يمكر بك الذين كفروا) وقد اجتمعوا للمشاورة فى شأنك بدار الندوة (ليثبتوك) يوثقوك ويحبسوك (أو يقتلوك) كلهم قتلة رجل واحد (أو يخرجوك)

وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهود ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دماء حتى كان يجتمع القبطى مع الاسرائيلى على اناء فيكون مايليه دما ومايلى الاسرائيلى ماء و يمص الماء من فم الاسرائيلى فيصير دما فى فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف (آيات) نصب على الحال (مفصلات) مبينات لاتشكل على عاقل انها آيات الله ونقمته عليهم اومنفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين آيتين منهما شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى عليه السلام لبث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل (فاستكبروا) عن الايمان (وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز) يعنى العذاب المفصل او الطاعون الذى ارسله الله عليهم بعد ذلك (قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) بعهده عندك وهو النبوة اوبالذى عهده اليك ان تدعوه فيجيبك كما اجابك فى آياتك وهو صلة لادع اوحال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك اومتعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى مانطلب منك بحق ماعهد عندك اوقسم مجاب بقوله (لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل) اى اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن (فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه) الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه اومهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم (اذاهم ينكثون) جواب لما اى فلما كشفنا عنهم فاجؤا النكث من غير تأمل و توقف فيه (فانتقمنا منهم) فاردنا الانتقام منهم (فاغرقناهم فى اليم) اى فى البحر الذى لايدرك قعره وقيل لجته (بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) اى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا (واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم (مشارق الارض ومغاربها) يعنى ارض الشام ومصر ملكها بنوا اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا فى نواحيها (التى باركنا فيها) بالخصب وسعة العيش (وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل) ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله تعالى * ونريد ان نمن * الى قوله ماكانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد (بماصبروا) بسبب صبرهم على

من مكة (ويمكرون) بك (ويمكر الله) بهم بتدبير أمرك بأن أوحى اليك مادبروه وأمرك بالخروج (والله خير الماكرين) أعلمهم به (واذا تتلى عليهم آياتنا) القرآن (قالوا قدسمعنا لونشاء لقلنا مثل هذا) قاله النضر بن الحرث لانه كان يأتى الحيرة يتجر فيشترى كتب أخبار الاعاجم ويحدث بها أهل مكة (ان) ما (هذا) القرآن (الا أساطير) أكاذيب (الاولين واذ قالوا اللهم ان كان هذا) الذى يقرؤه محمد (هو الحق) المنزل (من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) مؤلم على انكاره قاله النضر أوغيره استهزاء وايهاما مانه على بصيرة وجزم ببطلانه قال تعالى (وماكان الله ليعذبهم) بماسألوه (وأنت فيهم) لان العذاب اذ انزل عم ولم تعذب أمة الابعد خروج نبيها والمؤمنين منها (وماكان الله معذبهم وهم يستغفرون) حيث يقولون فى طوافهم غفرانك غفرانك وقيل هم المؤمنون المستضعفون فيهم

الشدائد (ودمرنا) وخربنا (ما كان يصنع فرعون وقومه) من القصور والعمارات (وما كانوا يعرشون) من الجنات اوما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر) ومابعده ذكر ماأحدثه بنوا اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مما رأى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لايغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روى ان موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا (فأتوا على قوم) فمروا عليهم (يعكفون على اصنام لهم) يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائى يعكفون بالكسر (قالوا ياموسى اجعل لنا الها) مثالا نعبده (كما لهم آلهة) يعبدونها وما كافة للكاف (قال انكم قوم تجهلون) وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ماصدر عنهم بعد مارأوا من الآيات الكبرى عن العقل (ان هؤلاء) اشارة الى القوم (متبر) مكسر مدمر (ماهم فيه) يعنى ان الله يهدم دينهم الذى هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا (وباطل) مضمحل (ما كانوا يعملون) من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ فى هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين فى الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لامحالة وان الاحباط الكلى لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا (قال اغير الله ابغيكم آلها) اطلب لكم معبودا (وهو فضلكم على العالمين) والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم عن امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شئ من مخلوقاته (واذ انجيناكم من آل فرعون) واذكروا صنيعه معكم فى هذا الوقت وقرأ ابن عامر انجاكم (يسومونكم سوء العذاب) استئناف لبيان ما انجاهم اوحال من المخاطبين اومن آل فرعون اومنهما (يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم) بدل منه مبين (وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) وفى الانجاء اوالعذاب نعمة اومحنة عظيمة (وواعدنا موسى ثلاثين

كما قال لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما (ومالهم أن لايعذبهم الله) بالسيف بعد خروجك والمستضعفين وعلى القول الاول هى ناسخة لماقبلها وقدعذبهم الله ببدر وغيره (وهم يصدون) يمنعون النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين (عن المسجد الحرام) أن يطوفوا به (وما كانوا اولياءه) كما زعموا (ان) ما (اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لايعلمون) أن لا ولاية لهم عليه (وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء) صفيرا (وتصدية) تصفيقا أى جعلوا ذلك موضع صلاتهم التى أمروا بها (فذوقوا العذاب) ببدر (بما كنتم تكفرون ان الذين كفروا ينفقون أموالهم) فى حرب النبى صلى الله عليه وسلم (ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون) فى عاقبة الامر (عليهم حسرة) ندامة لفواتها وفوات ماقصدوه (ثم يغلبون) فى الدنيا (والذين كفروا) منهم (الى جهنم) فى الآخرة (يحشرون) يساقون (ليميز)

ليلة) ذا القعدة وقرأ ابو عمرو و يعقوب ووعدنا (واتممناها بعشر) من ذى الحجة (فتم ميقات ربه اربعين ليلة) بالغا اربعين ليلة روى انه عليه السلام وعد بنى اسرائيل بمصر ان يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان مايأتون ومايذرون فلما هلك سأل موسى عليه السلام ربه فامره بصوم ثلاثين يوما فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسوك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرا وقيل امره بان يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التوراة فى العشر وكلمه فيها (وقال موسى لاخيه هارون اخلفنى فى قومى) كن خليفتى فيهم (واصلح) مايجب ان يصلح من امورهم اوكن مصلحا (ولا تتبع سبيل المفسدين) ولا تتبع من سلك سبيل الافساد ولا تطع من دعاك اليه (ولما جاء موسى لميقاتنا) لوقتنا الذى وقتناه واللام للاختصاص اى اختص مجيئه بميقاتنا (وكلمه ربه) من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روى ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس سماع كلام المحدثين (قال رب ارنى انظر اليك) ارنى نفسك بان تمكننى من رؤيتك او تتجلى لى فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة فى الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا مايقتضى الجهل بالله ولذلك رده بقوله تعالى لن ترانى دون لن ارى اولن اريك اولن تنظر الى تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد فى الرائى ولم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذلوكانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم و يزيل شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذلا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة اوجهالة بحقيقة الرؤية (قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى) استدراك يريد ان يبين به انه لا يطيقه وفى تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل جبل زبير (فلما تجلى ربه للجبل) ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى له حياة ورؤية حتى رآه (جعله دكا) مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك

متعلق بتكون بالتخفيف والتشديد أى يفصل (الله الخبيث) الكافر (من الطيب) المؤمن (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا) يجمعه متراكما بعضه على بعض (فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون قل للذين كفروا) كأبى سفيان واصحابه (ان ينتهوا) عن الكفر وقتال النبى صلى الله عليه وسلم (يغفر لهم ماقد سلف) من أعمالهم (وان يعودوا) الى قتاله (فقد مضت سنت الاولين) أى سنتنا فيهم بالاهلاك فكذا نفعل بهم (وقاتلوهم حتى لا تكون) توجد (فتنة) شرك (ويكون الدين كله لله) وحده ولا يعبد غيره (فان انتهوا) عن الكفر (فان الله بما يعملون بصير) فيجازيهم به (وان تولوا) عن الايمان (فاعلموا أن الله مولاكم) ناصركم ومتولى اموركم (نعم المولى) هو (ونعم النصير) أى الناصر لكم (واعلموا انما غنمتم) أخذتم من الكفار قهرا (من شئ فان لله خمسه) يأمر فيه بماشاء

والشق وقرأ حمزة والكسائى دكاء اى ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتى لاسنام لها وقرئ دكا اى قطعا جمع دكاء بالتشديد (وخر موسى صعقا) مغشيا عليه من هول مارأى (فلما افاق قال) تعظيما لما رأى (سبحانك تبت اليك) من الجرأة والاقدام على السؤال بغير اذن (وانا اول المؤمنين) مر تفسيره وقيل معناه انا اول من آمن بانك لاترى فى الدنيا (قال ياموسى انى اصطفيتك) اخترتك (على الناس) اى الموجودين فى زمانك وهرون وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولاصاحب شرع (برسالاتى) يعنى اسفار التورات وقرأ ابن كثير ونافع برسالتى (وبكلامى) وبتكلمى اياك (فخذ ماآتيتك) اعطيتك من الرسالة (وكن من الشاكرين) على النعمة فيه روى ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التوراة يوم النحر (وكتبنا له فى الالواح من كل شئ) مما يحتاجون اليه من امر الدين (موعظة وتفصيلا لكل شئ) بدل من الجار والمجرور اى كتبنا كل شئ من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف فى ان الالواح كانت عشرة اوسبعة وكانت من زمرد اوزبرجد اوياقوت احمر اوصخرة صماء لينها الله لموسى عليه السلام فقطعها بيده اوشققها باصابعه وكان فيها التوراة اوغيرها (فخذها) على اضمار القول عطفا على كتبنا اوبدل من قوله فخذ ماآتيتك والهاء للالواح اولكل شئ فانه بمعنى الاشياء اوللرسالات (بقوة) بجد وعزيمة (وأمر قومك يأخذوا باحسنها) اى باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل كقوله تعالى واتبعوا احسن ماانزل اليكم من ربكم اوبواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ فى الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المأمور به كقولهم الصيف احر من الشتاء (ساريكم دار الفاسقين) دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها اومنازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا اودارهم فى الآخرة وهى جهنم وقرئ سأوريكم بمعنى سأبين لكم من اوريت الزند وسأورثكم ويؤيده قوله واورثنا القوم (سأصرف عن آياتى) المنصوبة فى الآفاق والانفس (الذين يتكبرون فى الارض) بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم (بغير الحق) صلة يتكبرون اى يتكبرون بما ليس بحق وهو

(وللرسول ولذى القربى) قرابة النبى صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم وبنى المطلب (واليتامى) أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء (والمساكين) ذوى الحاجة من المسلمين (وابن السبيل) المنقطع فى سفره من المسلمين أى يستحقه النبى صلى الله عليه وسلم والاصناف الاربعة على ما كان يقسمه من أن لكل خمس الخمس والا خماس الاربعة الباقية للغانمين (ان كنتم آمنتم بالله) فاعلموا ذلك (وما) عطف على بالله (أنزلنا على عبدنا) محمد صلى الله عليه وسلم من الملائكة والآيات (يوم الفرقان) اى يوم بدر الفارق بين الحق والباطل (يوم التقى الجمعان) المسلمون والكفار (والله على كل شئ قدير) ومنه نصركم مع قلتكم وكثرتهم (اذ) بدل من يوم (انتم) كائنون (بالعدوة الدنيا) القربى من المدينة وهى بضم العين وكسرها جانب الوادى (وهم بالعدوة القصوى) البعدى منها (والركب) العير كائنون بمكان (أسفل منكم) بمايلى

دينهم الباطل او حال من فاعله (وان يروا كل آية) منزلة او معجزة (لايؤمنوا بها) لعنادهم واختلال عقلهم بسبب انهماكهم فى الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول (وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا) لاستيلاء الشيطنة عليهم و قرأ حمزة والكسائى الرشد بفتحتين وقرأ الرشاد ثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام (وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) اى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان ينتصب ذلك على المصدر اى سأصرف ذلك الصرف بسببهما (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) اى ولقائهم الدار الآخرة او ماوعد الله فى الآخرة (حبطت اعمالهم) لاينتفعون بها (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) الا جزاء اعمالهم (واتخذ قوم موسى من بعده) من بعد ذهابه للميقات (من حليهم) التى استعاروها من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت فى ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلى كثدى وثدى وقرأ حمزة والكسائى بالكسر للاتباع كدلى ويعقوب على الافراد (عجلا جسدا) بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل (له خوار) صوت البقر روى ان السامرى لما صاغ العجل القى فى فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه ويصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به اولان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار اى صياح (الم يروا انه لايكلمهم ولايهديهم سبيلا) تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها انه لايقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر (اتخذوه) تكرير للذم اى اتخذوه الها (وكانوا ظالمين) واضعين الاشياء فى غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم (ولما سقط فى ايديهم) كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم فى انفسهم (ورأوا) وعلموا (انهم قد ضلوا) باتخاذ العجل (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا) بانزال التورية (ويغفر لنا) بالتجاوز عن الخطيئة (لنكونن من الخاسرين) وقرأهما حمزة والكسائى بالتاء وربنا على النداء (ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا) شديد الغضب

البحر (ولو تواعدتم) أنتم والنفير للقتال (لاختلفتم فى الميعاد ولكن) جمعكم بغير ميعاد (ليقضى الله امرا كان مفعولا) فى علمه وهو نصر الاسلام ومحق الكفر فعل ذلك (ليهلك) يكفر (من هلك عن بينة) أى بعد حجة ظاهرة قامت عليه وهى نصر المؤمنين مع قلتهم على الجيش الكثير (ويحيى) يؤمن (من حى عن بينة وان الله لسميع عليم) اذكر (اذ يريكهم الله فى منامك) أى نومك (قليلا) فأخبرت به أصحابك فسروا (ولو أراكهم كثيرا لفشلتم) جبنتم (ولتنازعتم) اختلفتم (فى الامر) أمر القتال (ولكن الله سلم) كم من الفشل والتنازع (انه عليم بذات الصدور) بما فى القلوب (واذ يريكموهم) أيها المؤمنون (اذ التقيتم فى أعينكم قليلا) نحو سبعين أو مائة وهم الف لتقدموا عليهم (ويقللكم فى أعينهم) ليقدموا ولا يرجعوا عن قتالكم وهذا قبل التحام الحرب فلما التحم أراهم اياهم مثليهم كما فى آل عمران (ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله

وقيل حزينا (قال بئسما خلفتمونى من بعدى) فعلتم بعدى حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة اوقمتم مقامى فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن فى بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم ومعنى من بعدى من بعد انطلاقى اومن بعد مارأيتم منى من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عماينا فيه (أعجلتم امر ربكم) اتركتموه غيرتام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدى تعديته اوأعجلتم وعد ربكم الذى وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتى وغيرتم بعدى كاغيرت الامم بعد انبيائهم (والقى الالواح) اى طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين روى ان التوراة كانت سبعة اسباع فى سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شئ وبقى سبع كان فيه المواعظ والاحكام (واخذ برأس اخيه) بشعر رأسه (يجره اليه) توهما بانه قصر فى كفهم وهرون كان اكبر منه بثلاث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بنى اسرائيل (قال ابن ام) ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وابوبكر عن عاصم هنا وفى طه ابن أم بالكسر واصله يا ابن امى فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة فى التخفيف لطوله اوتشبيها بخمسة عشر (ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى) ازاحة لتوهم التقصير فى حقه والمعنى بذلت وسعى فى كفهم حتى قهرونى واستضعفونى وقاربوا قتلى (فلا تشمت بى الاعداء) فلا تفعل بى مايشمتون بى لاجله (ولا تجعلنى مع القوم الظالمين) معدودا فى عدادهم بالمؤاخذة اونسبة التقصير (قال رب اغفرلى) ماصنعت باخى (ولأخى) ان فرط فى كفهم ضمه الى نفسه فى الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه (وادخلنا فى رحمتك) بمزيد الانعام علينا (وانت ارحم الراحمين) وانت ارحم بنا منا على انفسنا (ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم) وهو ما امرهم به من قتل انفسهم (وذلة فى الحياة الدنيا) وهو خروجهم من ديارهم وقيل الجزية (وكذلك نجزى المفترين) على الله ولافرية اعظم من فريتهم وهى قولهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولابعدهم والذين عملوا السيئات) من الكفر والمعاصى (ثم تابوا من بعدها) من بعد السيئات (وآمنوا) واشتغلوا بالايمان وماهو مقتضاه من الاعمال الصالحة

ترجع) تصير (الامور يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة) جماعة كافرة (فاثبتوا) لقتالهم ولا تنهزموا (واذكروا الله كثيرا) ادعوه بالنصر (لعلكم تفلحون) تفوزون (واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا) تختلفوا فيما بينكم (فتفشلوا) تجبنوا (وتذهب ريحكم) قوتكم ودولتكم (واصبروا ان الله مع الصابرين) بالنصر والعون (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم) ليمنعوا عيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها (بطرا ورئاء الناس) حيث قالوا لانرجع حتى نشرب الخمور وننحر الجزور وتضرب علينا القيان ببدر فيتسامع بذلك الناس (ويصدون) الناس (عن سبيل الله والله بما يعملون) بالياء والتاء (محيط) علما فيجازيهم به (و) اذكر (اذ زين لهم الشيطان) ابليس (أعمالهم) بأن شجعهم على لقاء المسلمين لما خافوا الخروج من أعدائهم بنى بكر (وقال) لهم (لاغالب لكم اليوم من الناس وانى

(ان ربك من بعدها) من بعد التوبة (لغفور رحيم) وان عظم الذنب
كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بنى اسرائيل (ولما سكت) سكن وقد قرئ به
(عن موسى الغضب) باعتذار هرون او بتوبتهم وفى هذا الكلام مبالغة
و بلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على مافعل كالآمر به والمغرى
عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت على ان المسكت هو الله
تعالى او اخوه او الذين تابوا (اخذ الالواح) التى القاها (وفى نسختها)
وفيما نسخ فيها اى كتب والنسخة فعلة بمعنى فعول كالخطبة وقيل فيما نسخ
منها اى من الالواح المنكسرة (هدى) بيان للحق (ورحمة) ارشاد الى
الصلاح والخير (للذين هم لربهم يرهبون) دخلت اللام على المفعول
لضعف الفعل بالتأخير او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون
معاصى الله لربهم (واختار موسى قومه) اى من قومه فحذف الجار واوصل
الفعل اليه (سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة) روى انه تعالى امره
ان يأتيه فى سبعين من بنى اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال
ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب
و يوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم
الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يأمره و ينهاه ثم انكشف الغمام
فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اى الصاعقة
او رجفة الجبل فصعقوا منها (قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى)
تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى مارأى او بسبب آخر او عنى به انك قدرت
على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم باغراقهم فى البحر
وغيرها فترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد
من عميم احسانك (اتهلكنا بما فعل السفهاء منا) من العناد والتجاسر على طلب
الرؤية وكأن ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل
والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها
ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى
فبكى ودعا فكشفها الله عنهم (ان هى الا فتنتك) ابتلاؤك حين اسمعتهم
كلامك حتى طمعوا فى الرؤية او اوجدت فى العجل خوارا فزاغوا به (تضل
بها من تشاء) ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل (وتهدى من تشاء)
هداه فيقوى بها ايمانه (انت ولينا) القائم بامرنا (فاغفر لنا) بمغفرة ما قارفنا

جار لكم) من كنانة وكان
أتاهم فى صورة سراقة بن
مالك سيد تلك الناحية (فلما
تراءت) التقت (الفئتان)
المسلمة والكافرة ورأى
الملائكة وكان يده فى يد الحرث
بن هشام (نكص) رجع
(على عقبيه) هاربا (وقال)
لما قالوا له اتخذلنا على هذا
الحال (انى برئ منكم)
من جواركم (انى أرى مالا
ترون) من الملائكة (انى
أخاف الله) ان يهلكنى (والله
شديد العقاب اذ يقول
المنافقون والذين فى قلوبهم
مرض) ضعف اعتقاد (غر
هؤلاء) اى المسلمين (دينهم)
اذ خرجوا مع قلتهم يقاتلون
الجمع الكثير توهما انهم
ينصرون بسببه قال تعالى
فى جوابهم (ومن يتوكل
على الله) يثق به يغلب (فان الله
عزيز) غالب على أمره
(حكيم) فى صنعه (ولو ترى
يا محمد (اذ يتوفى) بالياء والتاء
(الذين كفروا الملائكة
يضربون) حال (وجوههم
وأدبارهم) بمقامع من حديد (و
يقولون لهم (ذوقوا عذاب

(وارحمنا وانت خير الغافرين) تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة (واكتب لنا
فى هذه الدنيا حسنة) حسن معيشة وتوفيق طاعة (وفى الآخرة) الحسنة
(انا هدنا اليك) تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده
يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا او
اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود
المريض (قال عذابى اصيب به من اشاء) تعذيبه (ورحمتى وسعت كل شئ)
فى الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره (فسأكتبها) فسأثبتها
فى الآخرة اوفاكتبها كتبة خاصة منكم يابنى اسرائيل (للذين يتقون)
الكفر والمعاصى (ويؤتون الزكاة) خصها بالذكر لانافتها اولانها كانت
اشق عليهم (والذين هم بآياتنا يؤمنون) فلا يكفرون بشئ منها (الذين
يتبعون الرسول النبى) مبتدأ خبره يأمرهم اوخبر مبتدأ محذوف تقديره
هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض اوالكل والمراد من آمن
منهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله
تعالى ونبيا بالاضافة الى العباد (الامى) الذى لايكتب ولايقرأ وصفه به
تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته (الذى يجدونه مكتوبا عندهم
فى التوراة والانجيل) اسما وصفة (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
ويحل لهم الطيبات) مما حرم عليهم كالشحوم (ويحرم عليهم الخبائث)
كالدم ولحم الخنزير اوكالربا والرشوة (ويضع عنهم اصرهم والاغلال
التى كانت عليهم) ويخفف عنهم ماكلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين
القصاص فى العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع
النجاسة واصل الاصر الثقل الذى يأصر صاحبه اى يحبسه من الحراك
لثقله وقرأ ابن عامر آصارهم (فالذين آمنوا به وعزروه) وعظموه بالتقوية
وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير (ونصروه واتبعوا النور
الذى انزل معه) اى مع نبوته يعنى القرآن وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر
امره مظهر غيره اولانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه
متعلقا باتبعوا اى واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبى فيكون اشارة الى اتباع
الكتاب والسنة (اولئك هم المفلحون) الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون
الآية جواب دعاء موسى عليه السلام (قل ياأيها الناس انى رسول الله
اليكم) الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوثا الى

الحريق) أى النار وجواب
لو لرأيت أمرا عظيما (ذلك)
التعذيب (بما قدمت أيديكم)
عبر بها دون غيرها لان أكثر
الافعال تزاول بهما (وان الله
ليس بظلام) اى بذى ظلم
(للعبيد) فيعذبهم بغير ذنب
دأب هؤلاء (كدأب) كعادة
آل فرعون والذين من قبلهم
كفروا بآيات الله فأخذهم الله)
بالعقاب (بذنوبهم) جملة
كفروا وما بعدها مفسرة
لما قبلها (ان الله قوى) على
مايريده (شديد العقاب ذلك)
أى تعذيب الكفرة (بأن)
أى بسبب أن (الله لم يك مغيرا
نعمة أنعمها على قوم)
مبدلا لها بالنقمة (حتى يغيروا
ما بأنفسهم) يبدلوا نعمتهم
كفرا كتبديل كفار مكة
اطعامهم من جوع وأمنهم
من خوف وبعث النبى صلى الله
عليه وسلم اليهم بالكفر والصد
عن سبيل الله وقتال المؤمنين
(وان الله سميع عليم كدأب
آل فرعون والذين من قبلهم
كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم
بذنوبهم وأغرقنا آل
فرعون) قومه معه (وكل)
من الامم المكذبة (كانوا ظالمين)

كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم (جميعا) حال من اليكم (الذى له ملك السموات والارض) صفة الله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف الذى اضيف اليه لانه كالمتقدم عليه اومدح منصوب اومرفوع اومبتدأ خبره (لااله الاهو) وهو على الوجوه الاول بيان لماقبله فان من ملك العالم كان هوالاله لاغيره وفى (يحيى و يميت) مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية (فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته)ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن اوعيسى عليه السلام تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له (واتبعوه لعلكم تهتدون) جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد فى خطط الضلالة (ومن قوم موسى) يعنى بنى اسرائيل (امة يهدون بالحق) يهدون الناس محقين اوبكلمة الحق (و به) و بالحق (يعدلون) بينهم فى الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ماهو عادة القرآن تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنو اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رءاهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج فآمنوا به (وقطعناهم) وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض (اثنتى عشرة) مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير اوحال وتأنيثه للحمل على الامة او القطعة (اسباطا) بدل منه ولذلك جمع اوتمييز له على ان كل واحدة من اثنتى عشرة اسباط وكأنه قيل اثنتى عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها (امما) على الاول بدل بعد بدل اونعت لاسباطا وعلى الثانى بدل من اسباطا (واوحينا الى موسى اذاستسقاه قومه) فى التيه (ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست) اى فضرب فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى عليه السلام لم يتوقف فى الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل فى ذاته (منه اثنتا عشرة عينا قدعلم كل اناس) كل سبط (مشربهم وظللنا عليهم الغمام) ليقيهم حرالشمس (وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا) اى وقلنا لهم كلوا (من طيبات مارزقناكم وماظلمونا ولكن كانوا انفسهم

ونزل فى قريظة (ان شر الدواب عندالله الذين كفروا فهم لايؤمنون الذين عاهدت منهم) ان لايعينوا المشركين (ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة) عاهدوا فيها (وهم لا يتقون) الله فى غدرهم (فاما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما المزيدة (تثقفنهم) تجدنهم (فى الحرب فشرد) فرق (بهم من خلفهم) من المحاربين بالتنكيل بهم والعقوبة (لعلهم) اى الذين خلفهم (يذكرون) يتعظون بهم (واما تخافن من قوم) عاهدوك (خيانة) فى عهد بأمارة تلوح لك (فانبذ) اطرح عهدهم (اليهم على سواء) حال أى مستويا أنت وهم فى العلم بنقض العهد بأن تعلمهم به لئلا يتهموك بالغدر (ان الله لايحب الخائنين) ونزل فيمن أفلت يوم بدر (ولاتحسبن) يامحمد (الذين كفروا سبقوا) الله أى فاتوه (انهم لا يعجزون) لا يفوتونه وفى قراءة بالتحتانية فالمفعول الاول محذوف أى أنفسهم وفى أخرى بفتح ان على تقدير

يظلمون) سبق تفسيره فى سورة البقرة (واذقيل لهم اسكنوا هذه القرية) باضمار اذكروا القرية بيت المقدس (وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا)مثل مامر فى سورة البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره ثمه او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على وادخلوا فلا اثر له فى المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما (نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين) وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثانى مخرج الاستئناف للدلالة على انه تفضيل محض ليس فى مقابلة مامر وابه وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحده وقرأ ابو عمرو خطاياكم (فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون) مضى تفسيره فيها (واسألهم) للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بماهو من علومهم التى لا تعلم الا بتعليم اووحى ليكون ذلك معجزة لك عليهم (عن القرية) عن خبرها وماوقع باهلها (التى كانت حاضرة البحر) قريبة منه وهى ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية (اذيعدون فى السبت) يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال (اذتأتيهم حيتانهم) ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد اى يعدون آلات الصيد يوم السبت وقدنهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة (يوم سبتهم شرعا) يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله (ويوم لا يسبتون لا تأتيهم)وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون فى السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذ ادنا واشرف (كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بماقبله اى لا تأتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء متعلق بيعدون (واذقالت) عطف على اذيعدون (امة منهم) جماعة من اهل القرية يعنى صلحاء هم الذين اجتهدوا فى موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم (لم تعظون قوما الله مهلكهم) مخترمهم (او معذبهم عذابا

اللام (وأعدوا لهم) لقتالهم (مااستطعتم من قوة) قال صلى الله عليه وسلم هى الرمى رواه مسلم (ومن رباط الخيل) مصدر بمعنى حبسها فى سبيل الله (ترهبون) تخوفون (به عدو الله وعدوكم) أى كفار مكة (وآخرين من دونهم) أى غيرهم وهم المنافقون أو اليهود (لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم) جزاؤه (وأنتم لا تظلمون) تنقصون منه شيئا (وان جنحوا) مالوا (للسلم) بكسر السين وفتحها الصلح (فاجنح لها)وعاهدهم قال ابن عباس هذا منسوخ بآية السيف ومجاهد مخصوص بأهل الكتاب اذ نزلت فى بنى قريظة (وتوكل على الله) ثق به (انه هو السميع) للقول (العليم) بالفعل (وان يريدوا ان يخدعوك) بالصلح ليستعدوا لك (فان حسبك) كافيك (الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف) جمع (بين قلوبهم) بعد الاحن (لو أنفقت مافى

شديدا) فى الآخرة لتماديهم فى العصيان قالوه مبالغة فى ان الوعظ لاينفع فيهم
اوسؤا لاعن علة الوعظ ونفعه وكأنه تقاول بينهم اوقول من ارعوى
عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به
وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم (قالوا معذرة الى ربكم) جواب للسؤال
اى موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لاتنسب الى تفريط فى النهى عن
المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر اوالعلة اى اعتذرنا به معذرة
اووعظناهم معذرة (ولعلهم يتقون) اذ اليأس لايحصل الا بالهلاك
(فلما نسوا) تركوا ترك الناسى (ماذكروا به) ماذكرهم به صلحاؤهم (انجينا
الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا) بالاعتداء ومخالفة امر الله
(بعذاب بئيس) شديد فعيل من بؤس يبؤس بؤسا اذا اشتد وقرأ ابو بكر
بيئس على وزن فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة
على انه بئس كحذر كما قرئ به فخفف عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد
فى كبد ونافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت فى ذيب اوعلى انه فعل الذم
وصف به فجعل اسما وقرئ بيس كريس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها
وبيس على التخفيف كهين وبائس كفاعل (بما كانوا يفسقون) بسبب
فسقهم (فلما عتوا عما نهوا عنه) تكبروا عن ترك مانهوا عنه كقوله تعالى
وعتوا عن امر ربهم (قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) كقوله انما قولنا لشئ
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر يقتضى ان الله تعالى عذبهم
اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان تكون الآية الثانية تقريرا
وتفصيلا للاولى روى ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا
مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج
اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شأنا فدخلوا عليهم فاذاهم قردة
فلم يعرفوا انسابهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت تأتى انسباءهم وتشم
ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم
لاابدانهم (واذ تأذن ربك) اى اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد
والايعاد اوعزم لان العازم على الشئ يؤذن نفسه بفعله واجرى مجرى
فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو (ليبعثن عليهم
الى يوم القيامة) والمعنى واذا وجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود
(من يسومهم سوء العذاب) كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم

الارض جميعا ما ألفت بين
قلوبهم ولكن الله ألف بينهم)
بقدرته (انه عزيز) غالب
على أمره (حكيم) لايخرج
شئ عن حكمته (ياأيها النبى
حسبك الله و) حسبك
(من اتبعك من المؤمنين ياأيها
النبى حرض) حث (المؤمنين
على القتال) للكفار (ان يكن
منكم عشرون صابرون يغلبوا
مائتين) منهم (وان يكن)
بالياء والتاء (منكم مائة يغلبوا
ألفا من الذين كفروا بأنهم)
أى بسبب أنهم (قوم لايفقهون)
وهذا خبر بمعنى الامر أى
ليقاتل العشرون منكم المائتين
والمائة الالف و يثبتوا لهم ثم
نسخ لما كثروا بقوله (الآن
خفف الله عنكم وعلم أن فيكم
ضعفا) بضم الضاد وفتحها
عن قتال عشرة امثالكم
(فان يكن) بالياء والتاء (منكم
مائة صابرة يغلبوا مائتين)
منهم (وان يكن منكم ألف
يغلبوا ألفين باذن الله) بارادته
وهو خبر بمعنى الامر أى لتقاتلوا
مثليكم وتثبتوا لهم (والله مع
الصابرين) بعونه * ونزل
لما اخذوا الفداء من أسرى بدر

(ما كان لنبى أن تكـون) بالياء والتاء (له أسرى حتى يثخـن فى الأرض) يبـالغ فى قتل الكفار (تريدون) أيها المؤمنون (عرض الدنيا) حطامها بأخذ الفداء (والله يريد) لكم (الآخرة) أى ثوابهـا بقتلهم (والله عزيز حكيم) وهذا منسوخ بقوله فامامنا بعـد واما فداء (لولا كتاب من الله سبق) باحلال الغنائم والاسرى لكم (لمسكم فيما أخذتم) من الفداء (عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبـا واتقوا الله ان الله غفور رحيم يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسـارى) وفى قـراءة الاسرى (ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا) ايمـانا واخلاصـا (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) من الفـداء بان يضعفـه لكم فى الدنيـا ويثيبكم فى الآخرة (ويغفر لكـم ذنوبكـم والله غفـور رحـيم وان يريدوا) أى الاسرى (خيانتك) بمـا اظهروا من القوم (فقد خانوا الله من قبـل) قبـل بدر بالكفر (فأمكن منهم) ببدر قتلا واسرا فليتوقعـوا مثل ذلك ان عادوا (والله

بعد سليمـان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية عـلى من بقى منهم وكانو ايؤدونهـا الى المجوس حـتى بعث الله محمدا صلى الله تعـالى عليه وسلم ففعـل مافعل بهم ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر (ان ربك لسريع العقاب) عاقبهم فى الدنيا (وانه لغفور رحيم) لمن تاب وآمن (وقطعناهم فى الارض امما) وفرقناهم فيها بحيث لايكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لايكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان اوحال (منهم الصـالحون) صفـة او بدل منـه وهم الذين آمنوا بالمدينـة ونظراؤهم (ومنهم دون ذلك) تقـديره ومنهم ناس دون ذلك اى منحطون عن الصـلاح وهم كفرتهم وفسقتهم (وبلوناهم بالحسنات والسيئـات) بالنعم والنقم (لعلهم يرجعون) ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه (فخلف من بعدهم) من بعد المذكورين (خلف) بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع فى الشر والخلف بالفتح فى الخير والمراد به الذين كانوا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم (ورثوا الكتاب) التوراة من اسلافهم يقرأونها ويقفون على مافيها (يأخذون عرض هذا الادنى) حطـام هـذا الشئ الادنى يعنى الدنيـا وهو من الدنو اوالدناءة وهو ما كانوا يأخـذون من الرشى فى الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو (ويقولون سيغفر لنا) لايؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور اومصدر يأخذون (وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) حال من الضمير فى لنا اى يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) اى فى الكتاب (ان لايقولوا عـلى الله الا الحق) عطف بيان للميثاق اومتعلق به اى بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب (ودرسوا مافيه) عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير اوعلى ورثوا وهو اعتراض (والدار الآخرة خير للذين يتقون) مما يأخذ هؤلاء (افلا يعقلون) فيعلموا ذلك ولايستبدلوا الادنى الدنى المؤدى الى العقاب بالنعيم المخلـد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء عـلى التلوين (والذين يمسكون بالكتـاب واقاموا الصلاة) عطف على للذين يتقون وقوله افلا يعقلون اعتراض اومبتدأ خبره (انا لانضيع اجر المصلحـين)

على تقدير مبهم اووضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح
كالمانع من التضييع وقرأ ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لاناقتها
على سائر انواع التمسكات (واذ نتقنا الجبل فوقهم) اى قلعناه ورفعناه
فوقهم واصل النتق الجذب (كأنه ظلة) سقيفة وهى كل ما اظلك (وظنوا)
وتيقنوا (انه واقع بهم) ساقط عليهم لان الجبل لايثبت فى الجو ولانهم
كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا
ان يقبلوا احكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم
مافيها والا ليقعن عليكم (خذوا) على اضمار القول اى وقلنا خذوا او قائلين
خذوا (ماآتيناكم) من الكتاب (بقوة) بجد وعزيمة على تحمل مشاقه وهو
حال من الواو (واذكروا مافيه) بالعمل به ولاتتركوه كالمنسى (لعلكم تتقون)
قبايح الاعمال و رذائل الاخلاق (واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم
ذريتهم) اى اخرج من اصلابهم نسلهم على ماتتوالدون قرنا بعد قرن
ومن ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض وقرأ نافع وابوعمرو وابن عامر
ويعقوب ذرياتهم (واشهدهم على انفسهم الست بربكم) اى ونصب لهم
دلائل ربوبيته وركب فى عقولهم مايدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا
بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم
منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريق التمثيل ويدل عليه قوله (قالوا
بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة) اى كراهة ان تقولوا (انا كنا عن هذا
غافلين) لم ننبه بدليل (او تقولوا) عطف على ان تقولوا وقرأ ابوعمرو
كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة (انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية
من بعدهم) فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به
لايصلح عذرا (افتهلكنا بما فعل المبطلون) يعنى آباءهم المبطلين بتأسيس
الشرك وقيل لما خلق الله آدم اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم
وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك الحديث رواه عمر رضى الله تعالى
عنه وقد حققت الكلام فيه فى شرحى لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد
هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعدما الزمهم بالميثاق
المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن
التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال (وكذلك نفصل الآيات
ولعلهم يرجعون) اى عن التقليد واتباع الباطل (واتل عليهم) اى على

عليم) بخلقه (حكيم)
فى صنعه (ان الذين آمنوا
وهاجروا وجاهدوا باموالهم
وأنفسهم فى سبيل الله)
وهم المهاجرون (والذين
آووا) النبى صلى الله عليه
وسلم (ونصروا) وهم
الانصار (أولئك بعضهم
أولياء بعض) فى النصرة
والارث (والذين آمنوا ولم
يهاجروا مالكم من ولايتهم)
بكسر الواو وفتحها
(من شئ) فلا ارث بينكم
وبينهم ولانصيب لهم
فى الغنيمة (حتى يهاجروا)
وهذا منسوخ بآخر السورة
(وان استنصروكم فى الدين
فعليكم النصر) لهم على الكفار
(الا على قوم بينكم وبينهم
ميثاق) عهد فلا تنصروهم
عليهم وتنقضوا عهدهم
(والله بما تعملون بصير والذين
كفروا بعضهم أولياء بعض)
فى النصرة والارث فلا ارث
بينكم وبينهم (الاتفعلوه)
أى تولى المسلمين وقطع الكفار
(تكن فتنة فى الارض وفساد
كبير) بقوة الكفر وضعف
الاسلام (والذين آمنوا و
هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله

اليهود (نبأ الذى آتيناه آياتنا) هو احد علماء بنى اسرآئيل اوامية بن ابى الصلت فانه كان قدقرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا فى ذلك الزمان ورجا ان يكون هو نفسه فلما بعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حسد وكفر به او بلعم بن باعو راء من الكنعانيين اوتى علم بعض كتب الله (فانسلخ منهـا) من الآيات بان كفر بهـا واعرض عنهـا (فاتبعه الشيطان) حتى لحقه وادركه قرينا له وقيل استتبعه (فكان من الغاوين) فصار من الضالين روى ان قومه سألوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معـه الملائكة فالحوا عليـه حتى دعا عليهم فبقوا فى التيه (ولو شـئنا لرفعنـاه) الى منازل الابرار من العلماء (بهـا) بسبب تلك الآيات وملازمتها (ولكنه اخلد الى الارض) مال الى الدنيا او الى السفالة (واتبع هواه) فى ايثار الدنيـا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات وانمـا علق رفعـه بمشيئة الله تعالى ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشـية سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمهـا دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقى هو المشيئة وان ما نشاهده من الاسباب وسائط معتبرة فى حصول المسبب من حيث ان المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ماحمله عليه وان حب الدنيـا رأس كل خطيئة وبذر كل بلية (فمثله) فصفته التى هى مثل فى الخسة (كمثل الكلب) كصفته فى اخس احواله وهو (ان تحمل عليـه يلهث اوتتركه يلهث) اى يلهث دائمـا سواء حمل عليه بالزجر والطرد اوترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسـان من التنفس الشـديد والشرطية فى موضع الحال والمعنى لاهثا فى الحـالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذى هو نفى الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لمـا دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعـل يلهث كالكلب (ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص) المذكورة على اليهود فانهـا نحو قصصهم (لعلهم يتفكرون) تفكرا يؤدى بهم الى الاتعاظ (ساء مثلا القوم) اى مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم (الذين كذبوا باياتنا) بعـد قيام الحجة عليها وعلمهم بهـا (وانفسهم كانوا يظلمون) اما ان يكون داخلا فى الصـلة معطوفا عـلى كذبوا بمعـنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم انفسهم اومنقطعا عنهـا بمعـنى وماظلموا

والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم) فى الجنة (والذين آمنـو امن بعـد) أى بعـد السابقين الى الايمان والهجرة (وهاجروا وجاهـدوا معكم فأولئك منكم) ايها المهاجرون والانصار (وأولو الارحام) ذوو القرابات (بعضهم أولى ببعض) فى الارث من التوارث بالايمـان والهجرة المذكورة فى الآيات السابقة (فى كتاب الله) اللوح المحفوظ (ان الله بكل شئ عليم) ومنه حكمة الميراث

* (سورة التوبة مدنية أوالا الآيتين آخرها مائة وثلاثون أوالآية) *

ولم تكن فيها البسملة لانه صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بذلك كما يؤخـذ من حـديث رواه الحاكم وأخرج فى معناه عن على ان البسمـلة أمان وهى نزلت لرفـع الامن بالسـيف وعن حذيفة انكم تسمونهـا سـورة التوبة وهى سورة العـذاب وروى البخـارى عن البراء أنهـا آخر سورة نزلت * هـذه (براءة من الله ورسوله) واصلة (الى الذين عاهـدتم من المشركين) عهدا

بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لايتخطاها ولذلك قدم المفعول (من يهد الله
فهو المهتدى ومن يضلل فاؤلئك هم الخاسرون) تصريح بان الهدى والضلال
من الله تعالى وان هداية الله تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة
للاهتداء والافراد فى الاول والجمع فى الثانى باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على
ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار فى الاخبار
عمن هداه الله بالمهتدى تعظيم لشأن الاهتداء وتنبيه على انه فى نفسه كمال
جسيم ونفع عظيم لولم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة
والعنوان لها (ولقد ذرأنا) خلقنا (لجهنم كثيرا من الجن والانس) يعنى
المصرين على الكفر فى علمه تعالى (لهم قلوب لايفقهون بها) اذ لايلقونها
الى معرفة الحق والنظر فى دلائله (ولهم اعين لايبصرون بها) اى لاينظرون
الى ماخلق الله نظر اعتبار (ولهم آذان لايسمعون بها) الآيات والمواعظ
سماع تأمل وتذكر (اولئك كالانعام) فى عدم الفقه والابصار للاعتبار
والاستماع للتدبر اوفى ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش
مقصورة عليها (بل هم اضل) فانها تدرك مايمكن لها ان تدرك من المنافع
والمضار وتجتهد فى جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك
بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار (اولئك هم الغافلون)
الكاملون فى الغفلة (ولله الاسماء الحسنى) لانها دالة على معان هى احسن
المعانى والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات (فادعوه بها) فسموه بتلك الاسماء
(وذروا الذين يلحدون فى اسمائه) واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه
بما لا توقيف فيه اذ ربما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه
اولاتبالوا بانكارهم ماسمى به نفسه كقولهم مانعرف الا رحمن اليمامة
اوذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها
كاللات من الله والعزى من العزيز ولاتوافقوهم عليه اواعرضوا عنهم
فان الله مجازيهم كما قال (سيجزون ماكانوا يعملون) وقرأ حمزة
يلحدون بالفتح يقال لحد وألحد اذا مال عن القصد (وممن خلقنا امة يهدون
بالحق وبه يعدلون) ذكر ذلك بعدما بين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين
عن الحق للدلالة على انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين فى الامر
واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه ان فى كل قرن طائفة بهذه
الصفة لقوله صلى الله تعالى وسلم لاتزال طائفة من امتى على الحق الى

مطلقا أودون اربعة اشهر
اوفوقها ونقض العهد بما
يذكر فى قوله (فسيحوا)
سيروا آمنين أيها المشركون
(فى الارض أربعة أشهر)
اولها شوال بدليل ماسيأتى
ولاامان لكم بعدها (واعلموا
انكم غير معجزى الله) اى
فائتى عذابه (وان الله مخزى
الكافرين) مذلهم فى الدنيا
بالقتل والاخرى بالنار (وأذان)
اعلام (من الله ورسوله
الى الناس يوم الحج الاكبر)
يوم النحر (أن) اى بأن
(الله برئ من المشركين)
وعهودهم (ورسوله) برئ
ايضا وقد بعث النبى صلى الله
عليه وسلم عليا من السنة وهى
سنة تسع فأذن يوم النحر
بمنى بهذه الآيات وأن لايحج
بعد العام مشرك ولايطوف
بالبيت عريان رواه البخارى
(فان تبتم) من الكفر (فهو
خير لكم وان توليتم) عن
الايمان (فاعلموا انكم غير
معجزى الله وبشر) أخبر
(الذين كفروا بعذاب اليم)
مؤلم وهو القتل والاسرى
فى الدنيا والنار فى الآخرة
(الا الذين عاهدتم من المشركين

ان يأتى امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول عليه السلام او غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم) سندنيهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة (من حيث لايعلمون) مانريد بهم وذلك ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا وانهما كافى الغى حتى يحق عليهم كلمة العذاب (واملى لهم) و امهلهم عطف على سنستدرجهم (ان كيدى متين) ان اخذى شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان (اولم يتفكروا مابصاحبهم) يعنى محمدا عليه الصلاة والسلام (من جنة) من جنون روى انه عليه الصلاة والسلام صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت (ان هو الا نذير مبين) موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر (اولم ينظروا) نظر استدلال (فى ملكوت السموات والارض وماخلق الله من شئ) ممايقع عليه الشئ من الاجناس التى لايمكن حصرها لهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها و عظم شان مالكها ومتولى امرها ليظهر لهم صحة مايدعوهم اليه (وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم) عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وكذا اسم يكون والمعنى او ينظروا فى اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ماينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب (فبأى حديث بعده) بعد القرآن (يؤمنون) اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية فى البيان كأنه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كأنه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم لايبادرون الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فباى حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله (من يضلل الله فلا هادى له) كالتقرير والتعليل له (ونذرهم فى طغيانهم) بالرفع على الاستئناف وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائى به وبالجزم عطفا على محل فلا هادى له كأنه قيل لايهده احد غيره ويذرهم (يعمهون) حال من هم (يسألونك عن الساعة) اى عن القيامة وهى من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله كساعة (ايان مرساها) متى ارساؤها

ثم لم ينقصوكم شيئا) من شروط العهد (ولم يظاهروا) يعاونوا (عليكم احدا) من الكفار (فاتموا اليهم عهدهم الى) انقضاء (مدتهم) التى عاهدتم عليها (ان الله يحب المتقين) باتمام العهود (فاذا انسلخ) خرج (الاشهر الحرم) وهى آخر مدة التأجيل (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) فى حل اوحرم (وخذوهم) بالاسر (واحصروهم) فى القلاع والحصون حتى يضطروا الى القتل والاسلام (واقعدوا لهم كل مرصد) طريق يسلكونه ونصب كل على نزع الخافض (فان تابوا) من الكفر (واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم) ولاتتعرضوا لهم (ان الله غفور رحيم) لمن تاب (وان احد من المشركين) مرفوع بفعل يفسره (استجارك) استأمنك من القتل (فأجره) امنه (حتى يسمع كلام الله) القرآن (ثم أبلغه مأمنه) اى موضع امنه وهو دار قومه ان لم يؤمن لينظر فى امره (ذلك) المذكور (بأنهم

اى اثباتها واستقرارها ورسو الشئ ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل
وارسى السفينة واشتقاق ايان من اى لان معناه اى وقت وهو من اويت
اليه لان البعض آوالى الكل (قل انما علمها عند ربى) استأثر به لم يطلع عليه
ملكا مقربا ولانبيا مرسلا (لايجليها لوقتها) لايظهر امرها فى وقتها
(الاهو) والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام
للتأقيت كاللام فى قوله *اقم الصلاة لدلوك الشمس (ثقلت فى السموات والارض)
عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين لهولها وكأنه اشارة الى الحكمة فى
اخفائها (لاتأتيكم الا بغتة) فجاءة على غفلة كما قال عليه السلام ان الساعة
تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم
سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه (يسألونك كأنك حفى عنها)
عالم بها فعيل من حفى عن الشئ اذا سأل عنه فان من بالغ فى السؤال عن
الشئ والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدى بعن وقيل هى صلة يسألونك
وقيل هى من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة
فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها كأنك حفى تتحفى بهم فتخصهم
لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كأنك حفى من حفى بالشئ اذا فرح
ومعناه كأنك حفى بالسؤال عنها تحبه اى وانت تكرهه لانه من الغيب الذى
استأثر الله بعلمه (قل انما علمها عند الله) كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من
هذه الزيادة وللمبالغة (ولكن اكثر الناس لايعلمون) ان علمها عند الله لم يؤته
احدا من خلقه (قل لااملك لنفسى نفعا ولاضرا) جلب نفع ولادفع ضر
وهو اظهار للعبودية والتبرى عن ادعاء العلم بالغيوب (الا ماشاء الله) من
ذلك فيلهمنى اياه ويوفقنى له (ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما
مسنى السوء) ولو كنت اعلمه لخالفت حالى ماهى عليه من استكثار المنافع
واجتناب المضار حتى لايمسنى سوء (ان انا الانذير وبشير) وما انا الاعبد
مرسل للانذار والبشارة (لقوم يؤمنون) فانهم المنتفعون بهما ويجوزان
يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوفا (هو الذى خلقكم من نفس واحدة)
هو آدم (وجعل منها) من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها
لقوله تعالى وجعل لكم من انفسكم ازواجا (زوجها) حواء (ليسكن اليها)
ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشئ الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير
ذهابا الى المعنى ليناسب (فلما تغشاها) اى جامعها (حملت حملا خفيفا) خف

قوم لايعلمون) دين الله فلا
بدلهم من سماع القرآن ليعلموا
(كيف) اى لا (يكون
للمشركين عهد عند الله
وعند رسوله) وهم كافرون
بهما غادرون (الا الذين عاهدتم
عند المسجد الحرام) يوم
الحديبية وهم قريش المستثنون
من قبل (فما استقاموا لكم)
اقاموا على العهد ولم ينقضوه
(فاستقيموا لهم) على الوفاء
به ومامشرطية (ان الله يحب
المتقين) وقد استقام صلى
الله عليه وسلم على عهدهم
حتى نقضوا باعانة بنى بكر
على خزاعة (كيف) يكون
لهم عهد (وان يظهروا
عليكم) يظفروا بكم (لايرقبوا
يراعوا (فيكم الا) قرابة
ولاذمة) عهدا بل يؤذوكم
ما استطاعوا وجملة الشرط
حال (يرضونكم بأفواههم)
بكلامهم الحسن (وتأبى
قلوبهم) الوفاء به وأكثرهم
فاسقون) ناقضون للعهد
(اشتروا بآيات الله) القرآن
(ثمنا قليلا) من الدنيا اى
تركوا اتباعها للشهوات
والهوى (فصدوا عن سبيله)
دينه (انهم ساء) بئس (ماكانو

عليهـا ولم تلق منه ماتلقى منه الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا هو النطفة (فمرت به) فاستمرت به وقامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت وفارت من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اى فظنت الحمل وارتابت به (فلما اثقلت) صارت ذاثقل بكبر الولد فى بطنها وقرئ على البناء للمفعول اى اثقلها حملها (دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا) ولدا سويا قد صلح بدنه (لنكونن من الشاكرين) لك على هذه النعمة المجددة (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) اى جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه و يدل عليه قوله تعالى (فتعالى الله عما يشركون ايشركون مالايخلق شيئا وهم يخلقون) يعنى الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس فى صورة رجل فقال لها مايدريك مافى بطنك لعله بهيمة او كلب ومايدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرته لآدم فهما منه ثم عاد اليها وقال انى من الله تعالى بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك و يسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا بين الملائكة فتقبلت فلما ولدت سماه عبدالحارث وامثال ذلك لايليق بالانبياء عليهم السلام و يحتمل ان يكون الخطاب فى خلقكم لآل قصى من قريش فانهم خلقوا من نفس قصى وكان لها زوجها من جنسها عربية قريشية فطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسماهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصى وعبد الدار و يكون الضمير فى يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وابو بكر شركا اى شركة بان اشركا فيه غيره او ذوى شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جئ به على تسميتهم اياها آلهة (ولايستطيعون لهم نصرا) اى لعبدتهم (ولا انفسهم ينصرون) فيدفعون عنها مايعتريها (وان تدعوهم) اى المشركين (الى الهدى) الى الاسلام (لايتبعوكم) وقرأ نافع بالتخفيف وفتح الباء وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اى ان تدعوهم الى ان يهدوكم لايتبعوكم الى مرادكم ولايجيبوكم كما يجيبكم الله (سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون) وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة فى عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوى بالثبات على الصمات ولانهم ماكانوا يدعونها لحوائجهم فكأنه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم (ان الذين تدعون من دون الله) اى تعبدونهم

يعملونه) عملهم هذا (لايرقبون فى مؤمن الا ولاذمة وأولئك هم المعتدون فان تابوا وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم) أى فهم اخوانكم (فى الدين ونفصل) نبين (الآيات لقوم يعلمون) يتدبرون (وان نكثوا) نقضوا (أيمانهم) مواثيقهم (من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم) عابوه (فقاتلوا أئمة الكفر) رؤساءه فيه وضع الظاهر موضع المضمر (انهم لاأيمان) عهود (لهم) وفى قراءة بالكسر (لعلهم ينتهون) عن الكفر (ألا) للتحضيض (تقاتلون قوما نكثوا) نقضوا (أيمانهم) عهودهم (وهموا باخراج الرسول) من مكة لما تشاوروا فيه بدار الندوة (وهم بدؤكم) بالقتال (أول مرة) حيث قاتلوا خزاعة حلفاءكم من بنى بكر فما يمنعكم أن تقاتلوهم (أتخشونهم) أتخافونهم (فالله أحق أن تخشوه) فى ترك قتالهم

وتسمونهم آلهة (عباد امثالكم) من حيث انها مملوكة مسخرة (فادعوهم
فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) انهم آلهة و يحتمل انهم لما نحتوها
بصور الاناسى قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم
فلا يستحقون عبادتكم كما يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض
فقال (الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين
يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها) وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب
عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله و يبطشون بالضم ههنا
وفي القصص والدخان (قل ادعوا شركاءكم) واستعينوا بهم في عداوتي
(ثم كيدون) فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهي انتم وشركاؤكم
(فلا تنظرون) فلا تمهلوني فاني لا ابالي بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه
(ان وليي الله الذي نزل الكتاب) القرآن (وهو يتولى الصالحين) اى ومن
عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه (والذين تدعون
من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون) من تمام التعليل لعدم
مبالاته بهم (وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم
لا يبصرون) يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى
من يواجهه (خذ العفو) اى خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل
ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو الجهد او خذ العفو من
المذنبين او الفضل وما يسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة
(وأمر بالعرف) المعروف المستحسن من الافعال (واعرض عن الجاهلين)
فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق
آمرة للرسول باستجماعها (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) ينخسنك منه
نخس اى وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب وفكرة
والنزغ والنسغ الغرز شبه وسوسته للناس اغراء لهم على المعاصى
وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه (فاستعذ بالله انه سميع) يسمع استعاذتك
(عليم) يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من آذاك عليم
بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان (ان الذين
اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان) لمة منه وهو اسم فاعل من طاف
يطوف كأنها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به
الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب طيف على

(ان كنتم مؤمنين قاتلوهم
يعذبهم الله) يقتلهم
(بأيديكم و يخزهم)
يذلهم بالاسر والقهر
(و ينصركم عليهم و يشف
صدور قوم مؤمنين)
بما فعل بهم هم بنو
خزاعة (و يذهب غيظ
قلوبهم) كربها (و يتوب
الله على من يشاء) بالرجوع
الى الاسلام كأبي سفيان
(والله عليم حكيم أم)
بمعنى همزة الانكار
(حسبتم أن تتركوا ولما) لم
(يعلم الله) علم ظهور
(الذين جاهدوا منكم)
باخلاص (ولم يتخذوا
من دون الله ولا رسوله
ولا المؤمنين وليجة)
بطانة وأولياء المعنى ولم
يظهر المخلصون وهم
الموصوفون بما ذكر من غيرهم
(والله خبير بما تعملون ما كان
للمشركين أن يعمروا مساجد
الله) بالافراد والجمع بدخوله
والقعود فيه (شاهدين على
أنفسهم بالكفر أولئك حبطت)
بطلت (أعمالهم) لعدم
شرطها (وفي النار هم

خالدون انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر وأقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش) أحدا (الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام) أى أهل ذلك (كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهدفى سبيل الله لايستوون عندالله) فى الفضل (والله لايهدى القوم الظالمين) الكافرين نزلت رد اعلى من قال ذلك وهو العباس أوغيره (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وأنفسهم أعظم درجة) رتبة (عند الله) من غيرهم (وأولئك هم الفائزون) الظافرون بالخير (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم) دائم) خالدين) حال مقدرة (فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم) ونزل فيمن ترك الهجرة لاجل أهله وتجارته (ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياءان استحبوا)

انه مصدر اوتخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره (تذكروا) ما امر الله به ونهى عنه (فاذاهم مبصرون) بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولايتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير لماقبلها وكذا قوله (واخوانهم يمدونهم) اى واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشيطان (فى الغى) بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من امدو يمادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال (ثم لايقصرون) لايمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اى لايكفون عن الغى ولايقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير فى اخوانهم الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على من هوله (واذالم تأتهم بآية) من القرآن اومما اقترحوه (قالوا لولا اجتبيتها) هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ماتقرأه اوهلا طلبتها من الله (قل انما اتبع مايوحى الى من ربى) لست بمختلق للآيات اولست بمقترح لها (هذابصائر من ربكم) هذا القرآن بصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) سبق تفسيره (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) نزلت فى الصلاة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضى وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلاة واحتج به من لايرى القراءة على المأموم وهو ضعيف (واذكر ربك فى نفسك) عام فى الاذكار من القراة والدعاء وغيرهما اوامر للمأموم بالقرآءة سرا بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعى رحمه الله تعالى عنه (تضرعا وخيفة) متضرعا وخائفا (ودون الجهر من القول) ومتكلما كلاما فوق السر دون الجهر فانه ادخل فى الخشوع والاخلاص (بالغدو والآصال) باوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل فى الاصيل مطابق للغدو (ولا تكن من الغافلين) عن ذكر الله (ان الذين عندربك) يعنى ملائكة الملأ الاعلى (لايستكبرون عن عبادته ويسبحونه) وينزهونه (وله يسجدون) ويخصونه بالعبادة والتذلل لايشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى ويقول ياويله

امرهذ ابالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلى النار وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعاله يوم القيامة

(سورة الانفال مدنية وهى ست وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسألونك عن الانفال) اى الغنائم يعنى حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل كما سمى به مايشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه (قل الانفال لله والرسول) اى امرها مختص بهما يقسمها الرسول على مايأمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين فى غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لمن كان له عناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا اعند الرايات كنارد أ لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لايلزم الامام ان يفى بما وعد وهو قول الشافعى رحمه الله تعالى وعن سعد ابن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه قال لما كان يوم بدر قتل اخى عمير وقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لى ولالك اطرحه فى القبض فطرحته وبى مالايعلمه الا الله من قتل اخى واخذ سلبى فاجاوزت الاقليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سألتنى السيف وليس لى وانه قد صار لى فاذهب فخذه وقرئ يسألونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها وقرئ يسألونك الانفال اى يسألك الشبان ماشرط لهم (فاتقوا الله) فى الاختلاف والمشاجرة (واصلحوا ذات بينكم) الحال التى بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول (واطيعوا الله ورسوله) فيه (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يقتضى ذلك او ان كنتم كاملى الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصى واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان (انما المؤمنون) اى الكاملون فى الايمان (الذين

اختاروا (الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) أقرباؤكم وفى قراءة عشيراتكم (وأموال اقترفتموها) اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادها) عدم نفاقها (ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله) فقعدتم لاجله عن الهجرة والجهاد (فتربصوا) انتظروا (حتى يأتى الله بأمره) تهديد لهم (والله لايهدى القوم الفاسقين لقد نصركم الله فى مواطن) للحرب (كثيرة) كبدر وقريظة والنضير (و) اذكر (يوم حنين) واد بين مكة والطائف أى يوم قتالكم فيه هوازن وذلك فى شوال سنة ثمان (اذ) بدل من يوم (أعجبتكم كثرتكم) فقلتم لن نغلب اليوم من قلة وكانوا اثنى عشر ألفا والكفار أربعة آلاف (فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض

اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فزعت لذكره استعظاماله وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهى لغة وفرقت اى خافت (واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) لزيادة المؤمن به اولاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة و ينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه (وعلى ربهم يتوكلون) يفوضون اليه امورهم ولايخشون ولايرجون الااياه (الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا) لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التى هى العيار عليها الصلاة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف اومصدر مؤكد كقولهم عبدالله حقا (لهم درجات عند ربهم) كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم (ومغفرة) لمافرط منهم (ورزق كريم) اعد لهم فى الجنة لاينقطع عدده ولاينتهى امده (كما اخرجك ربك من بيتك بالحق) خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال فى كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب فى كراهتهم له اوصفة مصدر الفعل المقدر فى قوله لله والرسول اى الانفال ثبتت لله والرسول عليه السلام مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعنى المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) فى موقع الحال اى اخراجك فى حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابوسفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا ابلغ الخبر اهل مكة فنادى ابوجهل فوق الكعبة ياأهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقدرأت قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت عبدالمطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت فى مكة الااصابه شئ منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك اباجهل فقال مايرضى رجالهم ان يتنبأ واحتى تنبأت نساؤهم فخرج ابوجهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما فى السنة وكان رسول الله

بما رحبت) ما مصدرية أى مع رحبها أى سعتها فلم تجدوا امكانا تطمئنون اليه لشدة مالحقكم من الخوف (ثم وليتم مدبرين) منهزمين وثبت النبى صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وليس معه غير العباس وأبو سفيان آخذ بركابه (ثم أنزل الله سكينته) طمأنينته (على رسوله وعلى المؤمنين) فردوا الى النبى صلى الله عليه وسلم لما ناداهم العباس باذنه وقاتلوا (وأنزل جنودالم تروها) ملائكة (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر (وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) منهم بالاسلام (والله غفور رحيم ياأيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) قذر لخبث باطنهم (فلا يقربوا المسجد الحرام) أى لايدخلوا الحرم (بعد عامهم هذا) عام تسع من الهجرة (وان خفتم عيلة) فقرا بانقطاع تجارتهم عنكم (فسوف يغنيكم

صلى الله عليه وسلم بوادى ذفران فنزل جبريل عليه السلام بالوعد باحدى
الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا
القتال حتى نتأهب له انا خرجنا للعير فرد عليهم فقال ان العير قد مضت على
ساحل البحر وهذا ابوجهل قد اقبل فقالوا يارسول الله عليك بالعير ودع
العدو فغضب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابو بكر وعمر
رضى الله تعالى عنهما فاحسنا ثم قام سعيد بن عبادة فقال انظر امرك
فامض فوالله لوسرت الى عدن ابين ماتخلف عنك رجل من الانصار
ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيث مااحببت لانا
لانقول لك كما قالت بنوا اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا
اناههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال اشيروا على ايها الناس وهو
يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم
برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لايروا نصرته الاعلى
عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يارسول الله قال
اجل قال انا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ماجئت به هو الحق واعطيناك
على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله
لما اردت فوالذى بعثك بالحق لواستعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه
معك ماتخلف منا رجل واحد ومانكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب
صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ماتقر به عينك فسر بنا على بركة الله
فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله تعالى قد وعدنى احدى
الطائفتين والله لكأنى انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه الصلاة
والسلام لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه عباس وهو فى وثاقه
لايصلح فقال له لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك
ماوعدك فكره بعضهم قوله (يجادلونك فى الحق) فى ايثارك الجهاد باظهار
الحق لايثارهم تلقى العير عليه (بعدماتبين) انهم ينصرون انما توجهوا
باعلام الرسول عليه الصلاة والسلام (كأنما يساقون الى الموت وهم
ينظرون) اى يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد
اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذروى انهم كانوا رجالة
وما كان فيهم الافارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كان لفرط فزعهم

الله من فضله ان شاء) وقد أغناهم بالفتوح والجزية (ان الله عليم حكيم قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولاباليوم الآخر) والا لآمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم (ولايحرمون ماحرم الله ورسوله) كالخمر (ولايدينون دين الحق) الثابت الناسخ لغيره من الاديان وهو دين الاسلام (من) بيان للذين (الذين أوتوا الكتاب) أى اليهود والنصارى (حتى يعطوا الجزية) الخراج المضروب عليهم كل عام (عن يد) حال أى منقادين أو بايديهم لايوكلون بها (وهم صاغرون) أذلاء منقادون لحكم الاسلام (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح) عيسى (ابن الله ذلك قولهم بأفواههم) لامستند لهم عليه بل (يضاهؤن) يشابهون به (قول الذين كفروا من قبل) من آبائهم تقليدا لهم (قاتلهم) لعنهم (الله أنى) كيف

ورعبهم (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين) على اضمار اذكر واحدى
الطائفتين ثانى مفعول يعدكم وقد ابدل عنها (انها لكم) بدل الاشتمال
(وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) يعنى العير فانه لم يكن فيها
الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم
وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك (ويريد الله ان يحق
الحق) ان يثبته ويعليه (بكلماته) الموحى بها فى هذه الحال او باوامره للملائكة
بالامداد وقرئ بكلمته (ويقطع دابر الكافرين) ويستأصلهم والمعنى انكم
تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار
الحق وما يحصل لكم فوز الدارين (ليحق الحق ويبطل الباطل) اى فعل ما فعل
وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت
والثانى لبيان الداعى الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره
عليها (ولو كره المجرمون) ذلك (اذ تستغيثون ربكم) بدل من اذ يعدكم
او متعلق بقوله ليحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم انهم لما علموا ان
لا محيص من القتال اخذوا يقولون اى رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث
المستغيثين وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه عليه السلام نظر الى المشركين
وهم الف والى الصحابة وهم ثلاثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لى
ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فما زال كذلك
حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك
ما وعدك (فاستجاب لكم انى ممدكم) بأنى ممدكم فحذف الجار وسلط عليه
الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او اجراء استجاب مجرى قال
لان الاستجابة من القول (بالف من الملائكة مردفين) متبعين المؤمنين او بعضهم
بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعضا المؤمنين او انفسهم
المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اى
متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين
بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء فى الدال
فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ
بآلاف من الملائكة ليوافق ما فى سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور
ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم
او من قاتل منهم واختلف فى مقاتلتهم وقد روى اخبار تدل عليها (وما جعله الله

(يؤفكون) يصرفون
عن الحق مع قيام الدليل
(اتخذوا أحبارهم) علماء
اليهود (ورهبانهم)
عباد النصارى (أربابا من
دون الله) حيث اتبعوهم
فى تحليل ما حرم وتحريم
ما أحل (والمسيح ابن
مريم وما أمروا) فى
التوراة والانجيل (الا ليعبدوا)
أى بأن يعبدوا (الها واحدا
لا اله الا هو سبحانه) تنزيها له
(عما يشركون يريدون ان
يطفئوا نور الله) شرعه
وبراهينه (بافواههم)
بأقوالهم فيه (ويأبى الله
الا أن يتم) يظهر (نوره
ولو كره الكافرون) ذلك
(هو الذى أرسل رسوله)
محمدا صلى الله عليه وسلم
(بالهدى ودين الحق ليظهره)
يعليه (على الدين كله) جميع
الاديان المخالفة له (ولو كره
المشركون) ذلك (يا أيها
الذين آمنوا ان كثيرا من
الاحبار والرهبان ليأكلون)
يأخذون (أموال الناس
بالباطل) كالرشى فى الحكم
(ويصدون) الناس (عن
سبيل الله) دينه (والذين)

اى الامداد (الابشرى لكم) الا بشارة لكم بالنصر (و لتطمئن به قلوبكم) فيزول مابها من الوجل لقلتكم وذلتكم (وما النصر الامن عندالله ان الله عزيز حكيم) وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها وسائط لاتأثير لها فلاتحسبوا النصر منها ولاتيأسوا منه بفقدها (اذيغشيكم النعاس) بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة اومتعلق بالنصر او بما فى عندالله من معنى الفعل اوبجعله او باضمار اذكر وقرأ نافع يغشيكم بالتخفيف من اغشيته الشئ اذاغشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وابوعمرو يغشاكم النعاس بالرفع (أمنة منه) أمنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس يضمن معنى تنعسون و يغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله و يجوز ان يراد بها الايمان فتكون فعل المغشى وان تجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه اى لان كان من حقه ان لايغشاهم لشدة الخوف فلماغشاهم فكأنه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله * يهاب النوم ان يغشى عيونا * تهابك فهو نفار شرورد وقرئ امنة كرحمة وهى لغة (و ينزل عليكم من السماء ماءليطهركم به) من الحدث والجنابة (ويذهب عنكم رجز الشيطان) يعنى الجنابة لانه من تخييله اووسوسته وتخويفه اياهم من العطش روى انهم نزلوا فى كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقدغلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادى واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضأوا وتلبد الرمل الذى بينهم و بين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة (وليربط على قلوبكم) بالوثوق على لطف الله بهم (و يثبت به الاقدام) اى بالمطر حتى لاتسوخ فى الرمل اوبالربط على القلوب حتى تثبت فى المعركة (اذيوحى ربك) بدل ثالث اومتعلق بيثبت (الى الملائكة انى معكم) فى اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحى وقرئ بالكسر على ارادة القول اواجراء الوحى مجراه (فثبتوا الذين آمنوا) بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله (سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) كالتفسير لقوله انى معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب

مبتدأ (يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها) أى الكنوز (فى سبيل الله) أى لايؤدون منها حقه من الزكاة والخير (فبشرهم) أخبرهم (بعذاب أليم) مؤلم (يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى) تحرق (بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) وتوسع جلودهم حتى توضع عليها كلها و يقال لهم (هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) أى جزاءه (ان عدة الشهور) المعتد بها للسنة (عندالله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله) اللوح المحفوظ (يوم خلق السموات والارض منها) أى الشهور (أربعة حرم) محرمة ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب (ذلك) اى تحريمها (الدين القيم) المستقيم (فلا تظلموا فيهن) أى الاشهر الحرم (أنفسكم) بالمعاصى فانها فيها أعظم وزرا وقيل فى الاشهر كلها (وقاتلوا المشركين كافة) جميعا فى كل الشهور (كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين)

بالعون والنصر (انما النسئ) أى التأخير لحرمة شهر الى آخر كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير حرمة المحرم اذا اهل وهم فى القتال الى صفر (زيادة فى الكفر) لكفرهم بحكم الله فيه (يضل) بضم الياء وفتحها (به الذين كفروا يحلونه) اى النسئ (عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا) يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بدله (عدة) عدد (ماحرم الله) من الشهر فلا يزيدون على تحريم اربعة ولا ينقصون ولا ينظرون الى اعيانها (فيحلوا ماحرم الله زين لهم سوء أعمالهم) فظنوه حسنا (والله لايهدى القوم الكافرين) * ونزل لما دعا صلى الله عليه وسلم الناس الى غزوة تبوك وكانوا فى عسرة وشدة حر فشق عليهم (ياأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم) بادغام التاء فى الاصل فى المثلثة واجتلاب همزة الوصل أى تباطأتم وملتم عن الجهاد (الى الارض) والقعود فيها

فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب اوعلى ان قوله سألقى الى قوله كل بنان تلقين للملائكة مايثبتون المؤمنين به كأنه قال قولوا لهم قولى هذا (فاضربوا فوق الاعناق) اعاليها التى هى المذابح او الرؤس (واضربوا منهم كل بنان) اصابع اى جزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم (ذلك) اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام او لكل احد من المخاطبين (بانهم شاقوا الله ورسوله) بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلامن المتعادين فى شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب (ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) تقرير للتعليل اووعيد بما اعدلهم فى الآخرة بعد ماحاق بهم فى الدنيا (ذلكم) الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع اى الامر ذلكم او ذلكم واقع اونصب بفعل دل عليه (فذوقوه) اوغيره مثل باشروا او عليكم لتكون الفاء عاطفة (وان للكافرين عذاب النار) عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم فى الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر سبب العذاب الآجل اوالجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستئناف (يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا) كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كأنهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبى اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمى به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال (فلا تولوهم الادبار) بالانهزام فضلا عن ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة لكنها مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الآية ويجوز ان ينتصب زحفا على الحال من الفاعل والمفعول اى اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا اومن الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا (ومن يولهم يومئذ دبره الامتحرفا لقتال) يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب (او متحيزا الى فئة) او منحازا الى اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه كان فى سرية بعثهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يارسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والالغو لاعمل له او الاستثناء من المولين اى الارجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لامتفعل

والالكان محوزا لانه من حاز يحوز (فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآيه وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه فى الحرب (فلم تقتلوهم) بقوتكم (ولكن الله قتلهم) بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب فى قلوبهم روى انه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى اسألك ماوعدتنى فاتاه جبريل عليه السلام وقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الاشغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم (وما رميت) يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه (اذ رميت) اى اتيت بصورة الرمى (ولكن الله رمى) اتى بما هو غاية الرمى فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ماهو كماله والمقصود منه وقيل معناه مارميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب فى قلوبهم وقيل انه نزل فى طعنة طعن بها ابى بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات اورمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب ابابة بن الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ولكن بالتخفيف ورفع مابعده فى الموضعين (وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا) ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات (ان الله سميع) لاستغاثتهم ودعائهم (عليم) بنياتهم واحوالهم (ذلكم) اشارة الى البلاء الحسن او القتل او الرمى ومحله الرفع اى المقصود او الامر ذلكم وقوله (وان الله موهن كيد الكافرين) معطوف عليه اى المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين (وان تنتهوا) عن الكفر ومعادات

والاستفهام للتوبيخ (أرضيتم بالحيوة الدنيا) ولذاتها (من الآخرة) أى بدل نعيمها (فما متاع الحيوة الدنيا فى) جنب متاع (الآخرة الاقليل) حقير (الا) بادغام لا فى نون ان الشرطية فى الموضعين (تنفروا) تخرجوا مع النبى صلى الله عليه وسلم للجهاد (يعذبكم عذابا اليما) مؤلما (ويستبدل قوما غيركم) أى يأتى بهم بدلكم (ولا تضروه) أى الله أو النبى صلى الله عليه وسلم (شيئا) بترك نصره فان الله ناصر دينه (والله على كل شئ قدير) ومنه نصر دينه ونبيه (الا تنصروه) اى النبى صلى الله عليه وسلم (فقد نصره الله اذ) حين (أخرجه الذين كفروا) من مكة أى ألجؤه الى الخروج لما ارادوا قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة (ثانى اثنين) حال أى أحد اثنين والآخر أبو بكر المعنى نصره الله فى مثل تلك الحالة فلا يخذله فى غيرها (اذ) بدل من اذ قبله (هما فى الغار) نقب فى جبل ثور (اذ) بدل ثان (يقول

اصاحبه) أبى بكر وقد قال له لما رأى اقدام المشركين لونظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا (لاتحزن ان الله معنا) بنصره (فانزل الله سكينته) طمانينته (عليه) قيل على النبى صلى الله عليه وسلم وقيل على أبى بكر (وأيده) النبى صلى الله عليه وسلم (بجنود لم تروها) ملائكة فى الغار وموطن قتاله (وجعل كلمة الذين كفروا) أى دعوة الشرك (السفلى) المغلوبة (وكلمة الله) أى كلمة الشهادة (هى العليا) الظاهرة الغالبة (والله عزيز) فى ملكه (حكيم) فى صنعه (انفروا خفافا وثقالا) نشاطا وغير نشاط وقيل أقوياء وضعفاء أوأغنياء وفقراء وهى منسوحة بآية ليس على الضعفاء (وجاهدوا باموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) أنه خير لكم فلا تثاقلوا * ونزل فى المنافقين الذين تخلفوا (لوكان) مادعوتهم اليه (عرضا) متاعا من الدنيا (قريبا) سهل المأخذ (وسفرا قاصدا)

الرسول (فهو خير لكم) لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين (وان تعودوا) لمحاربته (نعد) لنصرته (ولن تغنى) ولن تدفع (عنكم فئتكم) جماعتكم (شيئا)من الاغناء او المضار (ولو كثرت) فئتكم (وان الله مع المؤمنين) بالنصر و المعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصروان تنتهوا عن التكاسل فى القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار اوتهييج العدو ولن تغنى حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين ايمانهم ويؤكد ذلك (ياأيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه) اى تتولوا عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهى عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله فى طاعة الرسول لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد اوللامر الذى دل عليه الطاعة (وانتم تسمعون) القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا) كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا السماع (وهم لايسمعون) سماعا ينتفعون به فكأنهم لايسمعون رأسا (ان شر الدواب عندالله) شر مايدب على الارض اوشر البهائم (الصم) عن الحق (البكم الذين لايعقلون) اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ماميزوا به وفضلوا لاجله (ولو علم الله فيهم خيرا) سعادة كتبت لهم اوانتفاعا بالآيات (لاسمعهم) سماع تفهم (ولو اسمعهم) وقد علم ان لاخير فيهم (لتولوا) ولم ينتفعوا به اوارتدوا بعد التصديق والقبول (وهم معرضون) لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم احى لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصى (ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول) بالطاعة (اذا دعاكم) وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروى انه عليه السلام مر على ابى سعيد وهو يصلى فدعاه فعجل فى صلاته ثم جاء فقال مامنعك عن اجابتى قال كنت اصلى قال الم تخبر فيما اوحى الى استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لاتقطع الصلاة فان الصلاة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لايحتمل التأخير وللمصلى ان يقطع الصلاة لمثله وظاهر

الحديث يناسب الاول (لما يحييكم) من العلوم الدينية فانها حياة القلب والجهل موته قال * لاتعجبن الجهول حلته * فذاك ميت وثوبه كفن * اوبما يورثكم الحياة الابدية فى النعيم الدائم من العقائد والاعمال اومن الجهاد فانه سبب بقائكم اذلو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم اوالشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب ماعسى يغفل عنه صاحبها اوحث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه و بين قلبه بالموت اوغيره اوتصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه و يغير مقاصده و يحول بينه و بين الكفر ان اراد سعادته و بينه و بين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه (وانه اليه تحشرون) فيجازيكم باعمالكم (واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهركم والمداهنة فى الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل فى الجهاد على ان قوله لاتصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لاتصيب الظالمين منكم خاصة بل تعمكم وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهى ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم واماصفة لفتنة ولاللنفى وفيه شذوذ لان النون لاتدخل المنفى فى غير القسم اوللنهى على ارادة القول كقوله * حتى اذاجن الظلام واختلط * جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط * واما جواب قسم محذوف لقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا فى المعنى و يحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة و يعود عليه ومن فى منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم (واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون فى الارض) ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء فى ايدى فارس والروم (تخافون ان يتخطفكم الناس) كفار قريش اومن عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم (فآواكم) الى المدينة او جعل لكم مأوى

وسطا (لاتبعوك) طلبا للغنيمة (ولكن بعدت عليهم الشقة) المسافة فتخلفوا (وسيحلفون بالله) اذا رجعتم اليهم (لواستطعنا) الخروج (لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم) بالحلف الكاذب (والله يعلم انهم لكاذبون) فى قولهم ذلك وكان صلى الله عليه وسلم أذن لجماعة فى التخلف باجتهاد منه فنزل عتابا له وقدم العفو تطمينا لقلبه (عفا الله عنك لم أذنت لهم) فى التخلف وهلا تركتهم (حتى يتبين لك الذين صدقوا) فى العذر (وتعلم الكاذبين) فيه (لايستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر) فى التخلف عن (أن يجاهدوا باموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك) فى التخلف (الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت) شكت (قلوبهم) فى الدين (فهم فى ريبهم يترددون) يتحيرون (ولوأرادوا الخروج) معك (لاعدوا له عدة) أهبة من الآلة والزاد (ولكن كره الله انبعاثهم) أى لم يرد

تتحصنون به عن اعدائكم (وايدكم بنصره) على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم (لعلكم تشكرون) هذه النعم (ياايها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول) بتعطيل الفرائض والسنن او بأن تضمروا خلاف ماتظهرون او بالغلول فى المغانم وروى انه عليه السلام حاصر بنى قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صالح اخوانهم بنى النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحاء من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابالبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله فى ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ماترى هل ننزل على حكم سعد بن معاذ فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فمازالت قدماى حتى علمت انى قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية فى المسجد وقال والله لاأذوق طعاما ولاشرابا حتى اموت اويتوب الله على فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال والله لااحلها حتى يكون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاء فحله بيده فقال ان من تمام توبتى ان اهجر دار قومى التى اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالى فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله فى ضد الامانة لتضمنه اياه (وتخونوا اماناتكم) فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو (وانتم تعلمون) انكم تخونون اوانتم علماء تميزون الحسن من القبيح (واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة) لانهم سبب الوقوع فى الاثم وفى العقاب او محنة من الله تعالى ليبلوكم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابى لبابة (وان الله عنده اجر عظيم) لمن آثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه (ياأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) هداية فى قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة عما تحذرون فى الدارين او ظهورا يشهر امركم ويثبت صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اى الصبح (ويكفر عنكم سيئاتكم) ويسترها (ويغفر لكم) بالتجاوز والعفو عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ماتقدم وماتأخر لانها فى اهل بدر وقد غفرهما الله

خروجهم (فثبطهم) كسلهم (وقيل) لهم (اقعدوا مع القاعدين) المرضى والنساء والصبيان أى قدر الله تعالى ذلك (لو خرجوا فيكم مازادوكم الاخبالا) فسادا بتخذيل المؤمنين (ولأوضعوا خلالكم) أى اسرعوا بينكم بالمشى بالنميمة (يبغونكم) يطلبون لكم (الفتنة) بالقاء العداوة (وفيكم سماعون لهم) مايقولون سماع قبول (والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا) لك (الفتنة من قبل) أول ماقدمت المدينة (وقلبوا لك الامور) أى أجالوا الفكر فى كيدك وابطال دينك (حتى جاء الحق) النصر (وظهر) عز (أمر الله) دينه (وهم كارهون) له فدخلوا فيه ظاهرا (ومنهم من يقول ائذن لى) فى التخلف (ولا تفتنى) وهو الجد بن قيس قال له النبى صلى الله عليه وسلم هل لك فى جلاد بنى الاصفر فقال انى مغرم بالنساء وأخشى ان رأيت نساء بنى الاصفر أن لا أصبر عنهن فافتتن قال تعالى (ألا فى الفتنة سقطوا) بالتخلف

لهم (والله ذو الفضل العظيم) تنبيه على انما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل (واذ يمكر بك الذين كفروا) تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله فى خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك (ليثبتوك) بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لاحراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك (او يقتلوك) بسيوفهم (او يخرجوك) من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومتابعتهم فزعوا فاجتمعوا فى دار الندوة متشاورين فى امره فدخل عليهم ابليس فى صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا فقال ابو البخترى رأيى ان تحبسوه فى بيت وتشدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيى ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فأتى جبريل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رضى الله تعالى عنه فى مضجعه وخرج مع ابى بكر رضى الله تعالى عنه الى الغار (ويمكرون ويمكر الله) برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين فى اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا (والله خير الماكرين) اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا الى الله انما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم (واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا) هو قول النضر بن الحارث واسناده الى الجمع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاضيهم او قول الذين ائتمروا فى امره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة مع انفهم وفرط استنكافهم

وقرئ سقط (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) لا محيص لهم عنها (ان تصبك حسنة) كنصر وغنيمة (تسؤهم وان تصبك مصيبة) شدة (يقولوا قد أخذنا أمرنا) بالحزم حين تخلفنا (من قبل) قبل هذه المصيبة (ويتولوا وهم فرحون) بما أصابك (قل) لهم (لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) اصابته (هو مولانا) ناصرنا ومتولى أمورنا (وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون) فيه حذف احدى التاءين من الاصل أى تنتظرون أن يقع (بنا الا احدى) العاقبتين (الحسنيين) تثنية حسنى تأنيث أحسن النصر أو الشهادة (ونحن نتربص) ننتظر (بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) بقارعة من السماء (أو بأيدينا) بان يؤذن فى قتالكم (فتربصوا) بنا ذلك (انا معكم متربصون) عاقبتكم (قل أنفقوا) فى طاعة الله (طوعا أو كرها لن يتقبل منكم) ما أنفقتموه (انكم كنتم قوما فاسقين) والامر هنا بمعنى الخبر (وما منعهم أن تقبل) بالتاء

ان يغلبوا خصوصا فى باب البيان (ان هذا الا اساطير الاولين) ماسطره الاولون من القصص (واذقالوا اللهم ان كان هـذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء اوائتنا بعذاب اليم) هذا ايضا من كلام ذاك القائل ابلغ فى الجحود روى انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان هـذا القرآن حقا منزلا فأمطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره اوائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذى يدعيه النبى وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف لاجابة دعائهم واللام لتأكيد النفى والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال والنبى عليه السلام بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم فى قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقى فيهم من المؤمنين اوقولهم اللهم اغفر اوفرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون (ومالهم ان لا يعذبهم الله) ومالهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون (وهم يصدون عن المسجد الحرام) وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية (وما كانوا اولياءه) مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء (ان اولياؤه الا المتقون) من الشرك الذى لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر على ان منهم من يعلم ويعاند اواراد به الكل كما يراد بالقلة العدم (وما كان صلاتهم عند البيت) اى دعاؤهم اومايسمونه صلاة اومايضعون موضعها (الا مكاء) صفيرا فعال من مكا يمكوا اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا (وتصدية) تصفيقا تفعلة من الصدى اومن الصد على ابدال احد حرفى التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب اوعدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق

والياء (منهم نفقاتهم الا أنهم) فاعل وان تقبل مفعول (كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى) متثاقلون (ولا ينفقون الا وهم كارهون) النفقة لانهم يعدونها مغرما (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم) أى لا تستحسن نعمنا عليهم فهى استدراج (انما يريد الله ليعذبهم) أى أن يعذبهم (بها فى الحيوة الدنيا) بما يلقون فى جمعها من المشقة وفيها من المصائب (وتزهق) تخرج (أنفسهم وهم كافرون) فيعذبهم فى الآخرة أشد العذاب (ويحلفون بالله انهم لمنكم) أى مؤمنون (وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون) يخافون أن تفعلوا بهم كالمشركين فيحلفون تقية (لو يجدون ملجأ) يلجؤن اليه (أو مغارات) سراديب (أو مدخلا) موضعا يدخلونه (لولوا اليه وهم يجمحون) يسرعون فى دخوله والانصراف عنكم اسراعا لا يرده شئ كالفرس الجموح (ومنهم من يلمزك) يعيبك (فى) قسم (فى الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم

بمن هذه صلاته روى انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين
بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يصلى يخلطون عليه ويرون انهم يصلون
ايضا (فذوقوا العذاب) يعنى القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة
واللام يحتمل ان تكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم (بما كنتم
تكفرون) اعتقادا وعملا (ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن
سبيل الله) نزلت فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا من قريش
يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزرا او فى ابى سفيان استأجر ليوم احد الفين
من العرب سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او فى اصحاب
العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا
ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسله (فسينفقونها)
بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم فى تلك الحال وهو انفاق بدر والثانى
اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد
على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثانى لبيان عاقبته
وان لم يقع بعد (ثم تكون عليهم حسرة) ندما وغما لفواتها من غير مقصود
جعل ذاتها كأنها تصير حسرة وهى عاقبة انفاقها مبالغة (ثم يغلبون) آخر الامر
وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك (والذين كفروا) اى الذين ثبتوا
على الكفر منهم اذا سلم بعضهم (الى جهنم يحشرون) يساقون (ليميز الله
الخبيث من الطيب) الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام
متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون فى عداوة رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم مما انفقه المسلمون فى نصرته واللام متعلقة بقوله
ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب ليميز من التمييز وهو
ابلغ من الميز (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا) فيجمعه ويضم
بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به
عذابه كمال الكافرين (فيجعله فى جهنم) كله (اولئك) اشارة الى الخبيث لانه مقدر
بالفريق الخبيث او الى المنفقين (هم الخاسرون) الكاملون فى الخسران
لانهم خسروا انفسهم واموالهم (قل للذين كفروا) يعنى ابا سفيان
واصحابه والمعنى قل لاجلهم (ان ينتهوا) معاداة الرسول عليه الصلاة
والسلام بالدخول فى السلام (يغفر لهم ما قد سلف) من ذنوبهم وقرئ

يعطوا منها اذاهم يسخطون
ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله
ورسوله) من الغنائم ونحوها
وقالوا حسبنا) كافينا (الله
سيؤتينا الله من فضله ورسوله)
من غنيمة أخرى ما يكفينا
(انا الى الله راغبون) أن
يغنينا وجواب لو كان خيرا
لهم (انما الصدقات)
الزكوات مصروفة (للفقراء)
الذين لا يجدون ما يقع موقعا
من كفايتهم (والمساكين)
الذين لا يجدون ما يكفيهم
(والعاملين عليها) أى
الصدقات من جاب وقاسم
وكاتب وحاشر (والمؤلفة
قلوبهم) ليسلموا أو يثبت
اسلامهم أو يسلم نظراؤهم
أو يذبوا عن المسلمين
أقسام والاول والاخير
لا يعطيان اليوم عند
الشافعى رضى الله تعالى
عنه لعز الاسلام بخلاف
الآخرين فيعطيان على
الاصح (وفى) فك (الرقاب)
أى المكاتبين (والغارمين) أهل
الدين ان استدانوا لغير
معصية أو تابوا وليس لهم وفاء
أو لا صلاح ذات البين ولو
أغنياء (وفى سبيل الله) أى

بالتاء والكاف على انه خطابهم و يغفر على البناء للفاعل وهو الله تعالى (وان يعودوا) الى قتاله (فقد مضت سنة الاولين) الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة) لايوجد فيهم شرك (و يكون الدين كله لله) ويضمحل عنهم الاديان الباطلة (فان انتهوا) من الكفر (فان الله بما يعملون بصير) فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير يجازيكم فيكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعى اثابتهم للمباشرة يستدعى اثابة مقاتليهم للتسبب (وان تولوا) ولم ينتهوا (فاعلموا ان الله مولاكم) ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم (نعم المولى) لايضيع من تولاه (ونعم النصير) لايغلب من نصره (واعلموا انما غنمتم) اى الذى اخذتموه من الكفار قهرا (من شئ) مما يقع عليه اسم الشئ حتى الخيط (فان لله خمسه) مبتدأ خبره محذوف اى فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما فى قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين (وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) فكأنه قال فان لله خمسه يصرفه الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان رضى الله تعالى عنهما وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى سقط سهمه وسهم ذوى القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك رضى الله تعالى عنه الامر فيه مفوض الى رأى الامام يصرفه الى مايراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الآية وقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روى انه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم مابقى على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول وذوو القربى بنوهاشم و بنو المطلب لما روى انه عليه الصلاة والسلام قسم سهم ذوى القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنوهاشم لاننكر فضلهم لمكانك الذى جعلك الله منهم ارأيت اخواننا من بنى المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال عليه الصلاة والسلام انهم

القائمين بالجهاد ممن لافئ لهم . ولو أغنياء (وابن السبيل) المنقطع فى سفره (فريضة) نصب بفعله المقدر (من الله والله عليم) بخلقه (حكيم) فى صنعه فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء ولامنع صنف منهم اذا وجد فيقسمها الامام عليهم على السواء وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض وأفادت اللام وجوب استغراق أفراده لكن لا يجب على صاحب المال اذا قسم لعسره بل يكفى اعطاء ثلاثة من كل صنف ولايكفى دونها كما أفادته صيغة الجمع وبينت السنة أن شرط المعطى منها الاسلام وأن لا يكون هاشميا ولا مطلبيا (ومنهم) أى المنافقين (الذين يؤذون النبى) بعيبه و بنقل حديثه (و يقولون) اذا نهوا عن ذلك لئلا يبلغه (هو أذن) أى يسمع كل قيل و يقبله فاذا حلفناله انالم نقل صدقنا (قل) هو (أذن) مستمع (خير لكم) لامستمع شر (يؤمن بالله ويؤمن) يصدق (للمؤمنين) فيما أخبروه به

لم يفارقونا فى جاهلية ولا فى اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش والغنى والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر وقيل كان الخمس فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة (ان كنتم آمنتم بالله) متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملى اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل (وما انزلنا على عبدنا) محمد من الآيات والملائكة والنصر وقرئ عبدنا بضمتين اى الرسول والمؤمنين (يوم الفرقان) يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل (يوم التقى الجمعان) المسلمون والكفار (والله على كل شئ قدير) فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة (اذ انتم بالعدوة الدنيا) بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادى وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابى عمرو ويعقوب (وهم بالعدوة القصوى) البعدى من المدينة تأنيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو ياء كالدنيا والعلياء تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا (والركب) اى العير اوقوادها (اسفل منكم) فى مكان اسفل من مكانكم يعنى الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة ولذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله (ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد) اى لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم فى الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا (ولكن) جمع بينكم على هذه الحالة من غير

لا لغيرهم واللام زائدة للفرق بين ايمان التسليم وغيره (ورحمة) بالرفع عطفا على أذن والجر عطفا على خير (للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم يحلفون بالله لكم) أيها المؤمنون فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول انهم ما أتوه (ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه) بالطاعة (ان كانوا مؤمنين) حقا وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين أو خبر الله ورسوله محذوف (ألم يعلموا أنه) أى الشان (من يحادد) يشاقق (الله ورسوله فان له نار جهنم) جزاء (خالدا فيها ذلك الخزى العظيم يحذر) يخاف (المنافقون أن تنزل عليهم) أى المؤمنين (سورة تنبئهم بما فى قلوبهم) من النفاق وهم مع ذلك يستهزؤن (قل استهزؤا) أمر تهديد (ان الله مخرج) مظهر (ما تحذرون) اخراجه من نفاقكم (ولئن) لام قسم (سألتهم) عن استهزائهم بك والقرآن وهم سائرون معك الى تبوك (ليقولن) معتذرين (انما كنا نخوض

ميعاد (ليقضى الله امرا كان مفعولا) حقيقا بان نفعل وهو نصر اوليائه وقهرا عدائه وقوله (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة) بدل منه اومتعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة اوليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيات للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حى المشارف للهلاك وللحياة اومن هذا حاله فى علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيى بفك الادغام للحمل على المستقبل (وان الله لسميع عليم) بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد (اذ يريكهم الله فى منامك قليلا) مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان اومتعلق بعليم اى يعلم المصالح اذ يقللهم فى عينك فى رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتالهم وتشجيعا على عدوهم (ولو اراكهم كثيرا لفشلتم) لجبنتم (ولتنازعتم فى الامر) امر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار (ولكن الله سلم) انعم بالسلامة من الفشل والتنازع (انه عليم بذات الصدور) يعلم ماسيكون فيها وما يغير احوالها (واذ يريكموهم اذالتقيتم فى اعينكم قليلا) الضمير ان مفعولا يرى وقليلا حال من الثانى وانما قللهم فى اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (ويقللكم فى اعينهم) حتى قال ابوجهل ان محمدا واصحابه أكلة جزور قللهم فى اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولايستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الواقعة فان البصر وان كان قديرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لاعلى هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوى فى الشروط (ليقضى الله امرا كان مفعولا) كرره لاختلاف الفعل المعلل به اولان المراد بالامر ثمه الالتقاء على الوجه المحكى وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه (والى الله ترجع الامور يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة) حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ماكانوا يلقون الا الكفار واللقاء مماغلب فى القتال (فاثبتوا) للقائهم (واذكروا الله كثيرا)

ونلعب) فى الحديث لنقطع به الطريق ولم نقصد ذلك (قل) لهم (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا) عنه (قد كفرتم بعد ايمانكم) أى ظهر كفركم بعد اظهار الايمان (ان يعف) بالياء مبنيا للمفعول والنون مبنيا للفاعل (عن طائفة منكم) باخلاصها وتوبتها كجحش ابن حمير (تعذب) بالتاء والنون (طائفة بأنهم كانوا مجرمين) مصرين على النفاق والاستهزاء (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) أى متشابهون فى الدين كأبعاض الشئ الواحد (يأمرون بالمنكر) الكفر والمعاصى (وينهون عن المعروف) الايمان والطاعة (ويقبضون أيديهم) عن الانفاق فى الطاعة (نسوا الله) تركوا طاعته (فنسيهم) تركهم من لطفه (ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم) جزاء وعقابا (ولعنهم الله) أبعدهم عن رحمته (ولهم عذاب مقيم) دائم أنتم أيها المنافقون (كالذين

فى مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره (لعلكم تفلحون) تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغى ان لايشغله شئ عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بان لطفه لاينفك عنه فى شئ من الاحوال (واطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا) باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر اواحد (فتفشلوا) جواب النهى وقيل عطف عليه ولذلك قرئ (وتذهب ريحكم) بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث انها فى تمشى امرها ونفاذه مشبهة بها فى هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لاتكون الابريح يبعثها الله وفى الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور (واصبروا ان الله مع الصابرين) بالكلاءة والنصر (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم) يعنى اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير (بطرا) فخرا واشرا (ورئاء الناس) ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول ابى سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابوجهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القينات ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل التقوى والاخلاص من حيث ان النهى عن الشئ امر بضده (ويصدون عن سبيل الله) معطوف على بطرا ان جعل مصدرا فى موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر (والله بما يعملون محيط) فيجازيكم عليه (واذ زين لهم الشيطان) مقدر باذكر (اعمالهم) فى معاداة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وغيرها بأن وسوس اليهم (وقال لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم) مقالة نفسانية والمعنى انه القى فى روعهم وخيل اليهم انهم لايغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجيرلهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لاغالب او صفته وليس صلته والالانتصب كقولك لاضاربا زيدا عندنا (فلما تراءت الفئتان) اى تلاقى الفريقان (نكص على عقبيه) رجع القهقرى اى بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم (وقال انى برئ منكم انى ارى مالا ترون انى اخاف الله) اى تبرأ منهم وخاف عليهم

من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا واولادا فاستمتعوا) تمتعوا (بخلاقهم) نصيبهم من الدنيا (فاستمتعتم) أيها المنافقون (بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم) فى الباطل والطعن فى النبى صلى الله عليه وسلم (كالذى خاضوا) أى كخوضهم (أولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة وأولئك هم الخاسرون ألم يأتهم نبأ) خبر (الذين من قبلهم قوم نوح وعاد) قوم هود (وثمود) قوم صالح (وقوم ابراهيم وأصحاب مدين) قوم شعيب والمؤتفكات) قرى قوم لوط أى أهلها (أتتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات فكذبوهم فاهلكوا (فما كان الله ليظلمهم) بان يعذبهم بغير ذنب (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بارتكاب الذنب (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز) لايعجزه شئ عن انجاز وعده ووعيده (حكيم) لايضع

وايس من حالهم لما رأى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجمعت قريش على المسير ذكرت مابينهم وبين كنانة من الاحنة وكان ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكناني وقال لاغالب لكم اليوم واني مجير كم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى مالاترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا اهزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ماشعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اني اخافه ان يصيبني مكروها من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هوا لوقت الموعود اذرأى مالم يرقبله والاول ماقاله الحسن واختاره ابن بحر (والله شديد العقاب) يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستأنفا (اذيقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين (غر هؤلاء) يعنون المؤمنين (دينهم) حتى تعرضوا لما لايدى لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الالف (ومن يتوكل على الله) جواب لهم (فان الله عزيز) غالب لايذل من استجار به وان قل (حكيم) يفعل بحكمته البالغة مايستبعده العقل ويعجز عن ادراكه (ولو ترى) ولو رأيت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان ان (اذيتوفى الذين كفروا الملائكة) ببدر واذظرف ترى والمفعول محذوف اى ولو ترى الكفرة اوحالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عزوجل وهو مبتدأ خبره (يضربون وجوههم) والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم اومن الملائكة اومنهما لاشتماله على الضميرين (وادبارهم) ظهورهم اواستاههم ولعل المراد تعميم الضرب اى يضربون ماقبل منهم ومادبر (وذوقوا عذاب الحريق) عطف على يضربون باضمار القول اى ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله (ذلك) الضرب والعذاب (بماقدمت ايديكم) بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك (وان الله ليس

شيأ الافي محله (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن) اقامة (ورضوان من الله أكبر) أعظم من ذلك كله (ذلك هو الفوز العظيم يأيها النبي جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) باللسان والحجة (واغلظ عليهم) بالانتهار والمقت (ومأواهم جهنم وبئس المصير) المرجع هي (يحلفون) أي المنافقون (بالله ماقالوا) مابلغك عنهم من السب (ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) أظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام (وهموا بمالم ينالوا) من الفتك بالنبي ليلة العقبة عند عوده من تبوك وهم بضعة عشر رجلا فضرب عمار بن ياسر وجوه الرواحل لماغشوه فردوا (ومانقموا) انكروا (الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) بالغنائم بعد شدة حاجتهم المعنى لم ينلهم منه الا هذا وليس مما ينقم (فان يتوبوا) عن النفاق (يك خيرا لهم وان يتولوا) عن الايمان

بظلام للعبيد) عطف على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذلولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفى الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد (كدأب آل فرعون) اى دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذى دأبوا فيه اى داموا عليه (والذين من قبلهم) من قبل آل فرعون (كفروا بآيات الله) تفسير لدأبهم (فاخذهم الله بذنوبهم) كما اخذ هؤلاء (ان الله قوى شديد العقاب) لايغلبه فى دفعه شئ (ذلك) اشارة الى ماحل بهم (بان الله) بسبب ان الله (لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم) مبدلا اياها بالنقمة (حتى يغيروا مابانفسهم) يبدلوا ما بهم من حال الى حال اسوأ كتغيير قريش حالهم فى صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعى فى اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوه بعد البعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا احوالهم بل ماهو المفهوم له وهو جرى عادته تعالى على تغييره متى يغيروا احوالهم واصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا (والله سميع) لما يقولون (عليم) بما يفعلون (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون) تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثانى لتشبيه التغير فى النعمة بسبب تغييرهم مابانفسهم (وكل) من الفرق المكذبة اومن غرقى القبط وقتلى قريش (كانوا ظالمين) انفسهم بالكفر والمعاصى (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا) اصروا على الكفر ورسخوا فيه (فهم لايؤمنون) فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لايؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعى تحقق المعطوف وقوله (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة) بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لايمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤهم عليه يوم الخندق وركب

(يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا) بالقتل (والآخرة) بالنار (ومالهم فى الارض من ولى) يحفظهم منه (ولانصير) يمنعهم (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الصاد (ولنكونن من الصالحين) وهو ثعلبة بن حاطب سأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يدعو له أن يرزقه الله مالا يؤدى منه كل ذى حق حقه فدعا له فوسع عليه فانقطع عن الجمعة والجماعة ومنع الزكاة كما قال تعالى (فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا) عن طاعة الله (وهم معرضون فاعقبهم) أى فصير عاقبتهم (نفاقا) ثابتا (فى قلوبهم الى يوم يلقونه) أى الله وهو يوم القيامة (بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون) فيه فجاء بعد ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم بزكاته فقال ان الله منعنى أن اقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه ثم جاء بها الى أبى بكر فلم يقبلها ثم الى عمر فلم يقبلها ثم الى عثمان فلم يقبلها ومات فى زمانه

كعب بن الاشرف الى مكة لحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة اوالمحاربة (وهم لايتقون) سبة الغدر ومغبته اولا يتقون الله فيه او نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم (فاما تثقفنهم) فاما تصادفنهم وتظفرون بهم (فى الحرب فشرد بهم) فرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم (من خلفهم) من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ شرذ بالذال المعجمة وكأنه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد فى الوراء (لعلهم يذكرون) لعل المشردين يتعظون (واما تخافن من قوم) معاهدين (خيانة) نقض عهد بامارات تلوح لك (فانبذ اليهم) فاطرح اليهم عهدهم (على سواء) على عدل وطريق قصد فى العداوة ولاتناجزهم فى الحرب فانه يكون خيانة منك اوعلى سواء فى الخوف اوالعلم بنقض العهد وهو فى موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اى ثابتا على طريق سوى اومنه اومن المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله (ان الله لايحب الخائنين) تعليل الامر بالنبذ والنهى عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف (ولاتحسبن) خطاب للنبى عليه الصلاة والسلام وقوله (الذين كفروا سبقوا) مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على الفاعل ضمير احدا ومن خلفهم او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار اوعلى تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا تحذف اوعلى ايقاع الفعل على (انهم لايعجزون) بالفتح على قراءة ابن عامر وان لاصلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اى مفلتين والا ظهر انه تعليل للنهى اى لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لايفوتون الله اولايجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الآية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو قيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين (واعدوا) ايها المؤمنين (لهم) لناقضى العهد اوللكفار (مااستطعتم من قوة) من كل مايتقوى به فى الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته عليه الصلاة والسلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمى قالها ثلاثا ولعله عليه الصلاة والسلام خصه بالذكر لانه اقواه (ومن رباط الخيل) اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله فعال بمعنى مفعول او مصدر سمى به يقال ربط ربطا

(ألم يعلموا) أى المنافقون (أن الله يعلم سرهم) ما أسروا فى أنفسهم (ونجواهم) ما تناجوا به بينهم (وأن الله علام الغيوب) ما غاب عن العيان * ولما نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدق بشئ كثير فقال المنافقون مراء وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا ان الله غنى عن صدقة هذا فنزل (الذين) مبتدأ (يلمزون) يعيبون (المطوعين) المتنفلين (من المؤمنين فى الصدقات والذين لايجدون الاجهدهم) طاقتهم فيأتون به (فيسخرون منهم) والخبر (سخر الله منهم) جازاهم على سخريتهم (ولهم عذاب اليم استغفر لهم) يامحمد (أولا تستغفر لهم) تخيير له فى الاستغفار وتركه قال صلى الله عليه وسلم انى خيرت يعنى الاستغفار رواه البخارى (ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) قيل المراد بالسبعين المبالغة فى كثرة الاستغفار وفى البخارى حديث لو أعلم أنى لوزدت على السبعين غفر لزدت عليها وقيل المراد العدد المخصوص لحديثه أيضا وسأزيد على

ورباطا ورابط مرابطة ورباطا اوجمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ
ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف
جبريل وميكائيل على الملائكة (ترهبون به) تخوفون به وعن يعقوب ترهبون به
بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد (عدو الله وعدوكم) يعني كفار مكة
(وآخرين من دونهم) من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل
الفرس (لا تعلمونهم) لا تعرفونهم باعيانهم (الله يعلمهم) يعرفهم (وما تنفقوا
من شئ في سبيل الله يوف اليكم) جزاؤه (وانتم لا تظلمون) بتضييع العمل
او نقص الثواب (وان جنحوا) مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام والى
(للسلم) للصلح والاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر (فاجنح لها) وعاهد معهم
وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال * السلم تأخذ منها ما رضيت به
* والحرب يكفيك من انفاسها جرع * وقرئ فاجنح بالضم (وتوكل
على الله) ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم
ويحيقه بهم (انه هو السميع) لاقوالهم (العليم) بنياتهم والآية مخصوصة
باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف (وان
يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله) فان حسبك الله وكافيك قال جرير
* اني وجدت من المكارم حسبكم * ان تلبسوا حز الثياب وتشبعوا *
(هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين) جميعا (والف بين قلوبهم) مع
ما فيهم من العصبية والضغينة في ادنى شئ والتهالك على الانتقام بحيث
لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته
صلى الله تعالى عليه وسلم وبيانه (لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت
بين قلوبهم) اى تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات
بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح (ولكن الله
الف بينهم) بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء (انه عزيز)
تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده (حكيم) يعلم انه كيف ينبغي
ان يفعل ما يريده وقيل الآية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها
ووقائع هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام
حتى تصافوا وصاروا انصارا (يا ايها النبي حسبك الله) كافيك (ومن اتبعك
من المؤمنين) اما في محل النصب على المفعول معه كقوله * اذا كانت الهيجاء
واشتجر القنا * فحسبك والضحاك سيف مهند * او الجر عطفا على المكنى

السبعين فبين له حسم المغفرة
بآية سواء عليهم استغفرت
لهم أم لم تستغفر لهم (ذلك
بأنهم كفروا بالله ورسوله
والله لا يهدي القوم الفاسقين
فرح المخلفون) عن تبوك
(بمقعدهم) أي بقعودهم
(خلاف) أي بعد (رسول
الله وكرهوا أن يجاهدوا
بأموالهم وأنفسهم
في سبيل الله وقالوا) أي
قال بعضهم لبعض
(لا تنفروا) تخرجوا الى
الجهاد (في الحر قل نار
جهنم أشد حرا) من تبوك
فالاولى أن يتقوها بترك
التخلف (لو كانوا يفقهون)
يعلمون ذلك ما تخلفوا
(فليضحكوا قليلا) في الدنيا
(وليبكوا) في الآخرة
(كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون)
خبر عن حالهم بصيغة الامر
(فان رجعك) ردك (الله)
من تبوك (الى طائفة منهم)
ممن تخلف بالمدينة من المنافقين
(فاستأذنوك للخروج) معك
الى غزوة أخرى (فقل) لهم
(لن تخرجوا معي أبدا ولن
تقاتلوا معي عدوا انكم
رضيتم بالقعود أول مرة
فاقعدوا مع الخالفين)

عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اى كفاك الله والمؤمنين والآية
نزلت بالبيداء فى غزوة بدر وقيل اسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون
رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضى الله تعالى عنه فنزلت ولذلك قال
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما نزلت فى اسلامه (يا ايها النبى حرض المؤمنين
على القتال) بالغ فى حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض
حتى يشفى على الموت وقرئ حرص من الحرص (ان يكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا)
شرط فى معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا
غلبوا بعون الله وتأييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء فى الآيتين
ووافقهم البصريان فى فان تكن منكم مائة صابرة (بانهم قوم لا يفقهون)
بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخرة لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب
وعوالى الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان
(الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله) لما اوجب الله على الواحد مقاومة
العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد
الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير
المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير
واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين
فيها وفيه لغتان الفتح وهو قرأة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين
(والله مع الصابرين) بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون (ما كان لنبى) وقرئ
للنبى على العهد (ان يكون له اسرى) وقرأ البصريان بالتاء (حتى
يثخن فى الارض) يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه
ويعز الاسلام ويستولى اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ
يثخن بالتشديد للمبالغة (يريدون عرض الدنيا) حطامها بأخذكم الفداء
(والله يريد الآخرة) يريد لكم ثواب الآخرة او سبب نيل الآخرة
من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف
كقوله * اكل امرئ تحسبين امرأ * ونار توقد بالليل نارا * (والله عزيز) يغلب
اولياءه على اعدائه (حكيم) يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان
ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما

المتخلفين عن الغزو من
النساء والصبيان وغيرهم *
ولما صلى النبى صلى الله عليه
وسلم على ابن أبى نزل (ولا
تصل على أحد منهم مات أبدا
ولا تقم على قبره) لدفن
أو زيارة (انهم كفروا بالله
ورسوله وماتوا وهم فاسقون)
كافرون (ولا تعجبك أموالهم
وأولادهم انما يريد الله
أن يعذبهم بها فى الدنيا
وتزهق) تخرج (انفسهم
وهم كافرون واذا أنزلت
سورة) أى طائفة من
القرآن (أن) أى بان
(آمنوا بالله وجاهدوا مع
رسوله استاذنك أولوا الطول)
ذوو الغنى (منهم وقالوا
ذرنا نكن مع القاعدين
رضوا بان يكونوا مع
الخوالف) جمع خالفة أى
النساء اللاتى تخلفن فى البيوت
(وطبع على قلوبهم فهم
لا يفقهون) الخير (لكن
الرسول والذين آمنوا معه
جاهدوا باموالهم وأنفسهم
وأولئك لهم الخيرات)
فى الدنيا والآخرة (وأولئك
هم المفلحون) أى الفائزون
(أعد الله لهم جنات تجرى

تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روى انه عليه السلام اتى يوم بدر
بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابى طالب فاستشار فيهم فقال
ابوبكر رضى الله تعالى عنه قومك اهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم
وخذمنهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر رضى الله تعالى عنه اضرب
اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكنى من فلان لنسيب
له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهوذلك رسول الله
صلى الله تعالى وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين
من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك
ياابابكر مثل ابراهيم عليه السلام قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور
رحيم ومثلك ياعمر مثل نوح عليه السلام قال لاتذر على الارض من الكافرين
ديارا فخير اصحابه فأخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر رضى الله تعالى عنه
على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال
يارسول الله اخبرنى فان اجد بكاء بكيت والاتباكيت فقال لابكى على اصحابك
فى اخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة
قريبة والآية دليل على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يجتهدون وانه
قد يكون خطأ ولكن لايقرون عليه (لولا كتاب من الله سبق) لولا حكم
من الله سبق اثباته فى اللوح وهو ان لايعاقب المخطئ فى اجتهاده
اولا يعذب اهل بدر اوقوما لم يصرح لهم بالنهى عنه وان الفدية التى
اخذوها ستحل لهم (لمسكم) لنالكم (فيما اخذتم) من الفداء (عذاب
عظيم) روى انه عليه السلام قال لو نزل العذاب لمانجا منه غير عمر وسعد بن
معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان (فكلوا مما غنمتم) من الفدية فانها
من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبب والسبب
محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث من زعم ان الامر
الوارد بعد الحظر للاباحة (حلالا) حال من المغنوم اوصفة للمصدر اى
اكلا حلالا وفائدته ازاحة ماوقع فى نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة
اوحرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله (طيبا واتقوا الله) فى مخالفته
(ان الله غفور) غفر لكم ذنبكم (رحيم) اباح لكم مااخذتم (ياايها النبى
قل لمن فى ايديكم من الاسرى) وقرأ ابو عمرو من الاسارى (ان يعلم الله
فى قلوبكم خيرا) ايمانا واخلاصا (يؤتكم خيرا مما اخذ منكم) من الفداء

من تحتها الانهار خالدين فيها
ذلك الفوز العظيم وجاء
المعذرون) بادغام التاء
فى الاصل فى الذال أى
المعذورين وقرئ به (من
الاعراب) الى النبى صلى الله
عليه وسلم (ليؤذن لهم) فى
القعود لعذرهم فاذن لهم
(وقعد الذين كذبوا الله
ورسوله) فى ادعاء الايمان
من منافق الاعراب عن
المجئ للاعتذار (سيصيب
الذين كفروا منهم عذاب
أليم ليس على الضعفاء)
كالشيوخ (ولا على المرضى)
كالعمى والزمنى (ولا على
الذين لايجدون ما ينفقون)
فى الجهاد (حرج) اثم فى
التخلف عنه (اذا نصحوا لله
ورسوله) فى حال قعودهم
بعدم الارجاف والتثبيط
والطاعة (ما على المحسنين)
بذلك (من سبيل) طريق
بالمؤاخذة (والله غفور) لهم
(رحيم) بهم فى التوسعة
فى ذلك (ولا على الذين اذا
ماأتوك لتحملهم) معك الى
الغزو وهم سبعة من الانصار
وقيل بنو مقرن (قلت لاأجد
ماأحملكم عليه) حال (تولوا)

روى انها نزلت فى العباس رضى الله عنه كلفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يفدى نفسه وابنى اخويه عقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحارث فقال يامحمد تركتنى اتكفف قريشا ما بقيت قال فاين الذهب الذى دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها انى لاادرى ما يصيبنى فى وجهى هذا فان حدث بى حدث فهو لك ولعبدالله وعبيد الله والفضل وقثم فقال وما يدريك قال اخبرنى به ربى قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسول الله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل قال العباس فابدلنى الله خيرا من ذلك الى الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب فى عشرين الفا واعطانى زمزم ماأحب ان لى بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعنى الموعود بقوله (ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا) يعنى الاسرى (خيانتك) نقض ما عاهدوك (فقد خانوا الله) بالكفر من ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل (من قبل فامكن منهم) اى فامكنهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم (والله عليم حكيم ان الذين آمنوا او هاجروا) او طانهم وهم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبالله ورسوله (وجاهدوا باموالهم) فصرفوها فى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج (وانفسهم فى سبيل الله) بمباشرة القتال (والذين آووا او نصروا) هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم (اولئك بعضهم اولياء بعض) فى الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واو لوا الارحام بعضهم اولى ببعض اوبالنصرة والمظاهرة (والذين آمنوا او لم يهاجروا واما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا) اى من توليهم فى الميراث وقرأ حمزة ولا يتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كأنه بتوليه صاحبه يزاول عملا (وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر) فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين (الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) عهد فانه لاينقض عهدهم بنصرهم عليهم (والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض) فى الميراث او الموازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث والموازرة بينهم وبين المسلمين (الاتفعلوه) ان لاتفعلوا ماامرتم به من التواصل بينكم وتولى بعضكم لبعض حتى فى الوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار (تكن فتنة فى الارض) تحصل فتنة

جواب اذا أى انصرفوا (واعينهم تفيض) تسيل (من) للبيان (الدمع حزنا) لاجل (ألايجدوا ماينفقون) فى الجهاد (انما السبيل على الذين يستأذنوك) فى التخلف (وهم أغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون) تقدم مثله (يعتذرون اليكم) فى التخلف (اذا رجعتم اليهم) من الغزو (قل) لهم (لا تعتذروا لن نؤمن لكم) نصدقكم (قد نبأنا الله من أخباركم أى أخبرنا باحوالكم (وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون) بالبعث (الى عالم الغيب والشهادة) أى الله (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم عليه (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم) رجعتم (اليهم) من تبوك أنهم معذورون فى التخلف (لتعرضوا عنهم) بترك المعاتبة (فاعرضوا عنهم انهم رجس) قذر لخبث باطنهم (ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لايرضى عن القوم

فيها عظيمة وهى ضعف الايمان وظهور الكفر (وفساد كبير) فى الدين وقرئ كثير (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا) لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين فى الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعدلهم الموعد الكريم فقال (لهم مغفرة ورزق كريم) لاتبعة له ولامنة فيه ثم الحق بهم فى الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم) اى من جملتكم ايها المهاجرون والانصار (واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض) فى التوارث من الاجانب (فى كتاب الله) فى حكمه اوفى اللوح اوفى القرآن واستدل به على توريث ذوى الارحام (ان الله بكل شئ عليم) من المواريث والحكمة فى اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا ❊ عن النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد انه برئ من النفاق واعطى عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته

(سورة براءة)

مدنية وقيل الآيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهى آخر مانزلت ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والفاضحة والمنكلة والمشردة والمخزية والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهى التبرئ منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشرد بهم ويدمدم عليهم ويذكر عذابهم وآيها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة اوآية بين موضعها وتوفى ولم يبين وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان فى الانفال ذكر العهود وفى براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلف الصحابة فى انهما سورة واحدة هى سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله (براءة من الله ورسوله) اى هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله

الفاسقين) أى عنهم ولاينفع رضاكم مع سخط الله (الأعراب) أهل البدو (أشد كفرا ونفاقا) من أهل المدن لجفائهم وغلظ طباعهم وبعدهم عن سماع القرآن (وأجدر) أولى (أن) أى بان (لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) من الاحكام والشرائع (والله عليم) بخلقه (حكيم) فى صنعه بهم (ومن الاعراب من يتخذ ماينفق) فى سبيل الله (مغرما) غرامة وخسرانا لانه لايرجو ثوابه بل ينفقه خوفا وهم بنو اسد وغطفان (ويتربص) ينتظر (بكم الدوائر) دوائر الزمان أن تنقلب عليكم فيتخلص (عليهم دائرة السوء) بالضم والفتح أى يدور العذاب والهلاك عليهم لا عليكم (والله سميع) لاقوال عباده (عليم) بافعالهم (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) كجهينة ومزينة (ويتخذ ما ينفق) فى سبيله (قربات) تقربه (عند الله و) وسيلة الى (صلوات) دعوات

(الرسول) له (ألا انها) اى نفقتهم (قربة) بضم الراء وسكونها (لهم) عنده (سيدخلهم الله فى رحمته) جنته (ان الله غفور) لاهل طاعته (رحيم) بهم (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) وهم من شهد بدرا أو جميع الصحابة (والذين اتبعوهم) الى يوم القيامة (باحسان) فى العمل (رضى الله عنهم) بطاعته (ورضوا عنه) بثوابه (وأعدلهم جنات تجرى تحتها الانهار) وفى قراءة بزيادة من (خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم) يا أهل المدينة (من الاعراب منافقون) كأسلم وأشجع وغفار (ومن أهل المدينة) منافقون أيضا (مردوا على النفاق) لجوا فيه واستمروا (لاتعلمهم) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين) بالفضيحة أو القتل فى الدنيا وعذاب القبر (ثم يردون) فى الآخرة (الى عذاب عظيم) هو النار (و) قوم (آخرون) مبتدأ

ورسوله ويجوز ان يكون برآءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر (الى الذين عاهدتم من المشركين) وقرئ بنصبها على اسمعوا برآءة والمعنى ان الله ورسوله بريئان من العهد الذى عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله تعالى واتفاق الرسول فانهما بريئان منها وذلك انهم عاهدوا مشركى العرب فنكثوا الاناسا من بنى ضمرة وبنى كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا فقال (فسيحوا فى الارض اربعة اشهر) شوال وذى القعدة وذى الحجة والمحرم لانها نزلت فى شوال وقيل هى عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روى انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليا رضى الله تعالى عنه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابابكر رضى الله عنه اميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابى بكر فقال لايؤدى عنى الارجل منى فلما دنا على سمع ابوبكر رضى الله تعالى عنهما الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال اميرام مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب ابوبكر رضى الله تعالى عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر عند جمرة العقبة وقال ياايها الناس انى رسول رسول الله اليكم فقالوا بما ذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية ثم قال امرت بأربع ان لايقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى ذى عهد عهده ولعل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لايؤدى عنى الارجل منى ليس على العموم فانه عليه السلام بعث لان لايؤدى عنه كثيرلم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لايتولى العهد ونقضه على القبيلة الارجل منها ويدل عليه انه فى بعض الروايات لاينبغى لاحدان يبلغ هذا الارجل من اهلى (واعلموا انكم غير معجزى الله) لا تفوتونه وان امهلكم (وان الله مخزى الكافرين) بالقتل والاسر فى الدنيا والعذاب فى الآخرة (واذان من الله ورسوله الى الناس) اى اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين (يوم الحج الاكبر) يوم العيد لان فيه تمام الحج

ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روى انه عليه الصلاة والسلام وقف يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هـذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع فى ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقى الاعمال اولان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب اولانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين (ان الله) اى بان الله (برئ من المشركين) اى من عهودهم (ورسوله) عطف على المستكن فى برئ اوعلى محـل ان واسمها فى قرأة من كسرهـا اجراء للاذان مجرى القـول وقرئ بالنصب عطفا عـلى اسم ان اولان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيـه فان براءة من الله اخبـار بثبوت البراءة وهذه اخبـار بوجوب الاعـلام بذلك ولذلك علقه بالنـاس ولم يخص بالمعاهدين (فان تبتم) من الكفر والغدر (فهو) فالتوب (خير لكم وان توليتم) عن التوبة اوثبتم على التولى عن الاسـلام والوفاء (فاعلموا انكم غير معجزى الله) لاتفوتونه طلبـا ولاتعجزونه هربا فى الدنيـا (وبشر الذين كفروا بعذاب اليم) فى الآخرة (الا الذين عاهدتم من المشركين) استثناء من المشركين او استدراك وكأنه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهـد الى الناكثين ولكن الذين عاهـدوا منهم (ثم لم ينقصوكم شـيئا) من شروط العهـد ولم ينكثوه اولم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط (ولم يظـاهروا عليكم احدا) من اعدائكم (فاتموا اليهم عهـدهم الى مدتهم) الى تمـام مدتهم ولا تجروهم مجرى النـاكثين (ان الله يحب المتقين) تعليل وتنبيـه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى (فاذا انسلخ) انقضى واصل الانسلاخ خروج الشئ مما لابسه من سلخ الشاة (الاشهر الحرم) التى ابيح للنـاكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخـل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضى بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها (فاقتلوا المشركين) الناكثين (حيث وجدتموهم) من حل وحرم (وخـذوهم) وأسروهم والاخيـذ الاسير (واحصروهم) واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام (واقعدوا لهم كل مرصد) كل ممر لئلا ينبسطوا فى البـلاد وانتصابه على الظرف (فان تابوا) عن الشرك بالايمان (واقاموا الصـلاة وآتوا الزكاة) تصديقا لتوبتهم وايمـانهم

(اعـترفوا بذنوبهم) من التخلف نعته والخبر (خلطوا عملا صالحا) وهو جهادهم قبـل ذلك أو اعـترافهم بذنوبهم أو غير ذلك (وآخر سـيئا) وهو تخلفهم (عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) نزلت فى أبى لبابة وجماعته أوثقوا انفسهم فى سوارى المسجد لما بلغهم مانزل فى المتخلفـين وحلفوا لايحلهم الا النبى صـلى الله عليه وسـلم فحلهم لما نزلت (خذ من أموالهم صـدقة تطهرهم وتزكيهـم بهـا) من ذنوبهم فاخذ ثلث أموالهم وتصدق بها (وصل عليهم) أى ادع لهم (ان صلوتك سكن) رحمة (لهم) وقيـل طمانينة بقبول توبتهم (والله سميع عليم الم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عبـاده ويأخذ) يقبل (الصدقات وأن الله هو التواب) على عباده بقبول توبتهم (الرحيم) بهم والاستفهام للتقرير والقصد به تهييجهم الى التوبة والصدقة (وقل) لهم أو للناس (اعملوا ماشئتم (فسـيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون)

(فخلوا سبيلهم) فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشئ من ذلك وفيه دليل على
ان تارك الصلاة ومانع الزكاة لايخلى سبيله (ان الله غفور رحيم) تعليل
للامر اى فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ماقد سلف ووعد لهم
الثواب بالتوبة (وان احد من المشركين) المأمور بالتعرض لهم (استجارك)
استأمنك وطلب منه جوارك (فاجره) فآمنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره
ويطلع على حقيقة الامر (ثم ابلغه مأمنه) موضع امنه ان لم يسلم واحد
رفع بفعل يفسره مابعده لابالابتداء لان ان من عوامل الفعل (ذلك)
الامن او الامر (بانهم قوم لايعلمون) ما الايمان وما حقيقة ماتدعوهم اليه
فلابد من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون (كيف يكون للمشركين عهد
عندالله وعند رسوله) استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم
عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم اولان يفى الله ورسوله بالعهد وهم
نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او عندالله وهو
على الاولين صفة للعهد اوظرف له اوليكون وكيف على الاخيرين حال
من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين (الا الذين عاهدتم عند المسجد
الحرام) هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء او الجر على البدل
او الرفع على ان الاستثناء منقطع اى ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد
الحرام (فمااستقاموا لكم فاستقيموا لهم) اى فتربصوا امرهم فان استقاموا
على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم غير
انه مطلق وهذا مقيد وما يحتمل الشرطية والمصدرية (ان الله يحب
المتقين) سبق بيانه (كيف) تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء
حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما فى قوله * وخبرتمانى انما
الموت بالقرى * فكيف وهاتا هضبة وقليب * اى كيف مات (وان يظهروا
عليكم) اى وحالهم انهم ان يظفروا بكم (لايرقبوا فيكم) لايراعوا فيكم
(الا) حلفا وقيل قرابة قال حسان * لعمرك ان الك من قريش * كال السقب
من زال النعام * وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم
كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد
بين الارقاب مالا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من ال
الشئ اذا جدده اومن ال البرق اذا لمع وقيل انه عبرى بمعنى الاله لانه قرئ
ايلا كجبرال وجبرئيل (ولاذمة) عهدا اوحقا يعاب على اغفاله (يرضونكم

بالبعث (الى عالم الغيب
والشهادة) أى الله
(فينبئكم بما كنتم تعملون)
فيجازيكم به (وآخرون)
من المتخلفين (مرجؤن)
بالهمزة وتركه مؤخرون عن
التوبة (لامر الله) فيهم
بمايشاء (امايعذبهم) بان يميتهم
بلاتوبة (واما يتوب عليهم
والله عليم) بخلقه (حكيم)
فى صنعه بهم وهم الثلاثة
الآتون بعد مرارة بن الربيع
وكعب بن مالك وهلال بن
امية تخلفوا كسلا وميلا الى
الدعة لانفاقا ولم يعتذروا
الى النبى صلى الله عليه وسلم
كغيرهم فوقف أمرهم خمسين
ليلة وهجرهم الناس حتى
نزلت توبتهم بعد (و) منهم
(الذين اتخذوا مسجدا) وهم
اثنا عشر من المنافقين
(ضرارا) مضارة لاهل
مسجد قباء (وكفرا) لانهم
بنوه بامر أبى عامر الراهب
ليكون معقلاله يقدم فيه من
يأتى من عنده وكان ذهب ليأتى
بجنود من قيصر لقتال النبى
صلى الله عليه وسلم
(وتفريقا بين المؤمنين)
الذين يصلون بقباء بصلاة

بأفواههم) استئناف بيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد فى الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه (وتأبى قلوبهم) ما تتفوه به افواههم (واكثرهم فاسقون) متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروءة تردعهم وتخصيص الاكثر لما فى بعض الكفرة من التفادى عن الغدر والتعفف عما يجر احدوثة السوء (اشتروا بآيات الله) استبدلوا بالقرآن (ثمنا قليلا) عوضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات (فصدوا عن سبيله) دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد (انهم ساء ما كانوا يعملون) عملهم هذا او ما دل عليه قوله (لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة) فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام فى المنافقين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم (واولئك هم المعتدون) فى الشرارة (فان تابوا) عن الكفر (واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم) فهم اخوانكم (فى الدين) لهم ما لكم وعليهم ما عليكم (ونفصل الايات لقوم يعلمون) اعتراض للحث على تأمل ما فصل من احكام المعاهدين اوخصال التائبين (وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم) وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء بالعهود (وطعنوا فى دينكم) بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام (فقاتلوا ائمة الكفر) اى فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوى الرياسة والتقدم فى الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى وروح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن (انهم لا ايمان لهم) اى لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمى اذا طعن فى الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر ليست يمينا وهو ضعيف لان المراد نفى الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم وقرأ ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان

بعضهم مسجدهم (وارصادا) ترقبا (لمن حارب الله ورسوله من قبل) اى قبل بنائه وهو أبو عامر المذكور (وليحلفن ان ما) (أردنا) ببنائه (الا) الفعلة (الحسنى) من الرفق بالمسكين فى المطر والحر والتوسعة على المسلمين (والله يشهد انهم لكاذبون) فى ذلك وكانوا سألوا النبى صلى الله عليه وسلم أن يصلى فيه فنزل (لا تقم) تصل (فيه أبدا) فارسل جماعة هدموه وحرقوه وجعلوا مكانه كناسة تلقى فيها الجيف (لمسجد أسس) بنيت قواعده (على التقوى من أول يوم) وضع يوم حللت بدار الهجرة وهو مسجد قباء كما فى البخارى (أحق) منه (أن) أى بأن (تقوم) تصلى (فيه فيه رجال) هم الانصار (يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) أى يثيبهم وفيه ادغام التاء فى الاصل فى الطاء روى ابن خزيمة فى صحيحه عن عويمر ابن ساعدة أنه صلى الله عليه

او لا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتدين وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لايؤمنون على الاخبار عن قوم معينين اوليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله (لعلهم ينتهون) متعلق بقاتلوا اى ليكن غرضكم فى المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لاايصال الاذية بهم كماهو طريقة المؤذين (الاتقاتلون قوما) تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفى للانكار فافادت المبالغة فى الفعل (نكثوا ايمانهم) التى حلفوها مع الرسول عليه السلام والمؤمنين على ان لايعاونوا عليهم فاعانوا بنى بكر على خزاعة (وهموا باخراج الرسول) حين تشاوروا فى امره بدار الندوة على مامر ذكره فى قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة (وهم بدأ وكم اول مرة) بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه الصلاة والسلام بدأهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدى به فعدلوا عن معارضته الى المعادات والمقاتلة فايمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم (اتخشونهم) أتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم (فالله احق ان تخشوه) فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره (ان كنتم مؤمنين) فان قضية الايمان لايخشى الامنه (قاتلوهم) امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعيد عليه (يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم) وعدلهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) يعنى بنى خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب (ويذهب غيظ قلوبهم) لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والآية من المعجزات (ويتوب الله على من يشاء) ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقدكان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين (والله عليم) بما كان وما سيكون (حكيم) لايفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة (ام حسبتم) خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان (ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد نفى المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث

وسلم أتاهم فى مسجد قباء فقال ان الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء فى الطهور فى قصة مسجد كم فا هذا الطهور الذى تطهرون به قالوا والله يارسول الله مانعلم شيئا الأنه كان لنا جيران من اليهود وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا وفى حديث رواه البزار فقالوا نتبع الحجارة بالماء فقال هو ذاك فعليكموه (أفمن اسس بنيانه على تقوى) مخافة (من الله و) رجاء (رضوان) منه (خير أم من أسس بنيانه على شفا) طرف (جرف) بضم الراء وسكونها جانب (هار) مشرف على السقوط (فانهار به) سقط مع بانيه (فى نار جهنم) خير تمثيل للبناء على ضد التقوى بمايؤل اليه والاستفهام للتقرير اى الاول خير وهو مثال مسجد قباء والثانى مثال مسجد الضرار (والله لايهدى القوم الظالمين لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة) شكا (فى قلوبهم الأأن تقطع) تنفصل (قلوبهم) بان يموتوا

ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه (ولم يتخذوا) عطف على جاهدوا داخل
في الصلة (من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) بطانة يوالونهم
و يفشون اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك متوقع
(والله خبير بما تعملون) يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما
يعلم الله (ما كان للمشركين) ما صح لهم (ان يعمروا مساجد الله) شيئا من
المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد
وامامها فعامره كعامر الجميع وتدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو و يعقوب
بالتوحيد (شاهدين على انفسهم بالكفر) باظهار الشرك وتكذيب الرسول
وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين
عمارة بيت الله وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك
وقطيعة الرحم واغلظ له علي رضي الله تعالى عنه في القول فقال تذكرون
مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج
ونفك العاني فنزلت (اولئك حبطت اعمالهم) التي يفتخرون بها بما قارنها
من الشرك (وفي النار هم خالدون) لاجله (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله
واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة) اي انما يستقيم عمارتها لهؤلاء
الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها
بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لا تبن له
كحديث الدنيا وعن النبي عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي
المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في
بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان
الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلاة وآتى الزكاة
عليه (ولم يخش الا الله) اي في ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية
لا يكاد الرجل العاقل يتمالك عنها (فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين) ذكر
بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا
لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين
عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا
عليها (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم
الآخر وجاهد في سبيل الله) السقاية والعمارة مصدرا سقى وعمر فلا يشبهان
بالجثث بل لا بد من اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن آمن

(والله عليم) بخلقه (حكيم)
في صنعه بهم (ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم
وأموالهم) بان يبذلوها
في طاعته كالجهاد (بان لهم
الجنة يقاتلون في سبيل الله
فيقتلون ويقتلون) جملة
استئناف بيان للشراء وفي
قراءة بتقديم المبني للمفعول
أي فيقتل بعضهم و يقاتل
الباقي (وعدا عليه حقا)
مصدران منصوبان بفعلهما
المحذوف (في التوراة
والانجيل والقرآن ومن
أوفى بعهده من الله) أي لا
أحد أوفى منه (فاستبشروا)
فيه التفات عن الغيبة
(ببيعكم الذي بايعتم به وذلك)
البيع (هو الفوز العظيم)
النيل غاية المطلوب (التائبون)
رفع على المدح بتقدير مبتدأ
من الشرك والنفاق
(العابدون) المخلصون
العبادة لله (الحامدون)
له على كل حال (السائحون)
الصائمون (الراكعون
الساجدون) أي المصلون
(الآمرون بالمعروف والناهون
عن المنكر والحافظون
لحدود الله) لاحكامه بالعمل

اواجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن و يؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله (لايستوون عندالله) و بين عدم تساويهم بقوله (والله لايهدى القوم الظالمين) اى الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم منهمكون فى الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم و بين المؤمنين (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عندالله) اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم تستجمع هذه الصفات فيه اومن اهل السقاية والعمارة عندكم (واولئك هم الفائزون) بالثواب ونيل الحسنى عندالله دونكم (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها) فى الجنات (نعيم مقيم) دائم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف (خالدين فيها ابدا) اكد الخلود بالتأبيد لانه قديستعمل للمكث الطويل (ان الله عنده اجر عظيم) يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله اونعيم الدنيا (ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء) نزلت فى المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا و بقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لاتتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان و يصدونكم عن الطاعة لقوله (ان استحبوا الكفر على الايمان) ان اختاروه وحرضوا عليه (ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون) بوضعهم الموالاة فى غير محلها (قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم) اقرباؤكم مأخوذ من العشرة وقيل من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ ابو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم (واموال اقترفتموها) اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادها) فوات وقت نفاقها (ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله) الحب الاختيارى دون الطبعى فانه لايدخل تحت التكليف والتحفظ عنه (فتربصوا حتى يأتى الله بامره) جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة اوآجلة وقيل فتح مكة (والله لايهدى القوم الفاسقين) لايرشدهم وفى الآية تشديد عظيم وقل من

بها (و بشر المؤمنين) بالجنة * ونزل فى استغفاره صلى الله عليه وسلم لعمه أبى طالب واستغفار بعض الصحابة لابويه المشركين (ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى) ذوى قرابة (من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) النار بأن ماتوا على الكفر (وماكان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه) بقوله سأستغفر لك ربى رجاء أن يسلم (فلما تبين له أنه عدولله) بموته على الكفر (تبرأ منه) وترك الاستغفار له (ان ابراهيم لاواه) كثير التضرع والدعاء (حليم) صبور على الاذى (وما كان الله ليضل قوما بعد اذهداهم) للاسلام (حتى يبين لهم مايتقون) من العمل فلا يتقوه فيستحقوا الاضلال (ان الله بكل شئ عليم) ومنه مستحق الاضلال والهداية (ان الله له ملك السموات والارض يحيى و يميت ومالكم) أيها الناس (من دون الله) أى غيره (من ولى) يحفظكم منه

يتخلص عنه (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة) يعنى مواطن الحرب هى مواقعها (و يوم حنين) ومواطن يوم حنين و يجوز ان يقدر فى ايام مواطن او يفسر المواطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع ابدال قوله (اذا عجبتكم كثرتكم) منه ان يعطف على موضع فى مواطن فانه لا يقتضى تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضى كثرتهم واعجابها اياهم فى جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطائف حارب فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثنى عشر الفا العشر الذين حضروا فتح مكة وألفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيفا وكانوا اربعة آلاف فلما التقوا قال النبى صلى الله عليه وسلم او ابو بكر رضى الله عنه او غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة و بقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مركزه ليس معه الا عمه العباس رضى الله عنه آخذ ابلجامه وابن عمه ابو سفيان ابن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهى شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى ياعباد الله يااصحاب الشجرة يااصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه الصلاة والسلام هذا حين حمى الوطيس واخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا (فلم تغن عنكم) اى الكثرة (شيئا) من الاغناء او من امر العدو (وضاقت عليكم الارض بما رحبت) برحبها اى سعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب اولا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه (ثم وليتم) الكفار ظهوركم (مدبرين) منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال (ثم انزل الله سكينته) رحمته التى سكنوا بها وامنوا (على رسوله وعلى المؤمنين) الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يفروا (وانزل جنودا لم تروها) باعينكم يعنى الملائكة وكانوا خمسة آلاف او ثمانية او ستة عشر على اختلاف الاقوال (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر والسبى (وذلك جزاء الكافرين) اى مافعل بهم جزاء كفرهم فى الدنيا (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) منهم بالتوفيق للاسلام (والله غفور رحيم) يتجاوز

(ولا نصير) يمنعكم عن ضرره (لقد تاب الله) أى أدام توبته (على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة) أى وقتها وهى حالهم فى غزوة تبوك كان الرجلان يقتسمان تمرة والعشرة يعتقبون البعير الواحد واشتد الحر حتى شربوا الفرث (من بعد ما كادتزيغ) بالتاء والياء تميل (قلوب فريق منهم) من اتباعه الى التخلف لما هم فيه من شدة (ثم تاب عليهم) بالثبات (انه بهم رؤف رحيم و) تاب (على الثلاثة الذين خلفوا) عن التوبة عليه بقرينة (حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) أى مع رحبها أى سعتها فلا يجدون مكانا يطمئنون اليه (وضاقت عليهم أنفسهم) قلوبهم للغم والوحشة بتأخير توبتهم فلا يسعها سرور ولا أنس (وظنوا) أيقنوا (أن) مخففة (لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم) وفقهم للتوبة (ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم ياأيها

الذين آمنوا اتقوا الله) بترك معاصيه (وكونوا مع الصادقين) في الايمان والعهود بان تلزموا الصدق (ماكان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) اذا غزا (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) بان يصونوها عما رضيه لنفسه من الشدائد وهو نهي بلفظ الخبر (ذلك) أي النهي عن التخلف (بانهم) بسبب أنهم (لا يصيبهم ظمأ) عطش (ولا نصب) تعب (ولا مخمصة) جوع (في سبيل الله ولا يطؤن موطئا) مصدر بمعنى وطأ (يغيظ) يغضب (الكفار ولا ينالون من عدو) لله (نيلا) قتلا أو أسرا أونهبا (الا كتب لهم به عمل صالح) ليجازوا عليه (ان الله لا يضيع اجر المحسنين) اى أجرهم بل يثيبهم (ولا ينفقون) فيه (نفقة صغيرة) ولو تمرة (ولا كبيرة ولا يقطعون واديا) بالسير (الا كتب لهم) ذلك (ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) أي جزاء * ولما وبخوا على التخلف وارسل

عنهم ويتفضل عليهم روى ان ناسا منهم جاؤا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واسلموا وقالوا يارسول الله انت خير الناس وابراهم وقدسبى اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقدسبى يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم مالا يحصى فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اختاروا اماسبايا كم واما اموالكم فقالوا ماكنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ان هؤلاء جاؤ مسلمين وانا خيرناهم بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبى وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال انى لا ادرى لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قدرضوا (ياايها الذين آمنوا انما المشركون نجس) لخبث باطنهم اولانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس اولانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان ماالغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد من كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس (فلا يقربوا المسجد الحرام) لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة اوللمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهى عن الحج والعمرة لاعن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله تعالى وقاس مالك رحمه الله سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع (بعد عامهم هذا) يعنى سنة براءة وهى التاسعة وقيل سنة حجة الوداع (وان خفتم عيلة) فقرا بسبب منعهم عن الحرام وانقطاع ماكان لكم من قدومهم من المكاسب والارزاق (فسوف يغنيكم الله من فضله) من عطائه اوتفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر كالعاقبة اوحال (ان شاء) قيد بالمشيئة لينقطع الآمال الى الله تعالى ولينبه على انه تعالى متفضل في ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام (ان الله عليم) باحوالكم (حكيم) فيما يعطى ويمنع (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) اى لا يؤمنون بهما على ما ينبغى كما بيناه

فى اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان (ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله) ماثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذى يزعمون اتباعه والمعنى انهم مخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا (ولا يدينون دين الحق) الثابت الذى هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها (من الذين اوتوا الكتاب) بيان للذين لا يؤمنون (حتى يعطوا الجزية) ماتقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه (عن يد) حال من الضمير فى يعطوا اى عن يد مواتية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدى غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة (وهم صاغرون) اذلاء عن ابن عباس رضى الله عنهما تؤخذ الجزية من الذمى ويوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضى تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضى الله تعالى عنه لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عنده عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه انه عليه السلام اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا يؤخذ منهم الجزيه عندنا وعند ابى حنيفة رحمه الله تعالى يؤخذ منهم الا من مشركى العرب لما روى الزهرى انه عليه الصلات والسلام صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك رحمه الله تعالى تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها فى كل سنة دينار سواء فيه الغنى والفقير وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى على الغنى ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شئ على فقير غير كسوب (وقالت اليهود عزير ابن الله) انما قاله بعضهم من متقدميهم او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التوراة وهو لما احياه الله بعد مائة عام املى عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ماهذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائى ويعقوب عزير بالتنوين على انه عربى مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه فى القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء

النبى صلى الله عليه وسلم سرية نفروا جميعا فنزل (وما كان المؤمنون لينفروا) الى الغزو (كافة فلولا) فهلا (نفر من كل فرقة) قبيلة (منهم طائفة) جماعة ومكث الباقون (ليتفقهوا) اى الماكثون (فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) من الغزو بتعليمهم ما تعلموه من الاحكام (لعلهم يحذرون) عقاب الله بامتثال أمره ونهيه قال ابن عباس فهذه مخصوصة بالسرايا والتى قبلها بالنهى عن تخلف واحد فيما اذا خرج النبى صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) أى الاقرب فالاقرب منهم (وليجدوا فيكم غلظة) شدة أى اغلظوا عليهم (واعلموا أن الله مع المتقين) بالعون والنصر (واذا ما أنزلت سورة) من القرآن (فمنهم) أى المنافقين (من يقول) لاصحابه استهزاء (أيكم زادته هذه ايمانا) تصديقا قال تعالى (فاما الذين آمنوا فزادتهم

الساكنين تشبيها للنون بحرف اللين اولان الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهومزيف لانه يؤدى الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر (وقالت النصارى المسيح ابن الله) هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب اولان يفعل مافعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها (ذلك قولهم بافواههم) اما تأكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفى للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذى يوجد فى الافواه ولا يوجد مفهومه فى الاعيان (يضاهون قول الذين كفروا) اى يضاهى قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه (من قبل) اى من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله او يهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرأبه عاصم ومنه قولهم امرأة ضهياء على فعيل للتى شابهت الرجال فى انها لاتحيض (قاتلهم الله) دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم (انى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق الى الباطل (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله) بان اطاعوهم فى تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم الله او بالسجود لهم (والمسيح ابن مريم) بان جعلوه ابنا لله (وما امروا) اى وما امر المتخذون او المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ (الا ليعبدوا) ليطيعوا (الها واحدا) وهو الله واما طاعة الرسل وسائر من امر الله بطاعته فهو فى الحقيقة طاعة الله (لا اله الا الله) صفة ثانية او استئناف مقرر للتوحيد (سبحانه عما يشركون) تنزيه له عن ان يكون له شريك (يريدون ان يطفئوا) يخمدوا (نور الله) حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القرآن او نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (بافواههم) بشركهم او بتكذيبهم (ويأبى الله) اى لا يرضى (الا ان يتم نوره) باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم فى طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث فى الآفاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه فى معنى النفى (ولو كره الكافرون) محذوف الجواب لدلالة ماقبله عليه (هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) كالبيان لقوله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر

ايمانا) لتصديقهم بها (وهم يستبشرون) يفرحون بها (وأما الذين فى قلوبهم مرض) ضعف اعتقاد (فزادتهم رجسا الى رجسهم) كفرا الى كفرهم لكفرهم بها (وماتوا وهم كافرون أولا يرون) بالياء أى المنافقون والتاء أيها المؤمنون (أنهم يفتنون) يبتلون (فى كل عام مرة أو مرتين) بالقحط والامراض (ثم لا يتوبون) من نفاقهم (ولاهم يذكرون) يتعظون (واذا ما أنزلت سورة) فيها ذكرهم وقرأها النبى صلى الله عليه وسلم (نظر بعضهم الى بعض) يريدون الهرب يقولون (هل يراكم من أحد) اذا قمتم فان لم يروهم أحد قاموا والاثبتوا (ثم انصرفوا) على كفرهم (صرف الله قلوبهم) عن الهدى (بأنهم قوم لا يفقهون) الحق لعدم تدبرهم (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) اى منكم محمد صلى الله عليه وسلم (عزيز) شديد (عليه ما عنتم) اى عنتكم اى مشقتكم

(ولو كره المشركون) غير انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة
على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير فى ليظهره للدين
الحق او للرسول عليه السلام واللام فى الدين للجنس اى على سائر الاديان
فينسخها او على اهلها فيخذلهم (ياأيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار
والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل) يأخذونها بالرشى فى الاحكام
سمى اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه (ويصدون عن سبيل الله)
دينه (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله) يجوز
ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة فى وصفهم بالحرص
على المال والضن به وان يراد به المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه
ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل
عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضى الله تعالى عنه لرسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقى
من اموالكم وقوله عليه السلام ما ادى زكاته فليس بكنز اى بكنز اوعد
عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه
واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوى بها ونحوه فالمراد منه من لم يؤد
حقها لقوله عليه الصلاة والسلام فيما اورده الشيخان مرويا عن ابى هريرة
رضى الله تعالى عنه ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها
الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره
(فبشرهم بعذاب اليم) هو الكى بهما (يوم يحمى عليها فى نار جهنم)
اى يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء
للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على
المقصود فانتقل من صيغة التأنيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها
والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال على رضى الله
تعالى عنه اربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله
ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز او الاموال فان الحكم عام
وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها
ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم (فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم) لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة
بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية اولانهم ازوروا عن السائل

ولقاؤكم المكروه (حريص عليكم) أن تهتدوا (بالمؤمنين رؤف) شديد الرحمة (رحيم) يريد لهم الخير (فان تولوا) عن الايمان بك (فقل حسبى) كافى (الله لا اله الا هو عليه توكلت) به وثقت لا بغيره (وهو رب العرش) الكرسى (العظيم) خصه بالذكر لانه أعظم المخلوقات وروى الحاكم فى المستدرك عن أبى بن كعب قال آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول الى آخر السورة

(سورة يونس مكية الا فان كنت فى شك الآيتين او الثلاث أو ومنهم من يؤمن به الآية مائة وتسع أو عشر آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) الله أعلم بمراده بذلك (تلك) أى هذه الآيات (آيات الكتاب) القرآن والاضافة بمعنى من (الحكيم) المحكم (أكان للناس) أى أهل مكة استفهام انكار والجار والمجرور حال من قوله (عجبا) بالنصب خبر كان وبالرفع اسمها والخبر وهو اسمها على الاول (أن اوحينا) أى ايحاؤنا (الى رجل منهم)

واعرضوا عنه وولوه ظهورهم اولانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التى هى الدماغ والقلب والكبد اولانها اصول الجهات الاربع التى هى مقاديم البدن وما آخره وجنباه (هذا ما كنزتم) على ارادة القول (لانفسكم) لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها (فذوقوا ما كنتم تكنزون) اى وبال كنزكم اوما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون (ان عدة الشهور) اى مبلغ عددها (عند الله) معمول عدة لانها مصدر (اثنا عشر شهرا فى كتاب الله) فى اللوح المحفوظ اوفى حكمه وهو صفة لاثنا عشر وقوله (يوم خلق السموات والارض) متعلق بما فيه من معنى الثبوت اوبالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت فى نفس الامر منذ خلق الله الاجرام والازمنة (منها اربعة حرم) واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم (ذلك الدين القيم) اى تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما (فلا تظلموا فيهن انفسكم) بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصى فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها فى الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لايحل للناس ان يغزوا فى الحرم والاشهر الحرم الان يقاتلوا ويؤيد الاول ماروى انه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين فى شوال وذى القعدة (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) جميعا وهى مصدر كف عن الشئ فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال (واعلموا ان الله مع المتقين) بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم (انما النسئ) اى تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش انما النسى بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسى بحذفها والنسى والنساء وثلاثتها مصادر نسأه اذا اخره (زيادة فى الكفر) لانه تحريم ما احله الله وتحليل ماحرمه فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم (يضل به الذين كفروا) ضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائى وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله تعالى (يحلونه عاما) يحلون النسئ من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر (ويحرمونه عاما)

محمد صلى الله عليه وسلم (أن) مفسرة (أنذر) خوف (الناس) الكافرين بالعذاب (و بشر الذين آمنوا أن) أى بأن (لهم قدم) سلف (صدق عند ربهم) اى أجرا حسنا بما قدموه من الاعمال (قال الكافرون ان هذا) القرآن المشتمل على ذلك (لسحر مبين) بين وفى قراءة لساحر والمشار اليه النبى صلى الله عليه وسلم (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام) من أيام الدنيا أى فى قدرها لانه لم يكن ثم شمس ولاقمر ولو شاء لخلقهن فى لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت (ثم استوى على العرش) استواء يليق به (يدبر الامر) بين الخلائق (مامن) زائدة (شفيع) يشفع لاحد (الامن بعد اذنه) رد لقولهم ان الاصنام تشفع لهم (ذلكم) الخالق المدبر (الله ربكم فاعبدوه) وحدوه (أفلا تذكرون) بادغام التاء فى الاصل فى الذال (اليه) تعالى (مرجعكم جميعا وعد الله حقا) مصدران

فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكنانى كان يقوم على جمل فى الموسم فينادى ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادى فى القابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال (ليوا طئوا عدة ماحرم الله) اى ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بمادل عليه مجموع الفعلين (فيحلوا ماحرم الله) بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت (زين لهم سوء اعمالهم) وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا (والله لايهدى القوم الكافرين) هداية موصلة الى الاهتداء (ياأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم) تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل وثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ (الى الارض) متعلق به كأنه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدى بالى وكان ذلك فى غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم (ارضيتم بالحياة الدنيا) وغرورها (من الآخرة) بدل الآخرة ونعيمها (فامتاع الحياة الدنيا) فما التمتع بها (فى الآخرة) فى جنب الآخرة (الاقليل) مستحقر (الاتنفروا) ان لاتنفروا الى ما استنفرتم اليه (يعذبكم عذابا اليما) بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو (ويستبدل قوما غيركم) ويستبدل بكم آخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس (ولاتضروه شيئا) اذلايقدح تثاقلكم فى نصرة دينه شيئا فانه الغنى عن كل شئ وفى كل امر وقيل الضمير للرسول عليه الصلاة والسلام اى ولاتضروه فان الله وعده بالعصمة والنصرة ووعده حق (والله على كل شئ قدير) فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلامدد كما قال تعالى (الاتنصروه فقد نصره الله) اى ان لم تنصروه فسينصره الله كما نصره الله (اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين) ولم يكن معه الارجل واحد فحذف الجزاء واقيم ماهو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصرة حتى نصره فى مثل ذلك الوقت فلن يخذله فى غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه اوقتله تسبب لاذن الله له بالخروج وقرئ ثانى اثنين بالسكون على لغة من يجرى المنقوص مجرى المقصور فى الاعراب ونصبه على الحال (اذهما فى الغار) بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب فى اعلى ثور وهو جبل

منصوبان بفعلهما المقدر (انه) بالكسر استئنافا والفتح على تقدير اللام (يبدؤ الخلق) اى بدأه بالانشاء (ثم يعيده) بالبعث (ليجزى) يثيب (الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم) ماء بالغ نهاية الحرارة (وعذاب اليم) مؤلم (بما كانوا يكفرون) اى بسبب كفرهم (هو الذى جعل الشمس ضياء) ذات ضياء اى نور (والقمر نورا وقدره) من حيث سيره (منازل) ثمانية وعشرين منزلا فى ثمان وعشرين ليلة ان كان تسعة وعشرين يوما (لتعلموا) بذلك (عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك) المذكور (الا بالحق) لاعبثا تعالى عن ذلك (يفصل) بالياء والنون يبين (الآيات لقوم يعلمون) يتدبرون (ان فى اختلاف الليل والنهار) بالذهاب والمجئ والزيادة والنقصان (وماخلق الله فى السموات) من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وغير ذلك (و) فى (الارض)

فى يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثافيه ثلاثا (اذيقول) بدل ثان اوظرف لثانى (لصاحبه) وهو ابوبكر رضى الله تعالى عنه (لاتحزن ان الله معنا) بالعصمة والمعونة روى ان المشركين طلعوا فوق الغار فأشفق ابوبكر رضى الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عليه السلام ماظنك باثنين الله ثالثهما فأعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لمادخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا فى اسفله والعنكبوت فنسجت عليه (فانزل الله سكينته) امنته التى تسكن عندها القلوب (عليه) على النبى اوعلى صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا (وايده بجنود لم تروها) يعنى الملائكة انزلهم يحرسوه فى الغار اوليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) يعنى الشرك اودعوة الكفر (وكلمة الله هى العليا) يعنى التوحيد اودعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من ايدى الكفار الى المدينة فانه المبدأله اوبتأييده اياه بالملائكة فى هذه المواطن اوبحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لمافيه من الاشعار بان كلمة الله عالية فى نفسها وان فاق غيرها فلاثبات لتفوقه ولااعتبار ولذلك وسط الفصل (والله عزيز حكيم) فى امره وتدبيره (انفروا خفافا) لنشاطكم له (وثقالا) عنه لمشقته عليكم اولقلة عيالكم ولكثرتها اوركبانا ومشاة اوخفافا وثقالا من السلاح اوصحاحا ومراضاولذلك لماقال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اعلى ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج (وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله) بما امكن لكم منهما كليهما اواحدهما (ذلكم خير لكم) من تركه (ان كنتم تعلمون) الخير علمتم انه خير اوان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله به صدق فبادروا اليه (لوكان عرضا قريبا) اى لوكان مادعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ (وسفرا قاصدا) متوسطا (لاتبعوك) لوافقوك (ولكن بعدت عليهم الشقة) المسافة التى تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين (وسيحلفون بالله) اى المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين (لواستطعنا) يقولون لوكان لنا استطاعة العدة اوالبدن وقرئ لواستطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير فى قوله اشتروا

من حيوان وجبال وبحار وأنهار واشجار وغيرها (لآيات) دلالات على قدرته تعالى (لقوم يتقون) فيؤمنون خصهم بالذكر لانهم المنتفعون بها (ان الذين لايرجون لقاءنا) بالبعث (ورضوا بالحياة الدنيا) بدل الآخرة لانكارهم لها (واطمأنوا بها) سكنوا اليها (والذين هم عن آياتنا) دلائل وحدانيتنا (غافلون) تاركون للنظر فيها (أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) من الشرك والمعاصى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم) يرشدهم (ربهم بايمانهم) به بان يجعل لهم نورا يهتدون به يوم القيامة (تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم دعواهم فيها) طلبهم لمايشتهونه فى الجنة أن يقولوا (سبحانك اللهم) أى يا الله فاذا ماطلبوه بين أيديهم (وتحيتهم) فيما بينهم (فيها سلام وآخر دعواهم أن) مفسرة (الحمد لله رب العالمين) * ونزل لما استعجل المشركون العذاب (ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم)

السلالة (لخرجنا معكم) ساد مسد جوابى القسم والشرط وهذا من
المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه (يهلكون انفسهم) بايقاعها
فى العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس فى
الهلاك او حال من فاعله (والله يعلم انهم لكاذبون) فى ذلك لانهم كانوا
مستطيعين بالخروج (عفا الله عنك) كناية عن خطأه فى الاذن فان العفو
من روادفه (لم اذنت لهم) بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاى
شئ اذنت لهم فى القعود حين استأذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت
(حتى يتبين لك الذين صدقوا) فى الاعتذار (وتعلم الكاذبين) فيه قيل
انما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه
للفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله
واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم) اى ليس من عادة المؤمنين
ان يستأذنوك فى ان يجاهدوا فان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يتوقفون
على الاذن فيه فضلا ان يستأذنوا فى التخلف عنه او ان يستأذنوك فى التخلف
كراهة ان يجاهدوا (والله عليم بالمتقين) شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم
بالثواب (انما يستأذنك) فى التخلف (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر)
تخصيص الايمان بالله واليوم الآخر فى الموضعين للاشعار بان الباعث على
الجهاد والرادع عنه الايمان وعدم الايمان بهما (وارتابت قلوبهم
فهم فى ريبهم يترددون) اى يتحيرون (ولو ارادوا الخروج لاعدوا
له) للخروج (عدة) اهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله
واخلفوك عد الامر الذى وعدوا * وعده بكسر العين باضافة وبغيرها
(ولكن كره الله انبعاثهم) استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج
كأنه قال ماخرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اى نهوضهم
للخروج (فثبطهم) فحبسهم بالجبن والكسل (وقيل اقعدوا مع القاعدين)
تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج فى قلوبهم اووسوسة الشيطان بالامر
بالقعود اوحكاية قول بعضهم لبعض اواذن الرسول عليه السلام لهم
والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم
(لوخرجوا فيكم مازادوكم) بخروجهم شيئا (الاخبالا) فسادا اوشرا
ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لوخرجوا زادوه لان الزيادة
باعتبار أعم العام الذى وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء

أى كاستعجالهم (بالخير لقضى) بالبناء للمفعول وللفاعل (اليهم أجلهم) بالرفع والنصب بان يهلكهم ولكن يمهلهم (فنذر) نترك (الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون) يترددون متحيرين (واذا مس الانسان) الكافر (الضر) المرض والفقر (دعانا لجنبه) اى مضطجعا (أو قاعدا أو قائما) اى فى كل حال (فلما كشفنا عنه ضره مر) على كفره (كأن) مخففة واسمها محذوف أى كأنه (لم يدعنا الى ضر مسه كذلك) كما زين له الدعاء عند الضر والاعراض عند الرخاء (زين للمسرفين) المشركين (ما كانوا يعملون ولقد أهلكنا القرون) الامم (من قبلكم) يا أهل مكة (لما ظلموا) بالشرك (و) قد (جاءتهم رسلهم بالبينات) الدالات على صدقهم (وما كانوا ليؤمنوا) عطف على ظلموا (كذلك) كما أهلكنا أولئك (نجزى القوم المجرمين) الكافرين (ثم جعلناكم) يا أهل مكة (خلائف) جمع

خليفة (فى الارض من بعدهم انظر كيف تعملون) فيها وهل تعتبرون بهم فتصدقوا رسلنا (واذا تتلى عليهم آياتنا) القرآن (بينات) ظاهرات حال (قال الذين لايرجون لقاءنا) لايخافون البعث (ائت بقرآن غير هذا) ليس فيه عيب آلهتنا (أوبدله) من تلقاء نفسك (قل) لهم (مايكون) ينبغى (لى أن أبدله من تلقاء) قبل (نفسى ان) ما (أتبع الا ما يوحى الى انى أخاف ان عصيت ربى) بتبديله (عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة (قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولاأدراكم) أعلمكم (به) ولا نافية عطف على ماقبل وفى قراءة بلام جواب لوأى لاعلمكم به على لسان غيرى (فقد لبثت) مكثت (فيكم عمرا) سنينا أربعين (من قبله) لاأحدثكم بشئ (أفلا تعقلون) أنه ليس من قبلى (فمن) أى لاأحد (أظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه (أوكذب بآياته) القرآن (انه) أى الشان (لايفلح)

منقطعا وليس كذلك لانه لايكون مفرغا (ولاوضعوا خلالكم) ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب او الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع (يبغونكم الفتنة) يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم او الرعب فى قلوبكم والجملة حال من الضمير فى اوضعوا (وفيكم سماعون لهم) ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم (والله عليم بالظالمين) فيعلم ضمائرهم ومايتأتى منهم (لقد ابتغوا الفتنة) تشتيت امرك وتفريق اصحابك (من قبل) يعنى يوم احد فان ابن ابى واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ماخرج بوامع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الى ذى جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد (وقلبوا لك الامور) ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآراء فى ابطال امرك (حتى جاء الحق) النصر والتأييد الالهى (وظهر امر الله) علا دينه (وهم كارهون) اى على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين على تخلفهم وبيان مائبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لمافوت الرسول عليه الصلاة والسلام بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه (ومنهم من يقول ائذن لى) فى القعود (ولا تفتنى) ولاتوقعنى فى الفتنة اى العصيان والمخالفة بان لاتأذن لى وفيه اشعار بانه لامحالة متخلف اذن له اولم يأذن او فى الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذلا كافل لهم بعدى او فى الفتنة بنساء الروم لماروى ان جدبن قيس قال قدعلمت الانصار انى مولع بالنساء فلاتفتنى ببنات الاصفر ولكنى اعينك بمالى فاتركنى (الا فى الفتنة سقطوا) اى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها اوهى فتنة التخلف اوظهور النفاق لاما احترزوا عنه (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) جامعة لهم يوم القيامة اوالآن لا حاطة اسبابها بهم (ان تصبك) فى بعض غزواتك (حسنة) ظفروغنيمة (تسؤهم) لفرط حسدهم (وان تصبك) فى بعضها (مصيبة) كسراوشدة كما اصاب يوم احد (يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل) تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا آراءهم فى التخلف (ويتولوا) عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له اوعن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (وهم فرحون) مسرورون (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) الا مااختصنا باثباته وايجابه من النصرة والشهادة اوما كتب لاجلنا فى اللوح المحفوظ

لا يتغير بموافقتكم ومخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو من
فيعل لامن فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه
من الصواب لانه وقوع الشئ فيما قصدبه وقيل من الصوب (هو مولانا)
ناصرنا متولى امرنا (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لان حقهم ان
لايتوكلوا على غيره (قل هل تربصون بنا) تنتظرون بنا (الااحدى الحسنيين)
الااحدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة
(ونحن نتربص بكم) ايضا احدى السوءين (ان يصيبكم الله بعذاب
من عنده) بقارعة من السماء (او بايدينا) او بعذاب بايدينا وهو
القتل على الكفر (فتربصوا) ماهو عاقبتنا (انامعكم متربصون) ماهو
عاقبتكم (قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم) امر فى معنى
الخبر اى لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا اوكرها وفائدته
المبالغة فى تساوى الانفاقين فى عدم القبول كانهم امروا بان
يمتحنوا فينفقوا و ينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جدبن قيس
واعينك بمالى ونفى القبل يحتمل امرين ان لايؤخذ منهم وان لايثابوا عليه
وقوله (انكم كنتم قوما فاسقين) تعليل له على سبيل الاستئناف ومابعده
بيان وتقرير له (ومامنعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله
و برسوله) اى ومامنعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائى
ان يقبل بالياء لان تأنيث النفقات غير حقيقى وقرئ يقبل على ان الفعل لله
(ولايأتون الصلوة الا وهم كسالى) متثاقلين (ولا ينفقون الا وهم كارهون)
لانهم لايرجون بهما ثوابا ولايخافون على تركهما عقابا (فلا تعجبك
اموالهم ولا اولادهم) فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال (انما يريد الله
ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا) بسبب مايكابدون لجمعها وحفظها من
المتاعب ومايرون فيها من الشدائد والمصائب (وتزهق انفسهم وهم
كافرون) فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر فى العاقبة فيكون
ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة (و يحلفون
بالله انهم لمنكم) لمن جملة المسلمين (وماهم منكم) لكفر قلوبهم
(ولكنهم قوم يفرقون) يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون
بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية (لو يجدون ملجأ) حصنا يلجأون اليه
(ومغارات) غيرانا (اومدخلا) نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول

يسعد (المجرمون) المشركون
(و يعبدون من دون الله)
أى غيره (مالايضرهم) ان
لم يعبدوه (ولا ينفعهم) ان
عبدوه و هو الاصنام
(و يقولون) عنها (هؤلاء
شفعاؤنا عندالله قل) لهم
(أتنبئون الله) تخبرونه (بما
لايعلم فى السموات ولا
فى الارض) استفهام انكار
اذ لوكان له شريك لعلمه اذ
لايخفى عليه شئ (سبحانه)
تنزيهاله (وتعالى عمايشركون)
معه (وماكان الناس الا أمة
واحدة) على دين واحد
وهو الاسلام من لدن آدم
الى نوح وقيل من عهد
ابراهيم الى عمرو بن لحى
(فاختلفوا) بأن ثبت بعض
وكفر بعض (ولولا كلمة
سبقت من ربك) بتأخير
الجزاء الى يوم القيامة (لقضى
بينهم) اى الناس فى الدنيا
(فيما فيه يختلفون) من الدين
بتعذيب الكافرين (و يقولون)
اى اهل مكة (لولا) هلا
(انزل عليه) على محمد صلى
الله عليه وسلم (آية من ربه)
كما كان للانبياء من الناقة
والعصا واليد (فقل) لهم

وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا اى مكانا يدخلون فيه
انفسهم ومتدخلا ومندخلا من تدخل واندخل (لو لوا اليه) لاقبلوا نحوه
(وهم يجمحون) يسرعون اسراعا لا يردهم شئ كالفرس الجموح وقرئ
يجمزون ومنه الجمازة (ومنهم من يلمزك) يعيبك وقرأ ابن كثير يلامزك
وقرأ يعقوب يلمزك بالضم (فى الصدقات) فى قسمها (فان اعطوا منها
رضوا وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون) قيل انها نزلت فى ابى الجواظ
المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم ويزعم
انه يعدل وقيل فى ابن ذى الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة
بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يارسول الله فقال ويلك ان لم اعدل
فمن يعدل واذا للمفاجأة نائب مناب الفاء الجزائية (ولو انهم رضوا ما آتاهم الله
ورسوله) ما اعطاهم الرسول عليه السلام من الغنيمة او الصدقة وذكر الله
للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام كان بأمره
(وقالوا حسبنا الله) كفانا فضله (سيؤتينا الله من فضله) صدقة او غنيمة
اخرى (ورسوله) فيؤتينا اكثر مما آتانا (انا الى الله راغبون) فى ان يغنينا من
فضله والآية بأسرها فى حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان
خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول عليه
الصلاة والسلام فقال (انما الصدقات للفقراء والمساكين) اى الزكوة
لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم فى قسم
الزكوة دون الغنائم والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته
من الفقار كأنه اصيب فقاره والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه من
السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت
لمساكين وانه عليه السلام كان يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس
لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة (والعاملين عليها) الساعين فى تحصيلها
وجمعها (والمؤلفة قلوبهم) قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستألف
قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عيينة بن حصن والاقرع بن حابس
والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف يستألفون على ان يسلموا فانه عليه
الصلاة والسلام كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس

(انما الغيب) ما غاب عن العباد
اى أمره (لله) ومنه الآيات
فلا يأتى بها الا هو وانما على
التبليغ (فانتظروا) العذاب
ان لم تؤمنوا (انى معكم
من المنتظرين واذا أذقنا
الناس) اى كفار مكة (رحمة)
مطرا وخصبا (من بعد ضراء)
بؤس وجدب (مستهم اذا لهم
مكر فى آياتنا) بالاستهزاء
والتكذيب (قل)
لهم (الله أسرع مكرا)
مجازاة (ان رسلنا) الحفظة
(يكتبون ما تمكرون)
بالتاء والياء (هو الذى يسيركم)
وفى قراءة ينشركم (فى البر
والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك)
السفن (وجرين بهم) فيه التفات
عن الخطاب (بريح طيبة) لينة
(وفرحوا بها جاءتها ريح
عاصف) شديدة الهبوب
تكسر كل شئ (وجاءهم الموج
من كل مكان وظنوا أنهم أحيط
بهم) أى أهلكوا (دعوا الله
مخلصين له الدين) الدعاء
(لئن) لام قسم (أنجيتنا من
هذه) الاهوال (لنكونن من

الذى كان خاص ماله وقد عدمنهم من يؤلف قلبه بشئ منهـا على قتـال
الكفار ومانعى الزكاة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سوادالاسلام فلمااعزه الله
واكثر اهله سقط (وفى الرقاب) وللصرف فى فك الرقاب بان يعاون المكاتب
بشئ منهـا على اداء النجـوم وقيـل بان تبتـاع الرقاب فتعتـق وبه قال
مالك واحـد اوبان يفـدى الاسـارى والعـدول عن اللام الى فى
للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لاللرقاب وقيل للايذان بانهم احق بهـا
(والغارمين) المديون لانفسـهم فى غير معصيـة اذا لم يكن لهم وفاء او
لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله عليه الصلاة والسـلام لاتحل
الصدقة لغنى الالخمسة لغاز فى سبيل الله اولغارم اورجل اشتراهابماله اورجل له
جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغنى اولعـامل عليها
(وفى سـبيل الله) وللصرف فى الجهـاد بالانفاق على المتطوعة وابتيـاع
الكراع والسلاح وقيل فى بناء القناطير والمصانع (وابن السبيل) المسافر
المنقطع عن ماله (فريضة من الله) مصـدر لمادل عليه الآية اى فرض
لهم الصـدقات فريضة اوحال من الضمير المسـتكن فى للفقراء وقرئ بالرفع
على تلك فريضة (والله عليم حكيم) يضع الاشـياء فى مواضعها وظـاهر
الآية يقتضى تخصيص استحقـاق الزكاة بالاصنـاف الثمـانية ووجـوب
الصرف الى كل صنف وجـد منهم ومراعاة التسـوية بينهم قضيـة
للاشـتراك واليه ذهب الشـافعى رضى الله تعـالى عنه وعن عمر وحذيفة
وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتـابعين رضوان الله عليهم اجمعـين
جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلاثة واختاره بعض اصحابنا
وبه كان يفتى شيخى ووالدى رحمهما الله تعـالى على ان الآية بيـان ان
الصدقة لاتخرج منهم لاايجاب قسمهـا عليهم (ومنهم الذين يؤذون النبى
ويقولون هواذن) يسمع كل مايقال له ويصدقه سمى بالجـارحة للمبـالغة
كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمى الجاسـوس عينا لذلك
اواشـتق له فعل من اذن اذا استمع كانف وشـلل روى انهم قالوا محمـد
اذن سـامعة نقول ماشـئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول (قل اذن خير لكم)
تصديق لهم بانه اذن ولكن لاعلى الوجـه الذى ذموابه بل من حيث انه
يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله (يؤمن بالله) يصدق به لماقام عنـده
من الادلة (ويؤمن للمؤمنـين) ويصـدقهم لما علم من خلـوصهم واللام

الشاكرين) الموحدين (فلما
أنجاهم اذاهم يبغون فى الارض
بغير الحـق) بالشرك (ياأيها
النـاس انمـا بغيكم) ظلمكم
(على أنفسكم) لان اثمه عليها
هو (متاع الحيوة الدنيا) تمتعون
بها قليلا (ثم الينا مرجعكم)
بعد الموت (فننبئكم بما كنتم
تعملون) فنجازيكم عليه وفى
قراءة بنصب متاع أى تمتعون
(انمـا مثل) صفة (الحيـوة
الدنيا كماء) مطر (أنزلناه من
السمـا فاختلط به) بسـببه
(نبات الارض) واشـتبك
بعضـه ببعض (ممـا يأكل
الناس) من البر والشعير وغيرهما
(والانعـام) من الكلا (حتى
اذا أخذت الارض زخرفها)
بهجتها من النبات (وازينت)
بالزهر وأصله تزينت أبدلت
التـاء زايا وأدغمت فى الزاى
(وظن أهلهـا أنهم قادرون
عليهـا) متمكنون من تحصيل
ثمـارهـا (أتاهـا أمرنا)
قضـاؤنا أوعذابنـا (ليلا
أونهارا فجعلناها) أى زرعها
(حصيـدا) كالمحصـود
بالمنـاجل (كأن) مخففة أى
كأنها (لم تغن) تكن (بالامس
كذلك نفصل) نبين (الآيات

لقوم يتفكرون والله يدعو الى دار السلام) أى السلامة وهى الجنة بالدعاء الى الايمان (ويهدى من يشاء) هدايته (الى صراط مستقيم) دين الاسلام (للذين احسنوا) الايمان (الحسنى) الجنة (وزيادة) هى النظر اليه تعالى كما فى حديث مسلم (ولا يرهق) يغشى (وجوههم قتر) سواد (ولاذلة) كآبة (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين) عطف على للذين أحسنوا أى وللذين (كسبوا السيئات) عملوا الشرك (جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من) زائدة (عاصم) مانع (كأنما أغشيت) ألبست (وجوههم قطعا) بفتح الطأ جمع قطعة باسكانها أى جزأ (من الليل مظلما أولئك اصحاب النارهم فيها خالدون و) اذكر (يوم نحشرهم) أى الخلق (جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) نصب بالزموا مقدرا (أنتم) تأكيد للضمير المستتر فى الفعل المقدر ليعطف عليه (وشركاؤكم) أى الاصنام

مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان (ورحمة) اى وهو رحمة (للذين آمنوا منكم) لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئت بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن خير اى يأذن لكم رحمة وقرأنا فع اذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان خير صفة له او خبر ثان (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم) بايذائه (يحلفون بالله لكم) على معاذيرهم فيما قالوا او تخلفوا (ليرضوكم) لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين (والله ورسوله احق ان يرضوه) احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين اولان الكلام فى ايذاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وارضائه اولان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك (ان كانوا مؤمنين) صدقا (ألم يعلموا انه) ان الشأن وقرئ بالتاء (من يحادد الله ورسوله) يشاقق الله مفاعلة من الحد (فان له نار جهنم خالدا فيها) على حذف الخبر اى فحق ان له اوعلى تكرير ان للتأكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فان له بالكسر (ذلك الخزى العظيم) يعنى الاهلاك الدائم (يحذر المنافقون ان تنزل عليهم) على المؤمنين (سورة تنبئهم بما فى قلوبهم) وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان تكون الضمائر للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقرؤ ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا فى كفرهم وانهم لم يكونوا على بت فى امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بشئ وقيل انه خبر فى معنى الامر وقيل كانوا يقولون فيما بينهم استهزاء لقوله (قل استهزؤا ان الله مخرج) مبرز ومظهر (ماتحذرون) اى ماتحذرونه من انزال السورة فيكم اوماتحذرون اظهاره من مساويكم (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) روى ان ركب المنافقين مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله تعالى به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لاوالله ماكنا فى شئ من امرك وامر اصحابك ولكن كنا فى شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم

تستهزؤن) توبيخا على استهزائهم بمن لايصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولايعبأ باعتذارهم الكاذب (لاتعتذروا) لاتشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب (قد كفرتم) قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والطعن فيه (بعد ايمانكم) بعد اظهاركم الايمان (ان يعف عن طائفة منكم) لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء (يعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء فاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كأنه قال ان ترحم طائفة (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) اى متشابهة فى النفاق والبعد عن الايمان كأبعاض الشئ الواحد وقيل انه تكذيبهم فى حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وماهم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله (يأمرون بالمنكر) بالكفر والمعاصى (وينهون عن المعروف) عن الايمان والطاعة (ويقبضون ايديهم) عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح (نسوا الله) اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته (فنسيهم) فتركهم من فضله ولطفه (ان المنافقين هم الفاسقون) الكاملون فى التمرد والفسوق عن دائرة الخير (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها) مقدرين الخلود (هى حسبهم) عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها (ولعنهم الله) ابعدهم من رحمته وأهانهم (ولهم عذاب مقيم) لاينقطع والمراد به ماوعدوه اوما يقاسونه من تعب النفاق (كالذين من قبلكم) اى انتم مثل الذين اوفعلتم مثل مافعل الذين من قبلكم (كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا) بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم (فاستمتعوا بخلاقهم) نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ماقدر لصاحبه (فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر فى العاقبة والسعى فى تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء أثرهم (وخضتم) ودخلتم فى الباطل (كالذى خاضوا) كالذين خاضوا اوكالفوج الذى خاضوا اوكالخوض الذى خاضوه (اولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة) لم يستحقوا عليها

(فزيلنا) ميزنا (بينهم) وبين المؤمنين كما فى آية وامتازوا اليوم أيها المجرمون (وقال) لهم (شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون) ما نافية وقدم المفعول للفاصلة (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان) مخففة أى انا (كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك) أى ذلك اليوم (تبلو) من البلوى وفى قراءة بتاءين من التلاوة (كل نفس ما أسلفت) قدمت من العمل (وردوا الى الله مولاهم الحق) الثابت الدائم (وضل) غاب (عنهم ما كانوا يفترون) عليه من الشركاء (قل) لهم (من يرزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات (أمن يملك السمع) بمعنى الاسماع أى خلقها (والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر) بين الخلائق (فسيقولون) هو (الله فقل) لهم (أفلا تتقون) ه فتؤمنون (فذلكم) الفعال لهذه الاشياء (الله ربكم الحق الثابت فماذا بعد الحق الا الضلال) استفهام تقرير أى ليس بعده غيره فمن أخطأ

ثوابا فى الدارين (واولئك هم الخاسرون) الذين خسروا فى الدنيا والآخرة (الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح) اغرقوا بالطوفان (وعاد) اهلكوا بالريح (وثمود) اهلكوا بالرجفة (وقوم ابراهيم) اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه (واصحاب مدين) واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة (والمؤتفكات) قريات قوم لوط ائتفكت بهم اى انقلبت بهم فصارت عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر (اتتهم رسلهم) يعنى الكل (بالبينات فما كان الله ليظلمهم) اى لم يكن من عادته مايشابه ظلم الناس كالعقوبة بلاجرم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) حيث عرضها للعقاب بالكفر والتكذيب (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض) فى مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله) فى سائر الامور (اولئك سيرحمهم الله) لامحالة فان السين مؤكدة للوقوع (ان الله عزيز) غالب على كل شئ لايمتنع عليه مايريده (حكيم) يضع الاشياء مواضعها (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة) تستطيبها النفس اويطيب فيها العيش وفى الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر (فى جنات عدن) اقامة وخلود وعنه عليه الصلاة والسلام عدن دار الله التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لايسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد اوللجميع على سبيل التوزيع اوالى تغاير وصفه وكأنه وصفه اولا بانه من جنس ماهوا بهى الاماكن التى يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول مايقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التى لاتخلو عن شئ منها اماكن الدنيا وفيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات فى جوار العليين لايعتريهم فيها فناء ولاتغير ثم وعدهم بماهو اكبر من ذلك فقال (ورضوان من الله اكبر) لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدى الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ومالنا لانرضى وقد اعطيتنا

الحق وهو عبادة الله وقع فى الضلال (فأنى) كيف (تصرفون) عن الايمان مع قيام البرهان (كذلك) كما صرف هؤلاء عن الايمان (حقت كلمة ربك على الذين فسقوا) كفروا وهى لأملأن جهنم الآية أوهى (أنهم لايؤمنون قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون) تصرفون عن عبادته مع قيام الدليل (قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق) بنصب الحجج وخلق الاهتداء (قل الله يهدى للحق افمن يهدى الى الحق) وهو الله (احق ان يتبع أمن لايهدى) يهتدى (الاأن يهدى) أحق أن يتبع استفهام تقرير وتوبيخ أى الاول أحق (فمالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الفاسد من اتباع مالايحق اتباعه (ومايتبع اكثرهم) فى عبادة الاصنام (الاظنا) حيث قلدوا فيه آباءهم (ان الظن لايغنى من الحق شيئا) فيما المطلوب منه العلم (ان الله عليم بما يفعلون)

مالم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واى شئ افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم ابدا (ذلك) اى الرضوان اوجميع ماتقدم (هو الفوز العظيم) الذى يستحقر دونه الدنيا ومافيها (يا ايها النبي جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالزام الحجة واقام الحدود (واغلظ عليهم) فى ذلك ولا تحابهم (ومأواهم جهنم و بئس المصير) مصيرهم (يحلفون بالله ماقالوا) روى انه عليه الصلاة والسلام اقام فى غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن و يعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان مايقول محمد لاخواننا حقالنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ماقاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته (ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام (وهموا بما لم ينالوا) من قتل الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن ظهر راحلته الى الوادى اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبيناهما كذلك اذسمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا اواخراجه واخراج المؤمنين من المدينة او بان يتوجوا عبدالله بن ابى وان لم يرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وما نقموا) وما انكروا اوما وجدوا مايورث نقمتهم (الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله) فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج فى ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بديته اثنى عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل اوالعلل (فان يتوبوا يك خيرا لهم) هو الذى حمل الجلاس على التوبة والضمير فى يك للتوب (وان يتولوا) بالاصرار على النفاق (يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا والآخرة) بالقتل والنار (ومالهم فى الارض من ولى ولا نصير) فينجيهم من العذاب (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين) نزلت فى ثعلبة بن حاطب اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقنى مالا فقال عليه الصلاة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا لاعطين كل ذى

فيجازيهم عليه (وما كان هذا القرآن أن يفترى) أى افتراء (من دون الله) أى غيره (ولكن) أنزل (تصديق الذى بين يديه) من الكتب (وتفصيل الكتاب) تبيين ما كتبه الله من الاحكام وغيرها (لاريب) شك (فيه من رب العالمين) متعلق بتصديق أو بأنزل المحذوف وقرئ برفع تصديق وتفصيل بتقدير هو (أم) بل أ(يقولون افتراه) اختلقه محمد (قل فأتوا بسورة مثله) فى الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء فانكم عربيون فصحاء مثلى (وادعوا) للاعانة عليه (من استطعتم من دون الله) أى غيره (ان كنتم صادقين) فى أنه افتراء فلم تقدروا على ذلك قال تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) أى القرآن ولم يتدبروه (ولما) لم (يأتهم تأويله) عاقبة مافيه من الوعيد (كذلك) التكذيب (كذب الذين من قبلهم) رسلهم (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) بتكذيب الرسل أى آخر أمرهم من الهلاك فكذلك نهلك هؤلاء (ومنهم)

(وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله) ايثارا للدعة
والخفض على طاعة الله فيه وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها
تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج (وقالوا لاتنفروا فى الحر) اى قاله
بعضهم لبعض اوقالوه للمؤمنين تثبيطا (قل نار جهنم اشد حرا) وقد
آثرتموها بهذه المخالفة (لوكانوا يفقهون) ان مآبهم اليها اوانها
هى مااختاروها بايثار الدعة على الطاعة (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا
جزاء بما كانوا يكسبون) اخبار عما يؤل اليه حالهم فى الدنيا والآخرة
اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون
الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم (فان
رجعك الله الى طائفة منهم) فان ردك الله الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين
يعنى منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين اومن بقى منهم وكان المتخلفون
اثنى عشر رجلا (فاستأذنوك للخروج) الى غزوة اخرى بعد تبوك (فقل
لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلو معى عدوا) اخبار فى معنى النهى للمبالغة
(انكم رضيتم بالقعود اول مرة) تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان
الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هى الخرجة الى غزوة تبوك
(فاقعدوا مع الخالفين) اى المتخلفين لعدم طاقتهم للجهاد كالنساء والصبيان
وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين (ولاتصل على احد منهم مات ابدا)
روى ان ابن ابى دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مرضه فلما دخل
عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه فى شعاره الذى يلى جسده ويصلى عليه
فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلى عليه فنزلت وقيل صلى
عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين فى قميصه ونهى عن الصلاة عليه
لان الضنة بالقميص كانت مخلة بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه العباس
قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلاة الدعاء للميت والاستغفار له وهو
ممنوع فى حق الكفار ولذلك رتب النهى على قوله مات ابدا يعنى الموت
على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحى (ولاتقم على
قبره) ولاتقف عند قبره للدفن اوالزيارة (انهم كفروا بالله ورسوله
وماتوا وهم فاسقون) تعليل للنهى اولتأبيد الموت (ولاتعجبك اموالهم
واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق انفسهم وهم
كافرون) تكرير للتأكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال

يستأخرون) يتأخرون عنه
ساعة ولايستقدمون)
يتقدمون عليه (قل أرأيتم)
أخبرونى (ان أتاكم عذابه)
أى الله (بياتا) ليلا (أونهارا
ماذا) أى شئ (يستعجل منه)
أى العذاب (المجرمون)
المشركون فيه وضع
الظاهر موضع المضمر
وجملة الاستفهام جواب
الشرط كقولك اذا أتيتك
ماذا تعطينى والمراد به
التهويل أى ماأعظم
مااستعجلوه (أثم اذاماوقع)
حل بكم (آمنتم به) أى
الله أوالعذاب عند نزوله
والهمزة لانكار التأخير
فلايقبل منكم ويقال
لكم (آلآن) تؤمنون
(وقد كنتم به تستعجلون)
استهزاء (ثم قيل للذين
ظلموا ذوقوا عذاب الخلد)
أى الذى تخلدون فيه
(هل) ما (تجزون الا)
جزاء (بما كنتم تكسبون
ويستنبئونك) يستخبرونك
(أحق هو) أى ماوعدتنا
به من العذاب والبعث
(قل اى) نعم (وربى
انه لحق وماأنتم بمعجزين)

والاولاد والنفوس مختبطة عليها ويجوز ان يكون هذه فى فريق غير الاول
(واذا انزلت سورة) من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها (ان آمنوا
بالله) بان آمنوا بالله ويجوز ان تكون ان المفسرة (وجاهدوا مع رسوله
استأذنك اولوا الطول منهم) ذو والفضل والسعة (وقالوا ذرنا نكن
مع القاعدين) الذين قعدوا لعذر (رضوا بان يكونوا مع الخوالف) مع
النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذى لاخير فيه (وطبع على قلوبهم
فهم لايفقهون) مافى الجهاد وموافقة الرسول من السعادة ومافى التخلف
عنه من الشقاوة (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم
وانفسهم) اى ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم
(واولئك لهم الخيرات) منافع الدارين النصر والغنيمة فى الدنيا والجنة
والكرامة فى الآخرة وقيل الحور لقوله تعالى فيهن خيرات حسان وهى
جمع خيرة تخفيف خيرة (واولئك هم المفلحون) الفائزون بالمطالب (اعد الله
لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) بيان
لمالهم من الخيرات الاخروية (وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم) يعنى
اسدا وغطفان استأذنوا فى التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم
رهط عامر ابن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طى على اهالينا ومواشينا
والمعذر اما من عذر فى الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من
اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء فى الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين
لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب معذرون من اعذر
اذا اجتهد فى العذر وقرئ بتشديد العين والذال على انه من تعذر بمعنى
اعتذر وهو لحن اذ التاء لاتدغم فى العين وقد اختلف فى انهم كانوا معتذرين
بالتصنع او بالصحة فيكون قوله (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) فى غيرهم
وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله فى ادعاء الايمان وان كانوا
هم الاولين فكذبهم بالاعتذار (سيصيب الذين كفروا منهم) من الاعراب
او من المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره (عذاب اليم) بالقتل
والنار (ليس على الضعفاء ولا على المرضى) كالهرمى والزمنى (ولا على
الذين لايجدون ماينفقون) لفقرهم كجهينة ومزينة وبنى عذرة (حرج)
اثم فى التأخر (اذا نصحوا لله ورسوله) بالايمان والطاعة فى السر والعلانية
كما يفعل المولى الناصح او بما قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام

بفائتين العذاب (ولو
أن لكل نفس ظلمت)
كفرت (ما فى الارض)
جميعا من الامور (لافتدت
به) من العذاب يوم القيامة
(وأسروا الندامة) على ترك
الايمان (لما رأوا العذاب)
أى أخفاها رؤساؤهم
عن الضعفاء الذين أضلوهم
مخافة التعيير (وقضى
بينهم) بين الخلائق
(بالقسط) بالعدل (وهم
لايظلمون) شيئا (ألا
ان لله مافى السموات والارض
ألا ان وعد الله) بالبعث والجزاء
(حق) ثابت (ولكن اكثرهم) اى
الناس (لايعلمون) ذلك
(هو يحيى ويميت واليه
ترجعون) فى الآخرة فيجازيكم
بأعمالكم (ياأيها الناس)
أى أهل مكة (قد جاءتكم
موعظة من ربكم)
كتاب فيه مالكم وعليكم
وهو القرآن (وشفاء)
دواء (لمافى الصدور)
من العقائد الفاسدة
والشكوك (وهدى)
من الضلال (ورحمة
للمؤمنين) (قل بفضل الله)

الاسلام (وبرحمته) القرآن (فبذلك) الفضل والرحمة (فليفرحوا هو خير مما يجمعون) من الدنيا بالياء والتاء (قل أرأيتم) أخبرونى (ما انزل الله) خلق (لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا) كالبحيرة والسائبة والميتة (قل آلله أذن لكم) فى ذلك التحريم والتحليل لا (أم) بل (على الله تفترون) تكذبون بنسبة ذلك اليه (وماظن الذين يفترون على الله الكذب) أى أى شئ ظنهم به (يوم القيامة) أيحسبون أنه لايعاقبهم لا (ان الله لذو فضل على الناس) بامهالهم والانعام عليهم (ولكن أكثرهم لايشكرون وماتكون) يامحمد (فى شأن) أمر (وماتتلومنه) أى من الشأن او الله (من قرآن) أنزله عليك (ولاتعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا) رقباء (اذ تفيضون) تأخذون (فيه) اى العمل (ومايعزب) يغيب (عن ربك من مثقال) وزن

والمسلمين بالصلاح (ماعلى المحسنين من سبيل) اى ليس عليهم جناح ولاالى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون فى سلك المحسنين غير معاتبين لذلك (والله غفور رحيم) لهم اوللمسئ فكيف المحسن (ولاعلى الذين اذاما اتوك لتحملهم) عطف على الضعفاء اوعلى المحسنين وهم البكاؤن سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبدالله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبدالله بن مغفل وعلبة ابن زيد اتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا اندرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال عليه السلام لااجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنومقرن بن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه (قلت لااجد مااحملكم عليه) حال من الكاف فى اتوك باضمار قد (تولوا) جواب اذا (واعينهم تفيض) تسيل (من الدمع) اى دمعها فان من للبيان وهى مع المجرور فى محل النصب على التمييز وهو ابلغ من تفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا (حزنا) نصب على العلة اوالحال اوالمصدر لفعل دل عليه ماقبله (ان لايجدوا) اى لئلايجدوا متعلق بحزنا اوبتفيض (ماينفقون) فى مغزاهم (انما السبيل) بالمعاتبة (على الذين يستأذنونك وهم اغنياء) واجدون للاهبة (رضوا بان يكونوا مع الخوالف) استئناف لبيان ماهو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام فى جملة الخوالف ايثارا للدعة (وطبع الله على قلوبهم) حتى غفلوا عن وخامة العاقبة (فهم لايعلمون) مغبته (يعتذرون اليكم) فى التخلف (اذا رجعتم اليهم) من هذه السفرة (قل لاتعتذروا) بالمعاذير الكاذبة لانه (لن نؤمن لكم) نصدقكم لانه (قد نبأنا الله من اخباركم) اعلمنا بالوحى الى نبيه بعض اخباركم وهو مافى ضمائركم من الشر والفساد (وسيرى الله عملكم ورسوله) اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه فكأنه استتابة وامهال للتوبة (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) اى اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لايفوت عن علمه شئ من ضمائرهم واعمالهم (فينبئكم بما كنتم تعملون) بالتوبيخ والعقاب عليه (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم) فلاتعاتبوهم (فاعرضوا عنهم) ولاتوبخوهم (انهم رجس) لاينفع فيهم التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لاتقبل

التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة (ومأواهم جهنم) من تمام التعليل وكأنه قال ارجاس من اهل النار لاينفع فيهم التوبيخ فى الدنيا والآخرة اوتعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عقابا فلا تتكلفوا عتابهم (جزاء بما كانوا يكسبون) يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة (يحلفون لكم لترضوا عنهم) بحلفهم فيستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم (فان ترضوا عنهم فان الله لايرضى عن القوم الفاسقين) اى فان رضاكم لايستلزم رضى الله ورضاكم وحدكم لاينفعهم اذا كانوا فى سخط الله وبصدد عقابه او ان امكنهم ان يلبسوا عليكم لايمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم وينزل الهوان بهم والمقصود من الآية النهى عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم (الاعراب) اهل البدو (اشد كفرا ونفاقا) من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة (واجدر ان لايعلموا) واحق بان لايعلموا (حدود ما انزل الله على رسوله) من الشرائع فرائضها وسننها (والله عليم) يعلم حال كل واحد من اهل الوبر والمدر (حكيم) فيما يصيب مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا (ومن الاعراب من يتخذ) يعد (ما ينفق) يصرفه فى سبيل الله ويتصدق به (مغرما) غرامة وخسرانا اذ لايحتسبه عند الله ولايرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء او تقية (ويتربص بكم الدوائر) دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق (عليهم دائرة السوء) اعتراض بالدعاء عليهم بنحو مايتربصونه او الاخبار عن وقوع مايتربصون عليهم والدائرة فى الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور وسمى بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرأ ابو عمرو وابن كثير السوء هنا وفى الفتح بضم السين (والله سميع) لما يقولون عند الانفاق (عليم) بما يضمرون (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله) سبب قربات وهى ثان مفعولى يتخذ وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ (وصلوات الرسول) وسبب صلواته لانه عليه الصلاة والسلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلى عليه كما قال عليه الصلاه والسلام اللهم صل على آل ابى اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره (الا انها قربة لهم) شهادة من الله

(ذرة) أصغر نملة (فى الارض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين) بين هو اللوح المحفوظ (ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) فى الآخرة هم (الذين آمنوا وكانوا يتقون) الله بامتثال أمره ونهيه (لهم البشرى فى الحيوة الدنيا) فسرت فى حديث صححه الحاكم بالرؤيا الصالحة تراها الرجل أوترى له (وفى الآخرة) بالجنة والثواب (لاتبديل لكلمات الله) لاخلف لمواعيده (ذلك) المذكور (هو الفوز العظيم ولا يحزنك قولهم) لك لست مرسلا وغيره (ان) استئناف (العزة) القوة (لله جميعا هو السميع) للقول (العليم) بالفعل فيجازيهم وينصرك (ألا ان لله من فى السموات ومن فى الارض) عبيدا وملكا وخلقا (ومايتبع الذين يدعون) يعبدون (من دون الله) أى غيره أصناما (شركاء) له على الحقيقة

بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرأ ورش بضم الراء (سيدخلهم الله فى رحمته) وعدلهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله (ان الله غفور رحيم) لتقريره قيل الاولى فى اسد وغطفان وبنى تميم والثانية فى عبد الله ذى البجادين وقومه (والسابقون الاولون من المهاجرين) هم الذين صلوا الى القبلتين اوالذين شهدوا بدرا اوالذين اسلموا قبل الهجرة (والانصار) اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابوزرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون (والذين اتبعوهم باحسان) اللاحقون بالسابقين من القبيلتين اومن الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة (رضى الله عنهم) بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم (ورضوا عنه) بما نالوا من النعمة الدينية والدنيوية (واعدلهم جنات تجرى تحتها الانهار) وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو فى سائر المواضع (خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم) اى وممن حول بلدتكم يعنى المدينة (من الاعراب منافقون) وهم من جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار وكانوا نازلين حولها (ومن اهل المدينة) عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته (مردوا على النفاق) ونظيره فى حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله * انا ابن جلا وطلاع الثنايا * وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم فى النفاق (لاتعلمهم) لاتعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمها رتهم فيه وتنوقهم فى تحامى مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك (نحن نعلمهم) ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا (سنعذبهم مرتين) بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكاة ونهك الابدان (ثم يردون الى عذاب عظيم) الى عذاب النار (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) ولم يعتذروا عن تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سوارى المسجد لما بلغهم مانزل فى المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكرله انهم اقسموا ان لايحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لااحلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) خلطوا

تعالى عن ذلك (ان) ما (يتبعون) فى ذلك (الا الظن) أى ظنهم أنها آلهة تشفع لهم (وان) ما (هم الا يخرصون) يكذبون فى ذلك (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) اسناد الابصار اليه مجاز لانه يبصر فيه (ان فى ذلك لآيات) دلالات على وحدانيته تعالى (لقوم يسمعون) سماع تدبر واتعاظ (قالوا) أى اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله (اتخذ الله ولدا) قال تعالى لهم (سبحانه) تنزيها له عن الولد (هو الغنى) عن كل أحد وانما يطلب الولد من يحتاج اليه (له مافى السموات ومافى الارض) ملكا وخلقا وعبيدا (ان) ما (عندكم من سلطان) حجة (بهذا) الذى تقولونه (أتقولون على الله مالا تعلمون) استفهام توبيخ (قل ان الذين يفترون على الله الكذب) بنسبة الولد اليه (لايفلحون) لايسعدون

العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئ هو
التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء
شاة ودرهما او الدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر (عسى الله
ان يتوب عليهم) ان يقبل توبتهم وهى مدلول عليها بقوله اعترفوا
بذنوبهم (ان الله غفور رحيم) يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه (خذ من
اموالهم صدقة) روى انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التى
خلفتنا تصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا
فنزلت (تطهرهم) من الذنوب اوحب المال المؤدى بهم الى مثله وقرئ
تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر (وتزكيهم
بها) وتنمى بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين (وصل عليهم)
واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم (ان صلواتك سكن لهم) تسكن
اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة
والكسائى وحفص بالتوحيد (والله سميع) باعترافهم (عليم) بندامتهم
(ألم يعلموا) الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن فى قلوبهم قبول
توبتهم والاعتداد بصدقاتهم اولغيرهم والمراد به التحضيض عليهما
(ان الله هو يقبل التوبة عن عباده) اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى
التجاوز (ويأخذ الصدقات) يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدى بدله
(وان الله هو التواب الرحيم) وان من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل
عليهم (وقل اعملوا) ما شئتم (فسيرى الله عملكم) فانه لا يخفى عليه خيرا
كان اوشرا (ورسوله والمؤمنون) فانه تعالى لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم
(وستردون الى عالم الغيب والشهادة) بالموت (فينبئكم بما كنتم تعملون)
بالمجازاة عليه (وآخرون) من المتخلفين (مرجؤن) مؤخرون اى موقوف
امرهم من ارجأته اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص مرجون
بالواو وهما لغتان (لامر الله) فى شأنهم (اما يعذبهم) ان اصروا على
النفاق (واما يتوب عليهم) ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان
كلا الامرين بارادة الله تعالى (والله عليم) باحوالهم (حكيم) فيما يفعل بهم
وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن امية
ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا
عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله

لهم) متاع) قليل (فى
الدنيا) يتمتعون به مدة
حياتهم (ثم الينا مرجعهم)
بالموت (ثم نذيقهم العذاب
الشديد) بعد الموت (بما
كانوا يكفرون واتل) يا محمد
(عليهم) أى كفار مكة
(نبأ) خبر (نوح)
ويبدل منه (اذ قال لقومه
ياقوم ان كان كبر) شق
(عليكم مقامى) لبثى فيكم
(وتذكيرى) وعظى اياكم
(بآيات الله فعلى الله توكلت
فأجمعوا أمركم) اعزموا على
أمر تفعلونه بى (وشركاءكم)
الواو بمعنى مع (ثم لا يكن
أمركم عليكم غمة) مستورا
بل أظهروه وجاهرونى
به (ثم اقضوا الى) امضوا
فيما أردتموه (ولا تنظرون)
تمهلون فانى لست مباليا
بكم (فان توليتم) عن
تذكيرى (فما سألتكم من اجر)
ثواب عليه فتولوا (ان)
ما (أجرى) ثوابى (الا على
الله وأمرت أن أكون من
المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن
معه فى الفلك) السفينة
(وجعلناهم) أى من معه
(خلائف) فى الارض

فرحمهم الله (والذين اتخذوا مسجدا) عطف على وآخرون مرجون اومبتدأ خبره محذوف اى فيمن وصفنا الذين اتخذوا اومنصوب على الاختصاص وقرأنافع وابن عامر بغيرواو (ضرارا) مضارة للمؤمنين روى ان بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجدقباء سألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابوعامر الراهب اذاقدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا انا قدبنينا مسجدا لذى الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن ابن عدى وعامر بن السكن والوحشى فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجدالظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة (وكفرا) وتقوية للكفرالذى يضمرونه (وتفريقا بين المؤمنين) يريدالذين كانوا يجتمعون للصلاة فى مسجد قباء (وارصادا) ترقبا(لمن حارب الله ورسوله من قبل) يعنى الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم احدلااجد قوما يقاتلونك الاقاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين وانهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليأتى من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب اوباتخذوا اى اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لماروى انه بنى قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيه فقال انا على جناح سفر واذاقدمنا انشاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت (وليحلفن ان اردنا الا الحسنى) ماارادنا ببنائه الاالخصلة الحسنى اوالارادة الحسنى وهى الصلاة والذكر والتوسعة على المصلين (والله يشهدانهم لكاذبون) فى حلفهم (لاتقم فيه ابدا) للصلاة (لمسجداسس على التقوى) يعنى مسجدقباء اسسه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة اومسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقول ابى سعيدرضى الله تعالى عنه سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنه فقال هو مسجدكم هذامسجدالمدينة (من اول يوم) من ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله لمن الديار بقنة الحجر * اقوين من حجج ومن دهر *

(واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) من اهلاكهم فكذلك نفعل بمن كذبك (ثم بعثنا من بعده) أى نوح (رسلا الى قومهم كابراهيم وهود وصالح (فجاؤهم بالبينات) المعجزات (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) أى قبل بعث الرسل اليهم (كذلك نطبع نختم (على قلوب المعتدين) فلاتقبل الايمان كما طبعنا على قلوب اولئك (ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملئه) قومه (بآياتنا) التسع (فاستكبروا) عن الايمان بها (وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين) بين ظاهر (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم) انه لسحر (أسحر هذا) وقد أفلح من أتى به وأبطل سحر السحرة (ولايفلح الساحرون) والاستفهام فى الموضعين للانكار (قالوا أجئتنا لتلفتنا) لتردنا (عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء) الملك

(احق ان تقوم فيه) اولى بان تصلى فيه (فيه رجال يحبون ان يتطهروا) من المعاصى والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها (والله يحب المطهرين) يرضى عنهم و يدنيهم من جنابه تعالى ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال عليه الصلاة والسلام امؤمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر انهم مؤمنون وانا معهم فقال عليه الصلاة والسلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون فى الرخاء قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يامعشر الانصار ان الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يارسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا (افمن اسس بنيانه) بنيان دينه (على تقوى من الله ورضوان خير) على قاعدة محكمة هى التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة (ام من أسس بنيانه على شفا جرف هار) على قاعدة هى اضعف القواعد وارخاها (فانهار به فى نار جهنم) فأدى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط فى النار وانما وضع شفا الجرف وهو ماجرفه الوادى الهائر فى مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم فى البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به فى النار ووضعه فى مقابلة الرضوان تنبيها على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه من النار و يوصله الى رضوان الله ومقتضياته التى الجنة ادناها وتأسيس هذا على ماهم بسببه على صدد الوقوع فى النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لامحالة وقرأ نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول وقرئ آساس بنيانه واس بنيانه على الاضافة واسس وآساس بالفتح والمد واساس بالكسر وثلاثتها جمع اس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لاللتأنيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف (والله لايهدى القوم الظالمين) الى مافيه صلاحهم ونجاتهم (لايزال بنيانهم الذى بنوا) بناؤهم الذى بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد تدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله (ريبة فى قلوبهم) اى شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لايزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول صلى الله

(فى الارض) أرض مصر (ومانحن لكما بمؤمنين) مصدقين (وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم) فائق فى علم السحر (فلما جاء السحرة قال لهم موسى) بعدما قالوا له اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين (ألقوا ماأنتم ملقون فلما ألقوا) حبالهم وعصيهم (قال موسى ما) استفهامية مبتدأ خبره (جئتم به السحر) بدل وفى قراءة بهمزة واحدة اخبار فما موصول مبتدأ (ان الله سيبطله) سيمحقه (ان الله لايصلح عمل المفسدين و يحق) يثبت و يظهر (الله الحق بكلماته) بمواعيده (ولو كره المجرمون فما آمن لموسى الاذرية) طائفة (من) أولاد (قومه) أى فرعون (على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم) يصرفهم عن دينه بتعذيبه (وان فرعون لعال) متكبر (فى الارض) أرض مصر (وانه لمن المسرفين) المتجاوزين الحد بادعاء الربوبية (وقال موسى ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا

ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين) أى لاتظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتتنوابنا (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ) اتخذا (لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة) مصلى تصلون فيه لتأمنوا من الخوف وكان فرعون منعهم من الصلاة (وأقيموا الصلاة) أتموها (و بشر المؤمنين) بالنصر والجنة (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاءه زينة وأموالا فى الحيوة الدنيا ربنا) آتيتهم ذلك (ليضلوا) فى عاقبته (عن سبيلك) دينك (ربنا اطمس على أموالهم) امسخها (واشدد على قلوبهم) أطبع عليها واستوثق (فلايؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) المؤلم دعا عليهم وامن هرون على دعائه (قال) تعالى (قدأجيبت دعوتكما) مسخت أموالهم حجارة ولم يؤمن فرعون حتى أدركه الغرق (فاستقيما) على الرسالة والدعوة الى أن يأتيهم

تعالى عليه وسلم رسخ ذلك فى قلوبهم وازداد بحيث لايزول وسمه عن قلوبهم (الا ان تقطع قلوبهم) قطعا بحيث لايبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو فى غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطيع كائن ماهو بالقتل اوفى القبر او فى النار وقيل التقطيع بالتوبة ندما واسفا وقرأ يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهوقراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول اوكل مخاطب ولوقطعت على البناء للفاعل اوالمفعول (والله عليم) بنياتهم (حكيم) فيما امر بهدم بنائهم (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة) تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم فى سبيله (يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون و يقتلون) استئناف ببيان مالاجله الشرى وقيل يقاتلون فى معنى الامر وقرأ حمزة والكسائى بتقديم المبنى للمفعول وقدعرفت ان الواو لاتوجب الترتيب وان فعل البعض قديسند الى الكل (وعدا عليه حقا) مصدر مؤكد لمادل عليه الشرى فانه فى معنى الوعد (فى التوراة والانجيل والقرآن) مذكورا فيهما كما ثبت فى القرآن (ومن اوفى بعهده من الله) مبالغة فى الانجاز وتقرير لكونه حقا (فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به) فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال (وذلك هو الفوز العظيم التائبون) رفع على المدح اى هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى اوخبره مابعده اى التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح اوجرا صفة للمؤمنين (العابدون) الذين عبدوا الله مخلصين له (الحامدون) لنعمائه اولما نابهم من السراء والضراء (السائحون) الصائمون لقوله عليه الصلاة والسلام سياحة امتى الصوم شبه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات اولانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت اوالسائحون للجهاد اولطلب العلم (الراكعون الساجدون) فى الصلاة (الآمرون بالمعروف) بالايمان والطاعة (والناهون عن المنكر) عن الشرك والمعاصى والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه فى حكم خصلة واحدة كأنه قال الجامعون بين الوصفين

وفى قوله تعالى (والحافظون لحدود الله) اى فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع التنبيه على ان ماقبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بأن التعداد قدتم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك تسمى واو الثمانية (وبشر المؤمنين) يعنى به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام (ماكان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين) روى انه عليه الصلاة والسلام قال لابى طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فأبى فقال عليه السلام لاازال استغفر لك مالم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال انى استأذنت ربى فى زيارة قبر امى فاذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى وانزل على الآيتين (ولوكانوا اولى قربى من بعد ماتبين لهم انهم اصحاب الجحيم) بأن ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم لابيه الكافر فقال (وماكان استغفار ابراهيم لابيه الاعن موعدة وعدها اياه) وعدها ابراهيم اباه بقوله لاستغفرن لك اى لأطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ماقبله ويدل عليه قراءة من قرأ اباه اووعدها ابراهيم ابوه وهو الوعد بالايمان (فلما تبين له انه عدو لله) بأن مات على الكفر او اوحى فيه بانه لن يؤمن (تبرأ منه) قطع استغفاره (ان ابراهيم لاواه) يكثر التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه (حليم) صبور على الاذى والجملة لبيان ماحمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه (وماكان الله ليضل قوما) اى ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم (بعد اذهداهم) للاسلام (حتى يبين لهم مايتقون) حتى يبين لهم حظر مايجب اتقاؤه وكأنه بيان عذر للرسول فى قوله لعمه اولمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه فى قوم مضوا على الامر الاول فى القبلة والخمر ونحو ذلك وفى الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف (ان الله بكل شئ عليم) فيعلم امرهم فى الحالين (ان الله له ملك السموات والارض يحيى ويميت ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير) لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولى قربى وتضمن

العذاب (ولا تتبعان سبيل الذين لايعلمون) فى استعجال قضائى روى أنه مكث بعدها أربعين سنة (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتبعهم) لحقهم (فرعون وجنوده بغيا وعدوا) مفعول له (حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه) أى بأنه وفى قراءة بالكسر استئنافا (لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) كرره ليقبل منه فلم يقبل ودس جبريل فى فيه من حماة البحر مخافة أن تناله الرحمة وقال له (آلآن) تؤمن (وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) بضلالك واضلالك عن الايمان (فاليوم ننجيك) نخرجك من البحر (ببدنك) جسدك الذى لاروح فيه (لتكون لمن خلفك) بعدك (آية) عبرة فيعرفوا عبوديتك ولا يقدموا على مثل فعلك وعن ابن عباس أن بعض بنى اسرائيل شكوا فى موته فأخرج لهم ليروه (وان كثيرا من الناس) أى أهل مكة (عن آياتنا لغافلون) لايعتبرون بها (ولقد بوأنا) أنزلنا (بنى اسرائيل مبوأ

ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغى ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط فى البلاد (لعلهم يحذرون) ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضى ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كى يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر اخبار الآحاد مالم يتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا فى كتابى المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر وهو انه لما نزل فى المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فأمر ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد و يبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذى هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير فى ليتفقهوا ولينذروا البواقى الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفى رجعوا للطوائف اى ولينذر البواقى قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اولا بانذار عشيرته الاقربين فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالى المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة (وليجدوا فيكم غلظة) شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها (واعلموا ان الله مع المتقين) بالحراسة والاعانة (واذا ما انزلت سورة فمنهم) فمن المنافقين (من يقول) انكارا واستهزاء (ايكم زادته هذه) السورة (ايمانا) وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته (فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا) بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم (وهم يستبشرون) بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم (واما الذين فى قلوبهم مرض) كفر (فزادتهم رجسا الى رجسهم) كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها (وماتوا وهم كافرون) واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه (اولا يرون) يعنى المنافقين وقرأ حمزة بالتاء (انهم يفتنون) يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيعاينون ما يظهر عليه من الآيات (فى كل عام مرة

حين تعذيب المشركين (قل يا أيها الناس) أى أهل مكة (ان كنتم فى شك من دينى) انه حق (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) أى غيره وهو الاصنام لشككم فيه (ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم) بقبض أرواحكم (وأمرت أن) أى بأن (أكون من المؤمنين و) قيل لى (أن أقم وجهك للدين حنيفا) مائلا اليه (ولا تكونن من المشركين ولا تدع) تعبد (من دون الله ما لا ينفعك) ان عبدته (ولا يضرك) ان لم تعبده (فان فعلت) ذلك فرضا (فانك اذا من الظالمين وان يمسسك) يصبك (الله بضر) كفقر ومرض (فلا كاشف) رافع (له الا هو وان يردك بخير فلا راد) رافع (لفضله) الذى أرادك به (يصيب به) أى بالخير (من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم قل يا أيها الناس) أى أهل مكة (قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه) لان ثواب اهتدائه له (ومن ضل فانما يضل عليها) لان وبال ضلاله عليها (وما أنا

اومرتين ثم لايتوبون) ثم لاينتهون ولايتوبون من نفاقهم (ولاهم يذكرون
ولايعتبرون (واذاما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض) تغامزوا بالعيون
انكارالها وسخرية اوغيظا لما فيها من عيوبهم (هل يراكم من احد)
اى يقولون هل يراكم احد ان قمتم من حضرة الرسول صلى الله تعالى عليه
وسلم فان لم يرهم احد قاموا وان يرهم احد اقاموا (ثم انصرفوا)
عن حضرته مخافة الفضيحة (صرف الله قلوبهم) عن الايمان وهو يحتمل
الاخبار والدعاء (بانهم) بسبب انهم (قوم لايفقهون) لسوء فهمهم
اوعدم تدبرهم (لقد جاءكم رسول من انفسكم) من جنسكم عربي مثلكم
وقرئ من انفسكم اى من اشرفكم (عزيز عليه) شديد شاق (ماعنتم) عنتكم
ولقاؤكم المكروه (حريص عليكم) اى على ايمانكم وصلاح شأنكم
(بالمؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) قدم الابلغ منهما وهو الرؤف
لان الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل (فان تولوا) عن الايمان بك
(فقل حسبي الله) فانه يكفيك معرتهم و يعينك عليهم (لا اله الا هو)
كالدليل عليه (عليه توكلت) فلا ارجو ولا اخاف الا منه (وهو رب العرش
العظيم) الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذى ينزل منه الاحكام
والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابى رضى الله تعالى عنه ان آخر
ما نزل هاتان الآيتان وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما نزل القرآن
على الا آية آية وحرفا حرفا ماخلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما
انزلتا على ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

(سورة يونس مكية وهى مائة وتسع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) فخمها ابن كثير ونافع وحفص وامالها الباقون اجراء لالف الراء مجرى
المنقلبة من الياء (تلك آيات الكتاب الحكيم) اشارة الى ماتضمنه السورة
او القرآن من الآى والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله
على الحكم اولانه كلام حكيم اومحكم آياته لم ينسخ شئ منها (اكان
للناس عجبا) استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه (ان اوحينا)
وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل
من عجبا واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحوه
انكارهم واستهزاءهم (الى رجل منهم) من افناء رجالهم دون عظيم

عليكم بوكيل) فاجبركم على
الهدى (واتبع مايوحى اليك
واصبر) على الدعوة
وأذاهم (حتى يحكم الله) فيهم
بامره (وهو خير الحاكمين)
أعدلهم وقد صبر حتى حكم
على المشركين بالقتال
وأهل الكتاب بالجزية

(سورة هود مكية الا أقم
الصلوة الآية أو فلعلك
تارك الآية وأولئك يؤمنون
به الآية مائة واثنتان
أو ثلاث وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) الله أعلم بمراده بذلك
هذا (كتاب أحكمت آياته)
بعجيب النظم وبديع المعانى
(ثم فصلت) بينت بالاحكام
والقصص والمواعظ (من لدن
حكيم خبير) أى الله (أن)
أى بان (لاتعبدوا الا الله اننى
لكم منه نذير) بالعذاب ان
كفرتم (وبشير) بالثواب ان
آمنتم (وأن استغفروا ربكم
من الشرك (ثم توبوا)
ارجعوا (اليه) بالطاعة
(يمتعكم) فى الدنيا (متاعا
حسنا) بطيب عيش وسعة
رزق (الى أجل مسمى) هو
الموت (ويؤت) فى الآخرة

من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابى طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحى والنبوة هذا وانه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا فى المال وخفة الحال اعون شئ فى هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره فى سورة الانعام (ان انذر الناس) ان هى المفسرة او المخففة من الثقيلة فتكون فى موقع مفعول اوحينا (و بشر الذين آمنوا) عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغى ان ينذر منه وخصص البشارة بالمؤمنين اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به (ان لهم) بان لهم (قدم صدق عند ربهم) سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية (قال الكافرون ان هذا) يعنون الكتاب وما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام (لسحر مبين) وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا الا سحر مبين (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض) التى هى اصول الممكنات (فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر) يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريكه اسبابها و ينزلها منه والتدبير النظر فى ادبار الامور لتجيئ محمودة العاقبة (ما من شفيع الا من بعد اذنه) تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له (ذلكم الله) اى الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية (ربكم) لا غيره اذ لا يشاركه احد فى شئ من ذلك (فاعبدوه) وحدوه بالعبادة (افلا تذكرون) تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه (اليه مرجعكم جميعا) بالموت او النشور لا الى غيره فاستعدوا للقاء (وعد الله) مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله (حقا) مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله (انه يبدأ الخلق ثم يعيده) بعد بدئه واهلاكه (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط)

(كل ذى فضل) فى العمل (فضله) جزاءه (وان تولوا) فيه حذف احدى التاءين أى تعرضوا (فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة (الى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير) ومنه الثواب والعذاب * ونزل كما رواه البخارى عن ابن عباس فيمن كان يستحيى أن يتخلى أو يجامع فيفضى الى السماء وقيل فى المنافقين (ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه) أى الله (ألا حين يستغشون ثيابهم) يتغطون بها (يعلم) تعالى (ما يسرون وما يعلنون) فلا يغنى استخفاؤهم (انه عليم بذات الصدور) أى بما فى القلوب (ومامن) زائدة (دابة فى الارض) هى ما دب عليها (الا على الله رزقها) تكفل به فضلا منه تعالى (و يعلم مستقرها) مسكنها فى الدنيا أو الصلب (ومستودعها) بعد الموت أو فى الرحم (كل) مما ذكر (فى كتاب مبين) بين هو اللوح المحفوظ (وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام) أولها الاحد

اى بعدله او بعدالتهم وقيامهم على العدل فى امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلته قوله (والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون) فان معناه ليجزى الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة فى استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدأ بالفتح اى لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب حقا (هو الذى جعل الشمس ضياء) اى ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين فى كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين (والقمر نورا) اى ذا نور او سمى نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة فى ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها (وقدره منازل) الضمير لكل واحد اى قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علل بقوله (لتعلموا عدد السنين والحساب) وحساب الاوقات من الاشهر والايام فى معاملاتكم وتصرفاتكم (ماخلق الله ذلك الا بالحق) الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة (نفصل الآيات لقوم يعلمون) فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص بفصل بالياء (ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض) من انواع الكائنات (لآيات) على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته (لقوم يتقون) العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر (ان الذين لا يرجون لقاءنا) لا يتوقعونه لانكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها (ورضوا بالحياة الدنيا) من الآخرة لغفلتهم عنها (واطمأنوا بها) وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها او سكنوا فيها سكون من

وآخرها الجمعة (وكان عرشه) قبل خلقهما (على الماء) وهو على متن الريح (ليبلوكم) متعلق بخلق أى خلقهما وما فيهما منافع لكم ومصالح ليختبركم (أيكم أحسن عملا) أى أطوع لله (ولئن قلت) يا محمد لهم (انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان) ما (هذا) القرآن الناطق بالبعث او الذى تقوله (الا سحر مبين) بين وفى قراءة ساحر والمشار اليه النبى صلى الله عليه وسلم (ولئن أخرنا عنهم العذاب الى) مجىء (أمة) أوقات (معدودة ليقولن) استهزاء (ما يحبسه) ما يمنعه من النزول قال تعالى (ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا) مدفوعا (عنهم وحاق) نزل (بهم ما كانوا به يستهزؤن) من العذاب (ولئن أذقنا الانسان) الكافر (منا رحمة) غنى وصحة (ثم نزعناها منه انه ليؤس) قنوط من رحمة الله (كفور) شديد الكفر به (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء) فقر وشدة (مسته ليقولن ذهب السيئات) المصائب (عنى)

لايزعج عنها (والذين هم عن آياتنا غافلون) لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك فى الشهوات بحيث لاتخطر الآخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم يرد الا الحياة الدنيا وبالآخرين من الهاه حب العاجل عن التأمل فى الآجل والاعداد له (اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم) بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدى الى الجنة او لادراك الحقائق كما قال عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم اولما يريدونه فى الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف له (تجرى من تحتهم الانهار) استئناف وخبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله (فى جنات النعيم) خبر او حال آخر منه او من الانهار او متعلق بتجرى او بيهدى (دعواهم فيها) اى دعاؤهم (سبحانك اللهم) اللهم انا نسبحك تسبيحا (وتحيتهم) ما يحيى به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم (فيها سلام وآخر دعواهم) وآخر دعائهم (ان الحمد لله رب العالمين) اى ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة من الآفات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هى المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد (ولو يعجل الله للناس الشر) ولو يسرعه اليهم (استعجالهم بالخير) وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم فى الخير حتى كأن استعجالهم به تعجيل لهم او بان المراد شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقى عليه (لقضى اليهم اجلهم) لاميتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا (فنذر الذين لايرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون) عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كانه قيل لكن لانعجل ولا نقضى فنذرهم امهالا لهم

ولم يتوقع زوالها ولا شكر عليها (انه لفرح) بطر (فخور) على الناس بما أوتى (الا) لكن (الذين صبروا) على الضراء (وعملوا الصالحات) فى النعماء (أولئك لهم مغفرة وأجر كبير) هو الجنة (فلعلك) يا محمد (تارك بعض ما يوحى اليك) فلا تبلغهم اياه لتهاونهم به (وضائق به صدرك) بتلاوته عليهم لاجل (ان يقولوا لولا) هلا (أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك) يصدقه كما اقترحنا (انما أنت نذير) فلا عليك الا البلاغ لا الاتيان بما اقترحوه (والله على كل شئ وكيل) حفيظ فيجازيهم (أم) بل أ (يقولون افتراه) أى القرآن (قل فأتوا بعشر سور مثله) فى الفصاحة والبلاغة (مفتريات) فانكم عربيون فصحاء مثلى تحدادهم بها أولا ثم بسورة (وادعوا) للمعاونة على ذلك (من استطعتم من دون الله) أى غيره (ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم) أى من دعوتموهم للمعاونة (فاعلموا) خطاب للمشركين (انما

واستدراجا (واذامس الانسان الضر دعانا) لازالته مخلصا فيه (لجنبه) اى ملقيا لجنبه اى مضطجعا (اوقاعدا او قائما) وفائدة الترديد تعميم الدعاء بجميع الاحوال اوالاصناف المضار (فلما كشفنا عنه ضره مر) مضى على طريقته واستمر على كفره اومر عن موقف الدعاء لايرجع اليه (كأن لم يدعنا) كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كاقال ونحر مشرق اللون كأن ثدياه حقان (الى ضر مسه) الى كشف ضر (كذلك) مثل ذلك التزيين (زين للمسرفين ما كانوا يعملون) من الانهماك فى الشهوات والاعراض عن العبادات (ولقداهلكنا القرون من قبلكم) يااهل مكة (لما ظلموا) حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لاعلى ماينبغى (وجاءتهم رسلهم بالبينات) بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قدأوعطف على ظلموا (وما كانوا ليؤمنوا) وماستقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد النفى (كذلك) مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لافائدة فى امهالهم (نجزى القوم المجرمين) نجزى كل مجرم اونجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه (ثم جعلنا كم خلائف فى الارض من بعدهم) استخلفنا كم فيها بعدالقرون التى اهلكناها استخلاف من يختبر (لننظر كيف تعملون) اتعملون خيرا اوشرافنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ماقبله وفائدته الدلالة على ان المعتبر فى الجزاء جهات الافعال وكيفيتها لاهى من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى (واذاتتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا) يعنى المشركين (ائت بقرآن غير هذا) بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه مانستبعده من البعث والثواب والعقاب بعدالموت اومانكرهه من معايب آلهتنا (او بدله) بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلهم سألوا ذلك كى يسعفهم اليه فيلزموه (قل مايكون لى) مايصح لى (ان ابدله من تلقاء نفسى) من قبل نفسى وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر (ان اتبع الاما يوحى الى) تعليل لمايكون فان المتبع لغيره فى امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب

أنزل) ملتبسا (بعلم الله) وليس افتراء عليه (وأن) مخففة أى أنه (لااله الاهو فهل انتم مسلمون) بعد هذه الحجة القاطعة أى أسلموا (من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها) أصر على الشرك وقيل هى فى المرائين (نوف اليهم أعمالهم) أى جزاء ماعملوه من خير كصدقة وصلة رحم (فيها) بأن نوسع عليهم رزقهم (وهم فيها) أى الدنيا (لايبخسون) ينقصون شيئا (أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط) بطل (ماصنعوا) ه (فيها) أى الآخرة فلا ثواب له (وباطل ما كانوا يعملون أفمن كان على بينة) بيان (من ربه) وهو النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وهى القرآن (ويتلوه) يتبعه (شاهد) له بصدقه (منه) أى من الله وهو جبريل (ومن قبله) أى القرآن (كتاب موسى) التوراة شاهدله أيضا (اماما ورحمة) حال كمن ليس كذلك لا (أولئك) أى من كان على بينة (يؤمنون به) أى بالقرآن

للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان
القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل فى الجواب وسماه عصيانا فقال
(انى اخاف ان عصيت ربى) اى بالتبديل (عذاب يوم عظيم) وفيه ايماء
بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح (قل لو شاء الله) غير ذلك
(ماتلوته عليكم ولاادراكم به) ولااعلمكم به على لسانى وعن ابن كثير
ولادراكم به بلام التأكيد اى لوشاء الله ماتلوته عليكم ولاعلمكم به على
لسان غيرى والمعنى انه الحق الذى لامحيص عنه لولم ارسل به لارسل به
غيرى وقرئ ولاادرأكم ولاادرأتكم بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الالف
المبدلة من الياء همزة اوعلى انه من الدرء بمعنى الدفع اى ولاجعلتكم بتلاوته
خصماء تدرؤننى بالجدال والمعنى ان الامر بمشيئة الله تعالى لابمشيئتى حتى
اجعله على نحو ماتشتهونه ثم قرر ذلك بقوله (فقد لبثت فيكم عمرا) مقدار
عمر اربعين سنة (من قبله) من قبل القرآن لااتلوه ولااعلمه فانه اشارة الى
ان القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة
لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولاخطبة ثم قرأ عليهم
كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم
واحتوى على قواعد علمى الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين
واحاديث الآخرين على ماهى عليه علم انه معلم به من الله تعالى (افلا
تعقلون) اى افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا انه ليس
الا من الله (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) تفادى مما اضافوه اليه كناية
اوتظليم للمشركين بافترائهم على الله تعالى فى قولهم انه لذو شريك وذو
ولد (او كذب بآياته) فكفر بها (انه لايفلح المجرمون ويعبدون من دون الله
مالايضرهم ولاينفعهم) لانه جماد لايقدر على نفع ولاضر والمعبود ينبغى
ان يكون مثيبا او معاقبا حتى يعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر (ويقولون هؤلاء)
الاوثان (شفعاؤنا عند الله) تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا اوفى الآخرة
ان يكن بعث وكأنهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا
عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة مايعلم قطعا انه لايضر ولاينفع على
توهم انه ربما يشفع لهم عنده (قل اتنبئون الله) اتخبرونه (بما لايعلم) وهو
ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم اوهؤلاء شفعاؤنا عنده وما لايعلمه
العالم بجميع المعلومات لايكون له تحقق ما (فى السموات ولا فى الارض) حال

فلهم الجنة (ومن يكفر به
من الاحزاب) جميع الكفار
(فالنار موعده فلاتك فى
مرية) شك (منه) من القرآن
(انه الحق من ربك ولكن
أكثر الناس) أى أهل مكة
(لايؤمنون ومن) أى لاأحد
أظلم ممن افترى على الله كذبا)
بنسبة الشريك والولد اليه
(اولئك يعرضون على ربهم)
يوم القيامة فى جملة الخلق
(ويقول الاشهاد) جمع
شاهد وهم الملائكة
يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى
الكفار بالتكذيب (هؤلاء
الذين كذبوا على ربهم ألا
لعنة الله على الظالمين)
المشركين (الذين يصدون
عن سبيل الله) دين الاسلام
(ويبغونها) يطلبون السبيل
(عوجا) معوجة (وهم
بالآخرة هم) تأكيد (كافرون
أولئك لم يكونوا معجزين)
الله (فى الارض وما كان لهم
من دون الله) أى غيره (من
أولياء) أنصار يمنعونهم من
عذابه (يضاعف لهم
العذاب) باضلالهم غيرهم
(ما كانوا يستطيعون السمع)
للحق (وما كانوا يبصرون) ه

من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان مايعبدون دون الله
اماسماوي وامارضي ولاشئ من الموجودات فيهما الاوهو حادث مقهور
مثلهم لايليق ان يشرك به (سبحانه وتعالى عما يشركون) عن اشراكهم
وعن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الموضعين
في اول النحل والروم بالتاء (وما كان الناس الاامة واحدة) موجودين على
الفطرة اومتفقين على الحق وذلك في عهد آدم عليه السلام الى ان قتل
قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلال في فترة من الرسل
(فاختلفوا) باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعتهم طائفة واصرت
اخرى (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل
بينهم الى يوم القيامة فانه يوم الفصل والجزاء (لقضي بينهم) عاجلا (فيما
فيه يختلفون) باهلاك المبطل وابقاء المحق (ويقولون لولا انزل عليه آية من
ربه) اي من الآيات التي اقترحوها (فقل انما الغيب لله) هو المختص بعلمه
فلعله يعلم في انزال الآيات المقترحة مفاسد تصرف عن انزالها (فانتظروا)
لنزول مااقترحتموه (اني معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم بجحودكم مانزل
عليه من الآيات العظام واقتراحكم غيره (واذا اذقنا الناس رحمة) صحة
وسعة (من بعد ضراء مستهم) كقحط ومرض (اذا لهم مكر في آياتنا)
بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا
يهلكون ثم رحمهم الله بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله و يكيدون
رسوله (قل الله اسرع مكرا) منكم قددبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم
وانمادل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جوابا لاذا
الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله تعالى اما الاستدراج او الجزاء
على المكر (ان رسلنا يكتبون ماتمكرون) تحقيق للانتقام وتنبيه على ان
مادبروا في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله تعالى وعن
يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ماقبله (هو الذي يسيركم) يحملكم على السير
ويمكنكم منه (في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك) في السفن (وجرين
بهم) بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كأنه تذكرة لغيرهم
ليتعجب من حالهم وينكر عليهم (بريح طيبة) لينة الهبوب (وفرحوا بها)
بتلك الريح (جاءتها) جواب لاذا والضمير للفلك او الريح الطيبة بمعنى
تلقتها (ريح عاصف) ذات عطف شديدة الهبوب (وجاءهم الموج من كل

أي لفرط كراهتهم له كأنهم
لم يستطيعوا ذلك (أولئك
الذين خسروا انفسهم)
لمصيرهم الى النار المؤبدة
عليهم (وضل) غاب (عنهم
ما كانوا يفترون) على الله من
دعوى الشريك (لاجرم)
حقا (أنهم في الآخرة هم
الاخسرون ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات وأخبتوا)
سكنوا واطمأنوا وأنابوا
(الى ربهم أولئك أصحاب
الجنة هم فيها خالدون مثل)
صفة (الفريقين) الكفار
والمؤمنين (كالاعمى والاصم)
هذا مثل الكافر (والبصير
والسميع) هذا مثل المؤمن
(هل يستويان مثلا) لا (أفلا
تذكرون) فيه ادغام التاء في
الاصل في الذال تتعظون
(ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
اني) أي باني وفي قرأة بالكسر
على حذف القول (لكم
نذير مبين) بين الانذار (أن)
أي بأن (لاتعبدوا الا الله اني
أخاف عليكم) ان عبدتم
غيره (عذاب يوم أليم)
مؤلم في الدنيا والآخرة (فقال
الملأ الذين كفروا من
قومه) وهم الاشراف (ما

مكان) يجيء الموج منه (وظنوا انهم احيط بهم) اهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو (دعوا الله مخلصين له الدين) من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم (لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) على ارادة القول اومفعول دعوا لانه من جملة القول (فلما انجاهم) اجابة لدعائهم (اذاهم يبغون فى الارض) فاجاؤا الفساد فيها وسارعوا الى ماكانوا عليه (بغير الحق) مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق (يا أيها الناس انما بغيكم على انفسكم) فان وباله عليكم اوانه على امثالكم وابناء جنسكم (متاع الحياة الدنيا) منفعة الحياة الدنيا لاتبقى و يبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته اوخبر مبتدأ محذوف تقديره ذلك متاع الحياة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اى تتمتعون متاع الحيوة الدنيا اومفعول البغى لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحياة الدنيا محذور اوضلال اومفعول فعل دل عليه البغى وعلى انفسكم خبره (ثم الينا مرجعكم) فى القيامة (فننبئكم بما كنتم تعملون) بالجزاء عليه (انما مثل الحيوة الدنيا) حالها العجيبة فى سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها (كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض) فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا (مما يأكل الناس والانعام) من الزروع والبقول والحشيش (حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت) تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزينة وتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت (وظن اهلها انهم قادرون عليها) متمكنون من حصدها ورفع غلتها (اتاها امرنا) ضرب زرعها ما يجتاحه (ليلا اونهارا فجعلناها) فجعلنا زرعها (حصيدا) شبيها بما حصد من اصله (كأن لم تغن) اى كأن لم يغن زرعها اى لم تنبت والمضاف محذوف فى الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل (بالامس) فيما قبيله وهو مثل فى الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة

ماتراك الابشرا مثلنا) ولا فضل لك علينا (وماتراك اتبعك الاالذين هم أراذلنا) أسافلنا كالحاكة والاساكفة (بادى الرأى) بالهمزة وتركه أى ابتداء من غير تفكر فيك ونصبه على الظرف أى وقت حدوث أول رأيهم (وما نرى لكم علينا من فضل) فتستحقون به الاتباع منا (بل نظنكم كاذبين) فى دعوى الرسالة أدرجوا قومه معه فى الخطاب (قال ياقوم أرأيتم) أخبرونى (ان كنت على بينة) بيان (من ربى وآتانى رحمة) نبوة (من عنده فعميت) خفيت (عليكم) وفى قراءة بتشديد الميم والبناء للمفعول (أنلزمكموها) أنجبركم على قبولها (وأنتم لها كارهون) لانقدر على ذلك (وياقوم لاأسألكم عليه) على تبليغ الرسالة (مالا) تعطونيه (ان) ما (أجرى) ثوابى (الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا) كما أمرتمونى (انهم ملاقو ربهم) بالبعث فيجازيهم و يأخذ لهم ممن ظلمهم وطردهم (ولكنى أراكم قوما تجهلون) عاقبة أمركم (ويا

النبات فجأة وذ عابه حطامابعدما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قدسلم من الجوائح لا المـاء وازوليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) فانهم المنتفعون به (و لله يدعوالى دار السـلام) دار السـلامة من التقضى والآفة اودارالله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك اودار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة (ويهدى من يشاء) بالتوفيق (الى صراط مستقيم) هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضـلالة لم يرد الله رشـده (للذين احسنوا الحسنى) المثوبة الحسنى (وزيادة) ومايزيد على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيـل الحسـنى مثـل حسـناتهم والزيادة عشر امثالهـا الى سبعمائة ضعف واكثر وقيـل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسـنى الجنة والزيادة هو اللقاء (ولا يرهق وجوههم) لايغشـاها (قتر) غبرة فيهاسواد (ولاذلة) هوان والمعنى لايرهقهم مايرهق اهل النـار اولايرهقهم مايوجب ذلك من حزن وسـوء حال (اولئـك اصحاب الجنـة هم فيها خالدون) دائمون لازوال فيهـا ولاانقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفهـا (والذين كسبوا السـيئات جزاء سيئة بمثلهـا) هو عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز فى الدار زيد والحجرة عمرو اوالذين مبتدأ والخبر جزاء سـيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اى ان يجازى سيئة بسيئة مثلهـا لايزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هى الفضل او التضعيف اوكأنما اغشيت اواولئك اصحاب النار ومابينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف اى فجزاء سـيئة بمثلها واقع او بمثلهـا على زيادة الباء او بتقدير مقدر بمثلهـا (وترهقهم ذلة) وقرىء بالياء (مالهم من الله من عاصم) مامن احد يعصمهم من سخط الله اومن جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين (كأنما اغشيت وجوههم قطعـا من الليل مظلما) لفرط سـواد ها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل فى قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل فى الموصوف عامل فى الصفة او معنى الفعل فى من الليل وقرأ ابن كثير والكسائى ويعقوب قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه (اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) مما يحتج به الوعيدية

قوم من ينصرنى) يمنعنى (من الله) أى عـذابه (ان طردتهم) أى لاناصر لى (أفلا) فهلا (تذكرون) بادغام التاء الثانية فى الاصـل فى الذال تتعظون (ولا أقول لـكم عندى خزائن الله ولا) انى (أعلم الغيب ولا أقول انى ملك) بل انا بشر مثلكم (ولا اقول للذين تزدرى) تحتقر (أعينكم لن يؤتيهـم الله خيرا الله أعلم بمـا فى انفسهم) قلوبهم (انى اذا) ان قلت ذلك (لمن الظالمين قالوا يانوح قـد جادلتنـا) خاصمتنا (فا كثرت جدالنا فأتنا بمـا تعدنا) به من العذاب (ان كنت من الصادقين) فيه (قال انمـا يأتيكم به الله ان شاء) تعجيله لـكم فان أمره اليه لا الى (وما أنتم بمعجزين) بفائتين الله (ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم) أى اغواءكم وجواب الشرط دل عليـه ولاينفعكم نصحى (هو ربكم واليـه ترجعون) قال تعالى (أم) بل أ (يقولون) أى كفار مكة (افتراه) اختلق محمد القرآن (قل ان افتريته فعلى اجرامى) اثمى أى عقوبته (وأنا برىء ممـا تجرمون) من

والجواب ان الآية فى الكفار لاشتمال السيئات على الكفر والشرك ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه (ويوم نحشرهم جميعا) يعنى الفريقين جميعا (ثم نقول للذين اشركوا مكانكم) حتى تنظروا ما يفعل بكم (انتم) تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله (وشركاؤكم) عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه (فزيلنا بينهم) ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التى كانت بينهم (وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون) مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا فى الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التى يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم) فانه العالم بكنه الحال (ان كنا عن عبادتكم لغافلين) ان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة (هنالك) فى ذلك المقام (تبلو كل نفس ما اسلفت) تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائى تتلو من التلاوة اى تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو اى تتبع عمله فيقودها الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اى نفعل بها فعل المختبر بحالها المتعرف بسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد به نصيب بالبلاء اى لعذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض (وردوا الى الله) الى جزائه اياهم بما اسلفوا (مولاهم الحق) ربهم ومتولى امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد (وضل عنهم) وضاع عنهم (ما كانوا يفترون) من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها آلهة (قل من يرزقكم من السماء والارض) اى منهما جميعا توسعة عليكم تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اى من اهل السماء والارض (ام من يملك السمع والابصار) ام من يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شئ (ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) ومن يحيى ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه (ومن يدبر الامر) ومن يلى تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص (فسيقولون الله) اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد

اجرامكم فى نسبة الافتراء الى (وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس) تحزن (بما كانوا يفعلون) من الشرك فدعا عليهم بقوله رب لا تذر على الارض الخ فأجاب الله تعالى دعاءه وقال (واصنع الفلك) السفينة (باعيننا) بمرأى منا وحفظنا (ووحينا) أمرنا (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) كفروا بترك اهلاكهم (انهم مغرقون ويصنع الفلك) حكاية حال ماضية (وكلما مر عليه ملأ) جماعة (من قومه سخروا منه) استهزؤا به (قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون) اذا نجونا وغرقتم (فسوف تعلمون من) موصولة مفعول العلم (يأتيه عذاب يخزيه ويحل) ينزل (عليه عذاب مقيم) دائم (حتى) غاية للصنع (اذا جاء أمرنا) باهلاكهم (وفار التنور) للخباز بالماء وكان ذلك علامة لنوح (قلنا احمل فيها) فى السفينة (من كل زوجين) أى ذكر وانثى أى من كل أنواعهما (اثنين ذكرا وانثى وهو مفعول

فى ذلك لفرط وضوحه (فقل افلا تتقون) انفسكم عقابه باشراككم اياه مالايشاركه فى شئ من ذلك (فذلكم الله ربكم الحق) اى المتولى لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذى انشأكم واحياكم ورزقكم ودبرامور كم (فماذا بعد الحق الا الضلال) استفهام انكارى اى ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذى هو عبادة الله تعالى وقع فى الضلال (فانى تصرفون) عن الحق الى الضلال (كذلك حقت كلمة ربك) اى كما حقت الربوبية لله اوان الحق بعده الضلال اوانهم مصروفون عن الحق كذلك حقت كلمة الله وحكمه (على الذين فسقوا) تمردوا فى كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح (انهم لايؤمنون) بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب (قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده) جعل الاعادة كالابداء فى الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول عليه الصلاة والسلام بان ينوب عنهم فى الجواب فقال (قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده) لان لجاجهم لايدعهم ان يعترفوا بها (فانى تؤفكون) تصرفون عن قصد السبيل (قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق) بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما اسند الى الله (قل الله يهدى للحق افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع امن لايهدى الا ان يهدى) ام الذى لايهتدى الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى اولا يهدى غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدى بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدى فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء اوكسرت لالتقاء الساكنين وروى ابوبكر هدى باتباع الياء الهاء وقرأ ابوعمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم فى حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ الا ان يهدى للمبالغة (فمالكم كيف تحكمون) بما يقتضى صريح العقل بطلانه (ومايتبع اكثرهم) فيما يعتقدون (الاظنا) مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد

وفى القصة ان الله حشر لنوح السباع والطير وغيرهما فجعل يضرب بيديه فى كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الانثى فيحملهما فى السفينة (وأهلك) أى زوجته وأولاده (الامن سبق عليه القول) أى منهم بالاهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم الثلاثة (ومن آمن وماآمن معه الاقليل) قيل كانوا ستة رجال ونساءهم وقيل جميع من كان فى السفينة ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء (وقال) نوح (اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها) بفتح الميمين وضمهما مصدران أى جريها ورسوها أى منتهى سيرها (ان ربى لغفور رحيم) حيث لم يهلكنا (وهى تجرى بهم فى موج كالجبال) فى الارتفاع والعظم (ونادى نوح ابنه) كنعان (وكان فى معزل) عن السفينة (يابنى اركب معنا

بالا كثر الجميع اومن ينتمى منهم الى تميز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف (ان الظن لايغنى من الحق) من العلم والاعتقاد الحق (شيئا) من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم فى الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز (ان الله عليم بما يفعلون) وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان (وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله) افتراء من الخلق (ولكن تصديق الذى بين يديه) مطابقا لماتقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدر او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الذى وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق (وتفصيل الكتاب) وتفصيل ماحقق واثبت من العقائد والشرائع (لاريب فيه) منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل فى حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول فى المعنى وان يكون استئنافا (من رب العالمين) خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين اومتعلق بتصديق اوبتفصيل ولاريب فيه اعتراض اوبالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب اوالضمير فى فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان مايجب اتباعه والبرهان عليه (ام يقولون) بل ايقولون (افتراه) محمد ومعنى الهمزة فيه الانكار (قل فأتوا بسورة مثله) فى البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلى فى العربية والفصاحة واشد تمرنا فى النظم والعبارة (وادعوا من استطعتم) ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به (من دون الله) سوى الله فانه وحده قادر على ذلك (ان كنتم صادقين) انه اختلقه (بل كذبوا) بل سارعوا الى التكذيب (بما لم يحيطوا بعلمه) بالقرآن اول ماسمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه اوبما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر مايخالف دينهم (ولما يأتهم تأويله) ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه اولم يأتهم بعد تأويل مافيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق اوكذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجأوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع فى لما انه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم

ولاتكن مع الكافرين قال سآوى الى جبل يعصمنى) يمنعنى (من الماء قال لاعاصم اليوم من أمر الله) عذابه (الا) لكن (من رحم) الله فهو المعصوم قال تعالى (وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقيل ياأرض ابلعى ماءك) الذى نبع منك فشربته دون مانزل من السماء فصار أنهارا او بحارا (ويا سماء أقلعى) أمسكى عن مطرفا مسكت (وغيض) نقص (الماء وقضى الامر) تم امر هلاك قوم نوح (واستوت) وقفت السفينة (على الجودى) جبل بالجزيرة بقرب الموصل (وقيل بعدا) هلاكا (للقوم الظالمين) الكافرين (ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى) كنعان (من أهلى) وقد وعدتنى بنجاتهم (وان وعدك الحق) الذى لاخلف فيه (وأنت أحكم الحاكمين) اعلمهم وأعدلهم (قال) تعالى (يانوح انه ليس من أهلك) الناجين أومن أهل دينك (انه) أى سؤالك اياى بنجاته (عمل غير صالح)

التحدى فرازواقواهم فى معارضته فتضاءلت دونها اولما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا (كذلك كذب الذين من قبلهم) انبياءهم (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) فيه وعيدلهم بمثل ماعوقب به من قبلهم (ومنهم) ومن المكذبين (من يؤمن به) من يصدق به فى نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند اومن سيؤمن به ويتوب عن كفره (ومنهم من لايؤمن به) فى نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره اوفيما يستقبل بل يموت على الكفر (وربك اعلم بالمفسدين) بالمعاندين اوالمصرين (وان كذبوك) وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة (فقل لى عملى ولكم عملكم) فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لى جزاء عملى ولكم جزاء عملكم حقا كان اوباطلا (انتم بريئون مما اعمل وانا برئ مما تعملون) لاتؤاخذون بعملى ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ بآية السيف (ومن يستمعون اليك) اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لايقبلون كالاصم الذى لايسمع اصلا (افانت تسمع الصم) تقدر على اسماعهم (ولو كانوا لايعقلون) ولوانضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لايوصف به البهائم وهو لايتأتى الا باستعمال العقل السليم فى تدبره وعقولهم لما كانت مؤوفة بمعارضة الوهم ومشايعة الالف والتقليد تعذرا فهامهم الحكم والمعانى الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ماينتفع به البهائم من كلام الناعق (ومنهم من ينظر اليك) ويعاينون دلائل نبوتك ولكن لايصدقونك (افانت تهدى العمى) تقدر على هدايتهم (ولو كانوا لايبصرون) وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هوالاعتبار والاستبصار والعمدة فى ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لمالا يدركه البصير الاحمق والآية كالتعليل للامر بالتبرى والاعراض عنهم (ان الله لايظلم الناس شيئا) بسلب حواسهم وعقولهم (ولكن الناس انفسهم يظلمون) بافسادها وتفويت منافعها عليها وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس بمسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدالهم بمعنى ان مايحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله لايظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه (ويوم نحشرهم

فانه كافر ولانجاة للكافرين وفى قراءة بكسر ميم عمل فعل ونصب غير فالضمير لابنه (فلا تسألن) بالتشديد والتخفيف (ماليس لك به علم) من انجاء ابنك (انى أعظك أن تكون من الجاهلين) بسؤالك مالم تعلم (قال رب انى أعوذبك) من (أن أسألك ماليس لى به علم والاتغفرلى) مافرط منى (وترحمنى أكن من الخاسرين قيل يانوح اهبط) انزل من السفينة (بسلام) بسلامة أوبتحية (مناوبركات) خيرات (عليك وعلى أمم ممن معك) فى السفينة أى من أولادهم وذريتهم وهم المؤمنون (وأمم) بالرفع ممن معك (سنمتعهم) فى الدنيا (ثم يمسهم مناعذاب أليم) فى الآخرة وهم الكفار (تلك) أى هذه الآيات المتضمنة قصة نوح (من أنباء الغيب) أخبار ماغاب عنك (نوحيها اليك) يامحمد (ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) القرآن (فاصبر) على التبليغ وأذى قومك صبر نوح (ان

كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار) يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا او القبور لهول مايرون والجملة التشبيهية فى موقع الحال اى نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف اى حشرا كان لم يلبثوا قبله (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا الا قليلا وهذا اول مانشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهو حال اخرى مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم نحشرهم (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) للشهادة على خسر انهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير فى يتعارفون على ارادة القول (وماكانوا مهتدين) لطرق استعمال مانحوامن المعاون فى تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدائم (واما نرينك) نبصرنك (بعض الذى نعدهم) من العذاب فى حياتك كما اراه يوم بدر (او نتوفينك) قبل ان نريك (فالينا مرجعهم) فنريكه فى الآخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نريك محذوف مثل فذلك (ثم الله شهيد على مايفعلون) مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤدى شهادته على افعالهم يوم القيامة (ولكل امة) من الامم الماضية (رسول) بعث اليهم ليدعوهم الى الحق (فاذا جاء رسولهم) بالبينات فكذبوه (قضى بينهم) بين الرسول ومكذبيه (بالقسط) بالعدل فانجى الرسول واهلك المكذبون (وهم لايظلمون) وقيل معناه لكل امة رسول يوم القيامة تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضى بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر لقوله وجيئ بالنبيين والشهداء وقضى بينهم (ويقولون متى هذ الوعد) استبعاداله واستهزاءبه (ان كنتم صادقين) خطاب منهم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين (قل لااملك لنفسى ضرا ولانفعا) فكيف املك لكم فاستعجل فى جلب العذاب اليكم (الاماشاء الله) ان املكه اوولكن ماشاء الله من ذلك كائن (لكل امة اجل) مضروب لهلاكهم (اذاجاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولايستقدمون) لايتأخرون ولايتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم (قل ارأيتم ان اتاكم عذابه) الذى تستعجلون به (بياتا) وقت بيات واشتغال بالنوم (اونهارا) حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم

العاقبة) المحمودة (للمتقين و) أرسلنا (الى عاد أخاهم) من القبيلة (هودا قال ياقوم اعبدوا الله) وحدوه (مالكم من) زائدة (اله غيره ان) ما (أنتم) فى عبادتكم الاوثان (الامفترون) كاذبون على الله (ياقوم لاأسالكم عليه) على التوحيد (أجرا ان ما (أجرى الاعلى الذى فطرنى) خلقنى (أفلا تعقلون وياقوم استغفروا ربكم) من الشرك (ثم توبوا) ارجعوا (اليه) بالطاعة (يرسل السماء) المطروكانوا قد منعوه (عليكم مدرارا) كثيرا لدرور (ويزدكم قوة الى) مع (قوتكم) بالمال والولد (ولاتتولوا مجرمين) مشركين (قالوا ياهود ماجئتنا ببينة) برهان على قولك (ومانحن بتاركى آلهتنا عن قولك) أى لقولك (ومانحن لك بمؤمنين ان) ما (نقول) فى شانك (الا اعتراك) أصابك (بعض آلهتنا بسوء) فخبلك لسبك اياها فانت تهذى (قال انى أشهد الله) على (واشهدوا أنى برئ مما تشركون) ه به

(ماذا يستعجل منه المجرمون) اى شىء من العذاب يستعجلونه وكله مكروه
لايلائم الاستعجال وهو متعلق بارأيتم لانه بمعنى اخبرونى والمجرمون وضع
موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغى ان يفزعوا من مجيئ الوعيد
لان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال اوتعرفوا
خطاءه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطينى وتكون
الجملة متعلقة بارأيتم اوقوله (اثم اذا ماوقع آمنتم به) بمعنى ان اتاكم عذابه
آمنتم به بعد وقوعه حين لاينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول
حرف الاستفهام على ثم لانكار التأخير (الآن) على ارادة القول اى
قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وعن نافع آلان بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام (وقد كنتم به تستعجلون) تكذيبا
واستهزاء (ثم قيل للذين ظلموا) عطف على قيل المقدر (ذوقوا عذاب
الخلد) المؤلم على الدوام (هل تجزون الابما كنتم تكسبون) من الكفر
والمعاصى (ويستنبؤنك) ويستخبرونك (احق هو) احق ماتقول من الوعد
او ادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيى بن اخطب لما قدم مكة
والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبؤنك وقيل انه للانكار
ويؤيده انه قرئ الحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدأ والضمير
مرتفع به سادمسد الخبر اوخبر مقدم والجملة فى موضع النصب بيستنبؤنك
(قل اى وربى انه لحق) ان العذاب لكائن اوما أدعيه لثابت وقيل كلا
الضميرين للقرآن واى بمعنى نعم وهومن لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه
فى التصديق فيقال اى والله ولايقال اى وحده (وما انتم بمعجزين)
فائتين العذاب (ولوان لكل نفس ظلمت) بالشرك اوالتعدى على الغير
(مافى الارض) من خزائنها واموالها (لافتدت به) لجعلته فدية لها من
العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه (واسروا الندامة لمارأوا العذاب)
لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا
ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها اولانه
يقال سر الشئ لخالصته من انها تخفى وتضن بها وقيل اظهروها
من قولهم اسر الشئ واسره اذا اظهره (وقضى بينهم بالقسط وهم لايظلمون)
ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء وتكذيبهم والثانى مجازاة
للمشركين على الشرك اوالحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير

(من دونه فكيدونى) احتالوا
فى هلاكى (جميعا) أنتم
وأوثانكم (ثم لا تنظرون)
تمهلون (انى توكلت على
الله ربى وربكم ما من)
زائدة (دابة) نسمة تدب
على الارض (الاهو آخذ
بناصيتها) أى مالكها وقاهرها
فلا نفع ولا ضرر الا باذنه
وخص الناصية بالذكر لان
من أخذ بناصيته يكون فى غاية
الذل (ان ربى على صراط
مستقيم) أى طريق الحق
والعدل (فان تولوا) فيه
حذف احدى التاءين أى
تعرضوا (فقد أبلغتكم
ماأرسلت به اليكم ويستخلف
ربى قوما غيركم ولاتضرونه
شيئا) باشراككم (ان ربى
على كل شئ حفيظ) رقيب
(ولما جاء أمرنا) عذابنا
(نجينا هودا والذين آمنوا
معه برحمة) هداية (منا
ونجيناهم من عذاب غليظ)
شديد (وتلك عاد) اشارة
الى آثارهم أى فسيحوا
فى الارض وانظروا اليها
ثم وصف أحوالهم فقال
(جحدوا بآيات ربهم وعصوا
رسله) جمع لان من عصى

انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم (الا ان الله مافى السموات والارض) تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب (الاان وعد الله حق) ماوعده من الثواب والعقاب كائن لاخلف فيه (ولكن اكثرهم لايعلمون) لانهم لايعلمون لقصور عقولهم الاظاهرا من الحياة الدنيا (هو يحيى ويميت) فى الدنيا فهو يقدر عليهما فى الاخرى لان القادر لذاته لايزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحياة والموت قابلة لهما ابدا (واليه ترجعون) بالموت او النشور (يا ايها الناس قدجاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) اى قدجاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة فى المحاسن والزاجرة عن المقابح والحكمة النظرية التى هى شفاء لمافى الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق اليقين ورحمة للمؤمنين من حيث انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمة الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم (قل بفضل الله وبرحمته) بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله (فبذلك فليفرحوا) فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا اوفليفرحوا فبذلك فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التأكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح اوبفعل دل عليه قدجاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اى فبمجيئها فليفرحوا والفاء الاولى بمعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشئ فبهما فليفرحوا اوللربط بما قبلها والدلالة على ان مجيئ الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتأكيد كقوله * واذاهلكت فعند ذلك فاجزعى * وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقدروى مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا (هو خير مما يجمعون) من حطام الدنيا فانها الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه ايها المخاطبون (قل ارأيتم ماانزل الله لكم من رزق) جعل الرزق منزلا لانه مقدر فى السماء محصل باسباب منها ومافى موضع النصب بانزل اوبارأيتم فانه بمعنى اخبرونى ولكم دل على ان المراد منه ماحل ولذلك وبخ على التبعيض فقال (فجعلتم منه حراما وحلالا) مثل هذه انعام وحرث حجر ومافى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا (قل آلله اذن لكم) فى التحريم والتحليل

رسولا عصى جميع الرسل لاشتراكهم فى اصل ماجاؤا به وهو التوحيد (واتبعوا) أى السفلة (أمر كل جبار عنيد) معاند للحق من رؤسائهم (وأتبعوا فى هذه الدنيا لعنة) من الناس (ويوم القيامة) لعنة على رؤس الخلائق (ألاان عادا كفروا) جحدوا (ربهم ألابعدا) من رحمة الله (لعاد قوم هود و) أرسلنا (الى ثمود أخاهم) من القبيلة (صالحا قال ياقوم اعبدوا الله) وحدوه (مالكم من اله غيره هوانشأكم) ابتدأ خلقكم (من الارض) بخلق أبيكم آدم منها (واستعمركم فيها) جعلكم عمارا تسكنون بها (فاستغفروه) من الشرك (ثم توبوا) ارجعوا (اليه) بالطاعة (ان ربى قريب) من خلقه بعلمه (مجيب) لمن سأله (قالوا ياصالح قدكنت فينامرجوا) نرجوأن تكون سيدا (قبل هذا) الذى صدر منك (أتنهانا أن نعبد مايعبد آباؤنا) من الاوثان (واننالفى شك مماتدعونا اليه) من التوحيد (مريب) موقع فى الريب (قال ياقوم أرأيتم

فتقولون ذلك بحكمه (ام على الله تفترون) فى نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون المنفصلة متصلة بارأيتم وقيل مكرر للتأكيد وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب) اى شئ ظنهم (يوم القيامة) ايحسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضى لانه كائن وفى ايهام الوعيد تهديد عظيم (ان الله لذو فضل على الناس) حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب (ولكن اكثرهم لا يشكرون) هذه النعمة (وما تكون فى شأن) ولا تكون فى امر واصله الهمزة من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير فى (وما تتلو منه) له لان تلاوة القرآن معظم شأن الرسول عليه الصلاة والسلام او لان القرآءة تكون لشأن فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو (من قرآن) على ان من تبعيضية او مزيدة لتأكيد النفى او للقرآن واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله (ولا تعملون من عمل) تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير (الا كنا عليكم شهودا) رقباء مطلعين عليه (اذ تفيضون فيه) تخوضون فيه وتندفعون (وما يعزب عن ربك) ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائى بكسر الزاى (من مثقال ذرة) موازن نملة صغيرة او هباء (فى الارض ولا فى السماء) اى فى الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام فى حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها (ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين) كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفى كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ (الا ان اولياء الله) الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة (لا خوف عليهم) من لحوق مكروه (ولا هم يحزنون) بفوات مأمول والآية كمجمل يفسره قوله (الذين آمنوا وكانوا يتقون) [illegible] الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم اياه (لهم البشرى فى الحياة الدنيا) وهو ما بشر به المتقين فى كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وما يريهم فى الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من

ان كنت على بينة) بيان (من ربى وآتانى منه رحمة) نبوة (فمن ينصرنى) يمنعنى (من الله) أى عذابه (ان عصيته فما تزيدوننى) بامركم لى بذلك (غير تخسير) تضليل (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) حال عامله الاشارة (فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء) عقر (فيأخذكم عذاب قريب) ان عقرتموها (فعقروها) عقرها قدار بامرهم (فقال) صالح (تمتعوا) عيشوا (فى داركم ثلاثة أيام) ثم تهلكون (ذلك وعد غير مكذوب) فيه (فلما جا أمرنا) باهلاكهم (نجينا صالحا والذين آمنوا معه) وهم أربعة آلاف (برحمة منا و) نجيناهم (من خزى يومئذ) بكسر الميم اعرابا وفتحها بناء لاضافته الى مبنى وهو الاكثر (ان ربك هو القوى العزيز) الغالب (وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين) باركين على الركب ميتين (كأن) مخففة واسمها محذوف أى كأنهم (لم يغنوا) يقيموا

المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع (وفى الآخرة) بتلقى الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين آمنوا النصب اوالرفع على المدح اوعلى وصف الاولياء اوعلى الابتداء وخبره لهم البشرى (لاتبديل لكلمات الله) اى لاتغيير لاقواله ولااخلاف لمواعيده (ذلك) اشارة الى كونهم مبشرين فى الدارين (هو الفوز العظيم) هذه الجملة والتى قبلها اعتراض لتحقيق المبشربه وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بماقبله (ولايحزنك قولهم) اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأنافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى (ان العزة لله جميعا) استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القرآءة بالفتح كائنه قيل لاتحزن بقولهم ولاتبال بهم لان الغلبة لله جميعا لايملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم (هو السميع)لاقوالهم (العليم) بعزماتهم فيكافيهم عليها (الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض) من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشراف الممكنات عبيدا لايصلح احد منهم للربوبية فالايعقل منها احق ان لايكون له نداوشريكا فهوكالدليل على قوله (ومايتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) اى شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه (ان يتبعون الا الظن) اى مايتبعون يقيناوانمايتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان تكون مااستفهامية منصوبة بيتبع اوموصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى اى شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اى انهم لايتبعون الا الله ولايعبدون غيره فمالكم لاتتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان ومابعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم (وان هم الا يخرصون) يكذبون فيماينسبون الى الله اويحزرون ويقدرون انهاشركاء تقديرا باطلا (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذى هو سبب (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تدبر واعتبار (قالوا اتخذ الله ولدا) اى تبناه (سبحانه) تنزيه له عن التبنى فانه لايصح الا ممن يتصور له الولد وتعجيب من كلمتهم الحمقاء

(فيها) فى دراهم (ألا ان ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود) بالصرف وتركه على معنى الحى والقبيلة (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) باسحق ويعقوب بعده (قالوا سلاما) مصدر (قال سلام) عليكم (فمالبث أن جاء بعجل حنيذ) مشوى (فلما رأى أيديهم لاتصل اليه نكرهم) بمعنى أنكرهم (وأوجس) اضمر فى نفسه (منهم خيفة) خوفا (قالوا لاتخف انا ارسلنا الى قوم لوط) لنهلكهم (وامرأته) اى امرأة ابراهيم سارة (قائمة) تخدمهم (فضحكت) استبشارا بهلاكهم (فبشرناها باسحق ومن وراء) بعد (اسحق يعقوب) ولده تعيش الى ان تراه (قالت ياويلتى) كلمة تقال عندامر عظيم والالف مبدلة من ياء الاضافة (أألدوانا عجوز) لى تسع وتسعون سنة (وهذا بعلى شيخا) له مائة او وعشرون سنة ونصبه على الحال والعامل فيه ما فى ذا من الاشارة (ان هذا لشئ عجيب)

(هو الغني) علة لتنزيهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة (له ما في السموات
وما في الارض) تقرير لغناه (ان عندكم من سلطان بهذا) نفي لمعارض ما اقامه
من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان
او نعت له او بعندكم كأنه قيل ان عندكم في هذا سلطان (اتقولون على الله
ما لا تعلمون) توبيخ وتقريع على اختلافهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول
لا دليل عليه فهو جهالة وان العقائد لابد لها من قاطع وان التقليد فيها غير
سائغ (قل ان الذين يفترون على الله الكذب) باتخاذ الولد واضافة الشريك
اليه (لا يفلحون) لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة (متاع في الدنيا)
خبر مبتدأ محذوف اي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر
او حياتهم او تقلبهم متاع او مبتدأ خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا (ثم الينا
مرجعهم) بالموت فيلقون الشقاء المؤبد (ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون)
بسبب كفرهم (واتل عليهم نبأ نوح) خبره مع قومه (اذ قال لقومه ياقوم
ان كان كبر عليكم) عظم عليكم وشق (مقامي) نفسي كقولك فعلت كذا لمكان
فلان او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة او قيامي على الدعوة (وتذكيري) اياكم
(بآيات الله فعلى الله توكلت) وثقت به (فاجمعوا امركم) فاعزموا عليه
(وشركاءكم) اي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير
المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف
المضاف اي وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره
وادعوا شركائكم وقرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم
بالعزم او الاجتماع على قصده والسعي في اهلاكه على اي وجه يمكنهم ثقة
بالله وقلة مبالاة بهم (ثم لا يكن امركم) في قصدي (عليكم غمة) مستورا
واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا تكن حالكم عليكم غما اذا
اهلكتموني وتخلصتم من ثقل مقامي وتذكيري (ثم اقضوا) ادوا (الي) ذلك
الامر الذي تريدون بي وقرئ ثم افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا
الي من افضى اذا خرج الى الفضاء (ولا تنظرون) ولا تمهلوني (فان
توليتم) اعرضتم عن تذكيري (فما سألتكم من اجر) يوجب توليكم
لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله او يفوتني لتوليكم (ان اجري) ما ثوابي
على الدعوة والتذكير (الا على الله) لا تعلق له بكم يثيبني به آمنتم او توليتم
(وامرت ان اكون من المسلمين) المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو

أن يولد ولد لهرمين) قالوا
أتعجبين من أمر الله) قدرته
(رحمت الله وبركاته عليكم)
يا (أهل البيت) بيت ابراهيم
(انه حميد) محمود (مجيد)
كريم (فلما ذهب عن
ابراهيم الروع) الخوف
(وجاءته البشرى) بالولد
أخذ (يجادلنا) يجادل
رسلنا (في) شأن (قوم
لوط ان ابراهيم لحليم) كثير
الاناة (أواه منيب) رجاع
فقال لهم أتهلكون قرية
فيها ثلثمائة مؤمن قالوا لا قال
أفتهلكون قرية فيها
مائتا مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون
قرية فيها أربعون مؤمنا قالوا
لا قال أفتهلكون قرية فيها
أربعة عشر مؤمنا قالوا لا قال
أفرأيتم ان كان فيها مؤمن واحد
قالوا لا قال ان فيها لوطا قالوا
نحن أعلم بمن فيها الخ فلما
أطال مجادلتهم قالوا
(يا ابراهيم أعرض عن
هذا) الجدال (انه قد جاء
أمر ربك) بهلاكهم (وانهم
آتيهم عذاب غير مردود
ولما جاءت رسلنا لوطا سيء
بهم) حزن بسببهم (وضاق

غيره (فكذبوه) فاصروا على تكذيبه بعدما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لاجرم حقت عليهم كلمة العذاب (فنجيناه) من الغرق (ومن معه فى الفلك) وكانوا ثمانين (وجعلناهم خلائف) من الهالكين به (واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) تعظيم لما اجرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتسلية له (ثم بعثنا) ارسلنا (من بعده) من بعد نوح (رسلا الى قومهم) كل رسول الى قومه (فجاؤهم بالبينات) بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم (فما كانوا ليؤمنوا) فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم فى الكفر وخذلان الله اياهم (بما كذبوا به من قبل) اى بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) بخذلانهم لانهماكهم فى الضلال واتباع المألوف وامثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد وقدمر تحقيق ذلك (ثم بعثنا من بعدهم) من بعد هؤلاء الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن اتباعهما (وكانوا قوما مجرمين) معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤا على ردها (فلما جاءهم الحق من عندنا) وعرفوه بتظاهر المعجزات الباهرة المزيحة للشك (قالوا) من فرط تمردهم (ان هذا لسحر مبين) ظاهر انه سحر اوفائق فى فنه واضح فيما بين اخوانه (قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم) انه لسحر فحذف المحكى المقول لدلالة ماقبله عليه ولايجوز ان يكون (أسحر هذا) لانهم بتوا القول بل هو استئناف بانكار ماقالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكى مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم فلان يخاف المقالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المقول (ولايفلح الساحرون) من تمام كلام موسى عليه السلام للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لايفلح الساحر لايسحر او من تمام قولهم ان جعل أسحر هذا محكيا كأنهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولايفلح الساحرون (قالوا أجئتنا لتلفتنا) لتصرفنا واللفت والفتل اخوان (عما وجدنا عليه آباءنا) من عبادة الاصنام (وتكون لكما الكبرياء فى الارض) الملك فيها سمى بها لاتصاف الملوك بالكبر او التكبر على

بهم ذرعا) صدرا لانهم حسان الوجوه فى صورة أضياف فخاف عليهم قومه (وقال هذا يوم عصيب) شديد (وجاءه قومه) لما علموا بهم (يهرعون) يسرعون (اليه ومن قبل) قبل مجيئهم (كانوا يعملون السيئات) وهى اتيان الرجال فى الادبار (قال) لوط (ياقوم هؤلاء بناتى) فتزوجوهن (هن أطهر لكم فاتقوا الله ولاتخزون) تفضحونى (فى ضيفى) أضيافى (أليس منكم رجل رشيد) يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر (قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق) حاجة (وانك لتعلم مانريد) من اتيان الرجال (قال لو أن بكم قوة) طاقة (أو آوى الى ركن شديد) عشيرة تنصرنى لبطشت بكم فلما رأت الملائكة ذلك (قالوا يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك) بسوء (فأسر باهلك بقطع) طائفة (من الليل ولايلتفت منكم أحد) لئلا يرى عظيم ماينزل بهم (الا امرأتك) بالرفع بدل

الناس باستتباعهم (وما نحن لكما بمؤمنين) بمصدقين فيما جئتما به (وقال
فرعون ائتونى بكل ساحر) وقرأ حمزة والكسائى بكل سحار (عليم)
حاذق فيه (فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا
قال موسى ما جئتم به السحر) اى الذى جئتم به هو السحر لا ما سماه
فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية مبتدأ
مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها وآلسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف
تقديره اهو السحر او مبتدأ خبره محذوف اى السحر هو ويجوز ان ينتصب
ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اى شئ اتيتم (ان الله سيبطله) سيمحقه
او سيظهر بطلانه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) لا يثبته ولا يقويه وفيه
دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له (ويحق الله الحق) ويثبته
بكلماته) باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته (ولو كره المجرمون) ذلك
فما آمن لموسى) فى مبتدأ امره (الا ذرية من قومه) الا اولاد من اولاد قومه
بنى اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل
الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به او مؤمن آل فرعون
وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته (على خوف من فرعون
وملائهم) اى خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد
فى ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية
او للقوم (ان يفتنهم) ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده
بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملا كان بسببه (وان فرعون لعال
فى الارض) لغالب فيها (وانه لمن المسرفين) فى الكبر والعتو حتى ادعى
الربوبية واسترق اسباط الانبياء (وقال موسى) لما رأى تخوف المؤمنين به
(يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا) فثقوا به واعتمدوا عليه (ان كنتم
مسلمين) مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم
بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضى له والمشروط
بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه
ان قدرت (فقالوا على الله توكلنا) لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك
اجيبت دعوتهم (ربنا لا تجعلنا فتنة) موضع فتنة (للقوم الظالمين)
اى لا تسلطهم علينا فيفتنونا (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) من
كيدهم وشؤم مشاهدتهم وفى تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعى

من احد وفى قراءة بالنصب
استثناء من الاهل اى فلا
تسر بها (انه مصيبها
ما أصابهم) فقيل لم يخرج
بها وقيل خرجت والتفتت
فقالت واقوماه فجاءها حجر
فقتلها وسألهم عن وقت
هلاكهم فقالوا (ان موعدهم
الصبح) فقال أريد أعجل
من ذلك قالوا (أليس الصبح
بقريب فلما جاء أمرنا)
باهلاكهم (جعلنا عاليها)
اى قراهم (سافلها) اى
بأن رفعها جبريل الى السماء
واسقطها مقلوبة الى
الارض (وامطرنا عليها
حجارة من سجيل) طين
طبخ بالنار (منضود)
متتابع (مسومة) معلمة
عليها اسم من يرمى بها (عند ربك)
ظرف لها (وما هى) الحجارة
او بلادهم (من الظالمين)
اى اهل مكة (ببعيد و)
أرسلنا (الى مدين اخاهم
شعيبا قال يا قوم أعبدوا الله)
وحدوه (ما لكم من اله
غيره ولا تنقصوا المكيال
والميزان انى اراكم بخير) نعمة
تغنيكم عن التطفيف (وانى

ينبغى ان يتوكل اولا يجاب دعوته (واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ) ان اتخذا مباءة (لقومكما بمصر بيوتا) يسكنون فيها اويرجعون اليها للعبادة (واجعلوا) انتما وقومكما (بيوتكم) تلك البيوت (قبلة) مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعنى الكعبة وكان موسى يصلى اليها (واقيموا الصلاة) فيها امروا بذلك اول امرهم ائلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم (وبشر المؤمنين) بالنصرة فى الدنيا والجنة فى العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوّ للقوم اتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلاة مما ينبغى ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة فى الاصل وظيفة صاحب الشريعة (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاءه زينة) مايتزين به من الملابس والمراكب ونحوهما (واموالا فى الحياة لدنيا) وانواعا من المال (ربنا ليضلوا عن سبيلك) دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لايكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهى متعلقة بآتيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا للضلال فكأنهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول وتأكيدا اوتنبيها على ان المقصود عرض ضلالتهم وكفرانهم تقدمة لقوله (ربنا اطمس على اموالهم) اى اهلكها والطمس المحق وقرئ واطمس بالضم (واشدد على قلوبهم) اى واقسها واطبع عليها حتى لاتنشرح للايمان (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) جواب للدعاء اودعاء بلفظ النهى اوعطف على ليضلوا ومابينهما دعاء معترض (قال قد اجيبت دعوتكما) يعنى موسى وهرون عليهما السلام لانه كان يؤمن (فاستقيما) فاثبتا على ماانتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولاتستعجلا فان ماطلبتما كائن ولكن فى وقته روى انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة (ولاتتبعان سبيل الذين لايعلمون) طريق الجهلة فى الاستعجال اوعدم الوثوق والاطمئنان بوعدالله وعن ابن عامر رواية ابن ذكوان ولاتتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولاتتبعان من تبع يتبع ولاتتبعان ايضا (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر) اى جوزناهم فى البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف (فاتبعهم) فادركهم يقال تبعه حتى اتبعه (فرعون وجنوده بغيا

أخاف عليكم) ان لم تؤمنوا (عذاب يوم محيط) بكم يهلككم ووصف اليوم به مجاز لوقوعه فيه (وياقوم أوفوا المكيال والميزان) اتموهما (بالقسط) بالعدل (ولاتبخسوا الناس اشياءهم) لاتنقصوهم من حقهم شيئا (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) بالقتل وغيره من عثى بكسر المثلثة افسد ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها تعثوا (بقيت الله) رزقه الباقى لكم بعد ايفاء الكيل والوزن (خير لكم) من البخس (ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ) رقيب اجازيكم باعمالكم انما بعثت نذيرا (قالوا) له استهزاء (ياشعيب اصلواتك تأمرك) بتكليف (ان نترك مايعبد آباؤنا) من الاصنام (او) نترك (ان نفعل فى اموالنا مانشاء) المعنى هذا امر باطل لايدعو اليه داع بخير (انك لانت الحليم الرشيد) قالوا ذلك استهزاء (قال ياقوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا) حلالا افاشوبه

وعدوا) باغين وعادين اوللبغى والعدو وقرئ وعـدوا (حتى اذا ادركه الغرق) لحقه (قال آمنت انه) اى بانه (لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيـل وانا من المسلمين) قرأ حمزة والكسائى انه بالكسر على اضمار القول اوالاستئناف بدلا وتفسير الآمنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لايقبل (آلآن) اتؤمن الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار (وقد عصيت قبل) قبل ذلك مدة عمرك (وكنت من المفسـدين) الضالين المضلين عن الايمان (فاليوم ننجيـك) نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنوا اسرائيل وقرأ يعقوب ننجيك من انجى وقرئ ننحيك بالحاء اى نلقيك بناحية السـاحل (ببدنك) فى موضع الحال اى ببدنك عاريا عن الروح اوكاملا سـويا اوعريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بهـا وقرئ بابدانك اى باجزاء البـدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كأنه كان مظـاهرا بينها (لتكون لمن خلفك آية) لمن وراءك علامة وهم بنوا اسرائيل اذ كان فى نفوسهم من عظمته ماخيل اليهم انه لايهلك حتى كذبوا موسى عليـه السـلام حين اخـبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا ممرهم من السـاحـل اولمن يأتى بعدك من القرون اذا سمعوا امآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان اوحجة تدلهم على ان الانسان على ماكان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظـان الربوبية وقرئ لمن خلقـك اى لخالقك آية كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشـبهة فى امرك وذلك دليـل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) لايتفكرون فيها ولايعتبرون بها (ولقد بوأنا) انزلنا (بنى اسرائيل مبوأ صدق) منزلا صالحا مرضيا وهو الشـام ومصر (ورزقناهم من الطيبات) من اللذائذ (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) فما اختلفوا فى امر دينهم الامن بعد ماقرؤا التوراة وعلموا احكامها اوفى امر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الامن بعد ماعلموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته (ان ربك يقضى بينهم يوم القيـامة فيما كانوا فيه يختلفون) فيميز الحـق عن المبطل بالانجاء والاهلاك (فان كنت فى شك مما انزلنا اليك) من القصص على سبيل الفرض والتقدير (فاسـأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) فانه

بالحرام من البخس والتطفيف (وما اريد ان اخالفـكم) واذهب (الى ما انهـاكم عنـه) فارتكبـه (ان) ما (أريد الا الاصلاح) لكم بالعـدل (مااسـتطعت وما توفيقى) قدرتى عـلى ذلك وغيره من الطاعات (الا بالله عليه توكلت واليـه انيب) ارجع (وياقوم لايجرمنكم) يكسبنكم (شـقاقى) خلافى فاعل يجرم والضمـير مفعول اول والثـانى (أن يصيبكم مثـل مااصـاب قوم نوح اوقوم هود اوقوم صالح) من العذاب (وماقوم لوط) اى منازلهم اوزمن هلاكهم (منكم ببعيـد) فاعتـبروا (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم) بالمؤمنين (ودود) محب لهم (قالوا) ايذانا بقلة المبـالاة (ياشعيب مانفقـه) نفهـم (كثـيرا ممـا تقول وانا لنراك فينـا ضـعيفا) ذليـلا (ولولا رهطـك) عشـيرتك (لرجمنـاك) بالحجارة (وما انت علينـا بعزيز) كريم عن الرجم وانما رهطك هم الاعزة (قال ياقوم أرهطى

اعزعليكم من الله) فتتركوا قتلى لاجلهم ولا تحفظونى لله (واتخذتموه) اى الله (وراءكم ظهريا) منبوذا خلف ظهوركم لاتراقبونه (ان ربى بما تعملون محيط) علما فيجازيكم (و يا قوم اعملوا على مكانتكم)حالتكم (انى عامل) على حالتى (سوف تعلمون من) موصولة مفعول العلم (يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا) انتظروا عاقبة امركم (انى معكم رقيب) منتظر (ولما جاء امرنا) باهلاكهم (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة) صاح بهم جبريل (فاصبحوا فى ديارهم جاثمين) باركين على الركب ميتين (كأن) مخففة اى كأنهم لم يغنوا) يقيموا (فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) برهان بين ظاهر (الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد) سديد (يقدم) يتقدم (قوم يوم القيامة)

محقق عندهم ثابت فى كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما فى الكتب المتقدمة فان القرآن مصدق لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ فى العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا اشك ولا اسأل وقيل الخطاب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به امته اولكل من يسمع اى ان كنت ايها السامع فى شك مما انزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة فى الدين ينبغى ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم (لقد جاءك الحق من ربك) واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة (فلا تكونن من الممترين) بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين) ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين (ان الذين حقت عليهم) ثبتت عليهم (كلمة ربك) بانهم يموتون على الكفر او يخلدون فى العذاب (لا يؤمنون) اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه (ولو جاءتهم كل آية) فان السبب الاصلى لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود (حتى يروا العذاب الاليم) وحينئذ لا ينفعهم كما لا ينفع فرعون (فلولا كانت قرية آمنت) فهلا كانت قرية من القرى التى اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم يؤخر اليها كما اخر فرعون (فنفعها ايمانها) بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها (الا قوم يونس) لكن قوم يونس عليه السلام (لما آمنوا) اول ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله (كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا) ويجوز ان تكون الجملة فى معنى النفى لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها كانه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل (ومتعناهم الى حين) الى آجالهم روى ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى ثلاثين وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد اغامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشى مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن

بعضهـا الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا النية واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشـوراء يوم الجمعة (ولو شـاء ربك لآمن من فى الارض كلهم) بحيث لايشذ منهم احد (جميعا) مجتمعين على الايمان لايختلفون فيه وهو دليل على القدرية فى انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين فان من شـاء ايمانه يؤمن لامحالة والتقييد بمشـيئة الالجاء خـلاف الظاهر (أفأنت تكره الناس) بما لم يشـأ الله منهم (حتى يكونوا مؤمنين) وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء وايلائها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة عـلى ان خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روى انه كان حريصـا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله (وما كان لنفس ان تؤمن) بالله (الا باذن الله) الا بارادته واطلاقه وتوفيقه فلا تجهـد نفسك فى هداها فانه الى الله (ويجعـل الرجس) العـذاب او الخذ لان فانه سببه وقرئ بالزاى وقرأ ابوبكر ونجعل بالنون (على الذين لايعقلون) لايستعملون عقولهم بالنظر فى الحجج والآيات او يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله (قل انظروا) اى تفكروا (ماذا فى السموات والارض) من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل (وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون) فى علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية فى موضع النصب (فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم) مثل وقايعهم ونزول بأس الله بهم اذ لايستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعهـا (قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين) لذلك او فانتظروا هلاكى انى معكم من المنتظرين هلاككم (ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا) عطف على محذوف دل عليه الامثل ايام الذين خلوا كأنه قيل نهلك الامم ثم ننجى رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية (كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين) كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجى محمدا عليه الصلاة والسلام وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينـا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من ذلك وقرأ حفص والكسـائى ننج المؤمنين مخففا (قل ياايها الناس) خطاب لاهل مكة (ان كنتم فى شك من دينى) وصحته (فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم) فهذا خلاصة دينى اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا

فيتبعونه كما اتبعوه فى الدنيـا (فأوردهـم) ادخلهـم (النـار وبئس الورد المورود) هى (واتبعوا فى هـذه) اى الدنيـا (لعنة ويوم القيـامة) لعنة (بئس الرفد) العون (المرفود) رفدهم (ذلك) المذكور مبتدأ خبره (من أنباء القرى نقصه عليـك) يا محمـد (منها) اى القرى (قائم) هلك اهـله دونه (و) منها (حصيد) هلك باهله فلا اثر له كالزرع المحصـود بالمنـاجل (وما ظلمنـاهم) باهلاكهم بغير ذنب (ولكن ظلموا انفسـهم) بالشرك (فمـا اغنت) دفعت (عنهم آلهتهم التى يدعون) يعبدون (من دون الله) اى غـيره (من) زائدة (شئ لمـا جاء امر ربك) عذابه (وما زادوهم) بعبـادتهم لهـا (غير تتبيب) تخسـير (وكذلك) مثل ذلك الاخذ (اخذ ربك اذا أخذ القرى) اريد اهلهـا (وهى ظالمة) بالذنوب اى فلا يغنى عنهم من اخذه شئ (ان اخذه اليم شديد) روى الشيخـان عن ابى موسى

صحتها وهو انى لااعبد ماتخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذى هو يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفى بالذكر للتهديد (وامرت ان اكون من المؤمنين) بمادل عليه العقل ونطق به الوحى وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان وان يكون من غيره كقوله * امرتك الخير فافعل ماامرت به * فقد تركتك ذامال وذانسب (وان اقم وجهك للدين) عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولافرق بينهما فى الفرض لان المقصود وصلها بمايتضمن معنى المصدر لتدل عليه معه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة فى الدين والاستداد فيه باداء الفرائض والانتهاء عن القبائح اوفى الصلاة باستقبال القبلة (حنيفا) حال من الدين او الوجه (ولاتكونن من المشركين ولاتدع من دون الله مالاينفعك ولايضرك) بنفسه ان دعوته او خذلته (فان فعلت) فان دعوته (فانك اذا من الظالمين) جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء (وان يمسسك الله بضر) وان يصبك به (فلا كاشف له) يرفعه (الاهو) الاالله (وان يردك بخير فلاراد) فلادافع (لفضله) الذى اراد به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات والضر انما مسهم لابالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بمايريد بهم من الخير لااستحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لايمكن رده (يصيب به) بالخير (من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولاتيأسوا من غفرانه بالمعصية (قل ياأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) رسوله او القرآن ولم يبق لكم عذر (فمن اهتدى) بالايمان والمتابعة (فانما يهتدى لنفسه) لان نفعه لها (ومن ضل) بالكفر بهما (فانما يضل عليها) لان وبال الضلال عليها (وماانا عليكم بوكيل) بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير (واتبع مايوحى اليك) بالامتثال والتبليغ (واصبر) على دعوتهم وتحمل اذيتهم (حتى يحكم الله) بالنصرة او بالامر بالقتال (وهو خير الحاكمين) اذلايمكن الخطأ فى حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب وبعدد من غرق مع فرعون

الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملى للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك أخذ ربك الآية (ان فى ذلك) المذكور من القصص (لآية) لعبرة (لمن خاف عذاب الآخرة ذلك) اى يوم القيامة (يوم مجموع له) فيه (الناس وذلك يوم مشهود) يشهده جميع الخلائق (ومانؤخره الالاجل معدود) لوقت معلوم عندالله (يوم يأت) ذلك اليوم (لاتكلم) فيه حذف احدى التاءين (نفس الاباذنه) تعالى (فمنهم) اى الخلق (شقى و) منهم (سعيد) كتب كل فى الازل (فاما الذين شقوا) فى علمه تعالى (ففى النار لهم فيها زفير) صوت شديد (وشهيق) صوت ضعيف (خالدين فيها مادامت السموات والارض) اى مدة دوامهما فى الدنيا (الا) غير (ماشاء ربك) من الزيادة على مدتهما مما لامنتهى له والمعنى خالدين فيها أبدا (ان ربك فعال لما يريد وأما

(سورة هود عليه السلام مكية وهى مائة وثلاث وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر كتاب) مبتدأ وخبر او كتاب خبر مبتدأ محذوف (احكمت آياته) نظمت نظما محكما لايعتريه اختلال من جهة اللفظ والمعنى اومنعت من الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية (ثم فصلت) بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا اوبالانزال نجما اوفصل فيها ولخص مايحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اى فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت فى الحكم اوللتراخى فى الاخبار (من لدن حكيم خبير) صفة اخرى لكتاب اوخبر بعد خبر اوصلة لاحكمت اوفصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ماينبغى باعتبار ماظهر امره وماخفى (ان لاتعبدوا الا الله) لان لاتعبدوا وقيل ان مفسرة لان فى تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد او الامر بالتبرى عن عبادة الغير كأنه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا (اننى لكم منه) من الله (نذير وبشير) بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد (وان استغفروا ربكم) عطف على ان لاتعبدوا (ثم توبوا اليه) ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لابدله من الرجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة و يجوز ان يكون ثم لتفاوت مابين الامرين (يمتعكم متاعا حسنا) يعشكم فى امن ودعة (الى اجل مسمى) هو آخر اعماركم المقدرة اولايهلككم بعذاب الاستئصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير (ويؤت كل ذى فضل فضله) ويعط كل ذى فضل فى دينه جزاء فضله فى الدنيا اوفى الآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين (وان تولوا) وان تتولوا (فانى اخاف عليكم عذاب يوم كبير) يوم القيامة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى (الى الله مرجعكم) رجوعكم فى ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس (وهو على كل شئ قدير) فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب فكأنه تقرير لكبر اليوم (الا انهم يثنون صدورهم) يثنونها

الذين سعدوا) بفتح السين وضمها (ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا) غير (ماشاء ربك) كما تقدم ودل عليه فيهم قوله (عطاء غير مجذوذ) مقطوع وماتقدم من التأويل هو الذى ظهر وهو خال من التكليف والله اعلم بمراده (فلاتك) يامحمد (فى مرية) شك (مما يعبد هؤلاء) من الاصنام أنا نعذبهم كما عذبنا من قبلهم وهذا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (مايعبدون الا كما يعبد آباؤهم) أى كعبادتهم (من قبل) وقد عذبناهم (وانا لموفوهم) مثلهم (نصيبهم) حظهم من العذاب (غير منقوص) أى تاما (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فاختلف فيه) بالتصديق والتكذيب كالقرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير الحساب والجزاء للخلائق الى يوم القيامة (لقضى بينهم) فى الدنيا فيما اختلفوا فيه (وانهم) أى المكذبين به (لفى شك منه مريب) موقع الريبة (وان) بالتخفيف والتشديد (كلا)

عن الحق ويحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم او يولون ظهورهم وقرئ يثنونى بالياء من اثنونى وهو
بناء المبالغة و يثنون واصله يثنونن من الثن وهو الكلأ الضعيف اراد به
ضعف قلوبهم اومطاوعة صدورهم للثني و يثنئن من اثنأن كابيأض
بالهمزة و يثنوى (ليستخفوا منه) من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه
قيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا
ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كيف يعلم
وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة
(الاحين يستغشون ثيابهم) الاحين يأوون الى فراشهم و يتغطون بثيابهم
(يعلم مايسرون) في قلوبهم (ومايعلنون) بافواههم يستوى في علمه سرهم
وعلنهم فكيف يخفى عليه ماعسى يظهرونه (انه عليم بذات الصدور) بالاسرار
ذات الصدور او بالقلوب واحوالها (ومامن دابة في الارض الاعلى الله رزقها)
غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا
لوصوله وحملا على التوكل فيه (و يعلم مستقرها ومستودعها) اماكنها في الحياة
والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل
ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة (كل) كل واحد
من الدواب واحوالها (في كتاب مبين) مذكور في اللوح المحفوظ وكأنه
اريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها و بمابعدها بيان كونه قادرا
على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولماسبق من الوعد والوعيد
(وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام) اى خلقهما ومافيهما
كما مر بيانه في الاعراف اومافي جهتي العلو والسفل وجمع السموات
دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات
(وكان عرشه على الماء) قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا انه كان
موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث
بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله
اعلم بذلك (ليبلوكم ايكم احسن عملا) متعلق بخلق اى خلق ذلك كخلق
من خلق ليعاملكم معاملة المبتلى لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك
اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم ومايحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات
تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه

أى كل الخلائق (لما) ما زائدة
واللام موطئة لقسم مقدر
أو فارقة وفي قراءة بتشديد
لما بمعنى الا فان نافية
(ليوفينهم ربك أعمالهم)
أى جزاءها (انه بما يعملون
خبير) عالم ببواطنه كظواهره
(فاستقم) على العمل بامر ربك
والدعاء اليه (كما أمرت و)
ليستقم (من تاب) آمن (معك
ولا تطغوا) تجاوزوا حدود
الله (انه بما تعملون بصير)
فيجازيكم به (ولا تركنوا)
تميلوا (الى الذين ظلموا)
بموادة أو مداهنة أو رضا
باعمالهم (فتمسكم) تصيبكم
(النار ومالكم من دون الله)
أى غيره (من) زائدة (أولياء)
يحفظونكم منه (ثم لا تنصرون)
تمنعون من عذابه (وأقم
الصلاة طرفي النهار) الغداة
والعشى أى الصبح والظهر
والعصر (وزلفا) جمع زلفة
أى طائفة (من الليل) أى
المغرب والعشاء (ان الحسنات
كالصلوات الخمس (يذهبن
السيئات) الذنوب الصغائر
نزلت فيمن قبل أجنبية فاخبره
صلى الله عليه وسلم فقال
ألى هذا فقال لجميع امتى

من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقى دائما فى مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل مايعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا (ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) اى ما البعث او القول به والقرآن المتضمن لذكره الا كالسحر فى الخديعة او البطلان وقرأ حمزة والكسائى الا ساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت او ان يكون ان بمعنى عل اى ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة فى انكاره (ولئن اخرنا عنهم العذاب) الموعود (الى امة معدودة) الى جماعة من الاوقات قليلة (ليقولن) استهزاء (ما يحبسه) ما يمنعه من الوقوع (الا يوم يأتيهم) كيوم بدر (ليس مصروفا عنهم) ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها (وحاق بهم) واحاط بهم وضع الماضى موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة فى التهديد (ما كانوا به يستهزؤن) اى العذاب الذى كانوا به يستعجلون فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء (ولئن اذقنا الانسان منا رحمة) ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها (ثم نزعناها منه) سلبنا تلك النعمة منه (انه ليؤس) قطوع رجاءه من فضل الله تعالى لقلة صبره وعدم ثقته به (كفور) مبالغ فى كفران ما سلف له من النعمة (ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته) كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفى اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى (ليقولن ذهب السيئات عنى) اى المصائب التى ساءتنى (انه لفرح) بطر بالنعم مغتر بها (فخور) على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها ولفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان فى الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده فى الآخرة وانه يقع فى الكفران والبطر بادنى شئ لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدأ الوصول (الا الذين صبروا) على الضراء ايمانا بالله تعالى واستسلاما لقضائه (وعملوا الصالحات) شكرا لآلائه سابقها ولاحقها

كلهم رواه الشيخان (ذلك ذكرى للذاكرين) عظة للمتعظين (واصبر) يا محمد على أذى قومك أو على الصلاة (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) بالصبر على الطاعة (فلولا) فهلا (كان من القرون) الامم الماضية (من قبلكم أولوا بقية) أصحاب دين وفضل (ينهون عن الفساد فى الارض) المراد به النفى أى ما كان فيهم ذلك (الا) لكن (قليلا ممن أنجينا منهم) نهوا فنجوا ومن للبيان (واتبع الذين ظلموا) بالفساد وترك النهى (ما أترفوا) نعموا (فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم) منه لها (وأهلها مصلحون) مؤمنون (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) أهل دين واحد (ولا يزالون مختلفين) فى الدين (الا من رحم ربك) أراد لهم الخير فلا يختلفون فيه (ولذلك خلقهم) أى أهل الاختلاف له وأهل الرحمة لها (وتمت كلمة ربك) وهى (لأملأن جهنم من الجنة) الجن (والناس أجمعين وكلا) نصب بنقص وتنوينه عوض

(اولئك لهم مغفرة) لذنوبهم (واجر كبير) اقله الجنة والاستثناء
من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق
ومن حمله على الكفار لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا (فلعلك تارك
بعض مايوحى اليك) تترك تبليغ مايوحى اليك وهو مايخالف رأى
المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولايلزم من توقع الشئ لوجود
مايدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون مايصرف عنه وهو عصمة الرسل
من الخيانة فى الوحى والتقية فى التبليغ مانعا (وضائق به صدرك) وعارض لك
احيانا ضيق صدرك بان تتلوه عليهم مخافة (ان يقولوا لولا انزل عليه
كنز) ينفقه فى الاستتباع كالملوك (اوجاء معه ملك) يصدقه وقيل الضمير
فى به مبهم يفسره ان يقولوا (انما انت نذير) ليس عليك الا الانذار بما اوحى
اليك ولاعليك ردوا اواقترحوا فما بالك يضيق به صدرك (والله على كل
شئ وكيل) فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم
وافعالهم (ام يقولون افتراه) ام منقطعة والهاء لما يوحى (قل فأتوا بعشر
سور مثله) فى البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها
سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد
(مفتريات) مختلقات من عند انفسكم ان صح انى اختلقته من عند نفسى
فانكم عرب فصحاء مثلى تقدرون على مثل ماقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم
القصص والاشعار وتعودكم القريض و لنظم (وادعوا من استطعتم من
دون الله) الى المعاونة على المعارضة (ان كنتم صادقين) انه مفترى
(فان لم يستجيبوا لكم) باتيان مادعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم اولان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه
عليهم فى كل امر الا ماخصه الدليل وللتنبيه على ان التحدى مما يوجب
رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلايغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله (فاعلموا
انما انزل بعلم الله) ملتبسا بما لايعلمه الا الله ولايقدر عليه سواه (وان لا اله الا هو)
واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لايعلم ولايقدر عليه غيره ولظهور
عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه
تهديد واقناط من ان يجيرهم من بأس الله آلهتهم (فهل انتم مسلمون)
ثابتون على الاسلام راسخون فيه مخلصون اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا

عن المضاف اليه أى كل ما
يحتاج اليه (نقص عليك من
أنباء الرسل ما) بدل من كلا
(نثبت) نطمئن (به فؤادك)
قلبك (وجاءك فى هذه) الانباء
أو الآيات (الحق وموعظة
وذكرى للمؤمنين) خصوا
بالذكر لانتفاعهم بها فى
الايمان بخلاف الكفار (وقل
للذين لايؤمنون اعملوا على
مكانتكم) حالتكم (انا عاملون)
على حالتنا تهديد لهم
(وانتظرا) عاقبة أمركم
(انا منتظرون) ذلك (ولله
غيب السموات والارض) أى
علم ماغاب فيهما (واليه يرجع)
بالبناء للفاعل نعود وللمفعول
يرد (الامر كله) فينتقم ممن
عصى (فاعبده) وحده
(وتوكل عليه) ثق به فانه
كافيك (وما ربك بغافل عما
يعملون) وانما يؤخرهم
لوقتهم وفى قراءة بالفوقانية
*(سورة يوسف مكية مائة
واحدى عشرة آية) *
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(الر) الله أعلم بمراده بذلك
(تلك) هذه الآيات (آيات
الكتاب) القران والاضافة
بمعنى من (المبين) المظهر

ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لكم لمن استطعتم اى فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان مادعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) باحسانه وبره (نوف اليهم اعمالهم فيها) نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اى يوف الله ويوف على البناء للمفعول وتوفى بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله * وان اتاه خليل يوم مسغبة * يقول لا غائب مالى ولا حرم * (وهم فيها لا يبخسون) لا ينقصون شيئا من اجورهم والآية في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة بر بهم (اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار) مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا ماتقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة (وحبط ماصنعوا فيها) لانهم لم يبق لهم ثواب في الآخرة اولم يكن لانهن لم يريدوا به وجه الله تعالى والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا (وباطل) في نفسه (ما كانوا يعملون) لانه لم يعمل على ماينبغى وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله * ولا خارجا من في زور كلام * وبطل على الفعل (افمن كان على بينة من ربه) برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شأنه هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذى اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة كمن يريد الحياة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل مؤمنوا اهل الكتاب (ويتلوه) ويتبع ذلك البرهان الذى هو دليل العقل (شاهد منه) شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن (ومن قبله) ومن قبل القرآن (كتاب موسى) يعنى التوراة فانها ايضا تتلوه في التصديق وقيل البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل اولسان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على ان الضمير له

للحق من الباطل (انا أنزلناه قرآنا عربيا) بلغة العرب (لعلكم) يا أهل مكة (تعقلون) تفهمون معانيه (نحن نقص عليك احسن القصص بما أوحينا) بايحائنا (اليك هذا القرآن وان) مخففة أى وانه (كنت من قبله لمن الغافلين) اذكر (اذ قال يوسف لابيه) يعقوب (ياأبت) بالكسر دلالة على ياء الاضافة المحذوفة والفتح دلالة على ألف محذوفة قلبت عن الياء (انى رأيت) في المنام (أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم) تأكيد (لى ساجدين) جمع بالياء والنون للوصف بالسجود الذى هو من صفات العقلاء (قال يابنى لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا) يحتالوا في هلاكك حسدا لعلمهم بتأويلها من أنهم الكواكب والشمس أمك والقمر أبوك (ان الشيطان للانسان عدو مبين) ظاهر العداوة (وكذلك) كما رأيت (يجتبيك) يختارك (ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث) تعبير الرؤيا

اومن التلوه والشاهد ملك يحفظه والضمير فى يتلوه امالمن اوللبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير فى يتلوه اى يتلو القرآن شاهد ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل ويقرأ من قبل القرآن التوراة (اماما) كتابا مؤتما به فى الدين (ورحمة) على المنزل عليهم لانها الوصلة الى الفوز بخير الدارين (اولئك) اشارة الى من كان على بينة (يؤمنون به) بالقرآن (ومن يكفر به من الاحزاب) من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فالنار موعده) يردها لامحالة (فلاتك فى مرية منه) من الموعد او القرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك (انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لايؤمنون) لقلة نظرهم واختلاف فكرهم (ومن اظلم من افترى على الله كذبا) كأن اسند اليه مالم ينزله اونفى عنه ما انزله (اولئك يعرضون على ربهم) فى الموقف بان يحبسوا وتعرض اعمالهم (ويقول الاشهاد) من الملائكة والنبيين اومن جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب اوشهيد كاشراف جمع شريف (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الالعنة الله على الظالمين) تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله (الذين يصدون عن سبيل الله) عن دينه (ويبغونها عوجا) ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب اويبغون اهلها ان يعوجوا بالردة (وهم بالآخرة هم كافرون) والحال انهم كافرون بالآخرة وتكريرهم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به (اولئك لم يكونوا معجزين فى الارض) اى ماكانوا معجزين الله فى الدنيا ان يعاقبهم (وما كان لهم من دون الله من اولياء) يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم (يضاعف لهم العذاب) استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد (ما كانوا يستطيعون السمع) لتصامهم عن الحق وبغضهم له (وماكانو يبصرون) لتعاميهم عن آيات الله وكأنه العلة فى مضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وماكان لهم من دون الله من اولياء فان مالايسمع ولايبصر لايصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض (اولئك الذين خسروا انفسهم) باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى (وضل عنهم ماكانوا يفترون) من الآلهة وشفاعتها اوخسروا بما بذلوا وضاع عنهم ماحصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة

(ويتم نعمته عليك) بالنبوة (وعلى آل يعقوب) أولاده (كما أتمها) بالنبوة (على أبويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم) بخلقه (حكيم) فى صنعه بهم (لقد كان فى) خبر (يوسف واخوته) وهم أحد عشر (آيات) عبر (للسائلين) عن خبرهم اذكر (اذقالوا) أى بعض اخوة يوسف لبعضهم (ليوسف) مبتدأ (واخوه) شقيقه بنيامين (أحب) خبر (الى أبينا مناونحن عصبة) جماعة (ان أبانا لفى ضلال) خطاء (مبين) بين بايثارهما علينا (اقتلوا يوسف أواطرحوه ارضا) أى بارض بعيدة (يخل لكم وجه أبيكم) بان يقبل عليكم ولايلتفت لغيركم (وتكونوا من بعده) أى بعد قتل يوسف اوطرحه (قوما صالحين) بان تتوبوا (قال قائل منهم) هو يهودا (لاتقتلوا يوسف وألقوه) اطرحوه (فى غيابت الجب) مظلم البئر وفى قراءة بالجمع (يلتقطه بعض السيارة) المسافرين (ان كنتم فاعلين) ماأردتم من التفريق فاكتفوا

(لاجرم انهم فى الآخرة هم الاخسرون) لااحد ابين واكثر خسرانا منهم (ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم) اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهى الارض المطمئنة (اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) دائمون (مثل الفريقين) الكافر والمؤمن (كالاعمى والاصم والبصير والسميع) يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن آيات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله تعالى وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون كل واحد منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين اوتشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله * الصابح فالغانم فالآيب * وهذا من باب اللف والطباق (هل يستويان) هل يستوى الفريقان (مثلا) اى تمثيلا اوصفة اوحالا (افلاتذكرون) بضرب الامثال والتأمل فيها (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم) بانى لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول (نذير مبين) ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص (ان لاتعبدوا الا الله) بدل من انى لكم اومفعول مبين ويجوز ان تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير (انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم) مؤلم وهو فى الحقيقة صفة المعذب لكن وصف به العذاب وزمانه على طريق جدجده ونهاره صائم للمبالغة (فقال الملأ الذين كفروا من قومه مانراك الابشرا مثلنا) لامزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة (ومانراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا) اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر اوارذل جمع رذل (بادى الرأى) ظاهر الرأى من غير تعمق من البدو اواول الرأى من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ماقبلها وقرأ ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اى وقت حدوث بادئ الرأى والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك اولفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحياة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل (ومانرى لكم) لك ولمتبعيك (علينا من فضل) يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة (بل نظنكم كاذبين) اياك فى دعوى النبوة واياهم فى دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين (قال ياقوم ارأيتم) اخبرونى (ان كنت على بينة من ربى) بحجة شاهدة بصحة دعواى (وآتانى رحمة من عنده) بايتاء البينة

بذلك (قالوا ياأبانا مالك لاتأمنا على يوسف وانا له لناصحون) لقائمون بمصالحه (أرسله معنا غدا) الى الصحراء (نرتع ونلعب) بالنون والياء فيهما ننشط ونتسع (وانا له لحافظون قال انى ليحزننى أن تذهبوا) أى ذهابكم (به) لفراقه (وأخاف أن يأكله الذئب) المراد به الجنس وكانت أرضهم كثيرة الذئاب (وأنتم عنه غافلون) مشغولون (قالوا لئن) لام قسم (أكله الذئب ونحن عصبة) جماعة (انا اذا لخاسرون) عاجزون فارسله معهم (فلما ذهبوا به وأجمعوا) عزموا (أن يجعلوه فى غيابة الجب) وجواب لما محذوف أى فعلوا ذلك بأن نزعوا قميصه بعد ضربه واهانته وارادة قتله وأدلوه فلما وصل الى نصف البئر ألقوه ليموت فسقط فى الماء ثم أوى الى صخرة فنادوه فاجابهم يظن رحمتهم فارادوا رضخه بصخرة فمنعهم يهودا (وأوحينا اليه) فى الجب وحى حقيقة وله سبع عشرة سنة أو دونها تطمينا لقلبه (لتنبئنهم) بعد اليوم (بأمرهم) بصنيعهم (هذا وهم

والنبوة (فعميت عليكم) فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة في نفسها هي الرحمة اولان خفاءها يوجب خفاء النبوة اوعلى تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار اولانه لكل واحدة منهما وقرأ حمزة والكسائي وحفص فعميت اى اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله (انلزمكموها) انلزمكم على الاهتداء بها (وانتم لها كارهون) لاتختارونها ولاتتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل (وياقوم لااسألكم عليه) على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مماذكر (مالا) جعلا (ان اجرى الا على الله) فانه المأمول منه (وماانا بطارد الذين آمنوا) جواب لهم حين سألوا طردهم (انهم ملاقو ربهم) فيخاصمون طاردهم عنده اوانهم يلاقونه ويفوزون بربه فكيف اطردهم (ولكنى اراكم قوما تجهلون) بلقاء ربكم او باقدارهم اوفى التماس طردهم اوتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل (وياقوم من ينصرنى من الله) بدفع انتقامه (ان طردتهم) وهم بتلك الصفة والمثابة (افلا تذكرون) لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب (ولااقول لكم عندى خزائن الله) خزائن رزقه اوامواله حتى جحدتم فضلى (ولااعلم الغيب) عطف على عندى خزائن الله اى ولااقول لكم انا اعلم الغيب حتى تكذبونى استبعادا اوحتى اعلم ان هؤلاء اتبعونى بادى الرأى من غير بصيرة ولاعقد قلب وعلى الثانى يجوز عطفه على اقول (ولااقول انى ملك) حتى تقولوا ما انت الابشر مثلنا (ولااقول للذين تزدرى اعينكم) ولااقول فى شأن من استرذلتموهم لفقرهم (لن يؤتيهم الله خيرا) فان ماعدالله لهم فى الآخرة خير مما آتاكم فى الدنيا (الله اعلم بمافى انفسهم انى اذالمن الظالمين) ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى اذاعابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاى فى الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادئ الرؤية من غير روية وبماعاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل فى معانيهم وكمالاتهم (قالوا يانوح قدجادلتنا) خاصمتنا (فاكثرت جدالنا) فاطلته اواتيت بانواعه (فأتنا بماتعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) فى الدعوى والوعيد فان مناظرتك لاتؤثرفينا (قال انما يأتيكم به الله ان شاء) عاجلا اوآجلا (ومانتم بمعجزين) بدفع العذاب اوالهرب منه

لايشعرون) بك حال الانباء (وجاؤا أباهم عشاء) وقت المساء (يبكون قالوا ياأبانا انا ذهبنا نستبق) نرمى (وتركنا يوسف عند متاعنا) ثيابنا (فأكله الذئب وماأنت بمؤمن) بمصدق (لنا ولوكنا صادقين) عندك لاتهمتنا فى هذه القصة لمحبة يوسف فكيف وانت تسئ الظن بنا (وجاؤا على قيصه) محله نصب على الظرفية أى فوقه (بدم كذب) أى بان ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وذهلوا عن شقه وقالوا انه دمه (قال) يعقوب لماراه صحيحا وعلم كذبهم (بل سولت) زينت (لكم أنفسكم أمرا) ففعلتموه به (فصبر جميل) لاجزع فيه وهو خبر مبتدأ محذوف أى أمرى (والله المستعان) المطلوب منه العون (على ماتصفون) تذكرون من أمر يوسف (وجاءت سيارة) مسافرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من جب يوسف (فارسلوا واردهم) الذى يرد الماء ليستقى منه (فادلى)

(ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم) شرط ودليل جواب
والجملة دليل جواب قوله (ان كان الله يريد ان يغويكم) وتقدير الكلام
ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحى ولذلك
نقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت
ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهم وامن ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل
على ان ارادة الله يصح تعليقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل
ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك (هو ربكم)
خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته (واليه ترجعون) فيجازيكم على
اعمالكم (ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامى) وباله وقرئ
اجرامى على الجمع (وانا برئ مما تجرمون) اجرامكم فى اسناد الافتراء الى
(واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا
يفعلون) اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء
(واصنع الفلك باعيننا) ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذى يحفظ به الشئ
ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة فى الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل
(ووحينا) اليك كيف تصنعها (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) ولا تراجعنى
فيهم ولا تدعنى باستدفاع العذاب عنهم (انهم مغرقون) محكوم عليهم
بالاغراق فلا سبيل الى كفه (ويصنع الفلك) حكاية حال ماضية (وكلما مر
عليه ملأ من قومه سخروا منه) استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان يعملها
فى برية بعيدة من الماء اوان عزته فكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت
نجارا بعدما كنت نبيا (قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون)
اذا اخذكم الغرق فى الدنيا والحرق فى الآخرة وقيل المراد بالسخرية
الاستجهال (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) يعنى به اياهم وبالعذاب
الغرق (ويحل عليه) وينزل او يحل عليه حلول الدين لا انفكاك
عنه (عذاب مقيم) دائم وهو عذاب النار (حتى اذا جاء امرنا) غاية
لقوله ويصنع الفلك ومابينهما حال من الضمير فيه او حتى هى التى يبتدأ
بعدها الكلام (وفار التنور) نبع الماء فيه وارتفع كالقدر يفور والتنور
تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان فى الكوفة فى موضع
مسجدها او فى الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض
او اشرف موضع فيها (قلنا احمل فيها) فى السفينة (من كل) من كل

أرسل (دلوه) فى البئر
فتعلق بها يوسف فأخرجه
فلما رآه (قال يابشراى)
وفى قراءة بشرى ونداؤها
مجاز أى احضرى فهذا
وقتك (هذا غلام) فعلم به
اخوته فاتوهم (واسروه)
أى أخفوا أمره جاعليه
(بضاعة) بأن قالوا
هذا عبدنا أبق وسكت يوسف
خوفا أن يقتلوه (والله عليم
بما يعملون وشروه)
باعوه منهم (بثمن بخس)
ناقص (دراهم معدودة)
عشرين أواثنين وعشرين
(وكانوا) أى اخوته (فيه
من الزاهدين) فجاءت به
السيارة الى مصر فباعه
الذى اشتراه بعشرين دينارا
وزوجى نعل وثوبين (وقال
الذى اشتراه من مصر) وهو
قطفير العزيز (لامرأته)
زليخا (أكرمى مثواه) مقامه
عندنا (عسى أن ينفعنا
أو نتخذه ولدا) وكان
حصورا (وكذلك) كما نجيناه
من القتل والجب وعطفنا
عليه قلب العزيز (مكنا ليوسف
فى الارض) أرض مصر
حتى بلغ ما بلغ (ولنعلمه من

نوع من الحيوانات المنتفع بها (زوجين اثنين) ذكر اوانثى هـذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين اى من كل صنف ذكر وصنف انثى (واهلك) عطف على زوجين اواثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم (الامن سبق عليه القول) بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين (ومن آمن) والمؤمنين من غيرهم (وماآمن معه الاقليل) قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روى انه عليه الصلاة والسلام اتخذ السفينة فى سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلاثين وجعلها ثلاثة بطون فحمل فى اسفلها الدواب والوحش وفى اوسطها الانس وفى اعلاها الطير (وقال اركبوا فيها) اى صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها فى الماء كالمركوب فى الارض (بسم الله مجراها ومرساها) متصل باركبوا حال من الواو اى اركبوا فيها مسمين الله اوقائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها اومكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت اوالمكان اوالمصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما ببسم الله على ان المراد بهما المصدر اوجملة من مبتدأ وخبر اى اجراؤها بسم الله على ان الله خبره اوصلته والخبر محذوف وهى اما جملة مقتضبة لاتعلق لها بما قبلها اوحال مقدرة من الواو والهاء روى انه كان اذا اراد ان تجرى قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله * ثم اسم السلام عليكما* وقرأحمزة والكسائى وعاصم براوية حفص مجراها بالفتح من جرى وقرئ مرساها ايضا من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله (ان ربى لغفور رحيم) اى لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم (وهى تجرى بهم) متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اى فركبوا مسمين وهى تجرى وهم فيها (فى موج كالجبال) فى موج من الطوفان وهو مايرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل فى تراكمها وارتفاعها وماقيل من ان الماء طبق مابين السماء والارض وكانت السفينة تجرى فى جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا ولو صح فلعل ذلك

تأويل الاحاديث) تعبير الرؤيا عطف على مقدر متعلق بمكنا أى لنملكه أو الواو زائدة (والله غالب على أمره) تعالى لايعجزه شئ (ولكن أكثر الناس)وهم الكفار (لايعلمون) ذلك (ولما بلغ أشده) وهو ثلاثون سنة أوو ثلاث(آتيناه حكما) حكمة (وعلما) فقها فى الدين قبل أن يبعث نبيا (وكذلك) كما جزيناه (نجزى المحسنين) لانفسهم (وراودته التى هو فى بيتها) هى زليخا (عن نفسه) أى طلبت منه أن يواقعها (وغلقت الابواب) للبيت (وقالت) له (هيت لك) أى هلم واللام للتبيين وفى قراءة بكسر الهاء وأخرى بضم التاء (قال معاذ الله) أعوذ بالله من ذلك (انه) أى الذى اشترانى (ربى) سيدى (أحسن مثواى) مقامى فلا أخونه فى أهله (انه) أى الشان (لايفلح الظالمون) الزناة (ولقد همت به)قصدت منه الجماع (وهم بها) قصد ذلك (لولا أن رأى برهان ربه) قال ابن عباس

قبل التطبيق (ونادى نوح ابنه) كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء عليهم السلام عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة فى الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف (وكان فى معزل) عزل فيه نفسه عن ابيه اوعن دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا ابعده (يابنى اركب معنا) فى السفينة والجمهور كسروا الياء لتدل على ياء الاضافة المحذوفة فى جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها فى لقمان فى الموضع الاول باتفاق الرواة والثالث فى رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلفت الرواية عنه فى سائر المواضع وقد ادغم الباء فى الميم ابو عمرو والكسائى وحفص لتقاربهما (ولا تكن مع الكافرين) فى الدين او الاعتزال (قال ساوى الى جبل يعصمنى من الماء) ان يغرقنى (قال لا عاصم اليوم من امر الله الامن رحم) الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لاذا عصمة كقوله تعالى فى عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اى لكن من رحمه الله يعصمه (وحال بينهما الموج) بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل (فكان من المغرقين) فصار من المهلكين بالماء (وقيل يا ارض ابلعى ماءك وياسماء اقلعى) نوديا بما ينادى به اولو العلم وامرا بما يؤمرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالآمر المطاع الذى يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك (وغيض الماء) نقص (وقضى الامر) وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين (واستوت) واستقرت السفينة (على الجودى) جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمد روى انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار سنة (وقيل بعدا للقوم الظالمين) هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية فى غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالى عن الاخلال وايراد الاخبار على البناء

مثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله وجواب لولا لجامعها (كذلك) أريناه البرهان (لنصرف عنه السوء) الخيانة (والفحشاء) الزنا (انه من عبادنا المخلصين) فى الطاعة وفى قراءة بفتح اللام أى المختارين (واستبقا الباب) بادرا اليه يوسف للفرار وهى للتشبث به فامسكت ثوبه وجذبته اليها (وقدت) شقت (قميصه من دبر وألفيا) وجدا (سيدها) زوجها (لدى الباب) فنزهت نفسها ثم (قالت ماجزاء من أراد باهلك سوأ) زنا (الا أن يسجن) يحبس أى سجن (أوعذاب أليم) مؤلم بان يضرب (قال) يوسف متبرئا (هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من أهلها) ابن عمها روى أنه كان فى المهد فقال (ان كان قميصه قد من قبل) قدام (فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر) خلف (فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى)

للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغنى عن ذكره اذلايذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لايقدر عليه سوى الواحد القهار (ونادى نوح ربه) واراد نداءه بدليل عطف قوله (فقال رب ان ابنى من اهلى) فانه النداء (وان وعدك الحق) وان كل وعد تعده حق لايتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجى اهلى فماحاله اوفمالهم تنج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه (وانت احكم الحاكمين) لانك اعلمهم واعدلهم اولانك اكثر حكمة من ذوى الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع (قال يانوح انه ليس من اهلك) لقطع الولاية بين المؤمن والكافر واشار اليه بقوله (انه عمل غير صالح) فانه تعليل لنفى كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع * ترتع مارتعت حتى اذا ادكرت * فانما هى اقبال وادبار * ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ماأوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرأ الكسائى ويعقوب انه عمل اى عمل عملا غير صالح (فلاتسألن ماليس لك به علم) مالاتعلم اصواب هو ام ليس بصواب وانما سمى نداؤه سؤالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله استنجازه فى شأن ولده اواستفسار المانع للانجاز فى حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله (انى اعظك ان تكون من الجاهلين) لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله تسئلنى فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع برواية ورش اثباتها فى الوصل (قال رب انى اعوذ بك ان اسألك) فيما يستقبل (ماليس لى به علم) مالاعلم لى بصحته (والاتغفر لى) وان لم تغفر لى مافرط منى من السؤال (وترحمنى) بالتوبة والفضل على (اكن من الخاسرين) اعمالا (قيل يانوح اهبط بسلام منا) انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا اومسلما عليك (وبركات عليك) ومباركا عليك اوزيادات فى نسلك حتى تصير آدما ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهو الخير النامى (وعلى امم ممن معك) وعلى امم هم الذين معك سموا امما لتحزبهم اولتشعب الامم منهم اوعلى امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله

زوجها (قميصه قد من دبر قال انه) أى قولك ماجزاء من أراد الخ (من كيدكن ان كيدكن) أيها النساء (عظيم) ثم قال يا (يوسف أعرض عن هذا) الامر وتذكره لئلايشيع (واستغفرى) يازليخا (لذنبك انك كنت من الخاطئين) الآثمين واشتهر الخبر وشاع (وقال نسوة فى المدينة) مدينة مصر (امرأت العزيز تراود فتاها) عبدها (عن نفسه قد شغفها حبا) تمييز أى دخل حبه شغاف قلبها أى غلافه (انالنراها فى ضلال) خطأ (مبين) بين بحبها اياه (فلما سمعت بمكرهن) غيبتهن لها (أرسلت اليهن وأعتدت) أعدت (لهن متكأ) طعاما يقطع بالسكين للاتكاء عنده وهو الاترج (وآتت) أعطت (كل واحدة منهن سكينا وقالت) ليوسف (اخرج عليهن فلمارأينه أكبرنه) أعظمنه (وقطعن أيديهن) بالسكاكين ولم يشعرن بالالم لشغل قلبهن بيوسف (وقلن حاش لله) تنزيهاله (ماهذا)

(وامم سنمتعهم) اى وممن معك امم سنمتعهم فى الدنيا (ثم يمسهم منا عذاب
اليم) فى الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل قوم هود
وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام والعذاب مانزل بهم (تلك) اشارة الى قصة
نوح عليه السلام ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها (من انباء الغيب) اى بعضها
(نوحيها اليك) خبرثان والضمير لها اى موحاة اليك اوحال من الانباء
اوهو الخبر ومن انباء متعلق به اوحال من الهاء (ما كنت تعلمها انت
ولاقومك من قبل هذا) خبر آخر اى مجهولة عندك وعند قومك من قبل
ايحائنا اليك اوحال من الهاء فى نوحيها او الكاف فى اليك اى جاهلا انت
وقومك بها وفى ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم
مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم (فاصبر) على مشاق الرسالة
واذية القوم كما صبر نوح عليه السلام (ان العاقبة) فى الدنيا بالظفر وفى الآخرة
بالفوز (للمتقين) عن الشرك والمعاصى (والى عاد اخاهم هودا) عطف
على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان (قال ياقوم اعبدوا الله) وحده
(مالكم من اله غيره) وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده (ان انتم
الامفترون) على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء (ياقوم لااسألكم
عليه اجرا ان اجرى الاعلى الذى فطرنى) خاطب كل رسول به قومه ازاحة
للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لاتنجع مادامت مشوبة بالمطامع
(افلا تعقلون) افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب
من الخطأ (وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) اطلبوا مغفرة الله بالايمان
ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبرئ عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله
والرغبة فيما عنده (يرسل السماء عليكم مدرارا) كثير الدر (ويزدكم قوة
الى قوتكم) و يضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم
كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام
نسائهم ثلاث سنين فوعدهم هود عليه السلام على الايمان والتوبة بكثرة
الامطار وتضاعف القوة بالتناسل (ولاتتولوا) ولاتعرضوا عما ادعوكم
اليه (مجرمين) مصرين على اجرامكم (قالوا ياهود ماجئتنا ببينة) بحجة تدل
على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات
(ومانحن بتاركى الهتنا) بتاركى عبادتهم (عن قولك) صادرين عن قولك
حال من الضمير فى تاركى (ومانحن لك بمؤمنين) اقناط له من الاجابة

أى يوسف (بشرا ان) ما
(هذا الا ملك كريم) لما
حواه من الحسن الذى لايكون
عادة فى النسمة البشرية وفى
الصحيح انه أعطى شطر
الحسن (قالت) امرأة العزيز
لما رأت ماحل بهن (فذلكن)
فهذا هو (الذى لمتننى فيه)
فى حبه بيان لعذرها (ولقد
راودته عن نفسه فاستعصم)
امتنع (ولئن لم يفعل ما آمره)
به (ليسجنن وليكونا من
الصاغرين) الذليلين فقلن
له أطع مولاتك (قال رب
السجن أحب الى مما يدعوننى
اليه والا تصرف عنى كيدهن
أصب) أمل (اليهن واكن
أصر (من الجاهلين) المذنبين
والقصد بذلك الدعاء فلذا
قال تعالى (فاستجاب له ربه)
دعاءه (فصرف عنه كيدهن
انه هو السميع) للقول
(العليم) بالفعل (ثم بدا) ظهر
(لهم من بعد مارأوا الآيات)
الدالات على براءة يوسف
أن يسجنوه دل على هذا
(ليسجننه حتى) الى (حين)
ينقطع فيه كلام الناس
فسجن (ودخل معه السجن
فتيان) غلامان للملك
أحدهما ساقيه والآخر

صـاحب طعامه فرأياه يعبر الرؤيا فقالا لنخبرنه (قال أحد هما) وهوالساقى (انى أرانى أعصر خمرا) أى عنبا (وقال الآخر) صاحب الطعام (انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا) خبرنا (بتأويله) بتعبيره (انا نراك من المحسنين قال) لهما مخبرا أنه عالم بتعبير الرؤيا (لايأتيكما طعام ترزقانه) فى منامكما (الانبأتكما بتأويله) فى اليقظة (قبل أن يأتيكما) تأويله (ذلكما مما علمنى ربى) فيه حث على ايمانهما ثم قواه بقوله (انى تركت ملة) دين (قوم لايؤمنون باللهوهم بالآخرة هـم) يأكيد (كافرون واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب ماكان) ينبغى (لنا أن نشرك بالله من) زائدة (شئ) لعصمتنا (ذلك) التوحيد (من فضل الله علينا وعـلى الناس ولكن أكثر الناس) وهم الكفار (لايشكرون) الله فيشركون ثم صرح بدعائهما الى الايمان فقال (ياصاحبى) ساكنى (السجن أأرباب متفرقون خير

والتصديق (ان نقول الا اعتريك) مانقول الاقولنا اعتريك اى اصابك من عراه يعروه اذا اصابه (بعض آلهتنا بسوء) بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهـذى وتتكلم بالخرافات والجملة مفعول القول والالغو والاستثناء مفرغ (قال انى اشهد الله واشهدوا انى برئ مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لاتنظرون) اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه من اضرارهم تأكيدا لذلك وتنبيها له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد فى اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة لان آلهتهم التى هى جماد لاتضر ولاتنفع لاتتمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله (انى توكلت على الله ربى وربكم) تقرير له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تضرونى فانى متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكى ومالككم لايحيق بى مالم يرده ولاتقدرون على مايقدره ثم برهن عليه بقوله (مامن دابة الاهو آخذ بناصيتها) اى الاوهو مالك لها قادر عليها يصرفها على مايريد والاخذ بالنواصى تمثيل لذلك (ان ربى على صراط مستقيم) اى انه على الحق والعدل لايضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم (فان تولوا) فان تتولوا (فقد ابلغتكم ماارسلت به اليكم) فقد اديت ماعلى من الابلاغ والزام الحجة فلاتفريط منى ولاعذر لكم فقد ابلغتكم ماارسلت به اليكم (ويستخلف ربى قوما غيركم) استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلككم ويستخلف قوما آخرين فى ديارهم واموا لهم اوعطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع فكأنه قيل وان تتولوا يعذرنى ربى ويستخلف (ولاتضرونه) بتوليكم (شيئا) من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه (ان ربى على كل شئ حفيظ) رقيب فلايخفى عليه اعمالكم ولايغفل عن مجازاتكم اوحافظ مستول عليه فلايمكن ان يضره شئ (ولما جاء امرنا) عذابنا او امرنا بالعذاب (نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا) وكانوا اربعة آلاف (ونجيناهم من عذاب غليظ) تكرير لبيان مانجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل انوف

الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم اوالمراد به تبجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا فى الدنيا بالسموم فهم معذبون فى الآخرة بالعذاب الغليظ (وتلك عاد) انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة اولان الاشارة الى قبورهم وآثارهم (جحدوا بآيات ربهم) كفروا بها (وعصوا رسله) لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكأنما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول (واتبعوا امر كل جبار عنيد) يعنى كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان ومانجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر ومايرديهم (واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة) اى جعلت اللعنة تابعة لهم فى الدارين تكبهم فى العذاب (الا ان عادا كفروا ربهم) جحدوه اوكفروا نعمه اوكفروا به فحذف الجار (الا بعدا لعاد) دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ماحكى عنهم وانما كررالا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم (قوم هود) عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عادارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بماجرى بينهم وبين هود

(والى ثمود اخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو انشأكم من الارض) هو كونكم منها لاغيره فانه خلق آدم ومواد النطف التى خلق نسله منها من التراب (واستعمركم فيها) عمركم فيها واستبقاكم من العمر اواقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم اوجعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم (فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب) قريب الرحمة (مجيب) لداعيه (قالوا ياصالح قدكنت فينا مرجوا قبل هذا) لمانرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا اومستشارا فى الامور اوان توافقنا فى الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك (اتنهانا ان نعبد مايعبد آباؤنا) على حكاية الحال الماضية (واننا لفى شك مماتدعونا اليه) من التوحيد والتبرئ عن الاوثان (مريب) موقع فى الريبة من ارابه اوذى ريبة على الاسناد المجازى من اراب فى الامر (قال ياقوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربى) بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين (وآتانى منه رحمة) نبوة

أم الله الواحد القهار) خبر استفهام تقرير (ماتعبدون من دونه) أى غيره (الا أسماء سميتموها) سميتم بها أصناما (أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها) بعبادتها (من سلطان) حجة وبرهان (ان) ما (الحكم) القضاء (الا لله) وحده (أمر أن لاتعبدوا الا اياه ذلك) التوحيد (الدين القيم) المستقيم (ولكن أكثر الناس) وهم الكفار (لايعلمون) مايصيرون اليه من العذاب فيشركون (ياصاحبى السجن أما أحدكما) أى الساقى فيخرج بعد ثلاث (فيسقى ربه) سيده (خمرا) على عادته (وأما الآخر) فيخرج بعد ثلاث (فيصلب فتأكل الطير من رأسه) هذا تأويل رؤياكما فقالا مارأينا شيئا فقال (قضى) تم (الامر الذى فيه تستفتيان) سألتما عنه صدقتما أم كذبتما (وقال للذى ظن) أيقن (أنه ناج منهما) وهو الساقى (اذكرنى عند ربك) سيدك فقل ان فى السجن غلاما محبوسا ظلما فخرج (فانساه) أى الساقى (الشيطان ذكر)

(فمن ينصرنى من الله) فمن يمنعنى من عذابه (ان عصيته) فى تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به (فما تزيدوننى) اذا باستتباعكم اياى (غير تخسير) غير ان تخسرونى بابطال مامنحنى الله به والعرض لعذابه اوفما تزيدوننى بما تقولون لى غير ان انسبكم الى الخسران (وياقوم هذه ناقة الله لكم آية) انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها (فذروها تأكل فى ارض الله) ترع نباتها وتشرب ماءها (ولاتمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب) عاجل لايتراخى عن مسكم لها بالسوء الايسيرا وهو ثلاثة ايام (فعقروها فقال تمتعوا فى داركم) عيشوا فى منازلكم اوفى داركم الدنيا (ثلاثة ايام) الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون (ذلك وعد غير مكذوب) اى غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله * ويوم شهدناه سليما وعامرا * اوغير مكذوب على المجاز وكان الواعد قال له انى بك فان وفى به صدقه والاكذبه اووعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول (فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ) اى ونجيناهم من خزى يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة اوذلهم وفضيحتهم يوم القيامة وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه ههنا وفى المعارج فى قوله من عذاب يومئذ (ان ربك هو القوى العزيز) القادر على كل شئ والغالب عليه (واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين) قدسبق تفسيره فى سورة الاعراف (كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمودا كفروا ربهم) نونه ابوبكر ههنا وفى النجم والكسائى فى جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر وابوعمرو فى قوله (الا بعدا لثمود) ذهابا الى الحى اوالاب الاكبر (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم) يعنى الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام (بالبشرى) ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط (قالوا سلاما) سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما (قال سلام) اى امركم اوجوابى سلام اووعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ حمزة والكسائى سلم وكذلك فى الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام قيل المراد به الصلح (فمالبث ان جاء بعجل حنيذ) فما ابطأ مجيئه به اوفما ابطأ فى المجيئ به او فما تأخر عنه والجار فى ان مقدر اومحذوف والحنيذ المشوى بالرضف وقيل

يوسف عند (ربه فلبث) مكث يوسف (فى السجن بضع سنين) قيل سبعا وقيل اثنتى عشرة (وقال الملك) ملك مصر الريان بن الوليد (انى أرى) أى رأيت (سبع بقرات سمان يأكلهن) يبتلعهن (سبع) من البقر (عجاف) جمع عجفاء (وسبع سنبلات خضر وأخر) أى سبع سنبلات (يابسات) قد التوت على الخضر وعلت عليها (يأيها الملأ أفتونى فى رؤياى) بينوا لى تعبيرها (ان كنتم للرؤيا تعبرون) فاعبروها (قالوا) هذه (اضغاث) أخلاط (أحلام ومانحن بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذى نجا منهما) أى من الفتيين وهو الساقى (وادكر) فيه ابدال التاء فى الاصل دالا وادغامها فى الدال أى تذكر (بعد أمة) حين حال يوسف (أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون) فأرسلوه فأتى يوسف فقال يا (يوسف أيها الصديق) الكثير الصدق (أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف

الذى يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين (فلما رأى ايديهم لاتصل اليه) لايمدون ايديهم (نكرهم واوجس منهم خيفة) انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار (قالوا) له لما احسوا منه اثر الخوف (لاتخف انا ارسلنا الى قوم لوط) انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لانأكل (وامرأته قائمة) وراء الستر تسمع محاورتهم اوعلى رؤسهم للخدمة (فضحكت) سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رأيها فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فانى اعلم ان العذاب ينزل بهؤلاء القوم وقيل فضحكت فحاضت قال * وعهدى بسلمى ضاحكا فى لبابة * ولم تعد حقا ثديها ان تحلما *ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء (فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب) نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره مادل عليه الكلام وتقديره ووهبناها من وراء اسحق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحق اوعلى لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير منصرف ورد للفصل بينه و بين ماعطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف اى و يعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمى به لانه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما فى البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما فى الحكاية بعدان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد (قالت ياويلتا) ياعجبا واصله فى الشر فاطلق فى كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل (أألد وانا عجوز) ابنة تسعين اوتسع وتسعين (وهذا بعلى) زوجى واصله القائم بالامر (شيخا) ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اى هو شيخ اوخبر بعد خبر اوهو الخبر و بعلى بدل (ان هذا لشئ عجيب) يعنى الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك (قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله و بركاته عليكم اهل البيت) منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات

وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع الى الناس) أى الملك وأصحابه (لعلهم يعلمون) تعبيرها (قال تزرعون) أى ازرعوا (سبع سنين دأبا) متتابعة وهى تأويل السبع السمان (فما حصدتم فذروه) اتركوه (فى سنبله) لئلا يفسد (الا قليلا مما تأكلون) فادرسوه (ثم يأتى من بعد ذلك) أى السبع المخصبات (سبع شداد) مجدبات صعاب وهى تأويل السبع العجاف (يأكلن ماقدمتم لهن) من الحب المزروع فى السنين المخصبات أى تأكلونه فيهن (الا قليلا مما تحصنون) تدخرون (ثم يأتى من بعد ذلك) أى السبع المجدبات (عام فيه يغاث الناس) بالمطر (وفيه يعصرون) الاعناب وغيرها لخصبه (وقال الملك) لما جاءه الرسول وأخبره بتأويلها (ائتونى به) أى بالذى عبرها (فلما جاءه) أى يوسف (الرسول) وطلبه للخروج (قال) قاصدا اظهار براءته (ارجع الى ربك فاسأله)

أن يسأل (مابال) حال (النسوة اللاتى قطعن أيديهن ان ربى) سيدى (بكيدهن عليم) فرجع فأخبر الملك فجمعهن (قال ماخطبكن) شأنكن (اذ راودتن يوسف عن نفسه) هل وجدتن منه ميلا اليكن (قلن حاش لله ماعلمنا عليه من سوء قالت امرأت العزيز الآن حصحص) وضح (الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) فى قوله هى راودتنى عن نفسى فأخبر يوسف بذلك فقال (ذلك) أى طلب البراءة (ليعلم) العزيز (أنى لم أخنه) فى أهله (بالغيب) حال (وان الله لايهدى كيد الخائنين) ثم تواضع لله فقال (وماأبرئ نفسى) من الزلل (ان النفس) الجنس (لامارة) كثيرة الامر (بالسوء الاما) بمعنى من (رحم ربى) فعصمه (ان ربى غفور رحيم وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى) أجعله خالصالى دون شريك فجاءه الرسول وقال أجب الملك فقام وودع أهل السجن ودعالهم ثم اغتسل

وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولاحقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت فى ملاحظة الآيات واهل البيت نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفرلنا ايتها العصابة (انه حميد) فاعل مايستوجب به الحمد (مجيد) كثير الخير والاحسان (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) اى مااوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم (وجاءته البشرى) بدل الروع (يجادلنا فى قوم لوط) يجادل رسلنا فى شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اماجواب لماجيئ به مضارعا على حكاية الحال اولانه فى سياق الجواب بمعنى الماضى كجواب لو او دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا اوشرع فى جدالنا اومتعلق به اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا (ان ابراهيم لحليم) غير عجول على الانتقام من المسيئ اليه (اواه) كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس (منيب) راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه (ياابراهيم) على ارادة القول اى قالت الملائكة ياابراهيم (اعرض عن هذا) الجدال (انه قد جاء امر ربك) قدره بمقتضى قضائه الازلى بعذابهم وهو اعلم بحالهم (وانهم آتيهم عذاب غير مردود) مصروف بجدال ولادعاء ولاغير ذلك (ولما جاءت رسلنا لوطا سيئ بهم) ساءه مجيئهم لانهم جاؤا فى صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم (وضاق بهم ذرعا) وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه (وقال هذا يوم عصيب) شديد من عصبه اذا شده (وجاءه قومه يهرعون اليه) يسرعون اليه كأنهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه (ومن قبل) ومن قبل ذلك الوقت (كانوا يعملون السيئات) الفاحشة فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين (قال ياقوم هؤلاء بناتى) فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتى تزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لالحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ او مبالغة فى تناهى خبث مايرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهارا لشدة امتعاضه من ذلك كى يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبى ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفى حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهواب لهم (هن اطهر لكم) انظف فعلا او اقل فحشا

كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على
الحال على ان هن خبر بناتي كقولك هذا اخي هو لافصل فانه لايقع بين
الحال وصاحبها (فاتقوا الله) بترك الفواحش او بايثارهن عليهم
(ولاتخزون) ولاتفضحوني من الخزي او ولاتخجلوني من الخزاية بمعنى
الحياء (في ضيفي) في شأنهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه (اليس منكم
رجل رشيد) يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح (قالوا لقد علمت مالنا
في بناتك من حق) من حاجة (وانك لتعلم ما نريد) وهو اتيان
الذكران (قال لو ان لي بكم قوة) لوقويت بنفسي على دفعكم
(اوآوي الى ركن شديد) الى قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته
وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان يأوي الى ركن
شديد وقرئ اوآوي بالنصب على اضمار ان كأنه قال لو ان لي بكم قوة اواويا
وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم وروي انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ
يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من
الكرب (قالوا يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك) لن يصلوا الى اضرارك
باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل
عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون
النجاء النجاء فان في بيت لوط سحرة (فاسر باهلك) بالقطع من الاسراء وقرأ
ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع في القرآن من السرى (بقطع من الليل)
بطائفة منه (ولايلتفت منكم احد) ولايتخلف او ولاينظر الى ورائه والنهي
في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط (الا امرأتك) استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل
عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك وهذا انما يصح على
تأويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب ناقض
ذلك قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل من احد ولايجوز حمل
القراءتين على الروايتين في انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت صوت
العذاب التفتت وقالت ياقوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع لايصح حملها
على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في القراءتين من قوله يلتفت مثله
في قوله تعالى مافعلوه الا قليل ولابعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح
ولايلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك
علله على طريقة الاستئناف بقوله (انه مصيبها ما اصابهم) ولايحسن

وليس ثيابا حسانا ودخل
عليه (فلما كلمه قال) له (انك
اليوم لدينا مكين أمين)
ذو مكانة وأمانة على أمرنا
فماذا ترى أن نفعل قال اجمع
الطعام وازرع زرعا كثيرا
في هذه السنين المخصبة
وادخر الطعام في سنبله فتأتي
اليك الخلق ليمتاروا منك فقال
ومن لي بهذا (قال) يوسف
(اجعلني على خزائن الارض)
أرض مصر (اني حفيظ
عليم) ذو حفظ وعلم بامرها
وقيل كاتب حاسب (وكذلك)
كانعامنا عليه بالخلاص
من السجن (مكنا ليوسف
في الارض) ارض مصر
(يتبوأ) ينزل (منها حيث
يشاء) بعد الضيق والحبس
وفي القصة ان الملك توجه
وختمه وولاه مكان العزيز
وعزله ومات بعده فزوجه
امرأته فوجدها عذراء
وولدت له ولدين وأقام العدل
بمصر ودانت له الرقاب
(نصيب برحمتنا من نشاء
ولانضيع أجر المحسنين ولأجر
الآخرة خير) من أجر الدنيا
(للذين آمنوا وكانوا يتقون)
ودخلت سنو القحط وأصاب

جعل الاستثناء منقطعا على قرأة الرفع (ان موعدهم الصبح) كأنه علة الامر بالاسراء (اليس الصبح بقريب) جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب (فلما جاء امرنا) عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله (جعلنا عاليها سافلها) فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اى الملائكة المأمورون به فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روى ان جبريل عليه الصلاة والسلام ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم (وامطرنا عليها) على المدن او على شذاذها (حجارة من سجيل) من طين متحجر لقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله اوادر عطيته والمعنى من مثل الشئ المرسل اومن مثل العطية فى الادرار اومن السجل اى مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اى من جهنم فابدلت نونه لاما (منضود) نضد معد للعذاب عليهم او نضد فى الارسال بتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به (مسومة) معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة اوبسيماء يتميز بها عن حجارة الارض اوباسم من يرمى بها (عند ربك) فى خزائنه (وماهى من الظالمين ببعيد) فانهم بظلمهم حقيق بان يمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه الصلاة والسلام انه سأل جبريل عليه السلام فقال يعنى ظالمى امتك مامن ظالم منهم الا وهو بمعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اى هى قريبة من ظالمى مكة يمرون بها فى اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر اوالمكان (والى مدين اخاهم شعيبا) اراد اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام او اهل مدين وهو بلد بناه فسمى باسمه (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان) امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافى للعدل المخل بحكمة التعاوض (انى اراكم بخير) بسعة تغنيكم عن البخس اوبنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم اوبسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو فى الجملة علة النهى (وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط) لايشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيامة اوعذاب الاستئصال وتوصيف اليوم

أرض كنعان والشام (وجاء اخوة يوسف) الا بنيامين ليمتاروا لما بلغهم أن عزيز مصر يعطى الطعام بثمنه (فدخلوا عليه فعرفهم) أنهم اخوته (وهم له منكرون) لا يعرفونه لبعد عهدهم به وظنهم هلاكه فكلموه بالعبرانية فقال كالمنكر عليهم ما أقدمكم بلادى فقالوا للميرة فقال لعلكم عيون قالوا معاذ الله قال فمن أين أنتم قالوا من بلاد كنعان وأبونا يعقوب نبى الله قال وله اولاد غيركم قالوا نعم كنا اثنى عشر فذهب أصغرنا وهلك فى البرية وكان أحبنا اليه وبقى شقيقه فاحتبسه ليتسلى به عنه فامر بانزالهم واكرامهم (ولما جهزهم بجهازهم) وفى لهم كيلهم (قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم) أى بنيامين لأعلم صدقكم فيما قلتم (ألا ترون أنى أوفى الكيل) أتمه من غير بخس (وأنا خير المنزلين فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى) أى ميرة (ولا تقربون) نهى أو عطف على محل فلا كيل أى تحرموا ولا تقربوا

بالاحاطة وهى صفة العذاب لاشتماله عليه (و ياقوم اوفوا المكيال والميزان) صرح الامر بالايفاء بعد النهى عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لايكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعى فى الايفاء ولو بزيادة لايتأتى دونها (بالقسط) بالعدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظورا (ولا تبخسوا الناس اشياءهم) تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون فى المقدار اوفى غيره وكذا قوله (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشور من المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج مايقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعثوا فى الارض مفسدين امر دينكم ومصالح آخرتكم (بقية الله) ما ابقاه الله لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم (خير لكم) مما تجمعون بالتطفيف (ان كنتم مؤمنين) بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان اوان كنتم مصدقين لى فى قولى لكم وقيل البقية الطاعة لقوله الباقيات الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهى تقواه التى تكف عن المعاصى (وما انا عليكم بحفيظ) احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت اولست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم (قالوا ياشعيب اصلوتك تأمرك ان نترك مايعبد آباؤنا) من الاصنام اجابوا به بعد امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلواته والاشعار بان مثله لايدعو اليه داع عقلى انما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ماتواظب عليه وكان شعيب كثير الصلوة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرأ حمزة والكسائى وحفص على الافراد والمعنى اصلوتك تأمرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لايؤمر بفعل غيره (اوان نفعل فى اموالنا مانشاء) عطف على ما اى وان نترك فعلنا مانشاء فى اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهى عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك (انك لانت الحليم الرشيد) تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك اوعللوا انكار ماسمعوا منه واستبعاده بانه

(قالوا سنراود عنه أباه) سنجتهد فى طلبه منه (وانا لفاعلون) ذلك (وقال لفتيته) وفى قراءة لفتيانه غلمانه (اجعلوا بضاعتهم) التى أتوا بها ثمن الميرة وكانت دراهم (فى رحالهم) أوعيتهم (لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى أهلهم) وفرغوا أوعيتهم (لعلهم يرجعون) الينا لانهم لايستحلون امساكها (فلما رجعوا الى أبيهم قالوا ياأبانا منع منا الكيل) ان لم ترسل اخانا اليه (فارسل معنا اخانا نكتل) بالنون والياء (وانا له لحافظون قال هل) ما (آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه) يوسف (من قبل) وقد فعلتم به مافعلتم (فالله خير حفظا) وفى قراءة حافظا تمييز كقولهم لله دره فارسا (وهو أرحم الراحمين) فأرجو أن يمن بحفظه (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا ياأبانا مانبغى) ما استفهامية أى أى شئ نطلب من اكرام الملك أعظم من هذا وقرئ بالفوقانية خطابا ليعقوب وكانوا ذكروا له اكرامه لهم (هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير

موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك (قال ياقوم ارأيتم
ان كنت على بينة من ربى) اشارة الى ماآتاه الله من العلم والنبوة (ورزقنى
منه رزقا حسنا) اشارة الى ماآتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط
محذوف تقديره فهل يسع لى مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية
والجسمانية ان اخون فى وحيه واخالفه فى امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا
عليه من تغيير المألوف والنهى عن دين الآباء والضمير فى منه لله اى
من عنده وباعانة بلا كد منى فى تحصيله (وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم
عنه) اى وما اريد ان آتى ما انهاكم عنه لاستبد به دونكم فلو كان صوابا
لآثرته ولم اعرض عنه فضلا عن ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا
اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس (ان اريد
الا الاصلاح ما استطعت) ما اريد الا ان اصلحكم بامرى بالمعروف ونهيى
عن المنكر مادمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه
لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن وهو التنبيه
على ان العاقل يجب ان يراعى فى كل ما يأتيه ويذره احد حقوق ثلاثة
اهمها واعلاها حق الله تعالى وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس
وكل ذلك يقتضى ان آمركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية
واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اى المقدار الذى استطعته
او اصلاح ما استطعته فحذف المضاف (وما توفيقى الا بالله) وما توفيقى
لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته (عليه توكلت) فانه القادر
المتمكن من كل شئ وماعداه عاجز فى حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة
الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذى هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ
(واليه انيب) اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة
على الله وفى هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما يأتيه
ويذره من الله تعالى والاستعانة به فى مجامع امره والاقبال عليه بشراشره
وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم
بالرجوع الى الله للجزاء (وياقوم لايجرمنكم) لايكسبنكم (شقاقى) معاداتى
(ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح) من الغرق (او قوم هود) من الريح
(او قوم صالح) من الرجفة وان بصلتها ثانى مفعولى جرم فانه يعدى الى
واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من

أهلنا) نأتى بالميرة لهم وهى
الطعام (ونحفظ أخانا
ونزداد كيل بعير) لاخينا
(ذلك كيل يسير) سهل
على الملك لسخائه (قال لن
أرسله معكم حتى تؤتونى موثقا)
عهدا (من الله) بأن تحلفوا
(لتأتننى به الا أن يحاط بكم)
بأن تموتوا أو تغلبوا فلا
تطيقوا الاتيان به فاجابوه الى
ذلك (فلما آتوه موثقهم)
بذلك (قال الله على مانقول)
نحن وأنتم (وكيل) شهيد
وأرسله معهم (وقال يابنى
لاتدخلوا) مصر (من باب
واحد وادخلوا من أبواب
متفرقة) لئلا تصيبكم العين
(وما أغنى) أدفع (عنكم)
بقولى ذلك (من الله من)
زائدة (شئ) قدره عليكم
وانما ذلك شفقة (ان) ما
(الحكم الا لله) وحده
(عليه توكلت) به وثقت
(وعليه فليتوكل المتوكلون)
قال تعالى (ولما دخلوا
من حيث أمرهم أبوهم) أى
متفرقين (ما كان يغنى عنهم
من الله) أى قضائه (من)
زائدة (شئ الا) لكن
(حاجة فى نفس يعقوب

المتعدى الى مفعول والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء
وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبنى كقوله * لم يمنع الشراب منها غير
ان نطقت * حمامة فى غصون ذات اوقال (وماقوم لوط منكم ببعيد)
زمانا اومكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم اوليسوا ببعيد منكم
فى الكفر والمساوى فلايبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد
وما اهلاكهم اوماهم بشئ بعيد ولا يبعد ان يسوى فى امثاله بين المذكر
والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق (واستغفروا ربكم
ثم توبوا اليه) عما انتم عليه (ان ربى رحيم)عظيم الرحمة للتائبين (ودود)
فاعل بهم من اللطف والاحسان مايفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد
على التوبة بعد الوعيد على الاصرار (قالوا ياشعيب مانفقه)ماتفهم
(كثيرا مما تقول) كوجوب التوحيد وحرمة التخيس وماذكرت دليلا
عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة
بكلامه اولانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه (وانا لنراك فينا
ضعيفا) لاقوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوأ اومهينا لاعزلك وقيل اعمى
بلغة حمير وهومع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة
استنباء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين (ولولا رهطك)
قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لالخوف من شوكتهم فان الرهط
من الثلاثة الى عشرة وقيل الى السبعة (لرجمناك) لقتلناك برمى الاحجار
اوباصعب وجه (وماانت علينا بعزيز)فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن
السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفى ايلاء ضميره
حرف النفى تنبيه على ان الكلام فيه لافى ثبوت العزة وان المانع لهم من
ايذائه عزة قومه ولذلك (قال ياقوم ارهطى اعز عليكم من الله واتخذتموه
وراءكم ظهريا) وجعلتموه كالمنسى المنبوذ وراء الظهر باشراككم به
والاهانة برسوله فلا تبقون على الله وتبقون على رهطى وهو يحتمل الانكار
والتوبيخ والرد والتكذيب وظهرى منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات
النسب (ان ربى بما تعملون محيط)فلا يخفى عليه شئ منها فيجازى عليها

(وياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه)
سبق مثله فى سورة الانعام والفاء فى فسوف تعلمون ثمه للتصريح بان
الاصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لانه جواب

قضاءها) وهى ارادة دفع
العين شفقة (وانه لذوعلم
لما علمناه) لتعليمنا اياه (ولكن
أكثر الناس) وهم الكفار
(لايعلمون) الهام الله
لاصفيائه (ولما دخلوا
على يوسف آوى) ضم
(اليه اخاه قال انى انا اخوك
فلاتبتئس) تحزن (بما كانوا
يعملون) من الحسد لنا وامره
أن لايخبرهم وتواطأ معه
على انه سيحتال على أن يبقيه
عنده (فلما جهزهم بجهازهم
جعل السقاية) هى صاع
من ذهب مرصع بالجوهر
(فى رحل اخيه) بنيامين
(ثم اذن مؤذن) نادى مناد
بعد انفصالهم عن مجلس
يوسف (ايتها العير) القافلة
(انكم لسارقون قالوا و)قد
(اقبلوا عليهم ماذا) ماالذى
(تفقدونه) (قالوا نفقد
صواع)صاع (الملك ولمن
جاء به حمل بعير)من الطعام
(وانا به)بالحمل (زعيم)كفيل
(قالوا تالله) قسم فيه معنى
التعجب (لقد علمتم ماجئنا
لنفسد فى الارض وماكنا
سارقين) ماسرقنا قط
(قالوا)اى المؤذن واصحابه

سائل قال فاذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ فى التهويل (ومن هو كاذب)
عطف على من يأتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق
بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب منى
ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثانى اليه
لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم (وارتقبوا)
وانتظروا ما اقول لكم (انى معكم رقيب) منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم
او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع (ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين
آمنوا معه برحمة منا) انما ذكره بالواو كما فى قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد
يجرى مجرى السبب له بخلاف قصتى صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد
وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء
السببية (واخذت الذين ظلموا الصيحة) قيل صاح بهم جبريل عليه السلام
فهلكوا (فاصبحوا فى ديارهم جاثمين) ميتين واصل الجثوم اللزوم فى المكان
(كان لم يغنوا فيها) كان لم يقيموا فيها (الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود)
شبههم بهم لان عذابهم ايضا كان بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من
تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل
فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد
مصدر لهما والبعد مصدر المكسور (ولقد ارسلنا موسى باياتنا) بالتوراة
او المعجزات (وسلطان مبين) وهو المعجزات القاهرة او العصا وافردها
لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اى ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه
آياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا فى نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء
لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الآية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان
يخص بالقاطع والمبين يخص بما فيه جلاء (الى فرعون وملئه فاتبعوا امر
فرعون) فاتبعوا امره بالكفر بموسى او فما اتبعوا موسى الهادى الى الحق
المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك فى الضلال
والطغيان الداعى الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط
جهالتهم وعدم استبصارهم (وما امر فرعون برشيد) مرشد او ذى رشد
وانما هو غى محض وضلال صريح (يقدم قومه يوم القيامة) الى النار
كما كان يقدمهم فى الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم (فاوردهم
النار) ذكره بلفظ الماضى مبالغة فى تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى

(فاجزاؤه) أى السارق
(ان كنتم كاذبين) فى قولكم
ما كنا سارقين ووجد فيكم
(قالوا جزاؤه) مبتدأ خبره
(من وجد فى رحله) يسترق
ثم اكد بقوله (فهو) أى
السارق (جزاؤه) أى
المسروق لا غير وكانت سنة
آل يعقوب (كذلك) الجزاء
(نجزى الظالمين) بالسرقة
فصرفوا الى يوسف لتفتيش
اوعيتهم (فبدأ بأوعيتهم)
ففتشها (قبل وعاء أخيه)
لئلا يتهم (ثم استخرجها) أى
السقاية (من وعاء أخيه)
قال تعالى (كذلك) الكيد
(كدنا ليوسف) علمناه
الاحتيال فى أخذ أخيه (ما
كان) يوسف (ليأخذ أخاه)
رقيقا عن السرقة (فى دين
الملك) حكم ملك مصر لان
جزاءه عنده الضرب وتغريم
مثلى المسروق لا الاسترقاق
(الا أن يشاء الله) أخذه بحكم
أبيه أى لم يتمكن من أخذه
الا بمشيئة الله بالهامه سؤال
اخوته وجوابهم بسننهم
(نرفع درجات من نشاء)
بالاضافة والتنوين فى العلم
كيوسف (وفوق كل ذى

اتباعهـا موردا ثم قال (وبئس الورد المورود) اى بئس المورد الذى ورده
فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والآية كالدليل
على قوله وما امر فرعون برشيد فان من هذه عاقبته لم يكن فى امره رشد
اوتفسير له على ان المراد بالرشيد مايكون مأمون العاقبة حميدها (واتبعوا
فى هذه) فى هذه الدنيا (لعنة ويوم القيامة) اى يلعنون فى الدنيا والآخرة
(بئس الرفد المرفود) بئس العون المعان او العطاء المعطى واصل الرفد
مايضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وهو اللعنة
فى الدارين (ذلك) اى ذلك النبأ (من انباء القرى) المهلكة (نقصه
عليك) مقصوص عليك (منها قائم) من تلك القرى باق كالزرع القائم
(وحصيد) ومنها عافى الاثر كالزرع المحصود والجملة مستأنفة وقيل حال
من الهاء فى نقصه وليس بصحيح اذلا واو ولاضمير (وماظلمناهم)
باهلاكنا اياهم (ولكن ظلموا انفسهم) بان عرضوها له بارتكاب مايوجبه
(فما اغنت عنهم) فما نفعتهم ولاقدرت ان تدفع عنهم (آلهتهم التى
يدعون من دون الله من شئ لما جاء امر ربك) حين جاءهم عذابه ونقمته
(ومازادوهم غير تتبيب) هلاك اوتخسير (وكذلك) ومثل ذلك
الاخذ (اخذ ربك) وقرئ اخذ ربك بالفعل فيكون محل الكاف
النصب على المصدر (اذا اخذ القرى) اى اهلها وقرئ اذلان المعنى
على المضى (وهى ظالمة) حال من القرى وهى فى الحقيقة لاهلها لكنها
لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا لظلمهم
وانذار كل ظالم نفسه اوغيره من وخامة العاقبة (ان اخذه اليم شديد)
وجيع غير مرجوا الخلاص عنه وهو مبالغة فى التهديد والتحذير (ان فى ذلك
اى فيما نزل بالامم الهالكة اوفيما قصه الله من قصصهم (لآية) لعبرة
(لمن خاف عذاب الآخرة) يعتبر به عظة لعلمه بان ماحاق بهم انموذج
مما اعدالله للمجرمين فى الآخرة او ينزجر بها عن موجباته لعلمه بانه
من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الآخرة واحال
فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية
اتفقت فى تلك الايام لالذنوب المهلكين بها (ذلك) اشارة الى يوم القيامة
وعذاب الآخرة دل عليه (يوم مجموع له الناس) اى يجمع له الناس والتغيير
للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شأنه لامحالة وان الناس لاينفكون

علم) من المخلوقين (عليم)
أعلم منه حتى ينتهى الى
الله تعالى (قالوا ان يسرق
فقد سرق أخ له من قبل) أى
يوسف وكان سرق لابى أمه
صنما من ذهب فكسره
لئلا يعبده (فأسرها يوسف
فى نفسه ولم يبدها)يظهرها
(لهم) والضمير للكلمة التى
فى قوله (قال) فى نفسه (أنتم
شر مكانا) من يوسف وأخيه
لسرقتكم أخاكم من أبيكم
وظلمكم له (والله أعلم) عالم
(بما تصفون) تذكرون فى
أمره (قالوا ياأيها العزيز ان
له أبا شيخا كبيرا)يحبه أكثر
منا ويتسلى به عن ولده
الهالك ويحزنه فراقه (فخذ
أحدنا) استعبده (مكانه) بدلا
منه (انا نراك من المحسنين)
فى أفعالك (قال معاذالله)
نصب على المصدر حذف
فعله وأضيف الى المفعول
أى نعوذ بالله من (أن نأخذ
الامن وجدنا متاعنا عنده)
لم يقل من سرق تحرزا من
الكذب (انااذا) ان اخذنا
غيره (لظالمون فلما استيأسوا)
يئسوا (منه خلصوا)
اعتزلوا (نجيا) مصدر يصلح

عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من
المحاسبة والمجازاة (وذلك يوم مشهود) اى مشهود فيه اهل السموات والارضين
فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله* فى محفل من نواصى الناس
مشهود * اى كثير شاهدوه و لو جعل اليوم مشهودا فى نفسه لبطل الغرض
من تعظيم اليوم و تمييزه فان سائر الايام كذلك (وما نؤخره) اى اليوم
(الا لاجل معدود) الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف
وارادة مدة التأجيل كلها بالاجل لا لمنتهاها فانه غير معدود (يوم يأتى)
اى الجزاء او اليوم كقوله ان تأتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين او الله عزوجل
كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله ونحوه وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة
بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسر (لا تكلم نفس) لا تتكلم بما ينفع
وينجى من جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار
اذكر او بالانتهاء المحذوف (الا باذنه) الا باذن الله كقوله لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن وهذا فى موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم
فيعتذرون فى موقف آخر او المأذون فيه هى الجوابات الحقة والممنوع عنه
هى الاعذار الباطلة (فمنهم شقى) وجبت له النار بمقتضى الوعيد (وسعيد)
وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم
مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس (فاما الذين شقوا ففى النار لهم
فيها زفير وشهيق) الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما فى اول
النهيق وآخره فالمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم
بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم
باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم (خالدين فيها مادامت السموات
والارض) ليس لارتباط دوامهم فى النار بدوامهما فان النصوص دالة
على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل للتعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت
العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال
السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامهما دوامه الا من قبيل
المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق
وقيل المراد سموات الآخرة وارضها ويدل عليه قوله تعالى يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات وان اهل الآخرة لابد لهم من مظل ومقل وفيه
نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه

للواحد وغيره أى يناجى
بعضهم بعضا (قال كبيرهم)
سنا روبيل أو رأيا يهودا (ألم
تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم
موثقا) عهدا (من الله)
فى أخيكم (ومن قبل ما)
زائدة (فرطتم فى يوسف)
وقيل ما مصدرية مبتدأ
خبره من قبل (فلن أبرح)
أفارق (الارض) أرض مصر
(حتى يأذن لى أبى) بالعود اليه
(أو يحكم الله لى) بخلاص أخى
(وهو خير الحاكمين)
أعدلهم (ارجعوا الى أبيكم
فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق
وما شهدنا) عليه (الا بما
علمنا) تيقنا من مشاهدة الصاع
فى رحله (وما كنا للغيب)
لما غاب عنا حين اعطاء الموثق
(حافظين) ولو علمنا أنه
يسرق لم نأخذه (واسئل
القرية التى كنا فيها)
هى مصر أى أرسل الى
أهلها فاسألهم (والعير)
أى أصحاب العير (التى أقبلنا
فيها) وهم قوم من كنعان
(وانا لصادقون) فى قولنا
فرجعوا اليه وقالوا له ذلك
(قال بل سولت) زينت (لكم
أنفسكم أمرا) ففعلتموه

بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدى له التشبيه (الا ماشاء ربك)
استثناء من الخلود فى النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون
منها وذلك كاف فى صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله
عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثانى فانهم مفارقون عن الجنة ايام
عذابهم فان التأبيد من مبدأ معين ينتقص باعتبار الابتداء كما ينتقص
باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم
لا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقى وسعيد تقسيما صحيحا لان
من شرطه ان تكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط
من حيث التقسيم لانفصال حقيقى اومانع من الجمع وههنا المراد اهل
الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة
وذلك لا يمنع اجتماع الامرين فى شخص باعتبارين اولان اهل النار
ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة
ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز
برضوان الله ولقائه اومن اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم فى الموقف
للحساب لان ظاهره يقتضى ان يكونوا فى النار حين يأتى اليوم اومدة لبثهم
فى الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التأويل
يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ماعرفت وقيل هو من قوله لهم
فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك على الف الا الالفان
القديمان والمعنى سوى ماشاء ربك من الزيادة التى لا آخر لها على مدة بقاء
السموات والارض (ان ربك فعال لما يريد) من غير اعتراض (واما الذين
سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك
عطاء غير مجذوذ) غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع
وتنبيه على ان المراد من الاستثناء فى الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق
بين الثواب والعقاب فى التأبيد وقرأ حمزة والكسائى وحفص سعدوا على
البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد
اى اعطوا عطاء اوالحال من الجنة (فلا تك فى مرية) شك بعد ما انزل
عليك من مآل الناس (مما يعبد هؤلاء) من عبادة هؤلاء المشركين فى انها
ضلال مؤد الى مثل ماحل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة
عبادتهم اومن حال ما يعبدونه فى انه يضر ولا ينفع (ما يعبدون الا كما يعبد

اتهمهم لما سبق منهم من أمر
يوسف (فصبر جميل) صبرى
(عسى الله أن يأتينى بهم)
بيوسف وأخويه (جميعا
انه هو العليم) بحالى (الحكيم)
فى صنعه (وتولى عنهم) تاركا
خطابهم (وقال يا أسفى)
الالف بدل من ياء الاضافة أى
ياحزنى (على يوسف وابيضت
عيناه) بمحق سوادهما وبدل
بياضا من بكائه (من الحزن)
عليه (فهو كظيم) مغموم
مكروب لا يظهر كربه (قالوا
تالله) لا (تفتؤ) تزال (تذكر
يوسف حتى تكون حرضا)
مشرفا على الهلاك لطول
مرضك وهو مصدر
يستوى فيه الواحد وغيره
(أو تكون من الهالكين)
الموتى (قال) لهم (انما
أشكو بثى) هو عظيم الحزن
الذى لا يصبر عليه حتى
يبث الى الناس (وحزنى
الى الله) لا الى غيره فهو الذى
تنفع الشكوى اليه (وأعلم
من الله مالا تعلمون) من أن
رؤيا يوسف صدق وهو حى
ثم قال (يابنى اذهبوا فتحسسوا
من يوسف وأخيه) اطلبوا
خبرهما (ولا تيأسوا)

تقنطوا (من روح الله) رحمته (انه لاييأس من روح الله الاالقوم الكافرون) فانطلقوا نحو مصر ليوسف (فلمادخلوا عليه قالوا ياأيها العزيز مسناوأهلنا الضر) الجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) مدفوعة يدفعها كل من رآها لرداءتها وكانت دراهم زيوفا أوغيرها(فاوف)أتم(لنا الكيل وتصدق علينا) بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا (ان الله يجزى المتصدقين) يثيبهم فرق عليهم وأدركته الرحمة ورفع الحجاب بينه وبينهم ثم (قال) لهم توبيخا (هل علمتم مافعلتم بيوسف)من الضرب والبيع وغير ذلك (وأخيه) من هضمكم له بعد فراق اخيه (اذانتم جاهلون) ما يؤل اليه أمر يوسف (قالوا) بعدأن عرفوه لماظهر من شمائله متثبتين (ائنك) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين (لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من) أنعم (الله علينا) بالاجتماع (انه

اباؤهم من قبل) استئناف معناه تعليل النهى عن المرية اى هم وآباؤهم سواء فى الشرك اى مايعبدون عبادة الا كعبادة آبائهم اومايعبدون شيئا الا مثل ماعبدوه من الاوثان وقد بلغك مالحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل فى الاسباب يقتضى التماثل فى المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه (وانالموفوهم نصيبهم) حظهم من العذاب كآبائهم اومن الرزق فيكون عذرا لتأخير العذاب عنهم مع قيام مايوجبه غير منقوص) حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء فى القرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعنى كلمة الانظار الى يوم القيامة (لقضى بينهم)بازال مايستحقه المبطل ليتميز به عن المحق (وانهم) وان كفار قومك (لفى شك منه)من القرآن (مريب) موقع للريبة (وان كلا) وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل من المضاف اليه وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبار اللاصل (لما ليوفينهم ربك اعمالهم) اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد اوبالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين ليوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اى جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به (انه بما يعملون خبير) فلا يفوت عنه شئ منه وان خفى (فاستقم كما امرت) لما بين امر المختلفين فى التوحيد والنبوة واطنب فى شرح الوعد والوعيد امر رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بالاستقامة مثل ما امر بها وهى شاملة للاستقامة فى العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحى وبيان الشرائع كما نزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهى فى غاية العسر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام شيبتنى سورة هود (ومن تاب معك) اى ومن تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف على المستكن فى استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه (ولا تطغوا) ولا تخرجوا عما حد لكم (انه بما تعملون بصير) فهو مجاز يكم عليه وهو فى معنى التعليل للامر والنهى وفى الآية دليل على وجوب اتباع

النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان (ولا تركنوا
الى الذين ظلموا) ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي
بزيهم وتعظيم ذكرهم (فتمسكم النار) بركونكم اليهم واذا كان الركون
الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اى
الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل
الآية ابلغ ما يتصور فى النهى عن الظلم او التهديد عليه وخطاب الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة
التى هى العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفى افراط وتفريط فانه ظلم
على نفسه او غيره بل ظلم فى نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم النار بكسر التاء على لغة
تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه (ومالكم من دون الله من اولياء)
من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال (ثم لا تنصرون) اى ثم
لا ينصركم الله اذ سبق فى حكمه ان يعذبكم ولا يبقى عليكم وثم لاستبعاد نصره
اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا
منزلة الفاء لمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر
على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا (واقم الصلاة طرفى النهار)
غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه (وزلفا من الليل) وساعات
منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلاة الغداة
صلاة الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلاة العشية العصر
وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشى وصلاة الزلف المغرب والعشاء
وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر فى بسرة وزلفى بمعنى زلفة
كقربى وقربة (ان الحسنات يذهبن السيئات) يكفرنها وفى الحديث ان
الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفى سبب النزول ان
رجلا اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انى قد اصبت من امرأة غير
انى لم آتها فنزلت (ذلك) اشارة الى قوله فاستقم وما بعده وقيل الى القرآن
(ذكرى للذاكرين) عظة للمتعظين (واصبر) على الطاعات وعن المعاصى
(فان الله لا يضيع اجر المحسنين) عدل عن المضمر ليكون كالبرهان على
المقصود ودليلا على ان الصبر والصلاة احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون
الاخلاص (فلولا كان) فهلا كان (من القرون من قبلكم اولو بقية)
من الرأى والعقل او اولو فضل وانما سمى بقية لان الرجل يستبقى افضل

من يتق) يخف الله (ويصبر
على ما ناله (فان الله لا يضيع
أجر المحسنين) فيه وضع
الظاهر موضع المضمر (قالوا
تالله لقد آثرك) فضلك
(الله علينا) بالملك وغيره
(وان) مخففة أى انا (كنا
لخاطئين) آثمين فى أمرك
فأذللناك (قال لا تثريب)
عتب (عليكم اليوم) خصه
بالذكر لانه مظنة التثريب
فغيره أولى (يغفر الله لكم
وهو أرحم الراحمين)
وسألهم عن أبيه فقالوا
ذهبت عيناه فقال (اذهبوا
بقميصى هذا) وهو قميص
ابراهيم الذى لبسه حين
ألقى فى النار كان فى عنقه فى
الجب وهو من الجنة أمره
جبريل بارساله وقال ان
فيه ريحها ولا يلقى على
مبتلى الا عوفى (فالقوه على
وجه أبى يأت) يصر (بصيرا
وأتونى بأهلكم أجمعين
ولما فصلت العير) خرجت
من عريش مصر (قال أبوهم)
لمن حضر من بنيه وأولادهم
(انى لأجد ريح يوسف)
أوصلته اليه الصبا باذنه
تعالى من مسيرة ثلاثة أيام

أو ثمانية أو أكثر (لولا أن تفندون) تسفهون لصدقتمون (قالوا) له (تالله انك لفي ضلالك) خطئك (القديم) من افراطك في محبته ورجاء لقائه على بعد العهد (فلما أن) زائدة (جاء البشير) يهودا بالقميص وكان قد حمل قميص الدم فاحب أن يفرحه كما أحزنه (ألقاه) طرح القميص (على وجهه فارتد) رجع (بصيرا قال ألم أقل لكم انى أعلم من الله مالا تعلمون قالوا ياأبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربى أنه هو الغفور الرحيم) أخر ذلك الى السحر ليكون أقرب الى الاجابة أو الى ليلة الجمعة ثم توجهوا الى مصر وخرج يوسف والاكابر لتلقيهم (فلما دخلوا على يوسف) في مضربه (آوى) ضم (اليه أبويه) أباه وأمه أو خالته (وقال) لهم (ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) فدخلوا وجلس يوسف على سريره (ورفع أبويه) أجلسهما معه (على

مايجرحه ومنه يقال فلان من بقية القوم اى من خيارهم و يجوز ان يكون مصدرا كالتقية اى ذووا بقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب و يؤيده انه قرئ بقية وهى المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه (ينهون عن الفساد فى الارض الاقليلا ممن انجينا منهم) لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفى اللازم للتحضيض (واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه) اى ماانعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك (وكانوا مجرمين) كافرين كأنه اراد ان يبين ما كان السبب لاستئصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهى عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض وقرئ واتبع اى واتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم) بشرك (واهلها مصلحون) فيما بينهم لايضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته فى حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل واحد وان ما اراده يجب وقوعه (ولا يزالون مختلفين) بعضهم على الحق و بعضهم على الباطل لاتكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا (الا من رحم ربك) الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه (ولذلك خلقهم) ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحم (وتمت كلمة ربك) وعيده او قوله للملائكة (لأملأن جهنم من الجنة والناس) اى من عصاتهما (اجمعين) او منهما اجمعين لامن احدهما (وكلا) وكل نبأ (نقص عليك من انباء الرسل) نخبرك به (ماتثبت به فؤادك) بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار اومفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ماتثبت به فؤادك من انباء الرسل (وجاءك فى هذه) السورة او الانباء المقتصة عليك (الحق) ماهو

حق (وموعظة وذكرى للمؤمنين) اشارة الى سائر فوائده العامة (وقل للذين
لايؤمنون اعملوا على مكانتكم) على حالكم (انا عاملون) على حالنا
(وانتظروا) بنا الدوائر (انا منتظرون) ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم
(ولله غيب السموات والارض) خاصة لايخفى عليه خافية مما فيهما (واليه
يرجع الامر كله) فيرجع لامحالة امرهم وامرك اليه وقرأ نافع وحفص
يرجع على البناء للمفعول (فاعبده وتوكل عليه) فانه كافيك وفى تقديم الامر
بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد (وماربك بغافل
عما تعملون) انت وهم فيجازى كلا مايستحقه وقرأ نافع وابن عامر وحفص
بالتاء هنا وفى آخر النمل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود
اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح
وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله تعالى

(سورة يوسف عليه السلام مكية وآيها مائة واحدى عشر)

(قيل الاثلث آيات من اولها)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الر تلك آيات الكتاب المبين) تلك اشارة الى آيات السورة وهي المراد
بالكتاب اى تلك الآيات آيات السورة الظاهر امرها فى الاعجاز او الواضحة
معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ماسألوا اذ روى ان علماءهم
قالوا الكبراء المشركين سلوا محمدا عليه السلام لم انتقل يعقوب من الشام
الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام فنزلت (انا انزلناه) اى الكتاب
(قرآنا عربيا) سمى البعض قرآنا لانه فى الاصل اسم جنس يقع على الكل
والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو فى نفسه اما توطئة
للحال التى هى عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال
من الضمير فيه او حال بعد حال وفى كل ذلك خلاف (لعلكم تعقلون) علة
لانزاله بهذه الصفة اى انزلناه مجموعا او مقروا بلغتكم كى تفهموه وتحيطوا
بمعانيه او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم
القصص معجز لايتصور الابالايحاء (نحن نقص عليك احسن القصص)
احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن مايقص
لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض
والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا تبعه (بما اوحينا) اى بايحائنا (اليك هذا القرآن

العرش) السرير (وخروا)
أى أبواه واخوته (له سجدا)
سجودا نحناء لاوضع جبهة
وكان تحيتهم فى ذلك الزمان
(وقال يا أبت هذا تأويل
رؤياى من قبل قد جعلها
ربى حقا وقد احسن بى) الى
(اذ أخرجنى من السجن)
لم يقل من الجب تكرما لئلا
تخجل اخوته (وجاء بكم من
البدو) البادية (من بعد أن
نزغ) أفسد (الشيطان بينى
وبين اخوتى ان ربى لطيف
لما يشاء انه هو العليم)
بخلقه (الحكيم) فى صنعه
وأقام عنده أبوه أربعا
وعشرين سنة أو سبع
عشرة سنة وكانت مدة فراقه
ثمانى عشرة أو أربعين
أو ثمانين سنة وحضره الموت
فوصى يوسف أن يحمله
ويدفنه عند أبيه فمضى بنفسه
ودفنه ثمه ثم عاد الى مصر
وأقام بعده ثلاثا وعشرين
سنة ولما تم أمره وعلم أنه
لايدوم تاقت نفسه الى الملك
الدائم فقال (رب قد آتيتنى
من الملك وعلمتنى من تأويل
الاحاديث) تعبير الرؤيا
(فاطر) خالق (السموات

والارض أنت وليى) متولى مصالحى (فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين) من آبائى فعاش بعد ذلك أسبوعا أو اكثر ومات وله مائة وعشرون سنة وتشاح المصريون فى قبره فجعلوه فى صندوق من مرمر ودفنوه فى أعلى النيل لتعم البركة جانبيه فسبحان من لاانقضاء لملكه (ذلك) المذكور من أمر يوسف (من أنباء الغيب) أخبار ماغاب عنك يامحمد (نوحيه اليك وما كنت لديهم) لدى اخوة يوسف (اذأجمعوا أمرهم) فى كيده أى عزموا عليه (وهم يمكرون) به أى لم تحضرهم فتعرف قصتهم فتخبر بها وانما حصل لك علمها من جهة الوحى (وما أكثر الناس) أى أهل مكة (ولو حرصت) على ايمانهم (بمؤمنين وماتسأ لهم عليه) أى القرآن (من أجر) تأخذه (ان) ما (هو) أى القرآن (الاذكر) عظة (للعالمين وكأين) وكم (من آية) دالة على وحدانية الله

يعنى السورة ويجوزان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر (وان كنت من قبله لمن الغافلين) عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة (اذقال يوسف) بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال اومنصوب باضمار اذكر ويوسف عبرى ولوكان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لاعلى انه مضارع بنى للمفعول او الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته (لابيه) يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وعنه عليه الصلاة والسلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام (ياابت) اصله ياابى فعوض الياء تاء التأنيث لتناسبهما فى الزيادة ولذلك قلبها هاء فى الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسروها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر فى كل القرآن لانها حركة اصلها اولانه كان ياابتا فحذف الالف وبقى الفتحة وانما جاز ياابتا ولم يجز ياابتى لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب (انى رأيت) من الرؤيا لامن الرؤية لقوله لاتقصص رؤياك ولقوله هذا تأويل رؤياى من قبل (احد عشر كوكبا والشمس والقمر) روى عن جابر ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اخبرنى يامحمد عن النجوم التى رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال اذا اخبرتك فهل تسلم قال نعم قال جربان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودى اى والله انها لاسماؤها (رأيتهم لى ساجدين) استئناف لبيان حالهم التى رآهم عليها فلاتكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم (قال يابنى) تصغير ابن صغره للشفقة اولصغر السن لانه كان ابن اثنتى عشرة سنة وقرأ حفص هنا وفى الصافات بفتح الياء (لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا) فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه

على اخوته فيخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون فى النوم ففرق بينهما بحرف التأنيث كالقربة والقربى وهى انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعانى الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لايكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدى كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى به تأكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله (ان الشيطان للانسان عدو مبين) ظاهر العداوة كما فعل بآدم عليه السلام وحواء فلا يألوا جهدا فى تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد (وكذلك) اى وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس (يجتبيك ربك) للنبوة والملك اولامور عظام والاجتباء من جبيت الشئ اذا حصلته لنفسك (ويعلمك) كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك (من تأويل الاحاديث) من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان كانت كاذبة او من تأويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل (ويتم نعمته عليك) بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة (وعلى ال يعقوب) يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب اونسله (كما اتمها على ابويك) بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم (من قبل) اى من قبلك اومن قبل هذا الوقت (ابراهيم واسحق) عطف بيان لابويك (ان ربك عليم) بمن يستحق الاجتباء (حكيم) يفعل الاشياء على ما ينبغى (لقد كان فى يوسف واخوته) اى فى قصتهم (ايات) دلائل قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك وقرأ ابن كثير اية (للسائلين) لمن سأل عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوى وريالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما

(فى السموات والارض يمرون عليها) يشاهدونها (وهم عنها معرضون) لا يتفكرون فيها (ومايؤمن اكثرهم بالله) حيث يقرون بأنه الخالق الرازق (الا وهم مشركون) به بعبادة الاصنام ولذا كانوا يقولون فى تلبيتهم لبيك لاشريك لك الا شريكا هو لك تملكه وماملك يعنونها (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية) نقمة تغشاهم (من عذاب الله اوتأتيهم الساعة بغتة) فجاة (وهم لايشعرون) بوقت اتيانها قبله (قل) لهم (هذه سبيلى) وفسرها بقوله (أدعوالى) دين (الله على بصيرة) حجة واضحة (أنا ومن اتبعنى) آمن بى عطف على أنا المبتدا المخبر عنه بما قبله (وسبحان الله) تنزيها عن الشركاء (وما انا من المشركين) من جملة سبيله أيضا (وماأرسلنا من قبلك الارجالا يوحى) وفى قراءة بالنون وكسر الحاء (اليهم) لاملائكة (من أهل القرى) الامصار لانهم أعلم وأحلم بخلاف أهل البوادى لجفائهم وجهلهم (أفلم يسيروا)

حينئذ واربعة آخرون دان ويفتالى وحاد واشر من سريتين زلفة وبلهة اذقالوا ليوسف واخوه) بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين (احب الى ابينامنا) وحده لان افعل من لايفرق فيه بين الواحد ومافوقه والمذكر ومايقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب فى المحلى جائز فى المضاف (ونحن عصبة) والحال انا جماعة اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم (ان ابانا لفى ضلال مبين) لتفضيله المفضول اولترك التعديل فى المحبة روى انه كان احب اليه لمايرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له (اقتلوا يوسف) من جملة المحكى بعد قوله اذ قالوا كأنهم اتفقوا على ذلك الامن قال لاتقتلوا يوسف وقيل انما قاله شمعون اودان ورضى به الآخرون (اواطرحوه ارضا) منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة (يخل لكم وجه ابيكم) جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولايلتفت عنكم الى غيركم ولاينازعكم فى محبته احد (وتكونوا) جزم بالعطف على يخل اونصب باضمار ان (من بعده) من بعد يوسف والفراغ من امره اوقتله اوطرحه (قوما صالحين) تائبين الى الله تعالى عما جنيتم اوصالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه اوصالحين فى امور دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم (قال قائل منهم) يعنى يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا وقيل روبيل (لاتقتلوا يوسف) فان القتل عظيم (والقوه فى غيابة الجب) فى قعره سمى بها لغيبته عن اعين الناظرين وقرأ نافع فى غيابات الجب فى الموضعين على الجمع كانه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد (يلتقطه) يأخذه (بعض السيارة) بعض الذى يسيرون فى الارض (ان كنتم فاعلين) بمشورتى اوان كنتم على ان تفعلوا مايفرق بينه وبين ابيه (قالوا ياابانا مالك لاتأمنا على يوسف) لم تخافنا عليه (وانا له لناصحون) ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله عن رأيه فى حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهورة تأمنا بالادغام باشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا

أى أهل مكة (فى الارض فينظر واكيف كان عاقبة الذين من قبلهم) اى آخر أمرهم من اهلاكهم بتكذيبهم رسلهم (ولدار الآخرة) أى الجنة (خير للذين اتقوا) الله (أفلا يعقلون) بالياء والتاء أى ياأهل مكة هذا فتؤمنون (حتى) غاية لما دل عليه وما أرسلنا من قبلك الارجالا أى فتراخى نصرهم حتى (اذا استيأس) يئس (الرسل وظنوا) أيقن الرسل (انهم قد كذبوا) بالتشديد تكذيبا لاايمان بعده والتخفيف اى ظن الامم أن الرسل اخلفوا ماوعدوا به من النصر (جاءهم نصرنا فنجى) بنونين مشدد اومخففا وبنون مشدد اماض (من نشاء ولا يرد بأسنا) عذابنا (عن القوم المجرمين) المشركين (لقد كان فى قصصهم) اى الرسل (عبرة لأولى الالباب) اصحاب العقول (ماكان) هذا القرآن (حديثا يفترى) يختلق (ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه)

قبله من الكتب (وتفصيل) تبيين (كل شئ) يحتاج اليه فى الدين (وهدى) من الضلالة (ورحمة لقوم يؤمنون) خصوا بالذكر لانتفاعهم به دون غيرهم

(سورة الرعد مكية الا ولا يزال الذين كفروا الآية ويقول الذين كفروا لست مرسلا الآية أو مدنية الا ولو أن قرآنا الآيتين ثلاث أو أربع أو خمس أو ست وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(المر) الله أعلم بمراده بذلك (تلك) هذه الآيات (آيات الكتاب) القرآن والاضافة بمعنى من (والذى أنزل اليك من ربك) أى القرآن مبتدأ وخبره (الحق) لاشك فيه (ولكن أكثر الناس) أى أهل مكة (لايؤمنون) بانه من عنده تعالى (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها) أى العمد جمع عماد وهو الاسطوانة وهو صادق بأن لاعمد أصلا (ثم استوى على العرش) استواء يليق به (وسخر) ذلل (الشمس والقمر كل) منهما (يجرى)

بكسر التاء (ارسله معنا غدا) الى الصحراء (نرتع) نتسع فى اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهى الخصب (ونلعب) بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفى يلعب وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء (وانا له لحافظون) ان يناله مكروه (قال انى ليحزننى ان تذهبوا به) لشدة مفارقته على وقلة صبرى عنه (وأخاف ان يأكله الذئب لان الارض كانت مذأبة وقيل رأى فى المنام ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع برواية قالون وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا واشتقاقه من تذأبت الريح اذا هبت من كل جهة (وانتم عنه غافلون) لاشتغالكم بالرتع واللعب اولقلة اهتمامكم بحفظه (قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة) اللام موطئة للقسم وجوابه (انا اذا لخاسرون) ضعفاء مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو فى ونحن للحال (فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه فى غيابة الجب) وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس او بئر بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب عليه السلام وجواب لما محذوف مثل فعلوا به مافعلوا من الاذى فقد روى انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلوه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتمونى ان لاتقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا على قميصى اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط ثم أوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكى فجاءه جبرائيل عليه السلام بالوحى كما قال (واوحينا اليه) وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحى اليه فى صغره كما اوحى الى يحيى وعيسى عليهم السلام وفى القصص ان ابراهيم عليه السلام حين القى فى النار وجرد عن ثيابه اتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله فى تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبريل عليه السلام والبسه اياه (لتنبئنهم بامرهم هذا) لتحدثنهم بما فعلوا بك (وهم لايشعرون) انك يوسف لعلو شأنك وبعده

عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ماقال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه امره ايناساله وتطييبا لقلبه وقيل وهم لايشعرون متصل باوحينا اى آنسناه بالوحى وهم لايشعرون ذلك (وجاؤا اباهم عشاء) آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشى وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اى عشوا من البكاء (يبكون) متباكين روى انه لما سمع بكاءهم فزع وقال مالكم يابنى واين يوسف (قالوا ياابانا انا ذهبنا نستبق) نتسابق فى العدو وفى الرمى وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل (وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وماانت بمؤمن لنا) بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف (وجاؤا على قميصه بدم كذب) اى ذى كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اى جاؤا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اى كدر اوطرى وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق القميص وعلى قميصه موضع النصب على الظرف اى فوق قميصه اوعلى الحال من الدم ان جوز تقديمه على المجرور روى انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل عن قميصه فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال مارأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه ولذلك (قال بل سولت لكم انفسكم امرا) اى سهلت لكم انفسكم وهونت فى اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء (فصبر جميل) اى فامرى صبر جميل اوفصبر جميل اجمل وفى الحديث الصبر الجميل الذى لاشكوى فيه اى الى الخلق (والله المستعان على ماتصفون) على احتمال ماتصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح (وجاءت سيارة) رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلاثة ايام من القائه فيه (فارسلوا واردهم) الذى يرد الماء ويستسق لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعى (فادلى دلوه) فارسلها فى الجب ليملأها فتدلى بها يوسف فلما رآه (قال يابشرى هذا غلام) نادى البشرى بشارة لنفسه اولقومه كأنه قال تعالى فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يابشراى بالاضافة وقرئ يابشرى بالادغام وهو لغة وبشراى بالسكون على قصد

فى فلكه (لاجل مسمى) يوم القيامة (يدبر الامر) يقضى أمر ملكه (يفصل) يبين (الآيات) دلالات قدرته (لعلكم) يا أهل مكة (بلقاء ربكم) بالبعث (توقنون وهو الذى مد) بسط (الارض وجعل) خلق (فيها رواسى) جبالا ثوابت (وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) من كل نوع (يغشى) يغطى (الليل) بظلمته (النهار ان فى ذلك) المذكور (لآيات) دلالات على وحدانيته تعالى (لقوم يتفكرون) فى صنع الله (وفى الارض قطع) بقاع مختلفة (متجاورات) متصلاصقات فمنها طيب وسبخ وقليل الريع وكثيره وهو من دلائل قدرته تعالى (وجنات) بساتين (من أعناب وزرع) بالرفع عطفا على جنات والجر على أعناب وكذا قوله (ونخيل صنوان) جمع صنو وهى النخلات يجمعها اصل واحد وتتشعب فروعها (وغير صنوان) منفردة (تسقى) بالتاء أى

الوقف (واسروه) اى الوارد واصحابه من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك لان يهوذا كان يأتيه بالطعام كل يوم فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه فسكت يوسف مخافة ان يقتلوه (بضاعة) نصب على الحال اى اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه مابضع من المال للتجارة (والله عليم بما يعملون) لم يخف عليه اسرارهم اوصنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم (وشروه) وباعوه وفى مرجع الضمير الوجهان اواشتروه من اخوته (بثمن بخس) مبخوس لزيفه اونقصانه (دراهم) بدل من الثمن (معدودة) قليلة فانهم كانوا يزنون مابلغ الاوقية ويعدون مادونها قيل كان عشرين درهما وقيل كان اثنين وعشرين (وكانوا فيه) فى يوسف (من الزاهدين) الراغبين عنه والضمير فى كانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به خائف عن انتزاعه مستعجل فى بيعه وان كانوا متبايعين فلانهم اعتقدوا انه ابق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذى فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول (وقال الذى اشتراه من مصر) وهو العزيز الذى كان على خزائن مصر واسمه قطفير اواطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقى وقد آمن بيوسف عليه السلام ومات فى حياته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روى انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث فى منزله ثلث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به من جعل شراه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة وقيل ذهبا (لامرأته) راعيل اوزليخا (اكرمى مثواه) اجعلى مقامه عندنا كريما اى حسنا والمعنى احسنى تعهده (عسى ان ينفعنا) فى ضياعنا واموالنا ونستظهر به فى مصالحنا (او نتخذه ولدا) نتبناه وكان عقيما لماتفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز

الجنات وما فيها والياء أى المذكور (بماء واحد ونفضل) بالنون والياء (بعضها على بعض فى الاكل) بضم الكاف وسكونها فمن حلو وحامض وهو من دلائل قدرته تعالى (ان فى ذلك) المذكور (لآيات لقوم يعقلون) يتدبرون (وان تعجب) يامحمد من تكذيب الكفار لك (فعجب) حقيق بالعجب (قولهم) منكرين للبعث (أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد) لان القادر على انشاء الخلق وماتقدم على غير مثال قادر على اعادتهم وفى الهمزتين فى الموضعين التحقيق وتحقيق الاولى وتسهيل الثانية وادخال الف بينهما على الوجهين وتركها وفى قراءة بالاستفهام فى الاول والخبر فى الثانى واخرى عكسه (أولئك كفروا بربهم وأولئك الاغلال فى اعناقهم وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) * ونزل فى استعجالهم العذاب استهزاء (ويستعجلونك بالسيئة) العذاب (قبل الحسنة)

مصر وابنة شعيب التى قالت ياابت استأجره وابوبكر حين استخلف عمر رضى الله تعالى عنهما (وكذلك مكنا ليوسف فى الارض) وكما مكنا محبته فى قلب العزيز اوكما مكناه منزله اوكما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكناه له فيها (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) عطف على مضمر تقدير ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اى كان القصد فى انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس وليعلم معانى كتب الله واحكامه فينفذها اوتعبير المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل لسنينه (والله غالب على امره) لايرده شئ ولاينازعه فيما يشاء اوعلى امر يوسف اراد به اخوة يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الاماأراده (ولكن اكثر الناس لايعلمون) ان الامر كله بيده اولطائف صنعه وخفايالطفه (ولما بلغ اشده) منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقف مابين الثلاثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدأه بلوغ الحلم (اتيناه حكما) اى حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل اوحكما بين الناس (وعلما) يعنى علم تأويل الاحاديث (وكذلك نجزى المحسنين) تنبيه على انه تعالى انما اتاه ذلك جزاء على احسانه فى عمله واتقائه فى عنفوان امره (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه) طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راديرود اذاجاء وذهب لطلب شئ ومنه الرائد (وغلقت الابواب) قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة فى الايثاق (وقالت هيت لك) اى اقبل وبادر اوتهيأت والكلمة على الوجهين اسم فعل بنى على الفتح كاين واللام للتبيين كالتى فى سقيا لك وقرأ ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وهى لغة فيه وقرأ هشام كذلك الاانه يهمزها وقد روى عنه ضم التاء وقرئ هيت كجير وهئت كجئت من هاء يهيئ اذاتهيأ وعلى هذا فاللام من صلته (قال معاذ الله) اعوذ بالله معاذا (انه) اى الشأن (ربى احسن مثواى) سيدى قطفير احسن تعهدى اذقال لك فى اكرمى مثواه فاجزاؤه ان اخونه فى اهله وقيل الضمير لله تعالى اى انه خالق واحسن منزلتى بان عطف على قلبه فلا اعصيه (انه لايفلح الظالمون) المجازون الحسن بالسيئ وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزانى والمزنى باهله (ولقدهمت به وهم بها) قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشئ قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذى اذاهم بشئ امضاه والمراد بهمه عليه السلام ميل

الرجة (وقد خلت من قبلهم المثلات) جمع المثلة بوزن السمرة اى عقوبات امثالهم من المكذبين افلا يعتبرون (وان ربك لذو مغفرة للناس على) مع (ظلمهم) والالم يترك على ظهرها دابة (وان ربك لشديد العقاب) لمن عصاه (ويقول الذين كفروا لولا) هلا (انزل عليه) على محمد (آية من ربه) كالعصا واليد والناقة قال تعالى (انما انت منذر) مخوف الكافرين وليس عليك اتيان الآيات (ولكل قوم هاد) نبى يدعوهم الى ربهم بما يعطيه من الآيات لابما يقترحون (الله يعلم ماتحمل كل انثى) من ذكر وانثى وواحد ومتعدد وغير ذلك (وماتغيض) تنقص (الارحام) من مدة الحمل (وماتزداد) منه (وكل شئ عنده بمقدار) بقدر واحد لايتجاوزه (عالم الغيب والشهادة) ماغاب وماشوهد (الكبير) العظيم (المتعال) على خلقه بالقهر بياء ودونها (سواء منكم) فى علمه

الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم اومشارفة الهم كقولك قتلته لولم اخف الله (لولا ان رأى برهان ربه) فى قبح الزنى وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها فى حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل رأى جبريل عليه السلام وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودى يا يوسف انت مكتوب فى الانبياء وتعمل عمل السفهاء (كذلك) اى مثل ذلك التثبيت ثبتناه اوالامر مثل ذلك (لنصرف عنه السوء) خيانة السيد (والفحشاء) الزنى (انه من عبادنا المخلصين) الذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر فى كل القرآن اذا كان فى اوله الالف واللام اى الذين اخلصوا دينهم لله (واستبقا الباب) اى تسابقا الى الباب لحذف الجار اوضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج (وقدت قميصه من دبر) اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا (والفيا سيدها) وصادفا زوجها (لدى الباب قالت ماجزاء من اراد باهلك سوأ الا ان يسجن اوعذاب اليم) ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف واغراءه به انتقاما منه وما نافية اواستفهامية بمعنى اى شئ جزاؤه الا السجن (قال هى راودتنى عن نفسى) طالبتنى بالمواتاة وانما قال دفعا لما عرضته له من السجن والعذاب الاليم ولو لم تكذب عليه لما قاله (وشهد شاهد من اهلها) قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها وكان صبيا فى المهد وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تكلم اربعة صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم عليه السلام وانما القى الشهادة على لسان اهلها لتكون الزم عليها (ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين) لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها اوانه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه (وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول اوعلى ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة

تعالى (من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف) مستتر (بالليل) بظلامه (وسارب) ظاهر بذهابه فى سربه أى طريقه (بالنهار له) للانسان (معقبات) ملائكة تعتقبه (من بين يديه) قدامه (ومن خلفه) وراءه (يحفظونه من أمر الله) أى بامره من الجن وغيرهم (ان الله لا يغير ما بقوم) لا يسلبهم نعمته (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الحالة الجميلة بالمعصية (واذا أراد الله بقوم سوأ) عذابا (فلا مرد له) من المعقبات ولا غيرها (ومالهم) لمن أراد الله بهم سوأ (من دونه) أى غير الله (من) زائدة (وال) يمنعه عنهم (هو الذى يريكم البرق خوفا) للمسافرين من الصواعق (وطمعا) للمقيم فى المطر (وينشئ) يخلق (السحاب الثقال) بالمطر (ويسبح الرعد) هو ملك موكل بالسحاب يسوقه ملتبسا (بحمده) أى يقول سبحان الله وبحمده (و) يسبح (الملائكة من خيفته) أى الله (ويرسل

لانهاادت مؤداها والجمع بين ان وكان على تأويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره
قولك ان احسنت الى فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن على باحسانك
امنن عليك باحسانى لك السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما
قطعا عن الاضافة كقبل و بعد بالفتح كأنهما جعلا علمين للجهتين فمنعا
الصرف و بسكون العين (فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه) اى
ان قولك ماجزاء من اراد باهلك سوءا او ان السوء او ان هذا الامر (من كيدكن
من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها ولسائر النساء (ان كيدكن عظيم)
فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد تأثيرا فى النفس ولانهن
يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة (يوسف) حذف منه
حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث (اعرض عن هذا) اكتمه ولا تذكره
(واستغفرى لذنبك) يا راعيل (انك كنت من الخاطئين) من القوم المذنبين
من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغلب (وقال نسوة) هى اسم جمع
امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيقى ولذلك جرد فعله وضم النون لغة
فيها (فى المدينة) ظرف لقال اى اشعن الحكاية فى مصر او صفة نسوة
وكن خمسا زوجة الحاجب والساقى والخباز والسجان وصاحب الدواب
(امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز
بلسان العرب الملك واصل فتى فتى لقولهم فتيان والفتوة شاذة (قد شغفها
حبا) شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على
التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه بالقطران
فاحرقه (انا لنراها فى ضلال مبين) فى ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب
(فلما سمعت بمكرهن) باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفى الماكر
مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف اولانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها
(ارسلت اليهن) تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة فيهن الخمس
المذكورات (واعتدت لهن متكأ) ماتتكئن عليه من الوسائد (وآتت كل
واحدة منهن سكينا) حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن
يبهتن و يشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن
بالحجة او يهاب يوسف من مكرها اذا خرج وحده على اربعين نسوة
فى ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكؤن
للطعام والشراب ترفا ولذلك نهى عنه قال جميل * فظللنا بنعمة واتكأنا *

الصواعق) وهى نار تخرج
من السحاب (فيصيب بها
من يشاء) فيحرقه نزل
فى رجل بعث اليه النبى صلى
الله عليه وسلم من يدعوه
فقال من رسول الله وما الله
أمن ذهب هو أم فضة أم
نحاس فنزلت به صاعقة
فذهبت بقحف رأسه (وهم)
أى الكفار (يجادلون)
يخاصمون النبى صلى الله عليه
وسلم (فى الله وهو شديد
المحال) القوة أو الاخذ (له)
تعالى (دعوة الحق) أى
كلمته وهى لا اله الا الله (والذين
يدعون) بالياء والتاء يعبدون
(من دونه) أى غيره وهم
الاصنام (لا يستجيبون لهم
بشئ) مما يطلبونه (الا)
استجابة (كباسط) أى
كاستجابة باسط (كفيه الى الماء)
على شفير البئر يدعوه (ليبلغ
فاه) بارتفاعه من البئر اليه
(وماهو ببالغه) أى فاه أبدا
فكذلك ماهم بمستجيبين لهم
(ومادعاء الكافرين) عبادتهم
الاصنام أو حقيقة الدعاء
(الا فى ضلال) ضياع (ولله
يسجد من فى السموات والارض
طوعا) كالمؤمنين (وكرها)

وشربنا الحلال من فلله * وقيل المتكأ طعام يحز حزا كأن القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج اومايقطع من متك الشئ اذا بتكه ومتكاء من تكئ يتكأ اذا اتكى (وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه) عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر اوليوسف عليه الصلاة والسلام على حذف اللام اى حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبى * خف الله واستر ذا الجمال ببرقع * فان لحت حاضت فى الخدور العواتق * (وقطعن ايديهن) جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة (وقلن حاش لله) تنزيها لله من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو فى الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التبرئة فى باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما فى قولك سقيا لك وقرئ حاش الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذى هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اى صار فى ناحية لله مما يتوهم فيه (ماهذا بشرا) لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز فى اعمال ما عمل ليس لمشاركتها فى نفى الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اى بعبد مشترى لئيم (ان هذا الاملك كريم) فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة اولان جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه الا الملك (قالت فذلكن الذى لمتننى فيه) اى فهو ذلك العبد الكنعانى الذى لمتننى فيه بالافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتننى اوفهذا هو الذى لمتننى فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) فامتنع طلبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها كى يعاونها على الانة عريكته (ولئن لم يفعل ما آمره) اى ما آمر به فحذف الجار او امرى اياه بمعنى موجب امرى فيكون الضمير ليوسف عليه السلام (ليسجنن وليكونا من الصاغرين) من الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف

كالمنافقين ومن أكره بالسيف (و) يسجد (ظلالهم بالغدو) البكر (والآصال) العشايا (قل) يا محمد لقومك (من رب السموات والارض قل الله) ان لم يقولوه لاجواب غيره (قل) لهم (أفاتخذتم من دونه) أى غيره (اولياء) أصناما تعبدونها (لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا) وتركتم مالكهما استفهام توبيخ (قل هل يستوى الاعمى والبصير) الكافر والمؤمن (أم هل تستوى الظلمات) الكفر (والنور) الايمان (ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق) اى خلق الشركاء بخلق الله (عليهم) فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقهم استفهام انكار اى ليس الامر كذلك ولا يستحق العبادة الا الخالق (قل الله خالق كل شئ) لا شريك له فى العبادة (وهو الواحد القهار) لعباده ثم ضرب مثلا للحق والباطل فقال (انزل) تعالى (من السماء ماء) مطرا (فسالت اودية بقدرها) بمقدار ملئها (فاحتمل السيل زبدا رابيا) عاليا عليه

خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين (قال رب السجن) وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر (احب الى مما يدعونني اليه) اى آثر عندى من مواتاتهـا نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه من مخالفتها وزين له مطاوعتها اودعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلى بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على من كان يسأل الصبر (والا تصرف) وان لم تصرف (عنى كيدهن) في تحبيب ذلك الى وتحسينه عندى بالتثبيت على العصمة (اصب اليهن) امل الى اجابتهن او الى انفسهن بطبعى ومقتضى شهوتى والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة وهى الشوق (واكن من الجاهلين) من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء (فاستجاب له ربه) فاجاب الله دعاءه الذى تضمنه قوله والا تصرف (فصرف عنه كيدهن) فثبته حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المضمنة للعصيان (انه هو السميع) لدعاء الملتجئين اليه (العليم) باحوالهم وما يصلحهم (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات) ثم ظهر للعزيز واهله من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبى وقد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره (ليسجننه حتى حين) وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى بلغة هذيل (ودخل معه السجن فتيان) اى ادخل يوسف السجن واتفق ان ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه (قال احدهما) يعنى الشرابى (انى ارانى) اى أرى فى المنام هى حكاية حال ماضية (اعصر خمرا) اى عنبا وسماه بما يؤول اليه (وقال الآخر) اى الخباز (انى ارانى احمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه) تنهس منه (نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين) من الذين يحسنون تأويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا ذلك

هوما على وجهه من قذر ونحوه (ومما توقدون) بالتاء والياء (عليه فى النار) من جواهر الارض كالذهب والفضة والنحاس (ابتغاء) طلب (حلية اومتاع) ينتفع به كالاوانى اذا ذيبت (زبد مثله) اى مثل زبد السيل وهو خبثه الذى ينفيه الكير (كذلك) المذكور (يضرب الله الحق والباطل) اى مثلهما (فاما الزبد) من السيل وما اوقد عليه من الجواهر (فيذهب جفاء) باطلا مرميا به (واما ما ينفع الناس) من الماء والجواهر (فيمكث) يبقى (فى الارض) زمانا كذلك الباطل يضمحل وينمحق وان علا على الحق فى بعض الاوقات والحق ثابت باق (كذلك) المذكور (يضرب) يبين (الله الامثال للذين استجابوا لربهم) أجابوه بالطاعة (الحسنى) الجنة (والذين لم يستجيبوا له) وهم الكفار (لو أن لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به) من العذاب (أولئك لهم سوء الحساب)

لانهما رأياه فى السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين اهل
السجن فاحسن الينا بتأويل ما رأينا ان كنت تعرفه (قال لا يأتيكما طعام
ترزقانه الا نبأتكما بتأويله) اى بتأويل ما قصصتما على او بتأويل الطعام
يعنى بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما
الى التوحيد ويرشدهما الى الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سألاه منه كما هو
طريقة الانبياء عليهم السلام والنازلين منازلهم من العلماء فى الهداية والارشاد
فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه فى الدعوة والتعبير
(قبل ان يأتيكما ذلكما) اى ذلك التأويل (مما علمنى ربى) بالالهام والوحى
وليس من قبيل التكهن او التنجيم (انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم
بالآخرة هم كافرون) تعليل لما قبله اى علمنى ذلك لانى تركت ملة اولئك
(واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب) او كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة
واظهار انه من بيت النبوة ليقوى رغبتهما فى الاستماع اليه والوثوق عليه
ولذلك جوز للخامل العالم ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير
الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم بالآخرة (ما كان لنا)
ما صح لنا معشر الانبياء (ان نشرك بالله من شئ) اى شئ كان (ذلك)
اى التوحيد (من فضل الله علينا) بالوحى (وعلى الناس) وعلى سائر الناس
ببعثنا لارشادهم وتثبيتهم عليه (ولكن اكثر الناس) المبعوث اليهم
(لا يشكرون) هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون او من فضل الله
علينا وعليهم بنصب الدلالة وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون
اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها
(يا صاحبى السجن) اى يا ساكنيه او يا صاحبى فيه فاضافهما اليه على
الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار (ءارباب متفرقون) شتى متعددة
متساوية الاقدام (خير ام الله الواحد) المتوحد بالالوهية (القهار) الغالب
الذى لا يعادله ولا يقاومه غيره (ما تعبدون من دونه) خطاب لهما ولمن
على دينهما من اهل مصر (الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله
بها من سلطان) اى الا اشياء باعتبار اسامى اطلقتم عليها من غير حجة
تدل على تحقق مسمياتها فيها فكأنكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة
والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالوهية عقل ولا نقل آلهة
ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها (ان الحكم) فى امر العبادة

وهو المؤاخذة بكل ما عملوه
لا يغفر منه شئ (ومأواهم
جهنم وبئس المهاد)
الفراش هى * ونزل فى حمزة
وأبى جهل (افمن يعلم أنما
أنزل اليك من ربك الحق)
فآمن به (كمن هو أعمى)
لا يعلمه ولا يؤمن به لا (انما
يتذكر) يتعظ (أولوا الالباب)
أصحاب العقول (الذين
يوفون بعهد الله) المأخوذ
عليهم وهم فى عالم الذر أو كل
عهد (ولا ينقضون الميثاق)
بترك الايمان أو الفرائض
(والذين يصلون ما أمر الله به
أن يوصل) من الايمان
والرحم وغير ذلك (ويخشون
ربهم) أى وعيده (ويخافون
سوء الحساب) تقدم مثله
(والذين صبروا) على
الطاعة والبلاء وعن المعصية
(ابتغاء) طلب (وجه ربهم)
لا غيره من اعراض الدنيا
(وأقاموا الصلاة وأنفقوا)
فى الطاعة (مما رزقناهم
سرا وعلانية ويدرؤن)
يدفعون (بالحسنة السيئة)
كالجهل بالحلم والاذى بالصبر
(أولئك لهم عقبى الدار)

(الا الله) لانه المستحق لهـا بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد
للكل والمالك لامره (امر) على لسان انبيائه (ان لا تعبدوا الا اياه) الذى
دلت عليه الحجج (ذلك الدين القيم) الحق وانتم لا تميزون المعوج من القويم
وهـذا من التدرج فى الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد
على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان ما يسمونها
آلهة ويعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات
واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم
والدين المستقيم الذى لا يقتضى العقل غيره ولا يرتضى العلم دونه (ولكن
اكثر الناس لا يعلمون) فيخبطون فى جهالاتهم (يا صاحبى السجن اما احدكما)
يعنى الشرابى (فيسقى ربه خمرا) كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان
عليه (واما الآخر) يريد الخباز (فيصلب فتأكل الطير من رأسه) فقالا
كذبنا فقال (قضى الامر الذى فيه تستفتيان) اى قطع الامر الذى
تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا
فى امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما (وقال للذى ظن
انه ناج منهما) الظان يوسف عليه السلام ان ذكر ذلك عن اجتهاد دون ان
ذكره عن وحى فهو الناجى الا ان يأول الظن باليقين (اذكرنى عند ربك) اذكر
حالى عند الملك كى يخلصنى (فانساه الشيطان ذكر ربه) فانسى الشرابى
ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار
ربه وانسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه
الصلاة والسلام رحم الله اخى يوسف لو لم يقل اذكرنى عند ربك لما لبث
فى السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد فى كشف الشدائد وان كانت
محمودة فى الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء (فلبث فى السجن بضع
سنين) البضع ما بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع (وقال الملك
انى ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف) لما دنا فرجه رأى الملك
سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت
المهازيل السمان (وسبع سنبلات خضر) قد انعقد حبها (واخر
يابسات) وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن
عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان
على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثانى بالعجاف

أى العاقبة المحمودة فى الدار
الآخرة هى (جنات عدن)
اقامة (يدخلونها) هم (ومن
صلح) آمن (من آبائهم وأزواجهم
وذرياتهم) وان لم يعملوا
بعملهم يكونون فى درجاتهم
تكرمة لهم (والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب)
من أبواب الجنة أو القصور
أول دخولهم للتهنئة يقولون
(سلام عليكم) هذا الثواب
(بما صبرتم) بصبركم فى الدنيا
(فنعم عقبى الدار) عقبا
كم (والذين ينقضون عهد
الله من بعد ميثاقه ويقطعون
ما أمر الله به أن يوصل
ويفسدون فى الارض)
بالكفر والمعاصى (أولئك لهم
اللعنة) البعد من رحمة الله
(ولهم سوء الدار) العاقبة
السيئة فى الدار الآخرة وهى
جهنم (الله يبسط الرزق)
يوسعه (لمن يشاء ويقدر)
يضيقه لمن يشاء (وفرحوا)
أى أهل مكة فرح بطر
(بالحياة الدنيا) أى بما نالوه
فيها (وما الحياة الدنيا فى)
جنب حياة (الآخرة
الامتاع) شئ قليل يتمتع به
ويذهب (ويقول الذين

لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه (ياأيها الملاء افتونى فى رؤياى) عبروها (ان كنتم للرؤيا تعبرون) ان كنتم عالمين بعبارة الرويا وهى الانتقال من الصور الخيالية الى المعانى النفسانية التى هى مثالها من العبور وهى المجاورة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان اولتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوى باللام كاسم الفاعل اولتضمن تعبرون معنى فعل يعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا (قالوا اضغاث احلام) اى هذه اضغاث احلام وهى تخاليطها جمع ضغث واصله ماجمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة فى وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل اولتضمنه اشياء مختلفة (ومانحن بتأويل الاحلام بعالمين) يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اى ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات الصادقة فهو كانه مقدمة ثانية للعذر فى جهلهم بتأويله (وقال الذى نجا منهما) من صاحبى السجن وهو الشرابى (وادكر بعد امة) وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اى مدة طويلة وقرئ امة بكسرة الهمزة وهى النعمة اى بعد ماانعم عليه بالنجاة وامه اى نسيان يقال امه يأمه امها اذا نسى والجملة اعتراض ومقول القول (انا انبئكم بتأويله فارسلون) اى الى من عنده علمه اوالى السجن (يوسف ايها الصديق) اى فارسل الى يوسف عليه السلام فجاءه وقال يايوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ فى الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه فى تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه (افتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات) اى فى رؤيا ذلك (لعلى ارجع الى الناس) اعود الى الملك ومن عنده اوالى اهل البلد اذقيل ان السجن لم يكن فيه (لعلهم يعلمون) تأويلها اوفضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم دونه ولامن علمهم (قال تزرعون سبع سنين دأبا) اى على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين اوالمصدر باضمار فعله اى تدأبون دأبا ويكون الجملة حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب فى العمل وقيل تزرعون امر اخرجه فى صورة الخبر مبالغة لقوله (فما حصدتم فذروه فى سنبله) لئلا يأكله السوس

كفروا) من أهل مكة (لولا) هلا (أنزل عليه) على محمد (آية من ربه) كالعصا واليد والناقة (قل) لهم (ان الله يضل من يشاء) اضلاله فلا تغنى عنه الآيات شيئا (ويهدى) يرشد (اليه) الى دينه (من اناب) رجع اليه ويبدل من من (الذين آمنوا وتطمئن) تسكن (قلوبهم بذكر الله) أى وعده (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) اى قلوب المؤمنين (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ خبره (طوبى) مصدر من الطيب أو شجرة فى الجنة يسير الراكب فى ظلها مائة عام مايقطعها (لهم وحسن مآب) مرجع (كذلك) كما أرسلنا الانبياء قبلك (أرسلناك فى امة قدخلت من قبلها أمم لتتلو) تقرأ (عليهم الذى اوحينا اليك) اى القرآن (وهم يكفرون بالرحمن) حيث قالوا لما امروا بالسجود له وما الرحمن (قل) لهم يامحمد (هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب) * ونزل لما قالوا له ان كنت نبيا فسير عنا جبال مكة

وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة (الاقليلا مماتاكلون) فى تلك السنين (ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ماقدمتم لهن) اى يأكل اهلهن ماادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به (الاقليلا مماتحصنون) تحرزون لبذور الزراعة (ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس) يمطرون من الغيث اويغاثون من القحط من الغوث (وفيه يعصرون) مايعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على تغليب المستفتى وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبنى للفاعل منه اى يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا اومن اعصرت السحابة عليهم فعدى بنزع الخافض اوبتضمينه معنى المطروهذه بشارة بشرهم بها بعدان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ماجمع فى السنين المخصبة فى السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحى اوبان انتهاء الجدب بالخصب اوبان السنة الالهية على ان يوسع على عباده بعد ماضيق عليهم (وقال الملك ائتونى به) بعد ماجاءه الرسول بالتعبير (فلما جاءه الرسول) ليخرجه (قال ارجع الى ربك فاسأله مابال النسوة اللاتى قطعن ايديهن) انما تأنى فى الخروج وقدم سؤال النسوة وتفحص حاله ليظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلايقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغى ان يجتهد فى نفى التهم ويتقى مواقعها وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لوكنت مكانه ولبثت فى السجن مالبث لاسرعت الاجابة وانما قال فاسأله مابال النسوة ولم يقل فاسأله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ماصنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون (ان ربى بكيدهن عليم) حين قلن لى اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه برئ مماقرف به والوعيد لهن على كيدهن (قال ماخطبكن) قال الملك لهن ماشأنكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه (اذراودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله) تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله (ماعلمنا عليه من سوء) من ذنب (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ قال شعر فحصحص فى صم

واجعل لنا فيها انهارا عيونا لنغرس ونزرع وابعث لنا آباءنا الموتى يكلمونا أنك نبى (ولوأن قرآنا سيرت به الجبال) نقلت عن اماكنها (اوقطعت) شققت (به الارض اوكلم به الموتى) بان يحيوا لما آمنوا (بل لله الامر جميعا) لالغيره فلا يؤمن الا من شاء ايمانه دون غيره وان اوتوا مااقترحوا * ونزل لما اراد الصحابة اظهار ما اقترحوا طمعا فى ايمانهم (افلم ييأس) يعلم (الذين آمنوا أن) مخففة اى انه (لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) الى الايمان من غير آية (ولايزال الذين كفروا) من اهل مكة (تصيبهم بما صنعوا) بصنعهم اى كفرهم (قارعة) داهية تقرعهم بصنوف البلاء من القتل والاسر والحرب والجدب (أوتحل) يامحمد بجيشك (قريبا من دارهم) مكة (حتى يأتى وعدالله) بالنصر عليهم (ان الله لايخلف الميعاد) وقدحل بالحديبية

الصفا ثفناته * وناء بسلمى نوءة ثم صمما * اوظهر من حص شعره اذا استأصله
بحيث ظهر بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول (انا راودته عن نفسه
وانه لمن الصادقين) فى قوله هى راودتنى عن نفسى (ذلك ليعلم) قاله
يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اى ذلك التثبيت ليعلم العزيز
(انى لم اخنه بالغيب) وهو حال من الفاعل او المفعول اى لم اخنه وانا غائب
عنه اووهو غائب عنى اوظرف اى بمكان الغيب وراء الاستار والابواب
المغلقة (وان الله لايهدى كيد الخائنين) لاينفذه ولايسدده
اولا يهدى الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه
تعريض براعيل فى خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله
(وماابرئ نفسى) اى لاانزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه
والعجب بحاله بل اظهار ماانعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس
رضى الله عنهما انه لما قال ليعلم انى لم اخنه قال له جبريل ولاحين هممت فقال
ذلك (ان النفس لامارة بالسوء) من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات
فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح فى اثرها كل الاوقات (الا مارحم
ربى) الاوقت رحمة ربى اوالاما رحمه الله من النفوس فعصمه من ذلك
وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن رحمة ربى هى التى تصرف الاساءة وقيل
الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير
ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام (ان ربى غفور رحيم)
يغفرهم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة اويغفر للمستغفر لذنبه المعترف
على نفسه ويرحمه مااستغفره واسترحمه مما ارتكبه (وقال الملك ائتونى
به استخلصه لنفسى) اجعله خالصا لنفسى (فلما كلمه) فلما اتوا به فكلمه
وشاهد فيه الرشد والدهاء (قال انك اليوم لدينا مكين) ذومكانة ومنزلة
(امين) مؤتمن على كل شئ روى انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف
ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انى اسألك من خيره واعوذ
بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه بالعربية فقال الملك ماهذا اللسان
فقال لسان عمى اسماعيل ودعاله بالعبرية فقال ماهذا اللسان قال
لسان آبائى وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها
فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياى منك فحكاها ونعت له البقرات
والسنابل واماكنها على مارآها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره

حتى أتى فتح مكة (ولقد
استهزئ برسل من قبلك)
كما استهزئ بك وهذا
تسلية للنبى صلى الله عليه
وسلم (فامليت) أمهلت
(للذين كفروا ثم اخذتهم)
بالعقوبة (فكيف كان
عقاب) أى هو واقع موقعه
فكذلك أفعل بمن استهزأ بك
(افمن هو قائم) رقيب (على
كل نفس بما كسبت) عملت
من خير وشر وهو الله كمن
ليس كذلك من الاصنام
لادل على هذا (وجعلوا الله
شركاء قل سموهم) له من هم
(أم) بل أ (تنبؤنه) تخبرون
الله (بما) أى بشريك
(لايعلم) ه (فى الارض)
استفهام انكار أى لاشريك
له اذلو كان لعلمه تعالى عن
ذلك (أم) بل تسمونهم
شركاء (بظاهر من القول)
بظن باطل لاحقيقة له فى
الباطن (بل زين للذين
كفروا مكرهم) كفرهم
وصدوا عن السبيل)
طريق الهدى (ومن يضلل
الله فماله من هاد لهم عذاب
فى الحيوة الدنيا) بالقتل
والاسر (ولعذاب الآخرة

وقيل توفى قطفير فى تلك الليالى فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولده منها افرائيم وميشا (قال اجعلنى على خزائن الارض ولنى امرها والارض ارض مصر (انى حفيظ) لها ممن لايستحقها (عليم) بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لما رأى انه يستعمله فى امره لامحالة آثر مايعم فوائد ويجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولى من يد الكافر اذا علم انه لاسبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده (وكذلك مكنا ليوسف فى الارض) ارض مصر (يتبوأ منها حيث يشاء) ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون (نصيب برحمتنا من نشاء) فى الدنيا والآخرة (ولا نضيع اجر المحسنين) بل نوفى اجورهم عاجلا وآجلا (ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) الشرك والفواحش لعظمه ودوامه (وجاء اخوة يوسف) روى انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد فى تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه اليه الناس فباعها اولا بالدارهم والدنانير حتى لم يبق معهم شئ منهما ثم بالحلى والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الرأى رأيك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب عليه السلام بنيه غير بنيامين اليه للميرة (فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) اى عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه فى سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التى رأوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تأملهم فى حلاه من التهيب والاستعظام (ولما جهزهم بجهازهم) اصلحهم بعدتهم واوقر ركابهم بما جاؤا لاجله واصله الجهاز مايعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر ومايحمل من بلدة الى اخرى ومازف به المرأة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر (قال ائتونى باخ لكم من ابيكم) روى انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله انما نحن بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق نبى من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثنى عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم انتم ههنا قالوا

أشق) أشد منه (ومالهم من الله) أى عذابه (من واق) مانع (مثل) صفة (الجنة التى وعد المتقون) مبتدأ خبره محذوف أى فيما نقص عليكم (تجرى من تحتها الانهار أكلها) مايؤكل فيها (دائم) لايفنى (وظلها) دائم لاتنسخه شمس لعدمها فيها (تلك) أى الجنة (عقبى) عاقبة (الذين اتقوا) الشرك (وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب) كعبد الله بن سلام وغيره من مؤمنى اليهود (يفرحون بما أنزل اليك) لموافقته ماعندهم (ومن الاحزاب) الذين تحزبوا عليك بالمعاداة من المشركين واليهود (من ينكر بعضه) كذكر الرحمن وماعدا القصص (قل انما أمرت) فيما أنزل الى (ان) اى بان (أعبد الله ولا أشرك به اليه أدعو واليه مآب) مرجعى (وكذلك) الانزال (أنزلناه) أى القرآن (حكما عربيا) بلغة العرب تحكم به بين الناس (ولئن اتبعت أهواءهم) أى الكفار فيما يدعونك اليه من ملتهم

عشرة قال فاين الحادى عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من لهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لايعرفنا ههنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندى رهينة وأتونى باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف عليه السلام يعطى لكل نفر حملا فسألوا حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم بأتوه به ليعلم صدقهم (الاترون انى اوفى الكيل) اتمه (وانا خير المنزلين) للضيف والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم (فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولاتقربون) اى لاتقربونى ولاتدخلوا ديارى وهو امانهى اونفى معطوف على الجزاء (قالوا سنراود عنه اباه) سنجتهد فى طلبه من ابيه (وانا لفاعلون) ذلك لانتوانى فيه (وقال لفتيانه) لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائى وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله (اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم) فانه وكل بكل رحل واحدا يعنى فيه بضاعتهم التى شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لايكون عند ابيه مارجعون به (لعلهم يعرفونها) لعلهم يعرفون حق ردها اولكى يعرفوها (اذا انقلبوا) انصرفوا ورجعوا (الى اهلهم) وفتحوا اوعيتهم (لعلهم يرجعون) لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع (فلما رجعوا الى ابيهم قالوا ياابانا منع منا الكيل) حكم بمنعه بعد هذا ان لم يذهب بنيامين (فارسل معنا اخانا نكتل) نرفع المانع من الكيل ونكتل مانحتاج اليه وقرأ حمزة والكسائى بالياء على اسناده الى الاخ اى يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا (وانا له لحافظون) عن ان يناله مكروه (قال) يعقوب لهم (هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل) وقد قلتم فى يوسف وانا له لحافظون (فالله خير حافظا) فأتوكل عليه وافوض امرى اليه (وهو ارحم الراحمين) فارجوان يرحمنى بحفظه ولايجمع على مصيبتين وانتصاب حفظا على التميز وحافظا فى قراءة حمزة والكسائى وحفص يحتمله والحال كقولهم لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم) وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها فى بيع وقيل (قالوا ياابانا مانبغى) ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا

فرضا (بعدما جاءك من العلم بالتوحيد (مالك من الله من) زائدة (ولى) ناصر (ولاواق) مانع من عذابه * ونزل لما عيروه بكثرة النساء (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية) أولاد اوأنت مثلهم (وما كان لرسول) منهم (أن يأتى بآية الا باذن الله) لانهم عبيد مربوبون (لكل أجل) مدة (كتاب) مكتوب فيه تحديده (يمحو الله) منه (مايشاء ويثبت) بالتخفيف أوالتشديد فيه مايشاء من الاحكام وغيرها (وعنده أم الكتاب) اصله الذى لايتغير منه شئ وهوما كتبه فى الازل (واما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى المزيدة (نرينك بعض الذى نعدهم) به من العذاب فى حياتك وجواب الشرط محذوف أى فذاك (أونتوفينك) قبل تعذيبهم (فانما عليك البلاغ) لاعليك الاالتبليغ (وعلينا الحساب) اذاصاروا الينا فنجازيهم (أولم يروا) أى أهل مكة (أنانأتى الارض) نقصد أرضهم (ننقصها

وباع منا وردعلينا متاعنا او لانطلب وراء ذلككا احسانا او لانبغى فى القول ولانزيد فيماحكيناللك من احسانه وقرى ماتبغى على الخطاب اى اى شئ تطلب وراء هذا من الاحسان اومن الدليل على صدقنا (هذه بضاعتنا ردت الينا) استئناف موضح لقوله مانبغى (ونميراهلنا) معطوف على محذوف اى ردت الينا فنستظهر بها ونميراهلنا بالرجوع الى الملك (ونحفظ اخانا) عن المخاوف فى ذهابنا وايابنا (ونزداد كيل بعير) وسق بعيرباستصحاب اخينا هذا اذاكانت ما استفهامية فاما اذاكانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان تكون الجمل معطوفة على مانبغى اى لانبغى فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا (ذلك كيل يسير) اى مكيل قيل لايكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك اويزدادوا اليه مايكال لاخيهم ويجوز ان يكون الاشارة الى كيل بعير اى ذلك شئ قليل لايضايقنا فيه الملك ولايتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب عليه السلام ومعناه ان حمل بعير شئ يسير لايخاطر لمثله بالولد (قال لن ارسله معكم) اذرأيت منكم مارأيت (حتى تؤتون موثقا من الله) حتى تعطونى ماأتوثق به من عندالله اى عهدا مؤكدا بذكرالله (لتأتننى به) جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتننى به الاان يحاط بكم) الاان تغلبوا فلاتطيقوا ذلك اوالاان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتأتننى به على كل حال الاحال الاحاطة بكم اومن اعم العلل على ان قوله لتأتننى به فى تأويل النفى اى لاتمتنعون من الاتيان به الاللاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الافعلت اى ما اطلب الافعلك (فلما آتوه موثقهم) عهدهم (قال الله على مانقول) من طلب الموثق واتيانه (وكيل) رقيب مطلع (وقال يابنى لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة) لانهم كانوا ذوى جمال وابهة مشتهرين فى مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك فى الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ اوكان الداعى اليها خوفه على بنيامين وللنفس آثار منها العين والذى يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام فى عوذته اللهم انى اعوذ بكلمات الله التامة من كل هامة عين لامة (وما اغنى عنكم من الله من شئ) مما قضى عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لايمنع القدر (ان الحكم الالله) يصيبكم لامحالة ان قضى عليكم

من أطرافها) بالفتح على النبى صلى الله عليه وسلم (والله يحكم) فى خلقه بما يشاء (لامعقب) لاراد (لحكمه وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم) من الامم بانبيائهم كما مكروا بك (فلله المكر جميعا) وليس مكرهم كمكره لانه تعالى (يعلم ماتكسب كل نفس) فيعد لها جزاء وهذا هو المكر كله لانه يأتيهم به حيث لايشعرون (وسيعلم الكافر) المراد به الجنس وفى قراءة الكفار (لمن عقبى الدار) أى العاقبة المحموده فى الدار الآخرة ألهم أم للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه (ويقول الذين كفروا) لك (لست مرسلا قل) لهم (كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) على صدقى (ومن عنده علم الكتاب) من مؤمنى اليهود والنصارى

* (سورة ابراهيم مكية الاألم ترالى الذين بدلوا الآيتين احدى أوثنتان أوأربع أوخمس وخمسون آية) *

*(بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الر) الله أعلم بمراده بذلك

سوء ولا نفعكم ذلك (عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كأن الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء عليهم السلام سبب لان يقتدى بهم (ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم) اى من ابواب متفرقة فى البلد (ما كان يغنى عنهم) رأى يعقوب واتباعهم له (من الله من شئ) مما قضاه عليهم كما قال يعقوب عليه السلام فسرقوا واخذ بنيامين لوجدان الصواع فى رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب عليه السلام (الا حاجة فى نفس يعقوب) استثناء منقطع اى ولكن حاجة فى نفسه يعنى شفقته عليهم وحرازته من ان يعانوا (قضاها) اظهرها ووصى بها (وانه لذو علم لما علمناه) بالوحى ونصب الحجج ولذلك قال وما اغنى عنكم من الله من شئ ولم يغتر بتدبيره (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) سر القدر وانه لا يغنى عنه الحذر (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه) ضم اليه بنيامين على الطعام او فى المنزل روى انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقى بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخى يوسف حيا لجلس معى فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثانى له فيكون معى فبات عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه و (قال انى انا اخوك فلا تبتئس) فلا تحزن افتعال من البؤس (بما كانوا يعملون) فى حقنا فيما مضى (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية) المشربة (فى رحل اخيه) قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت يسقى الدواب بها ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا (ثم اذن مؤذن) نادى مناد (ايتها العير انكم لسارقون) لعله لم يقله بامر يوسف عليه الصلاة والسلام او كان تعبية السقاية والنداء عليها برضى بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او أنكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التى عليها الاحمال لانها تعير اى تتردد فقيل لاصحابها كقوله صلى الله تعالى وسلم يا خيل الله اركبى وقيل جمع عير واصلها فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة (قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون) اى شئ ضاع عنكم والفقد

هذا القرآن (كتاب أنزلناه اليك) يا محمد (لتخرج الناس من الظلمات) الكفر (الى النور) الايمان (باذن) بامر (ربهم) و يبدل من الى النور (الى صراط) طريق (العزيز) الغالب (الحميد) المحمود (الله) بالجر بدل أو عطف بيان وما بعده صفة والرفع مبتدأ خبره (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وخلقا وعبيدا (وويل للكافرين من عذاب شديد الذين) نعت (يستحبون) يختارون (الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون) الناس (عن سبيل الله) دين الاسلام (ويبغونها) أى السبيل (عوجا) معوجة (أولئك فى ضلال بعيد) عن الحق (وما أرسلنا من رسول الا بلسان) بلغة (قومه ليبين لهم) ليفهمهم ما أتى به (فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التسع وقلنا له (أن أخرج قومك) بنى اسرائيل (من الظلمات) الكفر (الى النور) الايمان

غيبة الشئ عن الحس بحيث لايعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا (قالوا نفقد صواع الملك) وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة (ولمن جاء به حمل بعير) من الطعام جعلا له (وانا به زعيم) كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل (قالوا تالله) قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله تعالى (لقد علمتم ماجئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين) استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لماعرفوا منهم فى كرتى مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التى جعلت فى رحالهم وكم الدواب لئلا تتناول زرعا اوطعاما لاحد (قالوا فما جزاؤه) فما جزاء السارق او السرق او الصواع على حذف المضاف (ان كنتم كاذبين) فى ادعاء البراءة (قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه) اى جزاء سرقته اخذ من وجد فى رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب عليه الصلاة والسلام وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له اوخبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط اوجواب لها على انها شرطية والجملة كما هى خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد فى رحله فهو هو (كذلك نجزى الظالمين) بالسرقة (فبدأ باوعيتهم) فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر (قبل وعاء اخيه) بنيامين نفيا للتهمة (ثم استخرجها) اى السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث (من وعاء اخيه) وقرئ بضم الواو و بقلبها همزة (كذلك) مثل ذلك الكيد (كدنا ليوسف) بان علمناه اياه واوحينا به اليه (ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك) ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد (الا ان يشاء الله) ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال و يجوز ان يكون منقطعا اى لكن اخذه بمشيئة الله واذنه (نرفع درجات من نشاء) بالعلم كما رفعنا درجته (وفوق كل ذى علم عليم) ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذى علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذى له العلم البالغ لغة ولانه لافرق بينه و بين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص (قالوا ان يسرق) بنيامين (فقد سرق اخ له من قبل) يعنون يوسف

(وذكرهم بأيام الله) بنعمه (ان فى ذلك) التذكير (لآيات لكل صبار) على الطاعة (شكور) للنعم (و) اذكر (اذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب و يذبحون أبناءكم) المولودين (و يستحيون) يستبقون (نساءكم) لقول بعض الكهنة ان مولودا يولد فى بنى اسرائيل يكون سبب ذهاب ملك فرعون (وفى ذلكم) الانجاء او العذاب (بلاء) انعام أو ابتلاء (من ربكم عظيم واذ تأذن) أعلم (ربكم لئن شكرتم) نعمتى بالتوحيد والطاعة (لأزيدنكم ولئن كفرتم) جحدتم النعمة بالكفر والمعصية لأعذبنكم دل عليه (ان عذابى لشديد وقال موسى) لقومه (ان تكفروا أنتم) ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى) عن خلقه (حميد) محمود فى صنعه بهم (ألم يأتكم) استفهام تقرير (نبأ) خبر (الذين من قبلكم قوم نوح وعاد) قوم هود (وثمود) قوم صالح

عليه السلام قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابراهيم عليه السلام وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم وقيل كان لاب امه صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق او دجاجة فاعطى السائل وقيل دخل كنيسة واخذ تمثالا صغيرا من الذهب (فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم) اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة السرقة وقيل انها كناية بشريطة التفسير ويفسرها قوله (قال انتم شر مكانا) فانه بدل من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا اى منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم يوسف وفي سوء الصنيع مما كنتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذا المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان (والله اعلم بما تصفون) وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون (قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا) في السن او القدر وذكروا له حاله استعطافا له عليه (فخذ احدنا مكانه) بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستأنس به (انا نراك من المحسنين) الينا فاتمم احسانك او من المتعودين الاحسان فلا تغير عادتك (قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذ احدكم مكانه (انا اذا لظالمون) في مذهبكم هذا او ان مراده ان الله اذن ان نأخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما (فلما استيأسوا منه) يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة وعن البزى استايسوا بالالف وفتح الياء من غير همزة واذا وقف حمزة القى حركة الهمزة على الياء على اصله (خلصوا) انفردوا واعتزلوا (نجيا) متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندى واندية (قال كبيرهم) في السن وهو روبيل او في الرأى وهو شمعون وقيل يهوذا (الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله) عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتأكيد من جهته (ومن قبل) ومن قبل هذا (ما فرطتم في يوسف) قصرتم في شأنه وما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية في موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا

والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) لكثرتهم (جاءتهم رسلهم بالبينات) بالحجج الواضحة على صدقهم (فردوا) أى الامم (أيديهم في افواههم) اى اليها ليعضوا عليها من شدة الغيظ (وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به) على زعمكم (وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب) موقع للريبة (قالت رسلهم أفي الله شك) استفهام انكارى لا شك في توحيده للدلائل الظاهرة عليه (فاطر) خالق (السموات والارض يدعوكم) الى طاعته (ليغفر لكم من ذنوبكم) من زائدة فان الاسلام يغفر به ما قبله او تبعيضية لاخراج حقوق العباد (ويؤخركم) بلا عذاب (الى اجل مسمى) اجل الموت (قالوا ان) ما (انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) من الاصنام (فأتونا بسلطان مبين) حجة ظاهرة على صدقكم (قالت لهم رسلهم ان) ما (نحن الا بشر مثلكم) كما قلتم (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده)

او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون موصولة اى ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه فى حقه من الخيانة ومحله ما تقدم (فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر (حتى يأذن لى ابى) فى الرجوع (او يحكم الله لى) او يقضى الله لى بالخروج منها او بخلاص اخى منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روى انهم كلموا العزيز فى اطلاقه فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل وقفت كل شعرة من جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف عليه السلام لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب عليه السلام اذا غضب احدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان فى هذا البلد لبذرا من بذر يعقوب (وهو خير الحاكمين) لان حكمه لا يكون الا بالحق (ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق) على ما شاهدنا من ظاهر الامر وقرئ سرق اى نسب الى السرقة (وما شهدنا) عليه (الا بما علمنا) بان رأينا الصواع استخرج من وعائه (وما كنا للغيب) لباطن الحال (حافظين) فلا ندرى انه سرق او سرق ودس الصاع فى رحله او ما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف (واسأل القرية التى كنا فيها) يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادى فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة (والعير التى اقبلنا فيها) واصحاب العير التى توجهنا فيهم وكنا معهم (وانا لصادقون) تأكيد فى محل القسم (قال بل سولت) اى فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت اى زينت وسهلت (لكم انفسكم امرا) اردتموه فقررتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته (فصبر جميل) اى فامرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل (عسى الله ان يأتينى بهم جميعا) بيوسف وبنيامين واخيهما الذى توقف بمصر (انه هو العليم) بحالى وحالهم (الحكيم) فى تدبيره (وتولى عنهم) فاعرض عنهم كراهة لما صادف منهم (وقال يا اسفا على يوسف) اى يا اسفى تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تأسف على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزأه كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفى الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا ترى الى يعقوب عليه الصلاة والسلام

بالنبوة (وما كان) ما ينبغى (لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله) بامره لانا عبيد مربوبون (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يثقوا به (وما لنا ألا نتوكل على الله) اى لا مانع لنا من ذلك (وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا) على أذاكم (وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن) لتصيرن (فى ملتنا) ديننا (فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين) الكافرين (ولنسكننكم الارض) أرضهم (من بعدهم) بعد هلاكهم (ذلك) النصر وايراث الارض (لمن خاف مقامى) أى مقامه بين يدى (وخاف وعيد) بالعذاب (واستفتحوا) استنصر الرسل بالله على قومهم (وخاب) خسر (كل جبار) متكبر عن طاعة الله (عنيد) معاند للحق (من ورائه) أى أمامه (جهنم) يدخلها (ويسقى) فيها (من ماء صديد) هو ما يسيل من جوف أهل النار مختلطا بالقيح والدم (يتجرعه) يبتلعه مرة بعد مرة لمرارته (ولا يكاد يسيغه)

حين اصابه مااصاب لم يسترجع وقال يااسفا (وابيضت عيناه من الحزن)
لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة محقت سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمى
وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع ولعل
امثال ذلك لاتدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد
ولقد بكى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال
القلب يجزع والعين تدمع ولانقول مايسخط الرب وانا عليك ياابراهيم
لمحزونون (فهو كظيم) مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له فى قلبه لايظهره
فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه
او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم
البعير جرته اذا ردها فى جوفه (قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف) اى لاتفتأ
ولاتزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما فى قوله * فقلت يمين الله ابرح قاعدا *
لانه لايلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على
النفى (حتى تكون حرضا) مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض
الذى اذابه هم اومرض وهو فى الاصل مصدر ولذلك لايؤنث ولايجمع
والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب (اوتكون من
الهالكين) من الميتين (قال انما اشكو بثى وحزنى) همى الذى لااقدر الصبر
عليه من البث بمعنى النشر (الى الله) لا الى احد منكم ومن غيركم فخلونى
وشكايتى (واعلم من الله) من صنعه ورحمته فانه لايخيب داعيه ولايدع
الملتجئ اليه اومن الله بنوع من الالهام (مالاتعلمون) من حياة يوسف قيل
رأى ملك الموت فى المنام فسأله عنه فقال هو حى وقيل علم من رؤيا يوسف انه
لايموت حتى يخر له اخوته سجدا (يابنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه
فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس طلب الاحساس
(ولاتيأسوا من روح الله) لاتقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله
اى من رحمته التى يحيى بها العباد (انه لاييأس من روح الله الا القوم
الكافرون) بالله وصفاته فان العارف لايقنط من رحمته فى شئ من الاحوال
(فلما دخلوا عليه قالوا ياايها العزيز) بعد مارجعوا الى مصر رجعة ثانية (مسنا
واهلنا الضر) شدة الجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) رديئة اوقليلة ترد
وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم
زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق

يزدرده تفجعه وكراهته
(ويأتيه الموت) أى أسبابه
(من كل مكان وماهو بميت
ومن ورائه) بعد ذلك العذاب
(عذاب غليظ) قوى متصل
(مثل) صفة (الذين كفروا
بربهم) مبتدأ ويبدل منه
(أعمالهم) الصالحة
كصلة وصدقة فى عدم
الانتفاع بها (كرماد اشتدت
به الريح فى يوم عاصف) شديد
هبوب الريح فجعلته هباء منثورا
لايقدر عليه والمجرور خبر
المبتدا (لايقدرون) أى
الكفار (مما كسبوا) عملوا
فى الدنيا (على شئ) أى
لايجدون له ثوابا لعدم شرطه
(ذلك هو الضلال)
الهلاك (البعيد المتر) تنظر
يامخاطب استفهام تقرير (أن
الله خلق السموات والارض
بالحق) متعلق بخلق (ان يشأ
يذهبكم) أيها الناس (ويأت
بخلق جديد) بدلكم (وماذلك
على الله بعزيز) شديد
(وبرزوا) أى الخلائق
والتعبير فيه وفيما بعده
بالماضى لتحقق وقوعه (لله
جميعا فقال الضعفاء) الاتباع
(للذين استكبروا) المتبوعين

(انا كنا لكم تبعا) جمع تابع (فهل انتم مغنون) دافعون (عنا من عذاب الله من شئ) من الاولى للتبيين والثانية للتبعيض (قالوا) أى المتبوعون (لو هدانا الله لهديناكم) لدعوناكم الى الهدى (سواء علينا أجزعنا ام صبرنا مالنا من) زائدة (محيص) ملجأ (وقال الشيطان) ابليس (لما قضى الامر) وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار واجتمعوا عليه (ان الله وعدكم وعد الحق) بالبعث والجزاء فصدقكم (ووعدتكم) انه غير كائن (فأخلفتكم وما كان لى عليكم من) زائده (سلطان) قوة وقدرة اقهركم على متابعتى (الا) لكن (أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا انفسكم) على اجابتى (ماأنا بمصرخكم) بمغيثكم (وماانتم بمصرخى) بفتح الياء وكسرها (انى كفرت بما اشركتمون) باشراككم اياى مع الله (من قبل) فى الدنيا قال تعالى (ان الظالمين) الكافرين (لهم عذاب اليم) مؤلم (وأدخل

المقل (فاوف لنا الكيل) فاتم لنا الكيل (وتصدق علينا) برد اخينا اوبالمسامحة وقبول المزجاة اوبالزيادة على مايساويها واختلف فى ان حرمة الصدقة تعم الانبياء عليهم الصلاة والسلام اوتختص بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الله يجزى المتصدقين) احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام فى القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بمايبتغى به ثواب من الله تعالى (قال هل علمتم مافعلتم بيوسف واخيه) اى هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لايستطيع ان يكلمهم الابعجز وذلة (اذانتم جاهلون) قبحه فلذلك اقدمتم عليه اوعاقبته وانما قال ذلك تنصيحالهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لامعاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب فى تخليص بنيا مين وذكر واله ماهو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال اولانهم كانوا حينئذ صبيا ناطيا شين (قالوا ائنك لانت يوسف) استفهام تقرير ولذلك حقق بان ودخول اللام عليه وقرأ ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها (قال انا يوسف وهذا اخى) من ابى وامى ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما لشأنه وادخالاله فى قوله (قدمن الله علينا) اى بالسلامة والكرامة (انه من يتق) اى من يتق الله (ويصبر) على البليات او على الطاعات اوعن المعاصى (فان الله لايضيع اجر المحسنين) وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا) اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة (وان كنا لخاطئين) والحال ان شأننا انا كنا مذنبين بمافعلنا معك (قال لاتثريب عليكم) لاتأنيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذى يغشى الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذى يمزق العرض ويذهب ماء الوجه (اليوم) متعلق بالتثريب اوبالمقدر للجار الوقع خبر اللاتثريب والمعنى لااثربكم اليوم الذى هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام اوبقوله (يغفر الله لكم) لانه صفح عن جريتهم حينئذ واعترفوابها حينئذ (وهو ارحم

الراجين فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف عليه السلام انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشى الى الطعام ونحن نستحيى منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الى بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت فى عيونهم حيث علموا انكم اخوتى وانى من حفدة ابراهيم عليه السلام (اذهبوا بقميصى هذا) القميص الذى كان عليه وقيل القميص المتوارث الذى كان فى التعويذ (فألقوه على وجه ابى يأت بصيرا) اى يرجع بصيرا اى ذا بصر (وأتونى) انتم وابى (باهلكم اجمعين) بنسائكم وذراريكم ومواليكم (ولما فصلت العير) من مصر وخرجت من عمر انها (قال ابوهم) لمن حضره (انى لأجد ريح يوسف) اوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل به اليه يهوذا من ثمانين فرسخا (لولا ان تفندون) تنسبونى الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتى وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتمونى اولقلت انه قريب (قالوا) اى الحاضرون (تالله انك لفى ضلالك القديم) اى لفى ذهابك عن الصواب قدما بالافراط فى محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه (فلما ان جاء البشير) يهوذا روى انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فافرحه بحمل هذا اليه (القاه على وجهه) طرح البشير القميص على وجه يعقوب عليه السلام اويعقوب نفسه (فارتد بصيرا) عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة (قال الم اقل لكم انى اعلم من الله ما لا تعلمون) من حياة يوسف عليه السلام وانزال الفرج وقيل انى اعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله وانى لاجد ريح يوسف (قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين) ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسأل له المغفرة (قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم) اخره الى السحر او الى صلاة الليل اوليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف عليه السلام اويعلم انه عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ماروى انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل عليه السلام فقال ان الله قد اجاب دعوتك فى ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح

الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين) حال مقدرة (فيها باذن ربهم تحيتهم فيها) من الله ومن الملائكة وفيما بينهم (سلام المتر) تنظر (كيف ضرب الله مثلا) ويبدل منه (كلمة طيبة) اى لا اله الا الله (كشجرة طيبة) هى النخلة (اصلها ثابت) فى الارض (وفرعها) غصنها (فى السماء تؤتى) تعطى (اكلها) ثمرها (كل حين باذن ربها) بارادته كذلك كلمة الايمان ثابتة فى قلب المؤمن وعمله يصعد الى السماء وينا له بركته وثوابه كل وقت (ويضرب) يبين (الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) يتعظون فيؤمنون (ومثل كلمة خبيثة) هى كلمة الكفر (كشجرة خبيثة) هى الحنظل (اجتثت) استؤصلت (من فوق الارض مالها من قرار) مستقر وثبات كذلك كلمة الكفر لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) هى كلمة التوحيد (فى الحياة

فدليل على نبوتهم وان ماصدر عنهم كان قبل استنبائهم (فلما دخلوا
على يوسف) روى انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه
واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه
مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى عليه
الصلاة والسلام ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى
الذرية والهرمى (آوى اليه ابويه) ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما
نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب فى قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل
واسحق اولان يعقوب عليه السلام تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما
(وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) من القحط واصناف المكاره والمشيئة
متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان فى موضع خارج
البلد حين استقبلهم (ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا) تحية
وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجرى مجريها وقيل معناه خروا
لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله تعالى والواو لابويه واخوته
والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما (وقال
ياابت هذا تأويل رؤياى من قبل) التى رأيتها ايام الصبا (قد جعلها
ربى حقا) صدقا (وقد احسن بى اذ اخرجنى من السجن) ولم يذكر الجب
لئلا يكون تثريبا عليهم (وجاء بكم من البدو) من البادية لانهم كانوا
اصحاب المواشى واهل البدو (من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى)
افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجرى
(ان ربى لطيف لما يشاء) لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وينفذ فيه مشيئته
ويتسهل دونها (انه هو العليم) بوجوه المصالح والتدابير (الحكيم)
الذى يفعل كل شئ فى وقته وعلى وجه يقتضى الحكمة روى ان يوسف
طاف بابيه عليهما السلام فى خزائنه فلما ادخله خزانة القرطاس قال
يابنى ما اغفلك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمان مراحل
قال امرنى جبريل عليه السلام قال اوما تسأله قال انت ابسط منى اليه
فسأله قال جبريل الله امرنى بذلك لقولك واخاف ان يأكله الذئب قال
فهلا خفتنى (رب قد آتيتنى من الملك) بعض الملك وهو ملك مصر (وعلمتنى
من تأويل الاحاديث) الكتب اوالرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت
كل التأويل (فاطر السموات والارض) مبدعهما وانتصابه على انه

الدنيا وفى الآخرة) أى القبر
لما يسألهم الملكان عن ربهم
ودينهم ونبيهم فيجيبون
بالصواب كما فى حديث الشيخين
(ويضل الله الظالمين)
الكفار فلا يهتدون للجواب
بالصواب بل يقولون لاندرى
كما فى الحديث (ويفعل الله
مايشاء ألم تر) تنظر (الى
الذين بدلوا نعمت الله) أى
شكرها (كفرا) هم كفار
قريش (وأحلوا) أنزلوا
(قومهم) باضلالهم اياهم
(دار البوار) الهلاك
(جهنم) عطف بيان
(يصلونها) يدخلونها
(وبئس القرار) المقر هى
(وجعلوا لله أندادا) شركاء
(ليضلوا) بفتح الياء وضمها
(عن سبيله) دين الاسلام
(قل) لهم (تمتعوا)
بدنياكم قليلا (فان مصيركم
مرجعكم (الى النار قل لعبادى
الذين آمنوا يقيموا الصلاة
وينفقوا مما رزقناهم سرا
وعلانية من قبل أن يأتى يوم
لا بيع) فداء (فيه ولا خلال)
مخالة أى صداقة تنفع هو
يوم القيامة (الله الذى خلق
السموات والارض وأنزل

صفة المنادى اومنادى برأسه (انت وليى) ناصرى اومتولى امرى (فى الدنيا والآخرة) الذى يتولانى بالنعمة فيهما (توفنى مسلما) اقبضنى (والحقنى بالصالحين) من آبائى اوبعامة الصالحين فى الرتبة والكرامة روى ان يعقوب عليه السلام اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفى واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمه وعاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك الخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر فى مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه فى صندوق من مرمر ويدفنوه فى النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى عليه السلام الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقدولدله من راعيل افرائيم وميشا وهوجديوشع بن نون ورحمة امرأة ايوب عليه السلام (ذلك) اشارة الى ماذكر من نبأ يوسف عليه السلام والخطاب فيه للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مبتدأ (من انباء الغيب نوحيه اليك) خبران له (وماكنت لديهم اذاجمعوا امرهم وهم يمكرون) كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الابالوحى لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ماهموا به من ان يجعلوه فى غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذى لايخفى على مكذبيك انك مالقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره فى غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولاقومك من قبل هذا (وما اكثر الناس ولوحرصت) على ايمانهم وبالغت فى اظهار الآيات عليهم (بمؤمنين) لعنادهم وتصميمهم على الكفر (وما تسألهم عليه) على الانباء اوالقرآن (من اجر) جعل كمايفعله حملة الاخبار (ان هوالاذكر) عظة من الله تعالى (للعالمين) عامة (وكأين من آية) وكم من آية والمعنى وكأى عدد شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده (فى السموات والارض يمرون عليها) على الآيات ويشاهدونها (وهم عنها معرضون) لايتفكرون فيها ولايعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ وخبره يمرون فيكون لها الضمير فى عليها وبالنصب على ويطأون الارض وقرئ والارض يمشون عليها اى يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة (ومايؤمن اكثرهم بالله) فى اقرارهم بوجوده

من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك) السفن (لتجرى فى البحر) بالركوب والحمل (بامره) باذنه (وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) جاريين فى فلكهما لايفتران (وسخر لكم الليل) لتسكنوا فيه (والنهار) لتبتغوا فيه من فضله (وآتاكم من كل ما سألتموه) على حسب مصالحكم (وان تعدوا نعمت الله) بمعنى انعامه (لاتحصوها) لاتطيقوا عدها (ان الانسان) الكافر (لظلوم كفار) كثير الظلم لنفسه بالمعصية والكفر لنعمة ربه (و) اذكر (اذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد) مكة (آمنا) ذا أمن وقدأجاب الله دعاءه فجعله حرما لايسفك فيه دم انسان ولايظلم فيه أحد ولايصاد صيده ولا يختلى خلاه (واجنبنى) بعدنى (وبنى) عن (أن نعبد الاصنام رب انهن) أى الاصنام (أضللن كثيرا من الناس) بعبادتهم لها (فمن تبعنى) على التوحيد

وخالقيته (الاوهم مشركون) بعبادة غيره اوباتخاذ الاحبار اربابا اونسبة التبنى اليه اوالقول بالنور والظلمة اوبالنظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية فى مشركى مكة وقيل فى المنافقين وقيل فى اهل الكتاب (افامنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله) عقوبة تغشاهم وتشملهم (اوتأتيهم الساعة بغتة) فجأة من غيرسابقة علامة (وهم لايشعرون) باتيانها غيرمستعدين (قل هذه سبيلى) يعنى الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله (ادعو الى الله) وقيل هو حال من الياء (على بصيرة) بيان وحجة واضحة غيرعمياء (انا) تأكيد للمستتر فى ادعو وفى على بصيرة لأنه حال منه اومبتدأ خبره على بصيرة (ومن اتبعنى) عطف عليه (وسبحان الله وماانا من المشركين) وانزهه تنزيها من الشركاء (وما ارسلنا من قبلك الارجالا) ردلقولهم لوشاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفى استنباء النساء (يوحى اليهم) كما اوحى اليك وتميزوا بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحى فى كل القرآن ووافقه حمزة والكسائى فى سورة الانبياء (من اهل القرى) لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو (افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من المكذبين بالرسول والآيات فيحذروا تكذيبك اومن المعشوقين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها (ولدار الاخرة) ولدار الحال اوالساعة اوالحياة الآخرة (خير للذين اتقوا) الشرك والمعاصى (افلا يعقلون) يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلى اى قل لهم افلا تعقلون (حتى اذا استيأس الرسل) غاية محذوف دل عليه الكلام اى لايغررهم تمادى ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم فى الدنيا اوعن ايمانهم لانهما كهم فى الكفر مترفهين متمادين فيه من غيروازع (وظنوا انهم قد كذبوا) اى كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون اوكذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اى وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثانى للرسل اى وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعدلهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روى عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ماوعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد

(فانه منى) من اهل دينى (ومن عصانى فانك غفور رحيم) هذا قبل علمه أنه تعالى لايغفر الشرك (ربنا انى أسكنت من ذريتى) أى بعضها وهو اسمعيل مع امه هاجر (بوادغيرذى زرع) هو مكة (عند بيتك المحرم) الذى كان قبل الطوفان (ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة) قلوبا (من الناس تهوى) تميل وتحن (اليهم) قال ابن عباس لوقال أفئدة الناس لحنت اليه فارس والروم والناس كلهم (وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) وقد فعل بنقل الطائف اليه (ربنا انك تعلم مانخفى) نسره (وما نعلن ومايخفى على الله من) زائدة (شئ فى الارض ولافى السماء) يحتمل أن يكون من كلامه تعالى أوكلام ابراهيم (الحمد لله الذى وهب لى) أعطانى (على) مع (الكبر اسمعيل) ولدوله تسع وتسعون سنة (واسحق) ولدوله مائة واثنتاعشرة سنة (ان ربى لسميع الدعاء رب اجعلنى مقيم الصلاة و) اجعل (من ذريتى) من يقيمها وأتى بمن لاعلام الله

بالظن مايهجس فى القلب على طريق الوسوسة هذا اوان المراد به المبالغة فى التراخى والامهال على سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيين بالتشديد اى وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اى وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا (جاءهم نصرنا فنجى من نشاء) النبى والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستأهلون ان نشاء نجاتهم لايشار كهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضى المبنى للمفعول وقرئ فنجى (ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) اذا نزل بهم وفيه بيان المنشيين (لقد كان فى قصصهم) فى قصص الانبياء واممهم او فى قصة يوسف واخوته (عبرة لاولى الالباب) لذوى العقول المبراة من شوائب الالف والركون الى الحس (ماكان حديثا يفترى) ماكان القرآن حديثا مفترى (ولكن تصديق الذى بين يديه) من الكتب الالهية (وتفصيل كل شئ) يحتاج اليه فى الدين اذ مامن امر دينى الاوله سند من القرآن بوسط او بغير وسط (وهدى) من الضلال (ورحمة) ينال بها خير الدارين (لقوم يؤمنون) يصدقون وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم علموا ارقاءكم واقرباءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وماملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه الله القوة على ان لايحسد مسلما

(سورة الرعد مدنية وقيل مكية الاقوله ويقول الذين كفروا الآية)

(وهى خمس واربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(المر) قيل معناه انا الله اعلم وارى (تلك آيات الكتاب) يعنى بالكتاب السورة وتلك اشارة الى آياتها اى تلك الآيات آيات السورة الكاملة او القرآن (والذى انزل اليك من ربك) هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص اواحدى الصفتين على الاخرى اوالرفع بالابتداء وخبره (الحق) والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه (ولكن اكثر الناس لايؤمنون) لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه (الله الذى رفع السموات) مبتدأ

تعالى له أن منهم كفارا (ربنا وتقبل دعاء) المذكور (ربنا اغفرلى ولوالدى) هذا قبل أن يتبين له عدو تهما لله عزوجل وقيل أسلمت أمه وقرئ والدى مفردا وولدى (وللمؤمنين يوم يقوم) يثبت (الحساب) قال تعالى (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) الكافرون من اهل مكة (انما يؤخرهم) بلا عذاب (ليوم تشخص فيه الابصار) لهول ماترى يقال شخص بصر فلان أى فتحه فلم يغمضه (مهطعين) مسرعين حال (مقنعى) رافعى (رؤسهم) الى السماء (لايرتد اليهم طرفهم) بصرهم (وأفئدتهم) قلوبهم (هواء) خالية من العقل لفزعهم (وأنذر) خوف يامحمد (الناس) الكفار (يوم يأتيهم العذاب) هو يوم القيامة (فيقول الذين ظلموا) كفروا (ربنا اخرنا) بأن تردنا الى الدنيا (الى اجل قريب نجب دعوتك) بالتوحيد (ونتبع الرسل) فيقال لهم توبيخا (أولم تكونوا أقسمتم) حلفتم (من قبل) فى الدنيا

وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر (بغير عمد) اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل (ترونها) صفة لعمد او استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها فى حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضى ذلك لابد وان يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسمانى يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ماذكر من الآيات (ثم استوى على العرش) بالحفظ والتدبير (وسخر الشمس والقمر) ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة تنفع فى حدوث الكائنات وبقائها (كل يجرى لاجل مسمى) لمدة معينة يتم فيها ادواره او لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت (يدبر الامر) امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك (يفصل الآيات) ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) لكى تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء (وهو الذى مد الارض) بسطها طولا وعرضا ليثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان (وجعل فيها رواسى) جبالا ثوابت من رسى الشئ اذا ثبت جمع راسية والتاء للتأنيث على انها صفة اجبل او للمبالغة (وانهارا) ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها (ومن كل الثمرات) متعلق بقوله (جعل فيها زوجين اثنين) اى وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير (يغشى الليل النهار) يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما كان مضيئا وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر يغشى بالتشديد (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيأ اسبابها (وفى الارض قطع متجاورات) بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع فى الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية

(مالكم) من زائدة (زوال) عنها الى الآخرة (وسكنتم) فيها (فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر من الامم السابقة (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) من العقوبة فلم تنزجروا (وضربنا) بينا (لكم الامثال) فى القرآن فلم تعتبروا (وقد مكروا) بالنبى صلى الله عليه وسلم (مكرهم) حيث أرادوا قتله أو تقييده أو اخراجه (وعند الله مكرهم) أى علمه أو جزاؤه (وان) ما (كان مكرهم) وان عظم (لتزول منه الجبال) المعنى لايعبأ به ولايضر الا أنفسهم والمراد بالجبال هنا قيل حقيقتها وقيل شرائع الاسلام المشبهة بها فى القرار والثبات وفى قراءة بفتح لام لتزول ورفع الفعل فان مخففة والمراد تعظيم مكرهم وقيل المراد بالمكر كفرهم ويناسبه على الثانية تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وعلى الاول ماقرئ وما كان (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) بالنصر (ان الله عزيز) غالب لايعجزه شئ

من حيث انها متضامة متشاركة فى النسب والاوضاع (وجنات من اعناب وزرع ونخيل)وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر فى اصله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على وجنات (صنوان) نخلات اصلها واحد (وغير صنوان) ومتفرعات مختلفة الاصول وقرأ حفص بالضم وهو لغة تميم كقنوان فى جمع قنو (تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل) فى الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لايكون الابتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ماذكر وحمزة والكسائى يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم بالتفكر (وان تعجب)يامحمد من انكارهم البعث (فعجب قولهم) حقيق بان تتعجب منه فان من قدر على انشاء ماقص عليك كانت الاعادة ايسر شئ عليه والآيات المعدودة كما هى دالة على وجود المبدأ فهى دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته (أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد) بدل من قولهم اومفعول والعامل فى اذا محذوف دل عليه أئنا لفى خلق جديد (اولئك الذين كفروا بربهم) لانهم كفروا بقدرته على البعث (واولئك الاغلال فى اعناقهم) مقيدون بالضلالة لايرجى خلاصهم اويغلون يوم القيامة (واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون)لاينفكون عنها وتوسط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا بما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء (وقد خلت من قبلهم المثلات) العقوبات لامثالهم من المكذبين فالهم لم يعتبروا بها ولم يجوز واحلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقتصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات بفتح الثاء على انها جمع مثلة كركبة وركبات (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على

(ذوانتقام) ممن عصاه اذكر (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) هو يوم القيامة فيحشر الناس على أرض بيضاء نقية كما فى حديث الصحيحين وروى مسلم حديث سئل صلى الله عليه وسلم أين الناس يومئذ قال على الصراط (وبرزوا) خرجوا من القبور (لله الواحد القهار وترى)يامحمد تبصر (المجرمين) الكافرين (يومئذ مقرنين) مشدودين مع شياطينهم (فى الاصفاد) القيود أو الاغلال (سرابيلهم) قمصهم (من قطران) لانه أبلغ لاشتعال النار (وتغشى) تعلو (وجوههم النار ليجزى) متعلق ببرزوا (الله كل نفس ماكسبت) من خير وشر (ان الله سريع الحساب) يحاسب جميع الخلق فى قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك (هذا) القرآن (بلاغ للناس) أى أنزل لتبليغهم (ولينذروا به وليعلموا) بما فيه من الحجج (انما هو) أى الله (اله واحد وليذكر) بادغام التاء

ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او اول المغفرة بالستر والامهال (وان ربك لشديد العقاب) للكفار اولمن يشاء وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد (ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه) لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى عليهما السلام (انما انت منذر) مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك (ولكل قوم هاد) نبي مخصوص بمعجزات من جنس ماهو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب اوقادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لايهدى الا من يشاء هدايته بما ينزل من الآيات ثم اردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر وقرأ ابن كثير هادو وال وواق وماعند الله باق بالتنوين في الوصل فاذا وقف وقف بالياء في هذا الاحرف الاربعة حيث وقعت لاغير والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغير ياء فقال (الله يعلم ماتحمل كل انثى) اى حملها اوماتحمله انه على اى حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة (وما تغيض الارحام وما تزداد) وماتنقصه وماتزداده في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة وروى ان الضحاك ولد لسنتين وهرم ابن حيان لاربع سنين واعلى عدده لاحدله وقيل نهاية ماعرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة رضي الله عنه وقال الشافعي رحمه الله اخبرني شيخ باليمن ان امرأته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ان يكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله تعالى اولما فيها (وكل شئ عنده بمقدار) بقدر لايجاوزه ولاينقص عنه كقوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حدث بوقت وحال معينين وهيأله اسبابا مسوقة اليه تقتضى ذلك (عالم الغيب) الغائب عن الحس (والشهادة) الحاضر له (الكبير) العظيم الشأن الذى لايخرج عن علمه شئ (المتعال)

في الاصل في الذال يتعظ (أولو الالباب) أصحاب العقول

(سورة الحجر مكية تسع وتسعون اية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الر) الله أعلم بمراده بذلك (تلك) هذه الآيات (آيات الكتاب) القرآن والاضافة بمعنى من (وقرآن مبين) مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة صفة (ربما) بالتشديد والتخفيف (يود) يتمنى (الذين كفروا) يوم القيامة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين (لوكانوا مسلمين) ورب للتكثير فانه يكثر منهم تمني ذلك وقيل للتقليل فان الاهوال تدهشهم فلايفيقون حتى يتمنوا ذلك الا في أحيان قليلة (ذرهم) اترك الكفار يامحمد (يأكلوا ويتمتعوا) بدنياهم (ويلههم) يشغلهم (الامل) بطول العمر وغيره عن الايمان (فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم وهذا قبل الامر بالقتال (وماأهلكنا من) زائدة (قرية) أريد اهلها (الا ولها كتاب) أجل (معلوم) محدود لاهلاكها

المستعلى على كل شئ بقدرته او الذى كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه (سواء منكم من اسرّ القول) فى نفسه (ومن جهر به) لغيره (ومن هو مستخف بالليل) طالب للخفأ فى مختبأ بالليل (وسارب) بارز (بالنهار) يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من فى معنى الاثنين كقوله * نكن مثل من ياذئب يصطحبان * كأنه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله (له) لمن اسر او جهر او استخفى او سرب (معقبات) ملائكة تعتقب فى حفظه جمع معقبة مبالغة من عقب مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا اولانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها او اعتقب فادغمت التاء فى القاف والتاء للمبالغة اولان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من حذف احدى القافين (من بين يديه ومن خلفه) من جوانبه او من الاعمال ماقدم واخر (يحفظونه من امر الله) من بأسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه فى توهمه من قضاء الله (ان الله لايغير مابقوم) من العافية والنعمة (حتى يغيروا مابانفسهم) من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة (واذا اراد الله بقوم سوء فلا مرد له) فلا رد له والعامل فى اذا مادل عليه الجواب (ومالهم من دونه من وال) ممن يلى امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله تعالى محال (هو الذى يريكم البرق خوفا) من اذاه (وطمعا) فى الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اى ارادة خوف وطمع او التأويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذوى او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره و يطمع فيه من ينفعه (وينشئ السحاب) الغيم المنسحب فى الهواء (الثقال) وهو جمع ثقيلة انما وصف به السحاب لانه اسم جنس فى معنى الجمع (ويسبح الرعد) ويسبح سامعوه (بحمده) ملتبسين به فيصيحون بسبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته

(ماتسبق من) زائدة (أمة أجلها ومايستأخرون) يتأخرون عنه (وقالوا) أى كفار مكة للنبى صلى الله عليه وسلم (يأأيها الذى نزل عليه الذكر) القرآن فى زعمه (انك لمجنون لوما) هلا (تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين) فى قولك انك نبى وان هذا القرآن من عند الله قال تعالى (ماتنزل) فيه حذف احدى التاءين (الملائكة الا بالحق) بالعذاب (وما كانوا اذا) أى حين نزول الملائكة بالعذاب (منظرين) مؤخرين (انا نحن) تأكيد لاسم ان أو فصل (نزلنا الذكر) القرآن (وانا له لحافظون) من التبديل والتحريف والزيادة والنقص (ولقد أرسلنا من قبلك) رسلا (فى شيع) فرق (الاولين وما) كان (يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) كاستهزاء قومك بك وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (كذلك نسلكه) أى مثل ادخالنا التكذيب فى قلوب أولئك ندخله (فى قلوب المجرمين) أى كفار مكة

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الرعد فقال ملك مؤكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب (والملائكة من خيفته) من خوف الله تعالى واجلاله وقيل الضمير للرعد (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) فيهلكه (وهم يجادلون فى الله) حيث يكذبون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد فى الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة اوللحال فانه روى ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخالبيد وفدا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قاصدين لقتله عليه السلام فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اللهم اكفنيهما بماشئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامر ابغدة فات فى بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية فنزلت (وهو شديد المحال) المماحلة والمكايدة لاعدائه من محل فلان بفلان اذا كايده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول اوالحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا فى القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد (له دعوة الحق) الدعاء الحق فانه الذى يحق ان يعبد اويدعى الى عبادته دون غيره اوله الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب ويؤيده مابعده والحق على الوجهين ماينافض الباطل واضافة الدعوة اليه لمابينهما من الملابسة اوعلى تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هوالله وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الآية فى عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله واجابة لدعوة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم اودلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اوبيان ضلالهم وفساد رأيهم (والذين يدعون) اى والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع اوالمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة

(لايؤمنون به) بالنبى صلى الله عليه وسلم (وقد خلت سنة الاولين) أى سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم وهؤلاء مثلهم (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه) فى الباب (يعرجون) يصعدون (لقالوا انما سكرت) سدت (أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) يخيل الينا ذلك (ولقد جعلنا فى السماء بروجا) اثنى عشر الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت وهى منازل الكواكب السبعة السيارة المريخ وله الحمل والعقرب والزهرة ولها الثور والميزان وعطارد وله الجوزاء والسنبلة والقمر وله السرطان والشمس ولها الاسد والمشترى وله القوس والحوت وزحل وله الجدى والدلو (وزيناها) بالكواكب (للناظرين وحفظناها) بالشهب (من كل شيطان رجيم) مرجوم (الا) لكن (من استرق السمع) خطفه

(من دونه) عليه (لا يستجيبون لهم بشئ) من الطلبات (الا كباسط كفيه)
الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه (الى الماء ليبلغ فاه) يطلب منه ان يبلغه
(وماهو ببالغه) لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان بغير
ماجبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا فى قلة جدوى دعائهم لها بمن
اراد ان يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء وباسط
بالتنوين (ومادعاء الكافرين الا فى ضلال) فى ضياع وخسارة وباطل (ولله
يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها) يحتمل ان يكون السجود
على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتى الشدة
والرخاء والكفرة له كرها حالة الشدة والضرورة (وظلالهم) بالعرض وان
يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاؤا اوكرهوا وانقياد ظلالهم
لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال اوالعلة
وقوله (بالغدو والآصال) ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام اوحال من
الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقلص اظهر فيهما والغدو
جمع غداة كقنى جمع قناة والآصال جمع اصيل وهو مابين العصر والمغرب
وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول فى الاصيل
(قل من رب السموات والارض) خالقهما ومتولى امرهما (قل الله) اجب
عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين الذى لا يمكن المراء فيه اولقنهم
الجواب به (قل افاتخذتم من دونه) ثم الزمهم بذلك ان اتخاذهم منكر بعيد
عن مقتضى العقل (اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا) لا يقدرون
على ان يجلبوا اليها نفعا اويدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير
ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم فى اتخاذهم
اولياء رجاء ان يشفعوا لهم (قل هل يستوى الاعمى والبصير) المشرك الجاهل
بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل
عنكم والمعبود المطلع على احوالكم (ام هل تستوى الظلمات والنور) الشرك
والتوحيد وقرأ حمزة والكسائى وابوبكر بالياء (ام جعلوا لله شركاء) بل اجعلوا
والهمزة للانكار وقوله (خلقوا كخلقه) صفة لشركاء داخلة فى حكم
الانكار (فتشابه الخلق عليهم) خلق الله وخلقهم والمعنى انهم مااتخذوا لله
شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما
خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين

(فاتبعه شهاب مبين) كوكب
يضئ يحرقه أو يثقبه أو يخبله
(والارض مددناها)
بسطناها (والقينا فيها
رواسى) جبالا ثوابت لئلا
تتحرك باهلها (وأنبتنا فيها
من كل شئ موزون) معلوم
مقدر (وجعلنا لكم فيها
معايش) بالياء من الثمار
والحبوب (و) جعلنا لكم (من
لستم له برازقين) من العبيد
والدواب والانعام فانما
يرزقهم الله (وان) ما (من)
زائدة (شئ الا عندنا خزائنه)
مفاتيح خزائنه (وماننزله
الا بقدر معلوم) على
حسب المصالح (وارسلنا
الرياح لواقح) تلقح السحاب
فيمتلئ ماء (فأنزلنا من السماء)
السحاب (ماء) مطرا (فأسقيناكموه وماانتم له بخازنين) أى
ليست خزائنه بأيديكم (وانا
لنحن نحيى ونميت ونحن
الوارثون) الباقون نرث
جميع الخلق (ولقد علمنا
المستقدمين منكم) أى من
تقدم من الخلق من لدن آدم
(ولقد علمنا المستأخرين)
المتأخرين الى يوم القيامة
(وان ربك هو يحشرهم

لايقـدرون على مايقـدر عليه الخلق فضـلا عمـا يقدر عليـه الخـالق (قل الله خالق كل شئ) اى لاخالق غيره فيشـاركـه فى العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمـاسواه ليدل على قوله (وهو الواحد) المتوحـد بالالوهية (القهـار) الغـالب على كل شئ (انزل من السماء ماء) من السحاب اومن جانب السمـاء اومن السمـاء نفسها فان المبادى منهـا (فسـالت اودية) انهـار جمع واد وهو الموضع الذى يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجـارى فيه وتنكيرهـا لان المطر يأتى على تنـاوب بين البقـاع (بقـدرها) بمقدارهـا الذى عـلم الله تعالى انه نافع غير ضار او بمقدارها فى الصغر والكبر (فاحتمل السيل زبدا) رفعه والزبد وضر الغليـان (رابيا) عاليا (ومما توقدون عليه فى النـار) يعم الفـلزات كالذهب والفضـة والحديد والنحـاس على وجه التهـاون بها اظهـارا لكبريائه (ابتغاء حلية) اى طلب حلية (اومتاع) كالاوانى وآلات الحرب والحرث والمقصـود من ذلك بيان منافعهـا (زبد مثـله) اى وممـا توقـدون عليـه زبد مثل زبد المـاء وهو خبثـه ومن للابتـداء اوللتبعيض وقرأ حمزة والكسـائى وحفص باليـاء على ان الضمير للنـاس واضماره للعلم به (كذلك يضرب الله الحق والباطل) مثل الحق والباطل فانه مثل الحق فى افادته وثباته بالماء الذى ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحـاجة والمصلحة فينتفـع به انواع المنـافع ويمكث فى الارض بان يثبت بعضـه فى منابعه ويسلك بعضـه فى عروق الارض الى العيون والقنى والآبار وبالفلز الذى ينتفع به فى صوغ الحلى واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والبـاطل فى قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهمـا وبين ذلك بقوله (فاما الزبد فيذهب جفـاء) يجفـأ به ان يرمى به السـيل اوالفـلز المذاب وانتصـابه على الحـال وقرئ جفـالا والمعـنى واحـد (واما ما ينفع النـاس) كالماء وخلاصة الفلز (فيمكث فى الارض) ينتفـع به اهلهـا (كذلك يضرب الله الامثـال) لايضـاح المشـتبهات (للذين استجابوا) للمؤمنين الذين استجابوا (لربهم الحسـنى) الاستجابة الحسنى (والذين لم يستجيبوا له) وهم الكفرة والـلام متعلقـة بيضرب عـلى انه جعل ضرب المثل لشـأن الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا جزاء الحسنى وهى المثوبة والجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره (لو ان لهم

انه حكيم) فى صنعه (عليم) بخلقه (ولقد خلقنا الانسان) آدم (من صلصال) طين يابس يسمع له صلصـلة أى صوت اذا نقر (من حمأ) طين أسود (مسنون) متغير (والجان) أبا الجن وهو ابليس (خلقناه من قبل) أى قبل خلق آدم (من نار السموم) هى نار لا دخان لها تنفذ فى المسام (و) اذكر (اذ قال ربك للمـلائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسـنون فاذا سـويته) أتممته (ونفخت) أجريت (فيه من روحى) فصار حيا واضافة الروح اليه تشريفا لآدم (فقعوا له ساجـدين) سجود تحية بالانحناء (فسجد الملائكـة كلهم أجمعون) فيه تأكيدان (الا ابليس) هو أبو الجن كان بين الملائكـة (أبى) امتنع من (أن يكون مع الساجـدين قال) تعـالى (ياابليس مالك) مامنعـك (أن لا) زائدة (تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد) لاينبغى لى أن أسجد (لبشر خلقته من صلصال من حمـأ مسنون قال فاخرج منها) أى من الجنة وقيل من السموات

مافى الارض جميعا ومثله معه لافتدوابه) وهو على الاول كلام مبتدأ
لبيان مآل غير المستجيبين (اولئك لهم سوء الحساب) وهو المناقشة
فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لايغفر منه شئ (ومأواهم) مرجعهم
(جهنم وبئس المهاد) المستقر والمخصوص بالذم محذوف (افمن يعلم
ان ماانزل اليك من ربك الحق) فيستجيب (كمن هو اعمى) عمى القلب
لايستبصر فتستجيب والهمزة لانكار ان يقع شبهة فى تشابههما بعد
ماضرب من المثل (انما يتذكر اولوا الالباب) ذووا العقول المبرات من مشايعة
الالف ومعارضة الوهم (الذين يوفون بعهد الله) بما عقدوه على انفسهم
من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى اوما عهده الله تعالى عليهم
فى كتبه (ولاينقضون الميثاق) ماوثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالى
وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص (والذين يصلون ماامر الله به
ان يوصل) من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء عليهم
الصلاة والسلام ويندرج فى ذلك مراعاة جميع حقوق الناس (ويخشون
ربهم) وعيده عموما (ويخافون سوء الحساب) خصوصا فيحاسبون
انفسهم قبل ان يحاسبوا (والذين صبروا) على ماتكرهه النفس ومخالفة
الهوى (ابتغاء وجه ربهم) طلبا لرضاه لافخورا وسمعة ونحوهما (واقاموا
الصلاة) المفروضة (وانفقوا مما رزقناهم) بعضه الذى وجب عليهم انفاقه
(سرا) لمن لم يعرف بالمال (وعلانية) لمن عرف به (ويدرأون بالحسنة السيئة)
ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان اويتبعون الحسنة السيئة فتمحوها
(اولئك لهم عقبى الدار) عاقبة الدنيا وماينبغى ان يكون مآل اهلها وهى
الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات
لاولى الالباب فاستئناف بذكر مااستوجبوا بتلك الصفات (جنات عدن)
بدل من عقبى الدار اومبتدأ خبره (يدخلونها) والعدن الاقامة اى جنات
يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة (ومن صلح من آبائهم وازواجهم
وذرياتهم) عطف على المرفوع فى يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير
الآخر اومفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ
مبلغ فضلهم تبعالهم وتعظيما لشأنهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو
بالشفاعة اوان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لمابينهم
من القرابة والوصلة فى دخول الجنة زيادة فى انفسهم والتقييد بالصلاح

(فانك رجيم) مطرود
(وان عليك اللعنة الى يوم
الدين) الجزاء (قال رب
فأنظرنى الى يوم يبعثون)
أى الناس (قال فانك من
المنظرين الى يوم الوقت
المعلوم) وقت النفخة الاولى
(قال رب بما أغويتنى)
أى باغوائك لى والباء للقسم
وجوابه (لأزينن لهم
فى الارض) المعاصى
(ولأغوينهم أجمعين
الا عبادك منهم المخلصين)
أى المؤمنين (قال) تعالى
(هذا صراط على مستقيم)
وهو (ان عبادى) أى
المؤمنين (ليس لك عليهم
سلطان) قوة (الا)
لكن (من اتبعك من
الغاوين) الكافرين (وان
جهنم لموعدهم أجمعين)
أى من تبعك معك (لها
سبعة أبواب) أطباق
(لكل باب) منها (منهم
جزء) نصيب (مقسوم
ان المتقين فى جنات) بساتين
(وعيون) تجرى فيها
ويقال لهم (ادخلوها
بسلام) أى سالمين من كل
مخوف أومع سلام أى سلموا

دلالة على ان مجرد الانساب لاتنفع (والملائكة يدخلون عليهم من كل
باب) من ابواب المنازل اومن ابواب الفتوح والتحف قائلين (سلام عليكم)
بشارة بدوام السلامة (بما صبرتم) متعلق بعليكم او بمحذوف اى هذا بما
صبرتم لابسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية اوللبدلية (فنعم عقبى الدار)
وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء
وبغيره (والذين ينقضون عهد الله) يعنى مقابلى الاولين (من بعد ميثاقه)
من بعد ماأوثقوه به من الاقرار والقبول (ويقطعون ماامر الله به ان يوصل
ويفسدون فى الارض) بالظلم وتهييج الفتن (اولئك لهم اللعنة ولهم سوء
الدار) عذاب جهنم اوسوء عاقبة الدنيا لانه فى مقابلة عقبى الدار (الله
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسعه ويضيقه (وفرحوا) اى اهل مكة
(بالحياة الدنيا) بمابسط لهم فى الدنيا (وماالحياة الدنيا فى الآخرة) اى
فى جنب الآخرة (الامتاع) الامتعة لاتدوم كعجالة الراكب وزاد الراعى والمعنى
انهم اشروا بمانالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة
واغتروا بما هو فى جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال (ويقول الذين كفروا
لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء) باقتراح الآيات بعد
ظهور المعجزات (ويهدى اليه من اناب) اقبل الى الحق ورجع عن العناد
وهو جواب يجرى مجرى التعجب من قولهم كانه قال قل لهم ماأعظم عنادكم
ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلاسبيل الى اهتدائهم وان انزلت
كل آية ويهدى اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من الآيات (الذين
آمنوا) بدل من من او خبر مبتدأ محذوف (وتطمئن قلوبهم بذكر الله)
انسابه واعتمادا عليه ورجاء منه اوبذكر رحمته بعد القلق من خشيته اوبذكر
دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته اوبكلامه يعنى القرآن الذى هو اقوى
المعجزات (الابذكر الله تطمئن القلوب) تسكن اليه (الذين آمنوا وعملوا
الصالحات) مبتدأ خبره (طوبى لهم) وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه
واوا لضمة ماقبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب
ولذلك قرئ (وحسن مآب) بالنصب (كذلك) مثل ذلك يعنى ارسال
الرسل قبلك (ارسلناك فى امة قد خلت من قبلها) تقدمتها (امم) ارسلوا
اليهم فليس ببدع ارسالك اليها (لتتلو عليهم الذى اوحينا اليك) لتقرأ
عليهم الكتاب الذى اوحيناه اليك (وهم يكفرون بالرحمن) وحالهم انهم

وادخلوا (آمنين) من كل
فزع (ونزعنا مافى صدورهم
من غل) حقد (اخوانا)
حال منهم (على سرر
متقابلين) حال ايضا أى
ينظر بعضهم الى قفا بعض
لدوران الاسرة بهم (لايمسهم
فيها نصب) تعب (وماهم
منها بمخرجين) أبدا (نبئ)
خبر يامحمد (عبادى أنى انا
الغفور) للمؤمنين (الرحيم)
بهم (وأن عذابى) للعصاة
(هو العذاب الاليم) المؤلم
(ونبئهم عن ضيف ابراهيم)
وهم ملائكة اثنا عشر
أوعشرة أوثلاثة منهم جبريل
(اذ دخلوا عليه فقالوا
سلاما) أى هذا اللفظ
(قال) ابراهيم لما عرض
عليهم الاكل فلم يأكلوا
(انا منكم وجلون)
خائفون (قالوا لاتوجل
تخف (انا) رسل ربك
(نبشرك بغلام عليم)
ذى علم كثير هو اسحق
كما ذكر فى هود (قال
أبشرتمونى) بالولد (على أن
مسنى الكبر) حال أى مع
مسه اياى (فبم) فبأى
شئ (تبشرون) استفهام

يكفرون بالبليغ الرحمة الذى احاطت بهم نعمته ووسعت كل شئ رحمته فلم يشكروا انعمه وخصوصا ماانعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذى هومناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت فى مشركى اهل مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن (قل هو ربى) اى الرحمن خالقى ومتولى امرى (لا اله الا هو) لامستحق للعبادة سواه (عليه توكلت) فى نصرتى عليكم (واليه متاب) مرجعى ومرجعكم (ولو ان قرآنا سيرت به الجبال) شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن او المبالغة فى عناد الكفرة وتصميمهم اى ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها (او قطعت به الارض) تصدعت من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا (او كلم به الموتى) فتقرأه او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لانه الغاية فى الاعجاز والنهاية فى التذكير والانذار او لما آمنوا به لقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقراءتك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث به قصى بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقى (بل لله الامر جميعا) بل لله القدرة على كل شئ وهو اضراب عما تضمنته لو من معنى النفى اى بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لاتلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله (افلم ييأس الذين آمنوا) عن ايمانهم مع ما رأوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روى ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان المأيوس منه لايكون الا معلوما ولذلك علقه بقوله (ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) فان معناه نفى هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين آمنوا من ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بآمنوا (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من الكفر وسوء الاعمال (قارعة) داهية تقرعهم وتقلعهم (او تحل قريبا من دارهم) فيفزعون منها ويتطاير

تعجب (قالوا بشرناك بالحق) بالصدق (فلا تكن من القانطين) الآيسين (قال ومن) أى لا (يقنط) بكسر النون وفتحها (من رحمة ربه الا الضالون) الكافرون (قال فما خطبكم) شأنكم (أيها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين) كافرين أى قوم لوط لاهلاكهم (الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين) لايمانهم (الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين) الباقين فى العذاب لكفرها (فلما جاء آل لوط) أى لوطا (المرسلون قال) لهم (انكم قوم منكرون) لاأعرفكم (قالوا بل جئناك بما كانوا) أى قومك (فيه يمترون) يشكون وهو العذاب (وأتيناك بالحق وانا لصادقون) فى قولنا (فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم) امش خلفهم (ولا يلتفت منكم أحد) لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم (وامضوا حيث تؤمرون) وهو الشام (وقضينا) أوحينا (أليه ذلك الامر) وهو (أن

اليهم شررها وقيل الآية فى كفار مكة فانهم لايزالون مصابين بماصنعوا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام كان لايزال يبعث السرايا عليهم فتغير حواليهم وتخطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول عليه الصلاة والسلام فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية (حتى يأتى وعد الله) الموت او القيامة او فتح مكة (ان الله لايخلف الميعاد) لامتناع الكذب فى كلامه (ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا) تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان فى دعة وأمن (ثم اخذتهم فكيف كان عقاب) اى عقابى اياهم (افمن هو قائم على كل نفس) رقيب عليها (بما كسبت) من خير او شر لايخفى عليه شئ من اعمالهم ولايفوت عنده شئ من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك (وجعلوا لله شركاء) استئناف او عطف على كسبت ان جعلت مامصدرية و يجوزان يقدر مايقع خبرا للمبتدأ و يعطف عليه وجعلوا اى افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء و يكون الظاهر فيه موضع الضمير للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله (قل سموهم) تنبيه على ان هؤلاء الشركاء لايستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم مايستحقون به العبادة و يستأهلون الشركة (ام تنبئونه) بل اتنبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف (بما لايعلم فى الارض) بشركاء يستحقون العبادة لايعلمهم الله او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لايعلمها وهو العالم بكل شئ (ام بظاهر من القول) ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجى كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادى على نفسه بالاعجاز (بل زين للذين كفروا مكرهم) تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم خالوها او كيدهم للاسلام بشركهم (وصدوا عن السبيل) سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح اى وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين (ومن يضلل الله) يخذله (فماله من هاد) يوفقه للهدى (لهم عذاب فى الحياة الدنيا) بالقتل والاسر وسائر مايصيبهم من المصائب (ولعذاب الآخرة اشق) لشدته ودوامه (ومالهم من الله) من عذابه اورحمته (من واق) حافظ (مثل الجنة التى وعد المتقون)

دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) حال أى يتم استئصالهم فى الصباح (وجاء أهل المدينة) مدينة سذوم وهم قوم لوط لما أخبروا أن فى بيت لوط مردا حسانا وهم الملائكة (يستبشرون) حال طمعا فى فعل الفاحشة بهم (قال) لوط (ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون) بقصدكم اياهم بفعل الفاحشة بهم (قالوا أولم ننهك عن العالمين) عن اضافتهم (قال هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين) ماتريدون من قضاء الشهوة فتزوجوهن قال تعالى (لعمرك) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى وحياتك (انهم لفى سكرتهم يعمهون) يترددون (فاخذتهم الصيحة) صيحة جبريل (مشرقين) وقت شروق الشمس (فجعلنا عاليها) أى قراهم (سافلها) بان رفعها جبريل الى الارض وأسقطها مقلوبة الى الارض (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) طين طبخ بالنار (ان فى ذلك) المذكور (لآيات) دلالات على

منتهاها التى هى مثل فى الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اى فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره (تجرى من تحتها الانهار) على طريقة قولك صفة زيدا سمر اوعلى حذف موصوف اى مثل الجنة جنة تجرى من تحتها الانهار اوعلى زياده المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة (اكلها دائم) لاينقطع ثمرها (وظلها) اى وظلها كذلك لاينسخ كما ينسخ فى الدنيا بالشمس (تلك) اى الجنة الموصوفة (عقبى الذين اتقوا) مآلهم ومنتهى امرهم (وعقبى الكافرين النار) لاغير وفى ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك) يعنى المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة اوعامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم (ومن الاحزاب) يعنى كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما (من ينكر بعضه) وهو مايخالف شرائعهم اوما يوافق ماحرفوه منها (قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به) جواب للمنكرين اى قل لهم انى امرت فيما انزل الى بان اعبدالله واوحده وهو العمدة فى الدين ولاسبيل لكم الى انكاره واما ماتنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الالهية فى جزئيات الاحكام وقرئ ولااشرك بالرفع على الاستئناف (اليه ادعو) لاالى غيره (واليه مآب) واليه مرجعى للجزاء لاالى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ماعدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه (وكذلك) ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها (انزلناه حكما) يحكم فى القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة (عربيا) مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال (ولئن اتبعت اهواءهم) التى يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلاة الى قبلتهم بعدما حولت عنها (بعدما جاءك من العلم) بنسخ ذلك (مالك من الله من ولى ولاواق) ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات فى دينهم (ولقد ارسلنا رسلا

وحدانية الله (للمتوسمين) للناظرين المعتبرين (وانها) أى قرى قوم لوط (لبسبيل مقيم) طريق قريش الى الشام لم تندرس أفلاتعتبرون بهم (ان فى ذلك لآية) لعبرة للمؤمنين وان) مخففة أى انه (كان أصحاب الايكة) هى غيضة شجر بقرب مدين وهم قوم شعيب (لظالمين) بتكذيبهم شعيبا (فانتقمنا منهم) بان أهلكناهم بشدة الحر (وانهما) أى قرى قوم لوط والايكة (لبامام) طريق (مبين) واضح أفلا تعتبرون بهم يا اهل مكة (ولقد كذب اصحاب الحجر) وادبين المدينة والشام وهم ثمود (المرسلين) بتكذيبهم صالحا لانه تكذيب لباقى الرسل لاشتراكهم فى المجئ بالتوحيد (وآتيناهم آياتنا) فى الناقة (فكانوا عنها معرضين) لايتفكرون فيها (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فاخذتهم الصيحة مصبحين) وقت الصباح (فما أغنى) دفع (عنهم) العذاب (ما كانوا يكسبون) من بناء الحصون وجمع الاموال (وماخلقنا

من قبلك) بشرا مثلك (وجعلنالهم ازواجا وذرية) نساء واولادا كما هي لك (وما كان لرسول) وما صح له ولم يكن في وسعه (ان يأتي باية) تقترح عليه وحكم يلتمس منه (الا باذن الله) فانه الملي بذلك (لكل اجل كتاب) لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على مايقتضيه استصلاحهم (يمحو الله مايشاء) بنسخ مايستصوب نسخه (ويثبت) ماتقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة مالايتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا اويثبت مارآه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بالتشديد (وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذما من كائن الا وهو مكتوب فيه (وامانرينك بعض الذي نعدهم اونتوفينك) كيف مادارت الحال ارينك بعض ماوعدناهم اوتوفيناك قبله (فانما عليك البلاغ) لاغير (وعلينا الحساب) الجازاة لا عليك فلاتحتفل باعراضهم ولاتستعجل بعذابهم فانا فاعلون وهذ طلائعه (اولم يروا انا نأتي الارض) ارض الكفرة (ننقصها من اطرافها) بما نفتحه على المسلمين منها (والله يحكم لامعقب لحكمه) لاراده وحقيقته الذي يعقب الشئ بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لايمكن تغييره ومحل لامع المنفي النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه (وهو سريع الحساب) فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعد ماعذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا (وقد مكر الذين من قبلهم) بانبيائهم والمؤمنين منهم (فلله المكر جميعا) اذلايوبه بمكر دون مكر فانه القادر على ماهو المقصود منه دون غيره (يعلم ماتكسب كل نفس) فيعد جزاءها (وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار) من الحزبين حيثما يأتيهم العذاب المعدلهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله تعالى بهم واللام تدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع مافي الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره (ويقول الذين كفروا لست مرسلا) قيل المراد بهم رؤساء اليهود (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) فانه اظهر

السموات والارض ومابينهما الا بالحق وان الساعة لآتية) لامحالة فيجازى كل أحد بعمله (فاصفح) يامحمد عن قومك (الصفح الجميل) أعرض عنهم اعراضا لاجزع فيه وهذا منسوخ بآية السيف (ان ربك هو الخلاق) لكل شئ (العليم) بكل شئ (ولقد آتيناك سبعا من المثاني) قال صلى الله عليه وسلم هي الفاتحة رواه الشيخان لانها تثنى في كل ركعة (والقرآن العظيم لاتمدن عينيك الى مامتعنا به ازواجا) أصنافا (منهم ولاتحزن عليهم) ان لم يؤمنوا (واخفض جناحك) ألن جانبك (للمؤمنين وقل اني أنا النذير) من عذاب الله أن ينزل عليكم (المبين) البين الانذار (كما أنزلنا) العذاب (على المقتسمين) اليهود والنصارى (الذين جعلوا القرآن) أي كتبهم المنزلة عليهم (عضين) أجزاء حيث آمنوا ببعض وكفروا ببعض وقيل المراد بهم الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الاسلام وقال بعضهم في القرآن سحر

من الادلة على رسالتي مايغني عن شاهد يشهد عليها (ومن عنده علم الكتاب) علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز او علم التوراة وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله تعالى اى كفى بالذى يستحق العبادة وبالذى لايعلم مافي اللوح الاهو شهيدا بيننا فيخزى الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ من عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين للثانية وقرئ ومن عنده علم الكتاب على الحرف والبناء للمفعول * عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطى من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله تعالى

(سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهى احدى وخمسون آيه)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر كتاب) اى هو كتاب (انزلناه اليك لتخرج الناس) بدعائك اياهم الى ماتضمنه (من الظلمات) من انواع الضلال (الى النور) الى الهدى (باذن ربهم) بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذى هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله (الى صراط العزيز الحميد) بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استئناف على انه جواب لمن يسأل عنه واضافة الصراط الى الله تعالى امالانه مقصده اولمظهرله وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لايذل سالكه ولايخيب سائله (الله الذى له مافي السموات ومافي الارض) على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او الله خبر مبتدأ محذوف والذى صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق (وويل للكافرين من عذاب شديد) وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوأل وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه فعل لكنه رفع لافادة الثبات (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) يختارونها عليها فان المختار للشئ يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره (ويصدون عن سبيل الله) بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان فى صده مندوحة عن تكلف التعدية بالهمزة (ويبغونها عوجا) ويبغون لها زيغا ونكوبا

وبعضهم كهانة وبعضهم شعر (فوربك لنسألنهم أجمعين) سؤال توبيخ (عما كانوا يعملون فاصدع) يامحمد (بما تؤمر) أى اجهر به وأمضه (وأعرض عن المشركين) هذا قبل الامر بالجهاد (انا كفيناك المستهزئين) بك باهلاكنا كلا منهم بآفة وهم الوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل وعدى بن قيس والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث (الذين يجعلون مع الله الها آخر) صفة وقيل مبتدأ ولتضمنه معنى الشرط دخلت الفاء فى خبره وهو (فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم (ولقد) للتحقيق (نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) من الاستهزاء والتكذيب (فسبح) ملتبسا (بحمد ربك) أى قل سبحان الله وبحمده (وكن من الساجدين) المصلين (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) الموت

* سورة النحل مكية الاوان عاقبتم الى آخرها مائة وثمان وعشرون آية *

* بسم الله الرحمن الرحيم *
لما استبطأ المشركون العذاب نزل (أتى أمر الله) أى الساعة وأتى بصيغة الماضى لتحقق وقوعه أى قرب (فلا تستعجلوه) تطلبوه قبل حينه فانه واقع لامحالة (سبحانه) تنزيها له (وتعالى عما يشركون) به غيره (ينزل الملائكة) أى جبريل (بالروح) بالوحى (من أمره) بارادته (على من يشاء من عباده) وهم الانبياء (أن) مفسرة (أنذروا) خوفوا الكافرين بالعذاب وأعلموهم (أنه لا اله الا أنا فاتقون) خافون (خلق السموات والارض بالحق) أى محقا (تعالى عما يشركون) به من الاصنام (خلق الانسان من نطفة) منى الى أن صيره قويا شديدا (فاذا هو خصيم) شديد الخصومة (مبين) بينها فى نفى البعث قائلا من يحيى العظام وهى رميم (والانعام) الابل والبقر والغنم ونصبه بفعل مقدر يفسره (خلقها لكم) فى جملة الناس (فيها دفء)

عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه او على انه مبتدأ خبره (اولئك فى ضلال بعيد) أى ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد فى الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذى به الضلال فوصف به لملابسته (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) الا بلغة قومه الذى هو منهم وبعث فيهم (ليبين لهم) ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد فى تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها ومافى اتعاب القرائح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير فى قومه لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان الله تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل عليه السلام اوكل نبى بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم ضمير القوم والتوراة والانجيل ونحوهما لم ينزل ليبين للعرب (فيضل الله من يشاء) فيخذله عن الايمان (ويهدى من يشاء) بالتوفيق له (وهو العزيز) فلا يغلب على مشيئته (الحكيم) الذى لا يضل ولا يهدى الا لحكمة (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) يعنى اليد والعصا وسائر معجزاته (ان اخرج قومك من الظلمات الى النور) يعنى اى اخرج لان فى الارسال معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء فى الدلالة على المصدر فتصح ان يوصل بها ان الناصبة (وذكرهم بايام الله) بوقائعه التى وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون) اى اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز

ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريدت بها
العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال
(يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم) احوال
من آل فرعون اومن ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد
فى سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثمه ومعطوف عليه
التذبيح ههنا وهو اماجنس العذاب اواستعبادهم واستعمالهم بالاعمال
الشاقة (وفى ذلكم) من حيث انه باقدار الله تعالى اياهم وامهالهم فيه
(بلاء من ربكم عظيم) ابتلاء منه ويجوز ان تكون الاشارة الى الانجاء
والمراد بالبلاء النعمة (واذتأذن ربكم) من كلام موسى عليه السلام
وتأذن بمعنى آذن كتوعد بمعنى اوعد غيرانه ابلغ لما فى التفعل من معنى
التكلف والمبالغة (لئن شكرتم) يابنى اسرائيل ماانعمت عليكم من الانجاء
وغيره بالايمان والعمل الصالح (لازيدنكم) نعمة الى نعمة (ولئن كفرتم ان
عذابى لشديد) فلعلى اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم
الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول مقدر
اومفعول تأذن على انه يجرى مجرى قال لانه ضرب منه (وقال موسى ان
تكفروا انتم ومن فى الارض جميعا) من الثقلين (فان الله لغنى) عن شكركم
لنعمته (حميد) مستحق للحمد فى ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمه
ذرات المخلوقات فاضررتم بالكفران الاانفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام
وعرضتموها للعذاب الشديد (الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد
وثمود) من كلام موسى عليه الصلاة والسلام اوكلام مبتدأ من الله (والذين
من بعدهم لايعلمهم الا الله) جملة وقعت اعتراضا اوالذين من بعدهم عطف
على ماقبله ولايعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لايعلم عددهم الا الله
ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه كذب النسابون (جاءتهم رسلهم
بالبينات فردوا ايديهم فى افواههم) فعضوها غيظا مماجاءت به الرسل
عليهم الصلاة والسلام كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ
اووضعوها عليها تعجبا منه اواستهزاء عليه كمن غلبه الضحك اواسكاتا
للانبياء عليهم الصلاة والسلام وامرالهم باطباق الافواه واشاروا بها
الى السنتهم ومانطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لاجواب لهم سواه
اوردوها فى افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا

ماتستدفؤن به من الاكسية
والاردية من أشعارها
وأصوافها (ومنافع)
من النسل والدر والركوب
(ومنها تأكلون) قدم الظرف
للفاصلة (ولكم فيها جمال) زينة
(حين تريحون) تردونها
الى مراحها بالعشى (وحين
تسرحون) تخرجونها الى
المرعى بالغداة (وتحمل
أثقالكم) أحمالكم (الى
بلد لم تكونوا بالغيه) واصلين
اليه على غير الابل (الابشق
الانفس) بجهدها (ان ربكم
لرؤف رحيم) بكم حيث
خلقها لكم (و) خلق
(الخيل والبغال والحمير
لتركبوها وزينة) مفعول له
والتعليل بهما لتعريف
النعم لالنفى خلقها لغير ذلك
كالاكل فى الخيل الثابت
بحديث الصحيحين (ويخلق
مالا تعلمون) من الاشياء
العجيبة الغريبة (وعلى الله
قصد السبيل) أى بيان
الطريق المستقيم (ومنها)
أى السبيل (جائر) حائد عن
الاستقامة (ولوشاء)
هدايتكم (لهداكم) الى
قصد (السبيل أجمعين)

فتهتدون اليه باختيار منكم (هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب) تشربونه (ومنه شجر) ينبت بسببه (فيه تسيمون) ترعون دوابكم (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك) المذكور (لآية) دالة على وحدانيته تعالى (لقوم يتفكرون) فى صنعه فيؤمنون (وسخر لكم الليل والنهار والشمس) بالنصب عطفا على ماقبله والرفع مبتدأ (والقمر والنجوم) بالوجهين (مسخرات) بالنصب حال والرفع خبر (بأمره) بارادته (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) يتدبرون (و) سخر لكم (ماذرأ) خلق (لكم فى الارض) من الحيوان والنبات وغير ذلك (مختلفا ألوانه) كأحمر وأصفر وأخضر وغيرها (ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون) يتعظون (وهو الذى سخر البحر) ذلله لركوبه والغوص فيه (لتأكلوا منه لحما طريا) هو السمك (وتستخرجوا منه حلية

وقيل الايدى بمعنى الايادى اى ردوا ايادى الانبياء التى هى مواعظهم وما اوحى اليهم من الحكم والشرائع فى افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها الى حيث جاءت منه (وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به) على زعمكم (وانا لفى شك مما تدعوننا اليه) من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام (مريب) موقع فى الريبة اوذى ريبة وهى قلق النفس وان لاتطمئن الى شئ (قالت رسلهم افى الله شك) ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام فى المشكوك فيه لافى الشك اى انما ندعوكم الى الله لايحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشار الى ذلك بقوله (فاطر السموات والارض) وهو صفة اوبدل وشك مرتفع بالظرف (يدعوكم) الى الايمان ببعثه ايانا (ليغفر لكم) اويدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرنى على اقامة المفعول له مقام المفعول به (من ذنوبكم) بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه تعالى فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جئ بمن فى خطاب الكفرة دون المؤمنين فى جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت فى خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت فى خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصى ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم (ويؤخركم الى اجل مسمى) الى وقت سماه الله تعالى وجعله آخر اعماركم (قالوا ان انتم الا بشر مثلنا) لافضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولوشاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل (تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) بهذه الدعوى (فأتونا بسلطان مبين) يدل على فضلكم واستحقاقكم بهذه المزية اوعلى صحة ادعائكم النبوة كأنهم لم يعتبروا ماجاؤا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا (قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) سلموا مشاركتهم فى الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله تعالى ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئة الله تعالى (وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله) اى ليس الينا الاتيان بالآيات ولاتستبد به استطاعتنا حتى نأتى بما اقترحتموه وانما هو امر متعلق بمشيئة الله تعالى فيخص كل نبى بنوع من الآيات (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فليتوكل عليه فى الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب

التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله (ومالنا الا نتوكل على الله) اى اى عذر لنا فى ان لا نتوكل عليه (وقد هدينا سبلنا) التى بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفى العنكبوت (ولنصبرن على ما آذيتمونا) جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجرى من الكفار عليهم (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن فى ملتنا) حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد (فاوحى اليهم ربهم) اى الى رسلهم (لنهلكن الظالمين) على اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه (ولنسكننكم الارض من بعدهم) اى ارضهم وديارهم كقوله تعالى * واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها * وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبار الاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن (ذلك) اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين (لمن خاف مقامى) موقفى وهو الموقف الذى يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة او قيامى عليه وحفظى لاعماله وقيل المقام مقحم (وخاف وعيد) اى وعيدى بالعذاب او عذابى الموعود للكفار (واستفتحوا) سألوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعدائهم من الفتاحة كقوله * ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق * وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سألوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن (وخاب كل جبار عنيد) اى فقتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل جبار عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلتين كان اوقع (من ورائه جهنم) من بين يديه فانه مرصد لها واقف على شفيرها فى الدنيا مبعوث اليها فى الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك (ويسقى من ماء) عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء (صديد) عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار (يتجرعه) يتكلف جرعه وهو صفة لماء او حال

تلبسونها) هى اللؤلؤ والمرجان (وترى) تبصر (الفلك) السفن (مواخر فيه) تمخر الماء أى تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة (ولتبتغوا) عطف على لتأكلوا تطلبوا (من فضله) تعالى بالتجارة (ولعلكم تشكرون) الله على ذلك (وألقى فى الارض رواسى) جبالا ثوابت (أن) لا (تميد) تتحرك (بكم و) جعل فيها (أنهارا) كالنيل (وسبلا) طرقا (لعلكم تهتدون) الى مقاصدكم (وعلامات) تستدلون بها على الطرق كالجبال بالنهار (وبالنجم) بمعنى النجوم (هم يهتدون) الى الطرق والقبلة بالليل (أفمن يخلق) وهو الله (كمن لا يخلق) وهو الاصنام حيث تشركونها معه فى العبادة لا (أفلا تذكرون) هذا فتؤمنون (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) تضبطوها فضلا أن تطيقوا شكرها (ان الله لغفور رحيم) حيث ينعم عليكم مع تقصيركم وعصيانكم (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين

من الضمير في يسقى (ولا يكاد يسيغه) ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس (ويأتيه الموت من كل مكان) اى اسبابه من الشدائد فتحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله (وماهو بميت) فيستريح (ومن ورائه) ومن بين يديه (عذاب غليظ) اى يستقبل في كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة في اهل مكة طلبوا الفتح الذى هو المطر في سنيهم التى ارسل الله تعالى عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعد لهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار (مثل الذين كفروا بربهم) مبتدأ خبره محذوف اى فيما يتلى عليكم صفتهم التى هى مثل في الغرابة اوقوله (اعمالهم كرماد) وهى على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد (اشتدت به الريح) حملته واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح (في يوم عاصف) العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة (لا يقدرون) يوم القيامة (مما كسبوا) من اعمالهم (على شئ) لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل (ذلك) اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون (هو الضلال البعيد) فانه الغاية في البعد عن طريق الحق (ألم تر) خطاب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين (ان الله خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة والوجه الذى يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائى خالق السموات (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال (وما ذلك على الله بعزيز) بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن

تدعون) بالتاء والياء تعبدون (من دون الله) وهم الاصنام (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) يصورون من الحجارة وغيرها (أموات) لا روح فيهم خبر ثان (غير أحياء) تأكيد (وما يشعرون) أى الاصنام (أيان) وقت (يبعثون) أى الخلق فكيف يعبدون اذ لا يكون الها الا الخالق الحى العالم بالغيب (الهكم) المستحق للعبادة منكم (اله واحد) لا نظير له في ذاته ولا صفاته وهو الله تعالى (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) جاحدة للوحدانية (وهم مستكبرون) متكبرون عن الايمان بها (لا جرم) حقا (أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) فيجازيهم بذلك (انه لا يحب المستكبرين) بمعنى أنه يعاقبهم ونزل في النضر بن الحرث (واذا قيل لهم ما) استفهامية (ذا) موصولة (أنزل ربكم) على محمد (قالوا) هو (أساطير) أكاذيب (الاولين) اضلال للناس (ليحملوا) في عاقبة الامر (أوزارهم) ذنوبهم (كاملة) لم يكفر منها شئ

هذا شأنه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء (وبرزوا لله جميعا) اى يبرزون من قبورهم يوم القيامة لامر الله تعالى ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله تعالى فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله تعالى عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضى لتحقق وقوعه (فقال الضعفؤا) الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأى وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو (للذين استكبروا) لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم (انا كنا لكم تبعا) فى تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف (فهل انتم مغنون عنا) دافعون عنا (من عذاب الله من شئ) من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اى بعض الشئ الذى هو عذاب الله تعالى ويجوز ان تكونا للتبعيض اى بعض شئ هو بعض عذاب الله تعالى والاعراب ماسبق ويحتمل ان تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اى فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء (قالوا) اى الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم (لو هدانا الله) للايمان ووفقنا له (لهديناكم) ولكن ضللنا فاضللناكم اى اخترنا لكم مااخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناه لكم لكن سد دوننا طريق الخلاص (سواء علينا اجزعنا ام صبرنا) مستويان علينا الجزع والصبر (مالنا من محيص) منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول عن جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ماروى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا (وقال الشيطان لما قضى الامر) احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا فى الاشقياء من الثقلين (ان الله وعدكم وعد الحق) وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء (ووعدتكم) وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم (فاخلفتكم) جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه (وما كان لى عليكم من سلطان) تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصى

(يوم القيامة ومن) بعض (أوزار الذين يضلونهم بغير علم) لانهم دعوهم الى الضلال فاتبعوهم فاشتركوا فى الاثم (ألا ساء) بئس (مايزرون) يحملونه حملهم هذا (قد مكر الذين من قبلهم) وهو نمرود بنى صرحا طويلا ليصعد منه الى السماء ليقاتل أهلها (فأتى الله) قصد (بنيانهم من القواعد) الاساس فارسل عليه الريح والزلزلة فهدمتها (فخر عليهم السقف من فوقهم) أى وهم تحته (وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) من جهة لا تخطر ببالهم وقيل هذا تمثيل لافساد ماأبرموه من المكر بالرسل (ثم يوم القيامة يخزيهم) يذلهم (ويقول) لهم الله على لسان الملائكة توبيخا (أين شركائى) بزعمكم (الذين كنتم تشاقون) تخالفون المؤمنين (فيهم) فى شأنهم (قال) أى يقول (الذين أوتوا العلم) من الانبياء والمؤمنين (ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين) يقولونه شماتة بهم (الذين تتوفاهم) بالتاء والياء (الملائكة ظالمى أنفسهم) بالكفر

(الا ان دعوتكم) الادعائى اياكم اليها بسويل وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم * تحية بينهم ضرب وجيع * ويجوزان يكون الاستثناء منقطعا (فاستجبتم لى) اسرعتم اجابتى (فلا تلومونى) بوسوستى فان من صرح العداوة لايلام بامثال ذلك (ولوموا انفسكم) حيث اطعتمونى اذد عوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيه مادل عليه اذيكفى لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل مافى فعله وهو الكسب الذى يقوله اصحابنا (ما انا بمصرخكم) بمغيثكم من العذاب (وماانتم بمصرخى) بمغيثى وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل فى التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض فى مثله لمافيه من اجتماع يائين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحرى ان لاتكسر و قبلها ياء اوعلى لغة من يزيدياء على الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف فى ضربته واعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة (انى كفرت بما اشر كتمون من قبل) ماامامصدرية ومن متعلقة باشركتمونى اى كفرت اليوم باشرا ككم اياى من قبل هذا اليوم اى فى الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم اوموصولة بمعنى من نحو مافى قولهم سبحان ماسخر كن لنا ومن متعلقة بكفرت اى كفرت بالذى اشر كتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياى فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشرا ككم حين رددت امره بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان (ان الظالمين لهم عذاب اليم) تتمة كلامه اوابتداء كلام من الله تعالى وفى حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم (وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم) باذن الله تعالى وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله (تحيتهم فيها سلام) اى تحييهم الملائكة فيها بالسلام باذن ربهم (الم تر كيف ضرب الله مثلا) كيف اعتمده ووضعه (كلمة طيبة كشجرة طيبة) اى جعل كلمة طيبة كشجرة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوزان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة

(فألقوا السلم) انقادوا واستسلموا عند الموت قائلين (ما كنانعمل من سوء) شرك فتقول الملائكة (بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون) فيجازيكم به ويقال لهم (فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى) مأوى (المتكبرين وقيل للذين اتقوا) الشرك (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا) بالايمان (فى هذه الدنيا حسنة) حياة طيبة (ولدار الآخرة) أى الجنة (خير) من الدنيا ومافيها قال تعالى فيها (ولنعم دار المتقين) هى (جنات عدن) اقامة مبتدأ خبره (يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها مايشاؤن كذلك) الجزاء (يجزى الله المتقين الذين) نعت (تتوفاهم الملائكة طيبين) طاهرين من الكفر (يقولون) لهم عند الموت (سلام عليكم) ويقال لهم فى الآخرة (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون هل) ما (ينظرون) ينتظر الكفار (الاأن تأتيهم) بالتاء والياء (الملائكة) لقبض أرواحهم (أو يأتى أمر ربك) العذاب

صفتها اوخبر مبتدأ محذوف اى هى كشجرة وان يكون اول مفعولى
ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء (اصلها ثابت)
فى الارض ضارب بعروقه فيها (وفرعها) واعلاها (فى السماء) ويجوز ان
يريد وفروعها اى افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه
الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك
قيل انه اقوى ولعل الثانى ابلغ (تؤتى اكلها) تعطى ثمرها (كل حين)
اقته الله تعالى لاثمارها (باذن ربها) بارادة خالقها وتكوينه
(ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) لان فى ضربها زيادة
افهام وتذكير فانه تصوير للمعانى وادناء لها من الحس (ومثل كلمة خبيثة
كشجرة) كمثل شجرة (خبيثة اجتثت) استؤصلت واخذت جثتها بالكلية
(من فوق الارض) لان عروقها قريبة منه (مالها من قرار) استقرار
واختلف فى الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد
ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله تعالى والدعاء
الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما مايعم ذلك فالكلمة الطيبة
ماأعرب عن حق اودعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ماكان على خلاف
ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروى ذلك مرفوعا وبشجرة فى الجنة
والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما ايضا مايعم ذلك
(يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) الذى ثبت بالحجة عندهم وتمكن
فى قلوبهم (فى الحياة الدنيا) فلا يزالون اذا افتتنوا فى دينهم كزكريا ويحيى
عليهما السلام وجرجيس وشمعون والذى فتنهم اصحاب الاخدود
(وفى الآخرة) فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم فى الموقف ولا يدهشهم
اهوال يوم القيامة وروى انه عليه الصلاة والسلام ذكر قبض روح المؤمن
فقال ثم تعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره فيقولان له
من ربك ومادينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فذلك
قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت (ويضل الله الظالمين) الذين
ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون
فى مواقف الفتن (ويفعل الله مايشاء) من تثبيت بعض واضلال آخرين
من غير اعتراض عليه (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) اى شكر نعمته

أو القيامة المشتملة عليه
(كذلك) كما فعل هؤلاء
(فعل الذين من قبلهم) من
الامم كذبوا رسلهم فاهلكوا
(وما ظلمهم الله) باهلاكهم
بغير ذنب (ولكن كانوا
أنفسهم يظلمون) بالكفر
(فاصابهم سيئات ماعملوا)
أى جزاؤها (وحاق) نزل
(بهم ماكانوا به يستهزؤن)
أى العذاب (وقال الذين
أشركوا) من أهل مكة
(لو شاء الله ماعبدنا من دونه
من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا
من دونه من شئ) من البحائر
والسوائب فاشراكنا وتحريمنا
بمشيئته فهو راض به قال تعالى
(كذلك فعل الذين من قبلهم)
أى كذبوا رسلهم فيما جاؤا به
(فهل) فما (على الرسل
الا البلاغ المبين) الابلاغ البين
وليس عليهم هداية (ولقد
بعثنا فى كل امة رسولا) كما
بعثناك فى هؤلاء (أن) أى
بان (اعبدوا الله) وحده
(واجتنبوا الطاغوت)
الاوثان أن تعبدوها (فمنهم
من هدى الله) فآمن (ومنهم
من حقت) وجبت (عليه
الضلالة) فى علم الله فلم يؤمن
(فسيروا) يا كفار مكة

كفر بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله تعالى واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلى رضى الله تعالى عنهما هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فامابنوا المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وامابنوا امية فمتعوا الى حين (واحلوا قومهم) الذين شايعوهم فى الكفر (دار البوار) دار الهلاك بحملهم على الكفر (جهنم) عطف بيان لها (يصلونها) حال منها او من القوم اى داخلين فيها مقاسين لحرها اومفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم (وبئس القرار) اى وبئس المقر جهنم (وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله) الذى هو التوحيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال والاضلال غرضهم فى اتخاذ الانداد ولكن لما كان نتيجته جعل كالغرض (قل تمتعوا) بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التى يتمتع بها وفى التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لامحالة ولذلك علله بقوله (فان مصيركم الى النار) وان المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمر مطاع (قل لعبادى الذين آمنوا) خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومقول قل محذوف دل عليه جوابه اى قل لعبادى الذين آمنوا اقيموا الصلاة وانفقوا (يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم) فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بحيث لاينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن فى قوله * محمد تفد نفسك كل نفس * اذا ماخفت من امر تبالا * لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا قيموا وانفقوا قائمين مقامهما وهو ضعيف لانه لابد من مخالفة مابين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لايجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا (سرا وعلانية) منتصبان على المصدر اى انفاق سر وعلانية او على الحال اى ذوى سر وعلانية او على الظرف اى وقتى

(فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) رسلهم من الهلاك (ان تحرص) يا محمد (على هداهم) وقد أضلهم الله لاتقدر على ذلك (فان الله لايهدى) بالبناء للمفعول وللفاعل (من يضل) من يريد اضلاله (ومالهم من ناصرين) مانعين من عذاب الله (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) اى غاية اجتهادهم فيها (لايبعث الله من يموت) قال تعالى (بلى) يبعثهم (وعدا عليه حقا) مصدران مؤكدان منصوبان بفعلهما المقدر أى وعد ذلك وحقه حقا (ولكن اكثر الناس) أى أهل مكة (لايعلمون) ذلك (ليبين) متعلق بيبعثهم المقدر (لهم الذى يختلفون) مع المؤمنين (فيه) من أمر الدين بتعذيبهم واثابة المؤمنين (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) فى انكار البعث (انما قولنا لشئ اذا اردناه) اى أردنا ايجاده وقولنا مبتدأ خبره (أن نقول له كن فيكون) أى فهو يكون وفى قراءة بالنصب عطفا على نقول والآية لتقرير القدرة

سرو علانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به (من قبل ان يأتى يوم لابيع فيه) فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدى به نفسه (ولاخلال) ولامخالة فيشفع لك خليل اومن قبل ان يأتى يوم لاانتفاع فيه بمبايعة ولامخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفى العام (الله الذى خلق السموات والارض) مبتدأ وخبر (وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم) تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة اوالمصدر لان اخرج فى معنى رزق (وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره) بمشيئته الى حيث توجهتم (وسخر لكم الانهار) فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) يدأبان فى سيرهما وانارتهما واصلاح مايصلحانه من المكونات (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم (وآتاكم من كل ما سألتموه) اى بعض جميع ما سألتموه يعنى من كل شئ سألتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعض مافى قدرة الله تعالى ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسأل لاحتياج الناس اليه سئل اولم يسأل ومايحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اى وآتاكم من كل شئ ما احتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان تكون مانافية فى موضع الحال اى وآتاكم من كل شئ غير سائليه (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) لاتحصروها ولاتطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة (ان الانسان لظلوم) يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان (كفار) شديد الكفران وقيل ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع (واذقال ابراهيم رب اجعل هذا البلد) بلدة مكة (آمنا) ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤل فى الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفى الثانى جعله من البلاد الآمنة (واجنبنى وبنى) بعدنى واياهم (ان نعبد الاصنام) واجعلنا منه فى جانب وقرئ واجنبنى وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبنى شره وفيه دليل على

على البعث (والذين هاجروا فى الله) لاقامة دينه (من بعد ماظلموا) بالاذى من أهل مكة وهم النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه (لنبوأنهم) ننزلنهم (فى الدنيا) دارا (حسنة) هى المدينة (ولاجر الآخرة) أى الجنة (أكبر) أعظم (لو كانوا يعلمون) اى الكفار أو المتخلفون عن الهجرة ماللمهاجرين من الكرامة لوافقوهم هم (الذين صبروا) على اذى المشركين والهجرة لاظهار الدين (وعلى ربهم يتوكلون) فيرزقهم من حيث لايحتسبون (وماأرسلنامن قبلك الارجالا يوحى اليهم) لاملائكة (فاسألوا أهل الذكر) العلماء بالتوراة والانجيل (ان كنتم لاتعلمون) ذلك فانهم يعلمونه وأنتم الى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم (بالبينات) متعلق بمحذوف أى أرسلناهم بالحجج الواضحة (والزبر) الكتب (وانزلنا اليك الذكر) القرآن (لتبين للناس مانزل اليهم) فيه من الحلال والحرام (ولعلهم يتفكرون) فى ذلك

فيعتبرون (أفامن الذين مكروا)المكرات (السيئات) بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة من تقييده أو قتله أو اخراجه كما ذكر في الانفال (أن يخسف الله بهم الارض) كقارون (او يأتيهم العذاب من حيث لايشعرون) أى من جهة لاتخطر ببالهم وقد أهلكوا ببدر ولم يكونوا يقدروا ذلك (أو يأخذهم في تقلبهم) في أسفارهم للتجارة (فماهم بمعجزين) بفائتين العذاب (أو يأخذهم على تخوف) تنقص شيئا فشيئا حتى يهلك الجميع حال من الفاعل أو المفعول (فان ربكم لرؤف رحيم) حيث لم يعاجلهم بالعقوبة (أولم يروا الى ماخلق الله من شئ) له ظل كشجر وجبل (يتفيأ) يتميل (ظلاله عن اليمين والشمائل) جمع شمال أى عن جانبيهما أول النهار وآخره (سجدا لله) حال أى خاضعين بما يراد منهم (وهم) اى الظلال (داخرون) صاغرون نزلوا منزلة العقلاء (ولله يسجد ما في السموات ومافي الارض من دابة) أي نسمة

ان عصمة الانبياء بتوفيق الله تعالى وحفظه اياهم وهو بظاهره لايتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل عليه الصلاة والسلام لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث مانصبنا حجرا فهو بمنزلته (رب انهن اضللن كثيرا من الناس) فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحياة الدنيا (فمن تبعني) على ديني (فانه مني) اى بعضي لاينفك عني في امر الدين (ومن عصاني فانك غفور رحيم) تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره (ربنا اني اسكنت من ذريتي) اى بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهم اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم (بواد غير ذي زرع) يعني وادي مكة فانها حجرية لاتنبت (عند بيتك المحرم) الذي حرمت التعرض له والتهاون به اولم يزل معظما ممنعا تهابه الجبابرة اومنع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمى عتيقا اى اعتق منه ودعا بهذا الدعاء اول ماقدم فلعله قال ذلك باعتبار ماكان اوماسيؤل اليه روى ان هاجر كانت لسارة رضي الله عنهما فوهبتها لابراهيم عليه السلام فولدت منه اسمعيل عليه السلام فغارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثمة طيورا فقالوا لاطير الاعلى الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك في الباننا ففعلت (ربنا ليقيموا الصلاة) اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت اى ماسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلاة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثمه والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلاة كأنه طلب منهم الاقامة وسأل من الله تعالى ان يوفقهم لها (فاجعل افئدة من الناس) اى افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اى افئدة ناس وقرأ هشام فئدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ

آفدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر فى ادؤر وان يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اى جماعة تعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجهما بين بين و يجوز ان يكون من افد (تهوى اليهم) تسرع اليه شوقا ووداداوقرئ تهوى على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى من هوى يهوو اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع (وارزقهم من الثمرات) مع سكناهم واديا لانبات فيه (لعلهم يشكرون) تلك النعمة فاجاب الله عزوجل دعوته عله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد (ربنا انك تعلم مانخفى ومانعلن) تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة انا الى الطلب لكننا ندعوك اظهار العبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ماعندك وقيل مانخفى من وجد الفرقة ومانعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة فى التضرع والالتجاء الى الله تعالى (ومايخفى على الله من شئ فى الارض ولافى السماء) لانه العالم بعلم ذاتى يستوى نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق (الحمد الله الذى وهب لى على الكبر) اى وهب لى وانا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيها من الآية (اسماعيل واسحق) روى انه ولد له اسماعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتى عشرة سنة (ان ربى لسميع الدعاء) اى لمجيبه من قولك سمع الملك كلامى اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله تعالى على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤاله حين ماوقع اليأس منه ليكون من اجل النعم واجلاها (رب اجعلنى مقيم الصلاة) معدلا لها مواظبا عليها (ومن ذريتى) عطف على المنصوب فى اجعلنى والتبعيض لعلمه باعلام الله واستقراء عادته فى الامم الماضية انه يكون فى ذريته كفار (ربنا وتقبل دعاء) واستجب دعائى او وتقبل عبادتى (ربنا اغفرلى ولوالدى) وقرئ لابوى وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحواء (وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق اويقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا

تدب عليها أى يخضع له بما اراد منه وغلب فى الاتيان بما مالا يعقل لكثرته (والملائكة) خصهم بالذكر تفصيلا (وهم لايستكبرون) يتكبرون عن عبادته (يخافون) أى الملائكة حال من ضمير يستكبرون (ربهم من فوقهم) حال من هم أى عاليا عليهم بالقهر (ويفعلون مايؤمرون) به (وقال الله لاتتخذوا الهين اثنين) تأكيد (انما هواله واحد) أتى به لاثبات الالهية والوحدانية (فاياى فارهبون) خافون دون غيرى وفيه التفات عن الغيبة (وله مافى السموات والارض) ملكا وخلقا وعبيدا (وله الدين) الطاعة (واصبا) دائما حال من الدين والعامل فيه معنى الظرف (افغيرالله تتقون) وهو الاله الحق ولااله غيره والاستفهام للانكار او التوبيخ (ومابكم من نعمة فمن الله) لايأتى بها غيره وماشرطية أو موصولة (ثم اذا مسكم) اصابكم (الضر) الفقر والمرض (فاليه تجأرون) يرفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولاتدعون لغيره

(ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) خطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به تثبيته على ما هو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم (انما يؤخرهم) يؤخر عذابهم وعن ابى عمرو بالنون (ليوم تشخص فيه الابصار) اى تشخص فيه ابصارهم فلا تقرفى اماكنها من هول ماترى (مهطعين) مسرعين الى الداعى او مقبلين بابصارهم لا يطرقون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشئ (مقنعى رؤسهم) رافعيها (لا يرتد اليهم طرفهم) بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم (وافئدتهم هواء) خلاء اى خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق وللجبان قلبه هواء اى لا رأى فيه ولا قوة قال زهير * من الظلمان جؤجؤه هواء * وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق (وانذر الناس) يا محمد (يوم يأتيهم العذاب) يعنى يوم القيامة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر (فيقول الذين ظلموا) بالشرك والتكذيب (ربنا اخرنا الى اجل قريب) اى اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر آجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك (نجب دعوتك ونتبع الرسل) جواب الامر ونظيره لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين (اولم تكونوا اقسمتم من قبل مالكم من زوال) على ارادة القول ومالكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون فى الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت (وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم) بالكفر والمعاصى كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى بفى كقر وغنى واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجرى مجراه كقولك سكنت الدار (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) بما تشاهدونه فى منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم (وضربنا لكم الامثال) من احوالهم اى بينا لكم انكم فى مثلهم الكفر واستحقاق العذاب

(ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم) من النعمة (فتمتعوا) باجتماعكم على عبادة الاصنام امر تهديد (فسوف تعلمون) عاقبة ذلك (ويجعلون) اى المشركون (لما لا يعلمون) انها تضر ولا تنفع وهى الاصنام (نصيبا مما رزقناهم) من الحرث والانعام بقولهم هذا لله وهذا لشركائنا (تالله لتسئلن) سؤال توبيخ وفيه التفات عن الغيبة (عما كنتم تفترون) على الله من أنه أمركم بذلك (ويجعلون لله البنات) بقولهم الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه له عما زعموا (ولهم ما يشتهون) اى البنون والجمله فى محل رفع أو نصب بجعل المعنى يجعلون له البنات التى يكرهونها وهو منزه عن الولد ويجعلون لهم الابناء الذين يختارونها فيختصون بالاسنى كقوله فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون (واذا بشر أحدهم بالانثى) تولد له (ظل) صار (وجهه مسودا) متغيرا تغير مغتم (وهو كظيم)

او صفات مافعلوا ومافعل بهم التى هى فى الغرابة كالامثال المضروبة (وقد مكروا مكرهم) المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل (وعند الله مكرهم) مكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه اوعنده مايمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالاله (وان كان مكرهم) فى العظم والشدة (لتزول منه الجبال) مسوى لازالة الجبال ومعدا لها وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ماهو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله تعالى وشرائعه وقرأ الكسائى لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام هى الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كى وقرئ وان كاد مكرهم (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلى واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثانى ايذانا بانه لايخلف الوعد اصلا لقوله ان الله لايخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا فكيف يخلف رسله (ان الله عزيز) غالب لايماكر قادر لايدفع (ذو انتقام) لاوليائه من اعدائه (يوم تبدل الارض غير الارض) بدل من يوم يأتيهم اوظرف للانتقام اومقدر باذكر اولا يخلف وعده ولايجوز ان ينتصب بمخلف لان ماقبل ان لايعمل فيما بعده (والسموات) عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون فى الذوات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفى الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والآية تحتملهما وعن على رضى الله تعالى عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس رضى الله تعالى عنهما يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هى تلك الارض وانما تغير صفاتها و يدل عليه مارواه ابو هريرة رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظى لاترى فيها عوجا ولاامتا واعلم انه لايلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولايبعد على الثانى ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على ماشعر به قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وقوله

ممتلئ غما فكيف تنسب البنات اليه تعالى (يتوارى) يختفى (من القوم) أى قومه (من سوء ما بشر به) خوفا من التعيير مترددا فيما يفعل به (أيمسكه) يتركه بلاقتل (على هون) هوان وذل (أم يدسه فى التراب) بان يئده (ألا ساء) بئس (مايحكمون) حكمهم هذا حيث نسبوا لخالقهم البنات اللاتى هى عندهم بهذا المحل (للذين لايؤمنون بالآخرة) أى الكفار (مثل السوء) أى الصفة السوأى بمعنى القبيحة وهى وأدهم البنات مع احتياجهم اليهن للنكاح (ولله المثل الاعلى) الصفة العليا وهو أنه لااله الاهو (وهو العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى خلقه (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) بالمعاصى (ماترك عليها) أى الارض (من دابة) نسمة تدب عليها (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لايستأخرون) عنه (ساعة ولايستقدمون) عليه (ويجعلون لله

مايكرهون) لانفسهم من البنات والشريك فى الرياسة واهانة الرسل (وتصف) تقول (ألسنتهم) مع ذلك (الكذب) وهو (أن لهم الحسنى) عندالله أى الجنة كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى قال تعالى (لاجرم) حقا (ان لهم النار وأنهم مفرطون) متروكون فيها أومقدمون اليها وفى قراءة بكسر الراء أى متجاوزون الحد (تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك) رسلا (فزين لهم الشيطان أعمالهم) السيئة فرأوها حسنة فكذبوا الرسل (فهو وليهم) متولى أمورهم (اليوم) أى فى الدنيا (ولهم عذاب أليم) مؤلم فى الآخرة وقيل المراد باليوم يوم القيامة على حكاية الحال الآتية أى لاولى لهم غيره وهو عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصرهم (وما انزلنا عليك) يامحمد (الكتاب) القرآن

ان كتاب الفجار لفى سجين (وبرزوا) من اجداثهم (لله الواحد القهار) لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر فى غاية الصعوبة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لايغالب فلامستغاث لاحد الى غيره ولامستجار (وترى المجرمين يومئذ مقرنين) قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم فى العقائد والاعمال كقوله تعالى واذا النفوس زوجت اوقرنوا مع الشياطين اومع مااكتسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة اوقرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على مااقترفته ايديهم وارجلهم (فى الاصفاد) متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة ابن جندل* وزيد الخيل قد لاقى صفادا *يعض بساعد وبعظم ساق * واصله الشد (سرابيلهم) قمصانهم (من قطران) وجاء قطران وقطران لغتين فيه وهو مايتحلب من الابهل فيطبخ فيهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص ليجتمع عليهم لدغ القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار فى جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الرديئة والهيئات الوحشية فتجلب اليها انواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب قطرآن والقطر النحاس اوالصفر المذاب والآنى المتناهى حره والجملة حال ثانية او حال من ضمير مقرنين (وتغشى وجوههم النار) وتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا فى تدبره مشاعرهم وحواسهم التى خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله تعالى يوم يسحبون فى النار على وجوههم (ليجزى الله كل نفس) اى يفعل بهم ذلك ليجزى كل نفس مجرمة (ما كسبت) اوكل نفس من مجرمة اومطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام بيرزوا (ان الله سريع الحساب) لانه لايشغله حساب عن حساب (هذا) اشارة الى القرآن او السورة اومافيه من العظة والتذكير اوماوصفه من قوله ولاتحسبن الله (بلاغ للناس) كفاية لهم فى الموعظة (ولينذروا به) عطف

عـلى محذوف اى لينصحوا ولينذروا بهـذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ و يجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل اوتلى وقرئ بفتح اليـاء من نذر به اذا علمه واستعدله (وليعلموا انما هو اله واحد) بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليه او المنبهة على مايدل عليه (وليذكر اولوا الالباب) فيرتدعوا عما يرديهم و يتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه وتعالى ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد التى هى الغاية والحكمة فى انزال الكتب تكميـل الرسـل للنـاس واستكمـال القوة النظرية التى منتهى كمالهـا التوحيـد واستصلاح القوة العمليـة الذى هو التدرع بلبـاس التقوى جعلنـا الله من الفـائزين بهما وعن النبى صـلى الله تعـالى عليه وسـلم من قرأ سورة ابراهيم اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

(سورة الحجر مكية وهى تسع وتسعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر تلك ايات الكتاب وقرآن مبين) الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم اى آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغى بيانا عربيـا (ربما يود الذين كفروا لوكانوا مسلمين) حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر اوحلول الموت او يوم القيامة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وفيها ثمان لغات ضم الراء وفتحه مع التشـديد والتخفيف و بتاء التأنيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل المـاضى لكن لما كان المترقب فى اخبـار الله تعالى كالماضى فى تحققه اجرى مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله * ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال * ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لوكانوا يودون الاسـلام مرة فبالحرى ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيـل تدهشهم اهوال القيـامة فان حانت منهم افاقة فى بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة فى حكاية ودادتهم كالغيبة فى قولك حلف بالله ليفعلن (ذرهم) دعهم (يأكلوا و يتمتعوا) بدنياهم (و يلههم الامل) و يشغلهم توقعهم لطول الاعمـار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقنـاط الرسول صلى الله تعالى عليه وسـلم من

(الا لتبين لهم) للنـاس (الذى اختلـفوا فيـه) من امر الدين (وهـدى) عطف عـلى لتبين (ورحمة لقوم يؤمنون) به (والله أنزل من السماء ماء فاحيى به الارض) بالنبـات (بعـد موتها) يبسها (ان فى ذلك) المـذكور (لآية) دالة عـلى البعث (لقـوم يسمعـون) سمـاع تدبر (وان لـكم فى الانعـام لعبرة) اعتبـارا (نسقيكم) بيان للعـبرة (مما فى بطونه) أى الانعـام (من) للابتداء متعلقة بنسـقيكم (بين فرث) ثفـل الكرش (ودم لبنـا خالصا) لايشـوبه شئ من الفرث والدم من طعم اوريح اولون وهو بينهما (سائغا للشـاربين) سـهل المرور فى حلقـهم لايغص به (ومن ثمرات النخيل والاعناب) ثمر (تتخـذون منـه سـكرا) خمرا يسـكر سميت بالمصدر وهذا قبل تحريمها (ورزقا حسنـا) كالتمر والزبيب والخـل والدبس (ان فى ذلك) المذكـور (لآية

ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بمالاطائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم ومايؤدى اليه طول الامل (وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم) اجل مقدر كتب فى اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لاتدخلها الواو كقوله الا لها منذرون ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تأكيدا للصوقها بالموصوف (ماتسبق من امة اجلها ومايستأخرون) اى ومايستأخرون عنه وتذكير ضمير امة فيه للحمل على المعنى (وقالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر) نادوا به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على التهكم الا ترى الى ماناد وه له وهو قولهم (انك لمجنون) ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حتى تدعى ان الله تعالى نزل عليك الذكر اى القرآن (لوماتأتينا) ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشئ لوجود غيره والتحضيض (بالملائكة) ليصدقون ويعضدون على الدعوة كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا اوللعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة قبل (ان كنت من الصادقين) فى دعواك (ماينزل الملائكة) بالياء مسندا الى ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل (الا بالحق) الا تنزيلا ملتبسا بالحق اى بالوجه الذى قدره واقتضته حكمته ولا حكمة فى ان تأتيكم بصور تشاهدونها فانه لايزيدكم الا لبسا ولا فى معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحى اوالعذاب (وما كانوا اذا منظرين) اذا جواب لهم وجزاء الشرط مقدر اى ولو نزلنا الملائكة ماكانوا منظرين (انا نحن نزلنا الذكر) رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره بقوله (وانا له لحافظون) اى من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لايخفى تغيير نظمه على اهل اللسان اونفى تطرق الخلل اليه فى الدوام بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير فى له للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ولقد ارسلنا من قبلك فى شيع الاولين) فى فرقهم جمع شيعة وهى الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم

على قدرته تعالى (لقوم يعقلون) يتدبرون (وأوحى ربك الى النحل) وحى الهام (أن) مفسرة أومصدرية (اتخذى من الجبال بيوتا) تأوين اليها ومن الشجر) بيوتا (ومما يعرشون) اى الناس يبنون لك من الاماكن والا لم تأوى اليها (ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى) ادخلى (سبل ربك) طرقه فى طلب المرعى (ذللا) جمع ذلول حال من السبل اى مسخرة لك فلا تعسر عليك وان توعرت ولا تضلى على العود منها وان بعدت وقيل من الضمير فى اسلكى اى منقادة لما يراد منك (يخرج من بطونها شراب) هو العسل (مختلف الوانه فيه شفاء للناس) من الاوجاع قيل لبعضها كما دل عليه تنكير شفاء اولكلها بضميمته الى غيره أقول و بدونها بنيته وقد أمر به صلى الله عليه وسلم من استطلق عليه بطنه رواه الشيخان (ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) فى صنعه

﴿ وما ﴾

(وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) تأ يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما الحال لايدخل الامضارعا بمعناه اوماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية (كذلك نسلكه) ندخله (فى قلوب المجرمين) والسلك ادخال الشئ فى الشئ كالخيط فى المخيط والرمح فى المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على ان الله تعالى يوجد الباطل فى قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر فى قوله (لايؤمنون به) له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر فى قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا تلزم من تعاقب الضمائر توافقها فى المرجوع اليه ولا يتعين ان تكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان تكون حالا من المجرمين ولا ينافى كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه (وقد خلت سنة الاولين) اى سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر فى قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة (ولو فتحنا عليهم) على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون) يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون اوتصعد الملائكة وهم يشاهدونهم (لقالوا) من غلوهم فى العناد وتشكيكهم فى الحق (انما سكرت ابصارنا) سدت عن الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف اوحيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت (بل نحن قوم مسحورون) قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفى كلمتى الحصر والاضراب دلالة على البت بان مايرونه لاحقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر (ولقد جعلنا فى السماء بروجا) اثنى عشر مختلفة الهيئات والخواص على مادل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء (وزيناها بالاشكال والهيئات البهية (للناظرين) المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها (وحفظناها من كل شيطان رجيم) فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف فى امرها ويطلع على احوالها (الامن استرق السمع) بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات بما بينهم من المناسبة فى الجواهر اوبالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انهم كانوا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى

تعالى (والله خلقكم) ولم تكونوا شيأ (ثم يتوفاكم) عند انقضاء آجالكم (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أى أخسه من الهرم والخرف (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) قال عكرمة من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة (ان الله عليم) بتدبير خلقه (قدير) على ما يريده (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) فمنكم غنى وفقير ومالك ومملوك (فما الذين فضلوا) أى الموالى (برادى رزقهم على ماملكت أيمانهم) اى بجاعلى مارزقناهم من الاموال وغيرها شركة بينهم وبين مماليكهم (فهم) أى المماليك والموالى (فيه سواء) شركاء المعنى ليس لهم شركاء من مماليكهم فى اموالهم فكيف يجعلون بعض مماليك الله شركاء له (أفبنعمة الله يجحدون) يكفرون حيث يجعلون له شركاء (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) فخلق حواء من ضلع آدم وسائر النساء من نطف الرجال والنساء (وجعل لكم من أزواجكم بنين

وحفدة) أولادا لاولاد (ورزقكم من الطيبات) من أنواع الثمار والحبوب والحيوان (أفبالباطل) الصنم (يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون) باشراكهم (ويعبدون من دون الله) أى غيره (مالا يملك لهم رزقا من السموات) بالمطر (والارض) بالنبات (شيئا) بدل من رزقا (ولا يستطيعون) يقدرون على شئ وهو الاصنام (فلا تضربوا لله الامثال) لاتجعلوا لله أشباها تشركوهم به (ان الله يعلم) أن لامثل له (وأنتم لاتعلمون) ذلك (ضرب الله مثلا) ويبدل منه (عبدا مملوكا) صفة تميزه من الحر فانه عبدالله (لايقدر على شئ) لعدم ملكه (ومن) نكرة موصوفة أى حرا (رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا) أى يتصرف فيه كيف يشاء والاول مثل الاصنام والثانى مثله تعالى (هل يستوون) أى العبيد العجزة والحر المتصرف لا (الحمد لله) وحده (بل أكثرهم) أى أهل

عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن من استرق السمع (فاتبعه) فتبعه ولحقه (شهاب مبين) ظاهر للبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق (والارض مددناها) بسطناها (والقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت (وانبتنا فيها) فى الارض اوفيها وفى الجبال (من كل شئ موزون) مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون اومايوزن ويقدر اوله وزن فى ابواب النعمة والمنفعة (وجعلنا لكم فيها معايش) تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمزة على التشبيه بشمائل (ومن لستم له برازقين) عطف على معايش او على محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر مايظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الآية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء فى الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لايكون كذلك على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد فى الالوهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم فى ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ فى ذلك وقال (وان من شئ الا عندنا خزائنه) اى وما من شئ الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره اوشبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التى لايحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد (وماننزله) من بقاع القدرة (الابقدر معلوم) حده الحكمة وتعلقت به المشيئة فان تخصيص بعضها بالايجاد فى بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لابدله من مخصص حكيم (وارسلنا الرياح لواقح) حوامل شبه الريح التى جائت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه مالايكون كذلك بالعقيم اوملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات فى قوله ❊ ومختبط مما تطيح الطوائح ❊ وقرئ وارسلنا الريح على تأويل الجنس (فانزلنا من السماء ماء) بقدر (فاسقيناكموه) فجعلناه لكم سقيا (وماانتم له بخازنين) قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ماأثبته لنفسه اوحافظين فى الغدران والعيون والآبار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما تدل حركة الهواء فى بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه

ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضى الغور فوقوفه دون حده لابدله من مخصص (وانا لنحن نحيى) بايجاد الحياة فى بعض الاجسام القابلة لها (ونميت) بازالتها وقد اول الحياة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر (ونحن الوارثون) الباقون اذا مات الخلائق كلها (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر اومن خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد اومن تقدم فى الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة اوتأخر لايخفى علينا شئ من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعدالاحتجاج على كمال قدرته فان مايدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الصف الاول فازد حموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلى خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت (وان ربك هو يحشرهم) لامحالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولى بحشرهم لاغير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله (انه حكيم) باهر الحكمة متقن فى افعاله (عليم) وسع علمه كل شئ (ولقد خلقنا الانسان من صلصال) طين يابس يصلصل اى يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل (من حمأ) طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اى كائن من حمأ (مسنون) مصور من سنة الوجه اومصبوب لييبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب فى القوالب من السن وهو الصب كأنه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه اومنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته فان مايسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا (والجان) اباالجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره قوله (خلقناه من قبل) خلق الانسان (من نار السموم) من نار الحر الشديد النافذ فى المسام ولايمتنع خلق الحياة فى الاجرام البسيطة كما لايمتنع خلقها فى الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التى الغالب فيها الجزء

مكة (لا يعلمون) ما يصيرون اليه من العذاب فيشركون (وضرب الله مثلا) ويبدل منه (رجلين احدهما ابكم) ولد أخرس (لايقدر على شئ) لانه لايفهم ولا يفهم (وهو كل) ثقيل (على مولاه) ولى أمره (أينما يوجهه) يصرفه (لايأت منه (بخير) بنجح وهذا مثل الكافر (هل يستوى هو) الابكم المذكور (ومن يأمر بالعدل) اى ومن هو ناطق نافع للناس حيث يأمر به ويحث عليه (وهو على صراط) طريق (مستقيم) وهو الثانى المؤمن لا وقيل هذا مثل الله والابكم للاصنام والذين قبله فى الكافر والمؤمن (ولله غيب السموات والارض) اى علم ما غاب فيهما (وما امر الساعة الا كلمح البصر أوهو أقرب) منه لانه بلفظ كن فيكون (ان الله على كل شئ قدير والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا) الجملة حال (وجعل لكم السمع) بمعنى الاسماع (والابصار والافئدة)

القلوب (لعلكم تشكرون) ه على ذلك فتؤمنون (ألم يروا الى الطير مسخرات) مذللات للطيران (فى جو السماء) اى الهواء بين السماء والارض (ما يمسكهن) عند قبض أجنحتهن وبسطها أن يقعن (الا الله) بقدرته (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) هى خلقها بحيث يمكنها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) موضعا تسكنون فيه (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) كالخباتا والقباب (تستخفونها) للحمل (يوم ظعنكم) سفركم (ويوم اقامتكم ومن أصوافها) أى الغنم (وأوبارها) أى الابل (وأشعارها) أى المعز (أثاثا) متاعا لبيوتكم كبسط وأكسية (ومتاعا) تتمتعون به (الى حين) يبلى فيه (والله جعل لكم مما خلق) من البيوت والشجر والغمام (ظلالا) جمع ظل تقيكم حر الشمس (وجعل لكم من الجبال أكنانا) جمع كن وهو ما يسكن فيه كالغار والسرب

النارى فانها اقبل لهما من التى الغالب فيها الجزء الارضى وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التى يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء (واذقال ربك) واذكروقت قوله (للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأمسنون فاذا سويته) عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه (ونفخت فيه من روحى) حتى جرى آثاره فى تجاويف اعضائه فحيى واصل النفخ اجراء الريح فى تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسرى حاملا لها فى تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه كما مر فى سورة النساء (فقعوا له) فاسقطوا له (ساجدين) امر من وقع يقع (فسجد الملائكة كلهم اجمعون) اكد بتأكيدين للمبالغة فى التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثانى حالا لاتأكيدا (الا ابليس) ان جعل منقطعا اتصل به قوله (ابى ان يكون مع الساجدين) اى لكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان استئنافا على انه جواب سائل قال هلا سجد (قال ياابليس مالك ان لا تكون) اى عرض لك فى ان لاتكون (مع الساجدين) لآدم (قال لم اكن لأسجد) اللام لتأكيد النفى اى لايصح منى وينافى حالى ان اسجد (لبشر) جسمانى كثيف وانا ملك روحانى (خلقته من صلصال من حمأمسنون) وهو اخس العناصر وخلقتنى من نار وهو اشرفها استنقص آدم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه فى سورة الاعراف (قال فاخرج منها) من السماء او الجنة اوزمر الملائكة (فانك رجيم) مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر اوشيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته (وان عليك اللعنة) هذا الطرد والابعاد (الى يوم الدين) فانه منتهى امدا للعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وما فى قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى اخر ينسى عنده هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضر بها الناس اولانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل (قال رب فانظرنى)

فاخرنى والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم (الى يوم يبعثون) اراد ان يجد فسحة فى الاغواء ونجاة عن الموت اذلاموت بعدوقت البعث فاجابه الى الاول دون الثانى (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) المسمى فيه اجلك عندالله اوانقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور و يجوز ان يراد بالايام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لماعرفته وثانيا بيوم البعث اذبه يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه فى الكلامين ولايلزم من ذلك ان لايموت فلعله يموت اول اليوم و يبعث الخلائق فى تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على علو منصب ابليس لان خطاب الله تعالى له على سبيل الاهانة والاذلال (قال رب بما اغويتنى) الباء للقسم وما مصدرية وجوابه (لأزينن لهم فى الارض) والمعنى اقسم باغوائك اياى لأزينن لهم المعاصى فى الدنيا التى هى دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفى انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغى او التسبب له بامره اياه بالسجود لآدم عليه السلام او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله تعالى له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له على اغواء بنى آدم بان الله تعالى علم منه اوممن تبعه انهم يموتون على الكفر و يصيرون الى النار امهل اولم يمهل وان فى امهاله تعريضا بمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لايخفى على ذوى الالباب (ولأغوينهم اجمعين) ولاحملنهم اجمعين على الغواية (الا عبادك منهم المخلصين) اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدى وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر فى كل القرآن اى الذين اخلصوا نفسهم لله (قال هذا صراط على) حق على ان اراعيه (مستقيم) لانحراف عنه والاشارة الى تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه اوالاخلاص على معنى انه طريق على يؤدى الى الوصول الى من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم اوتكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس

(وجعل لكم سرابيل) قمصا (تقيكم الحر) أى والبرد (وسرابيل تقيكم بأسكم) حربكم أى الطعن والضرب فيها كالدروع والجواشن (كذلك) كما خلق هذه الاشياء (يتم نعمته) فى الدنيا (عليكم بخلق ما تحتاجون اليه (لعلكم) يا أهل مكة (تسلمون توحدونه (فان تولوا) أعرضوا عن الاسلام (فانما عليك) يا محمد (البلاغ المبين) الابلاغ البين وهذا قبل الامر بالقتال (يعرفون نعمت الله) اى يقرون بانها من عنده (ثم ينكرونها) باشراكهم (واكثرهم الكافرون و) اذكر (يوم نبعث من كل امة شهيدا) هو نبيها يشهد لها وعليها وهو يوم القيمة (ثم لا يؤذن للذين كفروا) فى الاعتذار (ولا هم يستعتبون) لا يطلب منهم العتبى أى الرجوع الى ما يرضى الله (واذا رأى الذين ظلموا) كفروا (العذاب) النار (فلا يخفف عنهم) العذاب (ولاهم ينظرون) يمهلون عنه اذا رأوه (واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم) من الشياطين

يخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقى لافضائه الى تناقض الاستثناءين (وان جهنم لموعدهم) لموعد الغاوين او المتبعين (اجمعين) تأكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لايعمل (لها سبعة ابواب) يدخلون فيها لكثرتهم اوطبقات ينزلونها بحسب مراتبهم فى المتابعة وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار جميع المهلكات فى الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية اولان اهلها سبع فرق (لكل باب منهم) من الاتباع (جزء مقسوم) افرزله فاعلاها للموحدين العصاة والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ ابو بكر جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاى ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من المستكن فى الظرف لافى مقسوم لان الصفة لاتعمل فيما تقدم موصوفها (ان المتقين) من اتباعه فى الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة (فى جنات وعيون) لكل واحد جنة وعين اولكل عدة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية وقرأ نافع وحفص وابو عمرو وهشام وعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين (ادخلوها) على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين (بسلام) سالمين او مسلما عليكم (آمنين) من الآفات والزوال (ونزعنا) فى الدنيا بما الف بين قلوبهم اوفى الجنة بتطييب نفوسهم (مافى صدورهم من غل) من حقد كان فى الدنيا وعن على رضى الله تعالى عنه ارجوان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم اومن التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب (اخوانا) حال من ضمير فى جنات اوفاعل ادخلوها اوالضمير فى آمنين اوالضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله (على سرر متقابلين) ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا اوحالين من ضميره لانه بمعنى متصافين

وغيرها (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو) نعبدهم (من دونك فالقوا اليهم القول) اى قالوا لهم (انكم لكاذبون) فى قولكم انكم عبدتمونا كما فى آية اخرى ماكانوا ايانا يعبدون سيكفرون بعبادتهم (والقوا الى الله يومئذ السلم) استسلموا لحكمته (وضل) غاب (عنهم ماكانوا يفترون) من ان آلهتهم تشفع لهم (الذين كفروا وصدوا) الناس (عن سبيل الله) دينه (زدناهم عذابا فوق العذاب) الذى استحقوه بكفرهم قال ابن مسعود عقارب انيابها كالنخل الطوال (بما كانوا يفسدون) بصدهم الناس عن الايمان (و) اذكر (يوم نبعث فى كل امة شهيدا عليهم من انفسهم) هو نبيهم (وجئنا بك) يامحمد (شهيدا على هؤلاء) اى قومك (ونزلنا عليك الكتاب) القرآن (تبيانا) بيانا (لكل شئ) يحتاج اليه الناس من امر الشريعة (وهدى) من الضلالة (ورحمة وبشرى) بالجنة (للمسلمين) الموحدين (ان الله يأمر بالعدل)

وان يكون متقابلين حالا من المستترفى على سرر (لايمسهم فيها نصب) استئناف اوحال بعد حال من الضميرفى متقابلين (وماهم منها بمخرجين) فان تمام النعمة بالخلود (نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم) فذلكة ماسبق من الوعد والوعيد وتقريرله وفى ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقى الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفى توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده وفى عطف (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) على نبئ عبادى تحقيق لهما بما يعتبرون به (اذدخلوا عليه فقالوا سلاما) اى نسلم عليك سلاما اوسلمنا سلاما (قال انا منكم وجلون) خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغيروقت اولانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ماتكره (قالوا لاتوجل) وقرئ لاتاجل ولاتوجل من اوجله ولاتواجل من واجله بمعنى اوجله (انا نبشرك) استئناف فى معنى التعليل للنهى عن الوجل فان المبشر لايخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر (بغلام) هو اسحق عليه السلام لقوله فبشرناها باسحق (عليم) اذابلغ (قال ابشرتمونى على ان مسنى الكبر) تعجب من ان يولد له مع مس الكبراياه اوانكار لان يبشربه فى مثل هذه الحالة وكذلك قوله (فبم تبشرون) اى فبأى اعجوبة تبشرونى اى فباى شئ تبشرونى فان البشارة بمالايتصوروقوعه عادة بشارة بغيرشئ وقرأابن كثير بكسر النون مشددة فى كل القرآن على ادغام نون الجمع فى نون الوقاية وقرأ نافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء (قالوا بشرناك بالحق) بمايكون لامحالة اوباليقين الذى لالبس فيه اوبطريقة هى حق وهو قول الله تعالى وامره (فلا تكن من القانطين) من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادرعلى ان يخلق بشرا من غيرابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجال ابراهيم صلوات الله عليه باعتبار العادة دون المقدرة ولذلك (قال ومن يقنط من رحمة ربه الاالضالون) اى المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائى يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح (قال فما خطبكم ايها المرسلون) اى فما شأنكم الذى ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا

التوحيد أو الانصاف (والاحسان) أداء الفرائض أوان تعبدالله كأنك تراه كما فى الحديث (وايتاء) اعطاء (ذى القربى) القرابة خصه بالذكر اهتماما به (وينهى عن الفحشاء) الزنا (والمنكر) شرعا من الكفر والمعاصى (والبغى) الظلم للناس خصه بالذكر اهتماما كما بدأ بالفحشاء كذلك (يعظكم) بالامر والنهى (لعلكم تذكرون) تتعظون وفيه ادغام التاء فى الاصل فى الذال وفى المستدرك عن ابن مسعود وهذه اجمع آية فى القرآن للخير والشر (واوفوا بعهد الله) من البيع والايمان وغيرها (اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها) توثيقها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) بالوفاء حيث حلفتم به والجملة حال (ان الله يعلم ما تفعلون) تهديد لهم (ولاتكونوا كالتى نقضت) افسدت (غزلها) ما غزلته (من بعد قوة) احكام له وبرم (انكاثا) حال جمع نكث وهو ماينكث اى يحل احكامه وهى امرأة حمقاء مكية

والبشارة لاتحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد فى بشارة زكريا ومريم عليهما السلام اولانهم بشروه فى تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدأوا بها (قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين) يعنى قوم لوط (الا آل لوط) ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير فى مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منه لنهلك المجرمين وننجى آل لوط ويدل عليه قوله (انا لمنجوهم اجمعين) اى مما نعذب به القوم وهو استئناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله (الا امرأته) استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لايكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائى لمنجوهم مخففا (قدرنا انها لمن الغابرين) الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابو بكر عن عاصم قدرنا ههنا وفى النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجرى مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشئ على مقدار غيره واسنادهم اياه انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص به (فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون) تنكركم نفسى وتنفر عنكم مخافة ان تطرقونى بشر (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) اى ماجئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفى لك من عدوك وهو العذاب الذى توعدتهم به فيمترون فيه (وأتيناك بالحق) باليقين من عذابهم (وانا لصادقون) فيما اخبرناك به (فأسر باهلك) فاذهب بهم فى الليل وقرأ الحجاز يان بوصل الهمزة من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير (بقطع من الليل) فى طائفة من الليل وقيل فى آخره قال * افتحى الباب وانظرى فى النجوم * كم علينا من قطع ليل بهيم (واتبع ادبارهم) وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم (ولا يلتفت منكم احد) لينظر ماوراءه فيرى من الهول مالا يطيقه اوفيصيبه ما اصابهم اوولا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة (وامضوا حيث تؤمرون) الى حيث امركم الله بالمضى اليه وهو الشام

كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه (تتخذون) حال من ضمير تكونوا اى لاتكونوا مثلها فى اتخاذكم (أيمانكم دخلا) هو مايدخل فى الشئ وليس منه اى فساد اوخديعة (بينكم) بأن تنقضوها (أن) اى لأن (تكون امة) جماعة (هى أربى) اكثر (من أمة) وكانوا يحالفون الحلفاء فاذا وجدوا أكثر منهم وأعز نقضوا حلف اولئك وحالفوهم (انما يبلوكم) يختبركم (الله به) اى بما أمر به من الوفاء بالعهد لينظر المطيع منكم والعاصى أو بكون أمة أربى لينظر أتفون أم لا (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) فى الدنيا من أمر العهد وغيره بأن يعذب الناكث ويثيب الوافى (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) أهل دين واحد (ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسئلن) يوم القيامة سؤال تبكيت (عما كنتم تعملون) لتجازوا عليه (ولاتتخذوا أيمانكم

اومصر فدى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع (وقضينا اليه) اى اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدى بالى (ذلك الامر) مبهم يفسره (ان دابر هؤلاء مقطوع) ومحله النصب على البدل منه وفى ذلك تفخيم الامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لايبقى منهم احد (مصبحين) داخلين فى الصبح وهو حال من هؤلاء اومن الضمير فى مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء فى معنى مدبرى هؤلاء (وجاء اهل المدينة) سدوم (يستبشرون) باضياف لوط طمعا فيهم (قال ان هؤلاء ضيفى فلاتفضحون) بفضيحة ضيفى فان من اسيئ الى ضيفه فقداسيئ اليه (واتقوا الله) فى ركوب الفاحشة (ولاتخزون) ولاتذلون بسببهم من الخزى وهو الهوان اوولاتخجلون فيهم من الخزاية وهوالحياء (قالوا اولم ننهك عن العالمين) عن ان تجير منهم احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه اوعن ضيافة الناس وانزالهم (قال هؤلاء بناتى) يعنى نساء القوم فان نبى كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت فى سورة هود (ان كنتم فاعلين) قضاء الوطر اوما اقول لكم (لعمرك) قسم بحياة المخاطب وهو النبى عليه الصلاة والسلام وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمى وهو لغة فى العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على لسنتهم (انهم لفى سكرتهم) لفى غوايتهم اوشدة غلمتهم التى ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب الذى يشار به اليهم (يعمهون) يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض (فاخذتهم الصيحة) يعنى صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل (مشرقين) داخلين فى وقت شروق الشمس (فجعلنا عاليها) عالى المدينة اوعالى قراهم (سافلها) فصارت منقلبة بهم (وامطرنا عليهم حجارة من سجيل) من طين متحجر اوطين عليه كتاب من السجل وقدتقدم مزيد بيان لهذه القصة فى سورة هود (ان فى ذلك لآيات للمتوسمين) المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون فى نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشئ بسمته (وانها) وان المدينة او القرى (لبسبيل مقيم) ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها (ان فى ذلك لآية للمؤمنين) بالله ورسله (وان كان اصحاب الايكة لظالمين)

دخلا بينكم) كرره تأكيدا (فتزل قدم) اى أقدامكم عن محجة الاسلام (بعد ثبوتها) استقامتها عليها (وتذوقوا السوء) اى العذاب (بما صددتم عن سبيل الله) اى بصدكم عن الوفاء بالعهد أو بصدكم غيركم عنه لانه يستن بكم (ولكم عذاب عظيم) فى الآخرة (ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) عن الدنيا بان تنقضوه لاجله (انما عند الله) من الثواب (هو خير لكم) مما فى الدنيا (ان كنتم تعلمون) ذلك فلا تنقضوا (ما عندكم) من الدنيا (ينفد) يفنى (وما عند الله باق ولنجزين) بالياء والنون (الذين صبروا) على الوفاء بالعهود (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) احسن بمعنى حسن (من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) قيل هى حياة الجنة وقيل فى الدنيا بالقناعة أو الرزق الحلال (ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون فاذا قرأت القرآن) اى أردت قراءته (فاستعذ

بالله من الشيطان الرجيم) اى قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (انه ليس له سلطان) تسلط (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه) بطاعته (والذين هم به) اى الله (مشركون واذا بدلنا آية مكان آية) بنسخها وانزال غيرها لمصلحة العباد (والله أعلم بما ينزل قالوا) اى الكفار للنبى صلى الله عليه وسلم (انما أنت مفتر) كذاب تقوله من عندك (بل اكثرهم لا يعلمون) حقيقة القرآن وفائدة النسخ (قل) لهم (نزله روح القدس) جبريل (من ربك بالحق) متعلق بنزل (ليثبت الذين آمنوا) بايمانهم به (وهدى وبشرى للمسلمين ولقد) للتحقيق (نعلم أنهم يقولون انما يعلمه) القرآن (بشر) وهو قين نصرانى كان النبى صلى الله عليه وسلم يدخل عليه قال تعالى (لسان) لغة (الذى يلحدون) يميلون (اليه) أنه يعلمه (أعجمى وهذا) القرآن (لسان عربى مبين)

هم قوم شعيب عليه السلام كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة (فانتقمنا منهم) بالاهلاك (وانهما) يعنى سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبئا عن الآخر (لبامام مبين) لبطريق واضح والامام اسم مايؤتم به فسمى به اللوح ومطمر البناء لانهما ممايؤتم به (ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين) يعنى ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يكون المراد بالمرسلين صالح ومن معه من المؤمنين والحجر وادبين المدينة والشام يسكنونها (وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين) يعنى آيات الكتاب المنزل على نبيهم اومعجزاته كالناقة وسقيها وشربها ودرها اوما نصب لهم من الادلة (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لو ثاقتها اومن العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه (فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) الا خلقا ملتبسا بالحق لايلائم استمرار الفساد ودوام الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض (وان الساعة لآتية) فينتقم الله لك فيها من كذبك (فاصفح الصفح الجميل) ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف (ان ربك هو الخلاق) الذى خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم (العليم) بحالك وبحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم اوهو الذى خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفى مصحف عثمان وابى رضى الله عنهما هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير (ولقد آتيناك سبعا) سبع آيات وهى الفاتحة وقيل سبع سور وهى الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما فى حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس اوالحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهى الاسباع (من المثانى) بيان للسبع والمثانى من التثنية اوالثناء فان كل ذلك مثنى يكرر قراءته والفاظه اوقصصه ومواعظه اومثنى عليه بالبلاغة والاعجاز اومثن على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثانى القرآن اوكتب الله كلها فتكون

من للتبعيض (والقرآن العظيم) ان اريد بالسبع الآيات او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الآخر (لا تمدن عينيك) لا تطمح ببصرك طموح راغب (الى ما متعنا به ازواجا منهم) اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وعن ابى بكر من اوتى القرآن فرأى ان احدا اوتى من الدنيا افضل مما اوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروى انه عليه الصلاة والسلام وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بنى قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها فى سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات هى خير من هذه القوافل السبع (ولا تحزن عليهم) انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون به (واخفض جناحك للمؤمنين) وتواضع لهم وارفق بهم (وقل انى انا النذير المبين) انذركم ببيان و برهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا (كما انزلنا على المقتسمين) مثل العذاب الذى انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فاهلكهم الله تعالى يوم بدر اوالرهط الذين اقتسموا اى تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه قوله ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل و بعضه باطل مخالف لهما اوقسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين اواهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن مايقرؤنه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله لاتمدن الخ اعتراضا بمدالها (الذين جعلوا القرآن عضين) اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفى الحديث لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العاضهة والمستعضهة وقيل اسحارا وعن عكرمة العضه السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين اومبتدأ خبره (فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون) من التقسيم او النسبة

ذو بيان وفصاحة فكيف يعلمه أعجمى (ان الذين لايؤمنون بآيات الله لايهديهم الله ولهم عذاب أليم) مؤلم (انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله) القرآن بقولهم هذا من قول البشر (وأولئك هم الكاذبون) والتأكيد بالتكرار وان غيرهما رد لقولهم انما أنت مفتر (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره) على التلفظ بالكفر فتلفظ به (وقلبه مطمئن بالايمان) ومن مبتدأ أو شرطية والخبر او الجواب لهم وعيد شديد دل على هذا (ولكن من شرح بالكفر صدرا) له اى فتحه ووسعه بمعنى طابت به نفسه (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك) الوعيد لهم (بانهم استحبوا الحياة الدنيا) اختاروها (على الآخرة وأن الله لايهدى القوم الكافرين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وأولئك هم الغافلون) عما يراد بهم (لا جرم) حقا

الى السحر فيجازيهم عليه وقيل عام فى كل فعلوا من الكفر والمعاصى (فاصدع بما تؤمر) فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا اوفا فرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اى بما تؤمر به من الشرائع (واعرض عن المشركين) فلا تلتفت الى ما يقولون (انا كفيناك المستهزئين) بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدى ابن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون فى ايذاء النبى صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومأ الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات واومأ الى اخمص العاص فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف عدى بن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد غوث وهو قاعد فى اصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عينى الاسود بن المطلب فعمى (الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) عاقبة امرهم فى الدارين (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون) من الشرك والطعن فى القرآن والاستهزاء بك (فسبح بحمد ربك) فافزع الى الله تعالى فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك اونزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق (وكن من الساجدين) من المصلين وعنه عليه الصلاة والسلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) اى الموت فانه متيقن لحاقه كل حى مخلوق والمعنى فاعبده مادمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم

(سورة النحل مكية غير ثلاث آيات فى آخرها وهى مائة وثمان)
(وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اتى امر الله فلا تستعجلوه) كانوا يستعجلون ماوعدهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من قيام الساعة او اهلاك الله تعالى اياهم كما فعل يوم بدر

(انهم فى الآخرة هم الخاسرون) لمصيرهم الى النار المؤبدة عليهم (ثم ان ربك للذين هاجروا) الى المدينة (من بعدما فتنوا) عذبوا وتلفظوا بالكفر وفى قراءة بالبناء للفاعل اى كفروا أوفتنوا الناس عن الايمان (ثم جاهدوا وصبروا) على الطاعة (ان ربك من بعدها) اى الفتنة (لغفور) لهم (رحيم) بهم وخبر ان الاولى دل عليه خبر الثانية اذكر (يوم تأتى كل نفس تجادل) تحاج (عن نفسها) لايهمها غيرها وهو يوم القيامة (وتوفى كل نفس) جزاء (ماعملت وهم لايظلمون) شيئا (وضرب الله مثلا) ويبدل منه (قرية) هى مكة والمراد أهلها (كانت آمنة) من الغارات لاتهاج (مطمئنة) لايحتاج الى الانتقال عنها لضيق اوخوف (يأتيها رزقها رغدا) واسعا (من كل مكان فكفرت بانعم الله) بتكذيب النبى صلى الله عليه وسلم (فاذاقها الله لباس الجوع) فقحطوا سبع سنين (والخوف) بسرايا النبي صلي الله عليه وسلم

استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح مايقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا
منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتى المحقق من حيث
انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لاخير لكم فيه ولاخلاص لكم
عنه (سبحانه وتعالى عما يشركون) تبرأ وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما
اراد بهم وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على وفق قوله تعالى فلا تستعجلوه والباقون
بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روى انه
نزلت اتى امر الله فوثب النبى صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا
تستعجلوه (ينزل الملائكة بالروح) بالوحى او القرآن فانه يحيى به القلوب الميتة
بالجهل او يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى
الطريق الذى به علم الرسول ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم
اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وابو عمرو وينزل من انزل وعن يعقوب
مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرأ ابوبكر تنزل على المضارع المبنى للمفعول
من التنزيل (من امره) بامره ومن اجله (على من يشاء من عباده)
ان يتخذه رسولا (ان انذروا) بان انذروا اى اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته
(انه لااله الا انا فاتقون) ان الشأن لااله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر
والمعاصى بانه لااله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود
وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحى الدال على القول او مصدرية فى
موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة
والآية تدل على ان نزول الوحى بوساطة الملائكة وان حاصله التنبيه على
التوحيد الذى هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذى هو
اقصى كمالات القوة العملية وان النبوة عطائية والآيات التى بعدها دليل
وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه
على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع
(خلق السموات والارض بالحق) اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع
وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته (تعالى عما يشركون) منهما
او مما يفتقر فى وجوده او بقائه اليهما او مما لا يقدر على خلقهما وفيه دليل
على انه سبحانه وتعالى ليس من قبيل الاجرام (خلق الانسان من نطفة)
جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل (فاذا هو خصيم)
منطيق مناظر مجادل (مبين) للحجة اء خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيى

وسلم (بما كانوا يصنعون
ولقد جاءهم رسول منهم)
محمد صلى الله عليه وسلم
(فكذبوه فاخذهم العذاب)
الجوع والخوف (وهم
ظالمون فكلوا) أيها
المؤمنون (مما رزقكم الله
حلالا طيبا واشكروا نعمة
الله ان كنتم اياه تعبدون انما
حرم عليكم الميتة والدم ولحم
الخنزير وما اهل لغير الله به
فمن اضطر غير باغ ولا عاد
فان الله غفور رحيم ولا تقولوا
لما تصف ألسنتكم) أى
لوصف ألسنتكم (الكذب
هذا حلال وهذا حرام)
لما لم يحله الله ولم يحرمه
(لتفتروا على الله الكذب)
بنسبة ذلك اليه (ان الذين
يفترون على الله الكذب
لا يفلحون) لهم (متاع قليل)
فى الدنيا (ولهم) فى الآخرة
(عذاب أليم) مؤلم (وعلى
الذين هادوا) اى اليهود
(حرمنا ما قصصنا عليك
من قبل) فى آية وعلى الذين
هادوا حرمنا كل ذى ظفر
الى آخرها (وما ظلمناهم)
بتحريم ذلك (ولكن كانوا

أنفسهم يظلمون) بارتكاب المعاصى الموجبة لذلك (ثم ان ربك للذين عملوا السوء) الشرك (بجهالة ثم تابوا) رجعوا (من بعد ذلك وأصلحوا) عملهم (ان ربك من بعدها) اى الجهالة أو التوبة (لغفور) لهم (رحيم) بهم (ان ابراهيم كان أمة) اماما قدوة جامعا لخصال الخير (قانتا) مطيعا (لله حنيفا) مائلا الى الدين القيم (ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه) اصطفاه (وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه) فيه التفات عن الغيبة (فى الدنيا حسنة) هى الثناء الحسن فى كل أهل الاديان (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) الذين لهم الدرجات العلا (ثم اوحينا اليك) يا محمد (أن اتبع ملة) دين (ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) كرر ردا على زعم اليهود والنصارى أنهم على دينه (انما جعل السبت) فرض تعظيمه (على الذين اختلفوا فيه) على نبيهم وهم اليهود أمروا أن يتفرغوا

العظام وهى رميم روى ان ابى ابن خلف اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعظم رميم وقال يا محمد اترى ان الله تعالى يحيى هذا بعدما قد رم فنزلت (والانعام) والابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره (خلقها لكم) او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان لما خلق لاجله وما بعده تفصيل له (فيها دفء) ما يدفأ به فيقى البرد (ومنافع) نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها (ومنها تأكلون) اى تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآى اولان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه فى المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوى او التفكه (ولكم فيها جمال) زينة (حين تريحون) تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشى (وحين تسرحون) تخرجونها بالغداة الى المراعى فان الافنية تتزين بها فى الوقتين وتجل اهلها فى اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تأوى الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصفان له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه (وتحمل اثقالكم) احمالكم (الى بلد لم تكونوا بالغيه) ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا عن ان تحملوها على ظهوركم اليه (الا بشق الانفس) الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كأنه ذهب نصف قوته بالتعب (ان ربكم لرؤف رحيم) حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم (والخيل والبغال والحمير) عطف على الانعام (لتركبوها وزينة) اى لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هى معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها او مصدرا فى موضع الحال من احد الضميرين اى متزينين او متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه أن الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر (ويخلق ما لا تعلمون) لما فصل الحيوانات التى يحتاج اليها غالبا

احتياجا ضروريا اوغير ضرورى اجل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق مالا علم لنا به وان يراد به ماخلق فى الجنة والنار مما لايخطر على قلب بشر (وعلى الله قصد السبيل) بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق اواقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا اوعليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لامحالة يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كانه يقصد الوجه الذى يقصده السالك لايميل عنه والمراد من السبيل الجنس ولذلك اضاف اليه القصد وقال (ومنها جائر) مائل عن القصد اوعن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله تعالى ان يبين طريق الضلالة اولان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرىء ومنكم جائر اى عن القصد (ولوشاء لهداكم اجمعين) اى ولوشاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء (هو الذى انزل من السماء) من السحاب اومن جانب السماء (ماء لكم منه شراب) ماتشربونه ولكم صلة انزل اوخبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولابأس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه فى الارض (ومنه شجر) ومنه يكون شجر يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى وقيل كل ماينبت على الارض شجر قال الشاعر نعلفها اللحم اذا عز الشجر * والخيل فى اطعامها اللحم ضرر (فيه تسيمون) ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات (ينبت لكم به الزرع) وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم (والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) وبعض كلها اذلم ينبت فى الارض كل مايمكن من الثمار ولعل تقديم مايسام فيه على ماتؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا وهواشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها (ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) على وجود الصانع وحكمته فان من تأمل ان الحبة تقع فى الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجر وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم تنمو ويخرج منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطبائع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتأثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس

للعباد يوم الجمعة فقالوا لانريده واختاروا السبت فشدد عليهم فيه (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من أمره بأن يثيب الطائع ويعذب العاصى بانتهاك حرمته (ادع) الناس يامحمد (الى سبيل ربك) دينه (بالحكمة) بالقرآن (والموعظة الحسنة) مواعظه أو القول الرفيق (وجادلهم بالتى) اى بالمجادلة التى (هى أحسن) كالدعاء الى الله بآياته والدعاء الى حججه (ان ربك هو اعلم) اى عالم (بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) فيجازيهم وهذا قبل الامر بالقتال * ونزل لما قتل حمزة ومثل به فقال صلى الله عليه وسلم وقد رآه لامثلن بسبعين منهم مكانك (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم) عن الانتقام (لهو) اى الصبر (خير للصابرين) فكف صلى الله عليه وسلم وكفر عن يمينه رواه البزار (واصبر وماصبرك الا بالله) بتوفيقه (ولاتحزن عليهم) اى الكفار ان لم يؤمنوا لحرصك على ايمانهم (ولاتك فى ضيق

عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الآية به لذلك (وسخر لكم الليل
والنهار والشمس والقمر والنجوم) بان هيأ لمنافعكم (مسخرات بامره)
حال من الجميع اى نفعكم بها حال كونها مسخرات لله تعالى خلقها ودبرها
كيف شاء اولما خلقن له بايجاده وتقديره او بحكمه وفيه ايذان بالجواب
عما عسى ان يقال ان المؤثر فى تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها
فان ذلك ان سلم فلاريب فى انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة
على بعض الوجوه المحتملة فلابد لها من موجد مخصص مختار واجب
الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر ميمى جمع لاختلاف الانواع وقرأ
حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه
ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون)
جمع الآية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوى العقول
السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات (وماذرألكم فى الارض)
عطف على الليل اى وسخر لكم ماخلق لكم فيها من حيوان ونبات (مختلفا
الوانه) اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا (ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون)
ان اختلافها فى الطبائع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم
(وهو الذى سخر البحر) جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب
والاصطياد والغوص (لتأكلوا منه لحما طريا) هو السمك ووصفه بالطراوة
لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته
فى خلقه عذبا طريا فى ماء زعاق وتمسك به مالك والثورى على ان من حلف
ان لايأكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف
وهو لايفهم منه عند الاطلاق الاترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة ولايحنث
الحالف على ان لايركب دابة بركوبه (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها)
كاللؤلؤ والمرجان اى تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن
يتزين بها لاجلهم (وترى الفلك) السفن (مواخر فيه) جوارى فيه تشقه
بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جرى الفلك (ولتبتغوا من فضله)
من سعة رزقه بركوبها للتجارة (ولعلكم تشكرون) اى تعرفون نعم الله تعالى
فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى فى باب الانعام من حيث
انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش (والقى فى الارض رواسى)
جبالا رواسى (ان تميد بكم) كراهة ان تميل بكم وتضطرب وذلك لان الارض

عما يمكرون) اى لاتهتم بمكرهم
فانا ناصرك عليهم (ان الله
مع الذين اتقوا) الكفر و
المعاصى (والذين هم محسنون)
بالطاعة والصبر بالعون
والنصر

(سرة الاسراء مكية الا
وان كادوا ليفتنونك الآيات
الثمان مائة وعشر آيات أو
واحدى عشرة آية)*

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبحان) اى تنزيه
(الذى اسرى بعبده) محمد
صلى الله عليه وسلم (ليلا)
نصب على الظرف والاسراء
سير الليل وفائدة ذكره
الاشارة بتنكيره الى تقليل
مدته (من المسجد الحرام)
اى مكة (الى المسجد الاقصى)
بيت المقدس لبعده منه (الذى
باركنا حوله) بالثمار
والانهار (لنريه من آياتنا)
عجائب قدرتنا (انه هو
السميع البصير) اى العالم
باقوال النبى صلى الله عليه
وسلم وأفعاله فانعم عليه
بالاسراء المشتمل على اجتماعه
بالانبياء وعروجه الى السماء
ورؤية عجائب الملكوت
ومناجاته له تعالى فانه صلى

قبل ان يخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك اوان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التى تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ماهى بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال (وانهارا) وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه (وسبلا لعلكم تهتدون) لمقاصدكم اوالى معرفة الله سبحانه وتعالى (وعلامات) معالم تستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك (وبالنجم هم يهتدون) بالليل فى البرارى والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدى ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيرى الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء فى مسايرهم بالنجم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كأنه قيل وبالنجم هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم (افمن يخلق كمن لايخلق) انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد بخلق ماعدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته مالايقدر على خلق شئ من ذلك بل على ايجاد شئ ما وكان حق الكلام افمن لايخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله سبحانه وتعالى جعلوه من جنس المخلوقات العجزة بها والمراد بمن لايخلق كل ماعبد من دون الله سبحانه وتعالى مغلبا فيه اولوا العلم منهم او الاصنام واجراؤها مجرى اولى العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق اوللمبالغة فكأنه قيل ان من يخلق ليس كمن لايخلق من اولى العلم فكيف بمن لاعلم عنده (افلا تذكرون) فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذى يحضر عنده بادنى تذكر والتفات (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) اى لاتضبطوا عددها فضلا عن ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان وراء ماعدد نعما لاتنحصر وان حق عبادته غير مقدور (ان الله لغفور) حيث يتجاوز عن تقصيركم فى اداء شكرها (رحيم) لايقطعها لتفريطكم فيه ولايعاجلكم بالعقوبة على كفرانها (والله يعلم ماتسرون وماتعلنون)

الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته فسار بى حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التى تربط فيها الانبياء ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن قال جبريل أصبت الفطرة قال ثم عرج بى الى السماء الدنيا فاستفتح جبريل قيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال قد أرسل اليه ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بى الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت فقال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بابنى الخالة يحيى وعيسى فرحبا بى ودعوا الى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد أرسل اليه قال قد

من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم (والذين تدعون من دون الله) اى والآلهة الذين تعبدونهم من دون الله وقرأ ابوبكر يدعون بالياء وقرأ حفص ثلاثتها بالياء (لايخلقون شيئا) لمانفى المشاركة بين من يخلق ومن لايخلق بين انهم لايخلقون شيئا لينتج انهم لايشاركونه ثم اكدذلك بان اثبت لهم صفات تنافى الالوهية فقال (وهم يخلقون) لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغى ان يكون واجب الوجود (اموات) هم اموات لاتعتريهم الحياة او اموات حالا او مآلا (غيراحياء) بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغى ان يكون حيا بالذات لايعتريه الممات (ومايشعرون ايان يبعثون) ولايعلمون وقت بعثهم اوبعث عبدتهم فكيف يكون حالهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغى ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف (الهكم اله واحد) تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج (فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون) بيان لمااقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمنون بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها تكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم مالا يعرف الابالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافى النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هوالعمدة فى الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين (لاجرم) حقا (ان الله يعلم مايسرون ومايعلنون) فيجازيهم وهو فى موضع الرفع بجرم لانه مصدر اوفعل (انه لايحب المستكبرين) فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او اتباع رسوله (واذاقيل لهم ماذا انزل ربكم) القائل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم المسلمون (قالوا اساطير الاولين) اى ماتدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض اى على تقدير انه منزل فهو اساطير الاولين لاتحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون (ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة) اى قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالتهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم فى الضلال (ومن اوزار الذين يضلونهم) وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب (بغير علم) حال من المفعول اى يضلون من لايعلم انهم ضلال وفائدتها

أرسل اليه ففتح لنا فاذا أنا بيوسف واذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل فقيل من معك قال محمد فقيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بادريس فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت فقال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بهرون فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بموسى فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من انت فقال جبريل فقيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال وقدبعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بابراهيم

الدلالة على ان جهلهم لايعذرهم اذكان عليهم ان يخشوا ويميزوا بين الحق والمبطل (الاساء مايزرون) بئس شيئا يزرونه فعلهم (قدمكر الذين من قبلهم) اى سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله عليهم الصلاة والسلام (فأتى الله بنيانهم من القواعد) فأتاها امره من جهة العمد التى بنوا عليها بان ضعضعت (فخر عليهم السقف من فوقهم) وصار سبب هلاكهم (واتاهم العذاب من حيث لايشعرون) لايحتسبون ولايتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد امر السماء فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا (ثم يوم القيامة يخزيهم) يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله ربنا انك من تدخل النار فقداخزيته (ويقول اين شركائى) اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة فى توبيخهم قرأ البزى بخلاف عنه اين شركاى بغير الهمز والباقون بالهمز (الذين كنتم تشاقون فيهم) تعادون المؤمنين فى شأنهم قرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقوننى فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله عزوجل (قال الذين اوتوا العلم) اى الانبياء او العلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة (ان الخزى اليوم والسوء) الذلة والعذاب (على الكافرين) وفائدة قولهم اظهار الشماتة بهم وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا ووعظا لمن سمعه (الذين تتوفاهم الملائكة) وقرأ حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء فى التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة (ظالمى انفسهم) بان يكون عرضوها للعذاب المخلد (فألقوا السلم) فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت (ما كنا نعمل من سوء) قائلين ما كنا نعمل من سوء كفران وعدوان ويجوز ان يكون تفسير السلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام (بلى) اى فتجيبهم الملائكة بلى (ان الله عليم بما كنتم تعملون) فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فألقوا السلم الى آخر الآية استيناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن فى زعمنا واعتقادنا عاملين سوأ واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله او اولوا العلم (فادخلوا ابواب جهنم) كل صنف بابه المعدله وقيل ابواب جهنم اصناف عذابهم (خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين) جهنم (وقيل للذين اتقوا) يعنى المؤمنين

فاذا هو مستند الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لايعودون اليه ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى فاذا أوراقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر الله ماغشيها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع يصفها من حسنها قال فأوحى الله الى ما أوحى وفرض على فى كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت حتى انتهيت الى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة فى كل يوم وليلة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لاتطيق ذلك وانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربى فقلت اى رب خفف عن أمتى فحط عنى خمسا فرجعت الى موسى قال مافعلت فقلت قد حط عنى خمسا قال ان أمتك لاتطيق ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال فلم أزل أرجع بين ربى وبين موسى ويحط عنى خمسا خمسا حتى قال يامحمد هى

(ماذا انزل ربكم قالوا خيرا) اى انزل خيرا وفى نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا فى الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاذاجاء الوافد المقتسمين قالوا له ماقالوا واذاجاء المؤمنين قالوا له ذلك (للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة) مكافاة فى الدنيا (ولدار الآخرة خير) اى ولثوابهم فى الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخير على انه منتصب بقالوا (ولنعم دار المتقين) دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله (جنات عدن) خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح (يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها مايشاؤن) من انواع المشتهيات وفى تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لايجد جميع ما يريده الا فى الجنة (كذلك يجزى الله المتقين) مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصى لانه فى مقابلة ظالمى انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة اوطيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس (يقولون سلام عليكم) لايحيقكم بعد مكروه (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفى وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ (هل ينظرون) ماينتظر الكفار المار ذكرهم (الا ان تأتيهم الملائكة) لقبض ارواحهم وقرأ حمزة والكسائى بالياء (او يأتى امر ربك) القيامة او العذاب المستأصل (كذلك) مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب (فعل الذين من قبلهم) فاصابهم ما اصاب (وما ظلمهم الله) بتدميرهم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه (فاصابهم سيئات ما عملوا) اى جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزاء باسمها (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) واحاط بهم جزاؤه والحيق لايستعمل الا فى الشر (وقال الذين اشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شئ نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ) انما قالوا ذلك استهزاء اومنعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ماشاء الله يجب ومالم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما اوانكار القبح ما انكر عليهم من الشرك

خمس صلوات فى كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب فان عملها كتبت له سيئة واحدة فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك لاتطيق ذلك فقلت قد رجعت الى ربى حتى استحييت رواه الشيخان واللفظ لمسلم وروى الحاكم فى المستدرك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ربى عزوجل قال تعالى (وآتينا موسى الكتاب) التوراة (وجعلناه هدى لبنى اسرائيل) لـ(ان لاتتخذوا من دونى وكيلا) يفوضون اليه أمرهم وفى قراءة تتخذوا بالفوقانية التفاتا فأن زائدة والقول مضمريا (ذرية من حملنا مع نوح) فى السفينة (انه كان عبدا شكورا) كثير الشكر لنا حامدا فى جميع أحواله (وقضينا) أوحينا (الى بنى اسرائيل فى الكتاب) التوراة

وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لوكانت مستقبحة لما شاء الله
صدورها منهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم
يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب من الشبهتين
(كذلك فعل الذين من قبلهم) فاشركوا بالله وحرموا احله وردوا رسله
(فهل على الرسل الا البلاغ المبين) الا الابلاغ الموضح للحق وهو ان لم يؤثر
فى هدى من شاء الله هداه لكنه يؤدى اليه على سبيل التوسط وما شاء الله
وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة
امر جرت به السنة الالهية فى الامم كلها سببا لهدى من أراد اهتداءه وزيادة
الضلال لمن اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوى ويقويه
ويضر المنحرف ويفنيه بقوله تعالى (ولقد بعثنا فى كل امة رسولا
ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) يأمر بعبادة الله تعالى واجتناب
الطاغوت (فمنهم من هدى الله) وفقهم للايمان بارشادهم (ومنهم
من حقت عليه الضلالة) اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد
الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعل الله
تعالى وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به فى الآية
الاخرى (فسيروا فى الارض) يا معشر قريش (فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين) من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون (ان تحرص) يا محمد (على
هداهم فان الله لا يهدى من يضل) من يريد ضلاله وهو المعنى بمن حقت عليه
الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهدى من يضل على البناء للمفعول وهو ابلغ
(ومالهم من ناصرين) من ينصرهم بدفع العذاب عنهم (واقسموا بالله
جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت) عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا
بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة فى البت على
فساده ولقد رد الله تعالى عليه ابلغ رد فقال (بلى) يبعثهم (وعدا) مصدر
مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث موعد من الله تعالى (عليه)
انجازه لامتناع الخلف فى وعده اولان البعث مقتضى حكمته (حقا) صفة
اخرى للوعد (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه
من مواجب الحكمة التى جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم على
المألوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال (ليبين لهم)
اى يبعثهم ليبين لهم (الذى يختلفون فيه) وهو الحق (وليعلم الذين كفروا

(لتفسدون فى الارض)
أرض الشام بالمعاصى
(مرتين ولتعلن علوا كبيرا
تبغون بغيا عظيما (فاذا جاء
وعد أولاهما) أولى مرتى
الفساد (بعثنا عليكم عبادا
لنا أولى بأس شديد) أصحاب
قوة فى الحرب والبطش
(فجاسوا) ترددوا لطلبكم
(خلال الديار) وسط دياركم
ليقتلوكم ويسبوكم (وكان
وعدا مفعولا) وقد أفسدوا
الاولى بقتل زكريا فبعث
عليهم جالوت وجنوده
فقتلوهم وسبوا أولادهم
وخربوا بيت المقدس (ثم
رددنا لكم الكرة)
الدولة والغلبة (عليهم)
بعد مائة سنة بقتل جالوت
(وامددناكم بأموال وبنين
وجعلناكم أكثر نفيرا)
عشيرة وقلنا (ان أحسنتم)
بالطاعة (أحسنتم لانفسكم)
لان ثوابه لها (وان أسأتم)
بالفساد (فلها) اساءتكم
(فاذا جاء وعد) المرة
(الآخرة) بعثناهم (ليسوؤا
وجوهكم) يحزنوكم بالقتل
والسبى حزنا يظهر
فى وجوهكم (وليدخلوا

المسجد) بيت المقدس فيخربوه (كما دخلوه) وخربوه (اول مرة وليتبروا) يهلكوا (ما علوا) غلبوا عليه (تتبيرا) هلاكا وقد أفسدوا ثانيا بقتل يحيى فبعث عليهم بختنصر فقتل منهم ألوفا وسبى ذريتهم وخرب بيت المقدس وقلنا في الكتاب (عسى ربكم أن يرحمكم) بعد المرة الثانية ان تبتم (وان عدتم) الى الفساد (عدنا) الى العقوبة وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فسلط عليهم بقتل قريظة ونفي النضير وضرب الجزية عليهم (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) محبسا وسجنا (ان هذا القرآن يهدي للتي) أي للطريقة التي (هي أقوم) أعدل وأصوب (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم اجرا كبيرا و) يخبر (أن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا) أعددنا (لهم عذابا أليما) مؤلما هو النار (ويدع الانسان بالشر) على نفسه واهله

انهم كانوا كاذبين) فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو الميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال (انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي ههنا وفي يس فيكون عطفا على نقول او جوابا للامر (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا) هم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل رضي الله تعالى عنهم وقوله في الله اي في حقه ولوجهه (لنبوئنهم في الدنيا حسنة) مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة (ولاجر الآخرة اكبر) مما تعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة افضل (لو كانوا يعلمون) الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم اي للمهاجرين وقيل للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم (الذين صبروا) على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح (وعلى ربهم يتوكلون) منقطعين الى الله تعالى مفوضين اليه الامر كله (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم) رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليه على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فان شككتم فيه (فاسألوا اهل الذكر) اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم (ان كنتم لا تعلمون) وفي الآية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي انه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل عليه السلام على صورته

التى هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم
(بالبينات والزبر) اى ارسلناهم بالبينات والزبر اى المعجزات والكتب كانه
جواب قائل قال بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا فى الاستثناء
مع رجالا اى وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ماضربت الا زيدا
بالسوط اوصفة لهم اى رجالا ملتبسين بالبينات او بيوحى على المفعولية
اوالحال من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله فاسألوا اعتراض
او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام (وانزلنا اليك الذكر) اى
القرآن وانما سمى ذكرا لانه موعظة وتنبيه (لتبين للناس مانزل اليهم)
فى الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه اومما تشابه عليهم والتبيين
اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى مايدل عليه كالقياس ودليل العقل (ولعلهم
يتفكرون) وارادة ان يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق (افأمن الذين مكروا السيئات)
اى المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء او الذين مكروا برسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان (ان يخسف الله بهم
الارض) كما خسف بقارون (او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) بغتة من
جانب السماء كما فعل بقوم لوط (او يأخذهم فى تقلبهم) اى متقلبين فى مسائرهم
ومتاجرهم (فماهم بمعجزين او يأخذهم على تخوف) على مخافة بان يهلك
قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون او على ان ينقص شيئا بعد
شئ فى انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روى ان عمر
رضى الله تعالى عنه قال على المنبر ماتقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من
هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك
فى اشعارها قال نعم * قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته * تخوف الرحل
منها تامكا قردا * كما تخوف عود النبعة السفن * فقال عمر عليكم بديوانكم
لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم
(فان ربكم لرؤف رحيم) حيث لا يعاجلكم بالعقوبة (اولم يروا الى ماخلق الله من
شئ) استفهام انكار اى قد رأوا امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها
ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وماموصولة مبهمة بيانها (يتفيؤ ظلاله)
اى اولم ينظروا الى المخلوقات التى لها ظلال متفيئة وقرأ حمزة والكسائى تروا بالتاء
وابو عمرو تتفيأ بالتاء (عن اليمين والشمائل) عن ايمانها وعن شمائلها او عن جانبى

اذا ضجر (دعاءه) اى
كدعائه له (بالخير وكان
الانسان) الجنس (عجولا)
بالدعاء على نفسه وعدم
النظر فى عاقبته (وجعلنا
الليل والنهار آيتين) دالتين
على قدرتنا (فمحونا آية
الليل) طمسنا نورها
بالظلام لتسكنوا فيه
والاضافة للبيان (وجعلنا
آية النهار مبصرة) اى
مبصرا فيها بالضوء (لتبتغوا)
فيه (فضلا من ربكم)
بالكسب (ولتعلموا) بهما
(عدد السنين والحساب)
للاوقات (وكل شئ) يحتاج
اليه (فصلناه تفصيلا)
بيناه تبيينا (وكل انسان
الزمناه طائره) عمله يحمله
(فى عنقه) خص بالذكر
لان اللزوم فيه وقال مجاهد
مامن مولود يولد الا وفى عنقه
ورقة مكتوب فيها شقى
أو سعيد (ونخرج له
يوم القيامة كتابا) مكتوبا
فيه عمله (يلقاه منشورا)
صفتان لكتابا ويقال له
(اقرا كتابك كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا) محاسبا
(من اهتدى فانما يهتدى

لنفسه) لان ثواب اهتدائه له (ومن ضل فانما يضل عليها) لان اثمه عليها (ولا تزر) نفس (وازرة) آثمة اى لاتحمل (وزر) نفس (أخرى وما كنا معذبين) احدا (حتى نبعث رسولا) يبين له مايجب عليه (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) منعميها بمعنى رؤسائها بالطاعة على لسان رسلنا (ففسقوا فيها) فخرجوا عن أمرنا (فحق عليها القول) بالعذاب (فدمرناها تدميرا) أهلكناها باهلاك أهلها وتخريبها (وكم) اى كثيرا (أهلكنا من القرون) الامم (من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) عالما ببواطنها وظواهرها وبه يتعلق بذنوب (من كان يريد) بعمله (العاجلة) اى الدنيا (عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد) التعجيل له بدل منله باعادة الجار (ثم جعلنا له) فى الآخرة (جهنم يصلاها) يدخلها (مذموما) ملوما (مدحورا)

كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير فى ظلاله وجمعه فى قوله (سجدا لله وهم داخرون) وهما حالان من الضمير فى ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب اوسجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها اوباختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لماقدر لها من التفيئ اوواقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام فى انفسها ايضا داخرة اى صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل اولان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقى لان الكواكب تظهر منه آخذة فى الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربى المقابل له فلان الظلال فى اول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الشرقى من الارض وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقى من الارض (ولله يسجد مافى السموات ومافى الارض) اى ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله (من دابة) بيان لهما لان الدبيب هو الحركة الجسمانية سواء كان فى ارض اوسماء (والملائكة) عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم اوعطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة اوبيان لما فى الارض والملائكة تكرير لما فى السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما او المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم ومالما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء (وهم لايستكبرون) عن عبادته (يخافون ربهم من فوقهم) يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم اويخافونه وهو فوقهم بالقهر لقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير فى لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله تعالى لايستكبر عن عبادته (ويفعلون مايؤمرون) من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء (وقال الله لاتتخذوا

النهين اثنين) ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق
النهي اليه او ايماء بان الاثنينية تنافي الالوهية كما ذكر الواحد في قوله (انما هو
اله واحد) للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية
او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية (فاياي فارهبون) نقل من الغيبة
الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود فكأنه قال فانا ذلك الاله
الواحد فاياي فارهبون لا غيري (وله ما في السموات والارض) خلقا وملكا
(وله الدين) اى الطاعة (واصبا) لازما لما تقرر من انه الاله وحده
والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اى وله الدين ذا كلفة
وقيل الدين الجزاء اى وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه
لمن كفر (افغير الله تتقون) ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال تعالى
(وما بكم من نعمة فمن الله) اى واى شئ اتصل بكم من نعمة فهو من الله
وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول
فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله تعالى لا لحصولها
منه (ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون) فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع
الصوت في الدعاء والاستغاثة (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم
بربهم يشركون) وهم كفاركم (ليكفروا) بعبادة غيره هذا اذا كان
الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان فكأنه قال فاذا
فريق وهم انتم ويجوز ان يكون من للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله
فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد (بما آتيناهم) من نعمة الكشف عنهم
كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها من الله تعالى
(فتمتعوا) امر تهديد (فسوف تعلمون) اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا
للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان تكون اللام لام الامر
الوارد للتهديد والفاء للجواب (ويجعلون لما لا يعلمون) اى لآلهتهم التي
لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها
جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف
او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به (نصيبا
مما رزقناهم) من الزروع والانعام (تالله لتسألن عما كنتم تفترون) من انها
آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه (ويجعلون لله البنات)
كانت خزاعة وكنانة يقولون ان الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه له

مطرودا عن الرحمة (ومن
أراد الآخرة وسعى لها
سعيها) عمل عملها اللائق
بها (وهو مؤمن) حال
(فاولئك كان سعيهم
مشكورا) عند الله اى
مقبولا مثابا عليه (كلا)
من الفريقين (نمد) نعطى
(هؤلاء وهؤلاء) بدل
(من) متعلق بنمد (عطاء
ربك) في الدنيا (وما كان
عطاء ربك) فيها (محظورا)
ممنوعا عن أحد (انظر كيف
فضلنا بعضهم على بعض)
في الرزق والجاه (وللآخرة
أكبر) أعظم (درجات
وأكبر تفضيلا) من الدنيا
فينبغي الاعتناء بها دونها
(لا تجعل مع الله الها آخر
فتقعد مذموما مخذولا)
لا ناصر لك (وقضى)
أمر (ربك أن) أى بأن
(لا تعبدوا الا اياه و)
أن تحسنوا (بالوالدين
احسانا) بان تبروهما
(اما يبلغن عندك الكبر
أحدهما) فاعل (أو كلاهما)
وفي قراءة يبلغان فاحدهما
بدل من ألفه (فلا تقل لهما
أف) بفتح الفاء وكسرها

من قولهم اوتعجب منه (ولهم مايشتهون) يعني البنين ويجوز فيما
يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل
بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشئ واحد
لكنه لايبعد تجويزه فى المعطوف (واذا بشر احدهم بالانثى) اخبر
بولادتها (ظل وجهه) صار او دام النهار كله (مسودا) من الكآبة والحياء
من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير (وهو كظيم)
مملوء غيظا من المرأة (يتوارى من القوم) يستخفى منهم (من سوء مابشر به)
من سوء المبشر به عرفا (ايمسكه) محدثا فى نفسه متفكرا فى ان يتركه (على
هون) ذل (ام يدسه فى التراب) ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ
ما وقرئ بالتأنيث فيهما (الاساء مايحكمون) حيث يجعلون لمن تعالى
عن الولد ماهذا محله عندهم (للذين لايؤمنون بالآخرة مثل السوء) صفة
السوء وهى الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا
بهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق (ولله المثل الاعلى) وهو
الوجوب الذاتى والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات
المخلوقين (وهو العزيز الحكيم) المتفرد بكمال القدرة والحكمة (ولو يؤاخذ الله
الناس بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم (ماترك عليها) على الارض وانما
اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس او الدابة عليها (من دابة) قط بشؤم
ظلمهم وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب
ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء
(ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى) سماه لاعمارهم اولعذابهم كى يتوالدوا
(فاذا جاء اجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون) بل هلكوا او عذبوا حينئذ
لامحالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى
الانبياء عليهم الصلاة والسلام لجواز ان يضاف اليهم ماشاع فيهم وصدر عن
اكثرهم (ويجعلون لله مايكرهون) اى مايكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء
فى الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال (وتصف السنتهم الكذب)
مع ذلك وهو (ان لهم الحسنى) اى عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربى
ان لى عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة (لاجرم
ان لهم النار) رد لكلامهم واثبات لضده (وانهم مفرطون) مقدمون الى
النار من افرطته فى طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على انه من

منونا وغير منون مصدر
بمعنى تبا وقبحا (ولاتنهرهما)
تزجرهما (وقل لهما
قولا كريما) جميلا لينا
(واخفض لهما جناح الذل)
ألن لهما جانبك الذليل
(من الرحمة) اى لرقتك
عليهما (وقل رب ارحمهما
كما) رحمانى حين (ربيانى
صغيرا ربكم أعلم بما
فى نفوسكم) من اضمار
البر والعقوق (ان تكونوا
صالحين) طائعين لله (فانه
كان للاوابين) الرجاعين
الى طاعته (غفورا)
لما صدر منهم فى حق
الوالدين من بادرة وهم
لايضمرون عقوقا (وآت)
اعط (ذا القربى) القرابة
(حقه) من البر والصلة
(والمسكين وابن السبيل
ولاتبذر تبذيرا) بالانفاق فى غير
طاعة الله (ان المبذرين
كانوا اخوان الشياطين)
اى على طريقتهم (وكان
الشيطان لربه كفورا)
شديد الكفر لنعمه فكذلك
اخوه المبذر (واما تعرضن
عنهم) اى المذكورين
من ذى القربى ومابعده فلم

الافراط في المعاصى وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته فى طلب الماء ومكسورا من التفريط فى الطاعات (تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم) فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين (فهو وليهم اليوم) اى فى الدنيا وعبر باليوم عن زمانها اوفهو وليهم حين كان يزين لهم اويوم القيامة على انه حكاية حال ماضية اوآتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اى زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهوولى هؤلاء اليوم يغرهم ويغويهم وان يقدر مضاف اى فهوولى امثالهم والولى القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه (ولهم عذاب اليم) فى القيامة (وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم) للناس (الذى اختلفوا فيه) من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين (والله انزل من السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها) انبت فيها انواع النبات بعد يبسها (ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون) سماع تدبر وانصاف (وان لكم فى الانعام لعبرة) دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم (نسقيكم مما فى بطونه) استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وانثه فى سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه فى المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها اولواحده اوله على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وابوبكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا وفى المؤمنين (من بين فرث ودم لبنا) فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التى فى الفرث وهو الاشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام فى الكرش وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف فى كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذى يغذى البدن لانهما لايتكونان فى الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم فى الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاط اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين ويدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم يوزع الباقى على الاعضاء بحسبها فيجرى الى كل حقه على

تعطهم (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) أى لطلب رزق تنتظره يأتيك فتعطيهم منه (فقل لهم قولا ميسورا) لينا سهلا بان تعدهم بالاعطاء عند مجيء الرزق (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) اى لا تمسكها عن الانفاق كل المسك (ولا تبسطها) فى الانفاق (كل البسط فتقعد ملوما) راجع للاول (محسورا) منقطعا لاشئ عندك راجع للثانى (ان ربك يبسط الرزق) يوسعه (لمن يشاء ويقدر) يضيقه لمن يشاء (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) عالما ببواطنهم وظواهرهم فيرزقهم على حسب مصالحهم (ولا تقتلوا اولادكم) بالوأد (خشية) مخافة (املاق) فقر (نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ) اثما (كبيرا) عظيما (ولا تقربوا الزنا) أبلغ من لا تأتوه (انه كان فاحشة) قبيحا (وساء) بئس (سبيلا) طريقا هو (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن

مايليق به بتقدير العليم الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاد البرودة والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد اوبعضه الى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله تعالى فى احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على مايليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهى رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض مافى بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذى يبتدئ منه الاسقاء وهى متعلقة بنسقيكم اوحال من لبنا قدمت عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة (خالصا) صافيا لا يستصحب لون الدم ولا رائحة الفرث اومصفى عما تصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه (سائغا للشاربين) سهل المرور فى حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف (ومن ثمرات النخيل والاعناب) متعلق بمحذوف اى ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اى من عصيرهما وقوله (تتخذون منه سكرا) استئناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تأكيدا اوخبر لمحذوف صفته تتخذون اى ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذى هو العصير اولان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمى به الخمر (ورزقا حسنا) كالتمر والزبيب والدبس والخل والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والافجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال * جعلت اعراض الكرام سكرا * اى تنقلت باعراضهم وقيل مايسد الجوع من السكر فيكون الرزق مايحصل من اثمانه (ان فى ذلك لاية لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل فى الآيات (واوحى ربك الى النحل) الهمها وقذف فى قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين (ان اتخذى) بان اتخذى ويجوز ان تكون ان مفسرة لان فى الايحاء معنى القول وتأنيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر (من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) ذكر بحرف التبعيض لانها لاتبنى فى كل جبل وكل شجر وكل مايعرش من كرم اوسقف ولا فى كل مكان منها وانما سمى ماتبنيه ليتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنيعة وصحة القسمة التى لايقوى عليها حذاق

فقد جعلنا لوليه) لوارثه (سلطانا) تسلطا على القاتل (فلا يسرف) يتجاوز الحد (فى القتل) بان يقتل غيرقاتله أوبغير ماقتل به (انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد) اذا عاهدتم الله أوالناس (ان العهد كان مسؤلا) عنه (وأوفوا الكيل) أتموه (اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم) الميزان السوى (ذلك خير وأحسن تأويلا) مآلا (ولاتقف) تتبع (ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد) القلب (كل أولئك كان عنه مسؤلا) صاحبه ماذا فعل به (ولاتمش فى الارض مرحا أى ذامرح بالكبر والخيلاء (انك لن تخرق الارض) تثقبها حتى تبلغ آخرها بكبرك (ولن تبلغ الجبال طولا) المعنى انك لاتبلغ هذا المبلغ فكيف تختال (كل ذلك) المذكور (كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما أوحى

المهندسين الا بالآلات وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا
بكسر الباء لاجل الياء وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء (ثم كلى من كل
الثمرات) من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها (فاسلكى) ماكلت (سبل
ربك) فى مسالكه التى يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك
اوفاسلكى الطرق التى الهمك فى عمل العسل اوفاسلكى راجعة الى بيوتك
سبل ربك لاتتوعر عليك ولاتلتبس (ذللا) جمع ذلول وهى حال من السبل
اى مذللة ذللها الله تعالى وسهلها لك اومن الضمير فى اسلكى اى وانت ذلل
منقادة لما امرت به (يخرج من بطونها) كأنه عدل به عن خطاب النحل الى
خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه
لاجلهم (شراب) يعنى العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تأكل
الازهار والاوراق العطرة فتستحيل فى باطنها عسلا ثم تقىء ادخارا للشتاء
ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق
والازهار وتضعها فى بيوتها ادخارا فاذا اجتمع فى بيوتها شئ كثير منها
كان العسل فسر البطون بالافواه (مختلف الوانه) ابيض واصفر واحمر
واسود بسبب اختلاف سن النحل او الفصل (فيه شفاء للناس) اما بنفسه
كما فى الامراض البلغمية اومع غيره كما فى سائر الامراض اذ قلما يكون معجون
الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم
وعن قتادة ان رجلا اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال
ان اخى يشتكى بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته
فانفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه
فشفاه الله تعالى فبرئ فكأنما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن
اولما بين الله من احوال النحل (ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) فان
من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقه والافعال العجيبة حق التدبر
علم قطعا انه لابد له من خالق قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه (والله خلقكم
ثم يتوفاكم) بآجال مختلفة (ومنكم من يرد) يعاد (الى ارذل العمر) اخسه
يعنى الهرم الذى يشابه الطفولية فى نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس
وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون سنة (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) ليصير
الى حالة شبيهة بحال الطفولية فى النسيان وسوء الفهم (ان الله عليم)
بمقادير اعمارهم (قدير) يميت الشاب النشيط ويبقى الهرم الفانى وفيه تنبيه

اليك) يامحمد (ربك
من الحكمة) الوعظة
(ولاتجعل مع الله الها آخر
فتلقى فى جهنم ملوما
مدحورا) مطرودا عن
رحمة الله (أفأصفاكم)
أخلصكم يا أهل مكة (ربكم
بالبنين واتخذ من الملائكة
اناثا) بنات لنفسه بزعمكم
(انكم لتقولون) بذلك
(قولا عظيما ولقد صرفنا)
بينا (فى هذا القرآن) من
الامثال والوعد والوعيد
(ليذكروا) يتعظوا
(وما يزيدهم) ذلك
(الانفورا) عن الحق
(قل) لهم (لوكان معه) أى
الله (آلهة كما تقولون اذا
لابتغوا) طلبوا (الى ذى
العرش) أى الله (سبيلا)
ليقاتلوه (سبحانه) تنزيها له
(وتعالى عما يقولون) من
الشركاء (علوا كبيرا تسبح له)
تنزهه (السموات السبع
والارض ومن فيهن وان) ما
(من شئ) من المخلوقات
(الا يسبح) ملتبسا (بحمده)
أى يقول سبحان الله وبحمده
(ولكن لاتفقهون) تفهمون
(تسبيحهم) لانه ليس بلغتكم

(انه كان حليما غفورا) حيث لم يعاجلكم بالعقوبة (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) أى ساترا لك عنهم فلا يرونك نزل فيمن أراد الفتك به صلى الله عليه وسلم (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أغطية (أن يفقهوه) من أن يفهموا القرآن اى فلا يفهمونه (وفى آذانهم وقرا) ثقلا فلا يسمعونه (واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا) عنه (نحن أعلم بما يستمعون به) بسببه من الهزء (اذ يستمعون اليك) قراءتك (واذهم نجوى) يتناجون بينهم اى يتحدثون (اذ) بدل من اذ قبله (يقول الظالمون) فى تناجيهم (ان) ما (تتبعون الا رجلا مسحورا) مخدوعا مغلوبا على عقله قال تعالى (انظر كيف ضربوا لك الامثال) بالمسحور والكاهن والشاعر (فضلوا) بذلك عن الهدى (فلا يستطيعون سبيلا) طريقا اليه (وقالوا) منكرين للبعث (أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون

على ان تفاوت آجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت الى هذا المبلغ (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) فمنكم غنى ومنكم فقير ومنكم موالى يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك (فما الذين فضلوا برادى رزقهم) بمعطى رزقهم (على ما ملكت ايمانهم) على مماليكهم فانما يردون عليهم الذى جعله الله تعالى فى ايديهم (فهم فيه سواء) فالموالى والمماليك سواء فى ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب كأنه قيل فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا فى الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته فى الالوهية ولا يرضون ان تشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه (افبنعمة الله يجحدون) حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضى ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعد ما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمين الجحود معنى الكفر وقرأ ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله تعالى خلقكم وفضل بعضكم (والله جعل لكم من انفسكم ازواجا) اى من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم (وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة) واولادا او لاد وبنات فان الحافد هو المسرع فى الخدمة والبنات يخدمن فى البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين (ورزقكم من الطيبات) من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق فى الدنيا انموذج منها (افبالباطل يؤمنون) وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب (وبنعمة الله هم يكفرون) حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا) من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل منه (ولا يستطيعون) ان يملكوه اذ لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده فى ما لا يملك لان ما مفرد فى معنى الآلهة ويجوز ان يعود الى

الكفار اى ولايستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد (فلا تضربوا لله الامثال) فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به اوتقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال (ان الله يعلم) فساد ماتعولون عليه من القياس على ان عبادة عبد الملك ادخل فى التعظيم من عبادته اوعظم جرمكم فيما تفعلون (وانتم لاتعلمون) ذلك ولو علمتموه لماجرأتم فهو تعليل للنهى اوانه يعلم كنه الاشياء وانتم لاتعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لاتعلمون ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لايقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون) مثل مايشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذى رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع الاشراك والتسوية بينهما مع تشاركهما فى الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التى هى المخلوقات وبين الله الغنى القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبدالله وسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على المملوك لايملك والاظهر ان من نكرة موصوفة لتطابق عبدا وجمع الضمير فى يستوون لانه للجنس فان المعنى هل يستوى الاحرار والعبيد (الحمد لله) كل الحمد له لايستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها (بل اكثرهم لايعلمون) فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها (وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم) ولد اخرس لايفهم ولايفهم (لايقدر على شئ) من الصنائع والتدابير لنقصان عقله (وهو كل على مولاه) عيال وثقل على من يلى امره (اينما يوجهه) حيث مايرسله مولاه فى امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله * اينما اوجه الق سعدا * وتوجه بلفظ الماضى (لايأت بخير) بنجح وكفاية مهم (هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل) وهو منطيق فهم ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لجامع الفضائل (وهو على صراط مستقيم) وهو فى نفسه على طريق مستقيم لايتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعى وانما قابل تلك الصفات بهذين

خلقا جديدا قل) لهم (كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم) يعظم عن قبول الحياة فضلا عن العظام والرفات فلا بد من ايجاد الروح فيكم (فسيقولون من يعيدنا) الى الحياة (قل الذى فطركم) خلقكم (أول مرة) ولم تكونوا شيئا لان القادر على البدء قادر على الاعادة بل هى أهون (فسينغضون) يحركون (اليك رؤسهم) تعجبا (ويقولون) استهزاء (متى هو) اى البعث (قل عسى أن يكون قريبا يوم يدعوكم) يناديكم من القبور على لسان اسرافيل (فتستجيبون) فتجيبون دعوته من القبور (بحمده) بأمره وقيل وله الحمد (وتظنون ان) ما (لبثتم) فى الدنيا (الا قليلا) لهول ماترون (وقل لعبادى) المؤمنين (يقولوا) للكفار الكلمة (التى هى أحسن ان الشيطان ينزغ) يفسد (بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) بين العداوة والكلمة التى هى أحسن هى (ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم) بالتوبة والايمان

(أو ان يشأ) تعذيبكم (يعذبكم) بالموت على الكفر (وما أرسلناك عليهم وكيلا) فتجبرهم على الايمان وهذا قبل الامر بالقتال (وربك أعلم بمن فى السموات والارض) فيخصهم بماشاء على قدر أحوالهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) بتخصيص كل منهم بفضيلة كموسى بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمد بالاسراء (وآتينا داود زبورا قل) لهم (ادعوا الذين زعمتم) أنهم آلهة (من دونه) كالملائكة وعيسى وعزير (فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) له الى غيركم (أولئك الذين يدعون) هم آلهة (يبتغون) يطلبون (الى ربهم الوسيلة) القربة بالطاعة (أيهم) بدل من واو يبتغون أى يبتغيها الذى هو (أقرب) اليه فكيف بغيره (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) كغيرهم فكيف تدعونهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا وان) ما (من قرية) أريد أهلها (الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) بالموت (أو معذبوها عذابا شديدا)

الوصفين لانهما كمال مايقابلهما وهذا تمثيل ثان ضربه الله تعالى لنفسه والاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها او للمؤمن والكافر (ولله غيب السموات والارض) يختص به علمه لايعلمه غيره وهو ماغاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا لهم ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض (وما امر الساعة) وما امر قيام القيامة فى سرعته وسهولته (الا كلمح البصر) الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها (او هو اقرب) او امرها اقرب منه بان يكون فى زمان نصف تلك الحركة بل فى الآن الذى يبتدأ فيه فالله تعالى يحيى الخلائق دفعة ومايوجد دفعة كان فى آن واو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشئ الذى تقولون فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة فى استقرابه (ان الله على كل شئ قدير) فيقدر على ان يحيى الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال (والله اخرجكم من بطون امهاتكم) وقرأ الكسائى بكسر الهمزة على انه لغة او اتباع لما قبلها وحمزه بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها فى اهراق (لاتعلمون شيئا) جهالا مستصحبين جهل الجمادية (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) اداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم بمشاركات ومباينات بينها بتكرار الاحساس حتى يتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها (لعلكم تشكرون) كى تعرفوا ما انعم الله عليكم طورا بعد طور فتشكرون (ألم يروا الى الطير) قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب للعامة (مسخرات) مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المؤاتية له (فى جو السماء) فى الهواء المتباعد من الارض (ما يمسكهن) فيه (الا الله) فان ثقل جسدها يقتضى سقوطها ولاعلاقة فوقها ولادعامة تحتها تمسكها (ان فى ذلك لآيات) تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها فى الهواء على خلاف طبعها (لقوم يؤمنون) لانهم هم المنتفعون بها (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) هى القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف

والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها (تستخفونها) تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها (يوم ظعنكم) وقت ترحالكم ووضعها اوضربها (ويوم اقامتكم)وقت الحضر اوالنزول وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة فيه (ومن اصوافها واوبارها واشعارها) الصوف للضأن والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها (اثاثا)مايلبس ويفرش (ومتاعا)مايتجر به (الى حين) الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة اوالى حين مماتكم اوالى ان تقضوا منه اوطار (والله جعل لكم مماخلق) من الشجر والجبل والابنية وغيرها (ظلالا) تتفيؤن به حر الشمس (وجعل لكم من الجبال اكنانا)مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن (وجعل لكم سرابيل) ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها (تقيكم الحر) خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين اولأن وقاية الحر كانت اهم عندهم (وسرابيل تقيكم بأسكم) يعنى الدروع والجواشن والسربال يعم كل مايلبس (كذلك)كاتمام هذه النعم التى تقدمت (يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) اى تنظرون فى نعمه فتؤمنون به اوتنقادون حكمه وقرئ تسلمون من السلامة اى تشكرون فتسلمون من العذاب اوتنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع (فان تولوا) اعرضوا ولم يقبلوا منك (فانما عليك البلاغ المبين) فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب (يعرفون نعمة الله) اى يعرف المشركون نعمة الله التى عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله (ثم ينكرونها) بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا اوبسبب كذا اوباعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة (واكثرهم الكافرون)الجاحدون عنادا وذكر الاكثر امالان بعضهم لم يعرفوا الحق لنقصان العقل اوالتفريط فى النظر اولم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما فى قوله بل اكثرهم لايعلمون (ويوم نبعث من كل امة شهيدا) وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر (ثم لايؤذن للذين كفروا)

بالقتل وغيره (كان ذلك فى الكتاب) اللوح المحفوظ (مسطورا) مكتوبا (وما منعنا أن نرسل بالآيات) التى اقترحها أهل مكة (الا أن كذب بها الاولون) لما أرسلناها فاهلكناهم ولو أرسلناها الى هؤلاء لكذبوا بها واستحقوا الاهلاك وقد حكمنا بامهالهم لاتمام امر محمد (وآتينا ثمود الناقة) آية (مبصرة) بينة واضحة (فظلموا) كفروا (بها) فاهلكوا (وما نرسل بالآيات) المعجزات (الا تخويفا) للعباد فيؤمنوا (و) اذكر (اذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس) علما وقدرة فهم فى قبضته فبلغهم ولا تخف أحدا فهو يعصمك منهم (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك) عيانا ليلة الاسراء (الا فتنة للناس) أهل مكة اذ كذبوا بها وارتد بعضهم لما أخبرهم بها (والشجرة الملعونة فى القرآن) وهى الزقوم التى تنبت فى اصل الجحيم جعلناها فتنة لهم اذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبته (ونخوفهم) بها (فما يزيدهم) تخويفنا (الا طغيانا كبيرا و) اذكر

في الاعتذار اذلا عـذر لهم وقيل الرجوع الى الدنيـا وثم لزيادة مايحيق بهم من شـدة المنع عن الاعتذار لمافيه من الاقناط الكلي على مايمنون به من شـهادة الانبيـاء عليهم (ولاهم يسـتعتبون) ولاهم يسـترضون من العتبى وهى الرضى وانتصـاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم مايحيق وكذا قوله (واذا رأى الذين ظلموا العذاب) عذاب جهنم (فلايخفف عنهم) اى العذاب (ولاهم ينظرون) يمهـلون (واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم) اوثانهم التى دعوها شركاء او الشـياطين الذين شـاركوهم فى الكفر بالحمل عليه (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك) نعبدهم اونطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين فى ذلك او التماس بان يشـطر عذابهم (فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون) اى اجابوهم بالتكذيب فى انهم شركاء الله اوانهم ماعبـدوهم حقيقة وانمـا عبدوا اهواءهم لقوله تعـالى كلا سـيكفرون بعبادتهم ولايمتنع انطاق الله الاصنـام به حينئـذ اوفى انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله وما كان لى عليكم من سـلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى (والقوا) والقى الذين ظلموا (الى الله يومئذ السلم) الاستسـلام لحكمه بعد الاستكبار فى الدنيا (وضـل عنهم) وضاع عنهم وبطل (ماكانوا يفـترون) من ان آلهتهم تنصرونهم وتشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) بالمنع عن الاسـلام والحمـل على الكفر (زدناهم عـذابا) لصدهم (فوق العذاب) المستحق بكفرهم (بما كانوا يفسـدون) بكونهم مفسـدين بصدهم (ويوم نبعث فى كل امة شـهيدا عليهم من انفسـهم) يعنى نبيهم فان نبى كل امة بعث منهم (وجئنـابك) يامحمد (شـهيدا على هؤلاء) على امتك (ونزلنا عليك الكتاب) اسـتئناف او حال باضمار قد (تبيانا) بليغا (لكل شئ) من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السـنة او القياس (وهدى ورحـة) للجميع وانمـا حرمان المحروم من تفريطه (وبشرى للمسلمين) خاصة (ان الله يأمر بالعدل) بالتوسط فى الامور اعتقـادا كالتوحيد المتوسـط بين التعطيل والتشريك والقـول بالكسب المتوسـط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبـات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسـط بين البخل والتبذير (والاحسان) احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل

(اذ قلنـا للملائكـة اسجـدوا لآدم) سجـود تحية بالانحنـاء (فسجدوا الا أبليس قال أأسجـد لمن خلقت طينـا) نصب بنزع الخـافض أى من طين (قال أرأيتك) اى اخبرنى (هذا الذى كرمت) فضلت (على) بالامر بالسجود له و أنا خير منـه خلقتنى من نار (لئن) لام قسم (اخرتن الى يوم القيامة لاحتنكن) لاستأصلن (ذريته) بالاغواء (الا قليلا) منهم ممن عصمتـه (قال) تعالى له (اذهب) منظرا الى وقت النفخة الاولى (فمن تبعـك منـهم فان جهنم جزاؤكم) أنت وهم (جزاء موفورا) وافرا كاملا (واسـتفزز) استخف (من اسـتطعت منهم بصوتك) بدعائك بالغناء والمزامير وكل داع الى المعصية (وأجلب) صح (عليهم بخيلك ورجلك) وهم الركاب والمشاة فى المعاصى (وشـاركهم فى الاموال) المحرمـة كالربا والغصب (والاولاد) من الزنا (وعدهم) بان لابعث ولاجزاء (وما يعدهم الشـيطان) بذلك

واما بحسب الكيفية كما قال عليه الصلاة والسلام الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (وايتاء ذى القربى) واعطاء الاقارب مايحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة (وينهى عن الفحشاء) عن الافراط فى مشايعة القوة الشهوية كالزنى فانه اقبح احوال الانسان واشنعها (والمنكر) ماينكر على متعاطيه فى اثارة القوة الغضبية (والبغى) والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التى هى مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا هو مندرج فى هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه هى اجمع آية فى القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون رضى الله تعالى عنه ولو لم يكن فى القرآن غير هذه الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شئ وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه (يعظكم) بالامر والنهى والميز بين الخير والشر (لعلكم تذكرون) تتعظون (واوفوا بعهد الله) يعنى البيعة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الاسلام لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله (اذا عاهدتم) وقيل النذر وقيل الايمان بالله (ولا تنقضوا الايمان) ايمان البيعة او مطلق الايمان (بعد توكيدها) بعد توثيقها بذكر الله تعالى ومنه اكد بقلب الواو همزة (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه (ان الله يعلم ماتفعلون) فى نقض الايمان والعود (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها) ماغزلته مصدر بمعنى المفعول (من بعد قوة) متعلق بنقضت غزلها من بعد ابرام واحكام (انكاثا) طاقات نكثت فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثانى لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنه وقيل هى ريطة بنت سعد ابن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك (تتخذون ايمانكم دخلا بينكم) حال من الضمير فى ولا تكونوا او فى الجار الواقع موقع الخبر اى ولا تكونوا مشبهين بامرأة هذا شأنها متخذى ايمانكم مفسدة ودخلى بينكم واصل الدخل مايدخل الشئ ولم يكن منه (ان تكون امة هى اربى من امة) بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا رأوا

الا غرورا) باطلا (ان عبادى المؤمنين (ليس لك عليهم سلطان) تسلط وقوة (وكفى بربك وكيلا) حافظا لهم منك (ربكم الذى يزجى) يجرى (لكم الفلك) السفن (فى البحر لتبتغوا من فضله) تعالى بالتجارة (انه كان بكم رحيما) فى تسخيرها لكم (واذا مسكم الضر) الشدة (فى البحر) خوف الغرق (ضل) غاب عنكم (من تدعون) تعبدون من الآلهة فلا تدعونه (الا اياه) تعالى فانكم تدعونه وحده لانكم فى شدة لا يكشفها الا هو (فلما نجاكم) من الغرق وأوصلكم (الى البر أعرضتم) عن التوحيد (وكان الانسان كفورا) جحود النعم (أفأمنتم أن نخسف بكم جانب البر) اى الارض كقارون (أو نرسل عليكم حاصبا) اى نرميكم بالحصباء كقوم لوط (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) حافظا منه (أم أمنتم أن نعيدكم فيه) اى البحر (تارة) مرة (أخرى فنرسل عليكم قاصفا من الريح) اى ريحا شديدة لا تمر بشئ الا قصفته فتكسر فلككم

شوكة فى اعادى خلفائهم نقضوا عهدهم وخالفوا اعداءهم (انما يبلوكم الله به) الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اى يختبركم بكونكم اربى لينظر أتمسكون بحبل الوفاء بعهدالله و بيعة رسوله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للاربى وقيل للامر بالوفاء (وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) اذاجازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب (ولوشاء الله لجعلكم امة واحدة) متفقة على الاسلام (ولكن يضل من يشاء) بالخذلان (و يهدى من يشاء) بالتوفيق (ولتسألن عما كنتم تعملون) سؤال تبكيت ومجازاة (ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم) تصريح بالنهى عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة فى قبح المنهى (فتزل قدم) اى محجة الاسلام (بعد ثبوتها) عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة (وتذوقوا السوء) العذاب فى الدنيا (بما صددتم عن سبيل الله) بسبب صدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره (ولكم عذاب عظيم) فى الآخرة (ولا تشتروا بعهد الله) ولا تستبدلوا عهدالله و بيعة رسوله (ثمنا قليلا) عوضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد (ان ما عندالله) من النصر والتغنيم فى الدنيا والثواب فى الآخرة (هو خير لكم) مما يعدونكم (ان كنتم تعلمون) ان كنتم من اهل العلم والتمييز (ما عندكم) من اعراض الدنيا (ينفد) ينقضى ويفنى (وما عندالله) من خزائن رحمته (باق) لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم الجنة باق (ولنجزين الذين صبروا اجرهم) على الفاقة واذى الكفار اوعلى مشاق التكليف وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون (باحسن ما كانوا يعملون) بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات اوبجزاء احسن من اعمالهم (من عمل صالحا من ذكر او انثى) بينه بالنوعين دفعا للتخصيص (وهو مؤمن) اذ لا اعتداد باعمال الكفرة فى استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب (فلنحيينه حياة طيبة) فى الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الاجر العظيم فى الآخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدع الحرص وخوف الفوات

(فنغرقكم بما كفرتم) بكفركم (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) ناصرا او تابعا يطالبنا بما فعلنا بكم (ولقد كرمنا) فضلنا (بنى آدم) بالعلم والنطق واعتدال الخلق وغير ذلك ومنه طهارتهم بعد الموت (وحملناهم فى البر) على الدواب (والبحر) على السفن (ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا) كالبهائم والوحوش (تفضيلا) فمن بمعنى ما أو على بابها وتشمل الملائكة والمراد تفضيل الجنس ولا يلزم تفضيل أفراده اذهم أفضل من البشر غير الانبياء اذكر (يوم ندعو كل أناس بامامهم) نبيهم فيقال يا أمة فلان أو بكتاب أعمالهم فيقال يا صاحب الخير يا صاحب الشر وهو يوم القيامة (فمن أوتى) منهم (كتابه بيمينه) وهم السعداء أولو البصائر فى الدنيا (فأولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون) ينقصون من أعمالهم (فتيلا) قدر قشرة النواة (ومن كان فى هذه) اى الدنيا (أعمى) عن الحق (فهو فى الآخرة أعمى) عن طريقة النجاة وقراءة

ان يتهنأ بعيشه وقيل فى الآخرة (ولنجزينهم اجرهم باحسن ماكانوا يعملون) من الطاعة (فاذاقرأت القرآن) اذا اردت قراءته كقوله تعالى اذاقمتم الى الصلاة (فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) فاسأل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك فى القراءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلى يستعيذ فى كل ركعة لان الحكم المترتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ (انه ليس له سلطان) تسلط وولاية (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) على اولياء الله تعالى المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لايطيعون اوامره ولايقبلون وساوسه الافيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا (انماسلطانه على الذين يتولونه) يحبونه ويطيعونه (والذين هم به) بالله اوبسبب الشيطان (مشركون واذابدلنا آية مكان آية) بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا اوحكما (والله اعلم بماينزل) من المصالح فلعل مايكون مصلحة فى وقت يصير مفسدة بعده فينسخه ومالايكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير وابوعمر وينزل بالتخفيف (قالوا) اى الكفرة (انما انت مفتر) متقول على الله تأمر بشئ ثم يبدولك فتنهى عنه وهوجواب اذاوالله اعلم بماينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا (بل اكثرهم لايعلمون) حكمة الاحكام ولايميزون الخطأ من الصواب (قل نزله روح القدس) يعنى جبريل عليه السلام واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفى ينزل ونزله تنبيه على انزاله متدرجا على حسب المصالح بمايقتضى التبديل (من ربك بالحق) ملتبسا بالحكمة (ليثبت الذين آمنوا) على الايمان بانه كلامه وانهم اذاسمعوا الناسخ وتدبروا مافيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم (وهدى

الكتاب (وأضل سبيلا) أبعد طريقا عنه ونزل فى ثقيف وقد سألوه صلى الله عليه وسلم ان يحرم واديهم وألحوا عليه (وان) مخففة (كادوا) قاربوا (ليفتنونك) ليستنزلونك (عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا) لوفعلت ذلك (لاتخذوك خليلا ولولاأن ثبتناك) على الحق بالعصمة (لقدكدت) قاربت (تركن) تميل (اليهم شيئا) ركونا (قليلا) لشدة احتيالهم والحاحهم وهو صريح فى أنه صلى الله عليه وسلم لم يركن ولاقارب (اذا) لو ركنت (لاذقناك ضعف) عذاب (الحياة وضعف) (الممات) اى مثلى مايعذب غيرك فى الدنيا والآخرة (ثم لاتجد لك علينا نصيرا) مانعا منه ونزل لماقال له اليهود ان كنت نبيا فالحق بالشام فانها أرض الانبياء (وان) مخففة (كادوا ليستفزونك من الارض) أرض المدينة (ليخرجوك منها واذا) لو أخرجوك (لا يلبثون خلفك) فيها (الا قليلا) ثم يهلكون (سنة

و بشرى للمسلمين) المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اى تثبيتا وهداية و بشارة فيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف (ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر) يعنون جبر الرومى غلام عامر بن الحضرمى وقيل جبرا و يسارا كانا يصنعان السيوف بمكة و يقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يمر عليهما ويسمع مايقرآنه وقيل عائشا غلام حويطب بن عبد العزى قداسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسى (لسان الذى يلحدون اليه اعجمى) لغة الرجل الذى يميلون قولهم عن الاستقامة اليه مأخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائى يلحدون بفتح الياء والحاء لسان اعجمى غير بين (وهذا) وهذا القرآن (لسان عربى مبين) ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان مايسمعه منه كلام اعجمى لايفهمه هو ولاانتم والقرآن عربى تفهمونه بادنى تأمل فكيف يكون ماتلقفه منه وثانيهما هب انه يفهم منه المعنى باستماع كلامه ولكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذاك اعجمى وهذا عربى والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التى فى القرآن لايمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق فى تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقى سمع منه بعض اوقات مروره عليه كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم فى القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم (ان الذين لايؤمنون بآيات الله) لايصدقون انها من عند الله (لايهديهم الله) الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة (ولهم عذاب اليم) فى الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعدما اماط شبهتهم وردطعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال (انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله) لانهم لايخافون عقابا يردعهم عنه (واولئك) اشارة الى الذين كفروا اوالى قريش (هم الكاذبون) اى الكاذبون على الحقيقة او الكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب اوالذين عادتهم الكذب ولايصرفهم عنه دين ولا مروءة او الكاذبون فى قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر (من كفر بالله من بعد ايمانه) بدل من الذين لايؤمنون ومابينهما اعتراض اومن اولئك اومن الكاذبون اومبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب

من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) اى كسنتنا فيهم من اهلاك من أخرجهم (ولاتجد لسنتنا تحويلا) تبديلا (أقم الصلاة لدلوك الشمس) اى من وقت زوالها (الى غسق الليل) اقبال ظلمته اى الظهر والعصر والمغرب والعشاء (وقرآن الفجر) صلاة الصبح (ان قرآن الفجر كان مشهودا) تشهده ملائكة النهار (ومن الليل فتهجد) فصل (به) بالقرآن (نافلة لك) فريضة زائدة لك دون أمتك أو فضيلة على الصلوات المفروضة (عسى أن يبعثك) يقيمك (ربك) فى الآخرة (مقاما محمودا) يحمدك فيه الاولون والآخرون وهو مقام الشفاعة فى فصل القضاء ونزل لما أمر بالهجرة (وقل رب أدخلنى) المدينة (مدخل صدق) ادخالا مرضيا لأرى فيه ما اكره (وأخرجنى) من مكة (مخرج صدق) اخراجا لاألتفت بقلبى اليها (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) قوة تنصرنى بها على اعدائك (وقل) عند دخولك مكة

جاءالحق) الاسلام (وزهق الباطل) بطل الكفر (ان الباطل كان زهوقا) مضمحلازائلا وقد دخلها صلى الله عليه وسلم وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول ذلك حتى سقطت رواه الشيخان (وننزل من) للبيان (القرآن ماهو شفاء) من الضلالة (ورحمة للمؤمنين) به (ولا يزيد الظالمين) الكافرين (الاخسارا) لكفرهم به (واذا انعمنا على الانسان) الكافر (أعرض) عن الشكر (ونأى بجانبه) ثنى عطفه متبخترا (واذا مسه الشر) الفقر والشده (كان يؤسا) قنوطا من رحمة الله (قل كل) منا ومنكم (يعمل على شاكلته) طريقته (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) طريقا فيثيبه (ويسألونك) اى اليهود (عن الروح) الذى يحيا به البدن (قل) لهم (الروح من أمر ربى) اى علمه لاتعلمونه (وماأوتيتم من العلم الاقليلا) بالنسبة الى علمه تعالى (ولئن) لام

اوذم مرفوع اومنصوب اوشرط محذوف الجواب (الامن اكره) على الافتراء اوكلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان (وقلبه مطمئن بالايمان) لم تتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب (ولكن من شرح بالكفر صدرا) اعتقده وطاب به نفسا (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) اذلا اعظم من جرمه روى ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة فى قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين فى الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ماارادوا مكرها فقيل يارسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه فقال مالك ان عادوا لك فعدلهم بماقلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لماروى ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ماتقول فى محمد قال رسول الله قال فماذا تقول فى فقال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ماتقول فى محمد قال رسول الله قال فماتقول فى قال اناصم فاعاذ عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقداخذ برخصة الله واما الثانى فقدصدع بالحق فهنيئاله (ذلك) اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد (بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) بسبب انهم آثروها عليها (وان الله لايهدى القوم الكافرين) اى الكافرين فى علمه الى مايوجب ثبات الايمان ولايعصمهم من الزيغ (اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم) فأبت عن ادراك الحق والتأمل فيه (واولئك هم الغافلون) الكاملون فى الغفلة عمار ادبهم اذاغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب (لاجرم انهم فى الآخرة هم الخاسرون) اذضيعوا اعمارهم وصرفوها فيماافضى بهم الى العذاب المخلد (ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا) اى عذبوا كعمار رضى الله تعالى عنه بالولاية والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح اى بعد ماعذبوا المؤمنين كالحضرمى اكره مولاه جبرا حتى ارتدثم اسلما وهاجرا (ثم جاهدوا وصبروا) على الجهاد وما اصابهم من المشاق (ان ربك من بعدها) من بعد الهجرة

والجهاد والصبر (لغفور) بمافعلوا قبل (رحيم) ينم عليهم مجـازاة على ماصـنعوا بعـد (يوم تأتى كل نفس) منصوب برحيم اوباذكر (تجـادل عن نفسـها) تجادل عن ذاتها وتسعى فى خلاصها لايهمها شـأن غيرهـا فتقـول نفسى نفسى (وتوفى كـكل نفس ماعملت) جزاء ماعملت (وهم لايظلمون) لاينقصون اجورهم (وضرب الله مثـلا قرية) اى وجعلهـا مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم النقمـة اولمكة (كانت آمنة مطمئنة) لايزعج اهلها خوف (يأتيهارزقها) اقواتها (رغدا) واسـعا (من ككل مكان) من نواحيها (فكفرت بانعم الله) بنعمـه جمع نعمـة عـلى ترك الاعتـداد بالتـاء كدرع وادرع او جـمع نعم كبؤس وابؤس (فاذا قهـا الله لبـاس الجوع والخوف) اسـتعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لماغشـيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعارله كقول كثير * غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال * فانه اسـتعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لمـا يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذى هو وصف المعروف والنوال لاوصف الرداء نظرا الى المستعارله وقدينظر الى المستعار كقوله * ينازعنى ردائى عبدعمرو * رويدك ياالخاعمرو بن بكر * الى الشطر الذى ملكت يمينى * ودونك فاعتجر منه بشطر * استعار الرداء لسـيفه ثم قال فاعتجر نظرا الى المسـتعار (بما كانوا يصـنعون) بصنيعهم (ولقد جاءهم رسول منهم) يعنى محمدا صلى الله تعـالى عليه وسلم والضمير لاهل مكة عادالى ذكرهم بعدما ذكر مثلهم (فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون) اى حال التباسهم بالظلم والعذاب ماصابهم من الجدب الشـديد اووقعة بدر (فكلوا ممارزقكم الله حـلالا طيبـا واشـكروا نعمـة الله) امرهم باكل ماحل الله لهم وشـكر ماانعم عليهم بعـد زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بماذكر من التمثيل والعذاب الذى حل بهم صدالهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفـاسدة (ان كنتم اياه تعبـدون) تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وماهل لغير الله به فمن اضطر غـير باغ ولاعاد فان الله غفور رحيم) لما امرهم بتناول ماحل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ماعداها حل لهم ثم أكد ذلك بالنهى عن التحريم والتحليل باهو ائهم فقال (ولاتقولوا

قسم (شـئنا لنـذهبن بالذى أوحينا اليـك) اى القرآن بان نمحـوه من الصـدور والمصاحف (ثم لاتجدلك به علينا وكيلا الا) لكن أبقيناه (رحمة من ربك ان فضـله كان عليـك كبيرا) عظيـما حيث أنزله عليك واعطـاك المقـام المحمود وغير ذلك من الفضائل (قل لئن اجتمعت الانس والجـن عـلى أن ياتوا بمثـل هذا القرآن) فى الفصاحة والبلاغة (لايأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا) معينا نزل رد القولهم لونشاء لقلنا مثل هذا (ولقد صرفنا) بينا (للناس فى هذا القرآن من كل مثل) صـفة المحذوف اى مثـلا من جنس كل مثل ليتعظوا (فابى أكثر الناس) اى أهل مكـة (الا كفورا) جحودا للحق (وقالوا عطف عـلى أبى (لن نؤمن لك حتى تفجرلنا من الارض ينبوعا) عينا ينبع منها المـاء (او تكون لك جنة) بستان (من نخيـل وعنب فتفجر الانهار خـلالهـا) وسطها (تفجـيرا أو تسـقط السمـاء كمازعمت علينا كسـفا) قطعا

(أو تأتى بالله والملائكة قبيلا) مقابلة وعيانا فنراهم (او يكون لك بيت من زخرف) ذهب (أو ترقى) تصعد (فى السماء) بسلم (ولن نؤمن لرقيك) لو رقيت فيها (حتى تنزل علينا) منها (كتابا) فيه تصديقك (نقرؤه قل) لهم (سبحان ربى) تعجب (هل) ما (كنت الا بشرا رسولا) كسائر الرسل ولم يكونوا يأتوا بآية الا باذن الله (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا) اى قولهم منكرين (أبعث الله بشرا رسولا) ولم يبعث ملكا (قل) لهم (لو كان فى الارض) بدل البشر (ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) اذ لا يرسل الى قوم رسول الا من جنسهم ليمكنهم مخاطبته والفهم عنه (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) على صدقى (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) عالما ببواطنهم وظواهرهم (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء) يهدونهم (من دونه ونحشرهم

لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) كما قالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات فى الاجناس الاربعة الا ما قام عليه دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اى ولا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام او مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اى ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اى ولا تحرموا ولا تحلوا بمجرد قول تنطق به السنتكم من غير دليل ووصف السنتهم بالكذب مبالغة فى وصف كلامهم بالكذب كأن حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا لما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب (لتفتروا على الله الكذب) تعليل لا يتضمن الغرض (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) لما كان المفترى يفترى لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله (متاع قليل) اى ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب (ولهم عذاب اليم) فى الآخرة (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك) اى فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر (من قبل) متعلق بحرمنا او بقصصنا (وما ظلمناهم) بالتحريم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر فى العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله وغيره (ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها) من بعد التوبة (لغفور) لذلك السوء (رحيم) يثيب على الانابة (ان ابراهيم كان امة) لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة فى اشخاص كثيرة كقوله

وليس من الله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد *

وهو عليه السلام رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذى جادل فرق المشركين وابطل

مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن فى النبوة وتحريم ماحله اولانه كان وحده مؤمناوكان سائر الناس كفارا وقيل هى فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذاقصده اواقتدى به فان الناس كانوا يؤمنونه للاستفادة ويقتدون بسيرته لقوله انى جاعلك للناس اماما (قانتالله) مطيعاله قائما باوامره (حنيفا) مائلاعن الباطل (ولم يك من المشركين) كمازعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم صلوات الله عليه (شاكرا لانعمه) ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لايخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة (اجتباه) للنبوة (وهداه الى صراط مستقيم) فى الدعوة الى الله تعالى (وآتيناه فى الدنيا حسنة) بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا فى السعة والطاعة (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) لمن اهل الجنة كما سأله بقوله والحقنى بالصالحين (ثم اوحينا اليك) يامحمد وثم اما لتعظيمه والتنبيه على ان اجل ماأوتى ابراهيم عليه الصلاة والسلام اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ملته اولتراخى ايامه (ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا) فى التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب فهمه (وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين (انما جعل السبت) تعظيم السبت والتخلى فيه للعبادة (على الذين اختلفوا فيه) اى على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا الاطائفة منهم وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ من خلق السموات والارض فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم ههنا لتهديد المشركين كذكر القرية التى كفرت بانعم الله تعالى (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) بالمجازاة على الاختلاف مجازاة كل فريق بما يستحقه (ادع) من بعثت اليهم (الى سبيل ربك) الى الاسلام (بالحكمة) بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة (والموعظة الحسنة) الخطابات المقنعة والعبر النافعة والاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم (وجادلهم) وجادل معانديهم (بالتى هى احسن) بالطريقة التى هى احسن طرق المجادلة

يوم القيامة) ماشين (على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت) سكن لهبها (زدناهم سعيرا) تلهبا واشتعالا (ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا) منكرين للبعث (أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا أولم يروا) يعلموا (أن الله الذى خلق السموات والارض) مع عظمهما (قادر على أن يخلق مثلهم) اى الاناسى فى الصغر (وجعل لهم أجلا) للموت والبعث (لاريب فيه (فأبى الظالمون الا كفورا) جحوداله (قل) لهم (لوأنتم تملكون خزائن رحمة ربى) من الرزق والمطر (اذا لامسكتم) لبخلتم (خشية الانفاق) خوف نفادها بالانفاق فتقتروا (وكان الانسان قتورا) بخيلا (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) واضحات وهى اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والسنين ونقص الثمرات (فاسأل) يامحمد (بنى اسرائيل) عنه سؤال تقرير للمشركين

من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التى هى اشهر فان ذلك انفع فى تسكين لهبهم وتبيين شغلهم (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) اى انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا عليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازى لهم (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من شايعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح فى دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما رأى حمزة وقد مثل به قال والله لئن اظفرنى الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجانى وليس له ان يجاوزه وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم فعاقبوا وتصريحا على الوجه الآكد بقوله (ولئن صبرتم لهو) اى الصبر (خير للصابرين) من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالامر به لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اولى الناس به لزيادة علمه ووثوقه عليه فقال (واصبر وما صبرك الا بالله) الا بتوفيقه وتثبيته (ولا تحزن عليهم) على الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم (ولا تك فى ضيق مما يمكرون) فى ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير فى ضيق بالكسر هنا وفى النمل وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق (ان الله مع الذين اتقوا) المعاصى (والذين هم محسنون) فى اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه * عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه فى دار الدنيا وان مات فى يوم تلاها او ليلته كان له من الاجر كالذى مات واحسن الوصية

(سورة بنى اسرائيل مكية وقيل الا قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثمان آيات وهى مائة وعشر آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبحان الذى اسرى بعبده ليلا) سبحان اسم بمعنى التسبيح الذى هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال * قد قلت لما جاءنى فخره * سبحان من علقمة الفاخر * وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد واسرى

على صدقك أو قلنا اسأل وفى قراءة بلفظ الماضى (اذ جاءهم فقال له فرعون انى لاظنك ياموسى مسحورا) مخدوعا مغلوبا على عقلك (قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء) الآيات (الا رب السموات والارض بصائر) عبرا ولكنك تعاند وفى قراءة بضم التاء (وانى لاظنك يا فرعون مثبورا) هالكا أو مصروفا عن الخير (فاراد) فرعون (ان يستفزهم) يخرج موسى وقومه (من الارض) أرض مصر (فاغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة) اى الساعة (جئنا بكم لفيفا) جميعا انتم وهم (وبالحق انزلناه) اى القرآن (وبالحق) المشتمل عليه (نزل) كما أنزل لم يعتره تبديل (وما أرسلناك) يا محمد (الا مبشرا) من آمن بالجنة (ونذيرا) من كفر بالنار (وقرآنا) منصوب بفعل يفسره (فرقناه) نزلناه مفرقا فى عشرين سنة أو وثلاث (لتقرأه على الناس على مكث) مهل وتؤدة ليفهموه

(ونزلناه تنزيلا) شيئا بعد شئ على حسب المصالح (قل) لكفار مكة (آمنوا به أولاتؤمنوا) تهديد لهم (ان الذين أوتوا العلم من قبله) نزوله وهم مؤمنو أهل الكتاب (اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا) تنزيها له عن خلف الوعد (ان) مخففة (كان وعد ربنا) بنزوله وبعث النبي صلى الله عليه وسلم (لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون) عطفه بزيادة صفة (ويزيدهم) القرآن (خشوعا) تواضعا لله وكان صلى الله عليه وسلم يقول يا ألله يا رحمن فقالوا ينهانا أن نعبد الهين وهو يدعو الها آخر معه فنزل (قل) لهم (ادعوا الله اوادعوا الرحمن) اى سموه بايهما أو نادوه بان تقولوا يا ألله يارحمن (أيا) شرطية (ما) زائدة اى اى هذين (تدعوا) فهو حسن دل على هذا (فله) اى لمسماهما (الاسماء الحسنى) وهذان منها فانها كما فى الحديث الله الذى لااله الاهو الرحمن الرحيم الملك القدوس

وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل اى بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به (من المسجد الحرام) بعينه لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال بينا انا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذأتانى جبرائيل بالبراق اومن الحرم وسماه المسجد الحرام لان كله مسجد اولانه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى لما روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان نائما فى بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فاسرى به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لى النبيون فصليت لهم ثم خرج الى المسجد الحرام واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابى بكر رضى الله تعالى عنه فقال ان كان قال لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال انى لاصدقه على ابعد من ذلك فسمى الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلى له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبرهم ثم لم يؤمنوا وقالوا ماهذا الاسحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف فى انه كان فى المنام اوفى اليقظة بروحه اوبجسده والاكثر على انه اسرى بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش منه واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت فى الهندسة ان مابين طرفى قرص الشمس ضعف مابين طرفى كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى فى اقل من ثانية وقد برهن فى الكلام ان الاجسام متساوية فى قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة فى بدن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اوفى مايحمله والتعجب من لوازم المعجزات (الى المسجد الاقصى) بيت المقدس لانه حينئذ لم يكن وراءه مسجد (الذى باركنا حوله) ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحى ومتعبد الانبياء من لدن موسى عليه السلام ومحفوف بالانهار والاشجار (لنريه من آياتنا) كذهابه فى برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدة بيت المقدس وتمثل الانبياء عليهم الصلاة والسلام له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم

تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء (انه هو السميع) لاقوال محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (البصير) بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك (وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ان لاتتخذوا) على ان لاتتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل وقرأ ابو عمرو بالياء على لان لايتخذوا (من دونى وكيلا) ربا تكلون اليه اموركم غيرى (ذرية من حملنا مع نوح) نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ ان لاتتخذوا بالتاء على النهى يعنى قلنالهم لاتتخذوا من دونى وكيلا ياذرية من حملنا مع نوح اوعلى انه احد مفعولى لاتتخذوا ومن دونى حال من وكيلا فيكون كقوله ولايأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اوبدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله تعالى عليهم فى انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح عليه السلام فى السفينة (انه) ان نوحا عليه السلام (كان عبدا شكورا) يحمد الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه الصلاة والسلام (وقضينا الى بنى اسرائيل) واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا (فى الكتاب) فى التوراة (لتفسدن فى الارض) جواب قسم محذوف اوقضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم (مرتين) افسادتين اولاهما مخالفة احكام التوراة وقتل شعياء وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام (ولتعلن علوا كبيرا) ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى اولتظلمن الناس (فاذا جاء وعد اولاهما) وعيد عقاب اولاهما (بعثنا عليكم عبادا لنا) بخت نصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الخزرى وقيل سنجاريب من اهل نينوى (اولى بأس شديد) ذوى قوة وبطش فى الحرب شديد (فجاسوا) ترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان (خلال الديار) وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع (وكان وعدا مفعولا) وكان وعد عقابهم لابدان يفعل (ثم رددنا لكم الكرة) اى الدولة والغلبة (عليهم) على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله تعالى فى قلب بهمن ابن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم

السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلى الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوى المتين الولى الحميد المحصى المبدئ المعيد المحيى المميت الحى القيوم الواجد الماجد الواحد الاحد الصمد القادر المقتدر المؤخر الاول الآخر الظاهر الباطن الوالى المتعالى البر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغنى المغنى المانع الضار النافع النور الهادى البديع الباقى الوارث الرشيد الصبور رواه الترمذى قال تعالى (ولاتجهر بصلاتك) بقراءتك فيها فيسمعك المشركون فيسبوك ويسبوا القرآن ومن أنزله (ولاتخافت)

فرد اسراء هم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع
بخت نصر او بان سلط داود عليه السلام على جالوت فقتله (وامددناكم
باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا) مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل
من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو (ان احسنتم
احسنتم لانفسكم) لان ثوابها لها (وان اسأتم فلها) فان وبالها عليها
وانما ذكر باللام ازدواجا (فاذا جاء وعد الآخرة) وعد العقوبة المرة
الآخرة (ليسوؤا وجوهكم) اى بعثناهم ليسوؤا وجوهكم ليجعلوها
بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة
وابوبكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او البعث او لله ويعضده
قراءة الكسائى بالنون وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة
ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام فى قوله
(وليدخلوا المسجد) متعلق بمحذوف هو بعثناهم (كما دخلوه اول مرة
وليتبروا) ليهلكوا (ماعلوا) ماغلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم (تتبيرا)
وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك
الطوائف اسمه جوذرز وقيل خردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح
قرابينهم فوجد فيه دما يغلى فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا
فقال ماصدقونى فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقونى
ماتركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى عليه السلام فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم
ثم قال يا يحيى قد علم ربى وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله
تعالى قبل ان لا ابقى احدا منهم فهدأ (عسى ربكم ان يرحمكم) بعد المرة
الاخرى (وان عدتم) نوبة اخرى (عدنا) ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا
بتكذيب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقصد قتله فعاد الله تعالى بتسليطه
عليهم فقتل قريظة واجلى بنى النضير وضرب الجزية على الباقين هذا لهم
فى الدنيا (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) محبسا لا يقدرون على الخروج
منها ابد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير (ان هذا القرآن يهدى للتى
هى اقوم) للحالة او الطريقة التى هى اقوم الحالات او الطرق
(ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا) وقرأ حمزة
والكسائى يبشر بالتخفيف (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة
اعتدنا لهم عذابا اليما) عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر

تسر (بها) لينتفع اصحابك
(وابتغ) اقصد (بين ذلك)
الجهر والمخافتة (سبيلا)
طريقا وسطا (وقل
الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا
ولم يكن له شريك فى الملك)
فى الالوهية (ولم يكن له
ولى) ينصره (من)
اجل (الذل) اى لم
يذل فيحتاج الى ناصر
(وكبره تكبيرا) عظمة
تامة عن اتخاذ الولد
والشريك والذل وكل
مالا يليق به وترتيب الحمد
على ذلك للدلالة على
انه المستحق لجميع المحامد
لكمال ذاته وتفرده فى
صفاته روى الامام احمد
فى مسنده عن معاذ
الجهنى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه
كان يقول آية العز
الحمد لله الذى لم يتخذ
ولدا ولم يكن له شريك فى
الملك الى آخر السورة والله
تعالى أعلم * قال مؤلفه
هذا آخر ما كملت به تفسير
القرآن الكريم الذى ألفه
الشيخ الامام العالم العلامة
المحقق جلال الدين المحلى

المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم اوعلى يبشر باضمار يخبر
(ويدع الانسان بالشر) ويدع الله تعالى عند غضبه بالشر على نفسه
واهله وماله اويدعوه بمايحسبه خيرا وهو شر (دعاءه بالخير) مثل دعائه
بالخير (وكان الانسان عجولا) يسارع الى كل مايخطر بباله لاينظر عاقبته
وقيل المراد آدم عليه السلام فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض
فسقط روى انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة رضى الله عنها
فرحمته لانينه فارخت اكتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال
عليه السلام اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائى رحمة له
فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء
كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر علينا حجارة الآية فاجيب له فضرب عنقه يوم بدر صبرا
(وجعلنا الليل والنهار آيتين) تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق
واحد بامكان غيره (فمحونا آية الليل) اى الآية التى هى الليل بالاشراق
والاضافة للتبيين كاضافة العدد الى المعدود (وجعلنا آية النهار
مبصرة) مضيئة اومبصرة للناس من ابصره فبصر اومبصرا اهله
كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان القمر والشمس
وتقدير الكلام وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين اوجعلنا الليل والنهار ذوى
آيتين ومحو آية الليل التى هى القمر جعلها مظلمة فى نفسها مطموسة
النور اونقص نورها شيئاً فشيئاً الى المحاق وجعل آية النهار التى هى
الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع يبصر الاشياء بضوئها (لتبتغوا فضلا
من ربكم) لتطلبوا فى بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة
اعمالكم (ولتعلموا) باختلافهما اوبحركتهما (عدد السنين والحساب)
وجنس الحساب (وكل شئ) تفتقرون اليه فى امر الدين والدنيا (فصلناه
تفصيلا) بينا بيانا غير ملتبس (وكل انسان الزمناه طائره) عمله وماقدر له
كأنه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون
بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل
العبد (فى عنقه) لزوم الطوق فى عنقه (ونخرج له يوم القيامة كتابا) هى
صحيفة عمله اونفسه المنتقشة بآثار اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث
فى النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لهم ملكات ونصبه بانه مفعول

الشافعى رضى الله عنه وقد
أفرغت فيه جهدى * وبذلت
فكرى فيه فى نفائس أراها
ان شاء الله تعالى تجدى وألفته
فى مدة قدر ميعاد الكليم *
وجعلته وسيلة للفوز بجنات
النعيم * وهو فى الحقيقة
مستفاد من الكتاب المكمل *
وعليه فى الآى المتشابهة الاعتماد
والمعول * فرحم الله امرأ
نظر بعين الانصاف
اليه * ووقف فيه على
خطأ فأطلعنى عليه * وقد
قلت

* حمدت الله ربى اذ هدانى *
* لما أبديت مع عجزى وضعفى *
* فمن لى بالخطا فارد عنه *
* ومن لى بالقبول ولو بحرف *

هذا ولم يكن قط فى خلدى
أن أتعرض لذلك * لعلمى
بالعجز عن الخوض فى هذا
المسالك * وعسى الله أن
ينفع به نفعا جما * ويفتح
به قلوبا غلفا وأعينا عميا
وآذانا صما * وكأنى بمن
اعتاد المطولات وقد أضرب
عن هذه التكملة وأصلها
حسما * وعدل الى صريح
العناد ولم يوجه الى دقائقها

او حال من مفعول محذوف هو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج وقرئ ويخرج اى الله تعالى (يلقاه منشورا) لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب اويلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا (اقرأ كتابك) على ارادة القول (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) اى كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه امابمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا اوبمعنى الكافى فوضع موضع الشهيد لانه يكفى المدعى ماهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة ممايتولاه الرجال اوعلى تأويل النفس بالشخص (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) لاينجى اهتداؤه غيره ولايردى ضلاله سواه (ولاتزروازرة وزر اخرى) ولاتحمل نفس حاملة وزرا وزرت نفس اخرى بل انما تحمل وزرها (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لاوجوب قبل الشرع (واذا اردنا ان نهلك قرية) واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق اودنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة (امرنا مترفيها) متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ماقبله ومابعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد فى العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله (ففسقوا فيها) كقولك امرته فقرأ فانه لايفهم منه الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه اوالتسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسق ويحتمل ان لايكون له مفعول منوى كقولهم امرته فعصانى وقيل معناه كثرنا يقال آمرت الشئ وامرته فامر اذا كثرته وفى الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اى كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية امرنا عن ابى عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة اى جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور (فحق عليها القول) يعنى كلمة العذاب السابقة بحلوله اوبظهور معاصيهم اوبانهماكهم فى المعاصى (فدمرناها تدميرا) اهلكناهم

فهما * ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى رزقنا الله به هداية الى سبيل الحق وتوفيقا * واطلاعا على دقائق كلماته وتحقيقا * وجعلنا به مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا (وفرغ) من تأليفه يوم الاحد عاشر شوال سنة سبعين وثمانمائة (وكان) الابتداء يوم الاربعاء مستهل رمضان من السنة المذكورة وفرغ من تبييضه يوم الاربعاء سادس صفر سنة احدى وسبعين وثمانمائة والله أعلم

قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبى بكر الخطيب الطوخى أخبرنى صديقى الشيخ العلامة كمال الدين المحلى أخو شيخنا الشيخ الامام جلال الدين المحلى رحمهما الله تعالى انه رأى أخاه الشيخ جلال الدين المذكور فى النوم وبين يديه صديقنا الشيخ العلامة المحقق جلال

باهلاك اهلها وتخريب ديارها (وكم اهلكنا) وكثيرا اهلكنا (من القرون) بيان لكم وتمييزله (من بعد نوح) كعاد وثمود (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه (من كان يريد العاجلة) مقصورا عليها همه (عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد) قيد المعجل له بالمشيئة والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشيئة والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ يشاء والضمير فيه لله تعالى حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله تعالى به ذلك وقيل الآية في المنافقين وكانوا يراؤن المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الاما همتهم في الغنائم ونحوها (ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا) مطرودا من رحمة الله تعالى (ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها) حقها من السعي وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهى عنه لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص (وهو مؤمن) ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة (فاولئك) الجامعون للشروط الثلاثة (كان سعيهم مشكورا) من الله تعالى اى مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة (كلا) كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه (نمد) بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل آنفه مددا لسالفه (هؤلاء وهؤلاء) بدل من كلا (من عطاء ربك) من معطاه متعلق بنمد (وما كان عطاء ربك محظورا) ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال (وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا) اى التفاوت في الآخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها (لا تجعل مع الله الها آخر) الخطاب للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به امته اولكل احد (فتقعد) فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة اوفتعجز من قولهم قعد عن الشئ اذا عجز عنه (مذموما مخذولا) جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذ لان من الله تعالى ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا (وقضى ربك) وامر امرا مقطوعا به (ان لا تعبدوا) بان لا تعبدوا (الا اياه) لان غاية التعظيم لا يحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الآخرة ويجوز

الدين السيوطى مصنف هذه التكملة وقد أخذ الشيخ هذه التكملة فى يده وتصفحها ويقول لمصنفها المذكور أيهما أحسن وضعى أو وضعك فقال وضعى فقال انظر وعرض عليه مواضع فيها وكأنه يشير الى اعتراض فيها بلطف ومصنف هذه التكملة كلما أورد عليه شيئا يجيبه والشيخ يتبسم ويضحك قال شيخنا الامام العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى مصنف هذه التكملة الذى اعتقده وأجزم به أن الوضع الذى وضعه الشيخ جلال الدين المحلى رحمه الله تعالى فى قطعته أحسن من وضعى انا بطبقات كثيرة كيف وغالب ما وضعته هنا مقتبس من وضعه ومستفاد منه لا مرية عندى فى ذلك وأما الرؤيا الذى رؤى فى المنام المكتوب اعلاه فلعل الشيخ أشار به الى المواضع القليلة التى خالفت وضعه فيها لنكتة وهى يسيرة جدا ما أظنها

ان تكون ان مفسرة ولا ناهية (وبالوالدين احسانا) وبان تحسنوا او واحسنوا
بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان يتعلق الباء
بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه (اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما)
اما هى ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا ولذلك صح لحوق النون المؤكدة
الفعل واحدهما فاعل يبلغن او بدل على قراءة حمزة والكسائى من الف
يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا
ولذلك لم يجز ان يكون تأكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا فى كنفه وكفالته
(فلا تقل لهما اف) فلا تضجر مما يستقذر منهما ويستثقل من مؤنتهما
وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذى هو اتضجر وهو مبنى
على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه فى قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ
ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم
للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهى عن ذلك يدل على المنع من سائر
انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير
والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حذيفة من قتل
ابيه وهو فى صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما
(ولا تنهرهما) ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهى والنهر والنهم
اخوات (وقل لهما) بدل التأفيف والنهر (قولا كريما) جميلا لا شراسة
فيه (واخفض لهما جناح الذل) تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل
جناحا كما جعل لبيد فى قوله * وغداة ريح قد كشفت وقرة * اذ اصبحت
بيد الشمال زمامها * للشمال او للقرة زماما وامره بخفضها مبالغة او اراد
جناحه كقوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان
والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل
وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول (من الرحمة) من
فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله تعالى
اليهما (وقل رب ارحمهما) وادع الله تعالى ان يرحمهما رحمته الباقية
ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما
(كما ربيانى صغيرا) رحمة مثل رحمتهما على وتربيتهما وارشادهما لى
فى صغرى وفاء بوعدك للراحمين روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ان ابوى بلغا من الكبر انى الى منهما ما وليا منى فى الصغر فهل

تبلغ عشرة مواضع منها
أن الشيخ قال فى سورة ص
والروح جسم لطيف يحيا
به الانسان بنفوذه فيه
وكنت تبعته فيه اولا فذكرت
هذا الحد فى سورة الحجر
ثم ضربت عليه لقوله تعالى
ويسألونك عن الروح قل الروح
من أمر ربى الآية فهو
صريحة أو كالصريحة
فى أن الروح من علم الله تعالى
لا نعلمه فالامساك عن تعريفها
اولى ولذا قال الشيخ تاج
الدين بن السبكى فى جمع
الجوامع والروح لم يتكلم
عليها محمد صلى الله
عليه وسلم فتمسك عنها
ومنها ان الشيخ قال فى
سورة الحج الصابئون فرقة
من اليهود فذكرت ذلك
فى سورة البقرة وزدت
او النصارى بيانا لقول ثان
فانه المعروف خصوصا
عند اصحابنا الفقهاء وفى
المنهاج وان خالفت
السامرة اليهود والصابئة
النصارى فى اصل دينهم
حرمن وفى شروحه ان
الشافعى رضى الله عنه نص

قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما (ربكم اعلم بما فى نفوسكم) من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا (ان تكونوا صالحين) قاصدين للصلاح (فانه كان للاوابين) للتوابين (غفورا) ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجانى على ابويه اندراجا اوليا لوروده على اثره (وآت ذا القربى حقه) من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذى القربى اقارب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) بصرف المال فيما لا ينبغى وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف فقال افى الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) امثالهم فى الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم فى الاسراف والصرف فى المعاصى روى انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم فى السمعة فنهاهم الله تعالى عن ذلك وامرهم بالانفاق فى القربات (وكان الشيطان لربه كفورا) مبالغا فى الكفر به فينبغى ان لا يطاع (واما تعرضن عنهم) وان اعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) لانتظار رزق من الله ترجوه ان يأتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذى هو قوله تعالى (فقل لهم قولا ميسورا) اى فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله تعالى ورزقنا الله واياكم (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذى هو الكرم (فتقعد ملوما) فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير

على أن الصابئين فرقة من النصارى ولا أستحضر الآن موضعا ثالثا فكان الشيخ رحمه الله تعالى يشير الى مثل هذا والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

م

(محسورا) نادما او منقطعا بك لاشئ عندك من حسره السفر اذا بلغ منه
وعن جابر رضى الله تعالى عنه بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتاه صبى
فقال ان امي تستكسيك درعا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم من ساعة الى
ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له ان امى تستكسيك الدرع
الذى عليك فدخل صلى الله تعالى عليه وسلم داره ونزع قيصه واعطاه
وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا الصلاة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم
سلاه بقوله (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسعه ويضيقه
بمشيئته التابعة للحكمة البالغة فليس مايرهقك من الاضاقة الالمصلحتك
(انه كان بعباده خبيرا بصيرا) يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم
مايخفى عليهم ويجوز ان يريد ان البسط والقبض من امر الله تعالى العالم
بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا اوانه تعالى يبسط تارة
ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولاتقبضوا كل القبض ولاتبسطوا كل البسط
وان يكون تمهيدا لقوله تعالى (ولاتقتلوا اولادكم خشية املاق) مخافة الفاقة
وقتلهم اولادهم هووأدهم بناتهم لمخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم
ارزاقهم فقال (نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا) ذنبا كبيرا
لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطئ الاثم يقال خطئ خطأ
كأثم اثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب وقيل
لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو
امالغة فيه او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ فى قوله * تخاطأه
القناص حتى وجدته * وخرطومه فى منقع الماء راسب * وهو مبنى
عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا
(ولاتقربوا الزنى) بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا ان تباشروه (انه كان
فاحشة) فعلة ظاهرة القبح زائدته (وساء سبيلا) وبئس طريقا طريقه وهو
الغصب على الابضاع المؤدى الى قطع الانساب وتهييج الفتن (ولاتقتلوا
النفس التى حرم الله الا بالحق) الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنى بعد
احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا (ومن قتل مظلوما) غير مستوجب
للقتل (فقد جعلنا لوليه) الذى يلى امره بعد وفاته وهو الوارث (سلطانا)
تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من قتله او بالقصاص على القاتل
فان قوله تعالى مظلوما يدل على ان القتل عمدا عدوان فان الخطأ

لايسمى ظلما (فلايسرف) اى القاتل (فى القتـل) بان يقتل من لايستحق قتله فان العـاقل لايفعل مايعود عليه بالهلاك اوالولى بالمثلة اوقتل غـير القاتل و يؤ يد الاول قراءة ابى فلاتسرفـوا وقرأ حمزة والكسائى فلاتسرف على خطـاب احدهمـا (انه كان منصورا) علة النهى على الاستئناف والضمير اماللمقتول فانه منصـور فى الدنيـا بثبوت القصاص بقتله وفى الآخرة بالثواب واماالوليه فان الله تعالى نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعاونته واماللذى يقتـله الولى اسرافا بايجـاب القصاص اوالتعزير والوزر على المسرف (ولاتقربوا مال اليتيم) فضـلا عن ان تتصرفـوا فيه (الابالتى هى احسـن) الا بالطريقة التى هى احسن (حتى يبلغ اشـده) غاية لجـواز التصرف الـذى دل عليـه الاستثناء (واوفوا بالعهد) بمـاعاهدكم الله من تكاليفه اوماعاهدتموه وغيره (ان العهد كان مسؤلا) مطلوبا يطلب من المعاهد ان لايضيعه و يفى به اومسـؤلا عنه يسأل الناكث و يعاتب عليه او يسأل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كمايقال للموؤدة باى ذنب قتلت فيكون تخييلا و يجوز ان يراد ان صـاحب العهد كان مسؤلا (واوفوا الكيل اذا كلتم) ولاتبخسوافيه (وزنوا بالقسـطاس المستقيم) بالميزان السوى وهو رومى عرب ولايقدح ذلك فى عربية القرآن لان العجمى اذا استعمله العرب واجرته مجرى كلامهم فى الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائى وحفص بكسر القاف هنا وفى الشعراء (ذلك خير واحسن تأويلا) واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع (ولاتقف) ولاتتبع وقرئ ولاتقف من قاف اثره اذا قفـاه ومنه القـافة (ماليس لك به علم) مالم يتعلق به علمك تقليدا اورجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هوالاعتقاد الراجح المسـتفاد من سـند سواء كان قطعا اوظنا واستعماله لهذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمى وشهادة الزور و يؤ يده قوله عليه الصلاة والسلام من قفامؤمنا بماليس فيه حبسـه الله فى ردغة الخبـال حتى يأتى بالمخرج وقول الكميت * ولاارمى البرى بغـير ذنب * ولااقفـو الحـواصن ان قفينا * (ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك) اى كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا اوان اولاء وان غلب فى العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلتين جاء لغيرهم كقوله

والعيش بعدا ولئك الايام (كان عنه مسؤلا) فى ثلاثتها ضمير كل اى كان كل واحد منها مسؤلا عن نفسه يعنى عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير فى عنه لمصدر لاتقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤلا مسند الى عنه كقوله تعالى غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل ومايقوم مقامه لايتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ الفؤاد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح (ولاتمش فى الارض مرحا) اى ذامرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت (انك لن تخرق الارض) لن تجعل فيها خرقا لشدة وطئتك (ولن تبلغ الجبال طولا) بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهى بان الاختيال حماقة مجردة لاتعود بجدوى ليس فى التذلل (كل ذلك) اشارة الى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله تعالى لاتجعل مع الله الها آخر وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انها المكتوبة فى الواح موسى عليه السلام (كان سيئه) يعنى المنهى عنه فان المذكورة مامورات ومنهيات وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى مانهى عنه خاصة وعلى هذا قوله (عندربك مكروها) بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن فى كان اوفى الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضى لامايقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادة الله تعالى (ذلك) اشارة الى الاحكام المتقدمة (مما اوحى اليك ربك من الحكمة) التى هى معرفة الحق لذاته والخير للعمل به (ولاتجعل مع الله الها آخر) كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لاقصد له بطل عمله ومن قصد بفعله اوتركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ماهو عائدة الشرك فى الدنيا وثانيا ماهو نتيجته فى العقبى فقال تعالى (فتلقى فى جهنم ملوما) تلوم نفسك (مدحورا) مبعدا من رحمة الله تعالى (أفاصفاكم ربكم بالبنين) خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون (واتخذ من الملائكة اناثا) بنات لنفسه هذا خلاف ماعليه عقولكم وعادتكم

(انكم لتقولون قولا عظيما) باضافة الاولاد اليه وهى خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ماتكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله أدونهم (ولقد صرفنا) كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير (فى هذا القرآن) فى مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه بتقدير ولقد صرفنا القول فى هذا المعنى اواوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف (ليذكروا) ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى الفرقان ليذكروا من الذكر الذى هو بمعنى التذكر (ومايزيدهم الانفورا) عن الحق وقلة طمانينة اليه (قل لوكان معه آلهة كماتقولون) ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم بالياء فيه وفى مابعده على ان الكلام مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ووافقهما نافع وابن عامر وابوعمرو وابوبكر ويعقوب فى الثانية على ان الاولى مما امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ان يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالتهم (اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا) جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمغالبة كمايفعل الملوك بعضهم مع بعض اوبالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة (سبحانه) ننزهه تنزيها (وتعالى عمايقولون علوا) تعاليا (كبيرا) متباعدا غاية البعد عمايقولون فانه فى اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص مايمتنع بقاؤه (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الايسبح بحمده) ينزهه عماهو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث يدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته (ولكن لاتفقهون تسبيحهم) ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذى به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى مايتصور منه اللفظ والى مالا يتصور منه وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وابوبكر يسبح بالياء (انه كان حليما) حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم (غفورا) لمن تاب منكم (واذا قرأت القرآن) جعلنا بينك وبين الذين

(لايؤمنون بالآخرة حجابا) يحجبهم عن فهم ماتقرأه عليهم (مستورا)
ذاستر كقوله تعالى وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم اومستورا عن الحس
او بحجاب آخر لايفهمون ولايفهمون انهم لايفهمون نفى عنهم
ان يفهموا مانزل عليهم من الآيات بعد مانفى عنهم التفقه للدلالات
المنصوبة فى الانفس والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على
الضلالة كما صرح بقوله (وجعلنا على قلوبهم اكنة) تكنها وتحول
دونها عن ادراك الحق وقبوله (ان يفقهوه) كراهة ان يفقهوه
ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم
اكنة اى منعناهم ان يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) يمنعهم عن استماعه
ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه مايمنع
عن فهم المعنى وادراك اللفظ (واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) واحدا
غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده
بمعنى واحدا وحده (ولوا على ادبارهم نفورا) هربا من استماع التوحيد
ونفرة اوتولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود (نحن اعلم
بما يستمعون به) بسببه ولاجله من الهزؤ بك وبالقرآن (اذ يستمعون اليك)
ظرف لاعلم وكذا (واذهم نجوى) اى نحن اعلم بغرضهم من الاستماع
حين هم يستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذو نجوى يتناجون به
ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجى (اذ يقول الظالمون ان تتبعون
الارجلا مسحورا) مقدر باذكر اوبدل من اذهم نجوى على وضع الظالمين
موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا من باب الظلم والمسحور
هو الذى سحر به فزال عقله وقيل الذى له سحر وهو الرئة اى الارجلا
يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم (انظر كيف ضربوا لك الامثال) مثلوك
بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون (فضلوا) عن الحق فى جميع ذلك
(فلا يستطيعون سبيلا) الى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير
فى امره لايدرى مايصنع اوالى الرشاد (وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا)
وحطاما (ائنا لمبعوثون خلقا جديدا) على الانكار والاستبعاد لما بين
غضاضة الحى ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل فى اذا مادل
عليه مبعوثون لانفسه لان مابعد ان لايعمل فيما قبلها وخلقا مصدر
اوحال (قل) جوابا لهم (كونوا حجارة اوحديدا اوخلقا مما يكبر فى صدوركم

اى مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه ابعد شئ منها فان قدرته تعالى لاتقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام فى قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل والشئ اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد (فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة) وكنتم ترابا وماهو ابعد منه من الحياة (فسينغضون اليك رؤسهم) فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء (ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا) فان كل ماهو آت قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اى يكون فى زمان قريب وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر (يوم يدعوكم فتستجيبون) اى يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء (بحمده) حال منهم اى حامدين لله تعالى على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه (وتظنون ان لبثتم الاقليلا) وتستقصرون مدة لبثكم فى القبور كالذى مر على قرية او مدة حياتكم لما ترون من الهول (وقل لعبادى) يعنى المؤمنين (يقولوا التى هى احسن) الكلمة التى هى احسن ولايخاشنوا المشركين (ان الشيطان ينزغ بينهم) يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضى الى العناد وازدياد الفساد (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) ظاهر العداوة (ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم) تفسير للتى هى احسن ومابينهما اعتراض اى قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولاتصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب لايعلمه الا الله (وما ارسلناك عليهم وكيلا) موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال منهم وروى ان المشركين افرطوا فى ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رضى الله عنه رجل منهم فهم به فامره الله بالعفو (وربك اعلم بمن فى السموات والارض) باحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) بالفضائل النفسانية والتبرئ عن العلائق الجسمانية لابكثرة الاموال والاتباع

حتى داود عليه السلام فان شرفه بما اوحى اليه من الكتاب لا بما اوتيه من الملك وقيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقوله (وآتينا داود زبورا) تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء عليه الصلوة السلام وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب فى الزبور من ان الارض يرثها عبادى الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه فى قوله كتبنا فى الزبور لانه فى الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم وهو كالعباس او الفضل اولان المراد وآتينا داود بعض الزبور او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام (قل ادعوا الذين زعمتم) انها آلهة (من دونه) كالملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام (فلا يملكون) فلا يستطيعون (كشف الضر عنكم) كالمرض والفقر والقحط (ولا تحويلا) ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم (اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة (ايهم اقرب) بدل من واو يبتغون اى يبتغى من هو اقرب منهم الى الله تعالى الوسيلة فكيف بغير الاقرب (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) كسائر العباد فكيف تزعمون انهم الهة (ان عذاب ربك كان محذورا) حقيقا بان يحذر كل احد حتى الرسل والملائكة (وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) بالموت والاستئصال (او معذبوها عذابا شديدا) بالقتل وانواع البلية (كان ذلك فى الكتاب) فى اللوح المحفوظ (مسطورا) مكتوبا (وما منعنا ان نرسل بالآيات) وما صرفناه عن ارسال الآيات التى اقترحها قريش (الا ان كذب بها الاولون) الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم فى الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستئصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستأصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال (وآتينا ثمود الناقة) بسؤالهم (مبصرة) بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوى بصائر وقرى بالفتح (فظلموا بها) فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها (وما نرسل بالآيات) اى بالآيات المقترحة (الا تخويفا) من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة فان امر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيامة والباء مزيدة او فى موقع الحال والمفعول محذوف

(واذقلنالك) واذكر اذا وحينا اليك (ان ربك احاط بالناس) فهم فى قبضة قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضى لتحقق وقوعه (وماجعلنا الرؤيا التى ارينــاك) ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان فى المنام ومن قال انه كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية اوعام الحديبية حين رأى انه دخل مكة وفيه ان الآية مكية الا ان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا رآها فى وقعة بدر لقوله تعالى اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولما روى انه عليه السلام لما ورد ماءه قال لكأنى انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوما من بنى امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هذا حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله (الافتنة للناس) ماحدث فى ايامهم (والشجرة الملعونة فى القرآن) عطف على الرؤيا وهى شجرة الزقوم لماسمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان يحمى وبر السمندر من ان تأكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التى تبتلعها قدر ان يخلق فى النار شجرة لاتحرقها ولعنها فى القرآن لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة اووصفها بانها فى اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة اوبانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقداولت بالشيطان وابى جهل والحكم بن ابى العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اى والشجرة الملعونة فى القرآن كذلك (ونخوفهم) بانواع التخويف (فمايزيدهم الاطغيانا كبيرا) الاعتوا مجاوز الحد (واذقلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينــا) لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اى خلقته وهو طين او منه اى أأسجد له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار (قال ارايتك هذا الذى كرمت على) الكاف لتأكيد الخطاب لامحل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذى صفته والمفعول الثانى محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرنى عن هذا الذى كرمته على بامرى بالسجود له لم كرمته على (لئن اخرتن الى يوم القيامة) كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه (لاحتنكن ذريته

الاقليلا) اى لاستأصلنهم بالاغواء الاقليلالااقدر على ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذاجرد ماعليها اكلامأخوذا من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير اوتفرسا من خلقه ذاوهم وشهوة وغضب (قال اذهب) امض لماقصدته وهو طردو تخلية بينه وبين ماسولت له نفسه (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات (جزاء موفورا) مكملا من قولهم فرلصاحبك عرضه فرة وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او بما فى جزاؤكم من معنى تجازون اوحال موطئة لقوله موفورا (واستفزز) واستخف (من استطعت منهم) ان تستفزه والفز الخفيف (بصوتك) بدعائك الى الفساد (واجلب عليهم) وصح عليهم من الجلبة وهى الصياح (بخيلك ورجلك) باعوانك من راجل وراكب والخيل الخيالة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ياخيل الله اركبى والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم وقرأ حفص رجلك بالكسر وقرئ بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ ورجالك ورجالك (وشاركهم فى الاموال) بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على مالاينبغى (والاولاد) بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة (وعدهم) المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول الامل (ومايعدهم الشيطان الاغرورا) اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطأ بمايوهم انه صواب (ان عبادى) يعنى المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد فى قوله الاعبادك منهم المخلصين يخصصهم (ليس لك عليهم سلطان) اى على اغوائهم قدرة (وكفى بربك وكيلا) يتوكلون به فى الاستعاذة منك على الحقيقة (ربكم الذى يزجى) هو الذى يجرى (لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله) الربح وانواع الامتعة التى لاتكون عندكم (انه كان بكم رحيما) حيث هيأ لكم ماتحتاجون اليه وسهل

عليكم ماتعسر من اسبابه (واذامسكم الضرفى البحر) خوف الغرق (ضل من تدعون) ذهب عن خواطركم كل من تدعـونه فى حوادثكم (الااياه) وحده فانكم حينئذ لايخطر ببالكم سواه ولاتدعون لكشفه الااياه اوضل كل من تعبدونه من اغاثتكم الاالله (فلما نجاكم) من الغرق (الى البر اعرضتم) عن التوحيد وقيل اتسعتم فى كفران النعمة كقول ذى الرمة * عطاء فتى تمكن فى المعالى * فاعرض فى المكارم واستطالا * (وكان الانسان كفورا) كالتعليل للاعراض (أفأمنتم) الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدران يهلككم فى البحر بالغرق قادر ان يهلككم فى البر بالخسف وغيره (ان يخسف بكم جانب البر) ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال اوصلة ليخسف وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفى الاربعة التى بعده وفى ذكر الجانب تنبيه على انهم كما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات فى قدرته سواء لامعقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك (او يرسل عليكم حاصبا) ريحا تحصب اى ترمى بالحصباء (ثم لاتجدوا لكم وكيلا) يحفظكم من ذلك فانه لاراد لفعله (ام أمنتم ان يعيدكم فيه) فى البحر (تارة اخرى) بخلق دواعى تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه (فيرسل عليكم قاصفا من الريح) لاتمر بشى الاقصفته اى كسرته (فيغرقكم) وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح (بما كفرتم) بسبب اشراككم وكفرانكم نعمة الانجاء (ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا) مطالبا يتبعنا بانتصار اوصرف (ولقد كرمنا بنى آدم) بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتميز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدى الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على مافى الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى مايعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ماذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده (وحملناهم فى البر والبحر) على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له مايركبه اوحملناهم فيهما حتى لم يخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء (ورزقناهم من الطيبات) المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم

(وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف (يوم ندعوا) باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو و يدعى و يدعوا على قلب الالف واوا فى لغة من يقول افعوا وعلى ان الواو علامة الجمع كما فى قوله واسروا النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بهافانها ليست الا علامة الرفع وهى قد تقدر كما فى يدعى (كل اناس بامامهم) بمن ائتموا به من نبى او مقدم فى الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التى قدموها فيقال ياصاحب كتاب كذا اى تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة فى ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما وان لا يفتضح اولاد الزنى (فمن اوتى) من المدعوين (كتابه بيمينه) اى كتاب عمله (فاولئك يقرؤن كتابهم) ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه (ولا يظلمون فتيلا) ولا ينقصون من اجورهم ادنى شئ وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتى فى معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتى كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله (ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى) ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان فى هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان فى الآخرة لا يرى طريق النجاة (واضل سبيلا) منه فى الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثانى للتفضيل من عمى بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو و يعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه فى حكم المتوسطة فى اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة فى الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء فى التثنية وقد امالهما حمزة والكسائى وابو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما (وان كادوا ليفتنونك) نزلت فى ثقيف قالوا لا ندخل فى امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى فى صلاتنا وكل ربا لنا

فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا
كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرنى وقيل
فى قريش قالوا لانمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان
هى المخففة واللام هى الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك
فى الفتنة بالاستنزال (عن الذى اوحينا اليك) من الاحكام (لتفترى علينا غيره)
غير ما اوحينا اليك (واذا لاتخذوك خليلا) ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك
بافتتانك وليا لهم بريئا من ولايتى (ولولا ان ثبتناك) ولولا تثبيتنا اياك (لقد كدت
تركن اليهم شيئا قليلا) لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت
على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك
عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن اليهم وهو صريح
فى انه عليه السلام ماهم باجابتهم مع قوة الداعى اليها ودليل على ان العصمة
بتوفيق الله وحفظه (اذا لاذقناك) اى لو قاربت لاذقناك (ضعف الحياة
وضعف الممات) اى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما يعذب به
فى الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطر الخطير اخطر وكان اصل
الكلام عذابا ضعفا فى الحياة وعذابا ضعفا فى الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف
الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل
الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة
وبضعف الممات عذاب القبر (ثم لا تجد لك علينا نصيرا) يدفع العذاب عنك
(وان كادوا) وان كاد اهل مكة (ليستفزونك) ليزعجونك بمعاداتهم
(من الارض) ارض مكة (ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك) ولو خرجت
لا يبقون بعد خروجك (الا قليلا) الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا
ببدر بعد هجرته وقيل الآية نزلت فى اليهود حسدوا مقام النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء عليهم السلام فان كنت
نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك فى قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع
ثم قتل منهم بنو قريظة واجلى بنى النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا
باذا على انه معطوف على جملة قوله ان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد
فان اذا لا يعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائى ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال * عفت
الديار خلافهم فكأنما * بسط الشواطب بينهن حصيرا (سنة من قد ارسلنا

قبلك من رسلنا) نصب على المصدر اى سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك
كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل
عليهم السلام لانها لاجلهم و يدل عليه (ولا تجد لسنتنا تحويلا) اى تغييرا
(اقم الصلاة لدلوك الشمس) لزوالها و يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام
اتانى جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بى الظهر وقيل لغروبها
واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لا يستقر يده وكذا كل
ماتركب من الدال واللام كدلج ودلج ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك
من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتأقيت
مثلها فى لثلاث خلون (الى غسق الليل) الى ظلمته وهو وقت صلاة العشاء
الاخيرة (وقرآن الفجر) وصلاة الصبح سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت
ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه
لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة فى صلاة
الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفى غيرها قياسا
(ان قرآن الفجر كان مشهودا) يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار
او شواهد القدرة من تبديل الظلمة بالضياء والنوم الذى هو اخ الموت بالانتباه
او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات
الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلاة الليل وحدها ان فسر بالغروب
وقيل المراد بالصلاة صلاة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل
بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب
الشفق (ومن الليل فتهجد به) وبعض الليل فاترك الهجود للصلاة والضمير
للقرآن (نافلة لك) فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة او فضيلة
لك لاختصاص وجوبه بك (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) مقاما
يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق فى كل مقام يتضمن كرامة
والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه انه
عليه الصلاة والسلام قال هو المقام الذى اشفع فيه لامتى ولاشعاره
بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وماذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على
الظرف باضمار فعله اى فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه او الحال
بمعنى ان يبعثك ذا مقام (وقل رب ادخلنى) اى فى القبر (مدخل صدق)
ادخالا مرضيا (واخرجنى) اى منه عند البعث (مخرج صدق) اخراجا

ملتى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكـة وقيل ادخال
مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنـا من المشركين وقيل ادخاله الغـار
واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيمـا حمله من اعباء الرسـالة واخراجه منه
مؤديا حقه وقيل ادخاله فى كل مايلابسـه من مكان اوامر واخراجـه منه
وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معـنى ادخلنى فادخل دخولا واخرجنى
فاخرج خروجا (واجعـل لى من لدنك سـلطانا نصيرا) حجة تنصرنى على
من خالفنى اوملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجـاب له بقوله فان حزب
الله هم الغـالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم فى الارض (وقل جاء
الحق) الاسلام (وزهق الباطل) وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا
خرج (ان الباطل كان زهوقا) مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود انه عليه
الصلاة والسلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلاثمـائة وسـتون صنما فجعل
ينكث بمحضرته فى عين واحدواحد منها فيقول جاء الحق وزهق البـاطل
فينكب لوجهه حتى التى جميعها وبقى صنم خزاعـة فوق الكعبة وكان
من صـفر فقـال ياعـلى ارم به فصعد فرمى به وكسره (وننزل من القرآن
ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين) ماهو فى تقويم دينهم واسـتصلاح نفوسـهم
كالدواء الشافى للمرضى ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انه للتبعيض
والمعنى انه منه مايشفى من المرض كالفـاتحة وآيات الشـفاء وقرأ البصريان
ننزل بالتخفيف (ولايزيد الظالمين الاخسارا) لتكذيبهم وكفرهم به (واذا
انعمنا على الانسان) بالصحة والسعة (اعرض) عن ذكر الله (ونأى بجانبه)
لوى عطفه وبعد بنفسـه عنه كأنه مستغن مسـتبد بامره ويجوز ان يكون
كناية عن الاستكبار لانه من عادة المسـتكبرين وقرأ ابن عامر برواية
ابن ذكـوان هنـا وفى فصلت وناء على القلب اوعلى انه بمعـنى نهض
(واذا مسـه الشر) من مرض اوفقر (كان يؤوسـا) شـديد اليـأس
من روح الله (قل كل يعمل على شاكلته) قل كل احد يعمل على طريقته
التى تشـاكل حاله فى الهدى والضـلالة اوجوهر روحه واحواله التابعة
لمزاج بدنه (فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا) اسـد طريقـا وابين منهجا
وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعـادة والدين (ويسألونك عن الروح)
الـذى يحيى به بدن الانسـان ويدبره (قـل الروح من امر ربى) من
الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده اووجد

بامره وحدث بتكوينه على ان السؤال من قدمه وحدوثه وقيل مما استأثره الله بعلمه لماروى ان اليهود قالوا لقريش سلوا عن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبى وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم فى التوراة وقيل الروح جبريل عليه السلام وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر ربى معناه من وحيه (وما اوتيتم من العلم الا قليلا) تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشياء لايدركه الحس ولا شيئا من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لايمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلهذا اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى فى جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روى انه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير والحق ما تسعه الطاقة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التى لانهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير (ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك) اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من المصاحف والصدور (ثم لاتجدلك به علينا وكيلا) من يتوكل علينا استرداده مستورا محفوظا (الا رحمة من ربك) فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة فى تنزيله (ان فضله كان عليك كبيرا) كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه فى حفظه (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن) فى البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى (لايأتون بمثله) وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولاهى لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا

كقول زهير * وان اتاه خليل يوم مسئلة * يقول لاغائب مالى ولاحرم
(ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله
لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لايخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا
وسائط فى اتيانه ويجوز ان يكون الآية تقريرا لقوله ثم لاتجدلك به علينا
وكيلا (ولقد صرفنا) كرر بوجوه مختلفة زيادة فى التقرير والبيان
(للناس فى هذا القرآن من كل مثل) من كل معنى هو كالمثل فى غرابته
ووقوعه موقعا فى الانفس (فابى اكثر الناس الا كفورا) الا جحودا وانما جاز
ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفى (وقالوا لن نؤمن لك حتى
تفجر لنا من الارض ينبوعا) تعنتا واقتراحا بعدما لزمتهم الحجة ببيان اعجاز
القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون و يعقوب تفجر
بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لاينضب ماؤها يفعول
من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر (او تكون لك جنة من نخيل وعنب
فتفجر الانهار خلالها تفجيرا) او يكون لك بستان يشتمل على ذلك
(او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) يعنون قوله تعالى او تسقط
عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو
وحمزة والكسائى ويعقوب فى جميع القرآن الا فى الروم وابن عامر الا فى هذه
السورة وابو بكر ونافع فى غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من
المفتوح كسدر وسدر او فعل بمعنى مفعول كالطحن بمعنى المطحون (او تأتى بالله
والملائكة قبيلا) كفيلا بما تدعيه اى شاهدا على صحته ضامنا لدركه
او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة
لدلالة لتها عليها كما حذف الخبر فى قوله * ومن يك امسى بالمدينة رحله *
فانى وقيار بها لغريب * او جماعة فيكون حالا من الملائكة (او يكون لك
بيت من زخرف) من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة (او ترقى فى السماء)
فى معارجها (ولن نؤمن لرقيك) وحده (حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) وكان
فيه تصديقك (قل سبحان ربى) تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله من
ان يأتى او يتحكم عليه او يشاركه احد فى القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر
قال سبحان اى قال الرسول (هل كنت الا بشرا) كسائر الناس (رسولا) كسائر
الرسل وكانوا لايأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على مايلائم حال
قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى

تخيرونها على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر فى آيات
اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا (ومامنع
الناس ان يؤمنوا اذجاءهم الهدى) اى ومامنعهم الايمان بعد نزول الوحى
وظهور الحق (الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا) الاقولهم هذا والمعنى
انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم
والقران الا انكارهم ان يرسل الله بشرا (قل) جوابا لشبهتهم (لوكان
فى الارض ملائكة يمشون) كما يمشى بنوا آدم (مطمئنين) ساكنين فيها
(لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) لتمكنهم من الاجتماع به والتلقى
منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك
مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا
من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق (قل كفى
بالله شهيدا بينى وبينكم) على انى رسول الله اليكم باظهار المعجزة على وفق
دعواى اوعلى انى بلغت ماارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب
على الحال اوالتمييز (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) يعلم احوالهم الباطنة
منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول صلى الله تعالى عليه
وسلم وتهديد للكفار (ومن يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد
لهم اولياء من دونه) يهدونه (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم)
يسحبون عليها اويمشون بها روى انه قيل لرسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على اقدامهم
قادر ان يمشيهم على وجوههم (عميا وبكما وصما) لايبصرون مايقرأعينهم
ولا يسمعون مايلذ مسامعهم ولاينطقون بما يقبل منهم لانهم فى دنياهم
لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوه
بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤوفى القوى
والحواس (مأواهم جهنم كلما خبت) سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم
(زدناهم سعيرا) توقدا بان تبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة بهم
كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء واليه اشار بقوله (ذلك جزاؤهم بانهم كفروا
بآياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا) لان الاشارة
الى ماتقدمه عن عذابهم (اولم يروا) اولم يعلموا (ان الله الذى خلق السموات

والارض قادر على ان يخلق مثلهم) فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابتداء (وجعل لهم اجلا لاريب فيه) هو الموت او القيامة (فأبى الظالمون) مع وضوح الحق (الا كفورا) الا جحودا (قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى) خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره مابعده كقول حاتم * لوذات سوار لطمتنى * وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص (اذن لامسكتم خشية الانفاق) لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشئ فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه هذا او ان البخلاء اغلب فيهم (وكان الانسان قتورا) بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذله (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) هى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانقلاب البحر ونتق الطور على بنى اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سأل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنها فقال ان لاتشركوا بالله شيئا ولاتسرقوا ولاتزنوا ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولاتسحروا ولاتأكلوا الربا ولاتمشوا ببرئ الى ذى سلطان ليقتله وتقذفوا محصنة وتفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لاتعدوا فى السبت فقبل اليهودى يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل الثابتة فى كل شرائع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها فى الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان تعدوا حكم مستأنف زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام (فاسئل بنى اسرائيل اذجاءهم) فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك اوسلهم عن ايمانهم وحال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسأل على لفظ المضى بغير الهمز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا اوسال على هذه القراءة اوفاسئل يامحمد بنى اسرائيل عما جرى بين موسى عليه السلام وفرعون اذجاءهم اوعن الآيات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك اولتعلم انه تعالى لوأتى بما اقترحوه لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم اوليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين وطمأنينة القلب وعلى هذا كان اذنصبا بآتينا اوباضمار يخبروك على انه جواب

الامر او باضمار اذكر على الاستئناف (فقال له فرعون انى لاظنك ياموسى مسحورا) سحرت فتخبط عقلك (قال لقد علمت) يافرعون وقرأ الكسائى بالضم على اخباره عن نفسه (ما انزل هؤلاء) يعنى الآيات (الا رب السموات والارض بصائر) بينات تبصرك صدقى ولكنك تعاند وانتصابه على الحال (وانى لاظنك يافرعون مثبورا) مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ماثبرك عن هذا اى ماصرفك اوهالكا قارع ظنه بظنه وشتان مابين الظنين فان ظن فرعون كذب محض وظن موسى عليه السلام يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يافرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هى الفارقة (فاراد) فرعون (ان يستفزهم) ان يستخف موسى عليه السلام وقومه وينفيهم (من الارض) ارض مصر اوالارض مطلقا بالقتل والاستئصال (فاغرقناه ومن معه جميعا) فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق (وقلنا من بعده) من بعد فرعون واغراقه (لبنى اسرائيل اسكنوا الارض) التى اراد ان يستفزكم منها (فاذا جاء وعد الآخرة) الكرة او الحياة او الساعة او الدار الآخرة يعنى قيام القيامة (جئنا بكم لفيفا) مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى (وبالحق انزلناه وبالحق نزل) اى وما انزلنا القرآن الاملتبسا بالحق المقتضى لانزاله ومانزل الاملتبسا بالحق الذى اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الامحفوظا بالرصد من الملائكة ومانزل على الرسول الامحفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفى اعتراء البطلان له اول الامر وآخره (وما ارسلناك الامبشرا) للمطيع بالثواب (ونذيرا) للعاصى من العقاب فلاعليك الا التبشير والانذار (وقرآنا فرقناه) نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما فى قوله ويوم شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل فى تضاعيف عشرين سنة (لتقرأه على الناس على مكث) على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون فى الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه (ونزلناه تنزيلا) على حسب الحوادث (قل آمنوا به اولا تؤمنوا) فان ايمانكم بالقرآن لايزيده كمالا وامتناعكم عنه لايورثه نقصانا وقوله (ان الذين اوتوا العلم من قبله) تعليل له اى ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحى وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين الحق والباطل او رأوا نعتك وصفة ماانزل اليك فى تلك الكتب

ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم (اذا يتلى عليهم) القرآن (يخرون للاذقان سجدا) يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا لانجاز وعده فى تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على فترة من الرسل وانزال القرآن عليه (ويقولون سبحان ربنا) عن خلف الوعد (ان كان وعد ربنا لمفعولا) انه كان وعده كائنا لا محالة (ويخرون للاذقان يبكون) كرره لاختلاف الحال او السبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثانى لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به (ويزيدهم) سماع القرآن (خشوعا) لما يزيدهم علما ويقينا بالله (قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن) نزلت حين سمع المشركون رسول الله يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله فى التوراة فالمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو باعتبار الذات الذى هو المعبود وعلى الثانى انهما سيان فى حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو جواب لقوله (اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى) والدعاء فى الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين فى اياعوض عن المضاف اليه وما صلة لتأكيد ما فى ايا من الابهام والضمير فى فله للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام (ولا تجهر بصلاتك) بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها (ولا تخافت بها) حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين (وابتغ بين ذلك سبيلا) بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد فى جميع الامور محبوب روى ان ابابكر رضى الله تعالى عنه كان يخفت ويقول اناجى ربى وقد علم حاجتى وعمر رضى الله تعالى عنه كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابابكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها

باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك) فى الالوهية (ولم يكن له ولى من الذل) ولى يواليه من اجل مذلة به ليدفعها موالاته نفى عنه ان يكون له مايشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا ومايعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذى يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات المنفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وماعداه ناقص مملوك نعمة اومنعم عليه ولذلك عطف عليه قوله (وكبره تكبيرا) وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ فى التنزيه والتمجيد واجتهد فى العبادة والتحميد ينبغى ان يعترف بالقصور عن حقه فى ذلك * روى انه عليه الصلاة والسلام اذا افصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه عليه السلام من قرأ سورة بنى اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار فى الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

(تم طبع الجلد الاول ويليه الجلد الثانى ان شاء الله تعالى)



(فهرست الجلد الاول من تفسير القاضى)


32491
10/1/94

